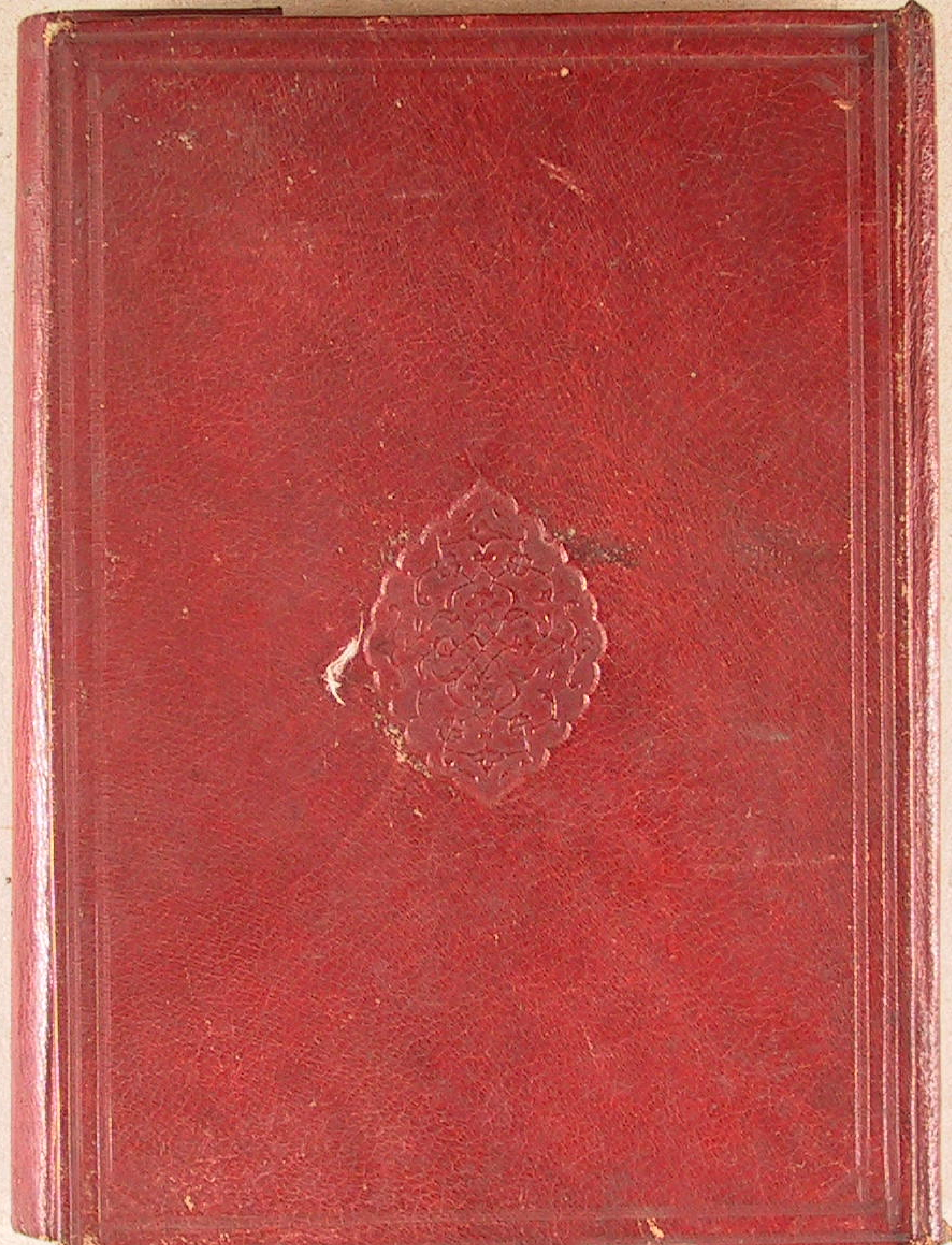

فهرس الكتاب المقدمة في العلم ٣ الباب ١٨ الاول في الورد الباب ٢٤ الثاني
في الانفاق والقناعة الباب الثالث في الصوم وكسر الشهوة الباب
الرابع في السفر والحج والغزو ٥٣ الباب ٦٢ في التزوج والتخلي الباب ٧٢ ٥٨ السادس
في الكسب والورع الباب ٨٤ السابع في الاتباع والمعيشة وفيه من الاداب كالاكل و
الشرب واللبس والمنام والكلام وغيرها الباب ١٠٨ الثامن في الصحبة الباب ١٣٩
التاسع في الصمت وآفات اللسان الباب ١٥٨ العاشر في الاناة والعجلة والحلم
والعفو والنصيحة والحقد الباب ١٦٣ الحادي عشر في العزلة والخمول وحب الذم و
بغض المدح الباب ١٧٤ الثاني عشر في مدح التواضع وذكر المنة وذم الكبر والعجب
الباب ١٨١ الثالث عشر في الاخلاص والنية والصدق الباب ١٩٠ الرابع عشر
في التفويض وقصر الامل وذكر الموت والانتباه الباب ١٩٦ الخامس عشر
في نفي الخواطر والرياضة الباب ٢١٠ السادس عشر في التوبة والمرابطة والتقوى
الباب ٢٢٣ السابع عشر في الصبر والرضا والشكر الباب ٢٣٤ الثامن عشر
في الخوف والرجا الباب ٢٤٣ التاسع عشر في الفقر والزهد الباب ٢٥٥
العشرون في التوحيد والتوكل واليقين الخاتمة ٢٧٠ في المحبة والسلوك

SÜLEYMANİYE G. KÜTÜPHANESİ

Kısmı .	Tekkeler- Murad
Yeni Kayıt No.	
Eski Kayıt No.	180
Tasnif No.	

١٣٤

K
123

SÜLEYMANİYE G. KÜTÜPHANESİ
Kısmı Tekkeler - Murad
Yeni Kayıt No.
Eski Kayıt No. 180
Tasnif No.

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين على القوم الظالمين الحمد لله العلي العظيم العليم
على ما هدانا الى الطريق القويم والصلاة والتسليم على نبيه الكريم وعلى آله واصحابه واتباعه واحزابه
المتقين المهديين الى الصراط المستقيم اما بعد فيقول خادم كلام ربه القديم وحديث رسوله الفخيم علي
بن سلطان محمد القاري عاملهما الله تعالى بلطفه الخفي وكرمه الوفي ان هذا شرح مجمل غير مطول
ولا مخل مكمل بكتاب عين العلم وزين الحلم الذي من غايته ان يجاوز ونهايته ان لا يجاوز كاد ان يكون من
انواع الاعجاز وهو في الحقيقة مختصر احياء العلوم لحجة الاسلام وبرهان الانام رجاء ان استفيض من
بركات كلمات العلماء الاصفياء واستفيد من نفحات صفحات المشايخ الاولياء وان اذكر في جملتهم واحشر
في زمرتهم وان قصرت في متابعتهم وخدمتهم اغترارا بمحبتهم واكتفاء بمودتهم واقول كما قال القائل من ذوي
الفضائل لي سادة من عزهم اقدامهم فوق الجباه ان لم اكن منهم فلي في حبهم عز وجاه
قال المصنف رحمه الله ونفعنا ببركات علومه وتقواه وهو من فضلاء الهند وصلحائهم على ما صرح به الشيخ
ابن حجر في شرح مقدمته وقيل انه منسوب الى بعض علماء بلخ ومشايخهم والله اعلم بالتصحيح نيته في تحقيقه ترجمته
بسم الله الرحمن الرحيم قد بسطنا الكلام في غير هذا المقام على مفردات البسملة ومركباتها
ومباحث معانيها ومبانيها وسائر متعلقاتها وبه نتقوى الى الوثوق والاعتماد على كرمه وجوده لا بغيره
اذ لا عبرة بوجوده وشهوده وقد اكتفى بالبسملة عن الحمدلة لتضمنها معنى يا رب اغثني في شدتي وهو على حذف
يا المتكلم وابقاء الكسرة لتدل عليها وفي ان تبدأ في مقام مناجاته والدعاء بالنداء اشعار بانه رب العالمين
عموما كما يفيد فاتحة الكتاب وفاتحة الخطاب ورب كل فرد من افراد بني آدم خصوصا
كما يومي اليه حديث ادبني ربي فاحسن تاديبي وقول بعضهم حسبي ربي من كل ديني ويدل عليه خبر رضيت بالله ربا ثم
زاد في مقام التاكيد ونظام التشييد لافادة اظهار العبودية في معرض الربوبية بقوله يا رباه بلفظ المندوب
لمد الصوت المطلوب في الندبة والمرغوب في المناجاة والنداء ويحتمل تعلقه بتقني وان ظهر تعلقه بقوله يا سيدي
اي يا من بغير ابتداء هو واجب على المنتهي والمبتدي ويا اي يا محكمي اقتدي وبعونك اقتدي وبنورك قد يسكن
اي المطلع المنصور في صدر صدر الذي هو محل ظهور الشكر اشارة الى قوله تعالى افمن شرح الله صدره فهو على
نور من ربه المهتدي اشارة الى قوله سبحانه من يهدي الله فهو المهتدي وقوله تعالى ان الهدى هدى الله والمعنى انه يهدي
به عبده بالقاء نور في قلبه ويهتدي الى طريق ربه ويفرق بين الحق والباطل فيختار الحق ويترك الباطل في
اعتقاده وعمله الله الله اي اتق الله مرة بعد اخرى في امر الدنيا والعقبى واحذر عن مخالفة المولى فكرر
ايراد فيما لهما كان العاقبة للتقوى وان اعادة المشيرة الى زيادة الافادة كقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا
الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون اي ظاهرا وباطنا او التقدير استغيث بالله واستعين
بطلب رضاه فيما ارجوه واخشاه والحاصل يا المهتدي بنور قدسه ودخل في قلبه بعض انسه وتبين له ان جميع
تكل الى الكون ورأى نفسه مشغولة بالدنيا معرضة عن العقبى وغافلة عن المولى حذرها بقوله الله الله اي اتق الله
لعدو سيء ويحذركم الله نفسه ولقوله عز وعلا واتقوا الله ويعلمكم الله وعلامة التقوى ترك الزهد في الدنيا

الله مره — اتق الله

الدنيا والميل في العقبى رجاء لمرضاة المولى ولما كانت النفس لطبعها مائلة الى الذنب ومشتهية لها وغافلة
عما خلق له من تحصيل عبادتها قال مخاطبا لنفسه او معاتبا او خطابا لعامة الناس اذ كان له مصاحبا
الام اصله الى ما بحرف الى الجارة وما الاستفهامية وكتب الى بالالف هنا لشدة الاتصال في الرسم النظامية
وحذف الالف من ما اكتفاء بالحركة الفتحة الباقية واتفاقا برسم المصاحف العثمانية والمعنى الى متى ايها
المخاطب المعاتب تمد اي تطمح وتتوجه الى زهرة الحياة الدنيا اي بهجتها وزينتها عينيك وفيه اقتباس
من قوله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير
وابقى وقوله سبحانه ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقران العظيم لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا
منهم روي عليه السلام رأى باذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها انواع البز والطيب والجواهر
وسائر الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها ولانفقناها في سبيل الله فقال
صلى الله عليه وسلم لقد اعطيتم سبع ايات هي خير من هذه القوافل السبع يعني قراءتها مع التامل في مبانيها
والعمل بمعانيها خير من تلك القوافل وما فيها لا مناسبة بين الاموال الفانية والاحوال الباقية ومن هنا
قال الصديق في مقام التحقيق من اوتي القران ورأى ان احدا اوتي من الدنيا افضل مما اوتي فقد صغر عظيما
وعظم صغيرا وقال ابو القاسم القشيري عاتب سبحانه على عينيه ان يستعملها في النظر الى غير وتعالى اذا لم
يسلم له اتباع نظرها الى الدنيا فكيف يسلم له سكون قلبه الى غير المولى وحتام اي وحتى متى تنكص
اي ترجع عن القيام باداء الاقدام على الله والاقبال على سبيل رضاه وفيه تلميح الى فعل ابليس وما وقع منه
نوع تلبيس كما اخبر الله تعالى عنه بقوله واذ زين لهم الشيطان اعمالهم الى قوله نكص على عقبيه الاية وتلويح
الى قوله سبحانه قد كانت اياتي تتلى عليكم فكنتم على اعقابكم تنكصون بعد ايناس نار على عقبيك اي متوجها
الى دار الكدار وفيه انواع حجاب وغبار وفي الكلام اقتباس من قوله تعالى آنس من جانب الطور نارا اي
نارا نورا دارا والمعنى بعد ظهور الحق وطريق الصدق اثارا فتتبع ايتنا من النار كناية عن اشتهاء من النفس
بالافات الدنيوية اي المانعة عن العبادات الاخروية وهذا على تقدير ان يكون على عقبيك ظرفا لا ينافي
واما على تقدير كونه متعلقا بتنكص فالمعنى الى متى ترجع على عقبيك عن طريق العبادة وسبيل اهل الارادة
التي تسلك بهم الى مقام السيادة والسعادة بعدما علمت يقينا ان نهاية الحق التي لها من نار جهنم يقينا
تجنبك منه جنبه بالتخفيف اي رده وبالتشديد اي نكس رأسه اي ابعدك عن مقام القبول وبعدك عن
طلب الوصول الشهوات الخسيسة اي المانعة عن المقامات النفيسة والحالات الانسية او اللهوات الفانية
الحاجزة عن الدرجات الباقية للاحجام اي للاعراض عن الدنيا والاقبال على المولى ام يعوقك من عاق
او عوق اي او يمنعك ويصدك الزخارف المموهة اي الزينات المتوهمة المانعة عن الاقدام على عمل الاخرة
الناجزة المحققة مالك اي ما حالك او اي شيء حاصل لك وما لك حال كونك في مقام اقبالك وزمان استقبالك
تتبع في المباهاة اي المفاخرة في غير الحالات الفاخرة التي تنفع في الاخرة وفي نسخة المبادرة اي المجادلة والمخاصمة
والمبارزة اي المسابقة والمقاطعة في المسموع وارث وجمع الحطام الفاني اموال الشبهة والحرام لتنشر الصيت اي الشهرة

اي بعد ابصار نار
واستيناس انوار
واحساس اسرار
واخبار من ديار
بها لك بعض اغيار
صح

اي جاه عند العوام كان نعام ورفع القدر اي بالقعود في مقام الصدر عند موضع القدر بحرف وجوه
الى نام اي بالتردد الكبير في الليل والايام وتشتهي نعيم جنات اي بساتين موجوده للمتقين باقيه
وانهار اي والانهار جاريه فيها عاليه فيه افات ساريه • في مقعد صدق اي بمكان مرضي في مجلس حق عند
مليك مقتدر اي مقربين في غاية الاعتبار • عنده تعالى امن في الملك والاقتدار • بحيث ابهم على ذوي
الافهام والاسرار • انهم عنديه منزلة ومكانة • لا عندية منزل او مكان • لعلو شانه ورفعة مرتبة
قال جعفر الصادق مدح المكان بالصدق فلا يقعد فيه الا اهل الصدق وهو المقعد الذي يصدق الله
فيه مواعيد اوليائه • بان يبيح لهم النظر الى وجهه الكريم ويبشرهم بلقائه • وقال الواسطي ليس محل منه
اشتغل بنفسه • وتلذذ بمطعمه ومشربه وملبسه • كمن كان شغله بالحق والسنة • والقيام بامره ونظره الى
ربه في مقعد صدق عند مليك مقتدر وقيل الصادق في عبادته من لا يتعبد على ملاحظة الاطماع والاغراض
ومطالبة الاعراض والاعواض وما شاكل ذلك اي وما عدا ذلك • في مقام حذارك ترغب اي تعرض وتبعد عن علم
سماه ربك العلم بالفقه حيث قال تعالى لعلهم يتفقهون وقال فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا
في الدين والحكمة حيث قال عز وجل يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا والنور حيث قال
سبحانه قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين والهدى وقال افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من
ربه والهدى حيث قال عز وعلا قل ان الهدى هدى الله هو الهدى والسلام على من اتبع الهدى وهو علم الكتاب
والسنة والاجماع ايمة بهم يقتدى وهو علم المعاملة وما سبق منه قوله بنور وقد سلك الهدى هو علم المكاشفة
لان من كوشف فوق الحق يتعين عليه ان يرغب في علم المعاملة الذي يعرف به احكام الله وطريق عبادته
سواه وترغب اي تميل وتخوض فيما احدثه قرون اي طبقات بعد خير القرون من قرن الصحابة والتابعين
واتباعهم فشا فيهم اي شاع وظهر فيما بينهم الكذب في حكاياتهم والبدعة في اعتقاداتهم والهوى اي
هوى ارباب النفوس ومشتهياتهم من العلوم التي غير نافعة ولا رافعة بل ضارة دافعة كعلم المنطق والكلام
والحكمة وسائر علوم الفلاسفة تيقظا خطاب لصاحبه كانه شبه نفسه ان يكون في سفر ليس مع رفيقه
فاذا ابلغ منازل الاحباب • وقد ارتحلوا ومضوا او دخلوا في مقام الحجاب • غلب عليه وجد فراقهم وحرارة
اشتياقهم • وغشيه البكاء في ميدان البيدا • فلم يتمالك في مهالك الازمنة • ان يتجاوز مسالك الامكنة
فتوقف لديه واستوقف صاحبيه وقال قفا نبك بالاتفاق • مع حزن الفراق وقيل اصله قف قف
فحذف الثاني وعوض عنه الالف • لان الفاعل كالجزء من الفعل وقيل اصله قفن ابدل نونه الفا والمعنى قف
ايها المخاطب • مع الرجل المعاتب نبك على رسوم علوم الدين اي اثارهم المندرسة • في ديارهم المنقلبة
بعد اقبالها الى ادبارهم • بغلبة علماء الشريعة واجب ربعا والطلل الاعمال اليقين اي وعلى الطامس
علامات اعمال اهل اليقين حيث اختلط بافعال ارباب الرياء والسمعة ولو كانوا من المجتهدين في امر الدين
بفقد المشايخ العاملين الكاملين في مقام الطريقة والجامعين للخلائق الواصلين الى مرتبة الحقيقة
ودمن كمالات الاحوال بكسر الدال وفتح الميم اي وعلى اثار كمال ارباب الاحوال واصحاب الاقوال

الى قوال بعدم دخول اهل الشهود في زوايا الشيخ الحقيقة والمعارف الدقيقة ووارداة كمالات الجمال
وكذا بعض مبادرات مطالعات الجلال الغيبية ارباب الحضرة في مقام التوحيد • واصحاب الجذبة في مرتبة
التاييد • عفت الديار اي صارت ديار العلوم وحيدار الفهوم عافية اي خربة واهية وخلت الاثار
اي وصارت الاثار من علماء واخبار الاحكام باقية وفيه ايماء الى قوله عليه السلام ياتي على الناس زمان
لم يبق من الاسلام الا رسمه الحديث مساجدهم عامرة وقلوبهم خربة واصبح الاصحاب اي العلماء الكبار الذين
بمنزلة الاصحاب الوارد فيهم اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم راحلين اي مرتحلين من دار
الدنيا الى دار العقبى كما يشير اليه قوله تعالى افلا يرون انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها اي بافناء علمائها
وما كنا فيهم واضحى الاعراب اي الجهال الذين بمنزلة الاعراب الوارد فيهم قوله سبحانه الاعراب اشد
كفرا ونفاقا واجدر الا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله نازلين في مقام العلماء العاملين وفيه
ايماء الى قرب القيامة • وعلامة وقوع الساعة التي تورث الندامة • ان يكون الملك كما ورد في حديث
جبريل وان ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان فيا اسفي اي تاسفي على منام
القلوب وقيام الالسنة اي على غفلة القلوب القاسية وحدة الالسنة الراسية وفيه ايماء الى ما ورد
في ذم علماء اخر الزمان ان قلوبهم امر من الصبر والسنتهم احلى من العسل ومضى العلوم اي رعاية محض العلوم
النافعة وذهاب علماء الحق وبقاء الرعية اي علماء السوء الذين اكتفوا بمجرد حفظ الرواية دون ضبط
الدراية والكتب البالية والحجب العالية ويا لهف متحيرين اي متعطشين على صبر وفق الحال اي حالا ذوي تشمايل
كتب ورسائل ومسائل مشحونة بنقول قال وقيل وفضائل والقلب بالعمل اجوبة ومسائل الا يبحثون فيها
ولا يعملون بها بل يخوضون فيما ليس تحته طائل ويا حسرتى اي تحسري على الطامسين المعنى من الاسم اي
محو المعنى المراد من المبنى والمواد والدارس الحقيقة عن الرسم اي رسم الشريعة والطريقة ويا سوأتي اي فضيحتي
على خلو القشر اي العلوم الالية من اللب وقال اعراب عن الالباب اي لباب العلوم المأخوذة منه
الكتاب الذي تذكر اولي الالباب في جميع العصور والاحقاب واغترار القوم اي اهل الزمان من ارباب
الحجاب بلمع السراب اي الاعمال الظاهرة الخالية عن الاحوال الباطنة وفيه تلويح الى قوله سبحانه
والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء ولله در القائل من اهل فهم •

الا والذي حجت قريش بيته • مستقبلين الركن من بطحائها •
ما ابصرت عيني خيام قبيلة • الا بكيت احبتي بفنائها •

الا الخيام جمع خيمة فانها كخيامهم اي في منازل الحي ومقامهم واري نساء الحي غير نسائها
اي الا ان النساء التي كن في بيت الجمال بدر وصف الكمال من العفة والحياء والحرمة ماتت والمعنى انه ظهر السفهاء في صورة
الفقهاء والجهال في صورة المشايخ العرفاء خطر ببالي جواب شرط مقدر اي لما كان الامر كذلك فخطر في خاطري
مناكرا ان ارتجي ببالي اي امدادا حاملي لواء قلبي في ميدان حب ذي رفع بسيجه بالترابي اي ازيل حزن قلبي
وتشتت بالي وتفرق حالي بتصنيف تلك العلوم اي بتصنيف صفحات العلوم النافعة الدالة في الدنيا والاخرة

واسرارها اي دقائقها وحقائقها الفائقة وتتبع سير الرجال اي سلوك اصحاب الحال وفي نسخة سير
اي اخرى بكسر السين وفتح الياء اي شمايل ارباب الفضايل واصحاب الفواضل واثارها اي الرجال معه
بانوارهم تحت استارها رجاء ان اقتفي اي اتبع واحرص على اتباعهم بتشديد التاء اي على متابعتهم
ومواقعهم في الدنيا وان ابعث في اشياعهم اي احشر مع اتباعهم في العقبى فامتريت اطباء الطاقة اي
حاولت وعالجت حرف الوسع والقدرة واحتملت اعباء المشقة اي وتحملت اثقال المشاق في طريق المحبة
وسبيل المعرفة وبالغت في جمعها اي ضبط افرادها وتهذيبها اي تنقيحها وحذف زوايدها واتقنت
في ضبطها وترتيبها اي ضبط معانيها وحفظ مبانيها مع اني سكيت نادي البيان بكسر السين
وتشديد الكاف اي كثير السكوت في مجلس التبيان وسكيت حلبة الرهان بضم السين وتخفيف
الكاف المفتوحة وتشدد اي اواخر الخيل في ميدان المسابقة والجولان والجريان ليتحق فيه الافراس
العشرة على عرفه ذلك الزمان ويركان للسبق يوخذ منه سبق من بعده ذلك المكان وفيه تلويح الى قول من قال
عند الامتحان يكرم المرء او يهان واحمق به اي بتصنيف هذا الفرع العلي اي الرفيع من الاصل العلوي
اي المنسوب الى علي المنيع والغصن السني اي المنسوب الى اهل السنة والجماعة العزيز الوجود فيما
بين السادة او السني بفتح فكسر اي الشريف الجليل الحسني من الشجر الحسيني وفي نسخة الحسني اي المنسوب
الى الحسن وفاطمة الزهراء وفيه تنبيه على ان كل علوي ليس بحسني ولا حسيني كمحمد بن الحنفية وساير
اولاد علي ارفع السراة جمع السري عمادا بكسر العين اي اعلى الاشراف يقال فلان رفيع العماد
اي شريف سني الذكر على الصيت وقيل العماد في الاصل عيدان يرفع بها البنيان فكنى بذلك عن رفع
نسبه وقوة حسبه وقيل بل مراد حقيقتها اي مرتفع العماد فوق البنيان ليراه الضيفان فيتقصد ونه
وذووا الحاجات فيطلبونه واطول الكماة جمع الكمي نجادا بكسر النون بعده جيم وهو حمايل السيف
وهو كناية عن طول قامته وطول شانه والمعنى افضل شجعان زمانه استنادا واكثر الكرام رمادا
كناية عن كثرة الجود المستلزم لكثرة الطبخ في منزل الشهود والمستلزم لكثرة الرماد ولدوام وقود
نار ليلا في تلال البلاد فيهتدي به الضيفان من العباد واكبر العظام وسادا كناية عن كونه
معظما موقعا في قلوب العباد والزهاد وهو ابن بني عدنان فانه عليه السلام محمد بن عبد الله
بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لوي بن غالب
بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ن
والى هنا من النسب الشريف لا خلاف فيه للعلماء انه عدنان وانما الخلاف فيما فوقه مختلف البيان ولذا بين ج
يروى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا بلغ في النسب الى عدنان امسك عما بعده من عنان البيان وقال
كذب النسابون اي في هذا الشان قال الله تعالى وقرونا بين ذلك كثيرا قال ابن عباس ولو شاء الله ان يعلمه
لعلمه وقال ابن دحية اجمع العلماء والاجماع حجة على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انتسب الى عدنان
ولم يتجاوزه وفي مسند الفردوس عن ابن عباس انه عليه السلام كان اذا انتسب لم يجاوز معد بن عدنان

عدنان ثم يمسك ويقول كذب النسابون وقال السهيلي الاصح في هذا الحديث انه من قول ابن مسعود
وقال غيره كان ابن مسعود اذا قرا قوله تعالى الم ياتكم نبا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين
من بعدهم لا يعلمهم الا الله قال كذب النسابون انهم يدعون علم الانساب ونفى الله علمها عن
العباد وفي الكتاب وعن ابن عباس بين عدنان واسمعيل ثلثون ابا لا يعرفون وسئل مالك
عن الرجل يرفع نسبه الى ادم فكره ذلك وقال ومن اخبره بما هنالك وسمي جده خليل الرحمن يعني اسم الممدوح
ابراهيم كاسم جده الكريم الخليل اي ولده الخليل اسمعيل جد نبينا صلى الله عليه وسلم وشرفا وكرم
ركن الدين المدار عليه الشهادة اي المشهود لديه قطب الشرع الناصع في العقبى مشيرا الى علمه ومعرفته
المدار عليه كالتفسير لما قبله والى ان الله جامع بين الفضايل الدنيوية والشمايل الاخروية طاهر الذيل
عن دنس الهوى كناية عن صلاح صدوره ونيته عازف القلب اي صارفه عن لذة الدنيا اشتياقا الى ورعه
وتزهده وحسن رعايته راسخ القدم في شريعة المصطفى اي ثباته في امر الدين لاستقامته صارف
العنان الى طريقة المرتضى اشعارا بانه على مذهب الصوفي وسلوك طريقته وايماء بانه متصف بصفات
الانبياء ومقامات الاولياء وانه تابع لجده الاعلى والادنى بلغه الله الى الكمال الاعلى اي في الدنيا والاخرة
واوصله الى السعادة العظمى اي والسعادة العظمى وهي رضا المولى وادام المجد بين ثوبيه اي العظمة
في ذاته واقام الكرم بين برديه السني وتقدم صفاته قال صاحب المفتاح المجد بين ثوبيه والكرم بين برديه
من الكناية المطلوب بها تخصيص الصفة بالموصوف اراد القائل ان لا يصرح بتخصيص المجد والكرم بالممدوح
فجعلهما بين ثوبيه وبرديه تنبيها بذلك على ان محلهما ذو ثوبان وبردان وهما مشتملان على الممدوح فتم
غرضه بذلك ذكره الطيبي وانا احمد الله سبحانه لم اجعل تصنيفي هذا وان ما سبق لي من تاليفي بابهم باسم احد
من الامراء والوزراء وانما اردت ابتغاء وجه الله وشفاعة نبيه يوم اللقاء فحصل بحسن لطف رحماني ودعم
فضل رباني اي بتوفيقه وتسهيله لهذا التاليف وتحصيله كتاب حجمه عندي صغير اي في اوراق معدودات
يتم بها الكتاب من غير تطويل الاطناب ليسهل الحفظ اي بالجنان والاستصحاب اي مع الابدان
وعلمه اي معلوماته على ظني غزير اي كثير لاشتماله على جميع ما في الاحياء من اربع مجلدات لكمال الاستقصاء
فهو كاللباب وانما قال على ظني هضما لنفسه في هذا الباب وان صاحب البيت ادرى بما فيه لعدم
الحجاب يبني بما علاه من الكتاب اي باب التمهيد وفصل الخطاب وابوابه عشرون بابا فيها كفاية لارباب ب
الالباب فالباب الاول في الورود والباب الثاني في الاتفاق والثالث في الصوم والرابع في السفر والخامس مس
في التزوج والسادس في الكسب والسابع في المعيشة والثامن في الصحبة والتاسع في الصمت والعاشر في
الامانة والحادي عشر في العزلة والثاني عشر في التواضع والثالث عشر في الاخلاص والرابع عشر في
التفويض والخامس عشر في نفي الخواطر والسادس عشر في التوبة والسابع عشر في الصبر والشكر والثامن عشر
في الخوف والرجا والتاسع عشر في الفقر والزهد والعشرون في التوحيد والتوكل واليقين قد صدرت ابتدات ايم
مقدمة في العلم والمعرفة هي احرى اي اليق واولى بالتقديم مرتبة اي ضمت واخرت بخاتمة في المحبة حتى ان تجمع اي اجدر واحق م

بل الشهم لئلا يحتاج الى الترخيم واسمه المطابق للمسمى عين العلم الذى نتيجته وثمرته ان يكون زين الحلم
بل هو معدن اسرار الشريعة والطريقة ومنبع انوار المعرفة والحقيقة واساسه اى مدار بنائه ونبراسه
الكتاب والسنة وشيم الصحابة الشيم بكسر الشين وتشديد الميم جمع الاشيم اى سير اصحاب الكبار من
ذوى الاقتداء وفيه الاشعار بان اجماع الصحابة او اكثرهم بهوا الاولى بالاعتبار من ذوى الاجتهاد
والابتكار معرض اى خال ومجرد عما حدث اى اخترع وابتدع من وضع غير مشروع كالدوائر الفاسدة
والابيات الكاسدة الا بيمن ذلك الموضوع او غير المشروع ولا يغنى من جوع اى لا يفيد الزيادة والا
ولا ينفع حين الافادة والاستفادة ليس التكحل فى العينين كالكحل بفتحتين اشارة الى ان هذا
الكتاب بالتكلف من الاعمال المحدثة كالتكحل صنعة وتهذيبه على ما اتفق عليه الجمهور من السلف كالعين
المكحلة خلقة لا يزول بازالة احد ولو تكلف فى مشقة وفيه تنبيه نبيه على ان طريق النجاة لا تتم الا بحسن
متابعته عليه السلام وما اوصى به الكرام فى جميع احكام الاسلام كما يشير اليه قوله تعالى قل ان كنتم تحبون
الله فاتبعونى يحببكم الله ويدل عليه حديث اصحابى كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وخبر لا تجتمع امتى
على الضلالة وعليكم بالسواد الاعظم والله سبحانه اعلم فالحمد لله ازلا وابدا ولا نشرك به احدا نحمده
فى كل ان ونشكره فى كل زمان ونستعينه فى كل شان ونتوكل عليه فى كل مكان ونعوذ بالله من شرور
انفسنا اى من الاخلاق الدنية ومن سيئات اعمالنا من الاحوال الردية ونشهد ان لا اله موجود ومعبود
ومشهود الا الله اى الذات المستجمع لكمال الصفات فلا نعبد الا اياه ولا نلتفت الى سواه وحده
متفردا بالذات لا شريك له فى كمال الصفات ونشهد ان محمدا عبده ورسوله وحبيبه وخليله اعطاه الله تعالى
خيرا ودعا الوسيلة وقد سئل عن الوسيلة فقال على مرتبة لا ينالها الا واحد وارجو ان اكون انا فمن سال لى
الوسيلة من الله تعالى حلت له الشفاعة والفضيلة اى الزيادة فى المرتبة المنيفة والدرجة الرفيعة اى فى المنزلة البديعة
وبعثه اى حشره وانشره مقاما محمودا يغبطه الاولون والاخرون ويغبطه النبيون والمرسلون والملائكة
المقربون الذى وعده بقوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا اى وعده لم يكن الا موجودا وانما عبر عنه بعسى
للاشعار بانه لا يجب على الله سبحانه شئ للعباد وان الامور انما تكون وفق ما قضاه واراد وصلى الله عليه
اصالة وعلى الكمل من اهل بيته من ازواجه واقاربه وذرياته واله اى من يؤول اليه من اتباعه واصحابه
واحزابه وسلم تسليما اى بقدر تعظيمه وتكريمه اما المقدمة فى العلم وقد ورد العلم ثلثة وما سوى ذلك فهو فضل المقدمة
اية محكمة او سنة قائمة او فريضة عادلة والمراد بها اجماع الامة واتفاق الائمة رواه ابو داود وابن
ماجه والحاكم فى مستدركه عن ابن عمرو وفى رواية الديلمى عنه العلم ثلثة كتاب ناطق وسنة ماضية ولا
ادرى وانما لم يذكر الاجماع لان مستنده اما الكتاب او السنة والحديث رواه ابو داود وابن ماجه عنه
مرفوعا وقد روى ابو داود والحاكم وصححه حديث ابى هريرة ما ادرى اعزير نبى ام لا وروى احمد وابو يعلى
والبزار والحاكم وصحح اسناده الطبرانى من حديث جبير بن مطعم والدارقطنى وابن حبان والحاكم وصححه نحوه من حديث
ابن عمر انه سئل عن خير البقاع وشرها قال لا ادرى حتى نزل جبريل وفيه تنبيه على ان العجز عن درك الادراك

ادراك كما قال الصديق ومنه قول الملائكة لا علم لنا الا ما علمتنا وقول الرسل يوم القيامة لا علم
لنا بسم الله الرحمن الرحيم ولا يحيطون به علما وهو بكل شئ عليم العلم علمان علم الخلق او
المعتبرة فى الاحوال الناقصة او النافع فى المرتبة الناقصة او علم التصوف والاحوال الزاهرة نوعان وقد ورد
العلم علمان فعلم فى القلب فذلك العلم النافع وعلم على اللسان فذلك حجة الله على ابن ادم رواه ابن ابى
شيبة والحكيم عن الحسن مرسلا والخطيب عنه عن جابر مرفوعا علم المكاشفة وهو ما يطلب منه كشف المعلوم
فقط المعبر عنه بعلم الباطن مثل علم المحبة والشوق والرضا والقبض والبسط والمحو والصحو والهيبة والانس والفنا
والبقا واللوامع والطوالع واللوائح والروائح والاسرار والانوار ومقابله المعاملة وهو ما يطلب منه
مع كشف العمل به وهو نور يظهر فى القلب اما بالجذبة الالهية او بالرياضة الشرعية فيشاهد به الغيب
اى ما غاب عن عين من علوم متعلقة بالرب من وجود ذاته وشهود صفاته من تكويناته ومصنوعاته
كما يشير اليه قوله عز وعلا سنريهم اياتنا فى الافاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق الاية وهو محقق
اى ثابت الى يوم القيامة لاصحاب السلامة من الندامة والملامة فورد دليل لقوله فيشاهد به الغيب
اذا دخل النور فى القلب انشرح اى انفتح اى عاين الغيب من غير الريب وانفسح اى انبسط واتسع
وانفتح اى احتمل البلاء وحفظ السر اى فى مقام الولاء وابتلى فى العالم عند قوله تعالى فمن يرد الله ان
يهديه يشرح صدره للاسلام اى ليقبل ما فيه من الاحكام ولما نزلت هذه الاية سئل عليه السلام عن
شرح الصدر قال نور يقذفه الله فى قلب المؤمن فينشرح له وينفسح قيل فهل لذلك امارة اى علامة قال
نعم الانابة الى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت وعن على كرم الله
وجهه علم الباطن سر من اسرار الله عز وجل وحكم من احكام الله تعالى يقذفه فى قلوب من يشاء من عباده
رواه الديلمى وابو عبد الرحمن السلمى ولا يصح به اى لا يمكن التعبير عن علم المكاشفة لفقد الرواية اى بحرى
بل روى احيانا تلويحا لا تنفس الا مورد الوحدانية فلا يمكن ان يروى وينقل الا بالرموز والاشارات
الا يما فيه الوحدانية فان العاقل يكفيه الاشارة والغافل ما يغنيه الا صريح العبارة ولذا قيل العلم
نقطة كثرها الجاهلون ومع هذا كل حزب بما لديهم فرحون والمقصود من هذا الكتاب علم المعاملة
دون علم المكاشفة التى لا رخصة فى ايداعها الكتب وان كانت هى غاية مقصد الطالبين ومطمح نظر
السالكين وعلم المعاملة طريق اليه ودليل عليه ولكن لم يتكلم الانبياء مع الخلق الا فى علم الطريق والارشاد
الى الحق واما علم المكاشفة فلم يتكلموا فيه الا بالرمز والايما على سبيل التمثيل والاجمال علما منهم بقصور
افهام الخلق عن احتمال العلما وورثة الانبياء فما لهم سبيل الا العدول عن نهج التاسى ومنهاج الاقتدا
ومورد ان من العلم اى من جملته علم خفى فيه العنون كهيئة المكنون اى من الدر المصون لا يعلمه الا اهل المعرفة
بالله رواه الديلمى فى مسند الفردوس عن ابى هريرة بلفظ ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه الا العلماء بالله فاذا
نطقوا به لا ينكره الا اهل العزة بالله عز وجل وفى هذا المقام قيل من عرف ربه كل لسانه اى عن بيان حقائق
الذات والصفات بعظم شانه وتجلى برهانه واما قول من قال من عرف ربه طال لسانه فمحمول على العلوم الظاهرة

والذي يرالفاحش من سائر الامور المتعلقة بالدنيا والاخرة وقيل من عرف الله كل لسانه في بيان الذات
وكال بيانه في شان الصفات وقيل من عرفه بالصفات الجلالية كل لسانه ومن عرفه بالنعوت الجمالية
كل بيانه وتهواي علم المكاشفة افضل من علم المعاملة لان شرف العلم بشرف المعلوم ومن المعلوم
اشرف منها يتعلق به سبحانه من الذات والصفات وما اخبر به من المغيبات لانه المقصود الاكمل والمطلوب
بالذات والذا يشتغل بانتقاله حال الممات بخلاف علم المعاملة فانه ليس مقصودا بالذات بل ليعمل به في
سائر الاوقات والذا ينتهي بانتقال صاحبه الى دار الاخرة حيث لا تكليف فيها وعلم المعاملة اي النوع
الثاني وهو العلم بما يقرب اليه تعالى من المامورات وما يبعد منه من المنهيات وينقسم الى قسمين الى
علم ظاهر يتعلق باعمال الجوارح والى باطن يتعلق باحوال القلوب ثم الجارية على الجوارح اما عبادة واما
عادة والواردة على القلوب التي هي بحكم الرضى بعض الخواص من عالم الملكوت اما محمود واما مذموم وهواي
علم المعاملة مقدم على العمل او على علم المكاشفة وهو الظاهر حيث دليله الوارد ولكن يشكل بقوله لانه
الشرط فتدبر فانه قد تتقدم الجذبة على السلوك في الخدمة اللهم الا ان يقال انه الشرط الغالبي كما يدل عليه
استثناؤه الاتي فورد اي في كلامه سبحانه والذين جاهدوا فينا اي اجتهدوا في طاعتنا وعبادتنا
لنهدينهم سبلنا اي طرق معرفتنا ووصلتنا او المعنى والذين جاهدوا فينا بما عرفوا منا لنهدينهم سبلنا التي
ما فهموا عنا كما يشير اليه قوله صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ويدل عليه قوله تعالى
والذين اهتدوا زادهم هدى اجتبت اي وورد اجتبت فالزم حين اخبر حارثة رضي الله عنه بانكشاف
الغيب اي من احوال العقبى بعد عزوفه اي بعد صرف السالك قلبه واعراضه عن الدنيا والحديث في الجامع
الكبير لشيخ مشايخنا المرحوم جلال الدين السيوطي عن الحارث بن مالك وحارثة بن النعمان الانصاري
قال مررت بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال كيف اصبحت يا حارث قلت اصبحت مؤمنا حقا فقال انظر
ما تقول فان لكل شيء حقيقة فما حقيقة ايمانك قلت قد عزفت نفسي عن الدنيا واسهرت لذلك ليلي
واظمأت نهاري وكاني انظر الى عرش ربي بارزا وكاني انظر الى اهل الجنة يتزاورون فيها وكاني
انظر الى اهل النار يتضاغون وفي رواية يتعاوون فيها فقال يا حارث عرفت فالزم قالها ثلاثا
وفي رواية ابن عساكر قال له عليه السلام انت امرؤ نور الله قلبه عرفت فالزم وفي رواية العسكري
في الامثال عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لحارثة بن النعمان كيف اصبحت الى ان قال ابصرت
فالزم ثم قال عبد نور الله الايمان في قلبه فقال يا نبي الله ادع الله لي بالشهادة فدعا له قال فنودي
يوما يا خيل الله اركبي فكان اول فارس ركب واول فارس استشهد وفي رواية ابن النجار فبلغ ذلك امه
فجاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان يكن في الجنة لم ابك ولم احزن وان يكن في
النار بكيت ما عشت في الدنيا فقال يا ام الحارث او يا حارثة انها ليست بجنة ولكنها جنة في جنان
والحارث في الفردوس الاعلى فرجعت وهي تضحك وتقول بخ بخ يا حارثة الا استثناء من قوله تقدم
اي لكن قد يوخر علم المعاملة ان جذبة العناية كما في سحرة فرعون فانهم وصلوا الى الحق الحقيق بدون المجاهدة

في رواية الطبراني وابي نعيم عن الحارث بن مالك الانصاري صح

المجاهدة في الطريق فانه روي انهم راوا في سجودهم الجنة ومنازلهم فيها وورد جذبة من جذبات الحق
توازي عمل الثقلين وورد ان لله في ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها والحاصل ان السلوك الى الله
اما بتقديم المجاهدة على الجذبة واما بتقديم الجذبة على المجاهدة كما يشير اليه قوله تعالى سبحانه الله
يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب والطريق الثاني سلوك الحكماء والقرآن والايمان والمسلك الاول
وبعض الصوفية كما يدل عليه قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان اي تفصيله في الخطاب
ومعرض البيان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من اهل العرفان وابلغ منه وما كنت ترجو ان يلقى
اليك الكتاب الا رحمة من ربك والا يشكل علم المعاملة عنه اي عن علم المكاشفة كما قدمناه لزوم
وجود احدهما مقدما او موخرا والحاصل ان بعد الجذبة ابتداء يلزم علم المعاملة واما قبل الجذبة فلا بد من
المجاهدة فانها شرط وجود المكاشفة ابتداء واما لدوامه فلا بد منه التحقق كما ان من حصل له الجذبة وعلم
المكاشفة ثم التزم علم المعاملة والخدمة ولو عاش سحرة فرعون لكان علم المعاملة لازما لهم ايضا
لدوام علم المكاشفة والمراد بالجذبة هنا الجذبة القوية الالهية الفورية الربانية من عالم الامر والا فصاحب
علم المعاملة ايضا لا يخلو عن نوع جذبة ربانية الا انها ضعيفة تدريجية من عالم الخلق وقد قال تعالى الا
له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ومن هنا قيل الطرق الى الله بعدد انفاس الخلائق اي انها
تختلف باختلاف حجب العلائق والعوائق واعلم انه لا يلزم من وجود المعاملة حصول المكاشفة بخلاف
العكس في المقابلة وزبدته ان كل من يسعى لم يدركه ولكن ما ادرك ما تمنى الا من يسعى فلله الحمد على
الاولى فورد في الحديث ما يدل على لزوم المعاملة بعد تقدم المكاشفة التجافي عن دار الغرور كناية عن البعد
والتزهد عن الدنيا والانابة الى دار الخلود اي الرجوع الى الزاد العقبى والاستعداد للموت قبل نزوله استشهد
للموت حين سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن علامة ذكر النور كما قدمنا هذا اي العلم المنقسم الى
قسمين من المكاشفة والمعاملة ما ورد بفضله اي وفضل تعلمه وتعليمه الشارع اي المطابق للعقل والطبع
من الكتاب والسنة واخبار الائمة اما الكتاب فكقوله تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولو
العلم وقوله يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات عن ابن عباس للعلماء درجة فوق
درجة المومنين بسبعمائة درجة ما بين الدرجتين خمسمائة عام وقوله هل يستوي الذين يعلمون والذين
لا يعلمون وقوله انما يخشى الله من عباده العلماء وقوله قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب
وقوله وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن امن وعمل صالحا وقوله وتلك الامثال نضربها
للناس وما يعقلها الا العالمون وقوله ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه
منهم وقوله بل هو ايات بينات في صدور الذين اوتوا العلم واما السنة فقوله عليه السلام من يرد الله به خيرا
يفقهه في الدين متفق عليه وزاد الطبراني ويلهمه رشده العلماء ورثة الانبياء رواه ابو داود والترمذي
وابن ماجه وابن حبان في صحيحه من حديث ابي الدرداء ان الحكمة تزيد الشريف شرفا وترفع المملوك حتى
تجلسه مجلس الملوك ابو نعيم في الحلية عن انس فقد نبه بهذا على ثمرته في الدنيا ومعلوم ان الاخرة خير وابقى

خصلتان لا يجتمعان في منافق حسن سمت وفقه في الدين رواه الترمذي عن ابي هريرة افضل الناس
المؤمن العالم اذا احتيج اليه نفع وان استغني عنه اغنى نفسه البيهقي في شعب الايمان موقوفا على
ابي الدرداء الايمان عريان ولباسه التقوى وزينته الحيا وثمرته العلم والعمل رواه الحاكم في تاريخ نيسابور
عن ابي الدرداء اقرب الناس من درجة النبوة اهل العلم والجهاد اما اهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت
به الرسل واما اهل الجهاد فجاهدوا باسيافهم على ما جاءت به الرسل رواه ابو نعيم عن ابن عباس
لموت قبيلة ايسر من موت عالم الطبراني وغيره عن ابي الدرداء الناس معادن الذهب والفضة خيارهم
في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا متفق عليه عن ابي هريرة يوزن يوم القيامة مداد العلماء
بدماء الشهداء فيرجح مداد العلماء ابن عبد البر عن ابي الدرداء من حفظ على امتي اربعين حديثا من السنة
حتى يؤديها اليهم كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيامة ابن عبد البر عن ابن عمر من حمل من امتي اربعين
حديثا لقي الله يوم القيامة فقيها عالما ابن عبد البر عن انس من تفقه في دين الله كفاه الله همه ورزقه
من حيث لا يحتسب الخطيب عن ابن جزء اوحى الله تعالى الى ابراهيم يا ابراهيم اني عليم احب كل عليم
ابن عبد البر مغلقا العالم امين الله في الارض ابن عبد البر عن معاذ صنفان من امتي اذا صلحا
صلح الناس واذا فسدوا فسد الناس الامراء والفقهاء ابو نعيم عن ابن عباس اذا اتى علي يوم لا ازداد فيه
علما يقربني الى الله فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم الطبراني في الاوسط وابو نعيم في الحلية وابن
عبد البر في العلم عن عائشة يشفع يوم القيامة ثلاثة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء ابن ماجه عن
عثمان ما عبد الله بشي افضل من فقه في دين الطبراني في الاوسط عن ابي هريرة خيركم يسره وافضل
العبادة الفقه ابن عبد البر عن انس انكم اصبحتم في زمان كثير فقهاؤه قليل خطباؤه قليل سائلوه ه
كثير معطوه العمل فيه خير من العلم وسياتي على الناس زمان قليل فقهاؤه كثير خطباؤه قليل معطوه كثير
سائلوه العلم فيه خير من العمل الطبراني عن حزام بن حكيم عن عمه والمعنى اظهار العمل حينئذ خير من اظهار
العلم ليقتدي الناس فلا منافاة ثم ان الاحاديث الدالة على افضلية العلم مطلقا قيل يا رسول الله
اي الاعمال افضل قال العلم بالله عز وجل فقيل نسال عن العمل تجيب عن العلم فقال ان قليل العمل
ينفع مع العلم بالله وان كثير العمل لا ينفع مع الجهل بالله ابن عبد البر عن انس يبعث الله العباد
يوم القيامة ثم يبعث العلماء ثم يقول يا معشر العلماء اني لم اضع علمي فيكم الا لعلمي بكم لم اضع علمي
فيكم لاعذبكم اذهبوا فقد غفرت لكم الطبراني عن ابي موسى فالمراد اي فمراد الشارع المكاشفة
فالفاء للتفصيل اي وان المراد علم المكاشفة فيما ورد اي في حديث مشهور ورد فضل العالم على العابد
كفضلي على امتي ولفظ الترمذي والدارمي عن ابي الدرداء كفضلي على ادناكم وفيه مبالغة لا تخفى ورواه ه
احمد والترمذي وابو داود وابن ماجه والدارمي وابن حبان ولفظه ان فضل العالم على العابد كفضل
القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وان العلماء ورثة الانبياء وان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما
وانما ورثوا العلم فمن اخذه اخذ بحظ وافر وفي لفظ للترمذي عن ابي امامة فضل العالم على العابد كفضلي

كفضلي على ادنى رجل من اصحابي وقال حسن صحيح وورد فضل المؤمن العالم على المؤمن العابد بسبعين
درجة ابن عدي عن ابي هريرة وابو يعلى عن عبد الرحمن بن عوف وروى الاصبهاني في الترغيب
والترهيب عن ابن عمر بين العالم والعابد سبعون درجة وكذا في مسند الفردوس عن ابي هريرة واما في
الاحيا مائة درجة فلا اصل له اذ غيره اي غير علم المكاشفة وهو علم المعاملة تبع للعمل لان العلم شرط له اي
للعمل فلا عمل بلا علم وقد يوجد علم بلا عمل والمعنى انه كلما وجد العمل لزم وجود العلم بخلاف عكسه فالعمل الظاهر بفضل
بغير العلم غير ممكن فعلم ان المراد بالعالم هو العالم بحكم المكاشفة والا فلو اريد به فضل العالم علم المعاملة
لزم تفضيل العالم على العالم او على العالم العابد وهذا فاسد فتعين ان المراد بقوله فضل العالم هو العالم
بعلم المكاشفة هذا حاصل كلامه وبيان مرامه والظاهر ان المراد بالعالم هنا هو الجامع بين علمي المكاشفة
والمعاملة بل المستجمع بين علم الشريعة وعلم الطريقة المؤدي الى مرتبة الحقيقة ثم التحقيق ان العلم بدون
العمل غير مفيد والعمل بغير العلم غير صحيح فلا بد للعالم من العمل وللعابد من العلم فالمراد بالعالم في الحديث
من يعمل بما يجب عليه ويصرف الى العلم ما يفضل من الاوقات لديه وبالعابد من يعلم ما يجب عليه من العلم ويصرف
بقية اوقاته الى العمل وانما فضل العالم على العابد لان نفع العلم متعد ونفع العمل قاصر ولان العلم اما فرض
عين واما فرض كفاية وكل منهما افضل من النوافل كما لا يخفى على ذوي الفضائل ولان العلم من صفات الله والعمل
من صفات العبد ولان الفضيلتين جزم واحد وظاهر انه ان زيادة العلم خير من زيادة العمل والمراد هنا
العالم العامل كما يشير اليه قوله عليه السلام تعوذوا بالله من علم لا ينفع رواه ابن ماجه باسناد حسن
عن جابر وعن عمر من حدث بحديث فعمل به فله مثل اجر ذلك العمل ولو ثلاث حديث الدال على الخير كفاعله رواه ه
الترمذي من حديث انس وعن الحسن لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم وقال عطا دخلت على سعيد
بن المسيب وهو يبكي فقلت ما يبكيك قال ليس احد يسالني عن شيء والمعاملة اي والمراد علم المعاملة
ع القلبية الواجبة فيما ورد طلب العلم فريضة على كل مسلم رواه ابن ماجه وضعفه احمد والبيهقي وغيرهما لامتناع
ارادة غيرها اي غير المعاملة القلبية اقول بل الحمل على المعنى الاعم هو الاتم ليشمل المعاملة القالبية انما يصح
كلام الماتن على قضية نادر الوقوع فحينئذ يمتنع ارادة غير المعاملة القلبية لان الغرض بعد التوحيد نوعان
احدهما ما يكون فرضا على العبد بحكم الاسلام وهو علم المعاملة القلبية واصلاح الباطن لازدياد
الانوار الغيبية بازالة الاخلاق الردية واثبات الشمائل المرضية وثانيهما ما هو فرض عليه عند تجدد الحادثة
كدخول وقت الصلاة والصوم ووجوب الحج والزكاة وعلم البيع والشراء وسائر المعاملات واما العبد اذا اسلم
في وقت لم يجب عليه فيه الا الشهادتان فليس عليه ان يتعلمها بفرض ادراكها لانه لم يدرك وقتها وكان لم يدرك
وقتها ان يكون فرضا عليه اذ لو قدر موته قبل تجددها لم يطالب يوم القيامة بتعلم احكامها وانما يكون الغرض
عليه حينئذ علم المعاملة القلبية وتحصيل الاخلاق الزكية لان العبد بعد الاسلام لا يخلو اما ان يكون
مستصحبا لرذيلة فيجب عليه ازالتها واثبات ضدها مكانها او لا يكون فيجب عليه تحصيل علم الباطن ايضا لتحصيل
ازدياد اليقين ومعرفة خداع النفس وغرور الشيطان ودسائسها الخفية ومعرفة الخواطر الردية وما يكون بينه وبين

الله في ذلك الوقت من ان صوال الباطنة العلمية فلو وجد مرضة وفراغا بعد ان اسلم ولم يشتغل بتحصيل
علم المعاملة القلبية كان تاركا للفرض مسئولا عنه يوم القيامة وان لم يتجدد له من تلك الفروض الظاهرة
شئ كالصلاة ونحوها فانهم والله اعلم وهذا ايضا كما اجمل بقوله اما التوحيد اي علمه فليس المراد به
فالحصول اي لحصول كل مسلم وفيه انه لا بد من بقائه ودوامه وحفظه من تخريب نظامه واما
الصلاة اي امتناع ارادة الصلاة فالجواز ان يتاخلها متخص اي بصيرا ما وجوبها رجل او امراة وقت
الضحى بالبلوغ وان يسلم وقت قبل الظهر يعني فمن تجب على كل مسلم بدفع ان هذا امر نادر علم انه
مشروط بشرائطه اي امتناع ارادة الصلاة فالحكم بعد تحققها واما غيرهما من التوحيد والصلاة
ونحوهما علم الفقه المسمى علم المعاملة فالظاهر اي في امتناع ارادته والجواب ما تقدم والله اعلم وبسط
الكلام في مرام هذا المقام ان العلماء اختلفوا في العلم الذي هو فرض على كل مسلم فتحزبوا فيه اكثر من عشرين
فرقة وتعصبوا ونزل كل فريق وجوبه على العلم الذي هو بصدده فقال المتكلمون هو علم الكلام اذ به يدرك
التوحيد وبه يعلم ذات الله وصفاته وقال المفسرون والمحدثون هو علم الكتاب والسنة اذ بهما يتوصل
الى العلوم كلها وقال الفقهاء هو علم الفقه اذ به تعرف العبادات من الحلال والحرام من المعاملات وقال
المتصوفة المراد به علم الاخلاق وما يتعلق به من علم المعاملة والمكاشفة والتحقيق ان كان العلوم كلها من
فروض الكفاية واما فرض العين على كل احد فبعضها مما يجب فيه الرعاية وعلم الحق اي والمراد علم يتبع
في الحق مطلقا اي مع قطع النظر عن المعاملة والمكاشفة فيما ورد اي في كلامه المجيد قل هل يستوي
الذين يعلمون والذين لا يعلمون لكن يفضل علماء الزمان على الصحابة وفيه ان الظاهر في معنى الاية
عدم استواء العلماء والجهال واما مراتب العلماء من الصحابة والتابعين والفقهاء والمشايخ والاولياء
مختلفة بحسب منازل موصلة في ادلة الكلام اي علم المنطق والكلام والتعمق في فتاوى يندر وقوعها الحوادث
اي بدعة الا ان الاولى مذمومة والثانية في الجملة محمودة وما ورد اي جاء في القران فلولا نفر من كل فرقة
طائفة منهم ليتفقهوا في الدين ان تختص الانذار والحذر في قوله سبحانه ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم
لعلهم يحذرون به اي يختص بعلم الحق فالمحدث مما سبق ذكره يقسي القلب اي لعدم مدخليته في الانذار
والحذر وانما ينور القلب بذكر الرب وما يتعلق به من الترغيب والترهيب ففي العوارف لما صار الانذار
مستفادا من الفقه دل ان الانذار المنذر بالعلم والاحياء بالعلم رتبة الفقيه في الدين صار الفقه فيه
اكمل رتب المجتهدين وهو علم الزاهد في الدنيا الراغب في العقبى الطالب للمولى وهو الاعلى رابحة
مما يؤيده ما قدمنا انه وصف الشارع الفقيه بانه لم يقنط الناس اي يعضهم بالمعاصي في ذات الله اي ان حل
رضاه ولم يقنطهم من رحمته لقوله تعالى لا تقنطوا من رحمة الله وقوله ولا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون
ولم يؤمنهم من مكر الله لقوله سبحانه افامنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون بل يجعل نفسه
بين الخوف والرجاء ولو طلع لمقامات الاولياء لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك
لمن يشاء ان لا يخلو من العصيان ولو بالنسيان ولم يرغب عن القران اي وما هو مقتبس منه الى غيره

غيره اي الى غير القران من العلوم التي فيه وبركة اي للقران وجوها كثيرة اي من ظاهر وباطن وحد
ومطلع وتاويلات وعبارات ورموز واشارات ولطائف وحقائق وعنه عليه السلام انه قال الا انبئكم
بالفقيه كل الفقيه قالوا بلى قال من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يؤمنهم من مكر الله ولم يؤيسهم من روح
الله ولم يدع القران رغبة عنه الى ما سواه ابو بكر بن السني في مكارم الاخلاق وابو بكر بن السني وابن عبد
البر من حديث علي وقال ابن عبد البر اكثرهم يوقفونه على علي ومن حديث اخر لا يفقه العبد حتى يمقت الناس
في ذات الله وحتى يرى للقران وجوها كثيرة ابن عبد البر من حديث شداد بن اوس وقال لا يصح مرفوعا
وانما يصح من قول ابي الدرداء مع قوله ثم يقبل على نفسه فيكون لها اشد مقتا قلت فيه ايماء الى قليل وجود
وبه الاتعاس به ذنب فظهر ان المراد بالفقه ما يحصل به الانذار والحذر وهو علم الحق فقد سال فرقد السبخي
الحسن البصري عن شيء فاجابه فقال ان الفقهاء يخالفونه فقال الحسن ثكلتك امك فرقد وهل رايت فقيها بعينك
انما الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في الاخرة البصير بدينه المداوم على عبادة الله الورع الكاف عن اعراض
المسلمين العفيف عن اموالهم الناصح لجماعتهم ثم اعلم انه ورد في فضيلة التعلم والتعليم ايات واخبار
كثيرة واثار شهيرة منها قوله تعالى فاسالوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وقوله عليه السلام من سلك
طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا الى الجنة رواه مسلم من حديث ابي هريرة وقوله ان الملائكة لتضع
اجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع احمد وابن حبان والحاكم وصححه من حديث صفوان بن عسال وقوله
لان تغدو فتتعلم بابا من العلم خير من ان تصلي مائة ركعة ابن عبد البر من حديث ابي ذر والجزء عند ابن ماجه
بلفظ اخر وقوله باب من العلم يتعلمه الرجل خير له من الدنيا ابن حبان في روضة العقلاء وابن عبد البر موقوفا
على الحسن البصري وجاء مرفوعا بلفظ اخر خير له من مائة ركعة رواه الطبراني في الاوسط من حديث ابي ذر وقوله
اطلبوا العلم ولو بالصين ابن عدي والبيهقي في المدخل والشعب من حديث انس وقال متنه مشهور واسانيده
ضعيفة وقوله العلم خزائن الله مفاتيحها السؤال فاسالوا فانه يؤجر فيه اربعة السائل والعالم والمستمع لهم
والمحب لهم رواه ابو نعيم من حديث علي مرفوعا باسناد ضعيف وقوله لا ينبغي للجاهل ان يسكت على جهله
ولا للعالم ان يسكت عن علمه الطبراني في الاوسط وابن مردويه في التفسير وابن السني وابو نعيم في
رياضة المتعلمين من حديث جابر بسند ضعيف وقوله من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيي به الاسلام فبينه
وبين الانبياء في الجنة درجة واحدة الدارمي وابن السني في رياضة المتعلمين من حديث الحسن اي ابن
علي او البصري فالحديث مرسل واما قول الغزالي وفي حديث ابي ذر حضور مجلس علم افضل من صلاة الف ركعة
وعيادة الف مريض وشهود الف جنازة فقيل يا رسول الله ومن قراءة القران فقال وهل ينفع القران من
غير علم فقد ذكره ابن الجوزي في الموضوعات من حديث عمر وقال الحافظ العراقي ولم اجده من طريق ابي
ذر قلت قد ذكره الحافظ السيوطي في الجامع الكبير في مسند ابي ذر يا ابا ذر لان تغدو فتتعلم اية من كتاب
الله خير لك من مائة ركعة وان تغدو فتتعلم بابا من العلم عمل به او لم يعمل به خير من ان تصلي الف ركعة تطوعا
رواه ابن ماجه والحاكم في تاريخه عنه واما ما ورد في فضيلة التعليم فمنه قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق الذين

او نزل الكتاب ليبينه للناس ولا يكتمونه وهذا ايجاب للتعليم وقوله وان فريقا منهم ليكتمون
الحق وهم يعلمون وهذا دليل على ذم كتمان الحق والتحريم وقوله ومن احسن قولا ممن دعا الى الله
وعمل صالحا وقوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وقوله ويعلمهم الكتاب والحكمة ومنه
قوله عليه السلام ما اتى الله عالما علما الا اخذ عليه الميثاق ما اخذ من النبيين ان يبينه للناس
ولا يكتمه رواه ابو نعيم من حديث ابن مسعود وقوله لما بعث معاذا الى اليمن لان يهدي الله بك رجلا واحدا
خير لك من حمر النعم اخرجاه من حديث معاذ وفي الصحيحين من حديث سهل بن سعد انه قال ذلك لعلي رضي الله
عنه وقوله من تعلم بابا من العلم ليعلم الناس اعطي ثواب سبعين صديقا الديلمي من حديث ابن مسعود
وقوله اذا كان يوم القيامة يقول الله تعالى للعابدين والمجاهدين ادخلوا الجنة فيقول العلماء بفضل
علمنا تعبدوا وجاهدوا فيقول الله انتم عندي كبعض ملائكتي اشفعوا تشفعوا فيشفعون ثم
يدخلون الجنة ابو العباس المرهبي من حديث ابن عباس وقوله ان الله لا ينزع العلم انتزاعا من
الناس بعد ان يؤتيهم اياه ولكن يذهب بذهاب العلماء وكلما ذهب عالم ذهب بعلمه حتى اذا
لم يبق عالم اتخذ الناس رؤسا جهالا ان سئلوا افتوا بغير علم فيضلون ويضلون متفق عليه من
حديث عبد الله بن عمرو وقوله من علم علما وكتمه الجمه الله يوم القيامة بلجام من نار ابو داود والترمذي هذا
وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه من حديث ابي هريرة وقوله نعم العطية ونعم الهدية كلمة حكمة
تسمعها فتطوي عليها ثم تحملها الى اخ لك مسلم تعلمه اياها تعدل عبادة سنة الطبراني من حديث
ابن عباس نحوه وقوله ان الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه او معلما او متعلما الترمذي
وابن ماجه من حديث ابي هريرة وقوله ان الله وملائكته واهل السموات واهل الارض حتى النملة في
جحرها وحتى الحوت في البحر ليصلون على معلم الناس الخير الترمذي من حديث ابي امامة وقوله ما افاد
المسلم اخاه فائدة افضل من حديث حسن بلغه ابن عبد البر من رواية محمد بن المنكدر مرسلا نحوه
ولابي نعيم من حديث عبد الله بن عمر بلفظ ما اهدى مسلم لاخيه هدية افضل من كلمة تزيده هدى
او ترده عن ردى ورواه البيهقي في الشعب ايضا وقوله كلمة من الحكمة يسمعها المؤمن فيعمل بها ويعلمها
خير له من عبادة سنة ابن المبارك في الزهد والرقائق من رواية زيد بن اسلم مرسلا نحوه وقوله
على خلفائي رحمة الله قيل ومن خلفاؤك قال الذين يحيون سنتي ويعلمونها عباد الله ابن عبد البر من حديث
الحسن قيل هو ابن علي وقيل ابن ابي الحسن البصري فيكون مرسلا ولابن السني ولابي نعيم في رياضة
المتعلمين من حديث علي نحوه وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فرأى مجلسين احدهما
يدعون الله ويرغبون اليه والثاني يعلمون الناس فقال اما هؤلاء فيسألون الله ان شاء اعطاهم
وان شاء منعهم واما هؤلاء فيعلمون الناس وانما بعثت معلما ثم عدل اليهم وجلس معهم ابن ماجه من حديث
عبد الله بن عمرو ثم حقه اي حق علم المعاملة وهو اثنان وعشرون منها العمل والمعنى لا بد للعالم من العمل
بالعلم فان العلم بمنزلة الشجرة والعمل في مرتبة الثمرة فالشرف للشجرة لكونها الاصل ولكن لا انتفاع بالثمره

بالثمرة التي هي الفرع فكذا صفة العلم والعمل في قواعد الشرع والكمال هو الجمع بين العلم والعمل والتعليم
لقول عيسى عليه السلام من علم وعمل وعلم يدعى في الملكوت عظيما وقول نبينا عليه الصلوة والسلام
خيركم من تعلم القران وعلمه والحاصل ان العالم العامل في منزلة النبيين واذا انضم اليه التعليم فهو
في مرتبة المرسلين فورد في ذم ترك العمل كبر مقتا عند الله الاية والمقت اشد الغضب تمامها ان
تقولوا ما لا تفعلون وقوله اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا
تعقلون والمنشد لا تنه عن خلق وتاتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم ثم اعلم انه كثر في الكتب
ذكر الاية والحديث والبيت قبل تمامها وقد يكون الباعث على ذلك اختصارا لمن ذكر وقد يكون الاستدلال
على المطلوب يتوقف على اواخرها وهو محفوظ ومعروف عند اهلها فيذكر صدرها ويشار الى اخرها
بقوله الاية ونحوها اما بالنصب على اضمار اقرأ وهو الوجه الظاهر ويجوز الرفع بتقدير مبتدا او خبر كالمقرو
والمروي والجر على تقدير الى اخر الاية وامثالها اشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه
اي لم يوفقه للعمل به ومن جملة عمله نفع غيره ان احتاج الى علمه والحديث رواه الطبراني في الصغير وابن
عدي في الكامل والبيهقي في شعب الايمان من حديث ابي هريرة وورد ويل للجاهل مرة وويل للعالم
سبع مرات والاحتراز اي وحق علم المعاملة اجتناب صاحبه عن الفتوى اذا لم يتعين له لعدم قيامهم
اي الصحابة بها الا بضعة عشر بكسر الموحدة ما بين الثلث الى التسع وكان النبي عليه السلام عن
مائة الف واربعة وعشرين الفا من الصحابة الكرام فهم يسير من كثير من اهل الفتوى وورد لا يفتي الا امير او
مامور او متكلف الطبراني عن عبادة بن الصامت عن عوف بن مالك ايضا فالامير هو الامام وقد كانوا
هم المفتون والمامور نائبه والمتكلف غيرهما وهو الذي يتكلف تلك العهدة من غير حاجة فلا يخلو عن الخطر
فينبغي له الحذر كل الحذر وعن حذيفة انما يفتي ثلثة من عرف الناسخ والمنسوخ او رجل ولي سلطانا فلا يجد
بدا من ذلك او متكلف ابن عساكر والحجة وقد كان الصحابة يحترزون عن الفتوى حتى يحيل كل واحد منهم على
صاحبه وكانوا يحترزون اذا سئلوا عن علم القران وطريق الاحتراز وفي بعض الروايات بدل المتكلف
المرائي فان من تقلد خطر الفتوى وهو غير متعين عليه لحاجة اليه فلم يقصد به الا طلب الجاه والمال وعن ابي
حصين ان احدهم ليفتي في المسئلة ولو وردت على عمر بن الخطاب لجمع لها اهل بدر ابن عساكر وعن ابن
سيرين ان عمر قال لابي موسى الم ابلغ انك تفتي الناس ولست بامير قال بلى قال فول حارها من تولى
قارها عبد الرزاق والدينوري في المجالسة وابن عبد البر في العلم وابن عساكر وعن عبد الله بن بشر ان علي
بن ابي طالب سئل عن مسئلة فقال لا علم لي بها فقال وا بردها على الكبد سئلت عما لا اعلم فقلت لا اعلم
رواه سعيد بن منصور وسئل مالك عن اربعين مسئلة فقال في ست وثلاثين لا ادري ومن يرد بحر وجه الله
بعلمه فلا يسمح بنفسه بان يقرعها بنفسه بان لا يدري وعن ابي يوسف سمعت ابا حنيفة يقول لولا الخوف من
الله تعالى ما افتيت احدا يكون له المهنأ والوزر علي وما احسن عن نهي الفتوى قوله عليه السلام اجرؤكم على الفتيا
اجرؤكم على النار رواه الدارمي عن ابي عبيد الله بن جعفر مرسلا والاستنجاد اي وحق علم المعاملة بعد

فتوى المفتين اطلب البصيرة بعين الاعتبار واخذ القول بدليله الخاص من غير استبداد بالنظر بين
الاضداد فورد استفت قلبك وان افتاك المفتون احمد من حديث وابصة وبوين من حديث ودع ما يريبك الى
ما لا يريبك الترمذي وصححه والنسائي وابن حبان من حديث الحسن بن علي وحديث لا يكون الرجل من
المتقين حتى يدع ما لا بأس به مخافة ما به بأس الترمذي وحسنه وابن ماجه والحاكم وصحح اسناده من حديث
عطية السعدي وحديث الاثم حواز القلوب البيهقي في شعب الايمان من حديث ابن مسعود وهو بتشديد
الزاي جمع حازة وهي الامور التي تحز فيها اي يؤثر كما يؤثر الحز والحك في الشيء وهو ما يخطر فيها من
المعاصي لتقل الطمأنينة اليها ويروى بتشديد الواو اي يحوزها ويملكها ويغلب عليها ويروى حزاز
بزايين الاولى مشددة فعال من الحز فيعتمد في العلوم على بصيرته وادراكه بصفا قلبه لا على صحفه وكتبه
ولا على تقليد ما يسمعه من غيره كما اشار اليه بقوله ولا عطف على فقد ورد ان من معنى التعليل والمعنى
ان الذي يتقبل قول الغير ولو كان مجتهدا انما وعى العلم اي ظرفه بمنزلة الرواية فليس له حظ في الدراية
وانما نصيبه الرواية ومن هنا قال ابو حنيفة وغيره لا يحل لاحد ان يقول بقولنا ما لم يعلم من اين قلنا
والشفقة في التعليم اي من حق علم العالم عليه المعلم بالنسبة الى المتعلم فورد انا لكم مثل الوالد لولده
ابو داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان من حديث ابي هريرة وقال تعالى النبي اولى بالمؤمنين من
انفسهم وازواجه امهاتهم وفي قراءة شاذة وهو اب لهم بل هو افضل واكرم من الوالدين فان قصده
انقاذهم من نار الاخرة وهو اهم من انقاذ الوالدين ولدهما من نار الدنيا ولذلك صار حق المعلم اعظم من
حق الوالدين فان الوالد سبب الوجود الحاضر والحياة الفانية ولولا المعلم لساق ما حصل من جهة الاب
الى الهلاك الدائم وانما المعلم هو المفيد للحياة الاخروية الدائمة اعني معلم علم الاخرة او علم الدنيا على قصد
الاخرة لا على قصد الدنيا واما التعليم على قصد الدنيا فهو هلاك واهلاك نعوذ بالله ثم انه كما ان حق
ابناء الرجل ان يتحابوا ويتعاونوا على المقاصد كلها فكذا حق تلامذة الرجل الواحد التحابب والتوادد
ولا يكونوا الا كذلك ان كان مقصدهم الاخرة ولا يكون الا التحاسد والتباغض ان كان مقصودهم
الدنيا فان العلماء ابناء الاخرة مسافرون الى الله سبحانه وتعالى وسالكون اليه والطريق هو الدنيا وسنوها وشهورها
منازل الطريق والتوافق في الطريق بين المسافرين الى الامصار سبب التوادد والتحابب فكيف السفر الى
الفردوس الاعلى والترافق في طريقه اذ لا ضيق في سعادات الاخرة فلذلك لا يكون بين ابناء
الاخرة تنازع ولا سعة في سعادات الدنيا فلذلك لا تنفك عن ضيق التزاحم والعادلون الى طلب الرياسة
بالعلوم خارجون عن موجب قوله تعالى انما المؤمنون اخوة وداخلون في مقتضى قوله سبحانه الاخلاء
يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين ومعزولون عن منصب قوله عليه السلام لا يؤمن احدكم حتى يحب
لاخيه ما يحب لنفسه فلا تضن بفتح الضاد وكسرها نفيا او نهيا اي فلا يبخل على احد علما ان العلم
لا يحل منعه فورد من كتم علما الجمه الله بلجام من نار ابن ماجه وغيره من حديث ابي هريرة الا انك مستثنى من قوله فلا
تضن اي فلا يبخل بالعلم الا عن غير اهله وهو الذي يريد ان يتوصل الى الجاه والمال ونحوه فورد لا تطرحوا

الدر في افواه الكلاب رواه ابن النجار عن انس ولفظه لا تطرحوا الدر في افواه الخنازير
وقال عيسى عليه السلام لا تعلقوا الجواهر في اعناق الخنازير فان الحكمة خير من الجواهر ومن كرهها
فهو شر من الخنازير وقال ايضا لا تضعوا الحكمة عند غير اهلها فتظلموها ولا تمنعوها اهلها فتظلموهم وكونوا
كالطبيب الرفيق يضع الدواء في موضع الداء وفي لفظ اخر من وضع الحكمة في غير اهلها فقد جهل ومن منعها
اهلها فقد ظلمهم ان للحكمة حقا وان لها اهلا فاعط كل ذي حق حقه وسئل بعض العلماء عن شيء فلم يجب فقال
السائل اما سمعت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كتم علما نافعا جاء يوم القيامة ملجما بلجام
من نار فقال اترك اللجام واذهب فان جاء من يفقه فكتمته فليلجمني وقوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء اموالكم
فيه تنبيه على ان حفظ العلم ممن يفسده ويضره اولى وليس الظلم في اعطاء غير المستحق باقل من الظلم
في منع المستحق شعر فمن منح الجهال علما اضاعه ومن منع المستوجبين فقد ظلم والتعريض كالتصريح
في المنع ابقاء للهيبة وهو المامور اي في المنع كما ورد في الحديث المأثور والمعنى ان من حقوق المعلم ان يزجر المتعلم
بالتعريض اذا وقع منه تقصير وقلة ادب في القول او الفعل لا بتصريح ولا يصرح ما امكن وبطريق الرحمة
بح لا بطريق التوبيخ فان التصريح يهتك حجاب الهيبة ويورث الجراءة على الهجوم بالمخالفة كما روى ابن جرير
مرسلا انه عليه السلام بينا هو يخطب يوم الجمعة اذ رأى رجلا يتخطى رقاب الناس حتى تقدم فجلس فلما
قضى عليه السلام عارض الرجل حتى لقيه فقال يا فلان ما منعك ان تجمع اليوم معنا قال يا نبي الله اني قد
جمعت معكم فقال عليه السلام اولم ارك تتخطى رقاب الناس فعرض عليه السلام بالمنع عن التخطي
بانه يحبط اجر عمله ولم يصرح لمصلحة فيه منها امالة النفوس الذكية والاذهان النبيهة الى استنباط المعاني الخفية
فيستفيد فرح التفطن ورغبة في العمل بخلاف التصريح فانه ربما يوقع في الاصرار على القبيح فقد ورد لو منع
الناس عن فت البعر لفتوه وقالوا ما نهينا عنه الا وفيه شيء يطلب وقد قيل الانسان حريص على ما منع
كما يشير اليه قوله تعالى حكاية ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين
ولا تنتصر على قدر الفهم فورد امرنا ان نكلم الناس على قدر عقولهم ابو داود من حديث عائشة بلفظ انزلوا
الناس منازلهم وفي رواية عن ابن عمر نحن معاشر الانبياء امرنا ان ننزل الناس منازلهم ونكلمهم وحديث
كلموا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون البخاري موقوفا على علي ورفعه ابو منصور الديلمي في مسند
الفردوس من طريق ابي نعيم وحديث ما حدث احدكم قوما بحديث لا يفهمونه الا كان فتنة عليهم العقيلي
في الضعفاء وابن السني وابو نعيم في الرياضة من حديث ابن عباس باسناد ضعيف ولمسلم في مقدمة صحيحه
موقوفا على ابن مسعود ونحوه وفي رواية ما انت بمحدث قوما بحديث لا تبلغه عقولهم الا كان فتنة على
بعضهم وفي رواية ابي نعيم عن ابن عباس لا تحدثوا امتي من احاديثي الا بما تحمله عقولهم وعن علي قال
حدثوا الناس بما يعرفون اتريدون ان يكذب الله ورسوله البخاري وفي رواية عنه ايها الناس اتحبون
ان يكذب الله ورسوله حدثوا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون الخطيب وفي رواية عنه والثالث لا تصدع
ان كلمتها نعلو حاجة لو وجدت لها حملة وقد صدق فقلوب الابرار قبور الاسرار وقطع الطمع اي عن الخلق

خصوصا من التلميذ وهو سكون النفس الى منفعة مشكوكة فهو داء في ايات كثيرة قد ترك السلكم عليه اجرا
تمامه ان اجري الا على رب العالمين ولان فساد الدين الطمع كما ان صلاح الدين الورع على ما روي
عن الحسن ونية العمل بنفسه والتعليم لغيره اي التعلم اي لا لقصد الجاه والمال والاغراض الفاسدة الا عواض
الكاسدة وهذا من حقوق تجب على المتعلم فورد منه تعلم للمباهاة اي المفاخرة او المماراة اي المجادلة او لصرف
وجوه الناس اي اليه تعظيما وتكريما فهو في النار ابن ماجه من حديث جابر باسناد صحيح ولفظه لا تتعلموا
العلم لتباهوا به العلماء ولتماروا به السفهاء ولتصرفوا به وجوه الناس اليكم فمن فعل ذلك فهو في النار وفي
رواية لابن ماجه عن ابي هريرة بلفظ من تعلم العلم ليباهي به العلماء او يماري به السفهاء او يصرف وجوه
الناس اليه ادخله الله جهنم وفي رواية لابي داود عنه من تعلم صرف الكلام ليسبي به قلوب الناس لم يقبل
الله منه صرفا ولا عدلا وفي رواية الترمذي عن كعب بن مالك بلفظ من تعلم العلم ليجاري به العلماء او يماري
ع به السفهاء او يصرف به وجوه الناس اليه ادخله الله النار وقد كثر طرقه بحيث كاد ان يكون متواترا والانقطاع
اي عن مباشرة الامور التي فيها نوع من النزاع لشغل العلائق عن العوائق بتعلق الخلائق عن خدمة
الخالق ويشير اليه قوله تع وتبتل اليه تبتيلا اي انقطع اليه واعتمد عليه واقصد الحضور لديه ولقوله تع
ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وقال بعضهم العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك فاذا اعطيته كلك
كان من اعطائه اياك بعضه على خطر والتملق وهو الافراط في التواضع والتذلل فهو مذموم الا في
التملق الا في طلب العلم رواه الخطيب والتسليم اي تسليم المتعلم للمعلم لان العالم الرباني مربي المتعلم بصغار
العلم قبل كباره ولقوله لهك كمريض لا يسلم اي امره للطبيب اي فيما يحميه وفيما يعينه والحضور
لئلا تتقاطع اي ومن حقوق العلم حضور القلب مع الرب ليحصل به الانتفاع في مقام الكسب فهو داء اي في قوله
تعالى ان في ذلك اي فيما سبق في اول سورة ق او في القران لذكرى اي تذكرة منفعة او موعظة لمن كان له قلب
اي حاضر وتمام الاية او القى السمع وهو شهيد اي بجميع حواسه وترك الاستنكاف اي الانفة عن الطلب
ن او المطلوب فان العلم لا يؤتى ولا يأتي لانه تكبر اي بغير حق وقد قال تعالى ساصرف عن اياتي الذين يتكبرون
في الارض بغير الحق وان يروا كل اية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا
سبيل الغي يتخذوه سبيلا والقياس اي ومن حق العلم ترك قياس المبتدي على المنتهي في كثرة الطاعات
ل وقلة اجتناب الشبهة لاستبداله اي لان حضور المنتهي الحضور اي مع الله بالنوافل اذ النهاية تردد الاعمال
ت الى الباطن وتسكين الجوارح الا عن رواتب الفرائض فيترائى الناظر انه كسل وبطالة او اهمال وغفلة وهيهات
فذلكم ربط القلب في عين الشهود والحضور مع الرب والحالة البحراي والتغيير التي نسبة ما دون الكوز
شبه المنتهي بالبحر والمبتدي بالكوز فلن تقاس الملوك بالحدادين ومن هنا قال بعض المشايخ من رأى في البداية
صار صديقا ومن راى في النهاية صار زنديقا وتقديم الاهم اي من العلوم تعلما وتعليما فيبدأ الفرض العين اي
المتعين على كل احد وهو علم ما يجب منه اعتقادا اي اجمالا او تفصيلا تقليدا او تحقيقا كما بينته في شرح الفقه
الاكبر تدقيقا وعملا اي بحيث يعمل كل من صلاة وصوم ونحوهما وتركا اي من قتل نفس وشرب خمر وامثالها ومحلها

ومحلها كتب الفقه ظاهرا وهو ظاهر وباطنا كترك الارادة المعصية ثم علم الطريق اي معرفة تفاصيل احوالها
ومواقعها والاهوال وعلم الا ينفع الا في الطريق واهلها والمراد به علم التصوف وتحسين الاخلاق
الباطنية وتزيين الاحوال السرية فهو المقرب اليه تعالى اي ظاهرا وباطنا لمن في غيره اذ قد يبعد عنه تعالى
لما يشتمل عليه من انواع التقصير واصناف التكدير من الرياء والسمعة والعجب والغرور في التقرير والتحرير ومن هنا
قال الامام مالك من تفقه ولم يتصوف فقد تفسق ومن تصوف ولم يتفقه فقد تزندق ومن جمع بينهما فقد تحقق
وقال بعض العارفين من لم يكن له نصيب من هذا العلم اخاف عليه سوء الخاتمة وادنى النصيب التصديق به
والتسليم لاهله وقال اخر من كان فيه خصلتان لم يفتح له شيء من هذا العلم بدعة او كبر وقيل من كان
محبا للدنيا او مصرا على هوى لم يتحقق به وقد يتحقق بسائر العلوم فاقل عقوبته منه ان لا يرزق منه
شيئا وانشدوا ارض لمن غاب عنك غيبته فذاك ذنب عقابه فيه وهذا مجمل ما يجب عليك من الاعتقاد
على وجه الاقتصاد في مقام الاسناد ان تعلم ان الله تعالى عالما قادرا حيا مريدا متكلما سميعا بصيرا
واحدا احدا فردا صمدا لا شريك له ابدا ولا ضد له ولا ند ولا شبيه ليس كمثله شيء لم يلد ولم يولد ولم يكن
حب له كفوا احد متصفا بصفات الكمال جامعا بين نعوت الجلال والجمال فهو ذو الجلال والاكرام وصاحب
الانعام والافضال منزها عن الحدوث منفردا بالقدم مخالفا لكل شيء من حيز العدم كلامه قديم
ودين وارادته وعلمه مقدسان عن كل نقص وانه لا يوصف بصفات المحدثين ولا يجوز عليه ما يجوز على المحدث
ولا تتضمنه الامكنة والجهات تعالى لا تمر عليه الازمنة والساعات ولا تحله الحوادث والعاهات وان
محمدا عبده ورسوله وحبيبه وخليله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وهو الصادق
المصدق فيما جاء به عن الله سبحانه وفيما ورد على لسانه من امر الاخرة وغرايب شانه ويجب عليه اعتقاد
ما كان عليه السلف من ان الله يرى في الاخرة لانه موجود لكنه غير محدود وان القران كلام الله ليس بمخلوق
ليس بحروف مقطعة ولا اصوات مختلفة فهو حال وحادث فينا محفوظ في قلوبنا مقروء بالسنتنا مكتوب
بايدينا ملحوظ باعيننا ويعتقد ايضا انه لا يقع في الملك والملكوت فلتة خاطر ولا لفتة ناظر الا بقضاء
الله وقدره وفق ارادته ومشيته فيه الخير والشر والنفع والضر والايمان والكفر وانه لا واجب على الله تعالى
لاحد من خلقه وان حقه واجب على عبيده وهو العبادة ثم من اثابه فهو بفضله ومن عاقبه فهو بعدله
ولا يسال عما يفعل وهم يسالون ويعتقد جميع ما ثبت بالشرع من امور الاخرة كالجنة والنار والحشر
والنشر وعذاب القبر وسؤال منكر ونكير والصراط والميزان فهذه اصول الايمان ودرج السلف
الصالح من الصحابة والتابعين رضي الله تعالى عنهم اجمعين على اعتقادهم والتمسك بها ووقع الاجماع عليها
قبل ظهور البدع وبدو الاهواء وقال الحجة علم الطريق ينقسم الى المعاملة والمكاشفة وغاية المعاملة المكاشفة
وغاية المكاشفة معرفة الله تعالى ولست اعني بالمعرفة الاعتقاد الذي تلقفه العامي وراثة بل ذلك
نوع يقين منه دراية هو ثمرة نور يقذفه الله في قلب عبد طهر بالمجاهدة باطنه عن الخبائث حتى ينتهي
ت الى مرتبة ايمان ابي بكر الصديق رضي الله ولي التوفيق ومن الاهم الاهم معرفة الواجبات ليكتسبها والسيات

ليجتنبها او كيف يقوم بها حاث ان يعرف ما هي او كيف يفعلها مع وجود المهلكات اي كيف يجتنب المعاصي
من يجز ان يعرف الخفية المهلكات فيجب عليك ان تحكم احكام الشرايع من الصلاة والفرائض وربما انت مقيم
على كفر وبدعة او على غفلة مما يفسد عليك طهارتك او صلاتك ويخرجهما عن كونهما على وفق السنة ثم مدار هذا
الشان ايضا على العبادات الباطنة التي هي من فروض الاعيان من التوكل والتفويض والتسليم والرضا
بالقضاء والتوبة والانابة والصبر والشكر والاخلاص في النية ونحوها مما يجي ذكرها وتجب الاتصاف بها
وكذا المعاصي الباقية من السخط والغضب والحقد والحسد والبخل وطول الامل وخوف الفقر والريا والكبر
مما سياتي بيانها وتجب اجتنابها حتى تخلو النفس عما شانها وتكون متحلية بما زانها فان هذه
المذكورات كلها فرائض نص الله تعالى على الامر بها والنهي عن اضدادها في كتابه الكريم وعلى لسان رسوله
العظيم وقد قال الله تعالى وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مومنين واشكروا الله ان كنتم اياه تعبدون واصبروا
ان الله مع الصابرين وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ونحو ذلك من الايات كما نص على الامر
بالصوم والصلاة فما بالك اقبلت على العبادات الظاهرة وتركت الطاعات الباطنة والامر بهما ورد
واحد في كتاب واحد على لسان رسول واحد بل غفلت عنها وان عرفت شيئا منها وعلى الجملة فكلما لا يومن
من الهلاك مع جهله فطلب علمه فرض لا يسوغ له تركه فاذا فرغ اي عن القيام بفرض العين علما
وعملا اي فعلا وتركا ساغ ان يشرع في فروض الكفاية كالتفسير اي وما يتعلق به من علم القراءة
واسباب النزول ومعرفة الناسخ والمنسوخ والعام والخاص والظاهر وكيفية استعمال البعض وهو الذي
يسمى اصول الفقه ويتناول السنة ايضا وما يتوقف عليه من علم اللغة والصرف والنحو والاخبار اي الاحاديث
والاثار المسندة وغيرها ومعرفة رجالها وساير احوالها والفتاوى اي في فروع الفقه واصولها غير متجاوز
الى النوادر اي لما نقل عن السلف الا كالم فيكفيك من التفسير وجيز الواحدي او الجلالين ووسط المدارك
او المعالم ونهايته الدر المنثور في التفسير المأثور ومن الحديث يكفيك ما في الصحيحين والوسط منه نحو المشكاة
والنهاية تيسير الوصول الى جامع الاصول والجامع الكبير للحافظ السيوطي والا الاستغراق في علم احد طلب
للاستقصاء فممنوع لان العلم كثير والعمر قصير ولا يستغرق اي بالكلية في فروض الكفاية وكلما لا تمس اليه الحاجة كل علم
لا يستغنى عنه في قوام امور الدنيا كالطب اذ هو ضروري في حاجة بقاء الابدان وكالحساب فانه ضروري
في المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث وغيرهما وقالوا ولا يتعجب من قولنا ان الطب والحساب من فروض
الكفاية فان اصول الصناعات كذلك كالفلاحة والحياكة والسياسة بل الحجامة ولو اخلى الصنايع فانه
لو خلى بلد من الحجامين لتسارع الهلاك اليهم وحرجوا بتعريضهم انفسهم للهلاك فان الذي انزل الداء
انزل الدواء وارشد الى استعماله واعد الاسباب لتعاطيه فلا يجوز التعرض للهلاك باهماله قلت
واغرب منه هذا ان صفة السر ابادية ايضا من فروض الكفاية مشتغلا عن المقصود الذي هو الحضور بين يدي
المعبود والاستغراق في لجة بحر الشهود وقد قال الطحاوي حدثنا ابن ابي عمران قال انا محمد بن مروان
الخفاف قال سمعت اسمعيل بن حماد بن ابي حنيفة يقول قال محمد بن حسن كنت اتي عند داود الطائي فاسئله

ما سئله عن مسئلة فان وقع في قلبه انه مما احتاج اليه ان يرد بي اجابني فيها وان وقع في قلبه انه مما
فعل في ذلك تبسم في وجهي وقال ان لك شغلا ولا تنقاد اي من حقوق علم المعاملة الا حتقار على
الوقائع اي من القضايا والغريب منه اي من الوقايع في البلاد في الناظر اي بطريق التشاور لتقويها
اي عن الجمهور فان الحق به ما تناظروا ان تشاوروا الا في مسئلة واقعة او قريبة الوقوع غالبا اجتنابا
الخلوة اي للمناظرة لقربها الى جمع الهمة وصفاء الفكر والبعد عن الريا والعجب لان في حضور الجمع ما يحرك
دواعي الريا ويوجب الحرص على نصرة كل واحد نفسه محقا كان او مبطلا وسبيل التشاور راي واختيار لقوله
عز وجل وامرهم شورى بينهم وللحديث كما حسب من الاستشارة التعاون لقوله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى
فهو لا ما كان على سبيل المراء والخصومة والريا فيجوز الانتقال اي فيجوز انتقال خصمه من معارضته ونشاورته
عن دليل واشكال اي الى دليل اخر واشكال اظهر بان اعتقد اولا انه دليل واشكال قبل الشروع في التعاون
فعلم بعد ما انه غير دليل واشكال فينتقل ولا يدعي علم المجهول كما اذا قال احد المناظرين هذا ما ظهر لي فان ظهر
لك ما هو اوضح فاذكر فيصير المعترض ويقول فيه معان سوى ما ذكرته وقد عرفته ولا اذكره اذ لا يلزمني ذكره ولا
يعرف هذا المسكين ان قوله هذا كذب ولا يعرف معنى والا يدعيه يعجز الخصم او قوله صدق فقد فسق باخفاء ما عرفه
من امر الشرع وقد سأله اخوه المسلم واظهار قيام ذلك واجب كما لا يخفى فيكون سكوته سكوتا عن علوم شرعية
علم لزوم الذكر وقد وجب عليه فهذا معنى قوله ولا يسكت عن معلوم شرعي اي مدعيا انه عالم بجدوا بعد
سؤال مناظره لزوم الذكر كما هو شان المناظرين اذ قاس المستدل على الاصل بعلة يظنها فيقال لم لا يدل
على ان الحكم في الاصل معلل بهذه العلة فيقول هذا ما ظهر لي فان ظهر لك ما هو اوضح واولى فاذكره اي الخصم
ما يستوي فعل اي المذكورات من عدم اجازة الانتقال والادعاء والسكوت فهو اعلا مدرته اي اصطلاحات
مستدعة مستقبحة جاذبة الى المهلكات من الحسد والتكبر وكتمان الحق واذى المسلم وغير ذلك فيحرم التمسك بها اي
ويجب العمل بخلافها ويشكر اي المناظر للمصيب ويعترف بالخطا نعم محمد بن كعب قال سال رجل عليا عن مسئلة
فقال فيها فقال الرجل ليس هكذا ولكن كذا وكذا قال علي اصبت واخطات وفوق كل ذي علم عليم اخرجه
ابن جرير وابن عبد البر وقد ثبت ان امراة ردت على عمر رضي الله عنه ونبهته على الحق وهو في خطبة على ملا
من الناس فقال اصابت امراة واخطا رجل واستدرك ابن مسعود على ابي موسى الاشعري فقال ابو موسى
لا تسالوني عن شيء وهذا الحبر بين اظهركم وذلك لما سئل ابو موسى عن رجل قاتل في سبيل الله فقتل فقال هو
في الجنة وكان اذ ذاك امير الكوفة فقام ابن مسعود اعده على الامير فلعله لم يفهم فاعادوا عليه واعاد الجواب
فقال ابن مسعود ان قتل فاصاب الحق فهو في الجنة فقال ابو موسى الحق ما قال وهكذا يكون انصاف طالب الحق
ولو ذكر مثل هذا الان لاقل فقيه لانكره واستبعده وقال لا يحتاج الى ان يقال انه اصاب الحق فان ذلك معلوم
لكل احد فانظر الى مناظري زمانك اليوم كيف يسود وجه احدهم اذا اتضح له الحق على لسان خصمه وكيف يخجل به وكيف
يجتهد في مجاحدته باقصى قدرته وكيف يذم من افحمه طول عمره ثم لا يستحي من تشبيهه نفسه بالصحابة في تعاونهم على
النظر في الحق ولا يعتمد به اي براءة الخطا لا ان هذا شان الاجتهاد ولانه اذا اصاب فله اجران واذا اخطا

تلك اجر فلا يخلو عن الخير بالكلية فهو المأثور اي المنقول عن الجمهور قبيل ولا يقدر على هذه الا العالم
الرباني او الولي الصمداني ولانه دليل آخر لعدم الاهتمام اي ولان الناظر اذا كان طالب الحق
فنشد ضالة فلا فرق بين ظهوره منه او من غيره كما يشير اليه قوله عليه السلام الكلمة الحكمة ضالة المؤمن
فحيث وجدها فهو احق بها اخرجه الترمذي عن ابي هريرة مرفوعا ويقدم اليه المناظر قبل البحث الجام النفس
اي اسكات نفسه والزامها بان يحكم عليها بانها امارة بالسوء والشيطان وكذا الجام الشيطان
لشدة معاداته كما قال الله تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا وقال عليه السلام اعدى عدوك
نفسك التي بين جنبيك ومن لا يناظر الشيطان وهو مستول على قلبه وهو اعدى عدو له لا يزال
يدعوه الى الهلاك ثم يشتغل بمناظرة غيره في مسائل المجتهد فيها مصيب او مساهم للمصيب في الاجر
فهو ضحكة للشيطان وعبرة للمخلصين في حزب الرحمن والله المستعان بهذا او قد ورد من ترك المراء
وهو مبطل بنى الله له بيتا في ربض الجنة اي وسطها ومن ترك المراء وهو محق بنى الله له بيتا في اعلى الجنة الترمذي
وحسنه من حديث انس والتمسك عطف على اختيار الخلوة اي والاعتصام في الاصول اي الاعتقادات
بالكتاب اذا كان مقطوع الدلالة والسنة اي المتواترة مبنى او معنى والاجماع اي اجماع الامة
واتفاق الائمة والاعراض عن الاعتراض خاطرا او ناظرا اي ومن حق العلم ان يعرض عما اعترض
في خاطره ادنى قوة بمناظرة اذا كان هذا الاعتراض مخالفا للادلة المشار اليها المذكورة الاعتصام بها
عن الهوى اي هوى النفس والوسوسة اي وسوسة الشيطان دون غيرهما اي تخلف ما عداهما من
المقاييسات العقلية ونحوها وربما يزيد الاعتقاد اي تقويته وتاكيده بالمعاملة والمعنى انه اذا علم واعتقد شيئا
واجبا او سنة او مندوبا فمن حقه ان يؤيد هذا الاعتقاد بالعمل به وكذا اذا اعتقد شيئا حراما او مكروها فمن حقه
ان يؤيد اعتقاده ذلك بالترك فهو اي تاييده له طريق المكاشفة اي الموصل الى علم المكاشفة والمشاهدة
فمن اشتغل بالعلم بالهدى ولازم طريق التقوى ونهى النفس عن الهوى ينفتح له ابواب الهداية وما
يوصله الى النهاية كما يشير اليه قوله سبحانه والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقوله والذين اهتدوا زادهم
هدى وقوله عليه السلام من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وادلة القرآن اي وتاييده بادلة القرآن
خصوصا فانها قطعية لا محالة ويرجع الاجماع والسنة اليها فيها اي بالادلة القرآنية كما نواي السلف
يحتجون اي يستشفون منه فنعمه القرآن وينبغي ان يكون من لم يقنعه فلا بيان اي لو وجد بعد بيانه اي بيان
القرآن وقد قال تعالى هذا بيان للناس وقال هذا بلاغ للناس اي كفاية لهم في امر دينهم ودنياهم
واخراهم وفي الحديث من لم يستغن بالقرآن فليس منا اي من لم يستغن به عن غيره ويدل قوله تعالى او لم يكفهم
انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون وصحبة الصالحين اي وتاييد الاعتقاد
بصحبة الصالحين لانه قد ينكشف لهم بنور الصلاح ما لم ينكشف لغيرهم من العلوم وقد قال تعالى يا ايها الذين
امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين واصغاء الوعظ اي وتاييده باستماع الوعظ الملين اي المؤثر للقلوب
اما من الوعاظ او من كتب الصوفية وترك مجادلة الكلام اي وتاييده بترك مجادلة علم الكلام على طريقة

طريقة المتطفلين والحكمي الخارجين عن دائرة الاسلام فهو صنعة جدل تنتج مكرا اي مجادلة او تحقيقا
ناش الى دفع قول يتعلق باظهار المذاهب وهو يعرف بكراهة اصابة الخصم وارادة خطائه واظهار
فضل النفس وهو موضوع لتعجيز العامي الذي يحضر بصيغة المجهول حرفه اي يحضر الجدل مثل حضرة العامي
خلل اعتقاده بواسطة المناظرة بانه يقع في خاطره ان العلمي لا يتردد ولا في المسئلة كيف يعتقدها
على طريق الجزم وهذا معنى قوله لتشويش الحق ببعث الشبهة وتحريك العقيدة وازالة الجزم فهذا حرز
بالنسبة الى العامي واما حرفه بالنسبة الى العالم فقد بينه بقوله وتوكيده عطف على لتعجيزه اي فهو صنعة
جدل لتاكيده الباطل بتاكيده الاصرار اي بتقويته الاصرار على المجادلة في الايات والاخبار النعت
الجدلي اي لطالب نزلة من يجادل معه ومنعته وحمله الا مخاصم اي ومحل الالزام على قصور الطبع وذلك لان
المماراة تصير عادة فيه طبيعة فلا يسمع كلا مال ويتبعث في طبعه حكمه داعية الاعتراض عليه حتى يغلب
ذلك على قلبه في ادلة القرآن والفاظ الشرع فيحرف البعض ويضرب البعض بالبعض ولذا ذم الجدل في الكتاب
والسنة فقد ورد ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا اوتوا الجدل ثم قرأ ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم
خصمون الترمذي وابن ماجه من حديث ابي امامة قال الترمذي حديث حسن صحيح وقال عز وجل وكان
الانسان اكثر شيء جدلا وفي الحديث في معنى قوله تعالى فاما الذين في قلوبهم زيغ الاية هم اهل الجدل
الذين عنى الله بقوله تعالى فاحذرهم وقال بعض السلف يكون في اخر الزمان قوم يغلق عنهم باب
العمل ويفتح لهم باب الجدل وفي بعض الاخبار انكم في زمان الهمتم فيه العمل وسيأتي قوم يلهمون الجدل
ذكره الحجة وقال العراقي لم اجد له اصلا وفي الخبر المشهور ابغض الخلق الى الله تعالى الالد الخصم متفق عليه
من حديث عائشة وتعلمه وتعليمه قوله تعالى ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في
قلبه وهو الد الخصام وفيه بيان تمثيل اعتقاد العامي الذي لم يشتغل بالكلام راسخ قوي في احكام الاسلام
غاية الاحكام واعتقاد الجدلي الحارس اعتقاده بتعبيراته الجدل كخيط مرسل في الهواء يشابه الهوا
تقلبه الرياح المختلفة في الصحراء كما قال الحيا ومن ثمة تكتب بالتاثل يشتبه بهم ثم تعرا بفتح المثلثة
من غير ما وصل وبها وقتا وخلاف ذلك عد منه غلط العامة كذا في غاية التحقيق اي وهما جاذ ذكرنا
ينفرع عليه ما ذكر تزعزع اي تزلزل عقيدة المتكلم المشتغل بالنظر اي بادلة النظرية العقلية فقط
دون العامي المتقي اي المعتمد على الادلة النقلية الحجج الشرعية فان المشتغل بالكتاب والسنة
ومتابعة الصالحين من السلف لا يتزعزع بل يزداد رسوخا بما يسمعه من ادلة القرآن وما يرد عليه من
شواهد الحديث في ميدان التبيان وما يسري اليه من سير الصالحين وسلوك الصادقين الا استثنا
من قوله لتعجيز العامي الذي يحضر حرفه اي الا عاميا اعتقد بدعة موضوعة اي مخترعة مبتدعة والف
الجدل حتى لا يفيده سواه والغالب انه لا يفيده بل يزيده الا ضلالا وتبارا كما يشير اليه قوله تعالى
وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا فان القرآن كالنيل ماء للمحبوبين
ودما للمحجوبين كما يومي اليه قوله تعالى يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا ثمة اي عند اجل الله يرجى انه يفيدك

في الجملة اولا قامة الحجة صار اي علم المناظرة مباحا عند بعضهم بل من فروض الكفاية اي عند بعض
ارباب الدراية في زمان المبتدع اي ايام ظهور انواع البدعة صونا للعقايد اي عن تزلزلها في
القواعد للتحصيل وهو اما يكون مباحا او فرض كفاية على الذكي اي الفطن الفصيح اي القادر على
التقرير والتحرير المتدرب المتمرن لا له اي لتحصيله في هذا الفن ليقدر على العلم اي اولا والتقرير اي التفهيم
ثانيا والثبات على الحق اي ثالثا والا تشكل ازالة الشبهة دون العامة اي لا يباح لعامة الناس
ان يخوضوا في هذا البحر العظيم فان فيه الخطر الجسيم والمراد بالعامي من لم يستحكم عقايده بالكتاب ب
والسنة واجماع الامة وساير الادلة العقلية والحجج النقلية لانه اي علم النظر دوا يحتاج اليه عند الحاجة
كالادوية والعامي ليس له معرفة بكيفية استعمال هذا الدواء فلا حاجة اليه بل استعماله وبال عليه بخلاف ما قد
سبق اي من الادلة الثلاثة التي هي الكتاب والسنة واجماع الامة فهو غذاء اي نافع كالغذاء للبدن
فلا بد للعامي منها فقد قال فتح الموصلي اليس المريض اذا منع الطعام والشراب والدوا يموت فقالوا بلى
فقال فكذلك القلب اذا امتنع عنه الحكمة والعلم ثلثة ايام يموت ومراده دقايق المعتقدات وحقايق المحققات ت
فيستغني عنها العامي حتى لو مات قبل ان يعتقد ان كلام الله قديم وانه مرئي وانه ليس محلا للحوادث
الى غير ذلك فقد مات على الاسلام اجماعا بكلام واضح اي هو من فروض الكفاية على الذكي الفصيح
بكلام ما لك سداله اي مسدود بالكلية قريبة الشارع ليقرب اي ذلك الكلام من الفهم اي الذي يقتضيه الطبع
ويبعد عن ورود الشبهة والهوى اي هوى النفس او هوى البدعة والوسوسة اي الناشئة من النفس
والشيطان دون التعمق المشوش اي ولا يباح لمن ينظر في علم النظر ان يتعمق فيه بحيث يشوش عليه
ما يعنيه والتجاوز اي ودون التعدي الى الطامات اي ترهات تنزوي عنها الطبايع وتمجها الاسماع
احترز عن المبتدعة اي من الخوارج والروافض والمعتزلة ثم اعلم ان المصنف لهذا الفن تبع لحجة الاسلام
في اباحة علم الكلام واستثنائه تفاصيل ما ذكر من المرام الا ان السلف الكرام وجماعة من الخلف
العظام اتفقوا على ان علم الكلام من العلوم المذمومة وهو ما تنصب فيه الادلة العقلية وينقل فيه اقوال
الفلاسفة والحكماء الطبيعية واما علم العقايد بالحجج الشرعية والبراهين النقلية اشرف العلوم الدينية
لانه يبحث عما يتوقف صحة الايمان عليه وتترتب الاخرة لديه فعن الشافعي لان يلقى الله العبد بكل ذنب
ما خلا الشرك خير له من ان يلقاه بشيء من علم الكلام وذكر في غياث المفتي عن ابي يوسف انه لا يجوز الصلاة
خلف المتكلم وان تكلم بحق لانه مبتدع ولا تجوز خلف المبتدع وكان ابو حنيفة يكره الجدال على سبيل الحق
حتى روي عن ابي يوسف انه قال كنا جلوسا عند ابي حنيفة اذ دخل جماعة في ايديهم رجلان فقالوا ان
احد هذين يقول القران مخلوق وهذا ينازعه ويقول غير مخلوق فقال لا تصلوا خلفهما فقلت اما الاول
فنعم فانه لا يقول بقدم القران واما الاخر فما باله لا يصلى خلفه فقال انهما يتنازعان في الدين والمنازعة في
الدين بدعة كذا في مفتاح السعادة ومن جملة العلوم المذمومة علم المنطق الذي هو مسمى بدهليز الكفر مطلب
فقد صنف شيخ مشايخنا جلال الدين السيوطي رسالة مستقلة في تحريمه ونقل عن الايمة الاربعة ما يدل على تحريمه

تسليمه ومن جملتها علم السحر كما يدل عليه قوله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان
ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ومنها علم النجوم فقد ورد تعلموا من النجوم ما تهتدوا به في ظلمات
البر والبحر ثم انتهوا ابن مردويه والدارقطني عن ابن عمر رب معلم حروف ابي جاد دارس في النجوم ليس له
عند الله خلاق يوم القيمة الطبراني عن ابن عباس من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد
احمد وابو داود وابن ماجه عن ابن عباس مثل الناظر في النجوم كالناظر في عين الشمس كلما اشتد نظره
فيها ذهب بصره الديلمي عن ابي هريرة عن الربيع بن سبرة الجهني قال لما غزا عمر واراد الخروج الى الشام
خرجت معه فلما اراد ان يدلج نظرت فاذا القمر في الدبران فاردت ان اذكر ذلك لعمر فعرفت انه يكره ذكر النجوم
فقلت له يا ابا حفص انظر الى القمر ما احسن استواءه الليلة فنظر فاذا هو في الدبران فقال قد عرفت ما تريد يا ابن
سبرة تقول ان القمر في الدبران والله ما نخرج بشمس ولا قمر الا بالله الواحد القهار الخطيب وابن عساكر عن عبد
الله بن عوف بن الاحمر ان مسافر بن عوف بن الاحمر قال لعلي بن ابي طالب حين انصرف الى مسيره الى الليلة
اهل النهروان يا امير المؤمنين لا تسر في هذه الساعة وسر في ثلاث ساعات يمضين من النهار فقال علي ولم
قال لانك ان سرت في هذه الساعة اصابك انت واصحابك بلاء وضر شديد وان سرت في الساعة التي امرتك
بها ظفرت وظهرت واصبت طلبتك فقال علي ما كان لمحمد صلى الله عليه وسلم منجم ولا لنا من بعده هل تعلم ما في بطن
فرسي هذه قال ان حسبت علمت من صدقك بهذا القول كذب القران قال الله تعالى ان الله عنده علم الساعة
وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام ما كان محمد صلى الله عليه وسلم يدعي ما ادعيت علمه تزعم انك تهدي الى علم
الساعة التي تصيب السوء من سافر فيها قال نعم قال من صدقك بهذا القول استغنى عن الله في صرف المكروه عنه
وينبغي للمقيم بامرك ان يوليك الحمد دون الله تعالى ربه لانك انت تزعم هدايته الى الساعة التي ينجو بها من السوء
من سافر فيها فمن امن بهذا القول لم امن عليه ان يكون كمن اتخذ من دون الله ندا او ضدا اللهم لا طير الا
طيرك ولا خير الا خيرك ولا اله غيرك نكذبك ونخالفك ونسير في هذه الساعة التي نهيتنا عنها ثم اقبل
على الناس فقال يا ايها الناس اياكم وتعلم هذه النجوم الا ما يهتدى به في ظلمات البر والبحر انما المنجم كالكا ف
والكافر في النار والله لئن بلغني انك تنظر في النجوم وتعمل بها لاخلدنك في الحبس ما بقيت وبقيت ولاحرمنك
العطاء ما كان لي سلطان ثم سار في الساعة التي نهاه عنها فاتى اهل النهروان فقتلهم ثم قال لو سرنا في
الساعة التي امرنا فظفرنا وظهرنا لقال قائل سار في الساعة التي امر بها المنجم ما كان لمحمد صلى الله عليه وسلم منجم
ولا لنا من بعده فتح الله علينا بلاد كسرى وقيصر وساير البلدان ايها الناس توكلوا على الله وثقوا به فانه
يكفي ما سواه الحارث والخطيب وعن علي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يا علي لا تجالس اصحاب النجوم الخرايطي
في مساوي الاخلاق والديلمي ومنها علم الرمل والفال ووضع المصحف فانه من قبيل الازلام المنصوص في
القران انه من الحرام وعن معاوية ابن الحكم مرفوعا كان نبي من الانبياء يخط فمن وافق خطه فذلك احمد ومسلم
وابو داود ومنها علم النسب والتقول في الصرف والنحو وغيرهما فعن ابي هريرة مرفوعا تعلموا من انسابكم
ما تصلون به ارحامكم ثم انتهوا وتعلموا من العربية ما تعرفون به كتاب الله ثم انتهوا البيهقي وعن ابي هريرة

مرفوعا علم النسب علم لا ينفع وجهالة لا تضر ابن عبد البر وعن ابن عباس مرفوعا كذب النسابون
قال الله تعالى وقرونا بين ذلك كثيرا ابن سعد وابن عساكر وفي رواية الديلمي عن عطاء عن ابن عباس
وابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل المسجد فرأى جماعة الناس على رجل فقال ما هذا فقالوا
يا رسول الله رجل علامة قال وما العلامة قالوا اعلم الناس بانساب العرب وباشعرها وبما اختلف فيه العرب
فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا علم لا ينفع وجهالة لا تضر الديلمي ومنها علم الطلسمات وعلم الشعبذة ه
والتلبيسات كالكيميا والسيميا واكثر النارنج فالعلم بالاشعار التي لا سخف فيها وتواريخ الاخبار وما
يجري مجراها ومنها الشطحيات وهي الدعاوي الطويلة العريضة في العشق مع الله والوصال المغني عن الاعمال
الظاهرة حتى ينتهي قوم الى دعوى الاتحاد بالعينية والحلول وغيرهما من انواع الالحاد ودعوى ارتفاع
الحجاب والمشاهدة بالرؤية والمشافهة بالخطاب فيقولون قيل لنا كذا وقلنا كذا ويتشبهون فيه بالحسين
بن منصور الحلاج الذي صلب لاجل اطلاقه كلمات من هذا الجنس ويستشهدون بقوله انا الحق وبما
حكي عن ابي يزيد البسطامي انه قال سبحاني سبحاني وهذا فن من الكلام عظيم ضرره في العوام حتى ترك
جماعة من اهل الفلاحة فلاحتهم واظهروا مثل هذه الدعاوي فان هذا الكلام يستلذه الطبع اذ فيه
البطالة من الاعمال مع تزكية النفس بدرك المقامات والاحوال فلا يعجز الاغبياء عن دعوى ذلك لانفسهم
ولا عن تلقف كلمات مخبطة مزخرفة ومهما انكر عليهم لم يعجزوا ان يقولوا ان هذا انكار مصدره العلم
والجدل والعلم حجاب والجدل عمل النفس وهذا الحديث لا يلوح الا من الباطن بمكاشفة نور الحق فهذا
ومثله قد استطار في بعض البلاد شرره وعظم في العوام ضرره حتى من نطق بشيء فقتله افضل في
دين الله من احياء عشرة واما ابو يزيد البسطامي فلا يصح عنه ما حكي وان سمع ذلك منه فلعله كان يحكيه عن
الله عز وجل في كلام يردده في نفسه كما لو سمع وهو يقول انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني فانه ما كان
ينبغي ان يفهم ذلك منه الا على سبيل الحكاية كذا في الاحياء ومنها قراءة كتاب الفصوص المخالف للنصوص تف
فانه مشتمل على انواع من الكفريات الصريحة التي ليس لها تاويلات صحيحة وقد قال ابن المقري في الارشاد
ان طايفة ابن العربي شر من اليهود والنصارى وقد عملت في هذه المسئلة رسالة مستقلة وقد حرم بعض
مشايخنا مطالعة تفسير الكشاف لما فيه من الاعتزال وكذا ينبغي الاحتراز عن مواضع في البيضاوي تبع
فيها مذاهب الحكماء والله سبحانه اعلم بحقايق الاشياء ومنها الطامات وهو صرف الفاظ الشرع عن
ظواهرها المفهومة الى امور باطنة لا يسبق منها الى الافهام كداب الباطنية في التاويلات فهذا ايضا حرام
وضرره عظيم فان الالفاظ اذا صرفت عن مقتضى ظواهرها بغير اعتصام فيه بنقل عن صاحب الشرع
من غير ضرورة تدعو اليه من دليل العقل اقتضى ذلك بطلان الثقة بالالفاظ وبسقوط منفعة كلام الله تعالى
وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ما يسبق منه الى الفهم لا يوثق به والباطن لا ضبط له بل تتعارض فيه
الخواطر ويمكن تنزيله على وجوه شتى وهذا ايضا من البدع الشايعة العظيمة الضرر وانما قصد اصحابها
الاغراب لان النفوس مايلة الى الغريب ومستلذة له وبهذا الطريق توصل الباطنية الى هدم جميع الشريعة

الشريعة بتاويل ظاهرها وتنزيلها على رايهم كما حكى الغزالي من مذاهبهم في كتاب المستظهري المصنف
في الرد على الباطنية ومثال تاويل اهل الطامات قول بعضهم في تاويل قوله تعالى اذهب الى فرعون انه طغى
اشارة الى قلبه وقال هو المراد بفرعون وهو الطاغي على كل انسان وفي قوله وان الق عصاك اي كل ما تتوكأ
عليه وما تعتمده مما سوى الله فينبغي ان تلقيه وفي قوله عليه السلام تسحروا فان في السحور بركة اراد الاستغفار به ص
في الاسحار وامثال ذلك حتى يحرفوا القران من اوله الى اخره عن ظاهره وعن تفسيره المنقول عن ابن عباس
وساير العلماء وبعض هذه التاويلات يعلم بطلانها قطعا كتنزيل فرعون على القلب فان فرعون شخص
محسوس تواتر الينا النقل بوجوده ودعوة موسى له كابي جهل وابي لهب وغيرهما من الكفار وليس من جنس
الشياطين والملائكة مما لم يدرك بالحس حتى يتطرق التاويل الى الفاظها وكذلك حمل السحور على الاستغفار
فانه كان عليه السلام يتناول الطعام في السحر كما في البخاري ويقول تسحروا او هلموا الى الغداء المبارك كما رواه ابو
داود وغيره فهذه امور تدرك بالتواتر والحس وبعضها يعلم بغالب الظن وذلك في امور لا يتعلق بها الحس س
فكل ذلك حرام وضلال وافساد للدين على الخلق ولم ينقل شيء من ذلك عن الصحابة ولا عن التابعين ولا عن
الحسن البصري مع اكبابه على دعوى الخلق ووعظهم فلا يظهر لقوله عليه السلام في الترمذي وحسنه من فسر
القران برايه فليتبوا مقعده من النار معنى الا هذا النمط وهو ان يكون غرضه ورايه تقرير امر وتحقيقه
فيستجر شهادة القران عليه ويحمله عليه من غير ان يشهد لتنزيله عليه دلالة لفظية او نقلية او لغوية ولا ينبغي
ان يفهم من الحديث انه يجب ان لا يفسر القران بالاستنباط والفكر فان من الايات ما نقل فيها عن الصحابة
والتابعين خمسة معان وستة وسبعة واكثر ونعلم قطعا ان جميعها غير مسموعة عن النبي صلى الله عليه وسلم فانها
قد تكون متنافية لا تقبل الجمع فيكون ذلك مستنبطا بحسن الفهم وطول الفكر ولهذا قال عليه السلام لابن عباس
اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل كما رواه احمد وابن حبان والحاكم وقال صحيح الاسناد ومن يستجيز من اهل
الطامات مثل هذه التاويلات مع علمه بانها غير مرادة بالالفاظ ويزعم انه يقصد بها دعوة الخلق الى
الحق يضاهي من يستجيز الاختراع والوضع على رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هو في نفسه حق ولكنه لم
ينطق به الشرع كمن يضع في كل مسئلة يراها حقا حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذلك ظلم
وضلال ودخول في الوعيد المفهوم من قوله عليه السلام في الصحيحين من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده
من النار بل الشر في تاويلات هذه الالفاظ اطم واعظم لانها مبطلة للثقة بالالفاظ وقاطعة طريق الاستفادة ده
والفهم من القران بالكلية واما اذا اورد الالفاظ والمباني على مراد الشارع من المعاني بحسب العبارات ثم زاد
على ظواهرها مما يستفاد من سرائرها بطريق الاشارات فذلك نور على نور وجمع بين بطون وظهور ومن
لم يجعل الله له نورا فما له من نور وفي الفروع عطف على في الاصول اي ومن حق العلم المتمسك في علم الفروع ع
المسمى الفقه بالمجمع عليه اي ان وجد اجماعا وبالمتفق عليه بين الائمة مثل تعجيل صلاة المغرب
ثم الاحوط كمسح كل الراس فان الخروج عن الخلاف مستحب بالاجماع وكذا اذا كان حنفيا ومس ذكره
او لمس امراة يتوضا واذا كان شافعيا لا يتوضأ من القلتين واذا رعف او افتصد ونحوه يتوضا وهذه الطريقة

السنة الصوفية حتى قيل الفقها مذهب خامس في القواعد الفقهية ثم ان وفق اي اذا لم يكن ان صوط للتعارض
فيتمسك بان قوي دليل كان سفار بالفجر دون الغلس ووضع اليمين على اليسار دون الارسال وقد
بينا ان دله بيننا وبين المخالفين معنا في شرح النقاية والدول الهداية في البداية والنهاية ثم قوله
قلد اي اذا لم يكن مجتهدا او لم يظهر له دليل ان بدل ان يقلد فيتمسك بقول من غلب على ظنه انه الفضل وفي
مقام ان فقه اكمل لان النفس حج تنقاد الى قوله وتخضع لرايه وتبادر الى امتثال امره ونهيه وزاد ابن
حجر في نسخة اصله قوله والعمل به اكثر وهذه زيادة فائدة ان صحت لها منفعة عامة ثم قال كالامام ابي حنيفة
ومالك والشافعي امتازا قليما لا يعرف فيه غير اتباعه او يكون فيه اتباعه اكثر كاقليم الحجاز واليمن ومصر
والشام وحلب وعراق العرب والعجم بالنسبة للشافعي وكالغرب على سعته بالنسبة الى مالك وكالروم
والهند وما وراء النهر بالنسبة الى ابي حنيفة انتهى ولا يخفى ان الغرب مختص بالامام مالك واما ما ذكره من
اقليم الحجاز وما بعده فمخلوط بالشافعية والحنفية والمالكية والحنبلية فان الحنابلة موجودون في نجد وتوابعه
وكذا في البصرة وبغداد والحلة ونواحيها واما شمس علم ابي حنيفة فقد اشرق على المشرق وغلب على فرق
اهل العراق فان كثر اهل الروم وغلبة الهنود والاعجام ربما يكونون اضعافا مضاعفة على اتباع مالك
والشافعي واظن ان الحنفية يكونون ثلثي اهل الاسلام كما يكون الموصوفون ثلثي اهل الجنة في دار المقام
ثم الكثرة اصل معتبر عند العلماء الاعلام كما يشير اليه ما روي عليكم بالسواد الاعظم والله اعلم كابي
حنيفة عندنا معشر الحنفية وكونه امام الائمة ان درجته عند غيرنا فقد علم كل اناس مشربهم وتبع كل طالب بغيته
مذهبهم مورد من طرق لكنها كلها واهية ابو حنيفة سراج امتي حديث موضوع كما قال الصغاني وغيره
بل قال السيوطي ومما يورد في ذكر ابي حنيفة من الاحاديث باطل كذب لا اصل له نعم اخرج الشيخان عن
ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لو كان العلم عند الثريا لتناوله رجال من ابناء فارس قال
السيوطي هذا اصل صحيح يعتمد عليه في البشارة بابي حنيفة وفي الفضيلة التامة له قلت مع زيادة كونه
من التابعين اتفاقا على اختلاف في انه هل روى عن الصحابة ام لا كما بينته في شرح مسند الامام وقد
ورد خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ومما يصلح للاستدلال به على عظم شان ابي
حنيفة ما روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ترفع زينة الدنيا سنة خمسين ومائة ومن ثمة قال شمس الائمة
الكردري ان هذا الحديث محمول على ابي حنيفة لانه مات تلك السنة كذا ذكره ابن حجر المكي في الخيرات الحسان
في مناقب ابي حنيفة النعمان وقد ثبت ان اباه ثابتا ذهب به الى علي بن ابي طالب كرم الله وجهه
وهو صغير فدعا له بالبركة فيه وفي ذريته وسمع بصيغة المجهول والمعلوم في المنام انه عليه السلام قال
بعدما قيل اين اطلبك يا رسول الله انا عند علم ابي حنيفة وفي شرح ابن حجر وسمع في المنام البارئ
تعالى يقول انا عند علم ابي حنيفة اي بالحفظ والقبول وانزال البركة فيه ومن اخذ به وسلم الى المولى
كمالك والشافعي وغيرهما سبقة في الفقه اي غلبته في هذا الفن اصولا وفروعا فقد قال الشافعي وقيل لمالك
هل رايت ابا حنيفة قال نعم رايت رجلا لو كلمك في هذه السارية ان يجعلها ذهبا لقام بحجته وهذا من كمال الانصا ف

انصاف مالك مع علو مقامه في مذهبه وغاية مبالغته في بلوغه الامام وبيان المرام في جميع المقام وقال
الشافعي الخلق كلهم عيال ابي حنيفة في الفقه وفي رواية عنه من اراد ان يتبحر في الفقه وقال الفقيه من اراد
ان يعرف الفقه فليلزم ابا حنيفة واصحابه ذكره ابن حجر وذكر ايضا ان الشافعي لما دخل بغداد وزار قبره
وصلى عنده ركعتين فلم يرفع يديه في التكبير وفي رواية ان الركعتين كانتا الصبح وانه لم يقنت فقيل له في ذلك
فقال ليس ادبا مع هذا الامام ان نخرج خلافه بحضرته والفقهاء شهدت به الا من ضداد وقال النضر بن
شميل كان الناس نياما عن الفقه حتى ايقظهم ابو حنيفة ودخل على امير المؤمنين المنصور وعنده عيسى بن
موسى العابد الزاهد فقال للمنصور هذا عالم الدنيا فقال له المنصور عمن اخذت العلم فقال عن اصحاب
عمر وعن اصحاب علي بن علي وعن اصحاب ابن مسعود فقال له المنصور لقد استوثقت وكان يقول اذا جاء
الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلى الراس والعين وعن اصحابه اخذنا ببعض اقوالهم ولم نخرج عنها
او عن التابعين فزاحمناهم فهم رجال ونحن رجال وذكر الامام الاسفرايني باسناده الى علي ابن المديني
وهو من اساتذة البخاري وهو الذي طعن في حديث القلتين سمعت عبد الرزاق يقول قال معمر ما اعرف
احدا بعد الحسن البصري يتكلم في الفقه احسن معرفة من ابي حنيفة ومجمل الكلام في مرام هذا المقام ان تقليد
الافضل افضل باتفاق علماء الاعلام وقيل بل يتعين وهو ضعيف لعموم قوله سبحانه فاسئلوا اهل الذكر
ان كنتم لا تعلمون وقوله عليه الصلاة والسلام اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم ولذا قيل من تبع عالما لقي
الله سالما ثم تقليد الاقدم من الاستنباط اولى واتم فان الامام الاعظم والهمام الاقدم هو ابو حنيفة فانه
افضلهم زمانا واكملهم شانا فانه من التابعين دون سائر المجتهدين ثم انه اقدم برهانا واتم بيانا فانه مقدم واحقهم
بتدوين الفقه اصلا وفرعا فانه صور المسائل واجاب عنها واوضح الكتاب والعلل منها وبنى الائمة
عليها فهو الذي اخذ الكافة عنه الى اخذ وعض عليها بالنواجذ وعلم ان المتخطئ من اهل مذهب سقط
ومع هذا ينبغي ان لا يعتقد ان اصحابنا مصيبون قطعا وان مخالفيهم مخطئون جزما لان المجتهد يخطئ
ويصيب والحق عند الله واحد على ما ذكر في المصفى وشرح البزدوي ولا يتمكن المجتهد من اصابة الحق
قطعا بل على غلبة الظن حتى اذا سئلنا عن مذهبنا ومذهب مخالفنا في الفروع يجب بان مذهبنا
صواب يحتمل الخطا ومذهب مخالفنا خطا يحتمل الصواب على ما هو قول اهل الفقه وعرفهم وهذا ينافي قولنا
الاجماعي ان مذهب اهل السنة حق لاتفاقهم على ما اخذهم من الكتاب والسنة واما قول بعضهم يجب ان يجيب
بما ذكر منا فليس في محله اذ لم يظهر دليل وجوبه نعم ينبغي ان يقول كذا ابناء على غلبة ظنه ثم في الاصول نقول نحن
على الحق ومخالفنا على الباطل كالمعتزلة وامثالهم من اهل البدعة لمنابذتهم ظواهر الكتاب والسنة وكان
يقوم كل الليل بعد ان كان يحيي نصفه فاشار اليه انسان وهو يمشي فقال لآخر هذا هو الذي يحيي الليل كله فلم
يزل بعد يقوم الليل كله وقال انا استحيي ان اوصف بعبادة ليست في ومن اخبار ما دخل فيه قوله تعالى ويحبون
ان يحمدوا بما لم يفعلوا وقال بعضهم ما رايت اصبر على الطواف والصلاة والفتيا بمكة من ابي حنيفة انما كان كل
الليل والنهار في طلب الآخرة ذكره ابن حجر وقال ومن عظيم مناقبه انه صلى الفجر بوضوء العشاء اربعين سنة فقيل له

ما الذي تقول على هذا فقال ادعوت بالثمانية على حروف المعجم وهي مجموعة في كلمة ابثتين محمد رسول الله الى اخر سورة الفتح والثانية ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا يغشى طائفة منكم الاية في سورة ال عمران وانه كان يختم في رمضان ستين ختمة ختمة بالليل وختمة بالنهار وسمع هاتفا في المنام كما قاله ابن حجر او بين النوم واليقظة لما ان الامام في الكعبة اي بعد ان ختم القران في ركعتين ان يا ابا حنيفة اخلصت خدمتي واحسنت معرفتي فقد غفرت لك ولمن تبعك الى قيام الساعة ذكر في اخر خزانة المفتيين انه حكي ان ابا حنيفة لما حج حجة الوداع دخل الكعبة وقام بين العمودين على رجله اليمنى حتى قرا نصف القران وركع وسجد ثم قام على رجله اليسرى وقد وضع قدمه اليمنى على ظهر رجله اليسرى حتى ختم القران فلما سلم بكى وناجى وقال الهي ما عبدك هذا العبد الضعيف حق عبادتك لكن عرفك حق معرفتك فهبه نقصان عبادته بكمال معرفته فسمع هاتفا من جانب البيت قد عرفت واخلصت المعرفة وخدمت واحسنت الخدمة فقد غفرنا لك ولمن تبعك وكان على مذهبك الى قيام الساعة انتهى ولا يخفى ان الصلاة على قدم واحد مكروهة فلعل فعله هذا قبل ان تبين له هذه المسئلة او الكراهة مختصة بالفريضة فان امر النوافل مبني على التوسعة وهنا اشكال اخر حيث قال الامام عرفناك حق معرفتك والمشهور على السنة سائر الاعلام ما عرفناك حق معرفتك والجواب انه اراد بحق المعرفة قدر ما اوجبه الله عليه بحسب الوسع والطاقة والنفي ارادوا نهاية المعرفة وغاية العلم المعبر عنها بالاحاطة وقد قال تعالى ولا يحيطون به علما وقال ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء واما العبادة حق العبادة المعبر عنها بالتقوى حق تقاته المفسر بان يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى فكل احد عاجز عن ذلك كما اخبر الله به عنه بقوله كلا لما يقض ما امره فان الانسان محل النسيان والمخلوق في مقام النقصان والله المستعان وتلمذ له كبار من المشايخ مثل ابراهيم بن ادهم وفضيل بن عياض وداود الطائي والليث بن سعد والامام مالك على ما ذكره ابن حجر ونحوهم لكن الاظهر ان تلمذ مالك لابي حنيفة غير ظاهر نعم قد يكون كل منهما اخذ عن صاحبه والله اعلم بحقيقة منصبهما واما مشايخه فقد ذكر الكردري ان ابا حنيفة ادرك الامام محمد بن علي بن حسين بن ابي طالب رضي الله عنهم ويسمى محمد الباقر لتبقره في العلم وتبحره وكذا ادرك ولده جعفر الصادق وكذا زيد بن اسلم مولى امير المؤمنين عمر بن الخطاب وكذا شعبة الراوي شيخ الامام مالك وكذا شعبة بن الحجاج الذي يقال له امير المؤمنين في الحديث ومنهم الامام الاوزاعي امام اهل الشام وكان من جلالته ان مالكا والثوري احدهما يقود دابته والاخر يسوقه ومنهم عطاء بن ابي رباح المكي كان جعد الشعر اسود افطس اشل اعور ثم عمي بعد ذلك قال ابو حنيفة ما رايت افقه من حماد ولا اجمع من عطاء ومنهم ابو بكر بن عاصم بن ابي النجود بفتح النون وضم الجيم الامام في القراءة تابعي جليل القدر ومنهم عامر بن شراحيل الشعبي قال ادركت خمسمائة من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وكان يعجبه هذا البيت ليست الاحلام في حين الرضى انما الاحلام في حال الغضب قلت وهو مقتبس من قوله عليه السلام الصبر عند الصدمة الاولى وفي الجملة عدد مشايخ الامام اربعة الاف ومن اصحابه فلا تعد ولا تحصى بلا خلاف وقد نظم بعضهم هذا المعنى

المعنى تحيى للمعنى شعر غدا مذهب النعمان خير المذاهب • كما القمر الوضاح خير الكواكب •
تفقه في خير القرون مع التقى • فمذهبه لا شك خير المذاهب •
تلا تابعي الالاف والف شيوخه • واصحابه مثل النجوم الثواقب •

وتحمل لتقلد القضاء بان يكون قاضي قضاة جميع الدنيا وكذا تولية مفاتيح خزاين بيت المال اشترا دعوبا تحاويهربا ما تحمل اي من الضرب والحبس والشتم ايثارا لعذاب الدنيا على عذاب العقبى من كمال التقوى وعن الامام انه ذكر ابا حنيفة فقال كان زاهدا ورعا ضرب على القضاء احدى وعشرين سوطا فابى وعن سهل بن مزاحم بذلت له الدنيا بحذافيرها وضرب عليها بالسياط فلم يقبلها من تلقائها ولا كثيرها وربما خالط التقلد اي بالخيانات ولا قبل منهم شيئا لكمال التقوى عن النضر بن محمد الرقي قال كنت ببغداد وانا اريد الكوفة فقال لي ابن حماد قل لي في الشهر دهمان من سويق وحبسه عني تعجله الي وكان في ذلك اليوم حبسه المنصور للقضاء ببغداد وروي ان المنصور كان يريد ان يضرب الامام فيقول الامام لا ان قربتني فتنتني وان ابعدتني احزنتني وليس عندك ما ارجو له وليس عندي ما اخافك عليه انما يغني بمن اغناك فلا اغنى كرفتني بعيشك ومثله ذكر عن الامام محمد بن الحسن انه قال لعيسى بن موسى والي الكوفة وزاد في اخره ما ايشار فاني كسرة خبز وقعب ماء وفرد ثوب مع السلامة خير من العيش في نعيم يكون من بعده ندامة ثم ما ذكرنا من افعال المنصور بالامام فعل يزيد بن هبيرة والي الكوفة مثله ايضا في زمان المروانية كما رواه العسكري وغيره عن يحيى بن اكثم عن ابي داود وقال اراد ابن هبيرة ان يولي الامام قضاء الكوفة فابى فحلف ابن هبيرة ان لم يقبله يضربه بالسياط على راسه ويحبسه فحلف الامام على انه لا يلي منه فقيل له انه حلف على ان يضربك فاضربه في الدنيا اهون من معالجة مقامع الحديد في العقبى والله لا افعل ولو قتلني فقيل انه حلف ان لا يحلك واذا يريد بنا قصر فقول له عد اللبن فقال ابو سبا لي ان اعد له ابواب المسجد ما فعلت فذكر له امير فقال ابلغ قدره ان يعارضني في اليمين فدعاه فشافهه وحلف ان لم يقبل يضرب على راسه عشرين سوطا فقال اذكر مقامك بين يدي الله تعالى فانه اذل من مقامي هذا ولا تهددني فاني اقول لا اله الا الله محمد رسول الله والله يسالك عني حيث لا يقبل منك الجواب الا بالحق فاومى الى الجلاد ان امسكه وبات في السجن واصبح وقد انتفخ وجهه وراسه من الضرب وعن ابن المبارك ان الرجال في الاسم تساووا حتى تقع في البلوى فقد ضرب ابو حنيفة على راسه في السجن حتى يدخل في الحكم فصبر على الذل والضرب في الحبس طلبا للسلامة في دينه وعن ابي عبد الله بن حفص الكبير البخاري ان الفتنة لما ظهرت بخراسان دعا ابن هبيرة العلماء كابن ابي ليلى وابن شبرمة وداود بن هند وولى كل واحد منهم شيئا من عمله وعرض على ابي حنيفة ان يكون الخاتم في يده لا ينفذ كتابا الا من تحت امره فابى فحلف الامير انه ان لم يله ضربه في كل جمعة سبعة اسواط فقال الفقهاء لابي حنيفة انا اخوانك ننشدك الله ان تهلك نفسك وكنا نكره عمله ولكن لم نجد بدا منه فقال لو ارادني ان اعد ابواب مسجد واسط لم اعد له فكيف وهو يريد مني ان اكتب في دم رجل واختم له والله لا ادخل في ذلك فقال ابن ابي ليلى دعوه فانه مصيب

نحبه الشرط حبسين وضربه اربعة عشر سوطا ثم اجتمع مع الامير فقال الا ناصح لهذا ان يستمهلني
فاستمهله وقال اشاور اخواني فخلاه فهرب الى مكة في سنة مائة وثلاثين الى ان صارت الخلافة
للعباسية ثم لما قدم الكوفة في زمن المنصور فعظمه وامر له بجائزة عشرة الاف درهم وجارية فلم
يقبلها وروي انه يتمثل كثيرا ؛ عطاء ذي العرش خير من عطائكم ؛ وسيبه واسع يرجى ولا ينتظر ؛
؛ انتم يكدر ما تعطون منكم ؛ والله يعطي بلا من ولا كدر ؛
وروي انه لما ارسل اليه ابو جعفر المنصور بعشرة الاف درهم على يد الحسن بن قحطبة ولم يقبله رد ما اوصى ابنه
حماد انه اذا مات ودفن يرد ما للحسن ففعل فقال رحمة الله على ابيك لقد كان شحيحا على دينه وما اشتغل
بالدعوة اي بدعوة الناس الى مذهبه الا بعد اشارات النبوية في المنام اليه ليدعوهم الى مذهبه
بعد ما قصد الانزوا اي الاختفاء عن الانام وحكاية رؤيا الامام مشهورة بانه نبش قبره عليه السلام ثم
ويؤلف العظام الكرام بوضع بعضها في بعض في موضع مناسب للمقام فعن ابن سيرين من اجل الثقات بعلماء
للمنام ان صاحبها رجل يحيي به الله سنن الاسلام مما اميتت فيما بين الانام والاظهر ان يقال
مما تفرقت بين الصحابة الكرام والتابعين العظام فجمعها الامام ورتبها اصولا وفروعا بلغته به
الاحكام على وجه الاحكام وما استظل بحائط المديون لما اتاه متقاضيا اي طالبا لتقاضي دينه فعن حين ح
يزيد بن هارون رايته يوما بفناء دار غريم له قد قام في الشمس فانكرت فقال لي على ما لكه قال احاف ان
اجلس في ظله ومثله عن يحيى بن زائدة الا انه قال حلفته بالله العظيم عن مانع ان يستظل الظل فقال
احاف ان يكون قرضا جر منفعة قال وما اراه على الناس لكن على العالم ان ياخذ بعلمه اكثر مما يدعو اليه
والمعنى انه ينبغي له ان يعمل بالتقوى لا بظاهر الفتوى كما يشير اليه قوله عليه السلام استفت قلبك وان افتاك
المفتون وقد اغرب شمس الائمة حيث رد هذا في كتاب الصرف وقال انه من التكلف لا من الزهد
انتهى وهذا جرأة عظيمة منه وجريمة جسيمة عنه وما يرد عليه ذكر في صفات الصالحين ان امرأة سألت
الامام احمد ان يشوع الى ظاهر يتعرض محلنا ونغزل في ضوئه ونحن على السطوح طاقة او طاقتان
فهل يحل لنا ثمن ذلك الغزل فقال الامام احمد من انت قالت اخت بشر الحافي فقال ما زال هذا الورع
الصافي يخرج من ال بشر فعلم بهذا ان دقيق الورع ما له غاية ولا نهاية ولا يقاس الملوك
بالحدادين وتصدق بجميع ما اتى به وكيله اليه لما خلط به ثوب معيب ببيع مخفيا كان حفص بن عبد الرحمن
شريك الامام في بعض التجارة وقال ادع ثوب كذا عيب فباع بلا بيانه وجاء بربح فتصدق بحصته
من ثمن الشركة من المرغيناني وكان الربح خمسة وثلاثين الف درهم وعن ابي المليح انه قال الامام
ما ملكت اكثر من اربعة الاف درهم منذ اكثر من اربعين سنة الا اخرجتها وانما امسكتها لقول علي رضي الله
عنه اربعة الاف درهم وما دونها نفقة ولولا اني اخاف ان الجئ الى هؤلاء ما تركت واحدا منها وانما
لم يرد ثمنه لمشتريه وتبينه كانه للجهل بالمشتري مع الياس بعلمه او لانه راى نفع المشتري في الدنيا
وراى نفع نفسه في العقبى مع عن ابن المبارك ان الامام اراد شراء امة فمكث عشرين سنة يستخير ويتشاور في اي

اي سبب يشتري وترك لحم الغنم اي اكله لما تفرقت شاة في الكوفة فعن ابن المبارك
وقعت اغنام منه الغارة في الكوفة فسأل عن مدة حياة الغنم فقيل سبع سنين فما اكل اللحم سبع
سنين وهذه المذكورات بعض مناقبه ونذرة يسيرة من جملة مراتبه منحصرة المناقب اي كثير بعشر معشار ح م
اي ان قصد استيفاء ايرادها وقد لحقت مناقبه العلية ومناقب اصحابه الجلية وذيلته بطبقات
اتباعه الحنفية وسميته بالاثمار الجنية في الاسماء الحنفية واقتصرت على مناقب الامام هاهنا تبعا للمصنف
اختصارا وقد اوردت مناقب الائمة الاربعة في المرقاة شرح المشكاة المشتمل الباب
الاول في الورد اصل الورد مصدر الاتيان ومنه قوله تعالى ولما ورد ماء مدين والان المرشح المهيأ للورود ومنه
قوله سبحانه بئس الورد المورود ويسمى كل قول وفعل يأتيه الانسان في وقت معين على وجه مبين وردا
وهو المراد هاهنا واما حديث صاحب الورد ملعون وتارك الورد ملعون فباطل لا اصل له
بسم الله الرحمن الرحيم وردا في قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اي ليعرفون
فيعبدوني او ليعبدوني فيعرفوني كما هو شان المراد والمريد من سالكي الناسكين المعبر عنهما بالمجذوب والسالك
وكل اي العبادة الماخوذة منه يعبدون انواع اي اصناف ستة منها الصلاة وهي افضلها واكملها واتمها
واجمعها فورد ما افترض الله على خلقه بعد التوحيد اي الايمان بالله ورسوله احب اليه من الصلاة كذا
في الاحياء مع زيادة ولو كان شيء احب اليه منها تعبد به الملائكة فمنهم راكع ومنهم ساجد وقائم وقاعد
وقال العراقي لم اجده بهذا اللفظ واخر الحديث عند الطبراني من حديث جابر وعند الحاكم من حديث ابن عمر
من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر البزار من حديث ابي الدرداء باسناد فيه مقال ذكره العراقي وفي رواية الطبراني
عن ابن عباس من لقي الله وهو عليه غضبان وفي الاوسط عن انس من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر جهارا ترك صلاة ح
اي قارب الكفر لان المعاصي بريد الكفر اي رسول دخول البلد لمن قاربها فالمراد به المعنى المجازي المعبر عنه
بالمشارف على ما قال النحو الراجح ومنهم من حمله على الكفر الحقيقي او معناه كفر نعمة الله بترك عبادة مولاه
او عمل عمل الكفر او كفر في عاقبة امره او محمول على مستحل او منكر فرضيته وفي رواية احمد والبيهقي من حديث
ام ايمن ورجال اسناده ثقات من ترك صلاة متعمدا فقد برئت منه ذمة محمد صلى الله عليه وسلم وفي
رواية الطبراني في الاوسط من حديث انس اول ما يحاسب به العبد الصلاة فان فسدت فسدت سائر عمله
والاحاديث في هذا الباب كثيرة شهيرة وما يكفي في شرفها قوله تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء
والمنكر وصحتها اي صحة الصلاة الا بعد ان يطهر الظاهر اي ظاهره عن الحدث اي النجس الحكمي من
الاصغر والاكبر بدنا والنجس اي الحقيقي المسمى بالخبث بدنا وثوبا والنجس بالفتح عين النجاسة وبالكسر
المتنجس والجوارح عن الجريمة اي واعضاءه عن اكتساب الاعمال الظاهرة الذميمة والقلب عن الذميمة
اي الاخلاق الباطنة الدنية والاحوال الواردة الردية والسر اي الذي لا يطلع عليه الا الله عما سواه
اي يطهره عن حضور غير الله وحضوره لاستهلاك غيره في جنب تجلي نوره والغاية المقصودة في السر ان عمل م
ينكشف له جلال الله وعظمته ولن تحل معرفة الله بالحقيقة في السر ما لم يرتحل ما سوى الله عنه ولذا قال

عز وجل قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون لانهما لا يجتمعان في قلب واحد وما جعل الله لرجل من
قلبين في جوفه واما عمل القلب فالغاية القصوى عمارته بالعقايد السنية وبالشمايل البهية المرضية ولم
يتصف بها ما لم يتنظف عن نقائضها من العقايد الفاسدة والاخلاق الكاسدة فتطهيره احد الشطرين
وهو الشطر الاول الذي هو شرط في الثاني فكان الطهور شطر الايمان بهذا المعنى وكذا تطهير الجوارح
عن المناهي والملاهي احد الشطرين وعمارتها بالطاعات الشطر الثاني وقيل صح ان التخلية نصف
الايمان والتحلية نصف الايقان وبهما كمال العرفان فهذه مقامات الايمان ولكل مقام طبقة من
طبقات الايقان ولن ينال العبد الطبقة العالية الا ان يجاوز الطبقة السافلة فلا يصل الى طهارة
السر عن الصفات المذمومة وعمارته بالمحمودة ما لم يفرغ من طهارة القلب عن الخلق المذموم وعمارته
بالخلق المحمود ولن يصل الى ذلك ما لم يفرغ عن طهارة الظواهر عن المناهي وعمارتها بالطاعة كلما
عز المطلوب وشرف المحبوب صعب مسلكه وطال طريقه وكثرت عقباته فلا تظنن ان هذا الامر يدرك
بالمنى وينال بالهوينا فان ذلك ليس باما نيكم ولا اماني اهل الكتاب الاية بهذا اي المذكور من الطهارة
في كل مرتبة نصف اي نصف حق عمل الصلاة والاخر اي النصف الثاني هو العمارة بالطاعة ظاهرا
وباطنا اي عمارة الجوارح والجوانح بالعبادة المختلفة من القيام والقراءة والركوع والسجود والقعود
وساير الاحوال المؤتلفة فورد الطهور بفتح الطاء وضمها بمعنى المصدر او ما يطهر به نصف الايمان
احمد ومسلم والترمذي عن ابي مالك الاشعري في حديث طويل والمعنى ان الايمان يطهر نجاسة الباطن
والطهور يطهر نجاسة الظاهر كذا في النهاية وقيل المراد بالايمان الصلاة كما في قوله تعالى وما كان الله
ليضيع ايمانكم اي صلاتكم الى بيت المقدس فيراد بنصفها شطرها وبعضها فانه اقوى شروطها والاصل
اي ان التطهير الذي عليه مدار العمل طهارة الباطن لانه محل النظر الالهي حيث ورد ان الله لا ينظر
الى صوركم واعمالكم ولكن ينظر الى قلوبكم واحوالكم فهم اي الصحابة كانوا ابلغ الاعوان تهمما اي في طهارة
الباطن وهم متساهلون في طهارة الظاهر اي يتسامحون في طهارة الظاهر حتى كانوا اي ما احيانا
يمشون حفاة اي بلا نعل في الطين اي طين الازقة ويجلسون عليها ويصلون معه اي من غير
غسله وياكلون من دقيق البر والشعير وهو يداس بالدواب وتبول عليه ولا يحترزون عن عرق الابل
والخيل والحمير مع كثرة تمرغها في النجاسات وقد انتهت النوبة الان الى طايفة يمعن احدهم في
الطهارة الظاهرة ويستقصي في مجاريها ويستوعب جميع اوقاتها في الاستنجاء وغسل الثياب وتنظيف
الظاهر وطلب المياه الجارية الكثيرة ظنا منه بحكم الوسوسة وخبل العقل ان الطهارة المطلوبة الشريفة
هي هذه فقط وجهالة بسيرة الاولين واستغراقهم جميع الهم والفكر في تطهير القلب وتساهلهم في امر
الظاهر حتى ان عمر رضي الله عنه مع علو منصبه توضأ من ماء في جرة نصرانية وحتى انهم ما كانوا يغسلون
اليد من الدسومات والاطعمة بل كانوا يمسحون اصابعهم باخمص اقدامهم وعدوا الاشنان ونحوه من
الغسول والصابون من البدع المحدثة وكانوا يقتصرون على الحجارة في الاستنجاء وصلى عليه السلام مشتغلا

مشتغلا اي لابسا نعليه فخبر اي اخبره جبريل عليه السلام فتلطخ اي باصابة نجاسة فنزع
اي نعله بعمل قليل واتم اي صلاته منهم بلا استئناف ولا اعادة والحديث رواه ابو داود والحاكم وصححه
من حديث ابي سعيد الخدري وقد قال بعضهم الصلاة في النعلين افضل اذ لما نزع رسول الله صلى الله عليه وسلم
نعليه باخبار جبريل عليه السلام له ان عليهما نجاسة وخلع الناس نعالهم قال عليه الصلاة والسلام
لم خلعتم نعالكم قالوا رايناك خلعت فخلعنا نعالنا وقال النخعي في الذين يخلعون نعالهم وددت لو ان
محتاجا جاء فاخذها منكرا لاخذ النعال واما الحاصل فانه كانوا يقتصرون على الاستنجاء بالحجر ومشيهم
ان وجد حافيا او صلى على الارض او على بواري المسجد من غير سجادة مفروشة او مشى على الفرش من غير
غلاف للقدم من ادم ونحوه او توضأ من انية عجوز او رجل غير متقشف اقاموا عليه النكير وشنعوه
بالقذر واستنكفوا عن مواكلته واستكبروا عن مخالطته فسموا البذاذة التي هي من الايمان قذارة
والرعونة نظافة فانظر كيف صار المنكر معروفا والمعروف منكرا وكيف اندرس من الدين رسمه كما اندرس
حقيقته وعلمه ولم يبق الا اسمه ورسمه ولكن الظاهر اي لطهارته بعضه اثر في تنوير الباطن للارتباط
الذي بينهما ولذا يتاثر الظاهر عن الباطن حتى ان الحبلى في حال مباشرته لو ادامت النظر الى ما يباشر
مشى فانا او حمرة فانه الى ان غلب تلك الصورة على نفسها يكون المولود الى ذلك اللون الذي غلب عليه
وان الجنين اذا تحرك في البطن وكانت الام مشاهدة في تلك الحال لصورة حسنة من الجمال بحيث
غلبت تلك الصورة على نفسها في عالم الخيال من باطنها نزعت صورة ذلك الجنين الى تلك الصورة الحسنة
التي شاهدتها امه فعلم من كمال قدرته ان للظاهر اثرا في عالم الباطن كما يعتاد اي يوجد اثره عند
اسباغ الوضوء بفتح الواو وضمها اي اكماله واستيعابه وساير اعمال الظاهرة اي حيث تتاثر به الاحوال
الباطنة لارتباط الملك اي عالم الظاهر السفلي بالملكوت وهو عالم الباطن العلوي كما اذا كان يغتسل
يرشح كل يوم بالماء جانب جدار البراني فلا شك ان اثر ذلك الترشيح يظهر في الجدار من جانب
الطرف الداخلي او يقدر رد مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار عذب على باب احدكم يغتسل منه كل يوم
خمس مرات فما يبقى ذلك من الدنس احمد ومسلم وجابر وقيل الا جيان ان الانسان اذا اسبغ الوضوء استشعر
نظافة ظاهره وجد في قلبه صفاء واشراقا لم يكن يجده قبله وذلك للعلاقة التي بين عالم الشهادة
وعالم الملكوت فان ظاهر الانسان من عالم الملك والشهادة وقلبه من عالم الملكوت والغيب فان كنت لا تصادف
بعد الطهارة واسباغ الوضوء شيئا من الصفا الذي وصفناه فاعلم ان الكدر الذي استولى على قلبك من كدورات
شهوات الدنيا وشواغلها اقتضى كل ان حس القلب فصار لا يحس باللطائف والاشياء الخفية ولم يبق في
قوته الا ادراك الامور الجلية فاشتغل بتحلية قلبك وتصفية باطنك فان ذلك اوجب عليك فيه كل شيء انت
فيه ومن ثمة اي من اجل ارتباط الملك بالملكوت يتصدق رؤيا من اعتاد الصدق اي ويكذب رؤيا من
اعتاد الكذب كما قيل كل اناء يترشح بما فيه قيل او هو تفريع على قوله لكن للظاهر اثر تنوير في الباطن والمعنى
اذا كان كذلك فواظب على الوضوء فقد ورد دم على الطهارات يوسع عليك الرزق بل ينبغي ان يجدد الطهارة

لكل صلاة كما كان يفعله عليه السلام نظرا الى ظاهر الآية وانما صلى عام الفتح خمس صلوات بوضوء واحد
فسأله عمر عن ذلك فقال عمدا صنعته يا عمر يعني ليعرف انه ليس بفرض فتقدير الآية اذا قمتم الى الصلاة
وانتم محدثون لان الاصل في الامر ان يكون للوجوب والحديث من توضأ على طهر كتب الله له عشر
حسنات ابو داود والترمذي وابن ماجه من حديث عمر باسناد ضعيف والضعيف يعمل به في فضائل الاعمال
اتفاقا مع ان كثرة الطرق ترقي الضعيف حسنا وفاقا واما حديث الوضوء على الوضوء نور على نور
فقال العراقي لم اجد له اصلا وتعقبه العسقلاني بقوله رواه رزين في مسنده وهو حديث ضعيف
وينبغي ان يستنجي لمقعدته بثلاثة احجار فان انقى بها كفى والا استعمل رابعة فان انقى بها والا استعمل
خامسة لان الانقاء واجب والايتار مستحب قال عليه السلام من استجمر فليوتر متفق عليه من حديث
ابي هريرة فيأخذ الحجر بيساره يضعه على مقدم المقعدة قبل موضع النجاسة ويديره بالمسح
الى ان يدار الى الموضع ويأخذ الثانية يضعها على المؤخر وكذا يمرها الى المقدمة ويأخذ الثالثة فيديرها
حول المسربة ادارة ثم يأخذ حجرا كبيرا بيمينه والقضيب بيساره ويمسح الحجر بقضيبه ويحرك اليسار فيمسح
ثلاثا في ثلاثة مواضع او في ثلاثة احجار او في ثلاث مواضع من جدار جاز له ذلك الى ان لا يرى
الرطوبة في محل المسح ثم ينتقل من ذلك الموضع الى موضع آخر ويستنجي بالماء بان يفيض على محل النجو
ويدلكه باليسرى حتى لا يبقى له اثر يدركه الكف بحس اللمس وترك الاستقصاء فيه بالتعرض للباطن
فان ذلك ينبع الوسواس لاكثر الناس ويقول عند دخوله في المطهر بسم الله اللهم اني اعوذ بك
من الخبث والخبائث واذا فرغ غفرانك الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن عني ما يؤذيني وابقى علي
ما ينفعني واذا فرغ من الاستنجاء اللهم طهر قلبي من النفاق وحصن فرجي من الفواحش والجمع بين الماء
والحجر مستحب فقد روي انه لما نزل قوله تعالى فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يا اهل قباء ما هذا الطهور الذي اثنى الله عليكم فقالوا كنا نجمع بين الماء
والحجر كذا في الاحياء وقال العراقي في الحديث في اهل قباء وجمعهم بين الماء والحجر البزار من حديث ابن عباس
بسند ضعيف ورواه ابن ماجه والحاكم وصححه من حديث ابي ايوب وجابر وانس في الاستنجاء بالماء
ليس فيه ذكر الحجر فقول النووي تبعا لابن الصلاح ان الجمع بين الماء والحجر في اهل قباء لا يعرف
مردود بما تقدم والله اعلم ويتوضأ بعد نحو الغيبة وهو بكسر الغين ان تذكر اخاك بما يكرهه في الغيبة وقد
ورد الغيبة تنقض الوضوء والصلاة رواه الديلمي في مسند الفردوس عن ابن عمر وفي معناها الكذب
والنميمة وسائر الاحوال الذميمة بل قال بعض المشايخ اذا ذكرت الدنيا توضأ واذا ذكرت الآخرة اغتسل
يعني ان الدنيا محل الشهوة الصغرى والاخرى محل العقبى وكل منهما مانع عن كمال التوجه الى حضرة المولى
وفي شرح السنة والمستحب ان يتوضأ لكل صلاة وان كان على طهارة لانه ربما جرى على لسانه كذب
او غيبة او سبه لها فاتهم قلبه فينبغي ان يجدد الوضوء لمع ذلك يتوضأ لدفع الحدث الظاهر فان كان
لا يمكنه الوضوء فانه يتيمم وينوي بتيممه رفع الاثم وفي العوارف تجديد الوضوء مستحب بشرط ان يصلي بالوضوء

بالوضوء ما تيسر والا فمكروه والقهقهة وان لم تكن في الصلاة اي فانها اذا كانت في الصلاة تنقض الوضوء
عندنا والكذب وصلاة قبل الوقت عملا بقوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم الآية في شرح السنة من المستحب
اذا فرغ من البول والغائط ان يتيمم الا ان يبلغ الماء فيتوضأ هكذا روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومعنى الحديث في بيان طول الامل وقصره انه عليه الصلاة والسلام كان يتيمم مع القدرة على الماء
قبل مضي ساعة وقال لعلي لا ابلغه وحكي عن ذي النون المصري انه كان على شط النيل يتيمم ويقول اخاف
ان يدركني الموت قبل الوضوء ويكره ان يقال ما نيته اي استعدادا للصلاة الى نيته ويكره ان يستخلص
لنفسه كذا في السراجية ويطيل الغرة والتحجيل اي عند غسل وجهه ويديه ومرفقيه والغرة بياض الجبهة والحجل
بياض قوائم الفرس ونحوه وقد ورد ان هذه الامة يحشرون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء
وقال عليه السلام من استطاع منكم ان يطيل غرته فليفعل متفق عليه من حديث ابي هريرة وروي
تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء اخرجه مسلم من حديثه ويستقبل القبلة اي حين الوضوء فورد اشرف
المجالس ما استقبل به القبلة الطبراني عن ابن عباس ولا يستعين بغيره اي مهما امكن فانه افضل
الا ان جرى على قدر المشقة ولا يتكلم بكلام من الدنيا والنبي اي في اثناء الوضوء فتاوى الحجة التكلم في اثناء
الوضوء مكروه ومر الى عنه الاشكال اية وفي العوارف ادب الصوفية في الوضوء حضور القلب في غسل الاعضاء
وسمعت بعض الصالحين يقول اذا حضر القلب في الوضوء يحضر في الصلاة واذا دخل السهو فيه دخلت
الوسوسة في الصلاة وينوي رفع الحدث واستباحة الصلاة القربة الى الله سبحانه ويبدأ بتسمية الله
تعالى لقوله عليه السلام لا وضوء لمن لم يسم الله الترمذي وابن ماجه من حديث سعيد بن زيد احد العشرة والتسمية في
في اول الوضوء سنة عند الجمهور وواجب عند احمد لهذا الحديث ويستحب ان يقدم على البسملة التعوذ فيقول
اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون بسم الله العظيم والحمد لله على دين الاسلام
ويغسل يديه ثلاثا قبل ان يدخلهما الاناء لقوله عليه السلام اذا استيقظ احدكم من منامه فلا يغمس
يده في الاناء حتى يغسلها ثلاثا فان احدكم لا يدري اين باتت يده مالك والشافعي واحمد والشيخان
والاربعة عن ابي هريرة ويقول عند غسل يديه اللهم اني اسألك اليمن والبركة واعوذ بك من الشؤم والهلكة
ثم يتمضمض ثلاثا ويبالغ فيه الا ان يكون صائما كما ورد به الخبر ويقول اللهم اعني على ذكرك وشكرك وتلاوة
كتابك ويستنشق ثلاثا ويقول اللهم ارحني رائحة الجنة مع الابرار واعذني بك من روائح اهل النار ويستنثر
ثلاثا فورد اذا استيقظ احدكم من منامه فتوضأ فليستنثر ثلاث مرات فان الشيطان يبيت على خياشيمه
الشيخان عن ابي هريرة ويغسل وجهه ثلاثا ويقول اللهم بيض وجهي بنورك يوم تبيض وجوه اوليائك
ولا تسود وجهي يوم تسود وجوه اعدائك ويفتح العينين اي عند غسل الوجه هو غير معروف بل قيل انه فيه خطر
العمى فهو حرج مدفوع نعم يدخل الاصبع في محاجر العينين وموضع الرمص ومجمع الكحل وينقيهما فقد
روي انه عليه السلام فعل ذلك اخرجه احمد من حديث ابي امامة كان يتعاهد الماقين وروى الدارقطني
من حديث ابي هريرة باسناد ضعيف اشربوا الماء اعينكم لعلها لا ترى نارا حامية والله اعلم ويغسل اللحية اللطيفة

والكثيفة ويخللها فقد ورد خللوا لحاكم وقصوا اظفاركم فان الشيطان يجري بين اللحم والظفر الخطيب
في الجامع وابن عساكر عن جابر ويجب ايصال الماء الى منابت اللحية الخفيفة اعني ما يقبل منه الوجه واما
الكثيفة فلا بل يفيض الماء على ظاهرها ما استرسل من اللحية وقد ورد كان عليه السلام اذا توضأ
خلل لحيته بالماء رواه احمد والحاكم عن عائشة وفي رواية ابي داود والحاكم عن انس كان اذا توضأ
اخذ كفا من ماء فادخله تحت حنكه فخلل به لحيته وقال هكذا امرني ربي وفي رواية ابن ماجه عن ابن
عمر كان اذا توضأ عرك عارضيه بعض العرك ثم شبك لحيته باصابعه من تحتها والعرك المعالجة والدلك
ثم يغسل يديه مع مرفقيه ثلاثا ثلاثا فقد ورد انه عليه السلام اذا توضأ ادار الماء على مرفقيه
الدارقطني عن جابر وفي رواية ابن ماجه عن ابي رافع كان اذا توضأ حرك خاتمه ويبدأ باليمنى ويقول
اللهم اعطني كتابي بيميني وحاسبني حسابا يسيرا وعند اليسرى اللهم اني اعوذ بك ان تعطيني كتابي
بشمالي او من وراء ظهري ثم يستوعب راسه بالمسح ويقول اللهم غشني برحمتك وانزل علي من بركاتك
واظلني تحت ظل عرشك يوم لا ظل الا ظلك ثم يمسح اذنيه ظاهرهما وباطنهما ويقول اللهم اجعلني
من الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اللهم اسمعني منادي الجنة ثم يمسح الرقبة لقوله عليه السلام
مسح الرقبة امان من الغل يوم القيامة ابو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر وهو ضعيف
ويقول اللهم فك رقبتي من النار واعوذ بك من السلاسل والاغلال ثم يغسل رجله اليمنى ثلاثا ويقول
اللهم ثبت قدمي اليمنى على الصراط المستقيم يوم تزل فيه الاقدام ويقول عند غسل اليسرى اعوذ بك
ان تزل قدمي على الصراط يوم تزل الاقدام الى منتصف الساق ويخلل باليد اليسرى من اصابع الرجل
اليمنى ويبدأ بالخنصر من الرجل اليمنى ويختم بالخنصر من الرجل اليسرى فقد ورد خللوا الاصابع بايديكم وارجلكم
احمد عن ابن عباس وفي رواية الدارقطني عن ابي هريرة خللوا بين اصابعكم لا يخللها الله تعالى يوم
القيامة بالنار وفي رواية الطبراني عن واثلة من لم يخلل اصابعه بالماء خللها الله بالنار يوم القيامة
ويسمي في كل عضو وقيل ويسلم ايضا على النبي صلى الله عليه وسلم ويستغفر فيه اي في كل عضو في المحيط
من الادب ان يقول عند كل عضو اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله وبعد الفراغ
اي ويتشهد بعد فراغ الوضوء ايضا فقد ورد من توضأ فاحسن الوضوء ثم رفع طرفه الى السماء فقال اشهد ان
لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت عملت سوءا وظلمت
نفسي استغفرك واتوب اليك فاغفر لي وتب علي انك انت التواب الرحيم اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من
المتطهرين واجعلني من عبادك الصالحين واجعلني عبدا صبورا شكورا واجعلني اذكرك ذكرا كثيرا واسبحك بكرة
واصيلا يقال ان من قال هذا بعد الوضوء ختم على وضوئه ورفع له تحت العرش فلم يزل يسبح الله ويقدسه
ويكتب له ثواب ذلك الى يوم القيامة كذا في الاحياء وقال العراقي حديث من توضأ فاحسن الوضوء ثم رفع طرفه الى
السماء فقال اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله فتحت له ابواب الجنة الثمانية
يدخل من ايها شاء ابو داود من حديث عقبة بن عامر وهو عند مسلم دون قوله ثم رفع ويشرب بقية الماء اي فضل

فضل الوضوء كله او بعضه قائما مستقبل القبلة لما ورد في اثر على موقوفا ومرفوعا فمن ثمة الحلواني
وان شاء قائما وان شاء قاعدا كذا ذكر شيخ الاسلام المعروف بخواهر زاده انه يشرب ذلك قائما وان شرب
قائما الا في موضعين احدهما هذا والثاني عند زمزم رحمهم الله اعلم ويسرح اللحية بعد اي بعد فراغ الوضوء
الترمذي في الشمائل من حديث انس كان يكثر دهن راسه وتسريح لحيته وفي الشمائل ايضا باسناد حسن
انه عليه السلام كان يترجل غبا وعند ابي داود والترمذي والنسائي من حديث عبد الله بن مغفل
النهي عن الترجل الا غبا باسناد صحيح وفي الخبر المشهور انه عليه السلام كان لا يفارقه المشط والمدرى
والمرآة في سفر ولا حضر وهي سنة العرب كذا في الاحياء والمدرى القرن يقال ادرى راسه حكه قال العراقي
كان لا يفارقه المشط والمدرى في سفر ولا حضر ابن طاهر في كتاب صفة التصوف من حديث ابي سعيد
كان لا يفارق مصلاه سواكه ومشطه ورواه الطبراني في الاوسط من حديث عائشة واسنادهما ضعيف
قال الحجة وفي حديث غريب انه كان يسرح لحيته في اليوم مرتين قال العراقي تقدم حديث انس كان يكثر تسريح
لحيته وكان عليه السلام كث اللحية قد ملأت ما بين منكبيه وكذلك كان ابو بكر وكان عثمان طويل بالمشط
اللحية رقيقها وكان علي عريض اللحية قد ملأت ما بين منكبيه ذكره ابن حبان وقال العراقي حديث كان
كث اللحية الترمذي في الشمائل في حديث هند بن ابي هالة وابو نعيم في دلائل النبوة من حديث علي واصله
عند الترمذي قال وفي حديث اغرب منه قالت عائشة رضي الله عنها اجتمع قوم الى باب رسول الله صلى الله عليه
وسلم فخرج اليهم فرايته يطلع في الحب يسوي من راسه ولحيته قلت او تفعل ذلك يا رسول الله فقال نعم
ان الله يحب من عبده ان يتجمل لاخوانه اذا خرج اليهم قال العراقي ابن عدي وقال حديث منكر بهذا وقيل
لداود الطائي لم لا تسرح لحيتك قال اني اذا لفارغ وفي قوت القلوب قال السري في اللحية عشر ان كان
يسرحها ان جلب الناس وتركها اظهار للزهد رياء وقال ابو داود دخل علي داخل فمسست لحيتي ان جهله لظننت انه
مشترك وحقيقة ما قال الحجة ان الجاهل ربما يظن ان فعله عليه السلام ذلك من حيث التزين للناس قياسا
على اخلاق غيره في الاوس وتشبيها للملك بالحدادين وهيهات فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
مامورا بالدعوة وكان من وظائفه ان يسعى في تعظيم امر نفسه في قلوبهم كي لا تزدريه نفوسهم وفي تحسين
صورته في اعينهم كيلا تستصغره اعينهم فينفرهم ذلك ويتعلق المنافقون بذلك في تنفيرهم وهذا القصد واجب
على كل عالم تصدى لدعوة الخلق الى الحق وهو ان يراعي من ظاهره ما لا يوجب نفرة الناس عنه والاعتماد
في مثل هذه الامور على النية فانها في انفسها اعمال تكتسب الاوصاف من المقصود فالتزين على هذا المقصود
محبوب وترك الشعث في اللحية اظهارا للزهد وقلة المبالاة بالنفس محذور وتركه شغلا بما هو اهم منه محبوب ومشكور
وهذه احوال باطنة بين العبد وبين الله تعالى والناقد بصير والتلبيس غير رائج عليه بحال وكم من جاهل يتعاطى
هذه الامور التفاتا الى الخلق وهو يلبس على نفسه وغيره ويزعم ان قصده الخير فترى جماعة من العلماء يلبسون
الثياب الفاخرة ويزعمون ان قصدهم ارغام المبتدعة والمخالفين والتقرب الى رب العالمين وهذا
امر ينكشف يوم تبلى السرائر ويوم يبعثر ما في القبور ويحصل ما في الصدور فعند ذلك تتميز السبيكة الخالصة من البهرج

يسرح لحيته والخطيب في
الجامع من حديث
الحاكم مرسلا كان
يسرح صح

تتوضأ بالماء الحار يوم الاكبر وفي اللحية عشر خصال مكروهة وستاتي في محلها هذا وفي الشرعة في
الحديث تسريح اللحية عقيب الوضوء ينفي الفقر وروي فيه المستظرفات ما ركبه الدين وتجتنب اناء يبقى
ريحه الماء به كالصفر وتميله النحاس متبع الاحيا لكن ورد انه عليه السلام كان يعجبه ان يتوضأ
من مخضب فيه صفر ابن سعد عن زينب بنت جحش لكن يؤيد بما في شرح السنة من الوهب ان يتوضأ
منه انه الخرق وان يتوضأ فيه النحاس والصفر ان الوضوء منهي عنه وفيه ايضا روي عن ابن عمر انه
كره الوضوء في اناء صفر وفي الشرعة ان يتوضأ منه اناء نحاس وصفر فان الملائكة يتعوذون من ريحها والماء
المشمس اي وتجتنبه لانه يورث البرص اذا كان في اناء الصفر بلاد حار وهذا في الراي دون الاحيا ص
وفي الاحيا ويكره ان يتوضأ في اناء صفر وان يتوضأ بالمشمس وذكره جهة الطب وروي عن ابن عمر وابي
هريرة كراهية اناء الصفر وقال بعضهم اخرجت لشعبة ماء في اناء صفر فابى ان يتوضأ منه ونقل كراهية
ذلك عن ابن عمر انتهى وفي الشرعة ان يتوضأ بالماء المسخن بالشمس في ديار الحجاز ولا يكره الوضوء بالماء المسخن
بالنجاسات وبه قال ابو حنيفة خلافا لمالك واحمد ولا بماء زمزم وبه قال ابو حنيفة ومالك خلافا
لاحمد ولا بأس بالمشمس في البرك والبحار والانهار والاسراف في الماء فان تفعلوا ولا تسرفوا انه لا يحب
المسرفين وتوضأ عليه السلام ثلثا ثلثا وقال من زاد فقد ظلم واساء ابو داود والنسائي واللفظ له
وابن ماجه من رواية عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال عليه السلام سيكون قوم من هذه الامة يعتدون
في الدعاء والطهور ابو داود وابن حبان والحاكم من حديث عبد الله بن مغفل وفي شرح السنة انه عليه
السلام مر على رجل منه اصحابه وكان يسرف في صب الماء فقال عليه السلام فقال اي الوضوء سرف قال لا تسرف ح
نعم ولو كنت على ضفة نهر جار وكذا في الجامع الصغير وفي العقد وقيل يوزن يوم القيامة الوضوء ان اسرف
يعاقب والعرب به اي تجتنب لطم وجهك بالماء وتنشفه على وجهه اي قول فهو يوزن اي في ميزان العمل
دون وجهه اي قول اخر فهو مردي نفي الاحيا وكره قوم التنشيف وقال الوضوء يوزن قاله سعيد بن المسيب
والزهري لكن روى معاذ انه عليه السلام مسح وجهه بطرف ثوبه وروت عائشة انه كانت له منشفة ولكن
طعن في هذه الرواية عن عائشة قال العراقي حديث معاذ الترمذي وقال غريب واسناده ضعيف وحديث
عائشة الترمذي وقال ليس له بالقائم قال ولا يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب شيء ونفض
اليد اي وتجتنبه في الاحيا ويكره ان ينفض اليد فيرش الماء ويواظب على السواك اي استعماله او على
ان يستاك على الاسنان اي خصوصا بعد ان فضل الوارد والا فيجوز فيه كل شجرة مرة لانه اطيب للنكهة
واقطع للبلغم وانقى للصدر واقوى للمعدة واهضم للطعام وليكن رطبا مستويا فكمية العقد طول الشبر
وغلظ الخنصر ولا يقوم الاصبع مقام الخشبة عند وجودها طولا وعرضا وان اقتصر منفردا في كل صلاة
حتى عند بعض الايمة ايضا ووضوء اي في كل وضوء اتفاقا ومحله ابتداء الوضوء كما في الاحيا وقال المضمضة
لانه من تكميلها وقد قال عليه السلام صلاة على اثر سواك افضل من خمس وسبعين صلاة بغير سواك
ابو نعيم في كتاب السواك من حديث ابن عمر باسناد ضعيف ورواه احمد والحاكم وصححه والبيهقي وضعفه

وضعفه من حديث عائشة بلفظه سبعين صلاة وقال لولا ان اشق على امتي لامرتهم بالسواك
عند كل صلاة متفق عليه من حديث ابي هريرة وفي رواية لامرتهم بالسواك مع كل وضوء مالك والشافعي
والبيهقي عن ابي هريرة وفي رواية احمد والنسائي عن ابي هريرة لامرتهم عند كل صلاة بوضوء ومع كل
وضوء بسواك وفي رواية الحاكم عن العباس لفرضت عليهم السواك عند كل صلاة كما فرضت عليهم الوضوء
وفي رواية الحاكم والبيهقي عن ابي هريرة لفرضت عليهم السواك مع الوضوء وفي رواية ابي نعيم عن مكحول
مرسلا لامرتهم بالسواك والطيب عند كل صلاة كما فرضت عليهم الوضوء وفي رواية الحاكم والبيهقي
عن ابي هريرة لفرضت عليهم السواك عند كل صلاة وفي رواية ابي نعيم عن ابن عمر لامرتهم ان يستاكوا
بالاسحار وعند قراءة القرآن فقد ورد ان افواهكم طرق القرآن فطيبوها بالسواك ابو نعيم في الحلية من حديث
علي ورواه ابن ماجه موقوفا على علي وكلاهما ضعيف ورواه البزار مرفوعا واسناده جيد وتغير الفم بنحو
الجوع والنوم ونحوهما من طول الصمت اذ الاكل يكن رائحة فورد مالي اراكم تدخلون علي قلحا استاكوا القلح
محركة صفرة الاسنان البزار والبيهقي من حديث العباس بن عبد المطلب واحمد والبغوي من حديث
تمام بن العباس والبيهقي من حديث ابن عباس وهو مضطرب وكان عليه السلام يستاك في الليلة
مرارا مسلم من حديث ابن عباس وهذا يدل على ان السواك سنة مستقلة غير مختص بالوضوء والصلاة وعن ابن
عباس انه قال لم يزل صلى الله عليه وسلم يامرنا بالسواك حتى ظننا انه سينزل عليه فيه شيء رواه احمد وقال عليه
السلام عليكم بالسواك فانه مطهرة للفم ومرضاة للرب البخاري تعليقا مجزوما من حديث عائشة والنسائي
وابن خزيمة موصولا وقال علي السواك يزيد في الحفظ ويذهب البلغم وكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يروحون
والسواك على اذانهم كالقلم خلف اذن الكاتب اسنانه روى عن مالك عن ابي داود والترمذي وصححه ان زيد بن خالد كان
يشهد الصلوات وسواكه على اذنه موضع القلم من اذن الكاتب وفي شرح السنة اما كيفيته ان يستاك فينبغي ان يبدا
بالجانب الايمن ثم على ان يستعمل ثم بالايسر كذلك ثم فيما بين ذلك ويستاك بالوتر ان الله وتر يحب الوتر
وفي الخلاصة كيفيته ان يعالج السواك بعرضه لا في شان الطاهرة ويطوله لغيرهم ويبدأ للعليا من جانب الايمن
والسفلى منه جانبها ثم للعليا من جانب اليسرى ثم للسفلى من جانبها وفي شرح السنة واما النهي فينبغي ان لا يستاك ک
في المسجد وبين القوم ولا في الحمام ويكره عند الشك فيه بالعشي للصايم وتحيته في غير هذا المقام وفي الحاشية عن ابن
المبارك لو ان اهل بلد تركوا السواك لقاتلهم كما نقاتل المرتدين ويحافظ الجماعة عطف على يداوم الوضوء اي يراعي
صلاة الجماعة بورود صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة متفق عليه من حديث ابن عمر وفي قرب
المسجد الا ان يكون في الابعد مزية اي صالحة للعدول عن الاقرب لحضور عالم او شيخ او واعظ وكونه اقدم
المسجدين او عمره بالمال الحلال ونحوه الصواب فعل الاكثر مسجدا ان يصلي الرجل في اقربهما بناء لان له زيادة حرمة فان
كانا سواء فعل اقربهما وان استويا فهو مخير لانه لا ترجيح لاحدهما وان كان قوم احدهما اكثر فان كان هو فقيها
يذهب الى الذي قومه اقل ليكثر الناس بذهابه الى ذلك المسجد وان لم يكن يذهب حيث احب رجل في محلة مسجد يحضر
المسجد الجامع لكثرة جماعة فالصلاة في مسجده افضل قل اهله مسجده او كثر لان لمسجده حقا عليه وليس لذلك

المسجد متفق عليه فلم يقع الترجيح بكثرة الجمع في الجبانة اذا كان امام الحي مرابيا ما لم اكل الربا له ان يتحول الى مسجد
اخر ساعيا اي حال كونه ماشيا الى المسجد مطلقا لقوله تعالى فاسعوا الى ذكر الله بنية اجابة النداء اي نداء الداعي
الى عبادة رب السماء قال الله تعالى ومن احسن قولا ممن دعا الى الله الاية فقد قال ابن عباس من سمع النداء
ثم لم يجب لم يرد خيرا ولم يرد به وقال ابو هريرة لان يملا اذن ابن ادم رصاصا مذابا خير له من ان يسمع
النداء ثم لا يجيبه خاشعا اي خاضعا متواضعا متذللا في طريقه غير متخطي رقبة اي عند دخوله ولا مار
بين يدي مصل فقد ورد لو يعلم المار بين يدي المصلي ماذا عليه لكان ان يقف اربعين خيرا له من ان
يمر بين يديه مالك واصحاب الكتب الستة عن ابي جهيم وفي رواية ابن ابي شيبة عن عبد الحميد بن عبد الرحمن
مرسلا لو يعلم المار بين يدي المصلي لاحب ان ينكسر فخذه ولا يمر بين يديه والمختار ان المرور حرام
اذا وقع بين المصلي ومسجده سواء كان له سترة اولا ويحمل عليه ما روى الطحاوي ان المرور بين
يدي المصلي بحضرة الكعبة يجوز او يحمل على انه وقت غير قيام الفرض واعتدال صفه بان يصلي في طريق
الطايفين فانه لا حرمة له حينئذ واما اذا كان بينهما فرجة فلا باس لما روى ابو داود والنسائي وابن
ماجه عن المطلب بن ابي وداعة قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم يصلي في المسجد الحرام مما يلي باب
بني سهم والناس يطوفون بينه وبين القبلة مما بين يديه ليس بينه وبينهم سترة ولا متكلم فيه بكلام
الدنيا فقد روي في الاثر وفي الجز الحديث في المسجد ياكل الحسنات كما تاكل البهيمة الحشيش كذا في الاحيا
قال العراقي لم اقف له على اصل قلت ومعناه صحيح اذ قد ورد ياتي في اخر الزمان ناس من امتي ياتون
المساجد فيقعدون فيها حلقا ذكرهم الدنيا وحب الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة ابن حبان
من حديث ابن مسعود والحاكم من حديث انس وقال صحيح الاسناد ويؤدي في الصف الاول فانه
الافضل بازاء الامام اي بحذائه فهو الافضل فخذه الخط من الجانبين ثم عن اليمين وقد يكون اليسار
افضل اذا كان الناس هناك اكثر وتم الاركان اي صلى مكان وراعى السنن اي الرواتب او
سنن الصلوات والاداب المستحبات في جميع الابواب فورد في الكل اي في كل ما ذكر فضايل اما في الصف
الاول فقوله عليه السلام لو يعلمون ما في الصف الاول ما كانت الا قرعة مسلم وابن ماجه عن ابي هريرة
واما في اتمام الاركان فقوله اتموا الركوع والسجود فوالذي نفسي بيده اني لاراكم من وراء ظهري اذا ركعتم
وسجدتم احمد والشيخان عن انس واما في السنن فقوله من صلى في اليوم والليلة اثني عشر ركعة تطوعا
بنى الله له بيتا في الجنة مسلم عن عنبسة عن ام حبيبة وبتفصيله ما ورد في حديث اخر ركعتان قبل الفجر وبعد الظهر
والمغرب والعشاء واربع قبل الظهر ولا يدافع الامامة فانه من اشراط القيامة فقد ورد عن سلامة بنت
الحر قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من اشراط الساعة ان يتدافع اهل المسجد لا يجدون
اماما يصلي بهم احمد وابو داود وابن ماجه وروى عبد الرزاق في مصنفه حديثا بلفظ تنازع ثلاثة في الامامة
فخسف بهم ومحله اذا اعلم من نفسه القيام بشروطها والقوم لا يكرهونه وليس وراءه احد هو افضل منه
وكان مدافعتهم اي ممانعة بعض الصحابة من ذوي التقوى لا باس ولا اي بذلك المقام الا عجبا او خوفا من السهو

السهو اي في المبنى والتشويش اي تشويش الخاطر في حضور المعنى واحتياجه الى اخلاصه في
تطويل الصلاة وتخفيفها لاسيما اذا لم تكن اعادة الامامة وكان مستحبا في تلك الامامة ولكن
الامامة افضل من الاذان فهو عليه السلام وخلفاؤه اي امر به الكرام اختاروها اي
الامام وما ورد اي كما رواه البخاري في التاريخ والعقيلي في الضعفاء والطبراني في الاوسط عن ابن
عباس باسناد ضعيف انه عليه السلام قال له رجل يا رسول الله دلني على عمل ادخل به الجنة فقال كن
مؤذنا قال فلم استطع قال فكن اماما وفي رواية فقال لا استطيع فقال كن اماما فقال لا استطيع فقال صل
بازاء الامام فلعله محمول على ان القوم كانوا لا يرضون امامته اذ ان اذن اليه ولا امامة الجماعة
ونقد بهم لطهارتهم بعد ذلك توهم انه لا يقدر عليها فورد ان لا تجاوز الصلاة الراس اصل الحديث
هذا امام قوما وهم له كارهون فان صلاته لا تجاوز ترقوته اي حلقه ورأسه رواه الطبراني عن جنادة
وفي رواية العقيلي عن ابن عمر من ام قوما وفيهم من هو اقرأ منه لكتاب الله واعلم لم يزل في سفال الى
يوم القيامة وراعى الاعمال الباطنة فانها اهم وتضييعها اثم وذلك منه الحضور اي مع الرب وهو استغراق
القلب بما هو فيه اي بالركن الذي شرع فيه والفراغ اي تفريغ القلب وتخليصه عن علايق اي غير ما هو
بصدده مما يوافقه او ينافيه وهو اي الفراغ انما يكون بصرف الهمة اي الاهتمام اليه اي الى ذلك الركن
الواجب عليه فهي اي الهمة تستتبع القلب في صرفه الى ذكر الرب وهو اي صرف الهمة بذكر منافعها اي فوائد
الصلاة ومرافقها كقربه تعالى ورضاه اي بالمقام الاعلى والمكاشفة اي التربية بالمشاهدة التي هي المرتبة
الاجلى عاجلا اي في الدنيا والفوز بالسعادة الابدية اي والسيادة السرمدية والنظر الى وجهه الكريم
الذي اعلى مراتب النعيم اجلا اي في العقبى وخساسة الدنيا ومهماتها اي وبذكر فيها وانقلابها
كثرة العنا وكمية الغنا دنية الشركا سريعة الفنا عديمة البقا والفهم اي الادراك لمعنى الكلام وهو امر وراء
حضور القلب فربما يكون القلب حاضرا مع اللفظ والمبنى باشتمال القلب على العلم بعض اللفظ هو الذي
اريد بالتفهم وهذا معنى قوله وهو اشتماله اي القلب على المعنى وهو اشتماله بتوجيه الذهن الى الذكر من الثنا
والحمد والقراءة والتسبيح والدعاء ونحوها ومداومة الفكر اي في لفظ الذكر ومبناه ليفهم معناه ودفع الخواطر
اي المانعة عن الفهم مشتغلة وهذا مقام تتفاوت الناس في ادناه واقصاه فكم من معان لطيفة ومعارف
شريفة يفهمها المصلي في اثناء صلاته وذكره ولم يكن خطر ذلك قلبه بباله وفكره ومن هذا الوجه كانت الصلاة
ناهية عن الفحشاء ان مقالة فقد ورد من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله الا بعدا الطبراني
وابن ابي حاتم في تفسيره من حديث عمران بن الحصين وابن جرير في تفسيره من حديث ابن مسعود ومن
مرسل الحسن واحمد في الزهد عن ابن مسعود موقوفا والتعظيم اي عرفان المرتبة وعنوان المنزلة المرتبة
على المحبة وهو بذكر عظمته تعالى مع رفعة الجلال له وصفات النفس اي مع رذائلها وكمالها في الرذالة والسفالة
والجهالة وهو امر وراء الحضور والفهم اذ الرجل يخاطب غيره بكلام هو حاضر القلب في مبناه ومتفهم لمعناه
ولا يكون معظما له فالتعظيم امر زائد عليهما والهيبة وهي خوف ينشاء عن التعظيم كما روي انه عليه السلام من راه

بجامه لهابه ومنه لعله احبه وهو اي الخوف المسمى بالهيبة يذكر نفاذ قدرته تعالى وتحقق مشيئته وحكمته وقدره
مع عدم المبالاة بجميع من في قبضته كما ورد خلقت هؤلاء للجنة ولا ابالي وخلقت هؤلاء للنار
ولا ابالي وتحقيقه ان منه ما يخاف ان يسمى هيبة والخائف منه المعترف وسوء خلق العبيد لا يجري مجراه
من الاسباب الخشية لا يسمى مهابة بل الخوف من السلطان المعظم يسمى مهابة فالهيبة خوف مصدره
الاجلال والرجاء اي الامل وهو الوثوق بذكر عموم رحمته اي شمول مرحمته ورافته وسبق غضبه كما ورد
سبقت رحمتي غضبي وفي لفظ غلبت وصدق مواعيده اي عدم تخلف اخباره لعباده من وعد ووعيد
لقوله سبحانه ان الله لا يخلف الميعاد ولا شك انه امر زائد فكم من معظم ملك من الملوك يهابه او يخاف
سطوته ولكن لا يرجو مبرته والعبد ينبغي ان يكون راجيا بصلاته ثواب الله كما انه يخاف بتقصيره عقاب
الله ومنه قوله تعالى يدعوننا رغبا ورهبا وادعوه خوفا وطمعا والحياء وهو انكسار النفس من الخجالة وظهور
التقصير وعند بعض الصوفية الحياء رتبة مقام هذه التوبير وهو يذكر العجز والتقصير عن شكر نعمه
فان العجز عن درك الادراك ادراك كما قاله الصديق ومنه قوله عليه السلام لا نحصي ثناء عليك
انت كما اثنيت على نفسك وهو زائد على الجملة لان منشاه استشعار تقصير وتوهم ذنب ويتصور
التعظيم والرجاء من غير حياء حيث لا يكون توهم تقصير وارتكاب ذنب صغيرا او كبيرا فان تعسر المراعاة
بان لم يتيسر مراعاة اعمال الباطنة المذكورة وما يتعلق بها من ظهور الحقائق فليجتهد في قطع العلائق
اي التعلقات ورفع العوائق المشغلات المتعلقة بالخلائق لتتخلص له حضور القلب مع الخالق
فظاهر بتسعة اشياء بغض العين اي النوافل دون الفرائض والاتمام في الفرائض دون النوافل مع ان
التخفيف لدفع الشواغل لان مبنى النوافل على الرغبة والنشاط والرخصة ولذا جوز اداها قاعدا او راكبا
من غير عذر بعضها ولا في بيت مظلم قريب الجدار ومنه الخلوة للصوفية الا برا وحتى لا يتبع فنه
بصر النظارة الا صرف عن البيت المنقش اي بانواع الزينة والكلم به ولا بيته والنواشق المصبوغ
اي بالالوان ولا الاشكال وكذا لا يترك بين يديه ما يشغل حسه لديه وكان ابن عمر لا يدع في موضع
الصلاة مصحفا ولا سيفا الا نزعه ولا كتابا الا محاه وصحح وقد قال عليه السلام لعثمان بن ابي
شيبة اني نسيت ان اقول لك تخمر القرنين الذين في البيت فانه لا ينبغي ان يكون في البيت شيء يشغل الناس
عن صلواتهم كذا في الاحياء وتعقبه العراقي بان الحديث رواه ابو داود من حديث عثمان الحجبي وهو
عثمان بن طلحة كما في مسند احمد فقوله لعثمان بن ابي شيبة وهم وكونه حاقنا اي محبوس البول لحديث
ابن ماجه من حديث ابي امامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى ان يصلي الرجل وهو حاقن ولابي
داود من حديث ابي هريرة لا يحل لرجل يؤمن بالله واليوم الاخر ان يصلي وهو حاقن ولابي داود
والترمذي وحسنه نحوه من حديث ثوبان وحاقبا بالموحدة محبوس الغائط او الريح لحديث مسلم عن عائشة
لا صلاة بحضرة طعام ولا وهو يدافعه الاخبثان واما حديث النهي عن صلاة الحاقب فقال العراقي ولا
لم اجده بهذا اللفظ وحازقا ضيق الخف وفي معناه السروال وقد ورد النهي عن صلاة الحازق وعزاه رزين

رزين الى الترمذي لكن قال العراقي لم اجد عنده والذي ذكره صاحب الغريب حديث لا راي لحازق
وهو صاحب الخف الضيق وجايعا لحديث اذا حضر العشاء والعشاء واقيمت الصلاة فابدؤوا بالعشاء
متفق عليه وفي معناه اذا كان عطشانا وان يخص منها ان يكون شبعانا وغضوبا اي ممتلئ الغضب
لحديث لا يدخل احدكم الصلاة وهو مقطب ولا يصلين احدكم وهو غضبان كذا في الاحياء وقال العراقي
لم اجده ونحوها اي من كل فعل خطر للمصلي ان يفعل بعد الصلاة فيفعله قبلها ان امكن وباطنا بخمسة
اشياء بذكر الاخرة وتصور مواقفها واحوالها وشدائد اهوالها وتفاوت مآلها في اهلها وموقف
المناجات اي مع قاضي الحاجات لورود ان المصلي يناجي ربه وخطر المقام اي بين يدي الملك
العلام المذكر يوم الدين يوم يقوم الناس لرب العالمين ورفع الخواطر اي المشغلة للسرائر والضماير
وحرق النفس الى الفهم اي ودفعها عن خطرات الوهم ويبالغ فيه اي في دفع العوائق عن عمل الباطن
ومراعاته فكانوا اي السلف يبالغون اي في تحسين حالاته وتزيين مقاماته حتى لو كان يشغلهم
ذكر مال عن ذكر حال يتصدقون به تكفيرا وان كان المال خطيرا اي عظيما كثيرا فروي ان ابا طلحة
الانصاري صلى في حايط له اي بستان فاعجبه دبسي طار في الشجرة يلتمس مخرجا فاتبعه بصره
ساعة ثم لم يدر كم صلى فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما اصابه من الفتنة ثم قال يا رسول الله هو
صدقة فضعه حيث شئت رواه مالك عن عبد الله بن ابي بكر وعن رجل ان رجلا صلى في حايط له والنخل
مطوقة بثمرها فنظر اليه فاعجبه فلم يدر كم صلى فذكر ذلك لعثمان وقال هو صدقة فاجعله في سبيل الله
فباعه عثمان بخمسين الفا وكانوا يفعلون ذلك قطعا للمواد الفكرية وكفارة لما جرى من نقصان
لها الصلاة بسببه فاذا اردت الخلاص من الافات فاقلع شجرة الشهوات فانها اذا تفرعت فاغصانها
انجذبت اليها الافكار انجذاب العصافير الى الاشجار فلا تطمعن ان تصفو لك لذة المناجاة في
الصلاة مع تلك الشهوات قال حجة ان في مراتب العبادة عمل الباطن الا انه النافع في مقام الزيادة
للسعادة فورد اقم الصلاة لذكري اي ان اذكرك او لان ذكرتها ابايكم ولذكر الله اكبر فاذكروني
نه اذكركم او وقت ذكركم صلاتي وفي الاحياء ظاهر الامر للوجوب والغفلة تضاد الذكر فمن غفل في جميع صلاته
بوا كيف يكون مقيما للصلاة لذكره وقوله سبحانه ولا تكن من الغافلين نهي وظاهره التحريم لا تقربوا
الصلاة وانتم سكارى اي من حب الدنيا او جاري في غيره الاول او من كثرة الهموم بما الم المغموم
ولذا ورد من جعل الهموم هما واحدا هم الدين كفاه الله هم الدنيا ولا حق وقوله حتى تعلموا ما تقولون
تعليل لنهي السكران وهو مطرد في الغافل المستغرق الهم بالوسواس وافكار الدنيا واشتغال الناس
لا ينظر الله الى صلاة اي نظر قبول ورحمة او نظر عناية وعناية لا يحضر الرجل قلبه فيها مع بدنه
اي عند عبادة ربه لم اجد له اصلا بهذا اللفظ قاله العراقي ان العبد ليصلي الصلاة وانما يكتب له عقل
منها وفي الاحياء ليس للعبد من صلاته الا ما عقل منها قال العراقي لم اجده مرفوعا وروى محمد بن نصر المروزي
في كتاب الصلاة من رواية عثمان بن ابي دهرش مرسلا لا يقبل الله من عبد عملا حتى يشهد قلبه مع

بدنه رواه ابو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابي بن كعب وقال ابن المبارك في الزهد
موقوفا على عمار لا يكتب للرجل من صلاته ما سهى عنه والتحقيق فيه ان المصلي يناجي ربه متفق عليه
والكلام مع الغفلة ليس بمناجاة البتة فمتى يكون في قوله اهدنا الصراط داعيا وسائلا اذا كان
قلبه متلهيا وغافلا وورد كم من قائم حظه من صلاته التعب والنصب ما اراد به الا الغافل كذا في الاحياء
وقال العراقي رواه النسائي وابن ماجه من حديث ابي هريرة رب قائم ليس له من قيامه الا السهر
ولاحمد رب قائم حظه من صلاته السهر واسناده حسن بهذا اي خذ هذا الا ان مر بهذا وانما يكون
القول كالقراءة ونحوها والفعل كالركوع والسجود عبادة للمعنى في القول والتعظيم في الفعل دون اللفظ
اي مجرد تلفظ اللسان باللسان والحركة اي التحرك بالجوارح والاركان فقط قال بعض اهل الشان
في معرض هذا البيان شعر ان الكلام لفي الفؤاد وانما ** جعل اللسان على الفؤاد دليلا ** قيل لما
سمع الجنيد هذا اعاد صلاة ثلثين سنة صلاها بلا حضور الجنان وفي الاحيا لو حلف انسان والله
لاشكرن فلانا ولا اثنين عليه ولا سالنه حاجة ثم جرت هذه الالفاظ الدالة على المعاني على لسانه
في النوم لم يبر في يمينه وكذا لو جرى على لسانه في ظلمة وذلك الانسان حاضر وهو لا يعرف حضوره ولا
يراه لا يصير بارا في يمينه اذ لا يكون كلامه خطابا ونطقا معه ما لم يكن حاضرا في قلبه فلو كانت تجري
هذه الكلمات على لسانه وهو حاضر في بياض النهار الا انه غافل لكونه مستغرق الهم بفكر من
الافكار ولم يكن له قصد توجيه الخطاب اليه عند نطقه لم يصر بارا في يمينه ولا شك في ان المقصود من
القراءة والاذكار والحمد والثناء والتضرع والدعاء والمخاطب هو الله تعالى وقلبه بحجاب الغفلة محجوب
عنه فلا يراه ولا يشاهده بل هو غافل عن المخاطب ولسانه يتحرك بحكم العادة فما ابعد هذا عن
المقصود بالصلاة التي شرعت لتصقيل القلب وتجديد ذكر الرب فان قلت فعلى هذا الذي ذكرته
من جعل القول والفعل للمعنى والتعظيم تبطل الصلاة دون الحضور اي عند عدم حضور القلب حيث
جعلته شرطا في صحتها وهو خلاف الاجماع اي اتفاق الفقهاء لما سياتي من مخالفة بعض العلماء فالمراد
اتفاق الجمهور فانهم لم يشترطوا حضور القلب في صحتها الا عند التكبيرة الاولى المقرونة بالنية الا على
قلت انه اي ادعاء الاجماع ممنوع والاتفاق مدفوع لبطلانها عند سفيان اي الثوري في رواية اي
كما نقل بشر بن الحارث فيما روى عنه ابو طالب المكي عن الثوري انه قال من لم يخشع قلبه في صلاته
فسدت صلاته قلت ويؤيده قوله تعالى قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون وعن الحسن
اي البصري انها اي الصلاة بلا حضور القلب توجب العقوبة قلت واي عقوبة اقوى من الغفلة وقد
قيل الحجاب اشد العذاب قال تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون وفي الاحيا روي عن الحسن انه قال
كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي الى العقوبة اسرع وفيه ان الصلاة تشترط فيها النية ولا تحصل
النية الا بحضور الطوية واما استيجاب الحضور فغير مفهوم منه كلام على ما فيه فيمكن الجمع بين
قولهما المذكور وبين قول الجمهور وعن معاذ بن جبل انه قال من عرف من على يمينه وشماله متعمدا وهو في الصلاة

الصلاة فلا صلاة له اي كاملة وروى ايضا مسندا كذا في الاحياء وسكت عنه العراقي وقال عليه السلام
ان العبد ليصلي الصلاة لا يكتب له منها سدسها ولا عشرها وانما يكتب للعبد من صلاته ما عقل
منها ابو داود والنسائي وابن حبان من حديث عمار بن ياسر بنحوه ولكن منافي الصحة الا ان يوجه
هذا جواب اخر وبيانه ان الفقهاء لا يتصرفون في الباطن ولا مطلع لهم على ما في القلوب ولا يتكلمون في طريق
الاخرة بل يبنون ظاهر احكام الدنيا على ظاهر اعمال الجوارح فظاهر الاعمال كاف لسقوط تعزير
السلطان فاما انه هل ينفع في الاخرة فليس هذا من حدود الفقه وعن عبد الواحد بن زيد رحمه الله
وقوع الاجماع على عدم النفع الا النفع الكامل قال الحجة فجعله اجماعا وما نقل من هذا الجنس عن الفقهاء
المتورعين وعن علماء الاخرة اكثر من ان يحصى والحق الرجوع الى ادلة الشرع وهذا معنى قوله ولا ان
اشتراط الشرع اياه اي الحضور ظاهر غير ان مقام الفتوى في تكليف الظاهر على حسب قصور الخلق
بفتح الحاء والسين اي تقيد تقيدت فلو اشترط الحضور للجواز اي لصحة الصلاة لو نفوا اي الجمهور
في حرج اي عظيم يؤدي الى المحظور بعجزهم عن كمال الحضور وادى اي ولا فضى اشتراطه الى تركها اصلا
وهو المحذور وهو التضييع اي في مقام التدقيق فانه لا يمكن ان يشترط على الناس كلهم احضار
القلب في جميع الصلاة فان ذلك يعجز عنه كل البشر الا قليلين واذا لم يمكن اشتراط الاستيعاب
للضرورة فلا مرد له ان يشترط منه ما ينطلق عليه الاسم ولو كان الا لحظة واحدة واولى اللحظات به
اول الصلاة فاقتصر على التكليف لذلك ومع ذلك نرجو ان لا يكون حال الغافل في جميع صلاته مثل حال
تارك الصلاة بالكلية فانه بالجملة اقدم على الفعل ظاهرا واحضر القلب لحظة وكيف لا والذي يصلي مع
الحدث ناسيا فصلاته باطلة عند الله تعالى ولكن له اجر ما بحسب فعله على قدر قصوره وعذره وعلى
هذا الرجاء فنخشى ان يكون حال الغافل اشد من حال التارك وكيف لا والذي يحضر للخدمة ويتهاون
بالحضرة ويتكلم بكلام الغافل المستحقر اشد حالا من الذي يعرض عن الخدمة ويتهاون بالحضرة فاذا
تعارض اسباب الخوف والرجاء وصار الامر مخطرا فاليك الخيرة بعدها في ترك الاحتياط والتساهل ومع هذا — في نفيه
فلا مطمع لاحد في مخالفة الفقهاء فيما افتوا به من الصحة مع الغفلة فان ذلك من ضرورة الفتوى ان نشأت
من عموم البلوى هذا وروي من احب غير الله ان تصفو له صلاته عن الخواطر المذمومة فان من احب شيئا
اكثر من ذكره كما ورد في الخبر فذكر المحبوب يهجم على القلب بالضرورة فتدبر فخذ ما صفا ودع ما كدر ثم من
امعن اي اشبع النظر اي اشبع الفكر فيما ورد ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وانما الصلاة تمسكن
وتواضع وتضرع حيث جاء بصيغة الحصر رواه الترمذي والنسائي من حديث الفضل بن العباس باسناد
مضطرب علم ان كمال الصلاة هو الحضور اي كمال الشعور وان صلاة الغافل لا تمنع عن الفحشاء
وقد انقسم الناس الى غافل يتم صلاته ولم يحضر قلبه في لحظة منها والى من يتمها ولم يغب قلبه في لحظة عنها
بل ربما كان مستوعب الهم بها بحيث ليس يحس بما يجري بين يديه ومنهم من كان لم يحس مسلم بن يسار بسقوط
اسطوانة في المسجد اجتمع الناس عليها وبعضهم حضر الجماعة مدة ولم يعرف قط من على يمينه وشماله وكان

وجيب قلب ابراهيم عليه السلام يسمع من ميلين وجماعة كانت تصفر وجوههم وترتعد فرائصهم
بها اي معنى هذا او خذ بهذا او ان وليا انما يكونون مشغوفين بها اي في الصلاة مع حضورها ودوام نورها
لا سيما في السجود فانه اقرب مقام الى واجب الوجود وصاحب الكرم والجود على حسب الصفا اي على
تفاوت درجات ارباب الوفا ومن هنا قال بعض العارفين يحشر الناس يوم القيامة على هيئاتهم في الصلاة
من الطمأنينة والهدوء ومن وجود النعيم واللذة ويؤيده ما ورد انه يحشر على ما مات عليه ويموت على ما عاش
عليه وقد قيل كما تعيشون تموتون وكما تموتون تحشرون ثم اعلم ان كل ما يشغله عن صلاته فهو ضد دينه
فليتخلص منه باخراجه عن طينه ليقوم في مرتبة يقينه كما روي عنه عليه السلام انه لبس خميصة التي اتاه
بها ابو الجهم وعليها علم وصلى فيها ونزعها بعد صلاته وقال اذهبوا بها الى ابي الجهم فانها الهتني
عن صلاتي واتوني بانبجانية ابي جهم متفق عليه من حديث عائشة وامر صلى الله عليه وسلم بتجديد شراك
نعله ثم نظر اليه في الصلاة اذ كان جديدا فامر ان ينزع عنها ويرد الشراك الخلق فيها ابن المبارك
في الزهد من حديث ابي النضر مرسلا باسناد صحيح وكان عليه السلام قد احتذى نعلا فاعجبه
حسنها فسجد وقال تواضعت لربي كي لا يمقتني ثم خرج بها فدفعها الى اول سائل لقيه ثم امر علي ان
يشتري له نعلين سبتيتين جرداوين فلبسهما ابو عبد الله بن خفيف في شرف الفقراء من حديث عائشة
باسناد ضعيف وكان في يده خاتم ذهب قبل التحريم وكان على المنبر فرماه وقال شغلني هذا نظرة اليه
ونظرة اليكم كذا في الاحياء وقال العراقي اخرجه النسائي من حديث ابن عباس باسناد صحيح وليس فيه
بيان ان الخاتم كان ذهبا وان فضه انما هو مطلق والحاصل ان الاكابر اجتهدوا ان يصلوا ركعتين
ولا يحدثون انفسهم بشيء من امور الدنيا فعجزوا عن ذلك فاذا لا مطمع لامثالنا [illegible]
وليته سلم من الصلاة شطرها او ثلثها من الوسواس والخواطر المتعلقة بالناس فيكون ممن خلط
عملا صالحا واخر سيئا وعلى الجملة فهمة الدنيا وهمة الاخرة في القلب مثل الماء الذي يصب في قدح مملو
فيه خل فبقدر ما يدخل فيه من الماء يخرج الخل لا محالة فلا يجتمعان والله المستعان ومنها اي ومن
انواع الورد قراءة القرآن فورد خيركم من تعلم القرآن وعلمه البخاري من حديث عثمان ومن قرأ القرآن
ثم رأى ان احدا اعطي افضل مما اوتي فقد استصغر ما عظمه الله الطبراني من حديث عبد الله بن عمرو بسند
ضعيف ولعله مقتبس من قوله سبحانه وتعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم لا تمدن
عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم ومن هنا قال الفضيل ينبغي لحامل القرآن ان لا يكون له الى احد حاجة
ولا الى الخلفاء فمن دونهم ويؤيده حديث من لم يستغن بالقرآن فليس منا اي لم يستغن به عن غيره ح
من شغله القرآن عن ذكري ومسألتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين الترمذي من حديث ابي سعيد وقال
حسن غريب افضل عبادة امتي قراءة القرآن ابو نعيم من حديث النعمان بن بشير اهل القرآن اهل الله وخاصته
النسائي وابن ماجه والحاكم من حديث انس باسناد حسن ومعناه اي القراء ان تولوا بتمامهم وحشة الدنيا
الى بذكر العقبى والدرجات الحسنى وقضاهم الشوق الى المولى الى المناجاة والمكالمة معه تعالى فيه ينتهي

ينتهي به الى الشوق وزيادة الذوق الى قرب الى على ضبط احكام العبودية بحفظ حقوق مقام الربوبية
وبه ضاء اي يتطهر ويتطيب باي طيب كان او يتنظف في جميع الاركان ويتأدب اي بقدر الامكان
ويجوز ان يضطجع وقرأ الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم قال علي رضي الله عنه من قرأ
القرآن وهو قائم في الصلاة فله بكل حرف خمسون حسنة ومن قرأ في غير الصلاة وهو على وضوء فخمس وعشرون
ومن قرأ على غير وضوء فعشر حسنات وعن علي اقرأوا القرآن على كل حال وانت جنب ابو الحسن
بن صخر في فوائده والافضل في الليل لانه اقرب الى النيل فالقلب فيه افرغ قال تعالى ان ناشئة
الليل هي اشد وطئا واقوم قيلا ان لك في النهار سبحا طويلا اي شغلا كثيرا ومن المصحف افضل فهو
يضعف الاجر لان عمل الجوارح اي من اللسان والعين والاذن والمعنى لزيادة حظ النظر من الحواس
وافادة نقص الوسواس من اشتغال الناس ومع هذا لا بد من حضور القلب ومشورته بكلام فقد قيل
الختمة في المصحف بسبع وقد خرق عثمان مصحفين لكثرة قراءته فيهما وكان كثير من الصحابة يقرؤون القرآن
من المصحف ويكرهون ان يخرج يوم ولم ينظروا في المصحف ودخل بعض فقهاء مصر على الشافعي في السحر
وبين يديه المصحف فقال شغلكم الفقه عن القرآن اني لاصلي العتمة واضع المصحف بين يدي
فلا اطبقه حتى اصبح وقد ورد اعطوا اعينكم حظها من العبادة والنظر في المصحف والتفكر فيه والاعتبار
عند عجائبه الحكيم الترمذي والبيهقي عن ابي سعيد وتستظهره اي وتحتفظه ان تحفظه غيبا وتضبطه
قلبا كما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم واكثر الصحابة رعاية لقوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون
وقد قيل لكن حافظا نقيا ان مصحفا نقيا فورد فيه اي في الاستظهار تخفيف العذاب على الوالدين
وان كانا مشركين لم اجده وقد روى ابو داود عن سهل بن معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن
وعمل بما فيه البس والداه تاجا يوم القيامة ضوؤه احسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا لو كانت فيكم
فما ظنكم بالذي عمل بما فيه وفي رواية البس والداه حلة لا يقوم لها الدنيا وما فيها وورد اقرأوا القرآن
فان الله تعالى لا يعذب قلبا وعى القرآن تمام في فوائده عن ابي امامة مرفوعا لو كان القرآن في
اهاب ما مسته النار احمد والدارمي والطبراني وان نسيه فورد انه يذنب اي ذنب كبير فمعوجبا ان وزر
آية فيه لان الكلام في قوة ليس نسيان القرآن بذنب ونظيره قوله تعالى او لم يروا ان الله الذي خلق السموات
والارض ولم يعي بخلقهن بقادر وقد يقال انه الحق المصدر واراد به الفاعل على طريقة رجل عدل
اي فورد انه مذنب وفي نسخة يذنب اي يصير ذا ذنب عظيم وروي من اعظم الذنوب ان يتعلم الرجل
آية من القرآن ثم ينساه قيل وقد يتأول قوله تعالى في حقه ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة
اعمى قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى مع ان
العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ونسيانه عندنا محمول على انه لم يقدر ان يقرأ نظرا وعند الشافعي
ومن تبعه ان ينسى غالبه حفظا وهو كبيرة اتفاقا ولا يختم في اقل من ثلاثة ايام فورد انه لم يفقه
ولفظ الحديث من قرأ القرآن في اقل من ثلاث لم يفقهه رواه اصحاب السنن من حديث عبد الله بن عمرو وصححه

الترمذي وذلك لأن الزيادة عليه تمنع الترسل وتدفع ادراك معاني التنزيل وقد ورد قالت عائشة
لا سمعت رجلا يهذ القرآن هذا إن هذا اما قرأ ولا سكت وجاء في الأربعين وهو يناسب الأربعينات
الصوفية الصفية وقد ورد اقرأوا القرآن في أربعين الترمذي عن ابن عمرو ومنهم من يختم في الشهر مرة يقرأ
كل يوم جزءا من ثلاثين جزءا وورد اقرأ القرآن في كل شهر اقرأه في عشرين ليلة اقرأه في عشر اقرأه
في سبع ولا تزد على ذلك رواه الشيخان وأبو داود عن ابن عمرو وفي رواية الطبراني عنه اقرأ القرآن
في خمس وبعضهم قرأه في اليوم والليلة مرة وبعضهم مرتين وانتهى بعضهم الى الثلاث وفي اسبوع وقد
أمر النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عمرو أن يختم القرآن في كل سبع متفق عليه في حديثه وكان جماعة
من الصحابة يختمون القرآن في كل جمعة كعثمان وزيد بن ثابت وابن مسعود وأبي بن كعب ففي الختم
اربع درجات الختم في يوم وليلة وقد كرهه جماعة والختم في كل شهر وكأنه مبالغة في الاقتصار كما ان
الأول مبالغة في الاستكثار وبينهما درجتان معتدلتان احداهما الابرار احدهما في الاسبوع مرة
وهي الأولى والاحرى والثانية في الاسبوع مرتين تقريبا من الثلث وهو الرخصة في الكثرة والأحزاب اب
المروية سبعة أي الاوراد أي ثور سبعة أقسام ثلاث سور وهي بعد الفاتحة البقرة وآل عمران
والنساء ثم خمس وهي المائدة والأنعام والأعراف والأنفال والتوبة ثم سبع وهي يونس وهود ويوسف
والرعد وابراهيم والحجر والنحل ثم تسع وهي بني اسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء والحج والمؤمنون
والنور والفرقان ثم احدى عشر وهي الشعراء والنمل والقصص والعنكبوت والروم ولقمان والسجدة والأحزاب اب
وسبأ وفاطر ويس ثم ثلاث عشر وهي الصافات وص والزمر والحواميم السبع والقتال والفتح والحجرات
يعني كل مرتبة بزيادة سورتين ثم الباقي وهو ق الى الناس وينسب الى علي كرم الله وجهه انه اشار الى
هذا الترتيب الى مطابق الرموز حيث قال فمي بشوق فالفاء فاتحة الكتاب والميم المائدة والياء
يونس والباء بني اسرائيل والشين الشعراء والواو والصافات والقاف ق وقد قال العراقي تحزيب
القرآن على سبعة احزاب رواه ابو داود وابن ماجه من حديث اوس بن حذيفة قال اوس فسألت
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تحزبون القرآن قالوا ثلاث وخمس وسبع وتسع واحدى عشرة
وثلاث عشرة وحزب المفصل وفي رواية الطبراني فسألنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يجزئ القرآن فقالوا كان يجزئه ثلاثا فذكره مرفوعا باسناد حسن وكان عثمان
رضي الله عنه يبتدئ ليلة الجمعة فانها في الليالي افضل والقراءة بالليل امثل ويتم المائدة في ليلته او بقيته
يوم جمعة ثم هود اي يبتدئ به في ليلة السبت او يكون اي ثم مريم ثم طسم ثم ص ثم الرحمن ثم الباقي وهو يختم
ان يكون باجتهاده حيث لم يبلغه ما سبق مرفوعا او هو رواية اخرى عنه عليه السلام وان كان في
الظاهر موقوفا هذا اي التحزيب بهذا الترتيب للعامل ظاهر اي لمقام التهذيب من الصوم والصلاة والتلاوة وق
والاذكار اما صاحب التفكر اي المراعي لاحوال القلب وحضوره مع ربه فيعمل بحسب حاله اي ما يقتضيه من
الكثرة والقلة في قراءته كسائر افعاله فانه ان كان من العابدين السالكين بطريق العمل فلا ينبغي ان ينقص

عن ختمتين في الاسبوع وان كان من السالكين باعمال القلب وضروب الفكر او من المشتغلين بنشر
العلم فلا بأس ان يقتصر في الاسبوع على مرة وان كان نافذ الفكر في معاني القرآن ومباني الفرقان
فقد يكتفي في الشهر بمرة لحاجته الى كثرة الترديد والتأمل في الوعد والوعيد ورتل اي ترسل وتمهل التو قف
التدبر عليه وقد قال عز وجل كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب وكونه اقرب ب
الى التعظيم والتأثير اي بتعظيم الرب وتأثير القلب قال تعالى ورتل القرآن ترتيلا وهو المستحب في قراءته وقال
عز وعلا الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته وهو الترتيل فقد نعتت ام سلمة قراءة رسول الله
صلى الله عليه وسلم قراءة مفسرة حرفا حرفا ابو داود والنسائي والترمذي وقال حسن صحيح وقال ابن عباس
لأن اقرأ البقرة وآل عمران وارتلهما واتدبرهما احب الي من ان اقرأ القرآن كله هذرمة وقال ايضا لأن
اقرأ اذا زلزلت والقارعة اتدبرهما احب الي من ان اقرأ البقرة وآل عمران هذرا وابك فهو مستحب قال تعالى
حكاية عن الانبياء والصلحاء اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا وقال تعالى ان الذين اوتوا العلم
من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا ومن ثمة قال ابن عباس اذا قرأتم
سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فان لم تبك عين احدكم فليبك قلبه قلت وكذا اذا قرأ سجدة ه
مريم فلم يوجد البكاء او التباكي او الحزن على فقدهما فيرد ابكوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا
ابن ماجه من حديث سعد بن وقاص باسناد جيد فاذا قرأتموه فتحازنوا صدر الحديث ان القرآن
نزل بحزن فاذا قرأتموه فتحازنوا ابو يعلى وابو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر بسند ضعيف ويقويه
حديث ان الله يحب كل قلب حزين الطبراني والقضاعي بسند حسن عن ابي الدرداء مرفوعا ويؤيده قوله سبحانه
ان الله لا يحب الفرحين ويعضده حديث اقرأوا القرآن بالحزن رواه ابو يعلى وابو نعيم في الحلية والطبراني
في الاوسط عن بريدة وعن الحسن والله ما اصبح عبد يتلو هذا القرآن يؤمن به الا كثر حزنه وقل فرحه
وكثر بكاؤه وقل ضحكه وكثر نصبه وشغله وقلت راحته وبطالته وقال عليه السلام لابن مسعود اقرأ
علي قال فافتتحت سورة النساء فلما بلغت فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا رأيت ت
عيناه تذرفان بالدمع فقال لي حسبك الان وهذا اي وجه احضار الحزن انما يحصل بالتأمل في مواعيده
من التهديد والوعيد ومواثيقه من العهود كيدا والتقصير فيها اي في لوازمها من الاوامر والزواجر فيحزن ن
لا محالة ويبكي وان اي وان لم يحضره حزن وبكاء كما يحضر ارباب القلوب الصافية والصدور الوافية
فيبكي على فقد ان بكائه اي فليبك على فقد حزنه وبكائه فهو اعظم المصائب في مقام بلائه ويتعوذ في الافتتاح
اي ابتداء القراءة مطلق فقد ورد فاذا قرأت القرآن اي اردت قراءته وقيل بعد فراغه ولا منع من الجمع فاستعذ
بالله من الشيطان الرجيم والامر للاستحباب عند الجمهور وقيل للايجاب ويفتتح اي يبتدئ ختمة اخرى
عند الختم اي الختمة الاولى رغما للشيطان اي وارضاء للرحمن ولقوله تعالى فاذا فرغت اي من عبادة فانصب
اي فاتعب في اخرى ولان خروجه خير لكن الاولى خصوصا ثوابه مروي مشهور عن زرارة بن اوفى عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه سئل اي الاعمال افضل فقال عليه السلام الحال المرتحل اي عمله فقيل ما الحال المرتحل قال الخاتم

المفتتح وفي رواية فتح القرآن وختمه صاحب القرآن يضرب من اوله الى اخره ومن اخره الى اوله كلما حل ارتحل رواه البيهقي في شعب الايمان بسند مرفوعا ولفظ عليكم بالحال المرتحل ووافقه الطبراني في مسند فينبغي انه اذا اقرا سورة الناس ان يقرا سورة الفاتحة وصدر سورة البقرة الى هم المفلحون ويدعو بما كان يقوله عليه السلام عند ختم القرآن اللهم ارحمني بالقرآن واجعله لي اماما ونورا وهدى ورحمة اللهم ذكرني منه ما نسيت وعلمني منه ما جهلت وارزقني تلاوته آناء الليل والنهار واجعله حجة لي يا رب العالمين ابو منصور المظفر بن الحسين الارجاني في فضائل القرآن وابو بكر بن الضحاك في الشمائل كلاهما من طريق ابي ذر الهروي من رواية داود بن قيس معضل ويسال الامر جواب مرعلية ويتعوذ عن مخوف اي اذا وصل اليه او قرئ لديه ويوافق ذكرا اي فيذكر بعده او كذا يوافق تسبيحا وتكبيرا كما اذا قرا يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا فيذكر ثلث مرات او آيته ويسبح كذلك او دعا كما اذا قرا ادعوني استجب لكم واجيب دعوة الداع اذا دعان وكذا استغفر في مقام يليق به كقوله تعالى واستغفروا ربكم انه كان غفارا اذ الكل مامور بل مروي مذكور قال حذيفة صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فابتدا سورة البقرة وكان لا يمر باية عذاب الا استعاذ ولا باية رحمة الا سال ولا باية تسبيح الا سبح رواه مسلم بالاختلاف في لفظه وتعبيره ويخفي القراءة ان خاف الريا اي على نفسه او تشويش مصل في محضره والا فيجوز الجهر به لتلذذ الاذان بسببه وحصول الاستماع لغيره فورد تفضيل عمل السر على العلانية بسبعين ضعفا البيهقي في الشعب من حديث عايشة وفضل قراءة السر على قراءة العلانية كفضل صدقة السر على العلانية وفي لفظ الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة ابو داود والنسائي والترمذي وحسنه من حديث عقبة بن عامر وخير الرزق ما يكفي وخير الذكر الخفي احمد وابن حبان من حديث سعد بن ابي وقاص وفي الخبر لا يجهر بعضكم على بعض في القراءة بين المغرب والعشاء كذا في الاحياء وقال العراقي رواه ابو داود من حديث البياضي دون قوله بين المغرب والعشاء وللبيهقي في الشعب من حديث علي قبل العشاء وبعدها وفيه الحارث الاعور وهو ضعيف وسمع سعيد بن المسيب ذات ليلة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم عمر بن عبد العزيز يجهر بالقراءة في صلاته وكان حسن الصوت فقال لغلامه اذهب الى هذا المصلي فمره ان يخفض من صوته فقال الغلام ان المسجد ليس لنا وللرجل فيه نصيب فرفع سعيد صوته وقال يا ايها المصلي ان كنت تريد الله عز وجل فاخفض صوتك وان كنت تريد الناس فانهم لن يغنوا عنك من الله شيئا فسكت عمر وخفف ركعته فلما سلم اخذ نعليه وانصرف وهو يومئذ امير المدينة والا اي وان لم يكن خوف ريا ولا تشويش مصل فيجهر اي جوازا او استحبابا فخصوصية الفلك اي يوقظ قلب القارئ ويجمع الهمة في ذكر الرب البارئ ويصرف السمع اليه اي فيتلذذ باستماعه لديه ويزيد في النشاط اي نشاط المشتغل اليه ويوقظ الرقود اي النائم في اول الليل واخره فيكون هو سبب احيائه وباعث ذكره ودعائه ويرغب في العبادة اي من يسمعه من اهل الطاعة والسعادة فورد ان الملائكة صدر الحديث اذا قام احدكم من الليل يصلي فليجهر بقراءته فان الملائكة اي الحفظة وعمار

وعمار الدار بضم العين وتشديد الميم جمع عامر اي سكنتها من مسلمي الجن يستمعون قراءته ويصلون بصلاته رواه بنحوه بزيادة فيه ابو بكر البزار ونصر المقدسي في المواعظ من حديث معاذ بن جبل وهو حديث منكر ومنقطع والمتعدي اي العمل الذي يتعدى ثوابه الى الغير افضل من العمل اللازم القاصر على صاحبه وقد تقدم ايضا عن الحجة فيما حضره شيء من النيات المتقدمة فالجهر افضل وان اجتمعت النيات المتعددة ايضا عن الحجة والتوبة وبكثرة النيات في العبادات يزكو عمل الابرار ويزيد في الدرجات وان حسن في السر بالجهر النظر الى صلاح القلب اي في حضوره مع الرب [illegible] عليه السلام ابا بكر يخافت اي يسر او عمر في الجهر رضي الله عنهما بعد الفحص على النية روي انه عليه السلام مر على ثلثة نفر من اصحابه مختلفي الاحوال فمر على ابي بكر وهو يخافت فساله عن ذلك فقال ان الذي اناجيه هو يسمعني ومر على عمر وهو يجهر فساله عن ذلك فقال اوقظ الوسنان وازجر الشيطان ومر على بلال وهو يقرا آيا من هذه السورة وآيا من هذه السورة فساله فقال اخلط الطيب بالطيب فقال كلكم قد احسن ابو داود من حديث ابي هريرة باسناد صحيح نحوه وفي رواية انه عليه السلام قال لابي بكر لم خفضت صوتك فقال اسمعت من ناجيت فقال لعمر لم رفعت صوتك فقال اوقظ الوسنان واطرد الشيطان فقال لابي بكر ارفع قليلا وقال لعمر اخفض قليلا وهو المناسب دليل لقوله سبحانه ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا ولعله عليه السلام دعاهما لمقام جمع الجمع فان الصديق كان كان في جمع الصرف والفاروق في منع التفرقة وقيل ليكون كل منهما عاملا الا بمتابعته في جميع حاله ويحسن الصوت اي يزيد الصوت من غير تمطيط مفرط يغير النظم به اي بالقرآن فورد ما اذن الله لشيء اي ما استمع او قبل واقبل اذنه بفتحتين منصوب لشيء اي من المسموعات اي مثل سماعه وقبوله واقباله لحسن الصوت بالقرآن متفق عليه من حديث ابي هريرة بلفظ ما اذن الله لشيء ما اذن لنبي يتغنى بالقرآن زاد مسلم لنبي حسن الصوت وفي رواية كاذنه لنبي يتغنى بالقرآن وقال عليه السلام زينوا القرآن باصواتكم (زينوا اصو) ابو داود والنسائي وابن ماجه والحاكم وصححه من حديث البراء بن عازب وقال من لم يتغن بالقرآن فليس منا اي من لم يترنم وهو اقرب لمعنى الاستغناء وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ليلة ينتظر عايشة فابطات عليه فقال ما حبسك قالت يا رسول الله كنت اسمع قراءة رجل ما سمعت احسن صوتا منه فقام عليه السلام حتى استمع اليه طويلا ثم رجع فقال هذا سالم مولى ابي حذيفة الحمد لله الذي جعل في امتي مثله ابن ماجه من حديث عايشة ورجال اسناده ثقات واستمع عليه السلام ايضا ذات ليلة الى عبد الله بن مسعود ومعه ابو بكر وعمر فوقفوا طويلا ثم قال من اراد القرآن غضا كما انزل فليقرا على قراءة ابن ام عبد (ان يقرا) احمد والنسائي في الكبرى من حديث عمر والترمذي وابن ماجه من حديث ابن مسعود ان ابا بكر وعمر بشراه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احب ان يقرا القرآن الحديث قال الترمذي حسن صحيح وقال عليه السلام لابن مسعود اقرا علي فقال يا رسول الله اقرا عليك وعليك انزل فقال اني احب ان اسمعه من غيري فكان يقرا ورسول الله صلى الله عليه وسلم عيناه تفيضان متفق عليه من حديث ابن مسعود واستمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قراءة ابي

موسى تعالى لقد اوتي هذا مزمارا من مزامير آل داود متفق عليه من حديث ابي موسى ومن الخبر كان
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اجتمعوا امروا احدهم ان يقرأ سورة من القرآن وقال
عليه السلام من استمع الى آية من كتاب الله كتب له حسنة مضاعفة ومن تلاها كانت له نورا يوم القيامة
احمد من حديث ابي هريرة مكتفيا على الترغيب اي على قدر الرغبة والتاثير اي وتاثير النفس فورد
اقرؤوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم ولانت له جلودكم فاذا اختلفتم فلستم تقرؤونه وفي بعضها فاذا
اختلفتم فقوموا عنه كذا في الاحياء وقال العراقي متفق عليه من حديث جندب بن عبد الله البجلي باللفظ
الثاني دون قوله ولانت جلودكم فكلمات ولعل الحديث مقتبس من قوله تعالى الله نزل احسن الحديث كتابا
متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وورد ان من احسن
الصوت بالقرآن الذي اذا سمعته يقرأ رأيت انه يخشى الله تعالى ابن ماجه من حديث جابر بسند ضعيف ولا
يسمع القرآن من احد اشهى منه ممن يخشى الله تعالى الحاكم ابو عبد الله غير معرب نظمه اي مبناه بتغيير مخارج حروفه
وصفاتها وتبديل حركاتها وسكناتها وزيادة في مداتها وكيفياتها ولا مراعي قواعد الموسيقى
في نغماتها المذموم في الشريعة المنسوب الى المبتدعة بل الى الكفرة الفجرة كما يشير اليه قوله تعالى افمن هذا الحديث
تعجبون وتضحكون ولا تبكون وانتم سامدون اي مغنون او هامدون او جامدون ولا مشتغلا عن
التدبر الى آية ولا آية من قصص رسله وانبيائه وانواع بلائه ولا آلائه ثم الاهلاك لاعدائه
ولا نجاة احبائه وعن التامل في احكامه من اوامره وزواجره والتفكر في مبدا امره ومنتهى عمره وهوا قد
القيامة واهوالها ودرجات الجنة وحسن آمالها ومنازلها ودركات النار واصناف اهوالها وبعظمه
اي كما كان يكثر منه ابن ابي جهل اذا نشر المصحف غشي عليه ويقول هو كلام ربي هو كلام ربي فورد
لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله وتمام الآية وتلك الامثال
نضربها للناس لعلهم يتفكرون من قرأ القرآن فرأى ان احدا اوتي افضل مما اوتي فقد استصغر
ما عظمه الله اي واستعظم ما صغره الله وقد سبق الكلام على مبناه ومعناه وبحضور القلب في التلاوة وه
كما سبق في حق الصلاة انه الاصل في معرفة الرب وبه فسر ما ورد في التنزيل يا يحيى خذ الكتاب بقوة
اي بقوة القلب وحضوره في مكتب الرب وبتدبر فورد في التنزيل ليدبروا آياته تمامه وليتذكر
اولوا الالباب فالتدبر سبب التذكر وكان اهتمامهم بالفقه اي الدراية دون التلفظ اي كثرة
القراءة والرواية وقال بعضهم لا اجعل عبادة لا فقه فيها ولا قراءة لا تدبر فيها وقال بعضهم كل آية
لا اتفهمها ولا يكون قلبي فيها لا اعد لها ثوابا وقد روي عن عامر بن قيس انه قال الوسواس يعتريني بني
في الصلاة فقيل له في امر الدنيا فقال لان يختلف في الاسنة احب الي من ذلك ولكن يشتغل قلبي بموقفي
بين يدي ربي واني اذهب وكيف انصرف قال الحجة فانظر كيف عد ذلك وسواسا وهو كذلك لانه يشغله
عن فهم ما يتلوه والشيطان لا يقدر على مثله الا ان يشغله بمهم ديني ولكنه يمنعه عن الافضل ولما
ذكر للحسن تعالى ان كنتم صادقين عند ما اصطنع الله ذكر عندنا بهذا وقد كثر اعتناء الصحابة بالقرآن كله

من حيث معناه دون حفظ مبناه حتى لم يستظهره اي لم يحفظه جميعه الا بضعة عشر صحابيا من اكابر
الصحابة واجلهم في القراءة كالخلفاء الاربعة وابي بن كعب وابن مسعود وزيد بن ثابت وسالم
مولى ابي حذيفة وفي الاحياء مات رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عشرين الف من الصحابة لم يحفظ القرآن
منهم الا ستة اختلف منهم في اثنين قال العراقي قوله مات عن عشرين الف من الصحابة لعله اراد بالمدينة
والا فقد روينا عن ابي زرعة الرازي انه قال قبض عن مائة الف واربعة عشر الف من الصحابة ممن
روى عنه وسمع منه انتهى واما من حفظ القرآن في عهده ففي الصحيحين من حديث انس قال جمع القرآن على
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعة كلهم من الانصار ابي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد وابو زيد
قلت من ابو زيد قال احد عمومتي وزاد ابن ابي شيبة في المصنف من رواية الشعبي مرسلا وابي الدرداء وسعيد
بن عبيد وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو استقرئوا القرآن من اربعة من عبد الله بن مسعود وسالم
مولى ابي حذيفة ومعاذ بن جبل وابي بن كعب بل الاكثر منهم لم يحفظ الا سورة كالبقرة او سورتين كالزهراوين زين
وكان الذي يحفظ البقرة والانعام من علمائهم وروى ابن الانباري بسنده الى عمر قال كان الفاضل
من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في صدر هذه الامة لا يحفظ من القرآن الا السورة او نحوها الحديث وسنده
ضعيف وللترمذي وحسنه من حديث ابي هريرة قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثا وهم ذوو عدد
فاستقرأهم فاستقرأ كل رجل ما معه من القرآن فاتى على رجل من احدثهم سنا فقال ما معك يا فلان قال
معي كذا وكذا وسورة البقرة فقال امعك سورة البقرة قال اذهب فانت اميرهم الحديث ويردده مرارا الى
من حق القراءة ان يكرر المقروء مرة بعد مرة فقد قام عليه السلام ليلة بآية واحدة يرددها وهي ان
تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم النسائي وابن ماجه بسند صحيح عن ابي ذر وقرأ
عليه السلام مرة بسم الله الرحمن الرحيم فرددها عشرين مرة ابو ذر الهروي في معجمه عن ابي هريرة بسند
ضعيف وقام تميم الداري ليلة بهذه الآية ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين امنوا
وعملوا الصالحات الآية وقام سعيد بن جبير ليلة يردد هذه الآية وامتازوا اليوم ايها المجرمون ويتفهم
بان يتكلف ضبط مبانيه وفهم معانيه ويستوضح من كل آية ما يليق بها اذ القرآن يشتمل على ذكر ذات الله
وصفاته وافعاله ومصنوعاته وذكر احوال انبيائه واوليائه وبيان مآل اعدائه وذكر اوامره وزواجره
وبيان درجات جنته ودركات نيرانه وهو يتفاوت بحسب صفاء الباطن والانوار وظهور المكاشفة
للقلب والاسرار فورد ان للقرآن ظهرا وبطنا تمامه وحدا ومطلعا ابن حبان في صحيحه من حديث ابن مسعود
وروي عن ابن مسعود مرفوعا ايضا ان القرآن انزل على سبعة احرف لكل آية منها ظهر وبطن ولكل
حرف حد ومطلع فالظاهر تلاوة المبنى والباطن تفهم المعنى والحد احكام الاحكام والمطلع ما ينكشف
منه المرام بعد هذا المقام واخرج النسائي من رواية ابي جحيفة قال سألنا عليا رضي الله عنه فقلنا هل عندكم
من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء سوى القرآن فقال لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة الا ان يعطي الله عبدا
فهما في كتابه الحديث وهو عند البخاري بلفظ هل عندكم شيء ما ليس في القرآن وقال مرة ما ليس عند الناس بعقه

العبد اي كل الفقه حتى يرى للقرآن وجوها كثيرة قال ابو الدرداء لا يفقه الرجل حتى يجعل للقرآن وجوها
وعن الامام جعفر الصادق ان كتاب الله على اربعة اشياء العبارة والاشارة واللطائف والحقائق
فالعبارة للعوام والاشارة للخواص واللطائف للاولياء والحقائق للانبياء اقول وفي الكل منه
لا يعرف حقائق كلامه ودقائق مرامه غيره سبحانه بتمامه لان كلامه ازلي في نعته العلي وكماله لا نهاية
له ابدا ولا غاية لصفاته لان تحت كل حرف من حروفه بحارا من اسرار ونهرا من انهار انوار
وقد قال عز قائل ان الاعجاز معرفة من سواه ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة
ابحر ما نفدت كلمات الله اي طرائق مبانيها ولطائف معانيها ومن ثمة قال علي لو شئت ان اوقرت
سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب وقد قيل لا يكون المريد حتى يجد في القرآن كل ما يريد ويعرف منه النقصان
من المزيد ويستغني بالمولى عن العبيد ومن الحقائق لولا ان الشياطين يحومون على قلوب ابن ادم لنظروا الى
الملكوت ومباني القرآن من جملة الحديث رواه احمد عن ابي هريرة اقرؤوا القرآن فالتمسوا غرائبه ابن ابي
شيبة في مصنفه وابو يعلى الموصلي والبيهقي في شعبه من حديث ابي هريرة بلفظ اعربوا وسنده ضعيف
وعن ابن مسعود من اراد علم الاولين والاخرين فليثور القرآن بهذا وقد شرط الله عز وجل الانابة
في الفهم والتذكر في العلم فقال تبصرة وذكرى لكل عبد منيب وقال انما يتذكر اولوا الالباب والذي اثر غرور
الدنيا على سرور العقبى فليس من ذوي الالباب فلذا لا ينكشف له اسرار الكتاب وانوار الخطاب وقد ورد
اذا عظمت امتي الدينار والدرهم نزعت منها هيبة الاسلام واذا تركوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
حرموا بركة الوحي قال الفضيل يعني حرموا فهم القرآن كذا في الاحياء وقال العراقي رواه ابن ابي الدنيا في كتاب
الامر بالمعروف معضلا من حديث الفضيل بن عياض قال ذكر عن نبي الله صلى الله عليه وسلم وقد قال تعالى
واوحي الي هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ قال محمد بن كعب القرظي من بلغه القرآن فكأنما كلمه الرحمن وقال
بعض اهل الفضائل هذا القرآن رسائل اتتنا من قبل ربنا بعهوده نتدبرها في الصلوات ونقف
عليها في الخلوات وننفذها في الطاعات بالسنن المتبعات وكان مالك بن دينار يقول ما زرع القرآن
في صدوركم يا اهل القرآن ان القرآن ربيع المؤمن كما ان الغيث ربيع الارض وقال قتادة لم يجالس
هذا القرآن احد الا قام بزيادة او نقصان قال تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد
الظالمين الا خسارا ولذا قيل من لم يكن متصفا باخلاق القرآن اذا قرأ القرآن ناداه الله عز وجل
ما لك ولكلامي وانت معرض عني دع عنك كلامي ان لم تتب الي ومما يدل على ان مدار القرآن على فهمه والعمل
بامره ونهيه ما رواه ابو داود والنسائي في الكبرى وابن حبان والحاكم وصححه من حديث عبد الله بن عمرو قال
اتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اقرئني يا رسول الله فاقرأه اذا زلزلت الارض حتى فرغ منها
فقال الرجل والذي بعثك بالحق لا ازيد عليها ابدا ثم ادبر الرجل فقال عليه السلام افلح الرويجل افلح الرويجل
ولاحمد والنسائي في الكبرى من حديث صعصعة عم الفرزدق انه صاحب القصة وقال حسبي لا ابالي ان لا اسمع
غيرها هذا وعن جعفر الصادق والله لقد تجلى الله سبحانه لخلقه في كلامه ولكنهم لا يبصرون وقال الشيخ وقد سألوه

سألوه عن حالة لحقته في الصلاة حتى خر مغشيا عليه فلما سري عنه قيل له في ذلك فقال ما زلت اردد
الاية في قلبي حتى سمعتها من المتكلم بها فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته وكان رضي الله عنه يعبر ان الله
سبحانه جعل لسانه بمنزلة شجرة موسى عليه السلام وانه يؤدي في شأنه ما صدر من الكلام في ذلك المقام
ونقل الامام وغيره هنا قال بعض الحكماء كنت اقرأ القرآن فلم اجد له حلاوة حتى تلوته كأني اسمعه من رسول
الله صلى الله عليه وسلم يتلوه على اصحابه ثم رفعت الى مقام فوقه فكنت اتلوه كأني اسمعه من جبريل يلقيه على
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جاء الله بمنزلة اخرى فانا الان اسمعه من المتكلم به سبحانه فعندها
وجدت له لذة ونعيما لا اصبر عنه وقال عثمان وحذيفة لو طهرت القلوب لم تشبع من تلاوة القرآن
وعن ثابت البناني كابدت القرآن عشرين سنة وتمتعت بلذة المتكلم دون ما سواه يكون العبد ممتثلا
لقوله سبحانه ففروا الى الله قيل ليوسف بن اسباط اذا قرأت القرآن بما تدعو قال بماذا ادعو استغفر الله عز
وجل من تقصيري سبعين مرة فنستغفر الله مما سواه ولا نعبد الا اياه ولا نقصد في الدارين ما عداه واما
ما ورد من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار اي فليهيئ مكانه من نار جهنم رواه الترمذي من حديث
ابن عباس وحسنه وهو عند ابي داود في رواية ابن العبد وعند النسائي في الكبرى فمحمول اي وعيد على
القطع على مراده تعالى اذا لم يعلم انه مراده كما في الايات المتشابهات والالفاظ المشتركة في اللغات والا
فمن المعلوم ان قوله تعالى اقيموا الصلاة واتوا الزكاة اراد الله بهما العبادتين احدهما بدنية والاخرى
مالية خلافا لبعض الملاحدة من الصوفية حيث قالوا المراد بالصلاة وصل الصلات وبالزكاة طهارة
ه القلب عن الكائنات والاحتجاج لاثبات الهوى بان يكون له في الشيء رأي واليه ميل من طبعه وهواه
ح فيتأول القرآن على مقتضاه ليحتج على تصحيح غرضه ومدعاه ولو لم يكن له ذلك الرأي والهوى لكان لا يلوح
له من القرآن ذلك المعنى دون الاستنباط اي ان يحمل على الاستنباط المعاني من مدارك المباني في الايات
المحتملات لفقد السماع اي لعدم سماع جميع المعاني من رسول الله صلى الله عليه وسلم في تفسير السبع المثاني
الا في بعض ايات تعد نادرات في موافقات واختلاف انهم اي وان اختلف الصحابة والمفسرين على اقوال
اي مختلفة يمتنع التوفيق بينها اي لا يمكن الجمع بينها لتناقض مبانيها وتعارض معانيها فيعلم على القطع
ان كل مفسر قال من المعنى ما ظهر له باستنباط المبنى حتى قالوا في الحروف التي في اوائل السور سبعة اقاويل
مختلفة بل سبعين قولا غير مؤتلفة نورد لعلمه الذين يستنبطونه منهم الاية والعبرة لعموم اللفظ لا لخصوص
السبب فاثبت لاهل العلم استنباطا ومعلوم انه وراء السماع فجاز لكل واحد ان يستنبط من القرآن بقدر
فهمه وحد عقله بشروط تذكر في محلها لا يليق به ومن ذلك استخراج ابي بكر رضي الله عنه موت النبي صلى الله عليه
وسلم من قوله سبحانه اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي فان الكمال يشير الى الزوال كوصول الشمس الى
اي وسط السماء فهو استخراج للمعنى لا يفهم من ظاهر المبنى اللهم فقهه اي ابن عباس في الدين وعلمه التأويل النبي
من حديث ابن عباس فلو كان التأويل مسموعا كالتنزيل لما معنى تخصيصه بذلك ثم اذا كان الاستنباط ممنوعا
فينبغي ان لا يقبل ما يقوله ابن عباس وابن مسعود وغيرهما من قبل انفسهم على قدر فهمهم ويقال هو تفسير بالرأي

لانهم لم يسمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس كذلك فانهم كانوا اكثر القران كما تبين ان بقوله
عليه السلام ثم تبين بقول اصحابه الكرام واتباعهم العظام من العلماء الاعلام ويتخلى عن الموانع
اي ويجتنب عن موانع الفهم كتحقيق المخارج اي مخارج الحروف وتدقيق صفاتها واداء اللفظ من
ترقيق وتغليظ وروم واشمام ومد وقصر ووقف مراعاتها بالمبالغة في تحسين حالاتها والنهي من
الواجبات المتعلقة بالقراءة وقواعد الموسيقى اي ويتخلى عنها بان لا يلحن في القراءة لحنا جليا كما لا
ينبغي ان يلحن فيها لحنا خفيا في مقدمة الجزرية والاخذ بالتجويد حتم لازم * من لم يجود القران اثم *
لانه به الاله انزلا * وهكذا منه الينا وصلا * والاصرار على الذنب اي ويتخلى عن الاصرار على الكبائر
والصغائر فانه لا صغيرة مع الاصرار كما لا كبيرة مع الاستغفار وقد قال تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة
او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون
والاتصاف بالذميمة اي من الاخلاق الردية ومن الاحوال الدنية فورد اي في نعت القران تبصرة وذكرى اي تذكرة
لكل عبد منيب والانابة هي الرجوع عن الغفلة الى اليقظة كما ان التوبة الرجوع من المعصية الى الطاعة فهي
والاوبة اخص من التوبة ولذا جاء في وصف الانبياء والاولياء انه اواب … فاستغفر ربه وخر راكعا واناب ويقدر
اي يفرض القارئ ويقدر انه المراد في كل خطاب من الامر والنهي وغيرهما كالوعد والوعيد في كلام الباري
فورد في التنزيل واوحي الي هذا القران لانذركم به ومن بلغ … كما يناسب المرام لديه اقرأ القران
كانك تراه ما دام … عن الكسل والغفلة ونحوهما من المذمومات من الحديث مراده لم يفقه فلت تقرأه الطا
من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضعيف … ويقدر انه المراد في كل قصة مشتملة على نعمة ونقمة او محنة ومنحة
نحو للتثبيت فورد في التنزيل وكلا اي وكل ما نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به
فؤادك بدل من كل مرادا ان قلبه لا على يحتاج الى التثبيت فغيره اولى وورد اللهم يا مقلب القلوب
ثبت قلبي على دينك ويتاثر القارئ بما يحصل في حال القلب اي تقلبه بحسب المعنى اي بتفاوت معنى
كلام ربه فيفرح ويشتاق كلما … المرتب عنده اية رحمة وجنة وعذاب ونحوها من التوبيخ ويجاني صح
والتهديد والوعد والوعيد والانذار والابشار ويترقى فيه اي في مراتب التاثير من المقام الادنى الى المقام
الاعلى فالادنى اي في مقام الترقي تقديره انه يقرأ بين يديه تعالى اي كما يقرأ بين يدي معلمه قال تعالى الرحمن
علم القران فيعتقد انه سبحانه ناظر اليه وسامع لما يبدو لديه ويجري عليه فيعد لهذا الحال التملق والسؤال
والتضرع والابتهال ثم انه تعالى اي يقدر انه سبحانه يخاطبه اي من وراء الحجاب فيورثه الهيبة والعظمة وحقارة
نفسه ان يكون متكلما بكتابه او مستمعا لخطابه او واقفا بجنابه او متعلقا ببابه فيفيد التادب بادابه
ثم رؤية المتكلم بان قرأ اسم الذات كاسم الله والحق وصفاته كاسم الحي والعليم والسميع والبصير والمريد والقد ير
وافعاله اي كاسماء افعاله مما اثره محسوس في مخلوقاته كالمحيي والخالق والرازق والمصور والوهاب فالاو ن
اي منه الاحوال لاصحاب اليمين اي المطيعين من المسلمين وغيرها اي المراتب المذكورة من انواع … الترقي
للفائقين وقد تقدم تحقيق حصول الاحوال الكاملة للعلماء العاملين وغيره اي وينبغي ان يرى السالك ولو كان

كان ذا علم كبير لكن دخوله في العاصين المقصرين دون التوابين وذوي اليقين اي المعتبرين في امر
الدين ومنها اي منه النوع الوارد الصلاة عليه اي النبي صلى الله عليه وسلم فعنه وعن صحبته اي رفقته في
منزلته وشفاعته لا يحصل محبته اما دليل الاول فقوله عليه السلام اولى الناس بي اي بقربي في العقبى
اكثرهم علي صلاة اي في الدنيا الترمذي وابن حبان عن ابن مسعود ويؤيده رواية البيهقي باسناد حسن
عن ابي امامة فمن كان اكثرهم علي صلاة كان اقربهم مني منزلة واما الثاني فورد اذا سمعتم المؤذن فقولوا
مثل ما يقول ثم صلوا علي ثم سلوا الله لي الوسيلة فمن سال لي الوسيلة حلت عليه شفاعتي وورد شفاعتي
لاهل الكبائر من امتي الترمذي وحسنه البيهقي وصححه وورد انها صدقة رواه ابو يعلى من حديث ابي سعيد
بلفظ اكثروا الصلاة علي فانها زكوة لكم اي بمنزلة زكاة وصدقة لفقرائكم واغنيائكم ومن صلى علي في
كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمي في ذلك الكتاب الطبراني في الاوسط وابو الشيخ في الثواب
والمستغفري في الدعوات من حديث ابي هريرة بسند ضعيف وفي رواية ابن ابي عاصم عن انس مرفوعا
صلوا علي فان الصلاة كفارة لكم فمن صلى علي صلاة صلى الله عليه عشرا وفي رواية ايضا عن انس كل
من صلى علي كل يوم ثلث مرات وكل ليلة ثلث مرات حبا لي وشوقا الي كان حقا على الله ان يغفر ذنوب
تلك الليلة وذلك اليوم ومنها ان تقرن اي الصلاة بالسلام فورد صلوا عليه وسلموا تسليما وظاهره
الجمع بينهما في كل موضع لكن لا يجب كما توهم النووي اذ الواو لمطلق الجمع فاذا صلى في وقت وسلم في اخر فقد خرج
عن عهدة الامرين كما في قوله تعالى واقيموا الصلاة واتوا الزكاة وقد جعلت في المسألة رسالة مستقلة والصلاة
بالخفض اي ويقرن بالصلاة على الال … وبالرفع اي ومن حق الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة
على سائر الانبياء وكذا الملائكة المقربين اصالة واهل البيت والصحابة اي تبعا لهم لما نورد وعليه الجمهور
وقيل بجمع بين الصلاة والسلام لنبينا وتحيته في السلام على الانبياء والملائكة ولا تذكر عند العطسة
… والذبح وهو مكروه قال صاحب المحيط لان فيه ايهام الاهلال له والتعجب اي رؤية ما يتعجب ب
فانه ممنوع وفي فتاوى قاضي خان رجل يقرأ القران وسمع اسم النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الناطفي انه لا يجب
عليه الصلاة لان قراءة القران على النظم والتاليف افضل من الصلاة ولو فيها فضل التشريف فاذا فرغ
من القراءة ان صلى عليه كان حسنا وان لم يصل لم ياثم والله سبحانه اعلم والظاهر انه يستثنى ما اذا قرأ
او سمع اية يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما فانه يجب عليه الصلاة والسلام حينئذ ولو في الصلاة
كما صرح … في حال الخطبة وقد ورد من ذكرت عنده فليصل علي النسائي والطبراني في الاوسط وابو يعلى
وابن السني ورواه احمد وابن حبان وصححه من ذكرني فليصل علي ابو يعلى عن انس والظاهر ان الامر للوجوب ب
لكن قال الطحاوي انه تتداخل في المجلس كسجدة التلاوة ومما يدل على الايجاب حديث رغم انف رجل ذكرت
عنده فلم يصل علي اي ذل في الباب ولصق بالتراب والبخيل كما في باب رواه الترمذي وابن حبان والبزار والطبرا ن
من حديث ابي هريرة وحسنه الترمذي البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي الترمذي والنسائي عن علي وابن
حبان والحاكم عن حسين بن علي رضي الله عنهما والاحاديث في هذا كثيرة والاثار شهيرة وقد ذكرت بعضها

سهو ابو المجلس

مبسوطة في شرح الصلوات المحمدية والصلوات الحمدية ومنها اي من جملة الاوراد بل اجلها ورد العباد
والعباد في جميع الاحيان الاذكار بكلمة التوحيد والتمجيد واسماء الله والتسبيح والتحميد الموجبة لرضاء الجبار
المرضية الواردة في الفضائل اي الكثيرة الشهيرة في الكتاب والسنة المصطفوية اما الكتاب فقوله
تعالى فاذكروني اذكركم قال ثابت البناني اني اعلم متى يذكرني ربي سبحانه وتعالى ففزعوا منه وقالوا كيف
تعلم ذلك قال اذا ذكرته ذكرني وقوله اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا وقوله حكاية كي نسبحك كثيرا
ونذكرك كثيرا وقوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اعد الله لهم مغفرة واجرا عظيما وقوله فاذا قضيتم
الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم قال ابن عباس اي بالليل والنهار والبر والبحر والسفر
والحضر والغنى والفقر والمرض والصحة والسر والعلانية وقوله في ذم المنافقين ولا يذكرون الله الا
قليلا وقوله واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والاصال ولا تكن من
الغافلين وقوله ولذكر الله اكبر قال ابن عباس له وجهان احدهما ان ذكر الله لكم اكبر من ذكركم اياه
والاخر ان ذكر الله اكبر من كل عبادة سواه واما السنة فقوله عليه السلام ذاكر الله في الغافلين بمنزلة
الصابر في الفارين رواه البزار والطبراني في الاوسط عن ابن مسعود وقوله تعالى انا مع عبدي ما ذكرني
وتحركت بي شفتاه ابن ماجه وابن حبان من حديث ابي هريرة والحاكم من حديث ابي الدرداء وقال صحيح
الاسناد وقوله من احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله تعالى ابن ابي شيبة في مصنفه والطبراني
من حديث معاذ وقوله لما سئل اي الاعمال افضل ان تموت ولسانك رطب من ذكر الله ابن حبان والطبراني
في الدعاء والبيهقي في الشعب من حديث معاذ وقوله عز وجل اذا ذكرني عبدي في نفسه ذكرته في نفسي واذا
ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه واذا اقترب الي شبرا تقربت اليه ذراعا واذا اقترب الي ذراعا تقربت
اليه باعا واذا مشى الي هرولت اليه يعني بالهرولة سرعة الاجابة لديه والحديث متفق عليه من حديث
ابي هريرة وقوله عز وجل من شغله ذكري عن مسألتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين البخاري في التاريخ
والبزار في المسند والبيهقي في شعب الايمان من حديث عمر بن الخطاب وقوله عليه السلام لو ان رجلا
في حجره دراهم يقسمها واخر يذكر الله تعالى كان الذاكر لله افضل الطبراني في الكبير عن ابي موسى وقوله مثل
الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت رواه الشيخان عن ابي موسى الاشعري وقوله اذا
مررتم برياض الجنة فارتعوا قالوا يا رسول الله وما رياض الجنة قال حلق الذكر رواه احمد والترمذي والبيهقي
عن انس واخرج الترمذي من حديث ابي هريرة مرفوعا اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قلت يا رسول الله
وما رياض الجنة قال المساجد قلت وما الرتع قال سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وقوله ليس
يتحسر اهل الجنة الا على ساعة مرت بهم ولم يذكروا الله تعالى فيها رواه الطبراني وابن السني عن معاذ
وقوله اكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون احمد وابن حبان وابو يعلى وابن السني والحاكم والبيهقي من حديث
ابي سعيد الخدري ومنها اي من اصناف الاوراد الدعاء فورد الدعاء مخ العبادة الترمذي من حديث انس
والدعاء هو العبادة اصحاب السنن الاربعة والحاكم وقال صحيح الاسناد وقال الترمذي حسن صحيح ليس شيء

شيء اكرم على الله من الدعاء الترمذي وقال غريب وابن ماجه وابن حبان والحاكم وقال صحيح الاسناد
ما من مسلم ينصب وجهه لله في مسألة الا اعطاها اياه اما ان يعجلها له واما ان يدخرها له احمد عن ابي
هريرة والدعاء سلاح المؤمن ابو يعلى والحاكم عن علي من سره ان يستجيب الله له عند الشدائد والكرب
فليكثر الدعاء في الرخاء الترمذي والحاكم عن ابي هريرة وقال صحيح الاسناد من لم يدع الله غضب عليه ابن
ابي شيبة في مصنفه من حديث ابي هريرة ونعم ما قيل الله يغضب ان تركت سؤاله وابن ادم حين يسأل يغضب
واختلف هل الافضل الدعاء او السكوت تحت جريان القضاء مع ان الدعاء ثابت في الكتاب والحديث
الدعاء مخ العبادة وقيل الاكمل لقوله عليه السلام من شغله ذكري عن مسألتي اعطيته افضل ما اعطي
السائلين ويؤيده قول الخليل عليه السلام حسبي من سؤالي علمه بحالي وقيل يختلف باختلاف الاوقات من البسط والقبض
والخوف والرجاء وكونه من الكاملين وقيل ما كان لنفسه فالسكوت اولى وما كان لغيره فالدعاء احرى وجعله
اي الدعاء ان يترصد اي ينتظر شرائف الاوقات لما ورد فيه فضيلة من يوم كيوم عرفة ويوم الجمعة وليلة كليلة
الجمعة وليلة القدر وسحر وهو قبيل الصبح على ما ذكره الجوهري والسدس الاخير كما قاله الزمخشري والثلث
الاخير على ما يفهم من كلام الغزالي لقوله عليه السلام ينزل الله كل ليلة الى سماء الدنيا حتى يبقى ثلث الليل الاخير
فيقول من يدعوني فاستجيب له من يسألني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له وقيل ان يعقوب عليه السلام انما
قال لبنيه سوف استغفر لكم ربي ليدعو في وقت السحر فقيل انه قام في وقت السحر يدعو واولاده يؤمنون خلفه
فاوحى الله عز وجل اليه قد غفرت لهم وجعلتهم انبياء وعن عائشة رضي الله عنها ما الفى رسول الله صلى الله عليه
وسلم السحر الا في بيتي او عندي الا نائما ولم يقل النبي ... وجوف الليل اي وسطه او اثناءه كله او نصفه
وعند الزوال اي الاستواء فانه بمنزلة نصف الليل من انها عائدة وقت الغفلة وبعد الزوال لما ورد فيه من
فتح ابواب السماء وصعود الاعمال يوم الجمعة وفي جلسة الخطيب اي على المنبر وغروب الشمس يعني اي وعلى
في الجمعة اقوال في ساعة الجمعة وقد بيناها مع غيرها من الاقوال وما ورد فيما سبق من اوقات الدعاء في شرح
الحصن الحصين وبين الاذان والاقامة اي يوم الجمعة او مطلقا فورد الدعاء بين الاذان والاقامة
لا يرد وقد جعله صاحب الحصن في الاحوال والحديث رواه ابو داود والترمذي والنسائي وابن حبان عن
انس وزاد الترمذي قالوا فما نقول يا رسول الله قال سلوا الله العافية في الدنيا والاخرة وبين الظهر والعصر
يوم الاربعاء لم اجده وكان حقه ان يذكر رمضان في اوقات الاجابة فروى البزار والطبراني عن عبادة بن
الصامت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوما وحضر رمضان اتاكم رمضان شهر بركة يغشاكم الله فيه
فتنزل الرحمة وتحط الخطايا ويستجيب الدعاء والاحوال اي وان يترصد شرائف الاحوال كالغزو ونزول
المطر رواه الشافعي في الام مرسلا وقال قد حفظت عن غير واحد طلب الاجابة عنده واذا الغزو في
ظاهره بعد ادائه ويحتمل وقوعه في اثنائه قال ابو هريرة ان ابواب السماء تفتح عند زحف الصفوف في سبيل
وعند نزول الغيث وعند اقامة الصلاة المكتوبة روى ابو داود والحاكم عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله
عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثنتان لا تردان او قلما تردان الدعاء عند النداء وعند البأس

حين يختم بعضهم بعضا وفي رواية عنه ايضا مرفوعا قال وقت المطر او تحت المطر وختم القرآن حضورها من
القارئ عن العرباض مرفوعا من صلى صلاة فريضة فله دعوة مستجابة ومن ختم القرآن فله دعوة مستجابة
الطبراني في الكبير وعن الحكم بن عتيبة قال مجاهد وعبدة بن ابي لبابة واناس يعرضون المصاحف
فلما كان اليوم الذي ارادوا ان يختموا ارسلوا الي والى سلمة بن كهيل فقالوا انا كنا نعرض المصاحف فاردنا
ان نختم اليوم فاحببنا ان تشهدونا انه كان يقال اذا ختم القرآن نزلت الرحمة عند خاتمته رواه ابن
ابي شيبة في مصنفه وابو بكر بن ابي داود في كتاب المصاحف بسند صحيح والمشي الى المسجد فورد انه عليه
السلام اذا خرج الى الصلاة قال اللهم اجعل في قلبي نورا وفي بصري نورا وفي سمعي نورا وعن يميني نورا
وعن شمالي نورا وخلفي نورا رواه الشيخان وغيرهما عن ابن عباس وفي رواية كان يقول اللهم اني اسألك
بحق السائلين عليك وبحق ممشاي اليك فاني لم اخرج اشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة خرجت ابتغاء
مرضاتك واتقاء سخطك ان تنقذني من النار وان تدخلني الجنة مع الابرار والصوم اي حالة فورد الصائم
لا ترد دعوته الترمذي وحسنه وعن ابن ماجه من حديث ابي هريرة والافطار اي وقته فورد ان للصائم
عند فطره لدعوة لا ترد ابن ماجه والحاكم عن ابن عمر والسجدة اي حال السجود فورد اقرب ما يكون العبد من
ربه وهو ساجد فاكثروا فيه الدعاء رواه مسلم والرقة اي رقة القلب ودمعة العين بذكر الرب والتقاط بحال له
منه [illegible] على [illegible] المرض فقد ورد اذا مرض العبد ثلثة ايام خرج من ذنوبه كيوم ولدته
امه ابو الشيخ عن انس وعن عمر مرفوعا اذا دخلت على مريض فمره يدعو لك فان دعاءه كدعاء الملائكة كذا في
المشكاة والغربة فقد روى البزار عن ابي هريرة ثلاث حق على الله ان لا يرد لهم دعوة الصائم حتى يفطر
والمظلوم حتى ينتصر والمسافر حتى يرجع وقراءة الاخلاص [illegible] والكون في الجماعة تبلغ غاية ذكر في
الحصن في احوال الاجابة اي اجتماع المسلمين وقال رواه الجماعة عن ام عطية ان نخرج [illegible] والوقوف
بعرفات فورد خير الدعاء دعاء يوم عرفة الترمذي عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده والملتزم ورؤية
الكعبة وعند زمزم وعند قبره صلى الله عليه وسلم وكذا في [illegible] جبل ومشاهدة [illegible] فالكل مأثور والبعض
مشهور وفي الحصن زيادات عليه وقد شرحنا لديه ببيان اماكن الاجابة والذين ترجى لهم الاجابة
وقد خلط المصنف بين الاحوال والرجال والازمنة والامكنة ويستقبل القبلة ويرفع يديه لما روى مسلم
عن جابر انه عليه السلام اتى الموقف بعرفة واستقبل القبلة ولم يزل يدعو حتى غربت الشمس وللنسائي
من حديث اسامة بن زيد كنت ردفه بعرفات فرفع يديه يدعو ورجاله ثقات حتى يرى ما تحت ابطيه
فيما كفيه جاعلا بطنهما نحو السماء [illegible] اي عن انس كان عليه السلام يرفع يديه حتى يرى
بياض ابطيه في الدعاء متفق عليه لكنه مقيد بالاستسقاء وعن ابن عباس كان عليه السلام اذا دعا
ضم كفيه وجعل بطونهما مما يلي وجهه الطبراني في الكبير بسند ضعيف وعن عمر كان عليه السلام
اذا مد يديه في الدعاء لم يردهما حتى يمسح بهما وجهه الترمذي وقال غريب والحاكم في المستدرك وسكت
عليه فورد ان الله يستحيي ان يردهما صفرا بكسر الصاد اي خاليا فعن سلمان ان ربكم حيي كريم يستحيي من

من عبده اذا رفع يديه ان يردهما صفرا ابو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه والحاكم وقال اسناده
صحيح على شرطهما دون العينين الا ان يرفعهما الى السماء حال الدعاء فهو منهي عنه فعن ابي هريرة مرفوعا
لينتهين اقوام عن رفع ابصارهم الى السماء عند الدعاء او ليخطفن ابصارهم رواه مسلم ولا يبالغ
في رفع صوته لما روى ابو موسى الاشعري قال قدمنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فلما دنونا من المدينة كبر
وكبر الناس ورفعوا اصواتهم فقال النبي يا ايها الناس ان الذي تدعون ليس باصم ولا غائب ان الذي
تدعون بينكم وبين اعناق ركابكم كذا في الحصن وقال العراقي حديث ابي موسى يا ايها الناس ان الذي
تدعون ليس باصم ولا غائب متفق عليه مع اختلاف واللفظ الذي ذكره المصنف لابي داود وعن عبد الله
بن مغفل مرفوعا سيكون قوم يعتدون في الدعاء وفي رواية والطهور ابو داود وابن ماجه وابن حبان
والحاكم ويؤيده قوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين وورد اذا احب الله عبدا ابتلاه
حتى يسمع تضرعه وفي لفظ صوته ابو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث انس فالاخفاء في الدعاء
افضل لمكان الاية ولقوله تعالى ثناء على زكريا اذ نادى ربه نداء خفيا ويفتتح اي يبتدي الدعاء بالتحميد
كما في سورة الفاتحة وقدم الثناء قبل الدعاء وقال سلمة بن الاكوع ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتح
الدعاء الا استفتحه وقال سبحان ربي العلي الاعلى الوهاب احمد والحاكم وقال صحيح الاسناد ثم الصلاة
على النبي عليه السلام فورد من حديث فضالة بن عبيد قال سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو
في صلاته لم يمجد الله ولم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام عجل هذا ثم دعاه فقال اذا
صلى احدكم فليبدأ بتحميد ربه والثناء ثم يصلي على النبي ثم يدعو بما شاء رواه الجماعة وورد اذا سألتم الله
حاجة فابدؤا بالصلاة علي فان الله تعالى اكرم من ان يسأل حاجتين فيقضي احداهما ويرد الاخرى رواه
ابو طالب المكي كذا في الحصن وقال العراقي لم اجده مرفوعا وانما هو موقوف على ابي الدرداء ويختتم اي الدعاء
بهما اي بالحمد لقوله تعالى واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين وبالصلاة لكونهما مقبولين فلا ترد حاجة
في البين قال ابو سليمان الداراني من اراد ان يسأل الله حاجة فليبدأ بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
ثم يسأل حاجته ثم يختم بالصلاة عليه فان الله تعالى يقبل الصلاتين وهو اكرم ان يدع ما بينهما ويقدم
على دعائه ربنا اي يا ربنا خمسا فورد فيه اي في حق تقديم ربنا خمسا وهو قوله تعالى ربنا ما خلقت هذا باطلا
الى قوله فاستجاب لهم ربهم ويقدم حاجة الاخرة اي ويقدمها على حاجة الدنيا لقوله عليه السلام لا تجعل الدنيا
اكبر همنا لتستريح النجاح اي الفوز والفلاح وتجتنب الجهر والمخافتة اي بل يجعل دعاءه وسط الحالة
فورد ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها اي بدعائك كما قالت عائشة وهو متفق عليه وتمام الاية
وابتغ بين ذلك سبيلا لكن الظاهر ان المراد بصلاتك بقراءتك فيها كما تقدم وهو اما في التهجد والمعنى ولا تجهر
بصلاتك على الدوام ولا تخافت بها في تمام الايام وابتغ بين ذلك سبيلا بان تجهر بعض الصلوات
جهرية كالصبح والعشائين والجمعة والعيدين وبعضها سرية كالظهر والعصر وسائر النوافل وكان عليه
السلام اذا قرأ في الليل رفع طورا وخفض طورا ابو نصر بن ابي هريرة ولا يتكلف بالسجع في الدعاء فان

حال الداعي ينبغي ان يكون حال متضرع والتكلف لا يناسبه فورد اياكم والسجع في الدعاء وتمامه بحسب
احدكم ان يقول اللهم اني اسالك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها
من قول وعمل وهو غريب بهذا السياق وللبخاري عن ابن عباس وانظر السجع من الدعاء فاجتنبه فاني
عهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه لا يفعلون الا ذلك اي عدم تكلف السجع ثم المنع انما هو التكلف
في السجع بخلاف ما اذا ورد على مقتضى الطبع لا غير فان ادعيه انما ثورد على لسان صاحب الشرع جاءت
كلمات متوازنة موتلفة الا انها غير متكلفة كقوله عليه السلام اللهم ذا الحبل الشديد والامر الرشيد اسالك
الامن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود والموفين بالعهود انك رحيم
ودود وانت تفعل ما تريد الترمذي من حديث ابن عباس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليلة حين
فرغ من صلاته فذكر حديثا طويلا من جملته هذا الى اخر الحديث غريب وكقوله اللهم اني اعوذ بك من علم لا ينفع
وعمل لا يرفع وقلب لا يخشع ودعاء لا يسمع احمد وابن حبان والحاكم عن انس وزيد في رواية ومن نفس لا
لا تشبع وكقوله اللهم استر عوراتنا وامن روعاتنا احمد في مسنده عن ابي سعيد مرفوعا والاولى ان يقتصر
على الماثور لئلا يسال ما لا مصلحة فيه فاذا جاوز تدمتيري يسال ما لا يقتضيه مصلحة فما كل احد يحسن
في دعوته ولذا روي عن معاذ ان العلماء يحتاج اليهم في الجنة اذ يقال لاهل الجنة تمنوا فلا يدرون كيف
يتمنون حتى يتعلموا الدعاء من العلماء وان نبيه عليه السلام تعليمات منه الكرام ما ترك شيئا مرغوبا الا دعا الله
وطلبه ولا امرا مرهوبا الا سال الله وتعوذه وقد جمعت الدعوات المصطفوية مع الدعوات القرانية وسميته
بالحزب الافخم والورد الاعظم وبتضرع اي بالتمسكنة والتذلل عند سيح وتخفي الدعاء عن عبادة فورد
ادعوا ربكم تضرعا وخفية والخفي من عمل الذكر اولانه احد انواعه وقد ورد واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة
ودون الجهر من القول مع حديث خير الذكر الخفي ويتحقق الرجاء اي في اجابة الدعاء لحديث
لا يقل احدكم اللهم اغفر لي ان شئت اللهم ارحمني ان شئت ليعزم المسالة فانه لا مكره له متفق عليه من
حديث ابي هريرة ولحديث اذا دعا احدكم فليعظم الرغبة فان الله تعالى لا يتعاظمه شيء رواه مسلم من حديث
ابي هريرة فورد ادعوا الله وانتم موقنون بالاجابة تمامه واعلموا ان الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل
الترمذي من حديث ابي هريرة وقال غريب والحاكم وقال مستقيم الاسناد وقال سفيان بن عيينة لا يمنعن
احدكم الدعاء ما يعلم من نفسه فان الله عز وجل اجاب دعاء شر الخلق ابليس اذ قال رب انظرني الى يوم يبعثون
قال انك من المنظرين وما احسن ما قاله الكمال لو كان فيه خير لما قال انظرني الى مكان انظرني ويلح اي يكرر
الدعاء فورد ان الله يحب الملحين في الدعاء الحكيم وابن عدي والبيهقي عن عائشة ولما كان ورد من طريث ان
الله يبغض السائل الملحف فمحمول على سائل الخلق لما فيه كلام الحق في مدح الذين لا يسالون الناس
الحافا والحكمة التثليث من ابن مسعود كان عليه السلام اذا دعا دعا ثلاثا رواه مسلم واصله متفق
ولا يستعجل بان يستبطئ الاجابة فورد يستجاب لاحدكم ما لم يعجل تمامه يقول قد دعوت فلم يستجب
لي متفق عليه من حديث ابي هريرة وقال بعضهم اني اسال الله تعالى منذ عشرين سنة حاجة وما اجابني وانا

وانا ارجو الاجابة سالت الله ان يوفقني لترك ما لا يعنيني وقد ورد اذا سال احدكم ربه مسالة فتعرف الاجا به
فليقل الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ومن ابطا عنه من ذلك شيء فليقل الحمد لله على كل
حال البيهقي في الدعوات من حديث ابي هريرة وللحاكم نحوه من حديث عائشة مختصرا باسناد ضعيف وللبيهقي
في كتاب الصفات من حديث حبيب بن ابي ثابت قال ثنا الشيخ لنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا
جاءه شيء يكرهه قال الحمد لله على كل حال واذا جاءه شيء يعجبه قال الحمد لله المنعم المتفضل الذي بنعمته تتم
الصالحات وان يذكر الطاعة اي طاعته السابقة عند الدعوة فهو يورث العجب اي والعام يقتضي المذلة
وفيه نظر اذ جعله صاحب الحصن من اداب الدعاء تقديم عمل صالح كما في حديث ابي بكر رضي الله عنه في صلاة التوبة
رواه ابن حبة وكذا ذكر عمل صالح عند الشدة ويدل عليه حديث الشيخين عن ابن عمر مرفوعا قال بينما ثلا ثه
نفر يتماشون اخذهم المطر فمالوا الى غار في الجبل فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل فاطبقت عليهم
فقال بعضهم انظروا اعمالا عملتموها لله صالحة فادعوا الله بها لعله يفرجها فقال احدهم الحديث
الطويل وان المعصية اي وان يذكرها فهو ينبغي ان يمكن ان يتاب اجابة ولو كان في ضمن مكان والا ولي
ان يذكرها ويتوب منها ويستغفر عنها ليكون ادعى الى الاجابة كما سياتي اليه الاشارة وقد تقدم
ايضا في طي العبادة وجا النذر اي في الكتاب والسنة مجي زان يقول يشترط ان استجاب الله دعائي
فلله علي ان اصلي كذا او اصوم كذا ونحو هذا لقصة مريم رضي الله عنها حيث قالت امها حنة امراة
عمران رب اني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني انك انت السميع العليم الايات وحيث قالت مريم
اني نذرت للرحمن صوما فلن اكلم اليوم انسيا ولقوله تعالى في وصف الابرار يوفون بالنذر ويخافون يوما
كان شره مستطيرا ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا الايات وان اضطرار عطف على
الرجاء اي ويحقق الاضطرار وهو الافتقار كمال الاحتياج ما الاقتصار فورد امن يجيب المضطر اذا دعاه
وهو يعم الكفار والاصل في قبول الاجابة التوبة اي حصولها بان يجتنب الحرام في اكله ومشربه وملبسه
ومكسبه لما رواه مسلم والترمذي عن ابي هريرة يرفعه انه ذكر الرجل يطيل السفر اشعث اغبر يمد يديه
الى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام وملبسه حرام فانى يستجاب لذلك ورد المظالم فانه من اركان التوبة
وقال سفيان الثوري بلغني ان بني اسرائيل قحطوا سبع سنين حتى اكلوا الميتة من المزابل واكلوا الا طفال
وكانوا كذلك يخرجون الى الجبال يبكون ويتضرعون فاوحى الله عز وجل الى انبيائهم لو مشيتم الي باقدامكم
حتى تحفى ركبكم وتبلغ ايديكم عنان السماء وتكل السنتكم عن الدعاء فاني لا اجيب لكم داعيا ولا ارحم منكم
باكيا حتى تردوا المظالم الى اهلها ففعلوا فمطروا من يومهم وتوجيه الهمة اليه اي تخليص قصد القلب
الى جانب الرب وعدم الالتفات الى ما سواه في المطلب فان همة الرجال تقلع الجبال بل هو من اركان
الدعاء قال تعالى فادعوا الله مخلصين له الدين وقال فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فالتنا فع
اي من الدعاء ولو كان من الماثور هو الحضور اي مع الله في مجلس الانس والسرور اذ المقصود من الدعاء التنس
به تعالى الموجب للنور في الصدور وما الحجور والقصور وسائر انواع الحجور فالالتفات الى ما يوجب التقصير

والتصور وبه اي بان يتنبس في حضرة القدس يرجى خير الخاتمة اي الراحة التي مدارها على العناية
السابقة كما يشير اليه قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ويلازمه اي يلازم مطلق الدعاء في
الرخاء اي في حالة النعماء وان اراد ان يستجيب السبل اي في السراء والضراء فورد من سره ان يستجيب الله له عند
الشدائد والكرب فليكثر الدعاء في الرخاء الترمذي عن ابي هريرة والحاكم عن سلمان وقال صحيح
الاسناد وروى البيهقي والخطيب عن جابر مرفوعا لقد بارك الله في حاجة اكثر الدعاء فيها اعطيها او
منعها ويرغب في دعاء ذي فضيلة دينية اي من الاتقياء من العلماء والمشايخ الكرام والامام العادل للاثار
فورد ثلثة لا ترد دعوتهم الامام العادل والصائم حين يفطر ودعوة المظلوم وللبيهقي عن ابي هريرة
ثلثة لا يرد الله دعوتهم الذاكر الله كثيرا والمظلوم والامام المقسط وقد ثبت انه عليه السلام قال لعمر
حين اعتمر اشركني في دعائك يا اخي وروى مسلم من حديث عمر انه قال ان اويس القرني سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول ياتي عليكم اويس بن عامر مع امداد اهل اليمن من مراد ثم من قرن كان فيه برص
فبرئ منه الا موضع درهم له والدة هو بها بر لو اقسم على الله لابره فلو استطعت ان يستغفر لك فافعل
فاستغفر لي فاستغفر له ويتقي دعوة المظلوم فورد اتقوا دعوة المظلوم فانها تحمل على الغمام يقول
الله وعزتي وجلالي لانصرنك ولو بعد حين الطبراني في الكبير والضياء عن خزيمة بن ثابت والحاكم عن
ابن عمر ولفظه اتقوا دعوة المظلوم فانها تصعد الى السماء كانها شرارة واحمد والطبراني من حديث
ابي هريرة اتقوا دعوة المظلوم وان كان فاجرا ففجوره على نفسه واسناده حسن والظاهر ان المراد
بالفاجر الفاسق ويحتمل ان يكون المراد به الكافر لما في رواية ولو كان كافرا رواه احمد وابو يعلى والضياء
عن انس اتقوا دعوة المظلوم وان كان كافرا فانه ليس دونها حجاب وابن حبان من حديث ابي ذر
الغفاري قلت يا رسول الله ما كانت صحف ابراهيم قال كانت امثالا كلها ايها الملك المسلط المبتلى
المغرور اني لم ابعثك لتجمع الدنيا بعضها الى بعض ولكن بعثتك لترد عني دعوة المظلوم فاني لا اردها
وان كانت من كافر ولا يدعو على احد لئلا يهلك بسبب دعائه احد وان كان ظالما لقوله تعالى فمن عفى
واصلح فاجره على الله فالنظر كالنور اي ويتأمله في كل جوهر ومتفكر اي ومن جملة الاوراد التفكر فورد
ويتفكرون في خلق السموات والارض اي في مخلوقاتهما وفي كيفية ايجادهما وابقائهما بامدادهما وعنه
عليه السلام ويل لمن قرأها ثم لم يتفكر تفكر ساعة خير من عبادة سنة ذكره الفاكهاني من كلام
السري السقطي وقال ابن عباس وابو الدرداء فكر ساعة خير من قيام ليلة انتهى واخرجه الديلمي
عن انس وفي الجامع الصغير للسيوطي فكرة ساعة خير من عبادة ستين سنة ابو الشيخ في العظمة عن ابي
هريرة فمتفكر هو الذي ينتقل من المكان الى الباب ومنه الرهب والرغبة الى الزهد والقناعة وقيل هو الذي
يحدث متيقظا فانها نتيجة المراقبة وهو اي التفكر طلب المعرفة بنظر الفكرة اولا التذكر اي او التفكر
تذكر ما نسي من جهة الغفلة وهو اي التذكر احضار القلب فيه اضافة المصدر الى فاعله المعارف اي معرفة نعمه
الظاهرة والباطنة واعلم ان المواظبة على الاوراد هو الطريق الى الله للعباد وخواصهم من الزهاد والعباد ان

ان الناظرين بنور البصيرة علموا انه لا نجاة الا في لقاء الله عز وجل وانه لا سبيل الى اللقاء الا بان يموت
العبد محبا لله وعارفا به وان المحبة لا تحصل الا من دوام ذكر المحبوب والمواظبة على
كل مطلوب وان المعرفة لا تحصل الا بدوام الذكر والفكر فيه وفي صفاته وافعاله وليس في الوجود سوى
ذاته وصفاته وافعاله في مصنوعاته ثم لم يتيسر دوام الذكر والفكر الا بتوديع الدنيا وشهواتها وان كتفي
منها على قدر البلغة والضرورة وكل ذلك لا يتم الا باستغراق اوقات الليل والنهار في
وظائف الاذكار ولطائف الافكار والنفس لما جبلت عليه من السامة والملل لا تصبر على فن واحد
من الاسباب المعينة على الذكر والفكر بل اذا ردت الى نمط واحد من الافعال ولا ظهرت الملل
والاستثقال وقد ورد ان الله لا يمل حتى تملوا فمن ضرورة اللطف بها ان تروح بالتنقل من فن الى فن
ومن نوع الى نوع بحسب كل وقت من اصل وفرع لتكثر بالانتقال لذتها وتعزز باللذة رغبتها وتدوم
بدوام الرغبة مواظبتها ولهذا ذكر العلماء ذوي العقل بل لا يصلح النفس اذا كانت مدبرة ان التنقل من
حال الى حال وهذا طبع البشر فاصله اصلا ان يتغير والله لكن لهم لا يسأمون فلكل جمع منهم على
طاعة مستمرون ولهذا يقسم الاوراد بقسمة مختلفة الاوقات وحال ما الذكر والفكر ينبغي ان يستغرق
جميع الاوقات او اكثرها لان النفس بطبعها تميل الى ملاذ الدنيا وشهواتها والشيطان ضالي
العبادات وتحسين حال لها ان ترجح جانب الميل الى الدنيا لموافقتها الطبع والهوى اذ الوقتان
متساويان فاي تنافيا وكان فالطبع جاذبها مرجحا لا محالة فالظاهر والباطن تتباعدان على امور الدنيا
ويتباعدان عن طريق العقبى فمن اراد ان يدخل الجنة بغير حساب فليستغرق اوقاته في الطاعة قال تعالى
يا ايها الذين امنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون وورد حاسبوا
انفسكم قبل ان تحاسبوا وقال عز وعلا كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ومن اراد ان ترجح كفة حسناته وتثقل
ميزان خيراته فليستوعب في الطاعة اكثر اوقاته فان خلط عملا صالحا واخر سيئا فامره مخطر ومقطع
ولكن الرجاء غير منقطع والعفو من كرم الله منتظر متوقع فعسى الله ان يغفر له بجوده وكرمه ولطفه وحلمه
وجدوا العلم اي ثمرة الفكر فائدته ونتيجته ثلثة مرتبة وهي العلم والحال والعمل فهذا معنى قوله وهو
اي العلم حصول المعرفة المثمر للحال وهو اي الحال تأثر القلب المثمر للعمل وهو اي العمل ما خذ منه الجوارح اي
الاعضاء في الطاعة وتوضيحه ان ثمرة الفكر ثلثة العلم والحال والعمل ولكن ثمرته الخاصة هي العلم ثم اذا
حصل العلم في القلب تغير حال القلب واذا تغير حال القلب تغير عمل الجوارح فالعمل تابع للحال والحال تابع
للعلم والعلم تابع للتفكر فالتفكر اذا هو المبدأ والمفتاح للخيرات وهذا ما يكشف لك عن فضيلة الفكر وانه
خير من الذكر لان في الفكر ذكرا وزيادة وذكر القلب خير من عمل الاركان ومجراه اي مجرى التفكر ومسراه شيئان
الا المعاملة وهو مبدأ السلوك في طريق الى ملكه ومحته اي حق التفكر في المعاملة الظاهرة ان يبدا
اي يبتدئ بالنظر في التأمل في معاصيه الظاهرة واحدا بعد واحد ويتفكر في كل هل هذا المحظور اي حرام
او مكروه ثم هل يوجد فيه اي المحظور المذكور ثم كالتدبير في دفعه بالسعي المشكور ثم في طاعته اي وبعد ذلك

والبطالة تفان حرف
العبد شطر اوقاته
مثلا اي بتدبير امر الدنيا
صح

يتفكر في انواع الطاعة الظاهرة ويتأمل في كل فرد منها هل هذا واجب او مستحب او سنة موكدة او
واجب او فرض محتم ثم يعلم بهذا اعتقاده ثم التدبير في تحصيله الى ان يتصور له بانه مستطيع في تحصيله
منه الزكاة والحج ونحوهما المستغني عن تفصيله ثم في الباطن كذلك اي بعد ذلك يتفكر في المعاصي الباطنية
من الحسد والرياء وان حب الدنيا لكل شيء منهي يوجد فيه وما علاجه وما ادويته حيث يدافع المقصود
وينافيه وكذا في الطاعات الباطنة من الشمايل الرضية والفضايل البهية نفيا واثباتا واما المكاشفة
عطف على المعاملة اي ومجاوزة العالم الى عالم الملكوت المكاشفة المتعلقة بالمولى فهو اي التفكر الموجب للمكاشفة
انما هو في اسمائه الحسنى وصفاته العلى الواردة في الكتاب والسنة وملكوت السموات والارض اي وبواطنهما
المملوءة من العجايب والغرايب في الطول والعرض اما الذات المقدس فلا سبيل له الا بالذكر لقوله تعالى ولا
يحيطون به علما وقال اي كلما خطر ببالك فالله وراء ذلك وقال عز وعلا ليس كمثله شيء وقال بعضهم
كل اسم للتخلق الا اسم الله فانه للتعلق وورد لا تفكروا في ذات الله ابن ابي شيبة في كتاب العرش
عن ابن عباس مرفوعا وابو نعيم في الحلية عنه مرفوعا بلفظ تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذات الله كشفي
وفي رواية تفكروا في كل شيء ولا تفكروا في ذات الله وهو موقوف على ابن عباس وسنده جيد ذكره العسقلاني لى
في فتح الباري في كتاب التوحيد وفي الجامع الصغير للسيوطي تفكروا في كل شيء ولا تفكروا في ذات الله فان
بين السماء السابعة الى كرسيه سبعة الاف نور وهو فوق ذلك ابو الشيخ في العظمة عن ابن عباس وفي رواية
له عن ابي ذر بلفظ تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في الله فتهلكوا وله ايضا عن ابن عباس تفكروا في الخلق
ولا تتفكروا في الخالق فتهلكوا فانكم لا تقدرون قدره الا اي قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره اي ما عرفوه
حق معرفته او ما عظموه حق عظمته وفي رواية تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله ابو الشيخ والطبراني
في الاوسط وابن عدي والبيهقي عن ابن عمر وابو نعيم في الحلية عن ابن عباس ولفظه تفكروا في خلق
الله ولا تفكروا في الله والعقل يعجز عنه اي عن ادراك ذاته سبحانه كعجز الخفاش عن ضوء النهار اي
لضعف بصر الخفاش وقوة نور الشمس فهو عز وجل من غاية نوره مخفي عن ظهوره ومن هنا قيل
العجز عن درك الادراك ادراك وحقايق الصفات كذلك اي لا يدرك كنهها هنالك فلا يطيق الا
الخواص منهم الانبياء وكمل الاولياء احيانا في اعلى مراتب مقاماتهم ولا يذكرون للعوام الا على قدر افهامهم
لتقيدهم بتصورات اشكالهم وامثالهم في عقولهم واوهامهم فعلى العبد اي اذا عرفت انواع الو ٥٥
فعلى العبد السالك طريق الارادة ان يديم العبادة بالصلاة والتلاوة ظاهرا او باطنا بالذكر والفكر
ويترك المالوف والعادة ليتحصل محبته تعالى اذ هي اهم من المطلوبات واتم من المقصودات وقد قال
تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الآيات وعن عايشة من عوده الله عبادة فتركها
ملالة مقته الله رواه ابن السني في رياضة المتعبدين موقوفا عليها قال الغزالي والتحقيق بهذا الخزانة
مقته الله فتركه ملالة فلولا الموت ولا بعد لما تسلط عليه الملك لذا ففي النهار يشتغل بالاذكار الاذ كر
بعد الفجر اي ظهور الصبح والاشتغال الى الاشراق اي طلوع الشمس صفو النهار لقوله تعالى وسبح بالعشي

بالعشي والابكار زمانه ومكانه زمانا له الا ان يخاف الرياء في عبادة ربه لكانه ما التشويش
اي وتشويش الخاطر من الخلق المانع من الحضور مع الحق هنالك فيرجع ويلزم زاويته اي محل الذكر
فكانوا اي السلف يبالغون في رعايته اي مراعاة هذا الوقت ويعيبونها للتكلم فيه اي بكلام الدنيا
ويخوفونه بالمقت وورد انه اي الشان احب من عتق اربع رقاب من ولد اسمعيل بفتح الواو واللام وبضم
فسكون اي اولاده واحفاده من العرب وبعد العصر الى المغرب كذلك اي ويشتغل بعد اداء العصر الى غروب
الشمس كما ذكر هنالك واصل الحديث لان اقعد مع قوم يذكرون الله من صلاة الغداة حتى تطلع الشمس
احب الي من ان اعتق اربعة من ولد اسمعيل ولان اقعد مع قوم يذكرون الله من صلاة العصر الى ان تغرب
الشمس احب الي من ان اعتق اربعة ابو داود بسند حسن عن انس وفي رواية لان اقعد في مجلس اذكر الله فيه
من صلاة الغداة الى طلوع الشمس احب الي من ان اعتق اربعة رقاب وروى احمد ومسلم والترمذي والنسائي ى
وابن ماجه عن جابر بن سمرة انه عليه السلام كان اذا صلى الغداة جلس في مصلاه حتى تطلع الشمس
وفي رواية للترمذي عن انس من صلى الفجر في جماعة ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت
كاجر حجة وعمرة تامة تامة تامة وكان تعظيمهم اي السلف اياه اي بعد العصر اكثر من تعظيمهم ما بعد الفجر
اذ هو وقت الغفلة وبعد وجود المعصية والحديث ان الاعمال بالخواتيم فينبغي قيامه بالاستغفار ودوامه
بالاذكار والابكار ومحو سيئة ما جرى له من اعمال النهار وعن الحسن كانوا اشد تعظيما للعشي منهم لاول
النهار وقال بعض السلف كانوا يجعلون اول النهار للدنيا واخره للعقبى فليشكر الله على صحة جسمه
وبقية عمره فليشتغل بتدارك تقصيره وليحضر في قلبه ان نهار العمر له انتهاء تغرب فيه شمس الحياة
ولا يكون له بعده طلوع ابدا وعند ذلك يغلق باب التدارك والاعتذار فليس العمر الا اياما معدودة
تنقضي لا محالة جملتها بانقضاء احادها المحدودة وورد في تخصيص فضل هذين الوقتين واذكر اسم ربك
بكرة واصيلا اي صبحا وعشيا وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب وقال تعالى واذكر ربك كثيرا
وسبح بالعشي والابكار اي اطراف النهار يا ابن ادم اذكرني بعد صلاة العصر ساعة اكفك مؤنة — وبعد صلاة الفجر ساعة
ما بينهما ابن المبارك في الزهد بهذا مرسل عن الحسن ونبه المسبعات العشر فانه المستحبات للعشي في
الوقتين المذكورين فيه فضل كثير كما ذكر في الاحياء لكن قال العراقي حديث كرز بن وبرة عن رجل من
اهل الشام عن ابراهيم التيمي ان الخضر علمه المسبعات العشر وقال في اخرها اعطانيها محمد صلى الله عليه وسلم
ليس له اصل ولم يصح في حديث قط اجتماع الخضر بالنبي صلى الله عليه وسلم ولا عدم اجتماعه ولا حياته
ولا مماته انتهى والعشر هي الفاتحة والكافرون والاخلاص والمعوذتان واية الكرسي والصلاة على النبي
صلى الله عليه وسلم واللهم اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين والمؤمنات وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله لله
اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم واللهم افعل بي وبهم عاجلا واجلا في الدين والدنيا والاخرة
ما انت له اهل ولا تفعل بنا يا مولانا ما نحن له اهل انك غفور حليم جواد كريم رؤوف رحيم كل واحدة من العشرة تقرأ
سبع مرات وكذلك اي يشتغل بالعبادة ما بين الاشراق وهو اول طلوع الشمس والضحى وهو الضحوة الكبرى

وهو الربع بالتخمين الحرى ثم فيه تفصيل بالنسبة الى الارادة ان كان متجردا لها اى للعبادة
فيشتغل بما سبق من العبادات يعنى التلاوة والذكر والفكر والصلوة ونحوها من الطاعات فيشتغل بها او
بدل اشتغال او بيان اشتغال من نوع عبادة الى اخرى على حسب حال قلبه فيما يراه احرى اى اولى واحرى
فى الدين والاخرى وانما يشتغل فى تلك الحالة قطعا للملل له ودفعا للكسل له ورفعا للبطالة فورد عليكم
من الاعمال ما تطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا الطبرانى عن عمران بن حصين فقد كان من الصحابة
من ورده فى اليوم اثنتى عشر الف تسبيحة وكان فيهم من ورده ثلاثين الفا وكان فيهم من ورده ثلثمائة
ركعة الى ستمائة والى الف ركعة واقل ما نقل فى اورادهم فى الصلوة مائة ركعة فى اليوم والليلة وكان بعضهم
اكثر ورده القران فيختم فى اليوم مرتين او مرة وكان بعضهم يقضى اليوم والليلة فى التفكر فى اية واحدة
وكان كرز بن وبرة مقيما بمكة يطوف فى كل يوم سبعين اسبوعا وكان مع ذلك يختم القران فى اليوم والليلة
مرتين فحسب ذلك فكان عشرة فراسخ ويكون مع كل اسبوع ركعتان فذلك مائتان وثمانون ركعة وختمتان
وان فضل قراءة القران فى قيام الصلوة اى ليلا ونهارا فعليه اى فى جميعها بحمل الصلوة والليل وهو التعلم
اى تعلم المبنى وحضور المعنى والخضوع مع المولى والاذكار وانواع الذكر واصناف الفكر فى الايات المختلفة
والحالات المؤتلفة وهذا فى حق المنتهى واما المبتدى ففى صحة دوام الذكر المجرد افضل من القراءة بالنسبة الى
المتوسط اشتغل على ما قاله العارف السهروردى فى العوارف وغيره اى واشتغل بغيره مما سبق ايضا من الحسنات
كعيادة المريض لا سيما الفقير والغريب وتشييع الجنائز خصوصا العلماء والاولياء واعانة المسلم واغاثته
فى مرامهم وحضور مجالس العلم فهى عبادات اى عظيمة وفيها مثوبات جسيمة وكانوا يفعلونها ما بين
الاشراق والضحى اى فى غالب احيانهم وعرف الحكم زمانهم وان لم يكن اى السالك متجردا للعبادة فالعالم
والمتعلم بالعلم اى يشتغلان بتعليمه وتعلمه فورد انه اى الاشتغال بالعلم افضل من صلوة الف ركعة وشهود
الف جنازة وعيادة الف مريض وقراءة القران وتقدم ان هذا الحديث لا يصح فالاولى ان يستدل بنحو
فضل العالم على العابد كفضلى على ادناكم ثم قراءة القران انما تعد من العبادة اذا كانت مجرد التلاوة واما تعلمه وما
يتعلق به من انواع القراءة فهو من افضل العلوم فان شرف العلم بشرف المعلوم بغرابة المراد اى المقصود ههنا
بالعلم علم الاخرة اى علم ينفع فى الاخرة كالكتاب والسنة الفاتحة لما سبق فى المقدمة من تقسيم علم الدنيا
وعلم الاخرة وان يعز علم الاخرة يعنى القلب مشغلا عن حصول الثواب ووصول القرب فيتفكر اى كل من
العالم والمتعلم فى حل المشكل بعد الاشراق او قبله بعد اداء الفجر فانه افضل بالاتفاق فانه تقلب فيه اى فى
صدر النهار اصفى اى ابعد من الكدار لكونه بعد الذكر اى بعد فروغ الصلاة والاذكار وقبل شغل الدنيا
وما يتعلق بعمل هذه الدار المشتملة على انواع من الاوزار وقد ورد اللهم بارك لامتى فى بكورها والمشتغل
بامور الناس اى عموم المسلمين كالقاضى والوالى وهو الحاكم والمتولى وكذا المدرس والمفتى اذا قاموا
اى امور نفسه كالكاسب ونحوه يشتغل بتلك الامور مراعيا شروطها كما هو المشهور وقد قيل ينبغى ان
يوجد المؤمن الا فى ثلثة مواطن مسجد يعمره او بيت يستره او كسب لا بد منه فيحضره ذكر الا فى اثنائها لقوله

لقوله تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله الاية محضرا قلبه مراعيا ربه فى مراكبه على الحاجة
اى قدر الضرورة له فى امر المعيشة من النفقة الا اى لكنه يجوز له الزيادة للصدقة اى لان يتصدق
على ذى الحاجة فقيل يعنى الكسب للتصدق احب من الذكر الا انه اى نفقة التصدق متعد للغير والذكر قاصر ثوابه
على الذاكر وقيل الذكر بنوا ان فضل من التصدق وبهذا المعنى الحكم فقد ورد لو ان رجلا يقسم دراهم واخر
يذكر لكان الذاكر افضل ويقول عيسى عليه السلام يا طالب الدنيا لتبر تركك للدنيا ابر وقد اتفق المشايخ
على ان الفقير الصابر افضل من الغنى الشاكر والاولى النظر الى صلاح القلب اى والهام الرب
فقد يصلح للواحد الكسب للتصدق فيكون اولى فى حقه من الذكر وقد يصلح الذكر للاخر فيكون اولى من
الكسب للتصدق ويشير اليه قوله تعالى ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا
وحديث ان من عبادى من لا يصلحه الا الغنا ولو افقرته لفسد حاله وان من عبادى من لا يصلحه الا
الفقر ولو اغنيته لفسد حاله ومن ههنا قال عمر الفقر والغنا مطيتان لا ابالى ايهما اركب لكن الفقر اسلم
والله اعلم ويديم الورد فورد احب الاعمال الى الله ادومها وان قل متفق عليه من حديث عائشة بل يزيد اى
المريد فى الورد ان كان من اهل المزيد كمية او كيفية فورد لا بورك لى فى يوم لا ازداد فيه خيرا اى علما وعملا
والحديث كذا فى الاحياء وقال العراقى ورد علما بدل خيرا ... واصل الحديث على ما فى الجامع الصغير
اذا اتى على يوم لا ازداد فيه قربا يقربنى الى الله فلا بورك لى فى طلوع شمس ذلك اليوم الطبرانى
فى الاوسط وابن عدى وابو نعيم فى الحلية عن عائشة ويجمع فى يوم واحد بين الصوم والصدقة والعيادة
والتشييع فورد من جمعهن فى يوم غفر الله له او دخل الجنة شك من الراوى قال العراقى حديث من جمع بين
صوم وصلاة وعيادة مريض وشهود جنازة غفر له وفى رواية دخل الجنة مسلم من حديث ابى هريرة
ما اجتمعن فى امرئ الا دخل الجنة انتهى وفى الجامع الكبير للسيوطى عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذات يوم من اصبح اليوم منكم صائما قال ابو بكر انا قال من عاد منكم اليوم مريضا قال ابو بكر انا قال من شيع اليوم
منكم جنازة قال ابو بكر انا قال وجبت لك الجنة رواه ابن النجار وليس فيه ذكر الصدقة ولعله فى رواية اخرى
او سقط من الكاتب وفى الجامع الصغير من اصبح يوم الجمعة صائما او عاد مريضا او شهد جنازة او تصدق
بصدقة فقد اوجب البيهقى عن ابى هريرة وفى رواية له ولابن عدى والبخارى فى تاريخه عن جابر من
اصبح يوم الجمعة صائما وعاد مريضا واطعم مسكينا وشيع جنازة لم يتبعه ذنب اربعين سنة والكامل
الكيس اى فى ورده فان خاف ان لا يوتر ان يصلى الوتر قبل النوم فيحتمل ان لا يستيقظ اذ النوم اخو الموت
او يستيقظ بكسل القيام لاستثقال المنام فيتركه ولو ادركه الموت لذهب به اى بالوتر فيكون اثما بالفوت
ورضيه اى فى تقديم العمل قصر الامل وفى الاحياء فات لاصحاب قرب الاجل قال ابو هريرة اوصانى خليلى
ان اوتر قبل ان انام متفق عليه والاقوى اى الافضل والاولى ان يوخر الوتر لمن يالف ان يعتاد ويثق
بالقيام بعد المنام وقد قالت عائشة اوتر عليه السلام اول الليل واوسطه واخره وانتهى فى وتره الى
السحر متفق عليه ويقرا يس فى كل ليلة والافضل فى التهجد فلابن حبان من حديث جندب من قرا يس

في ليلة ابتغاء وجه الله غفر الله له ولابن منصور الغزنوي من حديث علي يا علي اكثر من قراءة يس الحديث وتبارك
الاولى والسجدة وللترمذي من حديث جابر كان لا ينام حتى يقرأ الم تنزيل السجدة وتبارك الذي بيده
الملك وعثمان لم اجده وكذا ابن حبان لم يذكر والدخان فللترمذي من حديث ابي هريرة من قرا حم
الدخان في ليلة اصبح يستغفر له سبعون الف ملك والملك وقد سبق ولابي الشيخ في الثواب من حديث عائشة
من قرا في ليلة الم تنزيل ويس وتبارك الذي بيده الملك واقتربت كن له نورا الحديث والزمر فللترمذي
من حديث عائشة كان لا ينام حتى يقرأ بني اسرائيل والزمر وقال حسن غريب والواقعة فللحارث بن ابي
اسامة من حديث ابن مسعود من قرا سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا والمسبحات الست اي السور
المصدرة بالتسبيح وهي الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن والاعلى فللترمذي وقال حسن ولابي
داود والنسائي في الكبرى من حديث عرباض بن سارية كان يقرأ المسبحات في كل ليلة ويقول فيهن آية افضل
من الف آية وينام اي بعد القيام عند الغلبة اي غلبة النوم فهو المأثور فقد روى ابو داود والنسائي من
حديث عائشة ما من امرئ يكون له صلاة بالليل فيغلبه عليها نوم الا كتب له اجر صلاته وكان نومه
صدقة عليه وفي رواية النسائي وابن ماجه من حديث ابي الدرداء بسند صحيح من اتى فراشه وهو ينوي ان
يقوم يصلي من الليل فغلبته عيناه حتى يصبح كتب له ما نوى وكان نومه صدقة عليه من الله وورد كانوا قليلا
من الليل اي من زمانه ما يهجعون اي الذي يرقدون فيه او كانوا يرقدون قليلا من الليل فاخرا عادة
للعواصل او كانوا قليلا من عبادنا ما يرقدون من الليل اي بعضه او كله وقيل ما زائدة ويهجعون خبر كان
وقليلا ظرف اي ينامون في زمن يسير من الليل ويقومون اكثره والآيات والاخبار والآثار في احياء الليل
كثيرة شهيرة منها سورة المزمل وقوله تتجافى جنوبهم عن المضاجع الآيات وفي الحديث عليكم بقيام الليل
فانه داب الصالحين قبلكم الترمذي من حديث بلال والطبراني والبيهقي من حديث ابي امامة بسند حسن
وعن المغيرة بن شعبة قام النبي صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت قدماه فقيل يا رسول الله قد غفر الله لك ما تقدم
من ذنبك وما تاخر فقال افلا اكون عبدا شكورا الترمذي في الشمائل واصله في الصحيحين وذكر عنده رجل
نائم حتى اصبح فقال ذاك بال الشيطان في اذنه متفق عليه من حديث ابن مسعود ولا يصلي بعد نوم اي بعد غلبة
النوم فورد حديث ميمون ان قال ليصل من الليل فاذا غلبه النوم تعلقت بحبل ليصل احدكم من الليل ما تيسر
فاذا غلبه النوم فليرقد وقد ورد قيامه عليه السلام اول الليل الى ان يغلبه النوم فاذا انتبه قام فاذا غلبه
النوم عاد اي النوم فيكون له في الليل نومتان كذا في الاحياء قال العراقي رواه ابو داود والترمذي
وصححه وابن ماجه من حديث ام سلمة كان يصلي وينام قدر ما صلى ثم يصلي قدر ما نام ثم ينام قدر ما صلى
حتى يصبح وللبخاري من حديث ابن عباس صلى العشاء ثم جاء فصلى اربع ركعات ثم نام ثم قام انتهى وفي
الشمائل عن عائشة كان اذا لم يصل بالليل منعه من ذلك النوم او غلبته عيناه صلى من النهار اثنتي عشرة
ركعة وفي مسلم عنها انه عليه السلام كان اذا نام من الليل من وجع او غيره فلم يقم من الليل صلى اثنتي عشرة
ركعة بالنهار اي تداركا لما فاته من التهجد لقوله تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد

اراد شكورا وفي صحيح مسلم عن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نام عن حزبه او شيء
منه فقرأه ما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كان كمن قرأه الليل لا تكابدوا الليل اي لا تغالبوه
فورد ان الدين يسر ولن يشاد الدين احد الا غلبه فسددوا وقاربوا وابشروا واستعينوا بالغدوة والروحة
وشيء من الدلجة البخاري والنسائي عن ابي هريرة عليكم هديا قاصدا عليكم هديا قاصدا عليكم هديا قاصدا
فانه من يشاد هذا الدين يغلبه احمد والحاكم والبيهقي وفيه اي في التهجد بعد غلبة النوم التعبد على ملال او وجع
اي في ذمه انه اكثر نفعا اذ ربما يجري على لسانه موجب ذمه وانه تحمل ما لا يطاق اي وفيه تكليف ما لا
يستطيع وقد قال تعالى ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ولا يكلف الله نفسا الا وسعها وورد تكلفوا من الدين اي من
اعماله ما تطيقون فعن عمران بن حصين عليكم من الاعمال ما تطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا الطبراني
وتبغيض العبادة اي وفيه ابغاضها الى النفس في ايثارها وفي نسخة بالنون والضاد المعجمة اي تمرير لها
اليها في شدة تكرير لها فورد لا تبغض بالوجهين الى نفسك عبادة الله لم اجده مبنى ولا موافقة ما سبق معنى وتحقق
في القيام بعد المنام فورد في نعت عباد الرحمن والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما ام صلاة الليل ولو قدر
حلب شاة رواه ابن يعلى من حديث ابن عباس في صلاة الليل مرفوعا نصفه ثلثه ربعه فواق حلب
ناقة فواق حلب شاة ولابي الوليد بن المغيث من رواية اياس بن معاوية مرسلا لا بد من صلاة الليل
ولو حلبة ناقة او حلبة شاة قال ولا ان يقوم كل الليل اي ان قدر عليه وفيه انه بظاهره خلاف الكتاب
والسنة ومناف لما تقتضيه الحكمة ففي القرآن قم الليل الا قليلا ومن الليل فتهجد وفي السنة اما انا
فاقوم وانام وافطر واصوم فلم يحفظ عنه عليه السلام انه سهر ليلة في جميع الايام بل اما الحكمة فقد جعل الله
النوم سباتا اي راحة للابدان ومنة فيه على الانسان حيث قال ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا
فيه ولتبتغوا ولعلكم تشكرون وهو اي احياء الليل كله لمن يجرد له اي لقيامه ومنع النفس عن منامه وجعل
النوم في الزيادة بدلا عن قيامه في مرامه وقوي يقينه اي وصلب دينه فيلتذ به ويتعذر اي زوجه بسببه
فيهجمون عليه شاق امره ويحلو عليه مرارة صبره وفيه الاسباب المعينة على سهره خوف يغلب على قلبه مع
قصر امله بحيث يحمله على تكثير عمله او رجاء يحمله على تكلفه وتحمله كما قال طاوس ان ذكر جهنم طير نوم العابدين
وربما بلغ ان ذكر الجنة طير نوم الراقدين كما قال بعضهم اذا ذكرت النار اشتد خوفي واذا ذكرت الجنة اشتد شوقي
ولذي النون المصري شعر

منع القرآن بوعده ووعيده ... مقل العيون بليلها ان تهجعا
فهموا عن الملك الجليل كلامه ... فرقابهم ذلت اليه تخضعا

ومنه اشرف البواعث الحب لله فانه في قيامه لا يتكلم في حرف منه الا وهو مناج به حضرة ربه وهو مطلع عليه
مع مشاهدة ما خطر بقلبه فاذا كمل محبته رسخ احب لا محالة الخلوة به وتلذذ له المناجاة بسببه فيتحمل تلك اللذة
على طول القيام ودفع المنام وقال بعض الاعلام ليس في الدنيا وقت يشبه نعيم اهل الجنة الا ما يجده اهل
التملق في قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة وقال اخر لذة المناجاة ليست من الدنيا وانما هي من الجنة اظهرها الله
لاوليائه لا يجدها سواهم وقال علي بن بكار منذ اربعين سنة ما احزنني شيء سوى طلوع الفجر وقال الفضيل اذا غربت

الشمس فرحت بالظلام لخلوتي بربي واذا اطلعت حزنت لدخول الناس علي وقال ابو سليمان اهل
الليل في ليلهم الذ من اهل اللهو في لهوهم ولولا الليل ما احببت البقاء في الدنيا وقد كان ذلك طريق جماعة
من السلف كانوا يصلون الصبح بوضوء العشاء ومنهم ابو حنيفة امام الفقه وهو اي قيام الليل كله
محكي عن اربعين منهم اي من التابعين قال ابو طالب المكي انه ذلك حكي على سبيل التواتر والاشتهار
عن اربعين من التابعين وكان فيهم من واظب عليه اربعين سنة منهم سعيد بن المسيب وفضيل وطاوس
ووهب بن منبه والربيع بن خيثم وابو سليمان الداراني والخواص ومالك بن دينار وسليمان التيمي
ويزيد الرقاشي ويحيى البكاء ومحمد بن المنكدر وكهمس بن المنهال وكان يختم في الشهر تسعين ختمة
وما لم يفهمه رجع وهذا اما ان يكون من قبيل خرق العادة من طي اللسان او بسط الزمان والله المستعان ن
ثم النصف اي يقوم نصف الليل وواظب عليه اي قيام النصف منهم جمع من السلف ثم الثلث
ثم السدس فعن عائشة كان يقوم اذا سمع الصارخ يعني الديك وهذا يكون السدس فما دونه والحديث
متفق عليه ومن الجملة ربما كان عليه السلام يقوم نصف الليل او ثلثه او سدسه ففي الصحيحين من حديث
ابن عباس نام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتصف الليل او قبله بقليل استيقظ الحديث وهو المطا بق
لقوله تعالى قم الليل الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه والمطابق لقوله تعالى ان ربك يعلم انك
تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه فقد ثبت انه قام الثلثين من ابي داود نام حتى اذا ذهب
ثلث الليل او نصفه استيقظ الحديث ولمسلم من حديث عائشة فيبعثه الله ما شاء ان يبعثه من الليل
والاحب ان يجعل سهره في الجوف اي اواسط الليل فوتر ركعتان في جوف الليل خير من الدنيا وما
فيهما ولولا ان اشق على امتي لفرضتهما ادم بن ابي اياس في الثواب ومحمد بن نصر المروزي في كتاب
قيام الليل من رواية حسان بن عطية مرسلا ووصله ابو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث
ابن عمر قال العراقي ولا يصح قلت والضعيف يعمل به في الفضايل اتفاقا ثم اي بعد السدس ركعتان
او اربع وكان الاولى ان يقول اربع ركعات او ركعتين ولو قعودا فقد ثبت انه عليه السلام ما مات
حتى كان اكثر صلاته من النوافل جالسا ثم احياء ما بين العشائين فقيل نزل فيه قوله تعالى تتجافى جنوبهم
عن المضاجع وعن محمد بن المنكدر من صلى ما بين المغرب والعشاء فانها صلاة الاوابين وعن ابي
هريرة من صلى بعد المغرب ست ركعات لم يتكلم فيما بينهن بسوء عدلن له بعبادة ثنتي عشرة سنة
الترمذي وابن ماجه وفي مسند الفردوس من حديث ابن عباس من صلى اربع ركعات بعد المغرب قبل ان يكلم
احدا رفعت له في عليين وكان كمن ادرك ليلة القدر في المسجد الاقصى ولعل الجمع بين الروايتين
ان الاربع يراد به المستحب بعد الركعتين من المؤكدة وورد من ركع عشر ركعات ما بين المغرب والعشاء بني له
قصر في الجنة فقال عمر اذا تكثر قصورنا يا رسول الله فقال عليه السلام الله اكبر رواه ابن المبارك في الزهد
من رواية عبد الكريم بن الحارث مرسلا وقال الاسود ما اتيت ابن مسعود في هذا الوقت الا ورايته يصلي
فسالته فقال نعم هي صلاة الغفلة وقال احمد بن ابي الحواري قلت لابي سليمان الداراني اصوم النهار واتعشى

والتعشي ما بين المغرب والعشاء احب اليك او افطر النهار واحيي ما بينهما فقال اجمع ما بينهما فقال ان لم
يتيسر فقال افطر وصل ما بينهما والقيام قبل الصبح اي ليدرك احياء بعض الليل من اوله واخره فقد ورد د
من صلى العشاء في جماعة فكانما قام نصف الليل ومن صلى الصبح في جماعة فكانما صلى الليل كله احمد ومسلم عن
عثمان وروي اي في الحديث المنام كلما غلب والقيام كلما استيقظ وهو افضل مما ذكر من التقديرات لانه
اشق والحديث فيه قد سبق والمعين عليه اي على القيام تسعة اشياء ان لا يكثر الاكل فهو سبب كثرة
الشرب العايد الى كثرة النوم وقد كان بعض الشيوخ يقف على المائدة لزيادة الفائدة في امر الدين
ويقول يا معشر المريدين لا تاكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتخسروا عند الموت كثيرا وان لا يتكلف
بالنهار في امور تعني بالنون من العناء او بالياء من الاعياء اي تتعب الاعضاء وتضعف الاعصاب الاجرا
وقيلة بفتح اوله من القيلولة فانها من السنن المنقولة والمراد منها الاستراحة نصف النهار وان لم
يكن فيه نوم فورد قيلوا فان الشياطين لا تقيل الطبراني في الاوسط وابو نعيم في الطب عن انس
وكان الحسن اذا دخل السوق فسمع لغطهم ولغوهم يقول اظن ليل هؤلاء ليل سوء فانهم لا يقيلون
وان لا يذنب اي في النهار فهو اي الذنب والعصيان سبب الحرمان فينبغي ان يجتنب الاوزار بالنهار
حتى يقوم الليل مع الابرار قال رجل للحسن يا ابا سعيد اني ابيت معافا واحب قيام الليل واعد طهور ي
فما بالي لا اقوم قال ذنوبك قيدتك قال الثوري حرمت قيام الليل خمسة اشهر بذنب اذنبته قيل وما هو
ذلك الذنب قال رايت رجلا يبكي فقلت في نفسي هذا مراء وقال ابو سليمان الداراني لا تفوت احدا صلاة جماعة
الا بذنب وقال بعضهم كم من اكلة منعت قيام ليلة وكم من نظرة منعت قراءة سورة وهذا لان الخير يدعو الى
الخير والشر يدعو الى الشر والقليل من كل واحد يجر الى الكثير فكما ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فكذلك
الفحشاء تنهى عن الصلاة بل هذا هو الاكثر وهذه الامور الكثيرة المذكورة من الاسباب الظاهرة
التي بها يتيسر قيام الليل واما الاسباب الباطنة فقوله ويفرغ القلب من هموم الدنيا فالمستغرق الهم بتدبير
الدنيا لا يتيسر له القيام بامر العقبى وان قام في بعض اوقاته فلا يتفكر في صلاته الا في تفاريق
مهماته وفي مثل ذلك يقال شعر واتت اذا استيقظت ايضا فنايم بحالك في العالم فان نومه عبادة ويقظته
اذاده وزيادة وكذا نوم الظالم عبادة ويلزم الخوف منه تعالى من مناقشة حسابه ومن اليم عقابه وحجا به
من بابه ويقصر الامل فانه ينتظر الاجل ليكثر العمل ويذكر ما ورد في فضله اي في فضيلة القيام من الايات
والاخبار عنه عليه السلام وما وعد عليه اي الله سبحانه من القربة اليه والمثوبة لديه والاصل اي الذي
عليه مدار الاسباب محبته تعالى والايمان على القول والزهد في الدنيا والاستعداد للعقبى واستحكام الايما ن
اي بالقران واليقين بان يكون متغذيا به في جميع الازمان وكما لا يشبع غدا وعشا فكذلك لا يرتاح
غدا ودوام المنى في نزول رحمته وحصول مغفرته في وقت السحر وخوف ان يفوته قيام الليل ولو في سفره فقد
روى النسائي عن حميد بن عبد الرحمن ان رجلا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال قلت وانا في سفر مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لارقبن رسول الله صلى الله عليه وسلم فنام بعد العشاء زمانا ثم استيقظ فنظر في

الا نوق تعالى ربنا ما خلقت هذا باطلا حتى يبلغ انكران تخلف الميعاد وفى رواية الى اخر السورة ثم استل
من فراشه سواكه وتوضا وصلى حتى ثلث صلى فشكا نام الحديث وفى رواية اخذ سواكه الرجل حرزه الرجل
وهذا صريح فى انه كان فى سفرو براعى فواضل الليالى كان وتارة العشر الاواخر من رمضان اذ فيها
تطلب ليلة القدر كما فى الاخبار الكثيرة والاثار الشهيرة لا سيما السبع والعشرين فان عليه اكثر الصحابة
والاخبار والسابعة عشرة منه فعن ابن الزبير انها ليلة القدر وهى صبيحة يوم الفرقان يوم التقى
الجمعان فيه كانت وقعة بدر والاولى من المحرم فانه الشهر المكرم ومبدا العام المفخم فاسرار البداية
تدل على انوار الهداية والعاشرة منه اى من المحرم وهى ليلة عاشورا والاولى من رجب وكان عليه
السلام اذا راى هلال رجب قال اللهم بارك لنا فى رجب وشعبان وبلغنا رمضان وبلغنى انه شهر
الغفران ويقال فيه استغفر الله ذا الجلال والاكرام من جميع الذنوب والاثام ثم رايت المنوفى قال وقد
افاد صاحب ترغيب الطالب فى اشرف المطالب انه راى بخط الشيخ الحافظ كمال الدين الدميرى عن ابن
عباس مرفوعا من قال فى شهر رجب وشعبان استغفر الله العظيم الذى لا اله الا هو الحى القيوم واتوب اليه
توبة عبد ظالم لنفسه لا يملك لنفسه موتا ولا حياة ولا نشورا سبع مرات اوحى الله تعالى الى الملكين الموكلين
به ان حرقا صحيفة ذنوبه ويكفينا فى ثبوت وروده اعتنا الحافظ الدميرى بنقله بخطه سكتا عليه ولو
كان موضوعا لبينه فانه امام فى هذا الفن واقل مراتبه ان يكون ضعيفا والضعيف يعمل به فى فضايل
الاعمال اتفاقا والخامسة عشرة وهى ليلة النصف منه والسابعة والعشرين منه وفى الاحيا وليلة
سبع وعشرين منه قال وهى ليلة المعراج وفيها صلاة ماثورة للعامل فى هذه الليلة حسنات
مائة سنة فمن صلى اثنتى عشرة ركعة يقرا فى كل ركعة بفاتحة الكتاب وسورة من القران ويتشهد فى كل ركعتين
ويسلم فى اخرهن ثم يقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر مائة مرة ويدعو لنفسه بما شاء من امر
دنياه واخرته ويصبح صايما فان الله سبحانه يستجيب له دعاه كله الا ان يدعو فى معصية قال العراقى ذكره موسى
المدينى فى فضايل الليالى والايام ان ابا محمد الخبازى رواه من طريق الحاكم ابى عبد الله من رواية محمد بن الفضل
عن ابان عن انس مرفوعا ومحمد بن الفضل وابان ضعيفان جدا والحديث منكر من جملتها حديث ابى هريرة
من صام يوم سبع وعشرين من رجب كتب الله له صيام ستين شهرا وهو اليوم الذى هبط فيه جبريل على
محمد صلى الله عليه وسلم ابو موسى المدينى من رواية شهر بن حوشب عنه والخامسة عشرة من شعبان وفى الاحيا
واما ليلة النصف من شعبان فيصلى مائة ركعة فى كل ركعة سورة الاخلاص عشر مرات وفاتحة الكتاب كانوا
لا يتركونها فقال العراقى حديث باطل نعم لابن ماجه من حديث على اذا كانت ليلة النصف من شعبان
فقوموا ليلها وصوموا نهارها وفى الترغيب عن عمر انه كان يقول فى ليلة النصف من شعبان اللهم ان كنت
كتبتنى من السعدا فاثبتنى وان كنت كتبتنى من الاشقيا فامحنى واكتبنى فى السعدا فانك تمحو ما تشاء وتثبت
وعندك ام الكتاب وليلة عرفة لم اجد له اصلا والعيد اى وليلتى العيد فقد ورد من احيا ليلتى العيد لم
يمت قلبه يوم تموت القلوب ابن ماجه باسناد ضعيف من حديث ابى امامة والايام اى ويراعى فضايل

فضايل الايام كالعيد اى يومى العيدين والتشريق اى ايامها ولو لم يكن فى منى وما يجى فى اخر
الباب الثالث من الصوم ان شا الله تعالى والا فضل يوم الجمعة وليلته وهو سيد الايام عند الله تعالى
كما ورد يوم المزيد فى الاخرة لزيادة حصول اللقا فيه لاهل الوفا وورد خير يوم طلعت فيه الشمس يوم
الجمعة مسلم عن ابى هريرة ان لله تعالى فى كل جمعة ستماية الف عتيق من النار ابن عدى وابن حبان
فى الضعفا والبيهقى فى الشعب من حديث انس وقيل يوم عرفة افضل وقيل يوم الجمعة افضل ايام الاسبوع
ويوم عرفة افضل ايام السنة وقد ورد من مات يوم الجمعة او ليلة الجمعة كتب له اجر شهيد ووقى فتنة القبر
ابو نعيم فى الحلية من حديث جابر وللترمذى نحوه من حديث عبد الله بن عمرو الحكيم فى النوادر وعن عايشة
مرفوعا اذا سلم يوم الجمعة سلمت الايام واذا سلم شهر رمضان سلمت السنة ابن حبان فى الضعفا
وابو نعيم وهو ضعيف فلا نبطل اى من الطاعة عصر الخميس فهو متبرك اى متقرب لليلة الجمعة وكذا اوله متبرك
فلابن ماجه عن ابى هريرة والطبرانى فى الاوسط عن عايشة مرفوعا اللهم بارك لامتى فى بكورها يوم
الخميس وفى رواية انه قال عليه السلام اغدوا فى طلب العلم فانى سالت ربى ان يبارك لامتى فى بكورها
يوم الخميس واما ما اشتهر فى هذا الايام بارك لامتى فى سبتها وخميسها فباطل لا اصل له ويستعد لها اى الجمعة
بغسل الثياب اى من الاوساخ وادى يوم الخميس وهو اولى لمن يقدر على التكبير الا على الاغتسال وهو سنة
موكدة للصلاة على الصحيح ويشهد له ما ورد من شهد الجمعة من الرجال والنسا فليغتسلوا ابن حبان والبيهقى
من حديث ابن عمر وقيل بوجوبه وهو ظاهر حديث غسل الجمعة واجب على كل محتلم متفق عليه من حديث ابى
سعيد وعن نافع عن ابن عمر من اتى الجمعة فليغتسل الشيخان وابن حبان وقد قال عمر لعثمان لما دخل
يخطب اهذه الساعة منكرا عليه ترك التكبير فقال ما زدت بعد ان سمعت الاذان على ان توضات وخرجت
فقال والوضوء وقد علمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامر بالغسل متفق عليه من حديث ابى هريرة وقد
علم جواز ترك الغسل بما ورد من توضا يوم الجمعة فبها ونعمت ومن اغتسل فالغسل افضل ابو داود والترمذى
وحسنه والنسائى من حديث سمرة وكان عليه السلام ربما اغتسل يوم الجمعة وربما تركه احيانا الطبرانى عن
ابن عباس وورد رحم الله من غسل يوم الجمعة واغتسل وبكر وابتكر اصحاب السنن وحسنه الترمذى
وابن حبان والحاكم وصححه من حديث اوس بن اوس والتطيب اى استعمال الطيب المناسب له فورد
طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفى لونه وطيب النسا ما ظهر لونه وخفى ريحه ابو داود والترمذى وحسنه
والنسائى من حديث ابى هريرة وقال الشافعى من نظف ثوبه قل همه ومن طاب ريحه زاد عقله وورد حق
على المسلمين ان يغتسلوا يوم الجمعة وليمس احدهم من طيب اهله فان لم يجد فالماء له طيب الترمذى عن البرا
وتفريغ القلب من الشواغل كما يشير اليه قوله تعالى اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا
البيع وفى معناه كل شاغل عنها ظاهرا او باطنا ومن ثم جا اى ومن اجل تفريغ القلب ورد ان ياتى اهله
اى يجامع فى صلاة الجمعة امراته او امته وحمل عليه رواية من غسل بالتشديد اى حمل اهله على الغسل والغزالى
ومن اغتسل غسل الجنابة فليفض الما على بدنه مرة اخرى بنية غسل الجمعة فان اكتفى بغسل واحد اجزاه وحصل

رد الغسل اذا نوى كليهما وفضل غسل الجمعة في الجنابة انتهى ولا يخفى ان تكرار الغسل من غير فصل بعبادة
بعده من الاسراف فالاولى ان يغتسل واحدا وينويهما وفي الاحياء ومن اغتسل ثم احدث توضأ ولم
يبطل غسله والاحب ان يحترز عن ذلك انتهى ولا يخفى ان هذا محمول على ان الغسل لليوم لا للصلاة
ويقلم الاظفار اي في اول يوم الجمعة فعن ابن مسعود من قلم اظفاره يوم الجمعة اخرج الله منه داء وعن ابي
هريرة انه عليه السلام كان يقلم اظفاره ويقص شاربه يوم الجمعة قبل ان يروح الى الصلاة البيهقي
في الشعب وله ايضا من مرسل ابي جعفر الباقر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحب ان يأخذ من اظفاره ن
وشاربه يوم الجمعة او يوم الخميس اذا اراد التبكير وسئل احمد عنه فقال يسن يوم الجمعة قبل الزوال وعنه يوم
الخميس وعنه يتخير قال العسقلاني وهذا هو المعتمد انه يستحب كيفما احتاج اليه وورد قصوا اظافيركم كم
فان الشيطان يجري ما بين اللحم والظفر الخطيب في الجامع باسناد ضعيف من حديث جابر وقد جاء الامر
بتنظيف ما تحت الاظفار ففي رواية الطبراني من حديث وابصة بن معبد سألت النبي صلى الله عليه وسلم
عن كل شيء حتى عن الوسخ الذي يكون في الاظفار فقال دع ما يريبك الى ما لا يريبك وسنده ضعيف
وورد انه عليه السلام استبطأ الوحي فقيل له يا رسول الله لقد ابطأ عنك جبريل فقال ولم لا يبطئ
عني وانتم لا تستنون ولا تقلمون اظفاركم ولا تقصون شواربكم ولا تنقون رواجبكم ولا
تغسلون براجمكم احمد من حديث ابن عباس والرواجب والبراجم ما دون تحت الاظفار من الوسخ
والبراجم معاطف ظهور الاصابع قال الغزالي ولم ار في الكتب خبرا مرويا في ترتيب قلم الاظفار ولكن سمعت
انه روي عنه عليه السلام انه بدأ بالمسبحة اليمنى وختم بالابهام اليمنى وابتدأ في اليسرى بالخنصر الى الابهام م
وتعقبه العراقي بقوله لم اجد له اصلا وقد انكر ابو عبد الله المازري في الرد على الغزالي وشنع عليه
قلت لا تشنيع عليه حيث انه بنى على ما ثبت لديه مع انه نفى رؤيته رواية خبر مسندا اليه والحاصل ان التقليم
من باب التنظيف فهو وغيره من قص الشارب ونتف الابط وحلق العانة مقدم على الغسل ويتعمم
فعن ابي الدرداء ان الله وملائكته يصلون على اصحاب العمائم يوم الجمعة الطبراني وابن عدي وعن
ابن عمر مرفوعا صلاة بعمامة تعدل خمسا وعشرين وجمعة بعمامة تعدل سبعين جمعة وعن انس
مرفوعا الصلاة بالعمامة بعشرة الاف حسنة الديلمي وحكم بعض الحفاظ بضعفه بل بوضعه لكن
في الجامع الصغير للسيوطي وقد التزم فيه ان لا يورده موضوعا عن ابن عمر برواية ابن عساكر صلاة
تطوع او فريضة بعمامة تعدل خمسا وعشرين صلاة بلا عمامة وجمعة بعمامة تعدل سبعين جمعة بلا عمامة
ولا يركب لانه اقرب الى حسن الادب والتواضع مع الرب ولذا قال في قوله تعالى فاسعوا الى ذكر الله ولانه
اشق فالاجر على قدر المشقة والقياس على طريق الحج والعمرة ويبالغ في التبكير ويدخل وقت البكور
بطلوع الفجر وقيل بالاستواء والماثور في فضل البكور فقد ورد من راح الى الجمعة في الساعة الاولى فكانما
قدم بدنة ومن راح في الساعة الثانية فكانما قدم بقرة ومن راح في الساعة الثالثة فكانما قرب كبشا ومن راح
في الساعة الرابعة فكانما اهدى دجاجة ومن راح في الساعة الخامسة فكانما اهدى بيضة فاذا خرج الامام

الامام طويت الصحف ورفعت الاقلام واجتمعت الملائكة عند المنبر يستمعون الذكر فمن جاء بعد ذلك
فانما جاء لحق الصلاة ليس له من الفضل شيء متفق عليه من حديث ابي هريرة الا ان قوله ورفعت الاقلام
عند البيهقي من حديث عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده وذكر ابن مردويه في التفسير من حديث علي باسناد و
ضعيف اذا كان يوم الجمعة نزل جبريل عليه السلام فركز لواءه بالمسجد الحرام وغدا سائر الملائكة الى
المساجد التي تجمع فيها يوم الجمعة واتوا بصحف من ذهب وصحف من فضة يكتبون الاول فالاول على مراتبهم
فمن ورد ان الملائكة يتفقدون العبد اذا تأخر عن وقته يوم الجمعة فيسأل بعضهم بعضا عنه ما فعل فلان
وما الذي اخره عن وقته فيقولون اللهم ان كان اخره فقر فاغنه وان كان اخره مرض فاشفه وان
كان اخره شغل ففرغه لعبادتك وان كان اخره لهو فاقبل بقلبه الى طاعتك البيهقي من رواية عمرو
بن شعيب عن ابيه عن جده باسناد حسن ومن فوائد البكور عدم تخطي رقاب اهل الحضور فقد ورد من
تخطى رقاب الناس يوم الجمعة اتخذ جسرا الى جهنم الترمذي وابن ماجه من حديث معاذ بن انس وروى
ابن جريج مرسلا ان النبي صلى الله عليه وسلم بينما هو يخطب يوم الجمعة اذ رأى رجلا يتخطى رقاب الناس
حتى تقدم فجلس فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم عارض الرجل حتى لقيه فقال يا فلان ما منعك ان
تجمع معنا اليوم فقال يا نبي الله قد جمعت فقال او لم ارك تتخطى رقاب الناس ابن المبارك في الرقائق
وفيه اشارة الى ان الله احبط عمله ونقص امله وفي حديث مسند انه قال ما منعك ان تصلي معنا قال اولم ترني
قال رأيتك آنيت وآذيت اي تأخرت عن البكور وآذيت الحضور والحديث رواه ابو داود والنسائي وابن
حبان والحاكم من حديث عبد الله بن بسر مختصرا وقيل لبشر بن الحارث نراك تبكر وتصلي في آخر الصفوف
فقال انما يراد قرب القلوب لا قرب الاجساد واشار به الى ان ذلك اسلم لقلبه وقيل لسفيان الثوري
اليس في الخبر ان فاستمع فقال ويحك ذلك للخلفاء الراشدين فاما اليوم فكلما ابعدت عنهم ولم تنظر اليهم
كان اقرب الى الله تعالى وروي عن علي وعثمان رضي الله عنهما من استمع وانصت فله اجران ومن لم يستمع
وانصت فله اجر ومن سمع ولغا فعليه وزران ومن لم يستمع ولغا فعليه وزر وورد حديث ابي هريرة اذا
قلت لصاحبك يوم الجمعة انصت والامام يخطب فقد لغوت متفق عليه ولابي داود من حديث علي من قال
صه فقد لغا ومن لغا فلا جمعة له ولاحمد من حديث ابن عباس والذي يقول له انصت ليس له جمعة وفي
حديث ابي ذر لما سأل ابيا والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب وقال متى انزلت هذه السورة فاومأ اليه ان
اسكت فلما نزل النبي صلى الله عليه وسلم قال له ابي اذهب فلا جمعة لك فشكاه ابو ذر الى النبي صلى
الله عليه وسلم فقال صدق ابي واطلع ابيا البيهقي وقال في المعرفة اسناده صحيح ولابن ماجه من حديث
جابر ان السائل له ابو الدرداء او ابو ذر ولاحمد من حديث ابي الدرداء انه سأل ابيا ولابن حبان من حديث
جابر ان السائل عبد الله بن مسعود ولابي يعلى من حديث جابر قال قال سعد بن ابي وقاص لرجل لا جمعة
لك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لم يا سعد قال لانه كان يتكلم وانت تخطب فقال صدق سعد ويصلي قبل
الجلوس في الجامع اربعا بان يصلي اربعا منضما بقراءة الاخلاص مائتي مرة خمسين مرة بعد الفاتحة في كل ركعة فقد

نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه من فعله لم يمت حتى يرى مقعده في الجنة او يرى له كذا في الاحيا
وقال العراقي حديث من دخل يوم الجمعة المسجد وصلى اربع ركعات يقرا فيهن قل هو الله احد مائتي مرة الحديث
رواه الخطيب في الرواة عن مالك من حديث ابن عمر وقال غريب جدا وفي نسخة بعد الحديث الدارقطني في
غرائب مالك وقال لا يصح متن الكل جميع ما سبق من الغسل الى هنا فتامل بل ان ارباب الشمائل قالوا اذا فرغ
من الجمعة قرا الحمد لله سبع مرات قبل ان يتكلم وقل هو الله احد سبعا والمعوذتين سبعا سبعا وروي عن بعض
السلف ان من فعله عصم من الجمعة الى الجمعة وكان له حرزا من الشيطان كذا في الاحيا وسكت عنه
العراقي وقد رايت الحديث في الجامع الصغير مسندا الى ابن السني عن عايشة بلفظ من قرا بعد صلاة الجمعة
قل هو الله احد وقل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس سبع مرات اعاذه الله بها من السوء الى
الجمعة الاخرى ويستحب ان يقول بعد صلاة الجمعة يا غني يا حميد يا مبدي يا معيد يا رحيم يا ودود اغنني
بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك فقال من داوم على هذا الدعا اغناه الله عن خلقه ورزقه من
حيث لا يحتسب ثم يصلي بعد الجمعة ست ركعات فقد روى ابن عمر رضي الله عنهما انه كان عليه السلام
يصلي بعد الجمعة ركعتين متفق عليه وروى ابو هريرة اربعا رواه مسلم وروى علي وعبد الله ستا
البيهقي موقوفا على علي وله موقوفا على ابن مسعود اربعا ولابي داود من حديث ابن عمر كان اذا كان
بمكة صلى بعد الجمعة ستا والكل صحيح في احوال مختلفة والاكثر افضل ويشتغل بعد الاقامة اي بعد فراغ
صلاة الجمعة بعيادة او جنازة او تعلم لعلوم شرعية او زيارة اخ الى اخيه في جنبه تعالى شانه فيهما اي ثمة
سيرها ورد وابتغوا من فضل الله فقد قال انس في قوله تعالى فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا
من فضل الله الا انه ليس ابتغا المعاش لطلب الدنيا ولكن عيادة مريض او شهود جنازة او تعلم علم او
زيارة اخ في الله لا باستماع القصص اي مما اذا جاء في التواريخ فهو بدعة وكانوا الصحابة يخرجون
القصاص من المسجد فقد حضر ابن عمر في المسجد الى مجلسه فاذا قاص يقص في مجلسه فقال له قم عن
مجلسي فقال لا اقوم فقد جلست وسبقتك اليه فارسل ابن عمر الى صاحب الشرطة فاقامه من مجلسه ولو
كان ذلك من السنة لم يستحل اقامته فقد قال عليه السلام كما في الصحيحين لا يقيمن احدكم اخاه من
مجلسه ثم يجلس فيه ولكن يقول تفسحوا او توسعوا وكان ابن عمر اذا قام له الرجل من مجلسه لم يجلس فيه
حتى يعود اليه وروي ان قاصا كان يجلس بفنا حجرة عايشة فارسلت الى ابن عمر ان هذا قد اذاني
بقصصه وشغلني عن سبحتي فضربه ابن عمر حتى كسر عصاه على ظهره ثم طرده ويراقب الساعة المرجوة الموعود
فيها اي في تلك الساعة الاجابة اي على ما في الخبر المشهور ان في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم
يسال الله تعالى فيها شيا الا اعطاه اياه الترمذي وحسنه ابن ماجه من حديث عمرو بن عوف المزني وفي
خبر اخر لا يصادفها عبد يصلي متفق عليه من حديث ابي هريرة واختلف فيها اي في تبيين تلك الساعة
على طلوع الشمس اي على اقوال قيل عند طلوع الشمس والزوال اي عنده او بعده وقيل عند الاذان الاول
وصعود الامام اي على المنبر وقعوده والقيام للصلاة اي صلاة الجمعة كما بيناه ولتحقق في شرح الحصن

ده

وروي فيه انها في حين الغروب
او فيما ذكرنا بين العصر والغروب
صح

الحصن ومنتهى الى ان تحتجب في العصر اي اوله اراخره والغروب اي وقته متصل اي اخر ساعة من يوم الجمعة
وقيل ما بين العصر والغروب والى والانسب لقوله رعاية فاطمة رضي الله عنها كانت تروي عن النبي
عليه السلام وكانت توكل الخادم تتفقد هذا الوقت لتقوم في طلب المرام وفي رواية تامر خادمها ان
تنظر الى الشمس فاذا تدلت جنحها الى سقوط يوذنها بسقوطها فتاخذ فاطمة رضي الله عنها في الدعا
والاستغفار الى غروبها قال العراقي حديث فاطمة في صلاة الجمعة رواه الدارقطني في العلل والبيهقي في الشعب
وعلة الاختلاف في روايتيها اي روايته رعايتها تؤيد ما روي لا يوافقها اي الساعة وفي رواية
عبد اي مسلم يصلي اي يدعو بقرينة قوله الا استجيب له وقال كعب الاحبار انها في اخر ساعة من يوم
الجمعة وذلك عند غروب الشمس فقال ابو هريرة كيف تكون اخر ساعة وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقد منتظر الصلاة فهو في الصلاة قال بلى قال فذلك صلاة فسكت ابو هريرة وكان كعب
يقول ان الله ان هذه رحمة من الله تعالى للقائمين بحق اليوم وان ارسالها بعد الفراغ من تمام العمل كذا
في الاحيا تعقبه العراقي بان كعبا هو القائل ليس كذلك وانما هو عبد الله بن سلام واما كعب فانما
قال انها في كل سنة مرة ثم رجع والحديث رواه ابو داود والترمذي والنسائي وابن حبان من حديث
ابي هريرة ولابن ماجه نحوه من حديث عبد الله بن سلام انتهى وروى البيهقي في الشعب عن فاطمة
مرفوعا ان في الجمعة لساعة لا يوافقها مسلم يسال الله فيها خيرا الا اعطاه اياه اذا تدلى نصف الشمس
للغروب ولكنه اراب في ما مشى شيخه والله اعلم والمبهمة كليلة القدر وكالصلاة الوسطى والاسم الاعظم
فليستغرق اليوم لرعايته اي المراعاة او ادراكها انتهوا اي الى تمام الصوب ومن الناس من قيل انها تتنقل في ساعات ت
الجمعة كتنقل ليلة القدر وهو الاشبه وله سر لا يليق بعلم المعاملة ذكره لكن ينبغي ان يصدق بما قال
عليه السلام ان لربكم في ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها ويوم الجمعة جملة تلك الايام فينبغي ان يكون
حس العبد في جميع نهاره متعرضا لها باحضار القلب وملازمة ذكر الرب والنزوع عن وساوس الدنيا و
النفس والهوى فعساه يحظى بشي من تلك النفحات انتهى والحديث رواه الترمذي الحكيم في النوادر والطبراني
في الاوسط من حديث محمد بن مسلمة ولابن عبد البر في التمهيد ونحوه من حديث انس ورواه ابن ابي الدنيا في
كتاب الفرج من حديث ابي هريرة ويكثر الصلاة على عليه السلام اي في يوم الجمعة وليلتها فقد ورد اكثروا
من الصلاة علي في الليلة الغرا واليوم الازهر فان صلاتكم تعرض علي البيهقي عن ابي هريرة وابن عدي
عن انس وفي رواية البيهقي عن انس اكثروا من الصلاة علي في يوم الجمعة وليلة الجمعة فمن فعل ذلك كنت له شهيدا
وشافعا يوم القيامة وفي رواية ابن ماجه عن ابي الدردا اكثروا من الصلاة علي يوم الجمعة فانه يوم مشهود
تشهده الملائكة وان احدا لن يصلي علي الا عرضت علي صلاته حين يفرغ منها وفي رواية للبيهقي
عن ابي امامة اكثروا من الصلاة علي في كل جمعة فان صلاة امتي تعرض علي في كل يوم جمعة فمن كان اكثرهم علي
صلاة كان اقربهم مني منزلة وكانوا يصلون على النبي صلى الله عليه وسلم الف مرة ويقولون سبحان الله
والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر الف مرة وورد من صلى علي يوم الجمعة ثمانين مرة غفر له ذنوب ثمانين سنة

بكر يا رسول الله كيف الصلاة عليك قال تقول اللهم صل على عبدك ورسولك النبي الامي وتعقد
واحدة الدارقطني من رواية ابن المسيب قال اظنه عن ابي هريرة وقال حديث غريب وقال ابن النعمان
حديث حسن ومن ايضا وان قلت اللهم صل على محمد صلاة تكون لك رضا ولحقه اداء واعطه الوسيلة
والبعثه المقام المحمود الذي وعدته واجزه عنا ما هو اهله واجزه افضل ما جازيت نبيا عن امته وصل
عليه وعلى اخوانه من النبيين والصالحين يا ارحم الراحمين تقول هذا سبع مرات فقد قيل من قالها
سبع جمع في كل جمعة سبع مرات وجبت له شفاعته وان اراد ان يزيد اتى بالصلاة الماثورة فيقول اللهم
اجعل فضائل صلواتك ونوامي بركاتك وشرائف زكواتك ورافتك ورحمتك وتحيتك على محمد رسولك سيد
المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين ورسول رب العالمين وقائد الخير وفاتح البر ونبي الرحمة
وشفيع الامة اللهم ابعثه مقاما محمودا تزلف به قربه وتقر به عينه يغبطه به الاولون والاخرون اللهم
اعطه الفضل والفضيلة والشرف والوسيلة والدرجة الرفيعة والمنزلة الشامخة المنيفة اللهم اعط محمدا
سؤله وبلغه مأموله واجعله اول شافع واول مشفع اللهم عظم برهانه وثقل ميزانه وابلج حجته وارفع
في اعلى درجات المقربين درجته اللهم احشرنا في زمرته واجعلنا من اهل شفاعته واحينا وتوفنا على
ملته واوردنا حوضه واسقنا بكاسه غير خزايا ولا نادمين ولا شاكين ولا مبدلين ولا فاتنين
ولا مفتونين امين يا رب العالمين ابن ابي عاصم في كتاب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
من حديث ابن مسعود باسناد ضعيف ووقفه ابن ماجه على ابن مسعود وقراءة القران اي يكثر منه فيه
فيقرأ سورة الكهف خاصة فعن ابن مسعود من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة او يوم الجمعة اعطي نورا من حيث يقرأ
الى مكة وغفر له الى الجمعة الاخرى وفضل ثلاثة ايام وصلى عليه سبعون الف ملك حتى يصبح او يمسي وعوفي
من الداء والدبيلة وذات الجنب والجذام والبرص وفتنة الدجال رواه البيهقي ويتصدق اي يوم الجمعة
في غير الجامع ولغير السائل فيه فقد قال ابن مسعود اذا سال الرجل في المسجد فقد استحق ان لا يعطى بشيئين
مختلفين كدرهم ودينار وثوب وقرص او خبز وادام او فاكهتين مختلفتين فعن كعب الاحبار
من شهد الجمعة ثم انصرف فتصدق بشيئين مختلفين من الصدقة ثم رجع وركع ركعتين يتم ركوعهما
وسجودهما وخشوعهما ثم يقول اللهم اني اسالك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم وباسمك الله الذي
لا اله الا هو الحي القيوم لا تاخذه سنة ولا نوم لم يسال الله شيئا الا اعطاه ومن ثم روى ابن حبان
عن ابي هريرة مرفوعا من انفق زوجين من شيء من الاشياء في سبيل الله دعي من ابواب الجنة يا عبد الله هذا
خير وللجنة ابواب الحديث ورواه الخطيب عن انس بلفظ ما من مسلم ينفق زوجين في سبيل الله عز وجل
الا دعته الجنة […] ولا يخفى ان المتبادر من الزوجين ان يكون الشيئان متفقين لا مختلفين
كدرهمين ودينارين وثوبين وعن بعض السلف من اطعم مسكينا يوم الجمعة ثم غدا وابتكر ولم يؤذ احدا ثم يقول
حين يسلم الامام بسم الله الرحمن الرحيم الحي القيوم اسالك ان تغفر لي وترحمني وان تعافيني من النار ثم دعا بما
بدا له استجيب له ويصلي اي يوم الجمعة صلاة التسبيح وقد بسطت عليه في شرح الحصن رواية ودراية فكل ذلك عمل

وعمل وقد علمه عليه السلام لعمه العباس وقال له صلها في كل جمعة الحديث ابو داود وابن ماجه وابن خزيمة
والحاكم من حديث ابن عباس وكان ابن عباس لا يدع هذه الصلاة يوم الجمعة بعد الزوال ففي الكل
اي جميع ما تقدم فضائل اي وارده عن اصحاب الشمائل وجا قراءة يس والسجدة والدخان والملك
اي في ليلة الجمعة وقد سبق بيانها وبركاتها والمسبحات اي المتقدم ثناؤها والاكثار من صلى
اي بقراءة سورة الاخلاص يقرأها العصر في عشر ركعات او عشرين افضل من الختم اي ختم القران
بدونها او من غير الصلاة وبغير الاجابة مرويا لكن ورد من قرأ قل هو الله احد الف مرة فقد اشترى نفسه
من الله […] في فوائده عن حذيفة واما حديث قل هو الله احد تعدل ثلث القرآن قراءة فالحاكم واحمد
والبخاري وابو داود والنسائي عن ابي سعيد وجماعة عن جماعة كادان يكون متواترا […] وان حسن
ان يجعل وقته في الصلاة الى الزوال وبعد الجمعة الى العصر لسماع العلم وبعد العصر الى المغرب للتسبيح
والاستغفار وسائر الاذكار وينبغي ان يلازم المسجد حتى يصلي العصر فان وقف الى المغرب فهو افضل
ويقال من صلى العصر في الجامع كان له ثواب حجة ومن صلى المغرب فله ثواب حجة وعمرة فان لم يامن
التضييع ودخول الافة عليه من نظر الخلق الى اعتكافه او خاف الخوض فيما لا يعني فالافضل ان يرجع الى
بيته ذاكرا لله متفكرا في الائه شاكرا لله على نعمائه من جملتها توفيقه للطاعة خائفا من تقصيره مراقبا لقلبه ولسانه
الى غروب الشمس حتى لا تفوته الساعة الشريفة ولا ينبغي ان يتكلم في الجامع وغيره من المساجد بحديث
الدنيا فانه عليه السلام قال ياتي على الناس زمان يكون حديثهم في مساجدهم امور دنياهم ليس لله
عز وجل فيهم حاجة فلا تجالسوهم البيهقي في الشعب من حديث الحسن مرسلا واسنده الحاكم من حديث
انس وصححه وابن حبان من حديث ابن مسعود نحوه ولا يخصه بالصوم وقيام الليل فهو اي التخصيص
منهي عنه روى مسلم عن ابي هريرة لا تخصوا ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي ولا تخصوا يوم الجمعة بصيام
من بين الايام الا ان يكون في صوم يصومه احدكم وفي رواية احمد عن ابي هريرة لا تصوموا يوم الجمعة الا
وقبله يوم او بعده يوم ومن تحافظ الرواتب اي السنن المؤكدة بعد الفرائض وقبلها وسائر السنن اي
المستحبة كالتهجد في الليل والضحى في النهار ركعتين او اربعا او ستا او ثمانيا او اثنتي عشرة فورد انه عليه السلام
كان اذا اشرقت الشمس وارتفعت قام وصلى ركعتين واذا انبسطت وكانت في ربع النهار من جانب
المشرق فصلى اربعا الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث علي واحياء بين العشائين اي بالعبادة مطلقا
او بعشرين ركعة او بست ركعات ففي الكل فضائل وبعضها تقدم والعيد اي ويراعيه فطرا او اضحى بالتكبير
ونحوه ويستعد له كالجمعة من الغسل والتزين والتطيب ويرجع عن المصلى اي مصلى العيد حال الاياب في غير
طريق الذهاب فهو مروي اي عن فعله عليه السلام رواه مسلم والتراويح اي ويراعيها وهي عشرون ركعة
واداؤها سنة مؤكدة ويختم فيه فهو ماثور اي عن الصحابة ويختار الانفراد عن الجماعة ان خاف الرياء والجماعة
اي ويختارها ان خاف الكسل وقيل الانفراد افضل لقوله صلى الله عليه وسلم فضل صلاة المتطوع في بيته على
صلاته في المسجد كفضل صلاة المكتوبة في المسجد على صلاته في البيت آدم بن اياس في كتاب الثواب من حديث

ضمرة بن حبيب مرسل ورواه ابن ابي شيبة في المصنف مجملا عن ضمرة بن حبيب عن رجل من اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم موقوفا وفي سنن ابي داود باسناد صحيح من حديث زيد بن ثابت صلاة المرء
في بيته افضل من صلاته في مسجدي هذا الا المكتوبة وعن انس صلاة في مسجدي تعدل بعشرة الاف
صلاة وصلاة في المسجد الحرام تعدل بمائة الف صلاة والصلاة بارض الرباط تعدل بالفي الف صلاة
واكثر من ذلك كله الركعتان يصليهما العبد في جوف الليل لا يريد بهما الا ما عند الله عز وجل ابو الشيخ
في الثواب وذكر ابو الوليد الصفار في كتاب الصلاة تعليقا من حديث الاوزاعي قال دخلت
على يحيى فاسندلي حديثا وهو صلاة في مسجدي هذا افضل من الف صلاة في غيره وصلاة في المسجد
الحرام افضل من مائة الف صلاة في مسجدي وافضل من هذا كله رجل يصلي ركعتين في زاوية بيته لا يعلمهما
الا الله وقيل ان الجماعة افضل لفعل عمر رضي الله عنه فانه عليه السلام قد خرج فيها ليلتين او ثلاثا
للجماعة ثم لم يخرج وقال خشيت ان تفرض عليكم متفق عليه من حديث عايشة وجمع عمر الناس عليها
في الجماعة حيث امن الوجوب بانقطاع الوحي وتخير اي في صلاة التراويح سفرا او مع جماعة ان
امنهما اي الرياء والكسل وانما يخير لتضمن الجماعة البركة المشتملة على السرور والانفراد قوة الحضور
المتضمن لكثرة النور والحاصل ان هذه السنة ليست من الشعاير كالعيدين فالحاقها بصلاة الضحى
وتحية المسجد اولى ولم يشرع فيها جماعة نعم صلى عليه السلام التراويح بالجماعة ثم تركها خشية
ان تكتب على الامة ثم كان الناس يصلون فرادى وجماعات مختلفة فجمعهم عمر على امام واحد وقال
نعمت البدعة اي الحسنة وكذا الجماعة المجتمعة المشيرة الى الغفران منه والكسوف اي ويراعي صلاة الكسوف
وكذا الخسوف وتفصيلهما في كتب الفقه وقد ورد ان الشمس والقمر ايتان من ايات الله لا يخسفان لموت
احد ولا لحياته فاذا رايتم ذلك فافزعوا الى ذكر الله تعالى والى الصلاة قاله لما مات ولده ابراهيم عليه
السلام وخسفت الشمس فقال الناس انما كسفت لموته متفق عليه من حديث المغيرة بن شعبة وكذا ورد
اي ويراعي جميع ما ورد من السنة فيه وفضله كصلاة الرغايب وهي في اول ليلة جمعة من رجب يصلي
اثنتي عشرة ركعة بست تسليمات يقرا في كل ركعة بعد الفاتحة سورة القدر ثلاثا والاخلاص اثنتي
عشرة مرة وبعد الفراغ يصلي على النبي عليه السلام سبعين مرة ويدعو بما شاء وهي بدعة منكرة
كما صرح به النووي وغيره وكذا احاديثها من احيا يصوم اول خميس من رجب الحديث في صلاة الرغايب
اورده رزين في كتابه وهو موضوع كما قاله العراقي وليلة النصف من شعبان وهي ايضا صلاة
مائة ركعة بالاخلاص الف مرة وكانوا اي السلف يواظبون عليها قال العراقي حديث باطل ولابن ماجه
من حديث علي اذا كان ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها واسناده ضعيف والاستخارة
اي ويراعي صلاة الاستخارة ودعاءها بعدها وكان عليه السلام يعلمها تعليم سورة من القران البخاري
من حديث جابر وبسط الكلام عليه في شرح الحصن وركعتي الدخول في المنزل والخروج اي وركعتيه
منه اي من المنزل عن ابي هريرة قال عليه السلام اذا خرجت من منزلك فصل ركعتين تمنعانك مخرج السوء

مخرج السوء البيهقي في الشعب والخرايطي في مكارم الاخلاق وابن عدي في الكامل وفي الحديث اي قوله
نفس ومقرب اذ خلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق الاية وركعتي دفع النفاق في السراي الخفية
بان يصلي ركعتين يقرا في الاولى بعد الفاتحة قل يا ايها الكافرون وفي الثانية قل هو الله احد ثم يقول
اللهم اني اعوذ بك من النفاق والشقاق وسوء الاخلاق ولم اجده مرويا وتحية الوضوء وقيل صفانه عفا
والمسجد اي اورد قوله قبل جلوسه فتحية الوضوء مستحبة لان الوضوء قربة مقصودة بغير الصلاة ونحوها
وان حداث عارضة بعدها وربما يبطل الحدث قبل الصلاة فالمبادرة الى ركعتين اثنتين لمقصود
الوضوء قبل الفوت وتضييع السعي قبل الموت وعرف ذلك لحديث بلال اذ قال عليه السلام دخلت الجنة
فرايت بلالا فيها فقلت بلال بم سبقتني الى الجنة فقال بلال لا اعرف شيئا الا اني لا احدث وضوا الا صليت
عقيبه ركعتين او كما قال متفق عليه من حديث ابي هريرة فتحية المسجد سنة مؤكدة حتى انها لا تسقط في مذهب
الشافعي وان كان الخطيب في الخطبة يوم الجمعة مع تاكد وجوب استماع الخطبة وقد ورد اذا دخل احدكم المسجد
فلا يجلس حتى يصلي ركعتين ابن عدي والبيهقي عن ابي هريرة ولا يتعين لهما التطوع لحصول
المقصود في غيره اي غير التطوع وهو اي المقصود صون الوضوء والدخول عن التعطل اي البطالة عن
الطاعة بل الفرض افضل من النافلة فان ثوابه اكثر ولا ينوي الصلاة للوضوء اي لا يقول نويت ان
اصلي ركعتين للوضوء بل يطلق اي ينوي صلاة مطلقة لان الوضوء للصلاة دون العكس اذ ليست
الصلاة للوضوء ولكن لو نوى شكر التوفيق للوضوء لبعد وكذا تحيز النافلة في الاوقات المكروهة الى
مطلقا عندنا خلافا للشافعي حيث يجيز ادا صلاة لها سبب متقدم كتحية المسجد والتشني الحرم ايضا وشكر
الوضوء فيتبعه بعد الاذان اي وصح نهيها كراهة عند الشمس وسائر النيران وتعتني الشياطين
اي وتكثر الوساوس للانسان وقد ورد ان الشمس لتطلع ومعها قرن الشيطان فاذا طلعت قارنها فاذا
ارتفعت فارقها فاذا استوت قارنها فاذا زالت فارقها فاذا تضيفت للغروب قارنها فاذا غربت
فارقها النسائي من حديث عبد الله الصنابحي وهو مرسل ومالك وهو الذي يقول عبد الله الصنابحي ووهم فيه
والصواب عبد الرحمن ولم ير النبي صلى الله عليه وسلم وفي الحق اي الا تتابع عن الصلاة في الاوقات المكروهة
وهي بعد طلوع الفجر الى طلوع الشمس وبعد صلاة العصر الى غروبها وبعد غروبها قبل ادا المغرب واما الاوقات
المحرمة فهي عند طلوع الشمس واستوائها وعند غروبها تجدد الشوق الى العبادة ويرتفع عنه نوع من الملالة
وقد كره دخول المسجد على غير وضوء او تيمم وان دخل لعبور ضرورة او جلس في اوقات مكروهة فليقل سبحان
الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر يقولها اربع مرات فقيل انها عدل ركعتين في الفضل ولعله ماخوذ مما
ورد اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا وفسر الرياض بالمساجد والرتع بالكلمات المذكورة على ما تقدم والله سبحانه
اعلم ثم هذه الاوراد لا نوافح السالكين من الزهاد والعباد في التعداد زاد المقاد واما العارف المستغرق بكليته
اي في ورد محبته وورود الحضور في حضرته فورده الحضور اي حضور القلب في ذكر الرب في جميع المراتب بعد الفرايض
من الرواتب ويعرف ايضا العارف في علو المراتب بان لا يهتم بمعصية الا بقصدها ولا يغتر بطاعة اي لا يكسلها

ولا يزعج بمصيبة اي لا يتزلزل ولا يجزع ولا يفزع بموت الاولاد والاحفاد وساير الاقارب
من الحيوان والخدان وذهاب الاموال وتغير الاحوال من الامراض وساير شدائد الاهوال
ولا ينقلب اي عن حاله ومقامه بامر عظيم كالقحط وفتنة البلاد وساير البلايا الحادثة للعباد وهو
الكريم الرحيم **الباب الثاني** في الانفاق والقناعة بسم الله الرحمن الرحيم انفق في الطاعة
واصدق في القناعة فيما تسم لك اي تيام الساعة وورد في التنزيل ومن يوق شح نفسه اي يحفظ ويصان
بخلها فيما يجب عليها الاتيان فاولئك هم المفلحون اي الناجون من النار الفائزون بالجنة اذا لا يمنعون الزكاة
هم الظالمون اي الواضعون الاشياء في غير موضعها والذين يكنزون الذهب والفضة اي يجمعونها ولا
ينفقونها في سبيل الله اي من زكاتها لا يخرجونها الاية فبشرهم بعذاب اليم وفيه تهكم عظيم يوم يحمى عليها
في نار جهنم فتكوى بها جباههم لتعبسهم على الفقراء وجنوبهم لتكبرهم على الضعفاء وظهورهم لاعراضهم عن
عن العلماء والصلحاء ويقال لهم بلسان المقال او بيان الحال هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون
قال الاحنف بن قيس كنت في نفر من قريش فمر بنا ابو ذر فقال بشر الكانزين بكي في ظهورهم يخرج من
جنوبهم وبكي من قبل اقفائهم يخرج من جباههم وعن ابي ذر انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
جالس في ظل الكعبة فلما راني قال هم الاخسرون ورب الكعبة فقلت من هم فقال الاكثرون اموالا الا من قال
بالمال هكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ما هم متفق عليه والسخي قريب من
الله تعالى والبخيل بعيد من الله تعالى روى الترمذي عن ابي هريرة والبيهقي عن جابر والطبراني في الاوسط عن عائشة
بلفظ السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد
من الجنة قريب من النار تعس عبد الدينار وعبد الدرهم اي هلك والحديث كذا في صحيح البخاري وفي رواية
الترمذي عن ابي هريرة بلفظ لعن والنفقة اي الحكمة والسر في تشريع الانفاق الا تبتلى في دعوى حبه
تعالى وترك الدنيا اي محبتها لانها لا تجتمع مع محبة المولى وان المحبة تقتضي الشركة ولا تعدد الحبة وانما تتجلى
درجة الحب بمفارقات المحبوبات وان الاموال محبوبة عند الخلق الا لكونها آلة تمتعهم بالدنيا وشهواتها وبسببها
يانسون بهذا العالم الدنيوي وشهواتها وينفرون عن الموت مع لقاء المحبوب في الجنة وساير الاتها فامتحنوا
بتصديق دعواهم واستنزلوا عن المال الذي هو معشوقهم ومهواهم ولذا قال الله تعالى ان الله اشترى
من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة وذلك بالجهاد وهو مسامحة بالمهجة شوقا الى لقاء المولى والمسامحة
بالمال اهون فبذله اولى وظهور المراتب فيها اي في دعوى المحبة فقد قيل ما ايسر الدعوى وما اعسر المعنى
فالسابق كالصديق حيث ما ابقى شيئا اي لا درهما ولا دينارا ونبه جماعة من اهل التوفيق في ابائهم ان ينقضوا
لوجوب الزكاة عليهم بل فرقوا الجميع مالديهم لئلا ينسب اليهم حب غيره سبحانه حتى قيل لبعضهم كم تجب من
الزكاة في مايتي درهم فقال اما على العوام في حكم الشرع فخمسة دراهم واما نحن فيجب علينا بذل الجميع
والمقتصد كالفاروق حيث ابقى النصف اي واعطى النصف واصل الحديث جاء ابو بكر بجميع ماله وعمر بشطر ماله
فقال له عليه السلام ماذا ابقيت لاهلك قال مثله وقال لابي بكر ماذا ابقيت لاهلك فقال الله ورسوله رواه ابو

داود والترمذي والحاكم وصححاه من حديث عمر وفي رواية يونس عن الحسن انه قال لعمر ما بين صدقتيكما
كما بين كلمتيكما والتاخر هو المقتصر على الواجب اي على اعطاء قدر ما يجب من غير زيادة في اجره وفي كل هم
المصرح بالتلويح الى قوله تعالى ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم
سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفوز الكبير فيحتمل ان يقال المقصر المتاخر انه الظالم على نفسه وغيره والظالم
هو مانع الزكاة ونحوه والعوام اقتصروا على قدر الواجب لبخلهم بالمال وحبهم بالمال وضعف حبهم بالمولى وشدة
ميلهم الى الدنيا قال الله تعالى ان يسالكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج اضغانكم ومعنى يحفكم يستقص عليكم فكم من
عبد اشترى منه نفسه وماله بان له الجنة وبين عبد لا يستقص عليه لضعف بخله وهناك درجة اخرى دون
الدرجتين الاوليين وهم الممسكون اموالهم بعد اخراج الواجبات المراقبون لاوقات الحاجات ومواسم
الخيرات فيكون قصدهم في الادخار الانفاق على قدر الحاجة والقناعة دون التنعم والزيادة وصرف الفاضل
عن الحاجة الى وجوه البر وطريق المبرة وقد ذهب جماعة من التابعين الى ان في المال حقوقا سوى الزكاة
كالنخعي والشعبي وعطاء ومجاهد قال الشعبي بعد ان قيل له هل في المال حق سوى الزكاة قال نعم اما سمعت
قوله تعالى واتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي
الرقاب واقام الصلاة واتى الزكاة حيث عطف ايتاء الزكاة على ايتاء المال وقد روى الترمذي عن فاطمة
بنت قيس مرفوعا ان في المال حقا سوى الزكاة واستدلوا بقوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون وبقوله تعالى وانفقوا
مما رزقناهم وزعموا ان ذلك غير منسوخ باية الزكاة بل داخل في حق المسلم على المسلم ومعناه انه يجب على الموسر
مهما وجد محتاجا ان يزيل حاجته فضلا عن مال زكاته ولا يبعد حمله على صدقة الفطر والاضحية ونفقة ذوي الرحم
المحرم والله سبحانه اعلم وتنقية الباطن اي ومن جملة الحكمة في الانفاق تنظيف القلب وتخليته عن البخل
فانه من المهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه الطبراني في الاوسط عن انس وتحلية
اي تزيين الباطن وتحليته بالشكر اي بشكر النعم وقد قال تعالى ولئن شكرتم لازيدنكم وما انفقتم من
شيء فهو يخلفه وهو اي ما ذكر من التنقية والتحلية وان الانفاق انما يحصل بقطع اسباب الحرص وحب المال
لا لغرض يحصل منه وهو ان حب المال مرض مزمن اي لا دواء له في الزمن حيث لا ينفعه ولو فاته اغراض واعواض
من المتن والشهوات وحب ساير الشهوات كما اشار اليه قوله تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء
والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا
والله عنده حسن الماب وطول الامل عطف على حب اي وكطول الامل تتوهم طول الاجل فانه يورث الملل عن
العمل قال تعالى ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون وخوف الفقر قال عز وعلا الشيطان
يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم وقلة الوثوق بمجيء الرزق وقد قال
سبحانه وكاين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وهو السميع العليم وقد ورد لو توكلتم على الله حق
توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا احمد والترمذي وابن ماجه والحاكم عن عمر وحب
الولد فالولد مبخلة مجبنة وتمامه مجبنة محزنة ابو يعلى في مسنده عن ابي سعيد وابن ماجه من حديث عبد الله بن سالم والحاكم

وصح ومعنى سخطه انه مظنة ان يؤديه على البخل فيدعوهما اليه فينبغى ان لا يحمله ومعنى محبته ان يحمل اباه على ان يجبن عن الحرب استبقا لنفسه من اجله وطريقه اى الطريق المحمود فى الانفاق احد عشر او طرقه تبلغ اسباب الحرص هو التوسط فى النفقات قال الله تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما فالقصد اى الاقتصاد هو التوسط واعتدال الحال فى الفقر والغنا عن النبى صلعم ورد ما عال من اقتصد الديلمى عن ابى امامة مرفوعا وللبيهقى فى الشعب عن ابن عمر مرفوعا الاقتصاد فى النفقة نصف المعيشة وتقليل الشهوات اى الموجب لتقليل النفقات وهو المعبر عنه بالقناعة فى بعض العبارات والوثوق باصابة الرزق المقدر فقد قال تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا وورد فى حديث مشهور واعلم ان ما اخطأك لم يكن ليصيبك وما اصابك لم يكن ليخطئك ومعرفة عز القناعة مورد القناعة كنز لا ينفد وفى رواية مال لا ينفد وفى اخرى كنز لا يفنى القضاعى عن انس والطبرانى فى الاوسط من حديث جابر ولفظه القناعة مال لا ينفد وكنز لا يفنى وقد قيل من قنع شبع ومن القناعة ان لا يتمنى ان تحصى منه قوله عليه السلام ابن ادم عندك ما يكفيك وانت تطلب ما يطغيك ابن ادم لا بقليل تقنع ولا بكثير تشبع ابن ادم اذا اصبحت معافا فى جسدك امنا فى سربك عندك قوت يومك فعلى الدنيا العفا اى التراب ابن عدى والبيهقى عن ابن عمر وفى رواية لهما عن ابى هريرة اذا اشتد بك الجوع فعليك برغيف وجر من ماء القراح وقل على الدنيا واهلها الدمار وروى ابن المبارك عن الاوزاعى متصلا ما ابالى ما رددت به عنى الجوع وما احسن ما قال بعض الكامل شعر

وما هى الا جوعة قد سددتها ۞ وكل طعام بين جنبى واحد ۞

وعن سمرة مرفوعا ارض من الدنيا بالقوت فان القوت لمن يموت كثير العسكرى ولله در الناظم

عزيز النفس من لزم القناعة ۞ ولم يكشف لمخلوق قناعه ع

وفى الحديث اللهم قنعنى بما رزقتنى وبارك لى فيه وفسر قوله فلنحيينه حياة طيبة بالقناعة والقيام بالطاعة وقوله قد افلح من اسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما اتاه احمد والترمذى ومسلم وابن ماجة عن ابن عمرو ما قل وكفى خير مما كثر والهى ابو يعلى والضيا عن ابى سعيد وقوله خيار امتى القانع وشرارهم الطامع القضاعى وذل الطمع اى ومعرفته وهو ان يحتاج الى الغير من غير ضرورة وقد ورد لا يحل للمؤمن ان يذل نفسه قال الله تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين وهو ينشأ من عدم القناعة وورد عن عمر رضى الله عنه ان الطمع فقر وان اليأس غنا وان المرء اذا يئس من شئ استغنى عنه احمد فى الزهد وابن ابى الدنيا فى القناعة والعسكرى فى المواعظ وروى ان رجلا من الانصار قال يا رسول الله اوصنى واوجز قال لى عليك باليأس مما فى ايدى الناس واياك والطمع فانه فقر حاضر ابو نعيم والتامل فى ذم البخيل ومدح السخى اذ هما فى جبلة كل احد من العالى والدانى وما ورد فيهما من احاديث النبى كقوله عليه السلام السخا شجرة من شجر الجنة اغصانها متدليات فى الدنيا فمن اخذ بغصن منها قاده ذلك الغصن الى الجنة والبخل شجرة من شجر النار اغصانها متدليات فى الدنيا فمن اخذ بغصن من اغصانها قاده ذلك الغصن الى النار الدارقطنى فى الافراد والبيهقى عن على والاربعة عن ابى هريرة وكقوله خلقان يحبهما الله تعالى وخلقان يبغضهما الله تعالى فاما

ما اللذان يحبهما الله تعالى فالسخاء والسماحة واما اللذان يبغضهما الله تعالى فسوء الخلق والبخل البيهقى عن ابن عمرو وكقوله ما من يوم يصبح العباد فيه الا وملكان ينزلان فيقول احدهما اللهم اعط منفقا خلفا ويقول الاخر اللهم اعط ممسكا تلفا واحوال الانبياء والاولياء من احوالهم واخلاقهم فى ذم البخل والسخا والاختيار التشبه بهم اى بالاصفيا فمن تشبه بقوم فهو منهم والاستغنا من الكفر والحمق اى من الجهل والفجار وقد قال تعالى اذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا وورد اشبعكم فى الدنيا اجوعكم فى العقبى والتسخى اى تكلف السخاوة والتشبه بجنس السخى وخداع النفس بالصيت اى بحسن الثنا عند الناس والجاه والوجاهة فى مقام الايناس والمكافاة اى وبقصد المكافاة فورد فى دواء الكاجو ثم ازالة الريا بعد الاعتياد اى بعد تعوده بالسخا فان الريا فى الابتدا قنطرة الاخلاص فى الانتها كما ان المجاز قنطرة الحقيقة ومن ثمة قالوا طلبنا العلم لغير الله فابى ان يكون الا لله وكثرة ذكر الموت فانه يهون السخاوة ه قبل الفوت والاعتبار بالسالفين اى الاتعاظ بالسابقين من اهل الاموال فى تركهم الدنيا عند الموت فكذا حكم اللاحقين وقد قال تعالى ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين حكى ان ذا القرنين اتى على امة من الامم ليس فى ايديهم شئ مما يتمتع به الناس من دنياهم قد احتفروا قبورهم فاذا اصبحوا تعهدوا تلك القبور وكنسوها من القتور فصلوا عندها بالحضور ورعوا البقل كما ترعى البهائم وقد قيض لهم فى ذلك معايش من نبات الارض فارسل ذو القرنين الى ملكهم فقال له اجب الملك ذا القرنين فقال ما لى حاجة اليه فاقبل اليه ذو القرنين نين فقال ارسلت اليك لتاتينى فابيت فها انا جئت فقال لو كان لى اليك حاجة لاتيتك فقال ذو القرنين ما لى اراكم على حالة لم ار احدا من الامم عليها قالوا وما ذاك قال ليس لكم دنيا ولا شئ من البنا ولا اتخذتم الذهب والفضة فاستمتعتم بهما قالوا انا كرهناهما لان احدا لم يعط شيئا منهما الا تاقت نفسه ودعته الى ما هو افضل منه فقال ما لكم احتفرتم قبورا فاذا اصبحتم تعهدتموها فكنستموها وصليتم عندها قالوا اردنا اذا نظرنا اليها واملنا الدنيا منعتنا قبورنا من الامل قال واراكم لا طعام لكم الا من البقل من الارض افلا اتخذتم البهائم من الانعام فاحتلبتموها وركبتموها واستمتعتم بها فقالوا كرهنا ان نجعل بطوننا قبورا لها ورايتنا فى نبات الارض بلاغا انما يكفى ابن ادم ادنى العيش من الطعام وان ما جاوز الحنك لم نجد له طعما كائنا ما كان من الطعام ثم بسط ملك تلك الارض يده فتناول جمجمة فقال يا ذا القرنين اتدرى من هذا قال لا ومن هو قال هذا ملك من ملوك الارض اعطاه الله سلطانا على اهلها فغشم وظلم وعتا فلما راى الله ذلك منه قصمه بالموت فصار كالحجر الملقى قد احصى الله عمله عليه حتى يجزيه به فى الاخرة ثم تناول جمجمة اخرى بالية فقال يا ذا القرنين هل تدرى من هذا قال لا ومن هو قال هذا ملك ملك بعده قد كان يرى ما يصنع الذى قبله بالناس من الغشم والظلم والتجبر فتواضع لله وامر بالعدل فى اهل مملكته فصار كما ترى وقد احصى الله عمله حتى يجزيه به فى الاخرة ثم اهوى الى جمجمة ذى القرنين فقال وهذه الجمجمة قد كانت كهذين فانظر يا ذا القرنين ما انت صانع فقال له ذو القرنين هل لك فى صحبتى فاتخذك اخا ووزيرا وشريكا وميسرا فقال ما اصلح انا وانت فى مكان قال ولم قال من اجل ان الناس كلهم لك عدو ولى صديق قال ولم قال يعادونك

علی ما فی یدیک من الملک والمال وان احدا یعادیک لما عندک من الحاجة وقلة الشیء والفاقة فانحرف عنه ذو القرنین
متعجبا ومتعظا وزیارة القبور ای ما تذکر العقبی وتزهد فی الدنیا ویبعدک عن ارباب الصدور وروی
اذا تحیرتم فی الامور فاستعینوا باهل القبور وان اصلح فیه ای فی طریق الانفاق من توسط المحمود الصبر ای
عن المستلذات الفانیة وقصر الامل ای باستعداد زاد الدار الباقیة وورد عن علی انما اخشی علیکم اثنین
طول الامل واتباع الهوی فان طول الامل ینسی الاخرة وان اتباع الهوی یصد عن الحق ان الدنیا
قد ارتحلت مدبرة وان الاخرة مقبلة ولکل واحد منهما بنون فکونوا من ابناء الاخرة ولا تکونوا من ابناء الدنیا
فان الیوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل ابن المبارک واحمد فی الزهد والعسکری بآفات المال ای وتغیراته
فی المآل وانقلابه فی اسوء الاحوال فقد روی عن جریر عن لیث قال صحب رجل عیسی علیه السلام فقال
اکون معک واصحبک فانطلقا فانتهیا الی شاطئ نهر فجلسا یتغدیان ومعهما ثلثة ارغفة فاکلا رغیفین
وبقی رغیف فقام عیسی الی النهر فشرب ثم رجع ولم یجد الرغیف فقال للرجل من اخذ الرغیف فقال لا ادری
قال فانطلق ومعه صاحبه فرای ظبیة معها خشفان لها فدعا احدهما فاتاه فذبحه فاشتوی منه فاکل
هو وذلک الرجل ثم قال للخشف قم باذن الله فذهب فقال اسألک بالذی اراک هذه الایة من اخذ الرغیف
فقال لا ادری ثم انتهیا الی وادی ماء فاخذ عیسی علیه السلام بید الرجل فمشیا علی الماء فلما جاوزا قال اسألک
بالذی اراک هذه الایة من اخذ الرغیف قال لا ادری فانتهیا الی مفازة فجلسا فاخذ عیسی علیه السلام
ترابا فقال کن ذهبا باذن الله فصار ذهبا فقسمه ثلثة اثلاث فقال ثلث لی وثلث لک وثلث
لمن اخذ الرغیف قال فانا اخذت الرغیف فقال فکله لک ففارقه عیسی علیه السلام فانتهی الیه رجلان
فی المفازة ومعه المال فارادا ان یاخذاه منه ویقتلاه فقال هو بیننا اثلاثا فابعثوا احدکم الی القریة
حتی یشتری لنا طعاما فبعثوا احدهم فقال الذی بعث لای شیء اقاسم هؤلاء هذا المال ولکن اضع
فی الطعام سما فاقتلهما قال ففعل ذلک وقال ذانک لای شیء نجعل لهذا ثلث المال ولکن اذا رجع الینا
قتلناه واقتسمناه بیننا فلما رجع الیهما قتلاه واکلا الطعام فماتا فبقی ذلک المال فی المفازة
واولئک الثلثة قتلی عنده فمر بهم عیسی علیه السلام علی تلک الحال فقال لاصحابه هذه الدنیا وهذا المال
فاحذروهما وان تفتنکم فی المآل وکفی ای افات المال من البلیات ان یفضی الی المهلکات ای ایصاله الی
مهلکات اخلاق کالکبر فانه یغلب علی ارباب الاموال والکذب ای فی معاملتهم وسایر الاحوال والعداوة
ای الناشئة من کثرة القیل والقال وحب الدنیا وهو رأس کل خطیئة کما رواه البیهقی فی الشعب باسناد حسن
الی الحسن البصری رفعه مرسلا واقتحام الشبهة وفی نسخة الشبهة ای دخوله من غیر مبالاة لحصوله فی
الامور المفضیة من غیر وصول المسرة والجاه ای جاه الناس ای بمعرفة الغنی من معاشرة الخلق فی مباشرة امره
بخلاف الفقیر فانه غنی عن غیره والتشغل عن الطاعة بالکسب ای والاشتغال عن العبادة بسبب الکسب
هو العادة بخلاف المتوکلین من ارباب الارادة والحفظ ای وبسبب حفظ الاموال فانه یمنع ضبط الاحوال
ودفع الحساد ای وبدفعهم لما فیه من انواع الفساد مع اضمار المشاق فی جمعه ومنعه بالانفاق اذ حلال الدنیا

الدنیا فیه الحساب وحرامها فیه العقاب بل الحجاب الذی هو اشد العذاب وفوائده ای والعلم بفوائد
المال وهو الانفاق علی النفس للقیام بالطاعة فیما لا بد له منه علی طریق القناعة کالمطعم وکذا المشرب
والملبس وکذا المسکن وما یحتاج الیه ای الانفاق الزائد علیه کالحج وکذا العمرة والغزو وکذا طلب
العلم وتحصیل الحکمة وعلی العرض الزوجة والخادم ونحوهما من الاجانب والمحارم فورد افضل الدینار دینار
ینفقه علی عیاله رواه مسلم وکفی بالمرء اثما ان یضیع من یقوت ابو داود وعند مسلم معناه وهو ای
الانفاق صدقة للفقیر ای بای طریقة مع حصول الثواب ومروءة ای فتوة للغنی فی بعض الاحوال المرضیة
کما بینه بقوله فی الضیافة فی زمان الشیء بل السنة فورد الضیف علی اهل الوبر ولیت علی اهل المدر القضاعی
عن ابن عمر الضیافة ثلثة ایام فما زاد فهو صدقة احمد وابو یعلی عن ابی سعید الضیف یاتی برزقه ویرتحل
بذنوب القوم الطبرانی عن طارق بن اشیم ضاف ضیف رجلا من بنی اسرائیل وفی داره کلبة مجح بالجیم و
الحاء المهملة المشددة بعد الجیم ای قربت الولادة فقالت الکلبة والله لا انبح ضیف اهلی فعوی جراؤها فی بطنها
فقیل ما هذا اذ اوحی الله الی رجل منهم هذا مثل امة تکون من بعدکم یقهر سفهاؤها علماءها والهدیة فانها
من الفقیر بل البهیمة وقد ورد الهدیة تذهب بالغضب والسمع والبصر الطبرانی عن عصمة بن مالک الهدیة
تعور عین الحکیم الدیلمی عن ابن عباس هدیة الله الی المؤمن السائل علی بابه الخطیب فی روایة مالک عن ابن
عمر ان عائشة وکذا الاعانة والتعاون علی البر والتقوی وفی الخبر المشهور من کان فی عون اخیه
المؤمن کان الله فی عونه وورد من اغاث ملهوفا کتب الله له ثلثا وسبعین مغفرة واحدة فیها صلاح
امره کله وثنتان وسبعون له درجات یوم القیامة ابن ابی الدنیا فی تاریخه والبیهقی عن انس الخ ای المروءة
تحصیل الخیر ای فی الدین والدنیا وورد المرء کثیر باخیه ابن ابی الدنیا عن سهل بن سعد المرء مع من
احب وله ما اکتسب الترمذی عن انس والمرء علی دین خلیله فلینظر من یخالل والسخی ارباب الصفاء
واصحاب الوفاء والفتوة وهی کمال الرجولیة وجمال الانسانیة وورد فیهما ای فی المروءة وما یتعلق بها
الاخبار فانها من اعلی الابرار فورد من المروءة ان ینصت الاخ لاخیه اذا حدثه ومن حسن المماشاة
ان یقف الاخ لاخیه اذا انقطع شسع نعله الخطیب عن انس المروءة اصلاح المال الدیلمی عن ابان
عن انس لیس من المروءة الربح علی الاخوان ابن عساکر عن ابن عمر ووقایة عطف علی صدقة ای محافظة
لدفع الشر ای من اهل الظلم فهو الانفاق علی الغیر لدفع الشر من الغیبة باللسان والعداوة فی الجنان
فمن وردان ای وقایة صدقة قال علیه السلام ما وقی به المرء عرضه فهو له صدقة العسکری والقضاعی عن
جابر والتخدم ای اتخاذ الخادم بالشراء والکراء للتدبیر ای لبنی جنسه ای الخادم یفرغ العبادة التی
هی زاد المعاد وفی نحو المسجد ای والانفاق فی نحو عمارة المسجد وترمیمها وتنویرها والجسر المعبر
العامة والخاصة فوق البحر والنهر والرباط ای الخانات فی البلاد عن الحادثات والقناطر دفعا للکلفة
ولارباب التجارات والحوض والبئر فی البلدان والفلوات والکل من الخیرات والمبرات فهو ای الانفاق
فی نحو المسجد یبقی الذکر ای الثناء الحسن بعد فناء العمر ویحصل برکة الدعاء ای دعوة العامة وکل منها ای من فوائد

الا ان عبادة مستقلة لانه عمارة المساجد فقد قال تعالى انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر
وورد من بنى لله مسجدا بنى الله له بيتا في الجنة ابن ماجه عن علي زاد الطبراني عن ابي امامة اوسع منه
وفي رواية احمد عن ابن عباس من بنى لله مسجدا ولو كمفحص قطاة لبيضها بنى الله له بيتا في الجنة وفي معنى المسجد
المدارس للعلماء والزوايا للصلحاء فعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه من بنى بيتا يعبد الله فيه من حلال بنى الله له
بيتا في الجنة من در وياقوت الطبراني في الاوسط ثم السخي من عرف العلماء ان لا يمنع ما يجب شرعا ومروة اي
طبعا وضده البخيل وهو ما يمنعهما ومانع الشرع اي موجبه ابخل من مانع المروة والسخاوة تفارق الايثار
وهو اختيار الغير بالبر بانه اي الايثار بذل مع الاحتياج اي مع غاية الافتقار اليه والسخاوة مع عدمه
فافترقا وهو اي الايثار افضل اي افضل من السخاء فهو من ثلاث خصال ليتكمل به الايمان والخصلة
الثانية ان يحب لنفسه والثالثة ان يامن جاره بوائقه وورد في مدح الانصار ويؤثرون على انفسهم
الاية ولو كان بهم خصاصة اي شدة حاجة وفاقة ومجاعة وضرورة الى ما يؤثرون وفي البخاري عن
ابي هريرة ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فاستضافه فبعث الى نسائه فقلن ما معنا الا الماء فقال
عليه السلام من يضيف هذا فقال رجل من الانصار انا فانطلق الى امرأته فقال اكرمي ضيف رسول الله فقالت
ما عندنا الا قوت للصبيان فقال هيئي طعامك واصبحي سراجك ونومي صبيانك اذا ارادوا العشاء فهيأت
طعامها واصبحت سراجها ونومت صبيانها ثم قامت كانها تصلح السراج فاطفأته فجعلا يريانه انهما ياكلان
فباتا طاويين فلما اصبح غدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ضحك الله او عجب من فعالكما فانزل الله عز
وجل ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة واخرج الحاكم عن ابن عمر قال اهدي لرجل من الصحابة
راس شاة فقال ان فلانا واخي احوج الى منا فبعث اليه فلم يزل يبعث به واحد الى اخر حتى تناول سبعة
ابيات حتى رجع الى الاول فنزلت الاية وحكي ان بعض المتعبدات انها وقفت على حيان بن بلال وهو مع الصحابة
فقالت هل فيكم من اسأله عن مسئلة فاشاروا الى حيان فقالت ما السخاء عندكم قال العطاء والبذل والايثار
قالت هذا السخاء في الدنيا فما السخاء في الدين قال ان تعبد الله سبحانه متبرعة سخية بها انفسنا غير مكرهة
قالت افتريدون على ذلك اجرا قال نعم قالت لم قال لان الله تعالى وعدنا بالحسنة عشرة امثالها قالت
سبحان الله اذا اعطيتم واحدة واخذتم عشرة فباي شي تسخيتم عليه قال فما معنى السخاء عندك يرحمك الله
قالت السخاء عندي ان تعبدوا الله متنعمين متلذذين بطاعته غير كارهين لعبادته لا تريدون عليه اجرا
حتى يكون مولاكم يفعل ما يشاء بكم في اولاكم واخراكم الا تستحيون من الله ان يطلع على قلوبكم فيعلم منها
انكم تريدون شيئا بشي ان هذا في الدنيا لقبيح وقال الحلبي السخاوة في الدنيا ان تسخو نفسك في محبة
ربك وسخو قلبك ببذل مهجتك واراقة دمك عن سماحة دون اكراه ابتغاء لوجهه غير مريد بذلك عوضا وغرضا
عاجلا ولا اجلا وان كنت غير مستغن عن الثواب الا ان مولاك يختار ذلك لك احسن ان تختار لنفسك
في دنياك واخرتك وفيه تلميح الى قوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة الاية والتبذير
اي السخاوة تفارق التبذير بانه حيث يجب الامساك اي المنع بذله لكونه اسرافا او في غير محله اللائق

به وهو حرام لقوله تعالى وات ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا
اخوان الشياطين اي اولياءهم وكان الشيطان لربه كفورا اي جحودا لنعمه والمعنى لا تنفق مالك في المعصية
قال مجاهد لو انفق الانسان ماله كله في الحق ما كان تبذيرا ولو انفق مدا في الباطل كان تبذيرا
ولذا قيل لا سرف في خير ولا خير في سرف وقال شعبة كنت امشي مع ابي اسحاق في طريق الكوفة فاتى على
جدار بني بجص واجر فقال هذا التبذير لكن البخل افحش من التبذير لان البخل مطلقا يذم بخلاف زيادة
الكرم والتسخي اي وتفارق السخاوة التسخي بانه مع الكراهة اي لا بالطبع والجبلة بخلاف السخاوة فانها
لا تكون الا مع طيبة النفس والمحبة والمروة اي تفارقها السخاوة بترك المضايقة وكان حقه ان يقال
بالمضايقة ليكون على سوال المضايقة وفي نسخة المروة بالرفع وخبره ترك المضايقة بالمحقرات فتختلف المضايقة
باختلاف الاشخاص اي الذوات الذين يصدر منهم المضايقة او معهم المضايقة وايضا تختلف باختلاف
ما به المضايقة وتفاوت الازمنة والحالات كالغنى والفقر فان ترك المروة في الغني اقبح من تركها في الفقير
والقريب مع الاجنبي فان ترك المروة في حق الاقارب اقبح من تركها في حق الاجانب والجار والمملوك والزوجة
والخادم والضيف والميت في امر تكفينه وتجهيزه وتدفينه وكذا في حال الغضب والرضا والسراء والضراء وكذا
تختلف باختلاف الشيخ والصبي والشاب والمرأة والرجل والعاقل والجاهل فما يستقبح في احدهما اي
الشخصين او الحالين لا يستقبح من الاخر لتفاوت الامرين والاحوال في الانفاق التوسط المحمود في
جميع الاخلاق بان يكون متوسطا بين البذل والبخل فيمسك حيث يجب الحفظ ويبذل حيث يجب
العطاء وانما كان ذلك اولى لان التفريط الذي هو البخل مذموم كالافراط الذي هو التبذير والايثار
وان كان حسنا لكن المداومة عليه ربما تؤدي الى الحرج فكان الاولى هو التوسط قوله ولا تجعل يدك مغلولة
الى عنقك اي لا تمسك يدك عن النفقة في الحق كالمغلولة يده ولا يقدر على مدها ولا تبسطها اي بالعطاء
كل البسط فتعطي جميع ما عندك فتقعد ملوما محسورا اي الملوم الذي اتى بما يلوم نفسه وبما يلومه غيره والمحسور اي
منقطعا بك لا شي عندك وفي المعالم قال جابر اتى صبي فقال يا رسول الله ان امي تستكسيك درعا ولم يكن لرسول
الله صلى الله عليه وسلم الا قميصه فقال من ساعة الى ساعة يظهر فعد وقتا اخر فعاد الى امه فقالت قل له ان امي
تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل عليه السلام داره ونزع قميصه واعطاه اياه وقعد عريانا فاذن بلال
بالصلوة وانتظروه ولم يخرج فشغل قلوب الصحابة فدخل عليه بعضهم فراه عريانا فانزل الله الاية وحق
العطاء لا سيما اذا كان فرضا ان يعجل قبل الوجوب وهو حولان الحول في الزكاة ودخول عيد رمضان
في صدقة الفطر مبادرة الى الامتثال اي قبول الامر لقوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وادخال السرور على المؤمن
فقد ورد ادخال السرور على قلب المؤمن افضل من عبادة الثقلين وعن جابر افضل الاعمال ادخال السرور على
مسلم ابن عدي وعن ابن عمر ما من شي احب الى الله من ادخال السرور على المسلم ابن النجار وتحاميا
اي تحفظا عن طروق الافات اي حدوث طرق الافات الدنيوية النفسانية والوساوس الشيطانية وتعيين
له وقتا فاضلا او زمانا فاضلا ليكون ذلك سببا لقربته وتضاعف صدقته كشهر رمضان فمن انس

افضل الصدقة في رمضان الدارمي في جزئه وقد كان صلى الله عليه وسلم اجود الخلق واجود ما يكون في رمضان ن
كالريح المرسلة لا يمسك فيه شيئا كما في الصحيحين عن ابن عباس وذي الحجة فانه شهر حرام وفيه الحج
ومواسم الخيرات والبركات والايام المعلومات وهي العشر الاول والايام المعدودات تلك ايام التشريق وقد
قالوا افضل ايام رمضان العشر الاواخر وافضل ايام ذي الحجة العشر الاول وسرا اي بخفي العطا ان
خاف الريا فورد ان العبد ليعمل سرا فيكتب سرا فان اظهره نقل بعد سره نقل الى العلانية اي ديوانها
فان تحدث به ثالثا نقل به الى الريا الخطيب في التاريخ من حديث انس نحوه باسناد ضعيف والديلمي عن
ابي الدردا ولفظه ان الرجل ليعمل عملا سرا فيكتبه الله عنده سرا فلا يزال به الشيطان حتى يتكلم به فيمحى
الى السر فيكتب علانية فان عاد وتكلم الثانية محي من السر والعلانية وكتب ريا وورد ثلاث من كنوز البر
منها اخفا الصدقة ابو نعيم من حديث ابن عباس وصدقة السر تطفي غضب الرب الطبراني من حديث ابي امامة
وسبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله احدهم رجل تصدق بصدقة فلم تعلم شماله ما تعمل يمينه متفق
عليه من حديث ابي هريرة وكان اكثر السلف يبالغون فيه اي في اخفا الاعطا بحيث لا يعرفهم القابض
تحاميا عن السمعة والريا وتحافظا عن المن والاذى فكان بعضهم يلقيه في يد الاعمى وبعضهم كان يصرح
في ثوب الفقير وهو نائم وبعضهم كان يوصل الى يد الفقير على يد غيره بحيث لا يعرف المعطي وكان يستكتم
المتوسط بشانه ويوصيه بان لا يفشيه في زمانه وبظهر الاعطا ان يشكل في مال مصمما عنه اي محفوظا
عن الريا او امنه اي وان امن من السمعة والريا لاختصاصه بمقام الخواص في الاخلاص ومقصد الترغيب
لغيره في باب الاعطا فان قيل فورد ان تبدوا الصدقات اي ان تظهروها فنعما هي اي فنعمت الخصلة ابداؤها
اي اظهار اعطائها وان تخفوها وتؤتوها الفقرا فهو خير لكم اي الاخفا بالنية فهو خير لكم من الابدا اي اعطا
وانفقوا بصيغة الماضي مما رزقناهم سرا وعلانية اي فهو باختلاف الاحوال من الترهيب والترغيب
وتفاوت النية والحشر في الطوية او السر مختص بالنوافل والاعلان بالفرايض اوقات وقات بحسب
ما يليق بالاشخاص والاوقات والاحوال كما يشير اليه قوله تعالى الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية
فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون روى مجاهد عن ابن عباس قال نزلت هذه الاية
في علي بن ابي طالب رضي الله عنه كانت عنده اربعة دراهم لا يملك غيرها فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم
نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية ولم يشكر القابض اي لم يكتم الاحسان بل يظهره ويتحدث به ويدعو
لصاحبه فقد ورد من صنع معكم معروفا فكافؤه فان لم تستطيعوا فادعوا له حتى تروا انكم قد كافأتموه
ابو داود والنسائي من حديث ابن عمر باسناد صحيح ومن صنع اليه معروفا فقال لصاحبه جزاك الله خيرا فقد
ابلغ في الثنا الترمذي وابن حبان والنسائي عن اسامة ومن صنع الى احد من اهل بيتي يدا كافيته عليها يوم
القيامة ابن عساكر عن علي تحاميا عن الكفران لا احترازا عن الكفر كفرحيته بشكر النعم فورد من لم يشكر
الناس لم يشكر الله الترمذي وحسنه في رواية عبد الله بن احمد عن النعمان بن بشير من لم يشكر القليل لم
يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث بنعمة الله شكر وتركها كفر وتجنب المن اي الامتنان

الامتنان في الاعطا والاحسان والاذى بالبذا اللسان فورد لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى
اي بكل منهما وبهما اي المن والاذى على طريق اللف والنشر المرتب الذكر بالعكس اي ذكر الصدقة بعدها والاظهار
لها باللسان في غيبته او وجهه والاستخدام للفقير بالعطا والتقريع بالفقر اي وتعييره بانه من الفقرا والتكبر
بالمعطى اي لانه من الاغنيا والتشديد بالقول اي بان يهدده ويوبخه بانه من الفقرا والاقرب اي الى الصواب
منه بان الاولى ان يقال المن اي حاصله ان يراه اي المعطي محسنا اليه ومنعما عليه وحقه ان يرى الفقير
محسنا اليه بقبول حق الله تعالى منه الذي هو طهرته ونجاته من النار وانه لو لم يقبله لبقي مرتهنا به فحقه ان
يتقلد منة من الفقير في قبضه واخذه بيده لطفه ولذا كان بعضهم يضع الصدقة بين يدي الفقير ويتمثل عنده
قائما يساله قبولها حتى يكون هو في صورة السائلين وهو يستشعر مع ذلك كراهية لرده وكان بعضهم
يبسط كفه لياخذ الفقير فيكون يد الفقير هي العليا ويعرف اي المن بتوقع الاستعباد وجنايته القابض بعد
العطا اي ترك الخدمة وعدم التعظيم والحرمة والتقديم في المحافل والمتابعة في المجالس والمشاكل فلو جنى
القابض على المعطي فزاد استنكاره على ان صدقته لم تخل عن شائبة المنة لانه توقع بسببها ما لا كان
لم يكن توقعه قبل ذلك من المحسن اي في الحقيقة هو القابض اي للصدقة لانه يحملها اي المحسن الى الثواب والنجا
اي الخلاص عن العقاب وكونه اي ولكونه نائبا عنه تعالى فيه اي في القبض فورد انها تقع اولا في يد الحق
الحديث ان الصدقة تقع بيد الله قبل ان تقع في يد السائل الدارقطني في الافراد من حديث ابن عباس
والبيهقي في الشعب وكونه اي ولكون الصدقة حقا له تعالى اي خاصة اذ ليس له شريك في ملكه ولا في
ملكه احال عليه الفقير على سبيل الرفق انجازا لما وعد من الرزق وقدر ان يكون على يد الخلق فليتحقق ايضا
الغني انه مسلم الى الله تعالى حقه والفقير اخذ منه الله عز وجل رزقه بعد صيرورته مسلما الى الله ولو كان عليه
دين لانسان فاحال به عليه صاحب الدين عبده او خادمه الذي هو متكفل برزقه لكان اعتقاد
مؤدي الدين كون القابض تحت منته سفها وجهلا فان المنة للمحسن اليه المتكفل برزقه فاما هو فقائم
بقضا الدين الذي لزمه بشراء ما احبه فهو ساع في حق نفسه فلم يمن به على غيره والاذى اي والاذى قرب
ان حدا الاذى التعيير والتوبيخ عطف تفسير او احدهما مختص بالغيبة والاخر بالمشافهة والقول السيء
كالذم والشتم وتخشين الكلام والتقطيب وهو عبوسة الوجه وهتك الستر اي بيان اعطائه في الملا
وحده والاستخفاف اي تعويله والاستخفاف بفعله والسبب اي الباعث على المن والاذى استكثار العطا
والاشتغال به وهو حمق لان من كره بذل درهم في مقابلة ما هو نفائس واعظم فهو شديد الجهل ومعلوم انه يبذل المال
لطلب رضا المولى وللثواب في دار العقبى فلا وجه لاستكثاره اصلا والتكبر على القابض الناشي من
الجهل الحاصل لانه اخذ مالا من جهله باشتغال رضائه تعالى على خسيس فانه ادنى حال بنيانه كما تقدم
وبيان فضل الفقرا ومن بيان فضلهم انه لو عرف فضل الفقر على الغنا وعرف خطر الاغنيا وحظ الفقرا لما تحقر
الفقير بل تبرك به ومنه وتمنى ان يكون في درجته فصلحاء الاغنيا يدخلون الجنة بعد الفقرا بخمسمائة عام
وفقرا المهاجرين يدخلون الجنة قبل اغنيائهم بخمسمائة عام الترمذي عن ابي سعيد والمراد اي بالبطلان

في قوله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم علامة كون ذلك الاعطا صدقة اى مقبولة نافعة كل المنفعة او صدقة
مضاعفة بان تكون كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة لا ان ابطال الحقيقي فلا يكون له
ثواب الصدقة بالكلية ولا حبة كما تقوله المعتزلة وعلى التنزل فيكون له ثواب الاحسان لانه احسن الى احد
فان قلت لو قال بنحو اى ان ابطال جميع الاحوال ممتنع في صحيح الاقوال ويستصغر اى ومن حق الاعطا ان
يستحقر الاعطا ليعظم عند الله تعالى فتصير حبة مثل جبل احد وقيل ان الطاعة كلما استصغرت كبرت وكلما استعظمت
صغرت وهو ان الاستصغار انما يحصل بذكر التوفيق بان يتحقق بعين التحقيق انه من اين له المال والاعطا
ليصرفه في المال فالمال لله وله المنة اذا اعطاه اياه ثم وفقه لبذله وصانه عن بخل فلم يستعظم في حق الله هو
عين بعض حقه وبهذا ارتقى الى الدرجة العليا بان يكون بذله في محبة المولى والثواب اى بالاجر والمتوقع به ان
كان مقامه يقتضى ان ينظر الى الاجر ومثوبة العقبى فلم يستعظم ما يستحق عليه اضعافه مع انه بخيل
باعطا بعض ماله وكان ينبغي ان يتخلى في اعماله من نقصان كماله باعتبار رجاله وبهذا معنى قوله ويودى
مستحيا منه تعالى فهو عطف بالمعنى على بذكر التوفيق والتعليل وهو بان يذكر التوفيق ويودى مستحيا منه سبحانه
في مقام التحقيق للبخل اى الميل على الحفظ اى على امساك بقيته ماله عن مرضاته لكنه اجود المال معقول
يودى اى يعطى احسن المال واجوده [illegible] الشبهة اى واقربه الى الحلال لورود انفقوا من طيبات ما كسبتم تمامه
ومما اخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم باخذيه الا ان تغمضوا فيه اى [illegible]
الا مع كراهة وحيا وفي الخبر سبق درهم مائة الف درهم النسائى وابن حبان والحاكم وصححه حديث ابى هريرة وذلك
بان يخرجه من احل ماله واجوده فيصدر ذلك عن الرضا والفرح ببذله وقد يخرج مائة الف درهم مما يكره من
ماله فيدل ذلك على انه ليس يؤثر الله عز وجل لشى مما يحبه كذا في الاحيا ويحتمل ان يكون معناه ان صاحب درهمين
فاخرج احدهما وان صاحب مائة الف درهم فاخرج مائة الف درهم فيتصدق عليه فغلب درهم مائة الف درهم
بحسب المرتبة في مقام الكرم والله سبحانه اعلم ثم رأيت في رواية للنسائى عن ابى ذر سبق درهم مائة الف درهم
رجل له درهمان اخذ احدهما فتصدق به ورجل له مال كثير فاخذ من عرضه مائة الف فتصدق بها وفي رواية
الطبرانى عن ابى مالك الاشجعى ثلاثة نفر كان لاحدهم عشرة دنانير فتصدق بدينار وكان لاخر عشر اواق
فتصدق باوقية وكان لاخر مائة اوقية فتصدق منها بعشرة اواق هم في الاجر سواء كل قد تصدق بعشر ماله
حتى تنفقوا مما تحبون في قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فينبغي ان ينتقى من ماله اجوده واحبه واحله
واطيبه لورود ان الله طيب لا يقبل الا طيبا اخرجه مسلم عن ابى هريرة وطوبى لعبد انفق من مال اكتسبه
من غير معصية ابن عدى والبزار [illegible] فورد يأخذ الصدقات اى في قوله تعالى وهو الذي يقبل
التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات فلا تدخل تفريع لقوله يودى اجود المال حتى لا يدخل في الاية فيما ورد من
ذم الكفار ويجعلون لله ما يكرهون اى البنات حيث قالوا الملائكة بنات الله وتكاره وتصف السنتهم الكذب
ان لهم الحسنى وهى الصبيان لكن يكثر متعلق يودى اى يخص عطاه ولمن يكثر العطاء الا جر بكونه متقيا واتقيا
وهم المعرضون عن الدنيا المتجردون لتجارة العقبى فقد قال تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم وورد لا ياكل طعامك الا تقى

تقى وان لا ياكل طعامك الا تقى ابو داود والترمذى من حديث ابى سعيد واطعموا طعامكم الاتقيا ابن المبارك
في البر والصلة من حديث ابى سعيد الخدرى وهذا لان التقى يستعين به على التقوى فيكون شريكا له في
طاعة المولى وتعالى فان ذلك اعانة له على العلم والعلم اشرف العبادات لورود تعاونوا على البر والتقوى وورد
احب لطعامكم يحبه الله [illegible] ابن المبارك انما يعطى في الخالص مرسلا وكان ابن المبارك
يخصص بمعروفه اهل العلم فقيل له لو عممت فقال انى لا اعرف بعد مقام النبوة افضل من مقام العلما فاذا اشتغل
قلب احدهم بحاجته لم يتفرغ للعلم ولم يقبل على التعليم فتفريغهم للعلم افضل وكان بعضهم يؤثر فقرا الصوفية بالعطا
دون غيرهم فقيل له لو عممت معروفك جميع الفقرا كان افضل فقال لا هولاء قوم لكنهم همتهم الله سبحانه وتعالى فاذا طرقتهم
فاقة تشتتت همتهم اذ لكليم احدهم فلان ارد لكم واحد منهم الى الله احب الى من اعطا الف ممن همته الدنيا فذكر
هذا الكلام للجنيد فاستحسنه وقال هذا ولى من اوليا الله ما سمعت منذ زمان كلاما احسن من هذا او هذا
معنى قوله الصدق وحسن وفا اى في تقواه وعلمه بتوحيد مولاه حال كونه يرى النعمة منه تعالى اى ولم ينظر الى الواسطة
ويكون بهمته الله ان لا سواه من وصية لقمان لابنه ان تجعل بينك وبين الله منعما واعدد نعمة غيره عليك
مغرما ومن تشكر غير الله سبحانه فكانه لم يعرف المنعم وسلطانه ولم يتيقن ان الواسطة مقهور بتسخير الله
اياه اذ سلط الله عليه دواعى الفعل ويسر له الاسباب فاعطى وهو مقهور ولو اراد تركه لم يقدر عليه
بعد ان القى الله عز وجل في قلبه بان صلاح دينه ودنياه في فعله فمن تيقن هذا لم يكن له نظر الى
مسبب الاسباب ويتيقن مثل هذا العبد انفع للمعطى من ثنا غيره وشكره فذلك حركة في اللسان
يقل جدواه في اكثر الاحوال واعانته مثل هذا الموحد لا تضيع ولا تقع في مقام النقصان واما الذى يمدح
بالعطا ويدعو بالخير فيذم بالمنع ويدعو بالشر عند الايذا من احواله متفاوتة في السرا والضرا في
هذا المقام قال عليه السلام لرجل تائب فقال اتوب الى الله ولا اتوب الى محمد فقال صلى الله عليه وسلم عرف
الحق لاهله احمد والطبرانى من حديث الاسود بن سريع بسند ضعيف ولما نزلت براءة عايشة رضى الله
عنها في قصة الافك قال ابو بكر قومى فقبلى راس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا والله لا افعل ولا احمد
الا الله عز وجل فقال عليه السلام دعها يا ابا بكر وفي لفظ اخر انها قالت لابى بكر بحمد الله لا بحمدك ولا بحمد
صاحبك فلم ينكر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها ان الوحى وصل اليها على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كذا في الاحياء قال العراقى رواه ابو داود من حديث عايشة بلفظ فقال ابواى قومى فقبلى راس رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقلت الله الذى اكرمكما [illegible] فقال ابواى قومى فقلت لا والله لا اقوم اليه ولا احمده
ولا احمدكما لكن احمد الله [illegible] فقالت لى امى قومى اليه فقلت والله لا اقوم اليه ولا احمد الا الله وللطبرانى
فقالت بحمد الله لا بحمد صاحبكم وله من حديث ابن عباس فقالت لا بحمدك ولا بحمد صاحبك [illegible] حديث
ابن عمر فقال ابو بكر قومى فاحتضنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا والله لا ادنو منه الحديث وفيه انها
قالت للنبى صلى الله عليه وسلم بحمد الله لا بحمدك ثم اعلم ان رؤية الاشيا من غير الله تعالى وصف للكافرين قال تعالى
واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون وفيه

لم يعف باطنه عن رؤية الوسائط ان من حيث النعم وسائطها فكأنه لم ينفك عن الشرك الخفي سره فليتق
الله سبحانه في تصفية توحيده في براءته عن كدورة الشرك الخفي وشوائبه ومع هذا امر ان يرى الواسطة
واسطة فقد جهل وان انكر فقد كفر الواسطة اصلا وهذا امر تتبعه جمع الجمع في التحقيق واسأل الله التوفيق وساترا
لحاجته اي ومخفيا لفاقته ان يكثر البث والشكوى في حضرة خالقه فتورد يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف
تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافا اي الحاحا وتصريحا بل تبرعا وتلويحا او لا يسألون
اصلا فالنفي منصب على القيد والمقيد كقوله سبحانه ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع حيث لا شفيع
لهم اصلا ومطلقا وذلك لانهم اغنياء بتعففهم واغرة بصبرهم وتمكينهم فتورد ليس الغنى عن كثرة العرض
انما الغنى غنى النفس متفق عليه من حديث ابي هريرة ومعيلا بضم الميم اي عاجزا عن نفقة اهله ومريضا
اي محبوسا بمرض مانع له من كسبه فتورد للفقراء اي خصوا صدقاتكم للفقراء الذين احصروا في سبيل الله اي
حبسوا في طريق الحج لبعده او ضيق معيشته او اصلاح قلب في علم وعبادة لا يستطيعون ضربا في
الارض اي سيرا فيها للتجارة والزراعة والحياكة ونحوها فيهذه الاسباب كان عمر بن الخطاب
رضي الله عنه يعطي اهل البيت القطيع من الغنم العشرة فما فوقها وكان عليه السلام يعطي العطاء على قدر
العيلة سنده في الاحياء قال العراقي لم اجد له اصلا لكن لابي داود من حديث عوف بن مالك كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان اذا اتى الفيء قسمه في يومه ويعطي الآهل حظين ويعطي العزب حظا وقال احمد حديث
حسن اقول فكان الغزالي نقله بمعناه لعدم التحقق بمبناه او اطلع على ما لم تجده غيره بعده وورد
ان المعونة تأتي من الله للعبد على قدر المؤنة وان الصبر يأتي من الله على قدر المصيبة الحاكم والحكيم والبزار والبيهقي
عن ابن عمر وسئل عمر رضي الله عنه عن جهد البلاء فقال كثرة العيال وقلة المال وقلت وضعف الحال والا
فارباب الكمال الوالهون كأن الخلق كلهم عياله ولم تنزل قطرة ولم تنبت حبة يحيا له ما يبالي كان خالقهم رازقهم
او مميتهم وصدقة ذي رحم في ان الصدقة اي صلة الرحم بدرهم احب من التصدق بعشرين الا ان الاجنبي فعلى
على ان اصل اخا من اخواني بدرهم احب الي من ان اتصدق بعشرين درهما وان اصله بعشرين درهما
احب الي من ان اتصدق بمائة درهم وان اصله بمائة درهم احب الي من ان اعتق رقبة لانها الا صلاح والاخوان
الخير فيقدمون على المعارف كما تقدم الاقارب على الاجانب وقد ذكر السيوطي في خماسيته ثواب الصدقة خمسة
انواع واحد بعشرة وهي على صحيح الجسم وواحدة بسبعين وهي على الاعمى والمبتلى وواحدة بسبعمائة وهي على
ذي قرابة محتاج وواحدة بمائة الف على الابوين وواحدة بتسعمائة الف على عالم او فقيه والاولى طلب الجامع
اي انما اي طلبه لمن اجتمع فيه الصفات المذكورات والكمالات المسطورات او اكثرها فان ما لا يدرك كله لا يترك كله
ويقدم ما يتعين تحصيله ثم يتمنى ان وجد من جمع هذه المراتب كفى في اعلى المناقب فهي الذخيرة الكبرى والغنيمة
العظمى يتصدق كل يوم اي يكتب في المتصدقين وقد ورد باكروا بالصدقة فان البلاء لا يتخطى الصدقة الطبراني
في الاوسط عن علي والبيهقي عن انس وان ردوا السائل فتورد ردوا السائل ولو بظلف محرق مالك واحمد والبخاري في
في تاريخه والنسائي عن حواء بنت السكن وفي رواية العقيلي عن عائشة ردوا مذمة السائل اي بعيبه وشكوته ولو بمثل

بمثل راس الذباب العقيلي عن عائشة ولعله مقتبس من قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره فيسكت
ان لم يقدر على العطاء وهو اولى للثواب فعن محمد بن الحنفية مرسلا انه عليه السلام كان لا يكاد يقول لشيء
لا فاذا هو سئل فاراد ان يفعل قال نعم واذا لم يرد ان يفعل سكت رواه ابن سعد ورواه الحاكم عن انس
كان عليه السلام اذا سئل شيئا اعطاه او سكت اي بلطف وهو المشهور عند الجمهور فتورد قول معروف
اي كلام حسن ورد على السائل مستحسن ورد جميل على حسنه وقيل دعوة صالحة ومغفرة اي ستر خلة او ستر
او رفع حاجة خير من صدقة يتبعها اذى الى حال كونه يتبعها اذى اي يعقبها بابدائه او من عليه قال وان
تعرض بقوله تعالى واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا اي ذا يسر ولين وهي
العدة فعدهم وعدا جميلا وقيل ادع لهم دعاء حسنا بان تقول رزقنا الله واياكم واعطانا الله واعطاكم
وان يتهر اي ومن حق العطاء ان لا يزجر وان لا يتجهم وبه فسر قوله تعالى واما السائل فلا تنهر اي اذا سالك
فاما ان تطعمه طعاما لينا واما ان ترده ردا لينا فان وعاء فيه العذاب الف عام في النار لم اعرف له
اصلا ويغتنم السؤال بالمصدر اي سؤال الفقير على بابه فانه هدية من الله تعالى الى جنابه كما ورد فيما تقدم
ويحتمل ان يكون السؤال على وزن الجهال جمع سائل فعن ابراهيم بن ادهم نعم القوم السؤال يحملون
زادنا الى الاخرة وعن ابن عمر مرفوعا هدية الله الى المؤمن السائل على بابه رواه الخطيب في رواية مالك
ويحسن الظن بنفسه عند الله تعالى اي عند عدم وجدان السائل في باب السنة وان يتوقع اي لا يطمع
الفقير حين اعطاه عطاء ان يجازيه جزاء ودعاء وشكرا او ثناء قال تعالى حكاية عن الابرار ويطعمون الطعام
على حبه مسكينا ويتيما واسيرا انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ويكافئ ما هو اي يجازيه
المعطي بمثله بنظير دعاء الفقير دعاء له بالاجر ونحوه من الجزاء او اثني عليه بان مدح في مقابلة العطاء كانت
عائشة ام المؤمنين كثيرة الخيرات والمبرات قال عروة بن الزبير لقد تصدقت بخمسين الفا وان درعها
لمرقع وكانت هي وام سلمة اذا ارسلتا معروفا الى فقير قالتا للرسول احفظ ما يدعو به ثم كانتا تردان
مثل قوله وتقولان هذا بذاك حتى تخلص لنا صدقتنا وكانوا لا يتوقعون الدعاء لانه يشبه المكافأة وهكذا
فعل عمر وابنه رضي الله عنهما ويجعلها اي ثواب صدقته لوالديه الماضيين اي المتوفيين لانهما ينتظران دعوة
تلحقهما او صدقة تصيبهما فعن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ما على احدكم اذا اراد ان يتصدق ان يجعلها
لوالديه اذا كانا مسلمين فيكون لوالديه اجرها ويكون له مثل اجورهما من غير ان ينتقص من اجورهما شيء
ابن النجار لكن ما تقرر في كتب الحديث مسطور وبعدم نفقة النفس والعيال فهو اي تقديمهما فرض وقد ورد
ابدأ بمن تعول متفق عليه ابدأ بنفسك فتصدق عليها فان فضل شيء فلاهلك فان فضل عن اهلك شيء
فلذي قرابتك فان فضل عن ذي قرابتك شيء فهكذا النسائي وفي الطبراني من حديث جابر بن سمرة اذا انعم الله
على عبد نعمة فليبدأ بنفسه واهل بيته وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم نفقة الولد على الزوجة ونفقتها على
نفقة الخادم ابو داود من حديث ابي هريرة بسند صحيح وابن حبان والحاكم وصححه ورواه النسائي وابن حبان
ايضا بتقديم الزوجة على الولد ويجمع بين الحديثين بان الولد صغير في الاول وكبير في الثاني وقال صلى الله عليه وسلم

يوما ان صحابه تصدقوا فقال رجل عندي دينار فقال انفقه على نفسك قال ان عندي اخر قال انفقه على
زوجتك قال ان عندي اخر قال انفقه على ولدك قال عندي اخر قال انفقه على خادمك قال ان عندي
اخر قال انت ابصر به ابو داود والنسائي واللفظ له وابن حبان والحاكم من حديث ابي هريرة وباكر
اي بكر بالصدقة اول النهار ليدخل في قوله ويسارعون في الخيرات ويبادر بها اي بالصدقة البلاء اي
دفعه فورود الصدقات بالغدوات يذهبن بالعاهات الديلمي عن انس وفي رواية البيهقي عنه والطبراني
في الاوسط عن علي باكروا بالصدقة فان البلاء لا يتخطى الصدقة وورد الصدقة تمنع سبعين نوعا
من البلاء اهونه الجذام والبرص الخطيب عن انس الصدقة تمنع ميتة السوء القضاعي عن ابي هريرة
ويغتنم الصدقة على من رق له القلب لانه من علامة انه رحمة الرب فهو اي رقة القلب علامة صدق السائل
وقد ورد لو صدق السائل ما افلح من رده العقيلي في الضعفاء وابن عبد البر في التمهيد من حديث عايشة
وللطبراني نحوه من حديث ابي امامة وللبيهقي عن عايشة لولا ان السؤال يكذبون ما قدس من ردهم لا ترد وا
السائل ولو بشق تمرة ولا يحتقر ما عنده لقوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها
ويؤت من لدنه اجرا عظيما ولقوله تعالى حكاية عن لقمان يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل الاية
قال يحيى بن معاذ ما اعرف حبة تزن جبال الدنيا الا الحبة من الصدقة ولقوله سبحانه ما عندكم ينفد وما
عند الله باق فربما يكون حقيرا عندك حقيرا بنظره عنده سبحانه عظيما وكبيرا فورد ما من عبد مسلم
يتصدق بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله الا طيبا الا كان الله ياخذ بيمينه فيربيها له كما يربي احدكم
فصيله او فلوه حتى تبلغ التمرة مثل احد البخاري تعليقا ومسلم والترمذي والنسائي في الكبرى واللفظ
له واللفظ له من حديث ابي هريرة واتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة متفق عليه
من حديث عدي بن حاتم وتصدقوا ولو بتمرة فانها تسد من الجايع وتطفي الخطيئة كما يطفي الماء النار ابن
المبارك في الزهد من حديث عكرمة مرسلا وله من حديث عايشة بسند صحيح اشتري نفسك من النار ولو
بشق تمرة فانها تسد من الجايع مسدها من الشبعان وللبزار وابي يعلى من حديث ابي بكر اتقوا النار ولو بشق
تمرة فانها تقيم العوج وتدفع ميتة السوء وتقع من الجايع موقعها من الشبعان وقال عليه السلام لابي
ذر اذا طبخت مرقة فاكثر ماءها ثم انظر الى اهل بيت من جيرانك فاصبهم منها بمعروف رواه مسلم وفي رواية
مسلم ردوا المذمة السائل ولو بمثل راس الذباب وحكي ان الحسن مر به نخاس ومعه جارية فقال اترضى
في ثمنها الدرهم والدرهمين قال لا قال فاذهب فان الله رضي في الحور بالفلس والفلسين واللقمة واللقيمة
وعن بعضهم حورا كان مهرها الا قبضة من حنطة او مثلها من تمر العقيلي عن ابن عمر كان عليه السلام
لا يكل خصلتين الى غيره كان يضع طهوره بالليل ويخمره بيده وكان يناول المسكين بيده الدارقطني
من حديث انس باسناد ضعيف وابن المبارك في البر مرسلا ويحصل انواعها اي ويجتهد في تحصيل انواع
الصدقة حسية ومعنوية ظاهرة وحكمية كارشاد الضال اي دلالته على محبوبه او رده الى بابه ورواية الترمذي وغيره
عن ابي ذر مرفوعا تبسمك في وجه اخيك صدقة وامرك بالمعروف صدقة ونهيك عن المنكر صدقة وارشادك الرجل

الرجل في ارض الضلال صدقة الحديث او هدايته الى زقاقه اخرجه الحاكم والترمذي وصححه من حديث
البراء من منح منيحة ورق او منيحة لبن او هدى زقاقا فهو كعتاق نسمة او دلالة الشيء بحالة ودلالته
فورد ان يهدي الله بك رجلا خير لك من حمر النعم اي من صدقتها وقربان المراة اي جماعها للمتعفف
من اجله او من اجلها فروى ابو داود عن ابي ذر يصبح على كل سلامى من ابن ادم صدقة تسليمه على من
لقي صدقة وامره بالمعروف صدقة واماطة الاذى عن الطريق صدقة وبضع اهله صدقة ويجزي عن
ذلك ركعتان من الضحى قالوا يا رسول الله احدنا يقضي شهوته ويكون له صدقة قال ارايت لو وضعها في
غير حلها لم يكن ياثم وفي رواية النسائي وابن حبان وغيرهما عن ابي ذر رايت ولك في جماع امراتك اجر
ارايت لو كان لك ولد فادرك ورجوت اجره فمات اكنت تحتسب به قال نعم قال فانت خلقته وانت هديته
فانت رزقته قال الله ما رزقه قال فكذلك فضعه في حلاله وجنبه حرامه فان شاء الله احياه وان شاء اماته ولك اجر والعدل
بين الاثنين من الزوجين وغيرهما فعن ابي هريرة كل سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه
الشمس تعدل بين الاثنين صدقة وتعين الرجل على دابته فتحمل عليها او ترفع عليها متاعه الحديث احمد
والشيخان والحمل على الدابة كما سبق من الحديث والمعنى كحمل الغير او متاعه على دابته او دابة نفسه وطيب
الكلام فعن ابن عباس الكلمة الطيبة يتكلم بها الرجل صدقة الطبراني وفي رواية لمسلم والنسائي عن ابي
ذر وكل تسبيحة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة وكل تكبيرة صدقة الحديث وتقدم حديث اتقوا
النار ولو بشق تمرة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة والخطوة الى الصلاة فعن ابي هريرة برواية احمد والشيخين
وكل خطوة يخطوها الى الصلاة صدقة والانفاق على العيال فعن جابر ما انفق المسلم من نفقة على نفسه
واهله كتب له بها صدقة الحديث ابن عساكر والحاكم في مستدركه عن انس ان نفقتك على اهلك وخادمك
صدقة وفي رواية الخطيب عنه كل معروف صنعته الى غني او فقير صدقة وفي رواية احمد وغيره عن ابي امامة ما اطعمت
زوجتك فهو لك صدقة وما اطعمت ولدك فهو لك صدقة وما اطعمت خادمك فهو لك صدقة وما اطعمت نفسك فهو
لك صدقة والتبسم في وجه اخيك وقد تقدم حديث تبسمك في وجه اخيك صدقة وفي رواية احمد وغيره عن جابر
كل معروف صدقة وان من المعروف ان تلقى اخاك ووجهك منبسط وفي رواية لابي ذر لا تحقرن من المعروف
شيئا ولو ان تلقى اخاك بوجه طلق واطراق الفحل اي منه للابل والخيل يعني عاريته للضراب وهو تركه على
الانثى ففي مسند احمد والترمذي عن ابي امامة افضل الصدقات ظل فسطاط في سبيل الله عز وجل او منيحة
خادم في سبيل الله او طروقة فحل في سبيل الله واعارة الدلو اي ونحوها الداخل في ذم مانعها حيث قال تعالى
ويمنعون الماعون وقد روى البخاري في تاريخه عن ابي ذر ان افراغك من دلوك في دلو اخيك صدقة وفي رواية
ولو ان تفرغ من دلوك في اناء المستسقي والنفع بعلمه اي بشرعي فعن ابي هريرة افضل الصدقة ان يتعلم المرء المسلم
علما ثم يعلمه اخاه المسلم ابن ماجه وغرس فعن ابي الدرداء من غرس غرسا لم ياكل منه ادمي ولا خلق من خلق الله
الا كان له صدقة احمد وزرع فعن خلاد بن السايب من زرع زرعا فاكل منه طير او عافية كان له صدقة احمد
والعافية كل السبع وطير ونحوه وصحف تحليف ولا تستغفر له فعن ابي هريرة اذا مات الانسان انقطع عمله الا

من ثلاث الا من صدقة جارية او علم ينتفع به او ولد صالح يدعو له مسلم وغيره وافضلها اي افضل
الصدقات ان تكون في الصحة اي حال العافية ففي الصحيحين عن ابي هريرة افضل الصدقة وانت
صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا
الا وقد كان لفلان كذا او للمحتاج فدرهم منه اي من اجله مثل سبعين اي درهما من اجل غير المحتاج ويتوجع
عليه قوله والقرض افضل منها اي من الصدقة فهو اي القرض بثمانية عشر اي درجة زائد على الصدقة التي درجتها
عشرة لوقوعه في كف المحتاج كما ورد دخلت الجنة فرأيت الصدقة على بابها بعشرة والقرض بثمانية عشر
فقلت يا جبريل كيف صارت الصدقة بعشرة والقرض بثمانية عشر قال لان الصدقة تقع في يد الغني والقرض
لا يقع الا في يد من يحتاج اليه الطبراني عن ابي امامة ولا ينذر اي الاولى ان لا ينذر ليجب عليه فلعله
لا يفي بنذره او يفي ولكن مع كراهة ونهي عنه ففي الصحيحين عن ابن عمر انه عليه السلام نهى عن النذر
ومحمله على انه من فعل البخيل اذ السخي اذا اراد ان يتقرب الى الله تعالى استعجل فيه واتى به في الحال ولم يترك الى
الاستقبال وفي مسلم والترمذي والنسائي عن ابي هريرة مرفوعا لا تنذروا فان النذر لا يغني عن
القدر شيئا وانما يستخرج به من البخيل وورد قال تعالى يأتي ابن ادم النذر بشيء لم اكن قدرته ولكنه
يلقيه النذر الى القدر وقد قدرته له استخرج به من البخيل فيؤتي عليه ما لم يكن يؤتي عليه من قبل احمد والبخاري
والنسائي عن ابي هريرة واما ما مر في اداب الدعاء من الترغيب في النذر فمحمول على ما اذا كان في الاعمال
الصالحة والنهي عن النذر ههنا محمول على النذر في المال لمظنة عدم الوفاء في المال بخلاف النذر في الاعمال
فالغالب فيه الوفاء في الاستقبال ثم اعلم انه ينبغي للفقير امور منها ان يفهم ان الله سبحانه اوجب صرف
الزكاة ونحوها الى الفقير ليكفي همومه ويجعل همه واحدا هم دينه وقد اكثر الله عز وجل الاموال ووضعها
في ايدي عباده من العمال والبطال ليكونوا سخرة في دفع حاجاتهم ووسيلة لتفرغهم الى طاعاتهم لمهامهم
ابتلاه بالمال وجعله عليه فتنة وبلية فاقتحمه في متن الخطر ومنهم من احبه فحماه الدنيا وما يتعلق بها حمى
الحذر كما يحمي الشفيق مريضه فيما في اكله الضرر فزوى عنه فضولها وقدر له حصولها وساق اليه قدر حاجته
على يد الاغنياء ليكون شغل الكسب والتعب في الجمع والحفظ عليهم مع عائدة من العناء وفائدة منفعة الى الفقراء
مع كفاية من المهنا ليتجردوا الى عبادة المولى والاستعداد لزاد المعاد الى العقبى فلا يصرف عنهم فضول
الدنيا فحق الفقير ان يعرف قدر نعمة الفقر ويتحقق ان فضل الله عليه فيما زواه اكثر مما اعطاه فليأخذ
ما يأخذه من الله سبحانه رزقا وعونا على الطاعة فان استعان به على المعصية كان كافرا للنعمة مستحقا للطرد
واللعنة ومنها ان ينظر فيما يأخذه فان لم يكن من حله تورع عنه لقوله سبحانه ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه
من حيث لا يحتسب فلا يأخذ من اموال من اكثر كسبه الحرام الا اذا ضاق عليه الامر وكان ما يسلم اليه لا يعرف
له مالكا معينا فله ان يأخذ بقدر الحاجة ومنها ان يتوقى مواقع الريبة والشبهة في قدر ما يأخذ ولا يأخذ
الا اذا تحقق انه موصوف بصفة الاستحقاق وحينئذ يأخذ ما يتم به كفايته من وقت اخذه الى سنة فهذا اقصى ما يرخص
فيه من حيث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ادخر لعياله قوت سنته متفق عليه من حديث انس كان اذا ادخر

او ادخر لاهله قوت سنته فتصدق بما بقي فاذا افتقر على حاجة شهر او يوم فهو اقرب للتقوى في حق الفقراء
ومذاهب العلماء في قدر المأخوذ بحكم الزكاة والصدقة مختلفة فمن مبالغ في التقليل الى حد اوجب الاقتصار
على قوت يومه وليلته وتمسك بما روى سهل الحنظلية انه عليه السلام نهى عن السؤال مع الغنى فقيل ما غناه
وغداؤه ابو داود وابن حبان وهو محمول عند الجمهور على السؤال في جميع الاحوال لان لفظ الحديث من
سأل وله ما يغنيه فانما يستكثر من جمر جهنم وقال اخرون يأخذ الى حد الغنى وحد الغنى نصاب الزكاة اذ لم
يوجب الله الزكاة الا على الاغنياء فقالوا له ان يأخذ لنفسه ولكل واحد من عياله نصاب الزكاة وبالغ
اخرون في التوسيع فقالوا له ان يأخذ ما يشتري به ضيعة فيستغني بها طول عمره او يهيئ بضاعة ليتجر فيها
ويستغني لان هذا هو الغنى حتى ذهب قوم الى ان من افتقر فله ان يأخذ ما يعود به الى مثل حاله ولو عشرة
الاف درهم الا اذا خرج عن حد الاعتدال والله اعلم بان احوال وقد ورد ما المعطي من سعة بافضل اجرا من
الذي يقبل اذا كان محتاجا ابن حبان والطبراني من حديث انس ومنها ان يأخذ ما يعطى له حال الحل ولا يأخذ
في المال فقد دفع رجل الى بعض العلماء شيئا ظاهرا فرده اليه ودفع اليه اخر شيئا سرا فقبله فقيل له في ذلك
فقال ان هذا عمل بالادب فقبلته وذاك اساء ادبه في عمله فرددته واعطي رجل بعض الصوفية شيئا في الملا
فرده فقال له لم ترد على الله تعالى ما اعطاك فقال انك اشركت غير الله حيث لم تقنع بعين الله فرددت عليك
شركك وقبل بعض العارفين شيئا كان رده في الخلوة فقيل له في ذلك قال عصيت الله في الجهر فلم اكن عونا
في المعصية واطعته في الخفاء فما عنتك على برك وقال الثوري لو علمت ان احدكم لا يذكر صلته ولا يتحدث
بها لقبلتها وايضا في اظهار الاخذ ذل وامتهان وليس للمؤمن ان يذل نفسه وايضا للاحتراز عن شبهة
الشركة فورد من اهدى هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها العقيلي وابن حبان في الضعفاء والطبراني في
الاوسط والبيهقي من حديث ابن عباس قال الفضل لا يصح في هذا الباب حديث اما العارف فلا ينظر الا
الى الله عز وجل والسر والعلن عنده في حقه واحد والاخذ والاخذ من الحال شرك في التوحيد والتوفيق منه سبحانه والتأييد

الباب الثالث في الصوم وكسر الشهوة اي الذي هو مراد القوم وورد الصوم اي فرضه ونفله لي
اي مختص لا حظ لا يتصور كونه لغيري وانا اجزي به بصيغة الفاعل وقيل بالمفعول ففي الصحيحين عن
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى كل عمل ابن ادم له الا الصيام فانه لي وانا اجزي
به وانما قال وانا اجزي به مع ان جزاء كل العبادات منه تعالى اشارة الى عظم ذلك الجزاء لان الكريم اذا تولى بنفسه
اقتضى ذلك سعة الجزاء وكانه لم يذكره بخبري لكثرته ويومي اليه قوله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب
وورد الصوم نصف الصبر اخرجه الترمذي وحسنه والصبر نصف الايمان ابو نعيم في الحلية من حديث ابن مسعود
بسند حسن اي جزاؤه لقائي يعني رؤيتي في العقبى او معرفتي اي في الدنيا ولا منع من الجمع وانما خص الصوم
بالاضافة اليه اللام مع ان كل عبادة مختصة له سبحانه لانه اي لان الصوم من بين العبادات خلق صمدي فان التنزه
من الاكل والشرب والجماع من الصفات الصمدية والنعوت الاحدية فكان الصائم متخلقا بذلك الخلق من
اخلاق الله وروي تخلقوا باخلاق الله وقد قالوا لكل اسم من اسمائه سبحانه للتخلق الا الاسم الجليل فانه

للتعلق في ان اضافته تشريفية كناقة الله وبيت الله واني قال انا اجزي به مع ان جزاء كل العبادات منه سبحانه اشارة الى عظم تلك الجزية لان الكريم اذا اعلم ان يتولى شيئا بنفسه اقتضى ذلك عظمته وكأنه لم يذكره يجزي به لكثرته او نفاسته كما يشير اليه قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون من اخفاء الاعمال وحديث اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر او عمل سري فانه قصد قلبي مع ترك المفطر الصوري والملك بكتبه الكتبة لا يطلعون على الاعمل فيه فهو سر بين العبد وربه بحيث لا يطلع عليه غيره او قهر النفس والشيطان الذي هو اي قهرهما اصل المعاملة فان مدار المعاملة على مخالفتهما وموافقة الله ورسوله في حكمهما والصحيح ان النفس والشيطان مقهوران مغلوبان في قبضة الله سبحانه يكونان مقهورين مغلوبين ايضا في قبضة الصائم فصار الصائم متخلقا بخلق الحق في الجملة ولو كان وصفه سبحانه بنعت الدوام ومن ثمة ورد نوم الصائم عبادة ابو نعيم في الحلية عن ابن عباس والخلوف فم الصائم اطيب عند الله من ريح المسك يقول الله تعالى انما يدع شهوته وطعامه وشرابه من اجلي فالصيام لي وانا اجزي به متفق عليه من حديث ابي هريرة وهو موعود بلقائه سبحانه في جزاء صومه اذ ورد للصائم فرحتان فرحة عند افطاره وفرحة عند لقاء ربه متفق عليه ايضا وقيل ان الصوم قهر لعدو الله فان وسيلة الشيطان الشهوات المشغلة عن العبادات وانما تقوى الشهوات بالاكل والشرب وسائر اللذات ولذا قال عليه السلام ان الشيطان ليجري من ابن ادم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع وادنى رتبة اي مراتب الصوم وهو الجواز اعم من ان يكون مقبولا ام لا ناقصا او كاملا وهو مقام العوام الكف عن الشهوتين اي ان تمتنع عن شهوتي البطن والفرج في وقته مقرونا بالنية المعتبرة المذكورة في محله وهو مناط الجواز اي متعلق جواز الفتوى في ظاهر الشرع الدنيا وهو صوم العموم ثم كف الجوارح اي منع اعضائه العين والاذن واللسان وسائر اعضائه الاركان عن الاثم اي مطلق العصيان وهو مناط القبول لقوله تعالى انما يتقبل الله من المتقين وهو صوم الخصوص فورد خمس اي خصال يفطرن الصائم بتشديد الطاء اي يجعلنه مفطرا حكما اي حقيقيا الكذب والغيبة والنميمة واليمين الكاذبة والنظر بشهوة الازدي في الضعفاء من رواية جابان عن انس مرفوعا الجمعة قال حب جابر ضعيف وقال ابو حاتم الرازي هذا كذب اقول لكن يقويه رواية الديلمي في مسند الفردوس عن انس ثم اعلم ان حفظ اللسان عن الهذيان والزامه السكوت او شغله بالذكر وتلاوة القرآن هو كمال صوم الانسان عند الاعيان وقد روى ليث عن مجاهد خصلتان يفسدان الصوم الغيبة والكذب وقال سفيان الغيبة تفسد الصوم وورد الصوم جنة فاذا كان احدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل فان امرء قاتله او شاتمه فليقل اني صائم متفق عليه من حديث ابي هريرة وجاء في الخبر ان امرأتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجهدهما الجوع والعطش من اخر النهار حتى كادتا ان تتلفا فبعثتا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الافطار فارسل اليهما قدحا وقال قل لهما قيئا فيه ما اكلتما فقاءت احداهما نصفه دما عبيطا ولحما غريضا وقاءت الاخرى مثل ذلك حتى ملأتاه فتعجب الناس من ذلك فقال عليه السلام هاتان صامتا عما احل الله سبحانه لهما وافطرتا على ما حرم الله

الله عليهما قعدت احداهما الى الاخرى فجعلتا يغتابان الناس فهذا ما اكلتا من لحومهم احياء من حديث عبيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم بسند فيه مجهول وكذا الحكم غض البصر وكفه عن الاتساع في النظر الى كل ما يعرف ويكره والى كل ما يشغل القلب ويلهي عن ذكر الرب فورد النظر سهم مسموم من سهام ابليس فمن تركها خوفا من الله تعالى عز وجل اتاه الله سبحانه ايمانا يجد حلاوته في قلبه الحاكم وصحح اسناده ٥
من حديث حذيفة وكذا الحكم كف السمع عن الاصغاء الى كل ما يكره من لغو ولهو وقد ورد الذين هم عن اللغو معرضون والمغتاب والمستمع شريكان في الاثم كذا في الاحياء وهو غريب نعم للطبراني من حديث ابن عمر بسند ضعيف نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيبة وعن الاستماع الى الغيبة كمن صائم ليس له الا الجوع والعطش النسائي وابن ماجه من حديث ابي هريرة وهو المفطر بالحرام وفعل المرتكب بلا صوم كالكذب والغيبة وسائر الاثام ثم كف القلب عما سواه تعالى اي عما عدا ذكر الرب وما يتعلق به وهو اي هذا النوع من الصوم للانبياء والاولياء وهم خصوص الخصوص ونصوص الفصوص وتوضيحه ان يصوم قلبه ولبه عن الهمم الدنية والافكار الدنيوية وبكليته عما سوى الله بالكلية ويحصل الفطر في هذا الصوم بالفكر في غير صفات الله واياته ومصنوعاته واليوم الاخر ومقاماته وبالفكر في امر الدنيا وشهواتها ولهواتها الا دنيا تراد للدين وضروراته فان ذلك زاد الاخرة ومقدماته حتى قال ارباب القلوب من تحركت همته بالتصرف في نهاره لتدبير ما يستعمله في افطاره كتبت عليه خطيئة فان ذلك من قلة الوثوق بفضل الله وكرمه وقلة اليقين برزقه الموعود فينبغي ان يكون بعد الافطار اي الصدق ان [illegible] حقه قال الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون وحقه اي الصوم على الصائم ان يخاف الرد ويرجو القبول فيكون قلبه بعد الافطار معلقا مضطربا بين الخوف والرجاء اذ ليس يدري ايقبل صومه فهو من المقربين او يرد عليه فهو من الممقوتين وليكن كذلك في اخر كل عبادة يفرغ منها وروي عن الحسن بن ابي الحسن انه مر بقوم يوم العيد وهم يضحكون فقال ان الله جعل شهر رمضان مضمارا لخلقه يستبقون فيه لطاعته فسبق اقوام ففازوا وتخلف اقوام فخابوا فالعجب كل العجب للضاحك في اليوم الذي فاز فيه السابقون المسارعون وخاب فيه المبطلون المدعون اما والله لو كشف الغطاء لاشتغل المحسن بطاعته واحسانه والمسيء باساءته وعصيانه لكان سرور المقبول يشغله عن اللعب وحسرة المردود تسد عليه باب الضحك وعن الاحنف بن قيس انه قيل له انك شيخ كبير وان الصوم يضعفك فقال اني اعده لسفر طويل والصبر على طاعة الله سبحانه وفي نسخة اهون من الصبر على عذاب الله ومجاهدة فعلماء الظاهر يعنون بالصحة الجواز والحصول وعلماء الاخرة يعنون بها القبول وبالقبول الوصول الى المقصود والمأمول ومن ثمة قال ابو الدرداء يا حبذا نوم الاكياس وفطرهم كيف يعيبون صوم الحمقى وسهرهم ولذرة من ذي تقوى ويقين افضل وارجح من امثال الجبال من عبادة المغترين ولذا قال العلماء كم من صائم مفطر وكم من مفطر صائم فالمفطر الصائم هو الذي حفظ جوارحه عن الاثام ويأكل ويشرب من الحلال دون الحرام والصائم المفطر هو الذي يجوع ويعطش في الايام ويطلق جوارحه في الاثام ويتوقع جنانه او يلبسه لمن قاتله اي جادله او ضاربه او خاصمه او شاتمه اي صائم اي فانا ممسك عما لا يليق بي من الاحكام وفيه تنبيه على ان الشخص

اذا علم صاحبه عمل الصائم ان لا يتعرض له من كلام الخصام ويشير اليه قوله فاما ترين من البشر احدا فقولي لي
اني نذرت للرحمن صوما فلن اكلم اليوم انسيا فهو كما تقدم وقد ورد انما الصوم امانة فليحفظ
احدكم امانته الخرائطي في مكارم الاخلاق ت من حديث ابن مسعود وفي حديث والامانة في الصوم واسناده
حسن ولما تلا عليه السلام قوله تعالى ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها وضع يده على سمعه وبصره
فقال السمع امانة والبصر امانة كذا في الاحيا قال العراقي اخرجه ابو داود من حديث ابي هريرة دون قوله
السمع امانة ثم لولا ان الصوم امانة لما قال عليه السلام فليقل اني صائم اي اني اودعت لساني لاحفظه
عن الاشتغال بكم فكيف اطلقه بجوابكم ولا يسال بصيغة المجهول عنه اي عن صومه او عن حاله بان يقال
انك صائم ام لا فانه يوجب على كل تقدير اشكالا لان المسئول ان اقر ظهر وربما يترتب عليه الريا وان انكر
كذب وهو اعظم البلا وان سكت اي المسئول السائل بسواله فيما اتحصر وترتب عليه الجفا وان احتال
لمدافعة تعب اي فيما تفكر وتدبر ووقع في العنا وربما يكذب الكاذب الا من حفظه نفسه عليه الديلمي
عن ابي هريرة مرفوعا ولا تكثر الاكل اي حال الافطار بحيث يمتلي فما وعا ابغض الى الله من بطن
ملان من الحلال فقد ورد ما ملا ادمي وعا شرا من بطن بحسب ابن ادم اكلات يقمن صلبه فان كان
لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه احمد والترمذي وابن ماجه والحاكم عن المقدام بن
معديكرب والاكل فيستعقب ثقيل العبادات كما في رواية تجافيا عن الكسل اي في الطاعة وقد ورد اعوذ بك من
الكسل اي سيما في التهجد لما تقدم من انه اذا اكثر الاكل اكثر الشرب واذا اكثر الشرب اكثر النوم واذا اكثر
النوم ضيع عمره وخسر امره وينبغي ان لا يكثر النوم في النهار ايضا ليحس اثر الجوع والعطش ولا ينقل
نتيجته وثمرته لا سيما مع وجود غفلة وعن بعض الحكما خمسة من الاشيا ابتلى الناس بها وكان لكل منها
فيها اولها الشبع وفيه قساوة القلب والثاني حب النوم وفيه نقصان العمر والثالث حب الراحة وفيه
الافلاس والرابع حب المال وفيه الحساب الطويل في الامال وانكسار البنا وفيه ذهاب الثواب وابطال
الاعمال وبطلان ثمرة اي وتجافيا عن بطلان ثمرة الصوم ومنفعة امر وهو قهر النفس اي اذا لا له
لا تنقاد فيما خلقت له جبلة فكيف يستفاد من الصوم قهر الشيطان وكسر النفس وتقليل الشهوة اذ اتدارك
الصائم عند افطاره ما فاته في نهاره ومن حصل بين قلبه وبين ربه مخلاة من الطعام فهو محجوب عن
شريف المقام ولطيف المرام وطريقه اي طريق تحصيل الصوم من مذهب القوم معرفة فوائد الجوع فقد قيل
الجوع عز كما ان الشبع ذل كما ورد دعوة الصائم تسبيح ونومه عبادة ودعاؤه مستجاب وعمله مضاعف
الديلمي عن ابن عمرو قال بعضهم اخترت صوم الدهر لما سالت ستة نفر عن ستة اشيا فاجابوا بجواب
واحد سالت الاطبا عن اشفى الادوية فقالوا الجوع وقلة الاكل وسالت الحكما عن اعون الاشيا
على طلب الحكمة فقالوا الجوع وقلة الاكل وسالت العباد عن انفع الاشيا في العبادة قالوا الجوع وقلة
الاكل وسالت الزهاد عن اقوى الاشيا على الزهادة قالوا الجوع وقلة الاكل وسالت العلما عن افضل
الاشيا على حفظ العلم وفهمه قالوا الجوع وقلة الاكل وسالت الملوك عن اطيب الادام فقالوا الطعام قالوا

قالوا الجوع وقلة الاكل وهي اي فوائد الجوع ثلاثة عشر صفا القلب اي ضياؤه وزكاؤه وقبوله لدوام ذكر
الرب فقد ورد من اجاع بطنه عظمت فكرته وفطن قلبه اي وكبرت حكمته وقلت نخوته وعذبت نعمته
والحديث لم اجده مرفوعا واما قال لقمان لابنه يا بني اذا امتلات المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة
وقعدت الاعضا عن العبادة وقد ورد ان من السرف ان تاكل كل ما اشتهيت ابن ماجه عن انس وفي رواية
البيهقي عن عايشة اكثر من الاكل كل يوم سرف وعن سلمان اكثر الناس شبعا في الدنيا اطولهم جوعا يوم القيامة
ابن ماجه والحاكم في حديث ابن عباس ان اهل الشبع في الدنيا هم اهل الجوع في الاخرة الطبراني وعن يحيى
بن معاذ يا معاشر الصديقين جوعوا انفسكم لوليمة الفردوس فان شهوة الطعام على قدر الجوع ورقة
اي ورقة القلب وتاثيره بذكر الرب فقد ورد من شبع ونام قسا قلبه ثم اعرفه بهذا اللفظ نعم ورد اذيبوا
طعامكم بالصلاة والذكر ولا تناموا عليه فتقسو قلوبكم ابو نعيم وغيره ثم سيتوا اخذا بالمفهوم فيلان من جاع
وسهر رق قلبه والاستلذاذ بالطاعة اي التلذذ بالعبادة كما يعرفه اهل الارادة والانكسار اي الذل
الحاصل منه مقام الافتقار فالبطر سبب المعصية والغفلة والفقر باعث التوبة والرجوع الى الحضرة وقد ورد
عليكم بالصوم فانه محسمة للعروق ومذهبة للاشر ابو نعيم في الطب عن شداد بن اوس وذكر عطش
العرصات اي موقف القيامة بحيث يكون الشمس قريب راسه قدر القامة وفي الخبر يوضع للصائمين مائدة
يوم القيامة من ذهب ياكلون منها والناس ينظرون ابو الشيخ والديلمي عن ابن عباس وجوع الجحيم
كما قال تعالى ليس لهم طعام الا من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع وورد الصوم يباعد من النار الطبراني عن
انس وكسر شهوة الفرج فانه سبيل كما بالشبع ولذا ورد من استطاع منكم ان يتزوج فليتزوج ومن لم يستطع
فعليه بالصوم فانه له وجا متفق عليه من حديث ابن مسعود ودفع النوم اي في الجملة فهو اي النوم الكثير
يكدر الطبع اي جبلته كما في فهم الكلام وتضييع العمر بغدر التنام ويفوت القيام بمقاصد المرام ومراصد
المقام والتهجد وهو القيام والناس نيام وتيسير المواظبة على الطاعة بخفة الابدان المستلزمة للمواظبة على
على العبادة كما يعرفه ارباب السعادة والفراغ من الاهتمام بالتحصيل اي تحصيل الكثير فان امر التقليل
يسير والاعداد اي تهيئة ما يحتاج الاكل من نحو الطبخ والنفخ والاكل اي نفسه من الغسل والفراغ بالجر
اي والفراغ عن الفراغ من قضا الحاجة الانسانية ودفع الامراض الشاغلة عنها اي عن العبادة الكاملة
فقد ورد المعدة بفتح فكسر وبكسر فسكون بيت الدا واخرج الخلال من حديث عايشة مرفوعا بلفظ الازم
دوا والمعدة بيت الدا وعودوا بدنا ما اعتاد ذكره السيوطي والازم الحمية واخرج ابن ابي الدنيا في كتاب
الصمت عن وهب بن منبه قال اجتمعت الاطبا على ان راس الطب الحمية قلت واجمعت الحكما على ان
راس الحكمة الصمت وخفة المؤنة فانها مطلوبة في مقام المعونة والاكتفا بالقليل فان الكثير قل ان يكون
من الحلال وحديث قليل يكفيك خير من كثير يطغيك فطلب الزيادة يورث المذلة اي في كسبها وتحصيل الحرام بشبهة
والشبهة بل شبهة في صرفها والتمكن من الايثار بالفاضل اي الزائد عن قدر الكفاية وفق قناعته ليكون في
ظله اي ظل ما ينفقه في سبيل الله يوم القيامة فقد ورد ان الرجل في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس الفقا
عي

عن عقبة بن عامر ان ظل المؤمن يوم القيامة صدقته اي زجويه عن بعض الصحابة ثم التقليل بالتدريج
اي ما يحصل به القوام وهو طريقة رياضة المشايخ الكرام وعن بعضهم ان مما يعين على الجوع ما حمد منه
بغير شبع ... كل ثلثيه وسنين مرة وهو عجيب مجرب غريب وان لم يطق اي التقليل وهو ان يسب
ما يحصل به القوام وهو الاقرب فان كل بعد صدق الشهوة او تحقيق الرغبة ويعرف الصدق بان لا ينتظر
الادام بعد حصول الخبز في المقام او ان يقع الذباب على البزاق فانه علامة عدم بقاء مادة الطعام في
معدته بان تفاق اذ الكان ينتهي حين المخصوص او مع الادام فهو كاذب في جوعه واما الجوع المفرط
فمفسد للفكرة ومعد للحيوانات المنكرة والتركيب بالرفع اي وترك الاكل مع بقائه اي بقاء الميل في اثنائه
وان صوب اي الى قرب الى الصواب في هذا الباب الاكتفاء بما يقوى على العبادة فانها هي المقصود وهي
اولى الالباب فهو الماثور عن الجمهور وهو اي ما يقوى يختلف بحسب الاحوال وكذا التفاوت امزجة
الرجال الا الوقت اي قدر زمن الجوع والتقليل تراكم الى بعض اهل السلف يطوون يومين وما علم
ايام فهذا الى خمسين يوما وهذا درجة ارباب كمال الصفاء وان قصد في الاكل بحسب الوقت المناسب
لاكثر العباد منه الزهاد والعباد هو الاكل في اليوم ان لم يكن صائما والليلة حين افطاره وهو الوسط
المروي عنه عليه السلام اي في بعض المقام ومن الحزاد اذا تغذى لم يتعش واذا تعشى لم يتغد ابو نعيم في الحلية
عن ابي سعيد فورد ان الاكلتين في يوم من السرف وقد تقدم ما اخرجه البيهقي وضعفه عن عائشة قالت رآني
النبي صلى الله عليه وسلم وقد اكلت في اليوم مرتين فقال يا عائشة اما تحبين ان يكون لك شغل الا في
جوفك الاكل في اليوم مرتين من الاسراف والله لا يحب المسرفين وفي رواية له اتخذي يا عائشة اتخذت
الدنيا بطنك اكثر من اكلة كل يوم سرف والله لا يحب المسرفين الا ان المعروف في شمائله عليه السلام الاكل مرتين
المعبر عنه بالغداء والعشاء وفي الصوم الفطور والسحور المسمى بالغداء المبارك في الحديث المشهور وهو المذكور في
قوله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وهو الطريقة الحنيفية السهلة فالحديث محمول
على الاكلتين مشبعتين او على الاكلتين في نهار او اكلة في ليلة وان احب التسحر فهي اي يمسك الى ان كان
يكتفي بها فهو اولى منه اول الليلة ليستعين على فراغ القلب ويقوى على الصوم وهو الاولى اي مع الطعام
الا اكلة اول الليلة فمعنى الخبر تسحروا فان في السحور بركة متفق عليه واستعينوا بطعام السحر على صيام النهار
وبالقيلولة على قيام الليل ابن ماجه والحاكم عن ابن عباس وقيل المراد به هو ما ورد في حديث عائشة
كان عليه السلام يواصل الى السحر وفي حديث عاصم بن كليب عن ابيه عن ابي هريرة قال ما صنع عليه
السلام وصاله هذا انقطاعه اخر الاكل الى السحر وان منع اي الجوع الحضور بالقلب عند بيع الفجر وعيره
سبط بضعف اي من قرصه او قدر عادته من حال الشبع وتسبب بالاخرى الاستعانة على الطاعتين اي الطاعة
الباطن وهو الحضور في مقام السرور والطاعة الظاهرة وهي الطاعة بالجوارح فيبقى نور على نور فالجوع
الشاغل عنها مذموم كما ان الشبع الشاغل عنها مشئوم وقد ورد اللهم اني اعوذ بك من الجوع فانه بئس
الضجيع وقد اشار صاحب البردة اي صاحب الزبدة بقوله فرب مخمصة شر من التخم واما الجنس اي جنس المأكول

سكب

السلام كان صح

المأكول فان عليه الخبز البر المنخول وفيه سعة ثم الشعير المنخول وفيه رخصة دار البر الغير المنخول فهو متوسط ثم
الشعير الغير المنخول وهو سنة وعن ابن عباس انه عليه السلام كان يبيت الليالي المتتابعة طاويا واهله
لا يجدون عشاء وكان اكثر خبزهم الشعير احمد والترمذي وابن ماجه وفي الشمائل عن عائشة انها قالت
ما شبع ال محمد صلى الله عليه وسلم من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي
شمائل الترمذي عن سهل انه قيل له اكل عليه السلام النقي يعني الحوارى فقال سهل ما راى عليه السلام
النقي حتى لقي الله عز وجل فقيل له هل كانت لكم مناخل على عهده عليه السلام قالت ما كانت لنا مناخل
قيل كيف تصنعون بالشعير قال ننفخه فيطير منه ما طار ثم نعجنه ان يقال النخل بدعة حدثت بعده صلى الله
عليه وسلم فانا نقول ليس كل ما ابتدع منهيا عنه بل المنهي عنه ابتداع بدعة مضادة لسنة ثابتة فقد تكون
بدعة حسنة وقد تكون واجبة وقد تكون مباحة ومنها النخل اذ المقصود منه تطييب الطعام وذلك مباح
ما لم ينته الى التنعم المفرط قال تعالى قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق اي المستلذات
للخلق ومنه الادام اي وان علم منه ان الادام اللحم وقد ورد سيد طعام اهل الدنيا واهل الجنة اللحم رواه ابن
ماجه وابن ابي الدنيا في حديث ابي الدرداء مرفوعا به وسنده ضعيف لكن له شواهد منها عن علي رفعه
بلفظ سيد طعام الدنيا اللحم ثم الارز اخرجه ابو نعيم في الطب النبوي وعن صهيب بلفظ سيد الطعام في
الدنيا والاخرة اللحم ثم الارز اخرجه الديلمي من رواية الحاكم وعن بريدة ايضا مرفوعا سيد الادام في
الدنيا والاخرة اللحم وسيد الشراب في الدنيا والاخرة الماء وسيد الرياحين في الدنيا والاخرة الفاغية رواه
الطبراني وكذا ابو نعيم لكن بلفظ اخر ومما يقويه حديث فضل عائشة على سائر النساء كفضل الثريد على سائر
الطعام اخرجه الترمذي وغيره وفي الشمائل انه عليه السلام اكل الدجاج ولحم حبارى وجنبا مشويا
وكان يحب الذراع ويقول ان اطيب اللحم لحم الظهر وفي الحديث عن علي كرم الله وجهه من ترك اللحم اربعين
يوما ساء خلقه ومن ادوم عليه اربعين يوما قسا قلبه والحلواء التمر وغيره فعن عائشة كان عليه السلام
يحب الحلواء والعسل رواه اصحاب الكتب الستة وكان يعجبه الحلو البارد كما في الشمائل واما حديث المؤمن
حلو والكافر حمري فقال ابن حجر العسقلاني باطل لا اصل له وكان يحب الدباء كما في الشمائل وغيره عن
انس وكان يحب الغث كما رواه الطبراني عن الربيع بنت معوذ ثم الزيت وكان معناه السمن فقد ورد كلوا
الزيت وادهنوا به فانه من شجرة مباركة وفي لفظ فانه مبارك احمد والترمذي وابن ماجه عن عمر وصححه الحاكم
على شرطهما ثم الملح فعن انس مرفوعا سيد ادامكم الملح ابن ماجه وابو يعلى والطبراني والخل فعن عائشة
انه عليه السلام قال نعم الادام الخل الترمذي ورواه مسلم عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم سال اهله الادام فقالوا ما عندنا الا الخل فدعا به فجعل ياكل ويقول نعم الادام الخل وعن
ام سعد مرفوعا نعم الادام الخل اللهم بارك في الخل وفي رواية فانه كان ادام الانبياء قبلي وفي حديث لم يفتقر
بيت فيه خل رواه الحكيم ابن ماجه واما حديث خير خلكم خل خمركم فرواه البيهقي في المعرفة عن جابر مرفوعا وقال
انه ليس بالقوي والمحمود الوسط فالطرفان اي الاكل والادام شاغل عن العبادة للمتجرد الا الهلاك واما

سبحان صح

العارف فكل حلال له طيب قال تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقال يا ايها الذين امنوا
كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون وورد والذين اذا انفقوا لم يسرفوا اي لم
يبذروا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ان شكر ان قوام كل قوم بحسب ما يقوم عندهم خير الامور
اوسطها رواه البيهقي عن عمرو بن الحارث بل غاربعله ماخوذ من قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا
ومن قوله كنتم خير امة وان لا يواظب عليه اي على الدوام في جميع الايام والليالي ويترك المشتهى
اي وان يتركه ما تشتهيه النفس قطعا للانس بالدنيا وطمعا للجلوس القدسي في العقبى وفيها ما تشتهي الانفس
وتلذ الاعين وورد اللهم لا عيش الا عيش الاخرة فان عيشها عيشة راضية فاخرة وورد اي في توبيخ
الكفار اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا والتحقيق انها محمولة على الحرمة اذ لا شبهة في المباحات والمختصة
بالكفار لكن قد يقال العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فيتناول الفجار حيث صرفوا نعم الله سبحانه
في المعصية دون ان يراعوا انهم استعانوا بنعمه على الطاعة سيما الذين عدوا بالنعيم من غير فرق بين
الحلال والحرام وثبت عليه السلام كل جسد نبت من الحرام فالنار اولى به كما في رواية وان ما طعمهم
انواع الطعام واللباس اي من غير تفرقة بين الجواز وعدمه فان محط نظرهم ما يرون من فعل
عامة الناس والحديث رواه ابن عدي في الكامل وضعف طريقه البيهقي في شعب الايمان من حديث
فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنها وروي من حديث فاطمة بنت الحسين مرسلا
قال الدارقطني في العلل هو اشبه بالصواب ورواه ابو نعيم في الحلية من حديث عائشة باسناد لا باس
به وان يجمع بين الشهوتين اي المشتهاتين كاللحم والفاكهة او الفاكهتين فصاعدا اي او الشهوة النفس
ومرادها فيجوز ان يجمع بنسبة ادراك خاطر الضيف وغيره وقد ثبت في الشمائل انه اكل اللحم مرتين
وجمع بين اللحم والرطب وبين البطيخ والرطب وفي رواية بين الخربز والرطب وفي اخرى له بين القثاء
والرطب وقال يكسر حر هذا ببرد هذا وان يجمع بين الشبع والنوم فانهما يغفلان من كثرتهما حسرات وخسارات ن
تورد واذهبوا طعامكم اي هضموه بالصلاة والذكر واعلاه التلاوة وان تناموا عليه اي على الشبع
من غير طاعة فتكسبوا قلوبكم اي فتقسو قلوبكم كما رواه ابو نعيم وغيره عن النبي وان يكتفي بالتمر تحرزا عن التنعم اي التنعم
فعن النعمان بن بشير رايته صلى الله عليه وسلم وما يجد من الدقل ما يملأ بطنه الترمذي في شمائله
ويحتمل معنى ان يكتفي بالتمر عن التفكه انه ياكل التمر بدلا من الخبز وكذا يكتفي بكل فاكهة اشتهتها نفسه
عن الطعام ما كان بدلا عنه ليكون قوتا وان يكون تفكها لان التفكه انما يكون اذا اشبع
من الطعام ثم اكل الفاكهة واما اذا اكتفى بالفاكهة عن الطعام فلا يكون ذلك تفكها بل يكون قوتا
يقتضي قوة ويناسبه ما حكي عن بعضهم انه نظر الى رجل ياكل خبزا وتمرا فقال له ابدأ بالتمر فان قامت
به كفايتك والا اخذت من الخبز بعده ما حبك وعلم النفس اي يؤدبها ويهذبها في ابتداء الرياضة قال
تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وكان عليه السلام يحب العسل اي والحلواء ونحوهما وتميمها
لا انه كان في مرتبة العرفان مراتبه الادانى يقتدي به جميع افراد الانسان وعمر رضي الله عنه يجتنبه اي العسل

اي لم يبخلوا صح

اي مستلذاتكم صح

بصيغة المجهول الغذا بالمعجمتين اي تربوا صح

العسل وان دام تركه للذة واختيار الرياضة وعمل بان فضل كما هو شان الكمل وربا مراتبه
اي عبد الله كما هو الظاهر بالاكل الخبز يوما مع اللحم ثم اللبن اي يوما ثم الدهن اي مثل الزيت ونحوه
او السمن يوما يوما ثم الزيت الظاهر ان يقال المراد به الزيتون مجازا وفيه ان الزيت والزيتون
كل منهما كان عزيزا في المدينة ثم الملح ثم وصل اي الخبز غير ادام معه وان ياكل في الخلا اي منفردا وقد را
يذكر في الملا فانه من باب السمعة والريا وكذا اي ويعيد في الملا ما تركه في الخلا فانه من اخلاق اهل النفاق قا
فانه شرك خفي وقد قال النبي فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا
وفي الحديث القدسي انا اغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا اشرك فيه معي غيري تركته وشركه مسلم وابن
ماجه عن ابي هريرة وان يريد اي وينبغي ان لا يريد ان يعرف بين الناس بالتقليل اي بتقليل الاكل
وكذا بتكثير العلم والعمل فهو اي التقليل رياء الحش اي افحش منه ان كان مطلقا فانه يختم ترك شهوة الحلال
واختار شهوة الحرام ونوخر السحور وهو بفتح السين ما يتسحر به وبالضم التسحر وهو الاكل في السحر وهو السدس
الاخير من الليل ويعجل الافطار وفي كل منهما ورد انا معشر الانبياء امرنا بتعجيل الافطار واخروا السحور الطبراني
عن انس بكروا بالافطار واخروا السحور ابن عدي وعن ابن عباس انا معشر الانبياء امرنا ان نعجل
افطارنا ونؤخر سحورنا ونضع ايماننا على شمائلنا في الصلاة وعن ابي ذر لا تزال امتي بخير ما عجلوا الافطار ر
واخروا السحور رواه احمد ويبدي بالتمر والرطب افضل والما عند عدمهما وزمزم افضل وان يمنع الجمع عن
انس كان عليه السلام يفطر على رطبات قبل ان يصلي فان لم يكن رطبات فتمرات وان لم يكن تمرات
حسا حسوات من الماء ويفطر صائما ولو بتمرة واحدة ورد من فطر صائما كان له مثل اجره غير انه لا ينقص من اجر
الصائم شيئا احمد والترمذي وابن حبان عن زيد بن خالد فالكل ما تورد في ضمن الشرع مسطور ويستعد
في شعبان لاستقبال رمضان بالتوبة والاستغفار والندامة ورد المظالم اي مظالم العباد وكذا اداء حقوق
الله وفي ترك الشواغل اي الموانع عن القيام والصيام من النهار واللهو والتجارة والكسب الزائد عن الحاجة
ويخص رمضان بالصدقة اي بزيادتها فانها اقرب الى القبول والغفران والتلاوة اي قراءة القرآن ومدارسته
فانه شهر انزل فيه القرآن والاعتكاف في المسجد قال تعالى وانتم عاكفون في المساجد لا سيما العشر الاواخر
فان الاعتكاف فيه سنة مؤكدة وفي غيرها مستحبة فانه عليه السلام واظب عليه اي على الاعتكاف في العشر الاخير
ففي الصحيحين عن عائشة كان اذا دخل العشر الاواخر احيا الليل وايقظ اهله وجد وشد المئزر وكان
لا يخرج الا لحاجة وفي رواية ابي داود بزيادة ولا يسال عن المريض الا مارا وامرنا بالتماس ليلة القدر فيها
اي في العشر الاواخر واوتارها اشبه والجمهور على انها ليلة السابع والعشرين ويراعى سائر الايام الفاضلة
اي بالصوم فيها قدر طاقته واستطاعته في تكثير طاعته كالاشهر الحرم وهي رجب وذو القعدة وذو
الحجة والمحرم اما المحرم فورد فيه ان كنت صائما بعد شهر رمضان فصم المحرم فانه شهر الله الحديث رواه النسائي
عن علي وانه ابتداء السنة فبناؤه على الخير احب وارجى لدوام البركة وفي المعجم للطبراني من حديث ابن
عباس من صام يوما من المحرم فله بكل يوم ثلاثون حسنة وعن النبي من صام ثلاثة ايام من شهر حرام الخميس والجمعة

ما تركه صح

والثبت كتب الله عز وجل له عبادة تسعمائة سنة الازدي في الضعفاء وفي رواية ابن شاهين في ترغيبه
وابن عساكر عن انس كتب الله له عبادة سبعمائة سنة وفي رواية الطبراني في الاوسط عن النبي عبادة
ستين سنة واما رجب فورد فيه صوم اول يوم من رجب كفارة ثلاث سنين والثاني كفارة سنتين والثالث
كفارة سنة ثم كل يوم شهر رواه ابو محمد الخلال عن ابن عباس لا سيما عرفة اي يوم عرفة فورد من
صام يوم عرفة غفر الله سنتين سنة امامه وسنة خلفه ابن ماجه بسند حسن عن قتادة بن النعمان
واذا كان بعرفات ان لم يكن يضعفه عن العبادة ولم ينس خلفه فالصوم افضل والا فالافطار افضل
وقد ثبت انه عليه السلام افطر بعرفة في حجة الوداع وكانه تهوين على الامة متشاهد الشفقة والرحمة
بل ورد انه عليه السلام نهى عن صوم يوم عرفة بعرفة احمد وابو داود وابن ماجه والحاكم عن ابي هريرة
وعاشورا وان فضل منه تاسوعا والعشر بفتحتين اي العشر الاول من ذي الحجة وفيه المحرم فورد ما من ايام
العمل فيهن افضل واحب الى الله من ايام عشر ذي الحجة ان صوم يوم منه يعدل صيام سنة وقيام ليلة منه يعدل
قيام ليلة القدر الترمذي وابن ماجه من حديث ابي هريرة وعند البخاري من حديث ابن عباس ما العمل
في ايام افضل من العمل في هذه العشر قالوا ولا الجهاد قال ولا الجهاد الا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله
فلم يرجع بشيء وشعبان كلا واكثره وكان عليه السلام يكثر صيام شعبان حتى كان يظن انه من رمضان
متفق عليه من حديث عايشة رضي الله عنها والايام البيض اي التي لياليها البيض وهي الثالث عشر
والرابع عشر والخامس عشر من الشهر العوال او الايام التي تبيض جسم ابن ادم بصومها لما خرج من
الجنة وكان قد اسود من جهة الخطيئة وعن ابن عباس كان عليه السلام لا يدع صوم ايام البيض في
سفر ولا في حضر الطبراني والجمعة وان فضل ان يصوم فيها مفردا عن جنادة الازدي لا تصوموا يوم
الجمعة مفردا احمد والنسائي والحاكم وفي رواية لاحمد عن ابي هريرة لا تصوموا يوم الجمعة الا وقبله يوم او بعده
يوم والخميس والاثنين لانهما يومان مبركان وورد كان يصوم الاثنين والخميس فقيل له فقال
ان الاعمال تعرض كل اثنين وخميس فيغفر لكل مسلم الا المتهاجرين فيقول اخروهما احمد عن ابي هريرة
ويفطر في اخر شعبان استعانة على صوم رمضان واستعدادا عن التقدم في الزمان وورد انه اذا كان النصف
من شعبان فلا صوم الا رمضان الاربعة من حديث ابي هريرة وصححه الترمذي وفي رواية اذا انتصف
شعبان فلا صوم حتى رمضان احمد والدارمي والاربعة وصححه ابن حبان وابو عوانة وغيرهما مرفوعا
فان وصل شعبان برمضان فجائز كذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة كما رواه الاربعة من حديث
ام سلمة لم يكن يصوم من السنة شهرا تاما الا شعبان يصله برمضان ولابي داود والنسائي نحوه من
حديث عايشة ويفصل مرارا كثيرة كما رواه ابو داود من حديث عايشة قالت كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يتحفظ من هلال شعبان ما لا يتحفظ من غيره ثم يصوم رمضان فان غم عليه عد ثلثين يوما ثم صام واخرجه
الدارقطني وقال اسناد صحيح والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين كذا ذكره الحجة ومخرجه ولا يخفى عدم دلالة
الحديث على المدعى ثم السر فيما ورد من حديث عبد الله بن عمرو في الصحيحين افضل الصيام صيام اخي داود

داود وتمامه كان يصوم يوما ويفطر يوما تسلية فانه كسر النفس ومالها من العادة بنقض العادة فانه
لب العبادة ومن ذلك ما ورد في الصحيحين ايضا من منازلته عليه السلام لعبد الله بن عمرو في الصيام وهو
يقول اريد افضل من ذلك فقال صلى الله عليه وسلم صم يوما وافطر يوما فقال اريد افضل من ذلك فقال عليه السلام
لا افضل من ذلك لانه اشد على النفس والهوى وفي منع قهرها اقوى وان العبد فيه بين صبر يوم وشكر
يوم فقد قال عليه السلام عرضت على مفاتيح خزائن الدنيا وكنوز الارض فرددتها اجوع يوما واشبع
يوما احمدك اذا شبعت واتضرع اليك اذا جعت الترمذي من حديث ابي امامة وحسنه وفيه تنبيه على ان الكمال
هو المرتبة بين تجلي صفتي الجمال والجلال وقد ورد ايضا الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر
وقال عز وجل ان في ذلك لايات لكل صبار شكور بخلاف صوم الدهر فانه يصير العبادة له كالعادة
على انه شامل للكل مع الزيادة وللسالكين طرف هنالك فمنهم من كره ذلك اذ وردت فيه اخبار كثيرة
تدل على كراهته نهيا من صام الابد اي الدهر فلا صام ولا افطر احمد والنسائي والحاكم وابن ماجه عن
عبد الله بن الشخير وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو لا صام من صام الابد ولمسلم من حديث
ابي قتادة قيل يا رسول الله كيف بمن صام الدهر قال لا صام ولا افطر وللنسائي من حديث عبد الله بن عمرو
وعمران بن الحصين وقال الصحيح انه انما يكره لشيئين ان لا يفطر في العيدين وايام التشريق وهو
الدهر كله والثاني ان يرغب عن السنة في الافطار ويجعل الصوم حجرا على نفسه مع ان الله سبحانه يحب
ان تؤتى رخصه كما يحب ان تؤتى عزائمه واذا لم يكن شيء من ذلك ورأى صلاح نفسه في صوم الدهر فهنالك
فليفعل وقد فعله جماعة من الصحابة والتابعين وقال عليه السلام فيما روى ابو موسى الاشعري من
صام الدهر كله ضيقت عليه جهنم وعقد تسعين بمعناه ليس له فيها موضع والحديث رواه احمد والنسائي
في الكبرى وابن حبان وحسنه ابو علي الطوسي قيل يجتهد ان يصوم نصف السنة وهو صوم داود ولكن
ان يكون غير ثلثيها كذا صام ثلاثة ايام من اول الشهر وثلاثة من اوسطه وثلاثة من اخره فهو
ثلث بالعدد واما مع رعاية الايام الفاضلة بان صام الاثنين والخميس والجمعة فهو قريب من النصف
وينبغي ان لا يفطر الا اربعة ايام متواليات اعتبارا بايام النحر والتشريق وفي الاحياء كره بعض العلماء ان يوالي
بين الافطار اكثر من اربعة ايام تقديرا بايام العيد وايام التشريق وذكروا ان ذلك يقسي القلب ويولد ردي
العادات ويفتح ابواب الشهوات فلعمري كذلك هو في حق اكثر الخلق لا سيما من ياكل في اليوم مرتين
والاصل ان العمل بحسب صلاح الباطن اي اذا صلح باطنه للصوم صام واذا صلح باطنه بالفطر افطر لان
المقصود صلاح القلب للحضور بين يدي الرب فتارة يقتضي دوام الصوم واخرى دوام الفطر واخرى
مزجه وهو الانسب وكان عليه السلام يصوم النفل متتابعا حتى يقال وفي رواية حتى نقول بالنون
والغيبة والخطاب لا يفطر ابدا وكذا الفطر اي مواظبا حتى يقال لا يصوم بعد هذا اصلا ويقوم اي في الليل
متواليا حتى يقال لا ينام وينام اي كثيرا حتى يقال لا يقوم كذا في الاحياء قال العراقي حديث كان يصوم
حتى يقال لا يفطر الحديث اخرجاه من حديث عايشة وابن عباس دون ذكر القيام والنوم وللبخاري

من حديث انس كان يفطر من الشهر حتى يظن انه لا يصوم منه ويصوم حتى يظن انه لا يفطر منه شيئا
وكان لا تشاء ان تراه من الليل مصليا الا رأيته ولا نائما الا رأيته انتهى والحديث ايضا في شمائل الترمذي
وقد شرحته وكان ذلك الفهم له عليه السلام من حيث ينكشف له بنور النبوة من اللياقة بحقوق الاوقات
واستحقاق اى الاوقات

الباب الرابع في السفر والحج والغزو وتخصيص بعد التعميم للمهتم

بسم الله الرحمن الرحيم المعين للمسافر والمقيم السفر اعم من الشرعي واللغوي اما ديني على قصد
التعلم من علماء الشريعة او من مشايخ الطريقة فيستفيد من معارفهم في الحقيقة فورد اى برواية الترمذي
والضيا عن انس من خرج من بيته في طلب العلم فهو في سبيل الله اى الجهاد مع اعلاء مولاه او في طريقة
مرضاته حتى يرجع اى من سفره الى حضره قال المظهر وجه مشابهة طلب العلم بالجهاد في سبيل الله
انه احياء الدين وفيه ارضاء الرحمن واذلال الشيطان وعن انس طالب العلم افضل عند الله من
المجاهد في سبيل الله الديلمي وعن جابر بن عبد الله انه رحل من المدينة الى مصر لحديث بلغه ان عبد
الله بن انيس يحدث به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل في تفسير قوله تعالى السائحون انهم
طلاب العلم المسافرون وعن ابي هارون قال كنا ناتي ابا سعيد فيقول مرحبا بوصية عليه السلام
كان يقول ان الناس لكم تبع وان الرجال يأتونكم من اقطار الارض يتفقهون في الدين فاذا اتوكم
فاستوصوا بهم خيرا وعن كثير بن قيس قال كنت جالسا مع ابي الدرداء في مسجد دمشق فجاءه رجل وقال
يا ابا الدرداء اني جئتك من مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم لحديث بلغني انك تحدثه عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما جئت لحاجة اى لغرض الا لاسمع منك الحديث قال فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سلك
طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة وان الملائكة لتضع اجنحتها رضا لطالب العلم
وان العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الارض والحيتان في جوف الماء وان فضل العالم على العابد كفضل
القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وان العلماء ورثة الانبياء وان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما
وانما ورثوا العلم فمن اخذه اخذ بحظ وافر رواه احمد والترمذي وابو داود وابن ماجة والدارمي والحديث
في المشكاة وشرحته في المرقاة والتجارب اى ولقصد التجربة في احوال الشدة لاصلاح الاخلاق اى المستحسنة
في حكم الخلق في خصوصهم والسالك بسيره منهم ومنه قوله عليه السلام اخبر تقله ابن عدي من حديث
ابي الدرداء مرفوعا وفي رواية له وجدت الناس اخبر تقله اخرجه الطبراني وابو يعلى وابو نعيم في
الحلية اى جرب الناس فانك اذا جربتهم قليتهم وتركتهم لما يظهر لك من بواطن سرائرهم لفظه امر ومعناه
خبر اى من جربهم واختبرهم ابغضهم والهاء في تقله للسكت ومعنى نظم الحديث وجدت الناس مقول فيهم
هذا القول ويضرب هذا مثلا في قلة من يحمد عند الناس والسفر سمي به لانه يسفر عنها اى
يكشف عن الاخلاق الرضية والدنية في ضيق الحالات للبعد عن المالوفات وعدم وجود المعوقات
والتفكر في لطائف افعاله في مصنوعاته وعظم صفاته اى الدالة على عظمة ذاته كما يشير اليه قوله تعالى قل
سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلكم فهو اما بسير الباطن او بانضمام سير الظاهر وقوله

وقوله جل وعز سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم وقوله اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض
وما خلق الله من شيء واختلف احوال الصوفية في سلوك سير الظاهر فمنهم من سافر في بدايته واقام في
نهايته وهو الاظهر ومنهم من اقام ولم يسافر وهو الاكثر ومنهم من استدام على السفر والحج فورد ولله
على الناس حج البيت الاية اى فمن استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين ومن حج البيت
ولم يرفث اى لم يجامع في الاحرام ولم يذكر النساء في مجامع ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه احمد
والبخاري والنسائي وابن ماجة عن ابي هريرة بلفظ من حج لله فلم يرفث الحديث ومن مات ولم يحج فليمت
ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا ابن عدي من حديث ابي هريرة والترمذي من حديث علي وقال غريب وفي اسناده
مقال ومن خرج من بيته حاجا او معتمرا فمات اجرى الله له اجر الحاج والمعتمر كل سنة الى يوم القيامة البيهقي
في الشعب والجهاد مع الكفار فورد لغدوة في سبيل الله او روحة خير من الدنيا وما فيها احمد والشيخان والترمذي
وابن ماجة عن انس وزيارة المدينة فمن اخرج من زار قبري وجبت له شفاعتي ابن عدي والبيهقي وابن
ابي الدنيا والطبراني والدارقطني عن ابن عمر وهو في صحيح ابن خزيمة والطيالسي عن عمر مرفوعا من زار
قبري كنت له شفيعا او شهيدا قال الاجلى طرقها كلها لينة لكن يقوي بعضها بعضا لان ما في رواتها متهم
بالكذب قال وهو اجودها اسنادا وحديث حاطب من زارني بعد وفاتي فكانما زارني في حياتي اخرجه ابن
عساكر وغيره قلت حديث من زارني بعد وفاتي فكانما زارني في حياتي رواه ابن عدي والطبراني والدا رقطني
والبيهقي من حديث ابن عمر من جاءني زائرا لا يهمه الا زيارتي كان حقا على الله ان اكون له شفيعا
الطبراني من حديث ابن عمر وصححه ابن السكن ومن حج فمن وجد سعة ولم يفد الي فقد جفاني وروى ابن النجار
ابن عدي والدارقطني وابن حبان والخطيب من حديث ابن عمر وفي رواية من حج ولم يزرني فقد جفاني صح
في تاريخ المدينة من حديث انس ما من احد من امتي له سعة ثم لم يزرني فليس له عذر وبيت المقدس
فعن ابن عمر ان سليمان بن داود عليهما السلام لما بنى بيت المقدس سال الله عز وجل خلالا ثلاثة
سال الله حكما يصادف حكمه فاوتيه وسال الله ملكا لا ينبغي لاحد من بعده فاوتيه وسال الله حين
فرغ من المسجد ان لا ياتيه احد لا ينهزه الا الصلاة فيه ان يخرجه من خطيئته كيوم ولدته امه اما اثنتان
فقد اعطيهما وارجو ان يكون قد اعطي الثالثة احمد والنسائي وابن ماجة وابن حبان والحاكم وقد صح
انه عليه السلام صلى فيه ورحل ابن عمر اليه ودخل فيه وصلى ركعتين ثم رجع وعن ميمونة مرفوعا من لم
يات بيت المقدس يصلي فيه فليبعث بزيت يسرج فيه البيهقي فورد اى في الصحيحين وغيرهما من حديث
ابي هريرة وابي سعيد لا تشد الرحال اى لا تطلب بركة البقاع بالسفر اليها الا الى مسجدي هذا والمسجد
الحرام والمسجد الاقصى ولا يمنع هذا زيارة قبور الانبياء والاولياء لان الحصر في حق المساجد دون سائر
المشاهد كمسجد قبا ونحوه في المدينة من منازل الكرام داخل في جنس مسجده عليه السلام ثم لفظ الحديث
على ما هو المشهور عند المحدثين الا على ما لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا
والمسجد الاقصى وهذا هو الترتيب المناسب لتفاوت المساجد في فضيلة مضاعفة الصلاة فيها فعن
جابر صلاة في المسجد الحرام مائة الف صلاة وصلاة في مسجدي الف صلاة وفي بيت المقدس خمسمائة صلاة

البيهقي ومن ثمة اي الكبرا من المشايخ والعلما وهم احيا للاستفادة من مشاهدة الاحوال ومعاينة
الاقوال قيل ان الحال افصح من بيان المقال وليس الخبر كالمعاينة وقد ورد اوليا الله الذين اذا
رؤا ذكر الله الحكيم عن ابن عباس فقد ينفعه لحظ الرجال كما لم ينفعه لفظ الرجال ومن هنا قيل من لم
ينفعك لحظه لم ينفعك لفظه وهذا القول له معنيان احدهما ان الرجل الصديق يتكلم الصادقين بل ان
فعله اكثر ما يتكلمهم بلسان قوله فاذا نظر الصادق الى تصاريفه في موارده ومصادره وخلوته وجلوته
وكلامه وسكوته ينتفع بالنظر اليه فهو ينتفع اللحظ عليه ومن لم يكن افعاله بحكمة فلفظه ايضا لا ينفع
لانه يتكلم بهواه وبنورانية القول على قدر نورانية القلب ونورانية القلب بحسب الاستقامة في طاعة
الرب المعبر عنها بالشرع يعني الاعمال الظاهرة وبالطريقة في الاخلاق الباطنة وبالحقيقة في الاحوال
الذاتية المستمرة حتى في الدار الاخرة والثاني ان نظر العلما الراسخين والرجال البالغين ترياق
نافع ينظر احدهم الى الرجل الصادق فيستشق بنفوذ بصيرته حسن استعداد الصادق واستهاله
المواهب الله تعالى اي صفته للموافق فيقع في قلبه محبة المريد الصادق وينظر اليه نظرة محبة عن بصيرة
فيكتسب بنظره احوالا سنية ويرى اثار رضيه ذلك ومن اكثر المنكرة قد رآه الله تعالى ان يجعل بهذه الخاصة
من نظر بعض خواصه من عباده كما حكي في بعض الاخبار من الحكمة انه اذا نظر الى الانسان يهلكه ومما
يدل على تاثير الصحبة واكسير نظر الاثير كما حصل خلاف العرب حيث كان احدهم ممن يبول على عقبيه
فنظر اليه صلى الله وسلم عليه وامن به فصار في لحظة واحدة من كمل الاوليا والاصفيا حيث لم يبلغه احد
من المشايخ والعلما والبلغ من هذه قصة كلب اهل الكهف حتى وصل مرتبته الى ان ذكره الله في كتابه
القديم مرات بنعت التعظيم والتكريم وقد وقع تاثير نظر الشيخ نجم الدين الكبرى الى كلب كان حول
الفقرا وذكر صاحب عوارف المعارف الشيخ شهاب الدين السهروردي عن عمه الشيخ نجيب الدين صاحب
اداب المريدين انه كان يطوف بمسجد الخيف بمنى ويتصفح وجوه الناس كلهم فقيل له في ذلك
فقال ان لله عبادا اذا نظروا الى شخص اكسبوه السعادة فانا اطلب تلك السعادة وحكاية الشيخ مع السيد
عبد القادر مشهورة وفي غير هذا المحل مسطورة وزيارة قبورهم اي الكبرا فانهم بمنزلة الشهدا لا يموتون ن
ولكن ينتقلون من دار الفنا الى دار البقا وقد ورد كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروا القبور فانها
تزهد في الدنيا وتذكر الاخرة ابن ماجه عن ابن مسعود وفي رواية الحاكم عن انس كنت نهيتكم عن
زيارة القبور الا فزوروها فانها ترق القلب وتدمع العين وتذكر الاخرة الحديث والفرار عما يشوش
العبادة او ينقصها او يمنعها كالجاه اي الوسيع والمال اي الكثير وعن سفيان الثوري هذا زمان ن
سوء لا يؤمن فيه على الخاملين فكيف بالمشهورين هذا زمان ينتقل الرجل من قوم الى قرية ليفر بدينه
من الفتنة ومن افضلها الهجرة من دار الكفر الى دار الاسلام ومن دار البدعة الى دار السنة ومن دار المعصية
الى دار الطاعة ففي الصحيح من كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها
او امراة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه فالمدار على تصحيح النية وتخليص الطوية في جميع الاعمال الدينية

الدينية والدنيوية لتصير وسايل في رفعة الدرجات الاخروية واما دنيوي كالفرار من الفتنة اي الدنيوية
والقحط ونحوه من الغلا وسائر البلية ولا حرج فيه اي في هذا النوع بل هو مباح او مستحب نعم قال ابو
نعيم رايت سفيان الثوري وقد جعل جرابه على كتفه واخذ نعليه بيده فقلت الى اين يا ابا عبد الله قال الى
بلد املا فيه جرابي خبزا بدرهم وفي حكاية اخرى بلغني عن قرية فيها رخص اقيم فيها فقلت وتفعل هذا يا ابا
عبد الله فقال نعم اذا سمعت برخص في بلدة فاقصده فانه اسلم لدينك واقل لهمك قال والي المريد
اذا كان طالب للمزيد ان يلزم مكانه ويحفظ شانه على شانه اذا لم يكن قصده من السفر الاستفادة ة
العلم مهما سلم له حاله في وطنه فان لم يسلم فيطلب من المواضع ما هو اقرب الى الخمول واسلم
للدين وافرغ للقلب وايسر لعبادة الرب فهو افضل المواضع له قال تعالى يا عبادي ان ارضي واسعة
فاياي فاعبدون وورد البلاد بلاد الله والخلق عباد الله فاي موضع رايت فيه رفقا فاقم
واحمد الله احمد والطبراني من حديث الزبير بسند ضعيف وفي الجامع رزقا من شي فليلزمه ابن ماجه
من حديث انس بسند حسن واذا سبب الله لاحدكم رزقا من وجه فلا يدعه حتى يتغير له او يتنكر
له ابن ماجه من حديث عائشة بسند فيه جهالة واحمد بسند حسن الا عن الطاعون فهو اي الفرار
منه منهي عنه بلفظ اذا سمعتم بالطاعون بارض فلا تدخلوا عليه واذا وقع وانتم بارض فلا تخرجوا
منها فرارا منه احمد والشيخان والنسائي عن اسامة بن زيد او طلب المال اي وكطلبه ونحوه من
النكاح وغيره من المباحات فينوي فيه اي الخيرات والمبرات نحو التعفف عن السؤال والتعطف على في طلب المال صح
العيال في النكاح لتصير عبادة لان تصحيح النيات يجعل العادات عبادات كما حقق في شرح حديث
انما الاعمال بالنيات ومن هنا ورد نية المرء خير من عمله ثم ان كان اي السفر واجبا اي فرض عين
كالحج وطلب العلم فينبغي فعله والا اي وان لم يكن واجبا فالاستفتا من القلب متعين في فعله وتركه
بحسب صلاح الحال وفساده في الحضور مع الرب فالفوايد اي المنافع والافات اي المفاسد متعارضة
في امر السفر وغير من الحالات والمقصود اي الاعم هو المعرفة والانس به تعالى في جميع المقامات والمعين
في البداية السفر للتعلم ان لم يوجد العلما في بلده او لم يقدر على تحصيله لشغله باهله وفي النهاية الاقامة
لا سيما مع الكبر فانه لا يحتمل الضرر فيه اي في السفر بتواغل عن الذكر والفكر من النظر الى الافات
وحفظ النفس والمتاع من الافات واحتمال الشدايد والهموم باختلاف الحالات وتفاوت الاوقات
وساير المقامات ومن هنا ورد السفر قطعة من العذاب يمنع احدكم طعامه وشرابه ونومه فاذا قضى احدكم نهمته
من وجهته اي حاجته من جهته فليعجل الرجوع الى اهله مالك واحمد والشيخان وابن ماجه عن ابي هريرة
ورده اي المسافر ان يتوب عن الذنوب من الصغاير والكباير في الظواهر والضماير ويؤدي حقوق الله
من فوات صوم وصلاة ونحوهما ويرد المظالم الى حقوق العباد او يتحلل من اصحابها ويقضي الديون ويرد ع
الامانات الى اربابها في القنية رجل عليه حق وغاب عن صاحبه بحيث لا يعلم مكانه ولا يعلم احي ام ميت
لا يجب عليه طلبه في البلاد وفيه ايضا رجل عليه ديون لاناس لا يعرفهم من غصوب ومظالم وجنايات يتصدق

يبدر كما على الفقرا بنية القضاء او حبسهم مع التوبة الى الله فيجتهد في ما مضى فان كان رجل له خصم فمات
ولا وارث له يتصدق عن صاحب الحق بقدر ماله ليكون وديعة عند الله يوصله الى خصمائه يوم القيامة
ويؤدي النفقات اي كلفة ما يلزمه من نفقة الى حين رجعته ويأخذ من الزاد من المال الحلال الذي لا شبهة فيه
من غير تقتير وتضييق في بابه بل على وجه يمكنه منه التوسيع في الزاد مع الرفقا والرفق بالضعفا والفقرا
فبذل وبذل الزاد في طريق الحج نفقة في سبيل الله عز وجل الدرهم بسبعمائة قال ابن عمر من كرم الرجل
طيب زاده في سفره وكان يقول افضل الحاج اخلصهم لله وازكاهم نفقة واحسنهم يقينا وورد الحج
المبرور ليس له جزاء الا الجنة قيل يا رسول الله وما بر الحج قال طيب الكلام واطعام الطعام وذكر ابن
الحاج ان من يخرج للحج بغير زاد ولا مركوب ينظر عليه امور عديدة منها عدم القدرة على اداء الصلاة
وهو متعمد في ذلك ومنها عدم القوة والقدرة على تحمل المشقة فيها فيتكلف الناس ان يقوموا بقوته
ونفقته وربما ال الامر الى الموت وهو الغالب فتجدهم في اثناء الطريق مرضى مرميين او طرحى ميتين لبعد
ان خالفوا امر الله في حق انفسهم واوقعوا انفسهم من علم بحالهم من اهل الركب في الاثم وكذلك يأثم
من اعانهم بشيء لا يكفيهم في اول امرهم او يسعى فيه من غير هم الا من اراد ان يعلم ان غيره يغنيهم
بشيء بهم به كفايتهم في الذهاب والاياب فلا باس فان لم يعلم ذلك حرم عليه الا عطاهم لان ذلك
سبب لدخولهم فيما لا قدرة لهم من العطش وغيره ومال قضايا الى الموت ونحوه فيكون شريكا لهم فيما
وقع بهم وهذا الخلاف ما اذا كانوا في الطريق على هذا الحال فانه يتعين على من علم بحالهم من اعانتهم
بما يتيسر له ولو بالشربة والشربتين واللقمة واللقمتين ويعرفهم ان ما ارتكبوه يحرم عليهم
لا يجوز لهم ان يعودوا الى مثله ويطلب الرفيق المعين على الخير المجرب في الخير والشر والسفر والحضر
فقد قيل الرفيق ثم الطريق والله ولي التوفيق ووصف الرفيق بانه ان نسي الخير ذكره وان ذكره اعانه
وان جبن شجعه وان عجز قواه وان ضاق صدره صبره وسلاه وكونه من الاجانب اولى من الاقارب
عند بعض الصالحين تبعدا عن مساهمة الوصف الموجبة للقطيعة وتجنب صحبة المتكبرين والجهال
ويتصدق قبل الخروج ولو بشيء قليل فان الصدقة تدفع البلاء ويصلي ركعتين للموادعة اولا استخارة
ويستخير في غير الواجب جهة السفر وزمنه والتحقيق ان يستخير في الواجب ايضا الا انه لا في فعله وتركه
بل يستشير ويستخير في متعلقاته من خروجه في هذا الوقت او غيره او في شراء الهدايا ونحوه ويودع كترا الدابه ه
الاخوان ويقول لهم استودع الله دينكم واماناتكم وخواتيم عملكم كما رواه ابو داود والترمذي وصححه
والنسائي من حديث ابن عمر ويرغب في دعائهم ويستحب لهم ان يقولوا في حقه زودك الله التقوى وغفر ذنبك
ووجهك للخير اينما توجهت كما رواه الطبراني في الدعاء من حديث النبي وهو عند الترمذي وحسنه وفي
غيبته اللهم اطو له البعد وهون عليه السفر وفي الجزا اذا اراد احدكم سفرا فليسلم على اخوانه فانهم يزيدونه
بدعائهم الى دعائه خيرا الطبراني في الاوسط عن ابي هريرة ويعرض الاشيا جميعها على المكري
ليعلم الهيئة المكارية ولو كان اقل من مكتوب ونحوه فقد قال رجل لابن المبارك احمل لي هذا الكتاب منكر

منكر لئلا يحمله فقال حتى استامر الجمال فاني قد اكتريت منه قال ابن الجوزي فانظر كيف تورع من استصحاب كتاب
لا وزن له وهو طريق الحزم في الورع فانه اذا انفتح باب اليسير انجر الى الكثير اولا ولا يبعد ان يراد
بالكتاب ما له وزن فيجب التوقف على الاذن ورضيه بحمله ان كان زيادة على ما اعتاده ويخرج في
بكور الخميس فورد انه عليه السلام كان يستحب ان يسافر يوم الخميس الطبراني عن ام سلمة والسبت فورد
دعاءه عليه السلام فيهما اي في الخميس والسبت واما في مطلق البكور فقوله عليه السلام اللهم بارك لامتي
في بكورها اخرجه الاربعة وحسنه الترمذي وصححه ابن حبان من حديث صخر بن وداعة الغامدي مرفوعا
به واما في خصوص الخميس فلابن ماجه عن ابي هريرة والطبراني في الاوسط عن عائشة مرفوعا اللهم
وفي رواية اغدوا في طلب العلم فاني سالت ربي ان يبارك لامتي في بكورها يوم الخميس ه
بارك لامتي في بكورها يوم الخميس وعن ام سلمة كان يحب ان يسافر يوم الخميس الطبراني واما السبت
ففيه اللهم بارك لامتي في سبتها وخميسها واللهم بارك لامتي في بكورها واجعل ذلك في سبتها وخميسها
فيما ظهر لي اصل له كما افاده الحافظ ابن الملقن في ادلة التنبيه والاثنين اي ويخرج في الاثنين وهو
اليق بما ثبت فقد ثبت انه عليه السلام خرج من مكة يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين وولد يوم
الاثنين وبعث يوم الاثنين ومات يوم الاثنين ويكثر السير في الليل اي ينبغي ان يكون اكثر
سفره بالليل فورد عليكم بالدلجة بضم فسكون وهي السير في اول الليل وقيل في اخره وهو الظاهر كما في
ف جمع المناسك ويستحب السير اخر الليل وكره بعضهم سيره اول الليل انتهى ولا يخفى ان ذلك مختلف باختلاف
البلدان والعوائد فان الارض تطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار ابو داود والحاكم والبيهقي عن انس
بدون ما لا تطوى بالنهار وهذه الزيادة في الموطا من حديث خالد بن معدان مرسلا ولا ينزل اي في
المنزل الا ما يضر اليوم حارا او كان السير في البرد ايضا ويصلي استحبابا عند الركوب من المنزل والنزول فيه قبلها
على الركعتين عند دخول بيته وخروجه منه وقد اخرج الطبراني عن فضالة بن عبيد انه عليه السلام كان
اذا نزل منزلا في سفره او دخل بيته لم يجلس حتى يركع ركعتين وعزاه للبيهقي عن انس كان عليه السلام
اذا نزل منزلا لم يرتحل حتى يصلي فيه ركعتين ويقول عند نزوله رب انزلني منزلا مباركا وانت خير
المنزلين وعند سيره بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة الا بالله كما رواه ابن ماجه والحاكم وابن
السني عن ابي هريرة وفي رواية الطبراني عن ابي سعيد بسم الله توكلت على الله الحديث ويكبر في كل صعود
يصعد عليه من شرف اظهارا لكبريائه وعلو مكانته وارتفاع شانه ويسبح في كل هبوط اي حدر الهبوط اليه
بان نزل منه علوا الى سفل تنزيها له سبحانه عن الزوال والنزول فورد اذا علا ثنية كبر واذا هبط سبح
البخاري والنسائي عن جابر وابو داود عن ابن عمر وفي رواية اصحاب الكتب الستة عن ابي موسى الاشعري
اذا اشرف على واد هللوا وكبروا قال لا اله الا الله والله اكبر وفي رواية لاحمد وابي يعلى وابن السني عن
انس اذا اشرف على مكان مرتفع قال اللهم لك الشرف على كل شرف ولك الحمد على كل حال اي لك العلو على
كل عال كما قال تعالى وهو القاهر فوق عباده وله الكبرياء في السموات ويحذر وحدته ووحشته اي ويستعيذ عند ظهور
بهم وحشته من خوف ومحنة ولم ال ما ثورا وما ورد اذا خاف قوما قال اللهم انا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم

ابو داود والنسائي وابن حبان والحاكم عن ابي موسى الاشعري وفي الفردوس للديلمي عن شداد
بن اوس مرفوعا حسبي الله ونعم الوكيل امان لكل خائف ويومروا احدا اي يجعلوا اميرا اذا كان المسافر
متعددا لانتظام الراي وعدم التنازع الا من ولكن الامير احسنهم خلقا بفتحتين اي اكثرهم
عليا واظهرهم حلما ومواساة اي اوسعهم موافقة ومداراة وهو بان يكون ازهدهم في الدنيا
واشدهم في التقوى واصبرهم في البلوى واشكرهم في النعمى واتمهم مروة واعمهم شفقة واقواهم
حرمة فقد تفقد عبد الله المروزي ان ابا علي الرباطي صحبه فقال عبد الله لعلي على ان تكون انت الامير
او انا فقال ابو علي بل انت فحمل الزاد لنفسه ولابي علي على ظهره وامطرت السماء ذات ليلة فبات
عبد الله طول الليل على راس رفيقه يغطيه بكسائه عن المطر وكلما قال له لا تفعل يقول الست الامير ولكن
ان تنقاد للمطاوعة وورد اذا كنتم ثلاثة في السفر فامروا احدكم عن ابي سعيد اذا كانوا ثلثة
فليؤمهم احدهم واحقهم بالامامة اقرأهم احمد ومسلم والنسائي ولعل قيد الثلثة للاشعار بانه
اقل الكمال في الجماعة والرفقة ويعين اي الامير الرفقة بضم فسكون اي رفقائه بما يقدر عليه من
اللطف والرفق ويواسي عليهم بزيادة الارزاق وسعة الرزق ويرافق الراحلة اي الدابة بان
لا يحملها ما لا طاقة لها ولا يرضى بان صاحبها ايضا يحملها فوق طاقتها في عرفها وعادتها
قال ابو الدرداء لبعيره عند الموت يا ايها البعير لا تخاصمني الى ربك فاني لم اكن احملك على الحمل في كل كبد
حرا اجر فيراعي حق الدابة وحق المكاري جميعا وينزل احيانا تعني اقامة للسنة اذ كان عليه السلام
ينزل احيانا عن الدابة ففي الاوسط للطبراني من حديث انس باسناد جيد انه عليه السلام كان اذا
صلى الفجر في السفر مشى رواه البيهقي في الادب وقال مشى قليلا وناقته تقاد وقال علماؤنا ويستحب
ان يريح الدابة بالنزول عنها غدوة وعشية وعند عقبة اذا اطاق وقال الطرابلسي يجب اذا كانت الدابة
مستاجرة في المواضع التي جرت عادة مثله بالنزول عنها الا ان يرضى صاحبها وكانت الدابة مطيقة
ولا يحل له ان يستلقي على ظهر الدابة ولا تتكي عليها بل يكون راكبا على العرف والعادة في مثلها ذكره
صاحب السراج الوهاج وترفيه للدابة اي تقوية لها عن دوام المشقة واسرار للمكاري حيث
يفرح بالخفة ورياضة للنفس اي تهذيب لها ليعرف قدر النعمة وتحرز عن ضعف الاعصاب وما
يترتب على دوام الركوب من اليبوسة ولا ينام عليها اي النومة عميقة اذا اتصلت ضرورة اذ النوم
عليها يوذيها ويثقل عليها وكان اهل الورع لا ينامون على الدواب الا غفوة عن قعود ولا يتوقف
راكبا عليها زمانا طويلا فيؤذيها ولا تتخذوا ظهورها كراسي والحديث رواه احمد في حديث
سهل بن معاذ ورواه ابن حبان والحاكم وصححه من رواية معاذ بن انس عن ابيه فلا كراسي في
دوام الركوب عليها ولعله محمول على محمول مشتغل بغير الخيل والناقة التي هي غير مذللة وعلى كل تقدير
فيستثنى عشية عرفة في الوقفة فانه يستحب الوقوف على الدابة ولا ينفرد عن الرفقة اي لا يمشي منفردا
خارج القافلة لانه ربما يغتال او ينقطع وكذا لا ينفرد عنهم في المنزل او يحرم اي مناعه واقتعه اصحا به

واصحابه بالنوبة فاذا نام احدهم حرس الآخر فهو السنة اخرج البيهقي من طريق ابن اسحاق في حديث
جابر في حديث فيه فقال الانصاري للمهاجري اي الليل احب اليك ان اكفيكه اوله او اخره فقال لا
بل اكفني اوله فاضطجع المهاجري والحديث عند ابي داود ايضا لكن ليس فيه قول الانصاري للمهاجري
بل فيه تناوب الرقيبين في الكراسة فاذا نام احدهما حرس الآخر وينام في اول الليل واضعا راسه
على العضد بان افترش ذراعه وفي آخره اي الليل على الكف وينصب العضد بان ينصب ذراعه ويجعل
راسه في كفه لئلا يشتد النوم فيفوت صلاة الصبح فهو ماثور رواه احمد والترمذي في الشمائل من حديث
قتادة باسناد صحيح وكذا ابن حبان والحاكم عنه بلفظ كان اذا عرس وعليه ليل توسد يمينه واذا عرس
قبيل الصبح وضع راسه على كفه اليمنى واقام ساعده والتعريس النزول في الليل قال العراقي وعزاه ابو
مسعود الدمشقي والحميدي الى مسلم ولم ار فيه ولا يصحب جرسا لقوله عليه السلام لا تصحب الملائكة
رفقة فيها كلب ولا جرس احمد ومسلم وابو داود والترمذي عن ابي هريرة ولقوله عليه السلام الجرس
مزامير الشيطان احمد ومسلم وابو داود عن ابي هريرة وفي رواية لابي داود عنه لا تدخل الملائكة
بيتا فيه جرس ولا شاعرا اي منشدا اي هاجيا الذين قال تعالى في حقهم والشعراء يتبعهم الغاوون الم تر
انهم في كل واد يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله
كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا واما حلال الشعر كلام محسنه حسن وقبيحه قبيح يستوي فيه الحضر والسفر
ولا ساحرا فانه اما ان يكون فاجرا او كافرا ولا كاهنا وهو من يدعي علم الغيب بواسطة الجن او غيره
فقد ورد من اتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد بري مما انزل على محمد احمد والحاكم عن ابي هريرة وفي رواية
الطبراني عن واثلة من اتى كاهنا فسأله عن شيء ~~فصدقه لم يقبل منه صلاة اربعين~~ ليلة فان صدقه بما
قال كفر ومن اتى عرافا فسأله عن شيء فصدقه لم يقبل منه صلاة اربعين يوما رواه مسلم عن بعض امهات
المؤمنين وللحاكم واحمد عن ابي هريرة من اتى عرافا او كاهنا يصدقه بما يقول فقد كفر بما انزل الله على
محمد صلى الله عليه وسلم وفسر العراف بمن يدعي معرفة السارق ومكان الضالة ونحوهما من الكاهن
وفي معناه المنجم والرمال وسائر اصحاب الفال ولا جلاجل ونحو ذلك اي ما كل النجاسة فان الملائكة يتنفرون
منها لحديث واخرج الدولابي في الكنى وابن منده والطبراني وابن عساكر عن ابي رابطة بن كرامة
المذحجي قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال القوم سفر لا يصحبنكم جلد امنه هذه النعم ولا
يصحبن احدكم ضالة ولا يردن سائلا ان كنتم تريدون الربح والسلامة ولا يصحبنكم من الناس
ان كنتم تؤمنون بالله ورسوله ساحر ولا ساحرة ولا كاهن ولا كاهنة ولا منجم ولا منجمة ولا شاعر
ولا شاعرة الحديث ولا كلب لما تقدم ويوذن ان ضل الطريق او غاب عن الرفيق او رأى شيئا منكرا
او تخيلت له خيالات مستنكرة او تلونت له الاجسام متكرهة منزوات فقد ورد اذا تغولت الغيلان
نادوا بالاذان رواه مسلم عن ابي هريرة فان الجن والشياطين يفرون من الاذان وتحضره الملائكة
ولا يبدل في الاعيان واذا انفلتت دابته فلينادي اعينوا يا عباد الله رواه ابن ابي شيبة عن ابن

بحث عند النوبة صح

عباس موقوفا وان اراد عونا فليقل يا عباد الله اعينوني رواه الطبراني عن زيد بن علي عن عتبة
بن غزوان عن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اضل احدكم شيئا او اراد عونا وهو بارض
ليس فيها انيس فليقل يا عباد الله اعينوني يا عباد الله اعينوني يا عباد الله اعينوني فان لله
عبادا لا نراهم وورد اذا اختلف عليكم الطريق فعليكم بذات اليمين اي تيمنا وتحاميا فان عليها
ملكا يسمى كم ديا لم اعرف له راويا ولا يدخل بلدة ليس فيها سلطان اي خليفة او نائبه من امير او
قاض ولا سائس اي شحنة وحاكم سياسة لانه عند عدمهما تكثر الفتنة ويتعدى الظلمة وفي الخبر اذا
مررتم ببلدة ليس فيها سلطان فلا تدخلوها انما السلطان ظل الله ورمحه في الارض البيهقي
عن انس ولا فيها طاعون اي ولا يدخل بلدة فيها طاعون لما تقدم وروى بعض الصحابة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم نزل منزلا في بعض اسفاره فنام على بطنه وعبد اسود يغمز ظهره فقلت
ما هذا يا رسول الله فقال ان الناقة تقحمت بي اي رمت بي وكانت والحديث رواه الطبراني في الاوسط
من حديث عمر بسند ضعيف ويستصحب المرآة بكسر الميم ومد الهمزة آلة الرؤية وكان عليه السلام اذا نظر
الى وجهه في المرآة قال اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي وحرم وجهي على النار البزار عن عائشة
والمكحلة محل الكحل ومرودة فانه عليه السلام كان يكتحل كل ليلة ثلاثا في كل عين كما في شمائل الترمذي ي
ومرفع والسواك للوضوء والصلاة وقد تقدم والمشط اي ليسرح شعر اللحية والراس والمقلم وهو المقص
او السكين فانه بهما تقلم الظفر ويقص الشارب والموسى لحلق العانة والركوة اي الدلو ونحوها من
المطهرة والخيط فانهما من ضرورة الثياب والطهارة والابرة وخيطها لترقيع ثوب بين العورة ويجتنب
الغرة بكسر المعجمة وتشديد الراء اي تحرس من ان يغر احدا وغيره احد بالمكر والحيلة فحذف الذكر له او
المعنى ان يصاحب شخصا لا يعرفه ولا يسلك طريقا لا يعرفه ولا يترك السلاح في مواقع المخافة اغترارا
على شجاعته ولا يأكل من ثمار البساتين التي لا يحل اكلها في عادته ويتبرك في زيارة الاماكن مقابر العلماء والاوليا
والاموات من الانبياء والصلحاء ويعجل الاوبة اي الرجعة بعد قضاء الحاجة اسرار القلب اهله واظهارا
لطيب محله وفي نسخة زيادة وورد من كان مسافرا اذا قضى نحبه فليرجع الى اهله لم اجد له لكن تقدم
ما يدل على اصله وورد اذا قضى احدكم حجه فليعجل الرجوع الى اهله فانه اعظم لاجره الحاكم والبيهقي عن عائشة
ويأتي بالتحفة اي بالهدية لاهل البيت والاقارب حقيقة وحكما فقد ورد اذا قدم احدكم من سفر فليقدم
معه بهدية ولو يلقي في مخلاته حجرا ابن عساكر عن ابي الدرداء قيل اراد حجر الزناد وفي رواية البيهقي عن
عائشة اذا قدم احدكم على اهله من سفر فليهد الى اهله فليطرفهم ولو كان حجارة ولا يقدم من سفر على
اهله بغتة اي فجأة ففي الصحيحين من حديث جابر كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة فلما
قدمنا المدينة ذهبنا لندخل فقال امهلوا حتى ندخل ليلا اي عشاء كي تمتشط الشعثة وتستحد المغيبة
ولاحمد من حديث ابن عمر بسند جيد انه عليه السلام قال قبل دخول المدينة لا تطرقوا اهلكم ليلا فخالفه
رجلان فسعيا الى منازلهما فرأى كل واحد في بيته ما يكره ولا ليلا الا من وقت الوحشة فقد ورد اذا اطال

احدكم الغيبة فلا يطرق اهله ليلا احمد والشيخان وان يحب وقت الضحى لكمال الظهور وجمال
النور ومجيء السرور ويدخل المسجد اي مسجد بلده اولا ويصلي ركعتين تحية المسجد شكرا لله سبحانه
ففي ابن ثعلبة انه عليه السلام اذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين ثم يثني بفاطمة ثم يأتي
ازواجه فالكل ما تواتر في كتب الحديث مسطور ويتخذ مع ساير الفعال له اي يعد وليمة الضحى بفتح فكسر فتشديد بد
اي طعام الضيف ولو شاة او طبيخ لحم ومرقه فكان عليه السلام اذا قدم نحر جزورا اي بعيرا او بقرة
لم تحضرني الآن مخرجه وحق الحج اي اداؤه ان يخلص في النية ويحسن الطوية بان يتبرأ من الرياء والسمعة
وان يقصد التجارة والنزهة فقد روي في خبر اهل البيت اذا كان اخر الزمان خرج الحج اربعة اصناف
سلاطينهم للنزهة واغنياؤهم للتجارة وفقراؤهم للمسألة وقراؤهم للسمعة الحديث حديث انس قال علماء نا
فمن اتى بعبادة لغرض دنيوي بحيث لو لم يترك لها فليست بعبادة بل معصية وان وجد عليها باعث الدين
والدنيا فان كان باعث الدنيا اقوى او هما سيان فهي باطلة وان كان باعث الدين اقوى فذهب
بعضهم الى انها باطلة وجماعة الى انها صحيحة وهو الاظهر لقوله تعالى ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم
اي تبتغوا عطاء ورزقا منه يريد الربح بالتجارة على ما ذكر البيضاوي وغيره ثم منه حقه ان يعجله بعد ان ستطاعه
فوق الاستطاعة فانه عن الشافعي ان المسألة مختلف فيه فان الفريضة على التراخي عند [illegible]
اذا اخر عن اول سني الامكان سقطت عدالته وعد من الفساق الا ان يحج ثم لو حج اخر عمره سقط عنه
اجماعا وارتفع الاثم اتفاقا وان مات قبل الحج لقي الله عاصيا بترك حجه وكان الحج في ذمته عند ما فيجب عليه
وصية وعند الشافعي في تركته فيحج عنه وان لم يوص به كسائر ديونه ومن مات ولم يحج مع اليسار فامر شديد
وفي حقه ورد وعيد اكيد منه قوله تعالى ومن كفر فان الله غني عن العالمين حيث وضع ومن كفر موضع لم يحج و ضع
العالمين موضع عنه للمبالغة عن غنائه سبحانه واستغنائه عن ترك الحج واداء لان منفعته راجع الى العباد
واكابه وقد ورد من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا او ان شاء نصرانيا رواه الترمذي وغيره عن ابي
هريرة مرفوعا ومثلي في تفسير قوله تعالى لاقعدن لهم صراطك المستقيم انه طريق مكة يقعد الشيطان عليها
ليمنع الناس من الوصول اليها وقال عمر رضي الله عنه وهو يومئذ امير المؤمنين لقد هممت ان اكتب الى الولاة
بمن الى امصار ان تضرب الجزية على من لم يحج ممن يستطيع اليه سبيلا وعن سعيد بن جبير وابراهيم النخعي
وطاوس ومجاهد لو علمت رجلا غنيا وجب عليه الحج ثم مات قبل ان يحج ما صليت عليه وبعضهم كان
له جار موسر فمات ولم يحج فلم يصل عليه وكان ابن عباس يقول من مات ولم يزك ولم يحج سأل الرجعة الى
الدنيا وقرأ قوله تعالى رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت وكذا ورد عنه في قوله تعالى وانفقوا مما
رزقناكم من قبل ان يأتي احدكم الموت الاية ويحتال في دفع تسليم الضريبة اي الاموال المعينة لقطاع
الطريق اي من الاعراب وغيرهم ولا يرجع عن طريق الحج ان لم يقدر على الاحتيال في السفر اي الا في الفرض
فان اعانة على العدوان اي الظلم والعصيان الخشي من الرجوع عن طريق الحج اذا لم يكن من فروض الاعيان ن
واما في الفرض فلا يرجع اذ الاثم في مثله على الآخذ المعطي على ما عرف من تقسيم الرشوة في كتاب القضاء ولكن ن

المعصية منهم وان يترك الفرض لمعصية عاص وهذا التفصيل حسن فان في اطلاق جواز اعطائه للخروج
ولمن استطاع الحج وجوبه اذ اركان في الطريق يوخذ من ماله ظلما وفي الاحياء وان تعاون اعداء الله بتسليم
المكس وهم الصادون عن المسجد الحرام من امراء مكة وان عراب المترصدين في الطريق وان بوابة فان
في تسليم المال اليهم تيسير اسباب الظلم عليهم ويمشي راجلا اي ويذهب في طريق الحج ماشيا ان
قدر على المشي فانه افضل قال تعالى واذن في الناس بالحج ياتوك رجالا اي مشاة فقدمهم سبحانه على قوله
وعلى كل ضامر اي وركبانا على بعير مهزول وقال مجاهد وغيره من العلماء ان الحاج اذا قدموا مكة تلقتهم
الملائكة فسلموا على ركبان الابل وصافحوا ركبان الحمر واعتنقوا المشاة اعتناقا وروى عن عبد الله بن
عباس بنيه عند موته فقال يا بني حجوا مشاة فان للحاج الماشي بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة من حسنات
الحرم قيل وما حسنات الحرم قال الحسنة بمائة الف حسنة قال اي وان لم يقدر على المشي او يسيء خلقه او لم يبق له حضور
الذكر بسببه فالركوب في حقه افضل بل هو متعين ثم تأمل وقيل هو اي الركوب افضل اي مطلقا لفعله عليه السلام واصحابه
الكرام ويجاب بان اختيارهم الركوب الشفقة على ضعفاء الامة فقد ذهب احمد الى ضعف القوم في المشي كيف
هو شأن ان يديه فيه حسنة ان تضاف اي زيادة وفيه انه يمكن للماشي ان ينفقه في سبيل الله مرضاته
فقد سئل بعض العلماء عن العمرة المشي فيها افضل او يكتري حمارا فقال ان كان وزن الدرهم
اشد عليه فالكرا افضل من المشي وان كان المشي اشد عليه كالاغنياء فالمشي افضل وكانه ذهب فيه
الى طريق مجاهدة النفس وله وجه ولكن ما قدمناه اولى في مقام الجمع كما لا يخفى والبعد عن تشويش
الهموم اي عموم الخواطر الرديئة الناشئة من التفات الى عضاء البدنية والتقرب بعدم السلامة من عدم الملامة
وان تمام الحظ للماشي ان يمشيه مانع عن تحصيل المرام مطلقا لان بعض الكرام يمشون ويقتادون الهم
مع الخدم ويمشي اشعث اغبر اي ويذهب حال كونه اشعث الشعر اغبر البدن لكنهما محققان
بحال الاحرام لما ورد انه عليه السلام سئل اي الحج افضل فقال الشعث التفل مع ان المسافر لا يخلو عن
نوع شعث شعر وغبار بدن خصوصا اذا كان من الفقراء اقول ورب اشعث اغبر ذي طمرين لا يؤبه به
لو اقسم على الله لابره بغير متزين في نفسه ودابته ولا مايل الى التكاثر اي في نعمته والتفاخر في حشمته
وخدمته فهو عليه السلام فعل كذلك اي ترك الزينة فانه عليه السلام حج على راحلة وكان تحته رحل رث
وقطيفة خلقة قيمتها اربعة دراهم وكان عليه السلام في سفر فرأى اصحابه نزلوا منزلا فسرحت الابل فنظر الى
اكسية حمر على الاقتاب فقال ارى هذه الحمرة قد غلبت عليكم قالوا فقمنا فنزعناها عن ظهورها حتى
شرد بعض الابل رواه ابو داود من حديث رافع بن خديج وفيه رجل لم يسم والاخبار انه عليه السلام عن مباهاة
تعالى به اي بالحاج الشعث لا يخفى معنى الحديث انما الحاج الشعث التفل يقول الله تعالى انظروا الى زوار بيتي
قد جاؤوني شعثا غبرا من كل فج عميق الترمذي وابن ماجه من حديث ابن عمر وتقرب باراقة دم وان لم يجب
اي وان لم يكن واجبا عليه فهو من تعظيم شعائر الله اي الهدايا التي تذبح في الحرم وهي جمع شعيرة وهي اشعر
به تعظيم بيت الله وتعظيم حرم الله انه فانها من تقوى القلوب وتعظيمها بتحسين البدنة

البدنة وتسمينها وقد سئل عليه السلام ما بر الحج فقال العج والثج والعج هو رفع الصوت بالتلبية والثج هو نحر
البدن الترمذي وابن ماجه والحاكم وصححه والبزار واللفظ له من حديث ابي بكر وقال الباقون اي
الحج افضل وعن عائشة انه عليه السلام قال ما عمل ابن ادم يوم النحر احب الى الله سبحانه من اهراقة دم
وانها لتاتي يوم القيامة بقرونها واظلافها وان الدم ليقع من الله عز وجل بمكان قبل ان يقع في الارض
فطيبوا بها نفسا الترمذي وحسنه وابن ماجه وابن حبان وابن خزيمة وفي الحجة لكم بكل صوفة من جلدها
حسنة وبكل قطرة من دمها حسنة وانها لتوضع في الميزان فابشروا ابن ماجه والحاكم وصححه والبيهقي من
حديث زيد بن ارقم وروى ابو الشيخ في كتاب الضحايا عن علي انها تجاء يوم القيامة بلحومها ودمائها
حتى توضع في ميزانك لقوله عليه السلام لفاطمة وفي رواية له من حديث ابي سعيد فان لك باول قطرة تقطر
من دمها ان يغفر لك ما سلف من ذنوبك يقوله لفاطمة وان يماكس اي لا يضايق بل يسامح في شراء الهدي
واضحيته اي ونحوهما مما يكون في التقرب الى صحة النية فقد كان السلف يغالون في ثلاث ويكرهون
المكاس فيهن الهدي والاضحية والرقبة فان افضل ذلك اغلاه ثمنا وانفسه عند اهله وروى ابن
عمر ان عمر اهدى نجيبة فطلبت منه بثلاث مائة دينار فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبيعها ويشتري بثمنها
بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل اهدها وخرجه ابو داود او في البحر وذكر ان القليل الجيد خير من الكثير
الدون وفي ثلاثمائة دينار قيمة ثلاثين بدنة وفيه تكثير اللحم وليس المراد فالمقصود من الذبح هو
تزكية النفس اي تطهيرها وتخليتها عن رذيلة البخل وتحليتها بالتحلي بالتعظيم اي تعظيمها
وتزيينها بتعظيمه تعالى فانه الفضل في مقام الفضل فقد قال لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله
التقوى منكم وذلك يحصل بمراعاة النفاسة في القيمة كثر العدد ام قل ويتأمل وينوي في الذبح اي اذا كان تطوعا
فدا النفس اقتدا بالذبيح عليه السلام وهو اسمعيل او اسحاق على خلاف طويل بين العلماء ممن
قال تعالى وفديناه بذبح عظيم وينفق في الطريق اي طريق الحج ومكة اي وفي مكة مدة الاقامة ما استطاع
ويكون طيب النفس بما انفقه من نفقة وبما اصابه من خسران ومصيبة ان اصابه ذلك فانه من باب
الضيافة من الله لعبده حال الزيارة وان ذلك من دلائل قبول حجه فلذلك فمن علامة القبول اي
قبول الحج ومبرته طيب الكلام اي واطعام الطعام وكتمان الشكاية عن الانام وعدم الاغتمام اي
بان ينفق في ذلك المهم وبما اصيب من ضياع وسرقة في المال وكذا المصيبة في البدن وما في الحال فذلك كله
كالمصائب ارضى ان ينفق في الحج لله احتسابا يعدل سبيل سبحانه تنفق في سبيله والله سبحانه يجازي عنه
كل نيتي من فضله وترك معاص كان يرتكبها قبل حجه وتبديل اخلاق الفساق اي مؤاخاة السفهاء والجهلاء
بالصلحاء من العلماء والاولياء ومجالس اللهو اي وتبديلها بالذكر اي بمجالس الذكر ومحافل اهل اليقظة
والفكر ويلزم الخشوع وهو غاية الخضوع في اداء المناسك فانه من ادب السالك فهو الاصل المدار
عليه في جميع المسالك لا سيما في الطواف فانه بمنزلة الصلاة كما ذكر والوقوف بعرفات فانه بمنزلة الوقوف
بين يدي رب العالمين يوم اجتماع الاولين والاخرين لما ذكرناه اي الحج بانفاق المجتهدين ويشترط

من ماء زمزم فقد ورد ماء زمزم لما شرب له ابن ماجه باسناد جيد من حديث جابر مرفوعا والحاكم وصححه
وقد بسطنا الكلام عليه في فضايل المشاعر الحرام وكذا في الحرز الثمين شرح الحصن الحصين مستشفيا
اي طالب شفاء ظاهرا او باطنا قائلا اللهم اني اسألك رزقا واسعا وعلما نافعا وشفاء من كل داء
ويتضلع منه فورد انه ما بيننا وبين المنافقين انهم لا يتضلعون من ماء زمزم البخاري في تاريخه
وابن ماجه والحاكم عن ابن عباس ويستقي بيده وينزع منه ماءه فقال عليه السلام لولا ان تغلبوا
لنزعت معكم ويصبه على راسه وجسده متبركا به وقد ثبت مثل هذا عن فعله عليه السلام ويستحب
او كان اي ثم قضا حاجاته وينتظر الموت في طريقه فيكتب له اجره اي ثواب الحج على تلك الطاعة الى
قيام الساعة ما رواه من يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على
الله وورد من خرج من بيته حاجا او معتمرا اجرى له اجر الحاج والمعتمر الى يوم القيامة البيهقي في الشعب
من حديث ابي هريرة ومن مات محرما حشر ملبيا الخطيب عن ابن عباس ومن مات في احد الحرمين
استوجب شفاعتي وكان يوم القيامة من الآمنين الطبراني والبيهقي عن سلمان وفي رواية
لهما من حديث عائشة من مات في احد الحرمين لم يعرض ولم يحاسب وقيل له ادخل الجنة ويتلقى الحاج
بالترحيب اي بالتعظيم والتكريم مع التسليم المقرون بقوله مرحبا بمن جاء من زيارة بيت الله العظيم
وبيته الكريم ويصافحهم متبركا اي بامكنتهم التي اصابت المنازل الشريفة والاماكن المنيفة منحرك
الحجر الاسود الذي في حقه ورد انه يمين الله في ارضه يصافح بها عباده فهو من المصافحة الثابتة
فاما المصافحة التي يذكرها بعض مشايخهم بطريق التسلسل اليه صلى الله عليه وسلم فلا اصل له ولا
في الكيفية التي ذكرها بعض الصوفية نعم ورد في فضل المصافحة عند الملاقاة احاديث كثيرة واثار
شهيرة ليس هذا المقام موضع بسط الكلام ويتوجه الى المدينة الطيبة السكينة قبل دخول مكة
ان مشيه او بعد حصولها وكمال حصولها فبكر اي طريقة الصلاة عليه عليه السلام فانه كلما كان اقرب
اليه كان بان جانبه اقرب اليه ويزور قبره عليه السلام فانه من شعائر الاسلام بل من موجبات
الاحكام وقد تقدم في فضله بعض الكلام وقد ورد عنه عليه السلام ان الله تعالى وكل بقبره ملكا
يبلغه سلام من يسلم عليه من امته هذا في حق من لم يحضر قبره فكيف من فارق اهله ووطنه وقطع البوادي
شوقا الى لقائه واشتغل بمشاهدة مشاهده الكريمة اذ فاته مشاهدة هذه طلعته العظيمة
وقد قال تعالى ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما
وورد ان من توضأ واتى الروضة وصلى واتى القبر الشريف وقال اللهم اني اسألك واتوجه اليك بنبيك
محمد نبي الرحمة يا محمد اني توجهت بك الى ربي في حاجتي لتقضى اللهم شفعه في وسأل حاجته قضيت حاجته
باذن الله تعالى كذا في الحصن ويزور الصحابة سيما الشيخين الضجيعين واهل البيت كفاطمة وعائشة
وساير ازواجه امهات المؤمنين وصفية عمته واولاده وبناته اخوات المؤمنين وعمه العباس والحسن
بن علي وعلي بن الحسين ومحمد بن علي الباقر وجعفر بن محمد الصادق في القبة الشريفة والمنزلة المنيفة

المنيفة وساير مشاهدها مما من ساير اهل البقيع واجلهم عثمان بن عفان رضي الله عنهم اجمعين ويزور سيد
الشهداء حمزة ومن معه ويرد احدا جبل يحبنا ونحبه البخاري عن انس وغيره عن جماعة وفي رواية زيادة
فاذا جئتموه فكلوا من ثمره ولو كان من عضاهه ويصلي في مشاهده واجلها المسجد النبوي مع ما فيه
من الروضة المنيرة واسطواناتها ثم مورده ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي متفق
عليه من حديث ابي هريرة وعبد الله بن زيد ثم مسجد قباء ومسجد الجمعة وذي القبلتين والمساجد الاربع ونحوها
وقد ورد انه عليه السلام كان ياتي مسجد قباء كل سبت ماشيا وراكبا وقال من خرج من بيته حتى ياتي مسجد
قباء يصلي فيه كان كعدل عمرة النسائي وابن ماجه من حديث سهل بن حنيف باسناد صحيح وقد ذكرنا آداب
الزيارة في رسالة مستقلة وساير ما فيها من اسباب الفضيلة ويتبرك بآبارها اي التي كان عليه السلام
يتوضأ ويغتسل ويشرب منها وهي سبعة ابار مشهورة بئر اريس وبئر حاء وبئر رومة وبئر غرس وبئر
بضاعة وبئر البصة وبئر السقيا او العهن او بئر جمل ولله در ناظمها في قوله اذا رمت ابار النبي بطيبة
فعدتها سبع مقالا بلا وهن اريس وغرس رومة وبضاعة كذا بصة قل بئر حاء مع العهن وهو انها
معروفة عند اهل المدينة مكشوفة فحديث بئر اريس بفتح فكسر رواه مسلم من حديث ابي موسى الاشعري في حديث
فيه حتى دخل بئر اريس قال فجلست عند بابها وبابها من جريد حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجته
وتوضأ منها وحديث بئر حاء متفق عليه من حديث انس قال ابو طلحة اكثر انصاري بالمدينة نخلا وكان احب
امواله اليه بئر حاء وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها
طيب الحديث وحديث بئر رومة بضم الراء رواه الترمذي والنسائي من حديث عثمان انه قال انشدكم بالله
والاسلام هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر
رومة فقال من يشتري بئر رومة فيجعل دلوه مع دلاء المسلمين الحديث قال الترمذي حديث حسن وفي رواية من يشتريها لشرب دوا
في الجنة وفي رواية لهما هل تعلمون ان رومة لم يكن يشرب منها احد الا بثمن فابتعتها فجعلتها
للغني والفقير وابن السبيل الحديث وقال حسن صحيح وروى البغوي والطبراني من حديث بشير الاسلمي قال لما
قدم المهاجرون المدينة استنكروا الماء وكان لرجل من بني غفار عين يقال لها رومة وكان يبيع القربة
منها بمد الحديث وقيل انه اشترى الاولا ما نه بكرم ثم تعطلت منافع النصف الثاني على صاحبها فباعه النصف
من عثمان بثمن يسير لانه كان يبيع ماءها فاشتغل الناس بوقف عثمان وذكر قريبه قيل شرب منها
تبع وجددت سنة سبع مائة وخمسين وحديث بئر غرس بضم المعجمة رواه ابن حبان في الثقات من حديث انس
انه قال ايتوني بماء من بئر غرس فاني رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب منها ويتوضأ وابن ماجه باسناد
جيد من حديث علي مرفوعا اذا انا مت فاغسلوني بسبع قرب من بئري بئر غرس وفي تاريخ المدينة لابن
النجار انه عليه السلام توضأ منها وبزق فيها وغسل منها حين توفي وفي رواية شرب منها وتوضأ وصب
فيها بقية الدلو واهدي له عسل فصبه فيها وقال اني رايت الليلة اني اصبحت على بئر من الجنة فاصبح على
وقال يا علي اذا انا مت فاغسلني من بئري بئر غرس بسبع قرب لم تحلل اوكيتهن ففعل كذلك جددت

سنة خمس وخمسين وسبعمائة وحديث بئر بضاعة بضم الموحدة رواه اصحاب السنن من حديث ابي سعيد
الخدري انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انتوضأ من بئر بضاعة وفي رواية انه يستقى لك من
بئر بضاعة فقال خلق الله الماء طهورا لا ينجسه الا ما غير طعمه او لونه او ريحه الحديث قال يحيى بن معين
اسناده جيد وقال الترمذي حسن وللطبراني من حديث ابي اسيد بصق النبي صلى الله عليه وسلم في بئر
بضاعة وفي رواية يشرب منها ويبصق فيها ويتبرك ودعا لها وكان اذا مرض المريض غسلوه بمائها
فكانما نشط من عقال وحديث بئر البصة بضم الموحدة وتشديد المهملة رواه ابن عدي من حديث ابي سعيد
الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء يوما فقال هل عندكم من سدر اغسل به راسي فان اليوم
الجمعة قال نعم فخرج له بسدر وخرج معه الى البصة فغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم راسه وصب غسالة
راسه ومراقة شعره في البصة وحديث بئر السقيا رواه ابو داود من حديث عائشة ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان يستعذب له من بيوت السقيا زاد البزار في مسنده او من بئر السقيا واحمد من حديث علي
خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كنا بالسقيا التي كانت لسعد بن ابي وقاص قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ايتوني بوضوء فلما توضأ قام الحديث واما بئر جمل ففي الصحيحين من حديث ابي
الجهيم اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من نحو بئر جمل الحديث وصله البخاري وعلقه مسلم فقيل وبكى
بئر العهن بالعالية وروى انه صلى اليسيرة سماها عليه السلام بعد ان كان اسمها العسيرة توضأ منها
وبصق فيها وبرك ودعا لها والمشهور ان ابار المدينة سبعة وقيل عشرون وقد روى الدارمي من
حديث عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في مرضه صبوا علي من سبع قرب من ابار شتى الحديث
ويتصدق بالمدينة على سكانها ويعظم جيرانها ويستحب ان اقامه بمكة ان كونه مراعيا حقوقها من القيام
بالجمعة والجماعة وملازمة الطواف ومداومة الحرمة وعدم الميل له والسلامة مع السلامة من اكل الحرام
والشبهة وان كان في مدة يخاف حرام او مكروه فورد ينزل على هذا البيت في كل يوم مائة وعشرون رحمة
اي من رحمته الخاصة ستون للطائفين لزيادة طوافهم على المصلين والناظرين واربعون للمصلين
ن لاشتمال صلاتهم على حال الناظرين وعشرون للناظرين اي المكتفين بالنظر من المعتكفين العاجزين
الواقفين في مقام الشهود وقد قال تعالى ان طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود ففي تقديم
الطائفين ايماء الى تقدمهم واشعار الى ان الطواف تحية هذا المسجد الحرام والله سبحانه اعلم والحديث رواه
ابن حبان في الضعفاء والبيهقي في الشعب من حديث ابن عباس باسناد حسن وانشدوا هذا وانك يا مكة
يا مكة خير ارض الله لكونه منشأ حبيبه وفيها قبلة خلقه تربيته وبعثه واحب بلاده لكونها مهبط
ح وحيه ومربط وصله واما حديث الوطن من الايمان فلا اصل له ولولا اني اخرجت منك اي امرت بالخروج صح
والهجرة عنك لما خرجت باختياري فان الخروج منها شقاوة والدخول فيها سعادة حيث تضاعف فيها
العبادة وتضعف فيها النفس الشهوة والارادة والحديث رواه الترمذي وصححه النسائي في الكبرى وابن
ماجه وابن حبان من حديث عبد الله بن عدي بن الحمراء بلفظ انك خير ارض الله واحب بلاد الله الى الله

الله ولولا اني اخرجت منك لما خرجت وقد ورد من صبر على حر مكة ساعة تباعد من نار جهنم مائتي سنة
اخرجه العقيلي في الضعفاء عن ابن عباس وقم بالمدينة ان ويستحب ايضا ان اقامة بها مع القيام باداء حقها
فورد من الصبر على لأوائها اي شدة عنائها ومشقة بلائها وفي الموت بها شفاعته عليه الصلاة والسلام
اي خصه باهل الاسلام وشهادته يوم القيامة اي بانه من اهل الاكرام فورد لا يصبر على لأوائها وشدتها
احد الا كنت له شفيعا يوم القيامة مسلم من حديث ابي هريرة وابن عمر وابي سعيد ومن استطاع ان يموت
بالمدينة فليمت بها فانه لا يموت بها احد الا كنت له شفيعا او شهيدا يوم القيامة الترمذي وابن ماجه
من حديث ابن عمر وقال الترمذي حسن صحيح وما نقل من ارجاع عمر رضي الله عنه اي رده وامره بالرجوع للحجيج
بعد الفراغ من الحج والزيارة الى المساكن اي مساكنهم الاصلية حديث كان يقول لهم يا اهل اليمن يمنكم
ويا اهل الشام شامكم ويا اهل العراق عراقكم تحاميا اي لكن تحرزا وان احترس عن السآمة اي الملالة
ان الاقامة وارتكاب الذنب لمن لم يكن من اهل الاستقامة فان ثم فيه اي في حرم مكة مضاعف اي في العقاب ب
كيفية لا كمية لئلا يناقض الكلام قوله تعالى ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها تضاعف الثواب اي
كيفا عنه في الكمية والكيفية للفضل في هذا الباب والعدل على اهل الكتاب وانما يضاعف العذاب او العقاب
حيث يحقق العذاب بمجرد العصيان للذنب في ذلك الجناب فيما ورد في نص الكتاب ومن يرد فيه بالحاد اي بميل
عن الجادة في العصيان واراد ضلالة في مقام البيان الا به [illegible] بظلم اي عدوان بدل تفسير وبيان نذقه
من عذاب اليم اي مولم في مقام الهجران حتى قيل منه الاحتكار اي قصد حبس الطعام ليغلو فيبيع غاليا
وتتضرر به الانام وقيل الكذب اي قصده الى الذنب وقيل شتم الخادم والى صغيرا ما يكون صغيرة في غيرها
يصير كبيرة في حرمها لكمال تعظيم الجاه ورد حرمته وعدم العمل بعمله وتكثير ذلك الاشتياق عطف على تحاميا
اي ولتحصيل حدة الشوق وشدة الذوق الى وصال الحرمين بعد مرارة حرارة الفراق وان ورد ان [illegible]
من القلب في اقامته ورحلته والتوطن في موضع اقرب من الحصول فانه انسب لحصول الحضور وفيه
الراحة من مصاحبة اهل الفضول وانقطاع الشهرة فان فيهما الآفات بكثرة وسلامة الدين ان لا
لم يوجد مع مسالمة اهل الدنيا فتنة كن وسطا وانه جانبا وفراغ القلب اي للذكر والحضور مع الرب وتيسير
العبادة اي سهولة اي سهولتها الا لكمال الارادة قال تعالى يا عبادي ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون
فورد البلاد بلاد الله والخلق عباد الله فاي موضع رايت فيه رفقا اي مصلحة وسهولة للعبادة فانه
مقام السعادة فاقم اي فاختر الاقامة فيه واحمد الله تعالى على ثباتك عليه والحديث رواه احمد والطبراني
من حديث ابن الزبير وحق الجهاد اي القتال مع الكفار ان ينوي نصرة الدين ومعاونة الابرار قال تعالى
ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم وبذل النفس في رضائه تعالى قال عز وجل ان الله اشترى من المؤمنين
انفسهم واموالهم بان لهم الجنة الاية وان يؤدى ان افضل الجهاد ان يعقر جواده اي يقتل فرسه ويهلك ويهراق
دمه اي يصب ويجرح روح الطبراني واحمد وجماعة عن جابر والطبراني عن ابي امامة افضل الشهداء
من سفك دمه وعقر جواده وهو فرض عين ان هجم الكفار فتخرج المرأة والعبد بلا اذن وفرض كفاية بدا

ويخرج له اي للجهاد يوم الخميس فعن كعب بن مالك انه عليه السلام كان يحب ان يخرج اذا غزا
يوم الخميس فعن كعب بن مالك انه عليه السلام كان يحب ان يخرج اذا غزا يوم الخميس احمد والبخاري
ولا يهتم بما يصيبه اي في طريق الجهاد من نقص في ماله او جرح في جسده او فزع في قلبه وتشويش في
حاله ففي الكل اجر عظيم وثواب جسيم وقد قال تعالى ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال
والانفس الاية وورد اذا رجف قلب المؤمن في سبيل الله تحاتت خطاياه كما تحاتت عذق النخلة
الطبراني وابو نعيم في الحلية عن سلمان ومن راح روحة في سبيل الله كان له بمثل ما اصابه من الغبار
مسكا يوم القيامة ابن ماجه والضياء عن انس وما من مجروح يجرح في سبيل الله والله اعلم بمن يجرح
في سبيله الا جاء يوم القيامة وجرحه كهيئته يوم جرح اللون لون دم والريح ريح مسك ابن ماجه عن
ابي هريرة حتى يكون علف دابته وروثها وبولها وهو مرة يعطيه في ميزان حسناته ففي مسند احمد
وصحيح البخاري وسنن النسائي عن ابي هريرة مرفوعا من احتبس فرسا في سبيل الله ايمانا بالله وتصديقا
بوعده كان شبعه وريه وروثه وبوله حسنات في ميزانه وفي رواية ابن ماجه وابن حبان عن تميم
الداري من ارتبط فرسا في سبيل الله ثم عالج علفه بيده كان له بكل حبة حسنة ويجتنب من الخيل ما خالف
احد قوائمه الثلاث من القوائم الاربعة فقد روى احمد ومسلم والاربعة عن ابي هريرة انه عليه السلام
كان يكره الشكال قال ابو داود والترمذي اي محجل اليد اليمنى والرجل اليسرى او العكس وقال النسائي محجل
ثلاث قوائم مطلق واحدة او العكس وليس الشكال الا في الرجل ويؤيده ما رواه الحاكم والطبراني والبيهقي
عن عقبة بن عامر اذا اردت ان تغزو فاشتر فرسا اغر محجلا مطلق اليد اليمنى فانك تسلم وتغنم
وفي رواية احمد والترمذي وابن ماجه والحاكم عن ابي قتادة خير الخيل الادهم الاقرح الارثم المحجل
ثلاث مطلق اليمنى فان لم يكن ادهم فكميت على هذه الشية وفي النهاية ان الدهمة السواد والاقرح
بالقاف الذي في جبهته بياض يسير دون الغرة والارثم الذي انفه ابيض وشفته العليا والمحجل
الذي يرتفع البياض من قوائمه الى موضع القيد ويجاوز الارساغ ولا يجاوز الركبتين لانهما مواضع
الاحجال وهي الخلاخيل والقيود والكميت بضم الكاف هو الذي لونه بين السواد والحمرة يستوي
الذكر والانثى ولا يتمناه اي الجهاد ولقاء العدو فيه او يسمع ان اكثر العباد يسال الثبات عنده اي
عند وجوبه او وجوده موردا ان لا تتمنوا لقاء العدو وفي رواية زيادة واسالوا الله العافية وفي اخرى
فانكم لا تدرون ما تبتلون به وقال عز وعلا في مقام التوبيخ ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان
تلقوه فقد رايتموه وانتم تنظرون فان لقيتموه فاثبتوا وفي رواية زيادة واكثروا ذكر الله وفي اخرى
زيادة فان اجلبوا وصيحوا فعليكم بالصمت النسائي والحاكم والطبراني عن ابن عمرو وفي رواية للحاكم عن
جابر فاذا لقيتموهم فقولوا اللهم انت ربنا وربهم ونواصينا ونواصيهم بيدك وانما تقتلهم انت ثم
الزموا الارض جلوسا فاذا غشوكم فانهضوا وكبروا ويكثر ذكر الله تعالى لقوله سبحانه يا ايها الذين امنوا
اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون وقد قال تعالى في الحديث القدسي ان عبدي كل عبدي

عبدي الذي يذكرني وهو ملاق قرنه ويكف عن ذكر النساء اي ويمتنع عن تذكرهن والاولاد والمكان موال
والاوطان وسائر ما يدبر كل من تفكر كل فهو يغزوه اي يجبنه ويضعف همته عما هو بصدده ومن
يشاور الولد يجبنه ويتمنى الشهادة في سبيل الله فانه من اكبر السعادة عند مولاه فورد ولا تحسبن الذين
قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما اتاهم الله من فضله ويستبشرون
بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله
لا يضيع اجر المؤمنين ان ارواح الشهداء في جوف طير خضر تسرح اي تسير وتاكل
من الجنة حيث تشاء من غير منع لها وتاوي الى قناديل معلقة في العرش وفيه ان هذا لها تعلق بجسدها
في القبر وامور الاخرة كلها مبنية على خرق العادة فلا ينبغي ان يستبعد لها الا اهل الارادة والحديث
رواه مسلم والترمذي عن ابن مسعود بزيادة فاطلع اليهم ربهم اطلاعة فقال هل تشتهون شيئا
قالوا اي شيء نشتهي ونحن نسرح في الجنة حيث شئنا ففعل بهم ذلك ثلاث مرات فلما راوا انهم لم يتركوا
ان يسالوا قالوا يا رب نريد ان ترد ارواحنا في اجسادنا حتى نرجع في دار الدنيا فنقتل في سبيلك
مرة اخرى فلما راى ان ليس لهم حاجة تركوا وهذا معنى قوله ويودون الرجوع اي يتمنون العود الى
الدنيا لكن لا يشتهي ذلك من بعد اخرى ورد ما من احد يدخل الجنة يحب ان يرجع الى الدنيا الا الشهيد
فانه يحب ان يقتل مرة اخرى ابن حبان عن انس وفي رواية له عنه فانه يتمنى ان يرجع الى الدنيا فيقتل
عشر مرات لما يرى من الكرامة ويتمناها اي ويتمنى الشهادة ولو كان في موطن العبادة فهو يبلغ
منازلهم اي حصول مرتبتهم وان مات اي المتمني على الفراش لان نية المؤمن خير من عمله فعن معاذ من
سال الله الشهادة مخلصا اعطاه الله اجر شهيد وان مات على فراشه ولا يخرج المشتغل بتعهد الاهل
الى الجهاد الا ان اشتغال الاهل فلا يحصل معه الكمال ولضرورة معيشة الاهل لابد من تحصيل المال فقد ورد اذا
حرم احدكم الزوجة والولد فعليه الجهاد الطبراني عن محمد بن حاطب وعن ابن المبارك وهو مع اخوانه
في الغزو يعملون عملا افضل مما نحن فيه قالوا لا نعلم ذلك قال انا اعلم ذلك رجل متعفف ذو عائلة قام
من الليل فنظر الى صبيانه نياما متكشفين فسترهم وغطاهم فعمله افضل مما نحن فيه ويخدمه الا ان يؤمن
لقوم معلوم اي على الجهاد اذا لم يكن فرض عين فعن ابن عمر اذا كان الجهاد على باب احدكم فلا يخرج
الا باذن ابويه رواه ابن عدي ويخدم الغزاة اي يطبخ طعامهم ويغسل ثيابهم ويخدم دوابهم ولو كلبهم فهذا
صادق عليه يخدمهم وهو معهم كما ورد سيد القوم خادمهم ابن ماجه عن ابي قتادة والخطيب عن ابن عباس س
وروى الحاكم في تاريخه والبيهقي عن سهل بن سعد ولفظه سيد القوم في السفر خادمهم فمن سبقهم بخدمة
لم يسبقوه بعمل الا الشهادة وفي رواية الطبراني عن ابي هريرة افضل الغزاة في سبيل الله خادمهم الذي
يانيهم بالاخبار وانفسهم عند الله منزلة الصائم او يخلفهم ويخدم اهاليهم ففي صحيح مسلم وابي داود عن
ابي سعيد ايكم خلف الخارج في اهله وماله بخير كان له مثل نصف اجر الخارج ويجهزهم اي يهيئ اسباب سفرهم
جمع فرس ص فورد من جهز غازيا حتى يستقل كان له مثل اجره حتى يموت او يرجع ابن ماجه عن عمر ويعظم افراسهم فقد ورد الخيل

الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة الاجر والغنيمة احمد والشيخان وغيرهما مما كاد ان يكون متواترا وفي
رواية لاحمد عن جابر زيادة واهلها معانون عليها فامسحوا بنواصيها وادعوا لها بالبركة وقلدوها
ولا تقلدوها الاوتار ويعدها بضم فكسر فتشديد اي يربطها ليوم القتال اي لوقت ملاقاة الاعداء قال تعالى
واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم الاية فمن الكر فضايل رياب
وتعليم الفروسية والمسابقة ان شئت الكرم اي الطبع الكريم في المجاهد والمال صحة فقد ورد احب الى الله تعالى
اجرا الخيل والرمي ابن عدي عن ابن عمر وقيل المراد بالكرم كرم الفرس بان يكون كريم الطرفين
اركبوا وانتضلوا وان تنتضلوا احب الي الحديث الطبراني في الاوسط عن ابي هريرة فالمراد بالخف الابل
وبالحافر الفرس والبغل والحمار وبالنصل الرمي وفي رواية كانت المسابقة بين النبي بالخيل والابل والرجل
والرمي اي وتعلمه فهو سنة فعن عقبة بن عامر مرفوعا الا ان القوة الرمي الا ان القوة الرمي الا ان القوة
الرمي احمد ومسلم وابو داود وابن ماجه ان الله تعالى يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة صانعه يحتسب في صنعته
الخير والرامي به ومنبله احمد والثلاثة عن عقبة بن عامر من رمى بسهم في سبيل الله كان كمن اعتق رقبة
ابن حبان عن كعب بن مرة وفي رواية النسائي عنه من بلغ العدو بسهم رفعه الله به درجة اما انها ليست
بعتبة امكم ولكن ما بين الدرجتين مائة عام ومن ترك الرمي بعدما علمه
اي رغبة عنه كما في رواية فانها نعمة كفرها الطبراني وجماعة عن عقبة بن عامر وفي رواية ابن ماجه عنه
فقد عصاني وفي رواية مسلم عنه فليس منا وفي رواية احمد والترمذي والبيهقي عنه فقد كفر الذي علمه وعن
ابي هريرة من تعلم الرمي ثم نسيه فهي نعمة جحدها ابن النجار **الباب الخامس** في التزوج والتخلي
اي التجرد عنه والتبري منه واختيار التخلي واستيثار التخلي اعلم ان العلماء اختلفوا في فضل النكاح فبعضهم
بالغ فيه حتى زعم انه افضل من التخلي لعبادة الله تعالى وعكس جماعة وقال اخرون الافضل تركه في زماننا وقال
بعضهم افضلية الجهاد لان الجهاد سبب اعدام الكافر والتزوج موجب ايجاد المؤمن وهذا كله اذا لم يكن هناك
توقان للنفس يشوش الحال واما اذا كان فيتعين تحمل العيال والتوكل على الله المتعال في الاستقبال
بسم الله الرحمن الرحيم الذي رحمته شاملة للتخصيص والتعميم في النكاح فوائد كثيرة ومنافع شهيرة
ذكر منها احدى عشرة حفظ النفس من الشيطان اي صيانتها عن وسوسته واغوائه فورد من تزوج فقد
احرز شطر دينه تمامه فليتق الله في الشطر الثاني وفي رواية في الشطر الاخر ابن الجوزي في العلل من حديث
انس بسند ضعيف وهو عند الطبراني بلفظ التكمل نصف الايمان وفي المستدرك وصحح اسناده بلفظ
من رزقه الله امراة صالحة فقد اعانه على شطر دينه وهذا لان حفظ اصل الدين غالبا يتعلق بنصفه بعضا
شهوة البطن ونصفه بعضا شهوة الفرج وقال ابن عباس لا يتم نسك الناسك حتى يتزوج وكان ابن مسعود
يقول لو لم يبق من عمري الا عشرة ايام لاحببت ان اتزوج لكيلا القى الله عزبا وماتت امراتان لمعاذ
بن جبل في الطاعون وكان هو ايضا مطعونا فقال زوجوني فاني اكره ان القى الله عزبا وعن ابي هريرة
مرفوعا شراركم اعزابكم وركعتان من متاهل خير من سبعين ركعة من غير متاهل ابن عدي ورواه احمد

احمد عن ابي ذر شراركم عزابكم وقد تزوج يحيى ولم يجامع قيل انما فعل ذلك لينال الفضيلة واقامة
السنة وقيل لغض البصر وخوف الفتنة واما عيسى فانه سينكح اذا نزل الى الارض ويولد له كذا في الاحياء
والى حذر ان غلبة الشهوة محنة عامة قل ان يتخلص منها احد قال قتادة في قوله تعالى ولا تحملنا
ما لا طاقة لنا به ان ذلك هو الغلمة وهي غلبة الشهوة وعن عكرمة ومجاهد انهما قالا في معنى قوله وخلق
الانسان ضعيفا انه لا يصبر عن النساء وقيل في قوله تعالى وان تصبروا خير لكم ان الصبر عن النساء ايسر
من الصبر عليهن والصبر عليهن ايسر من الصبر على النار وقال ابن نجيح اذا قام ذكر الرجل ذهب
ثلثا عقله وبعضهم يقول ذهب ثلث دينه وفي نوادر التفسير عن ابن عباس ومن شر غاسق اذا وقب
قال قيام الذكر ومن دعائه عليه السلام اللهم اني اعوذ بك من شر سمعي وبصري وقلبي ومنيي ابو داود
والنسائي والترمذي وحسنه والحاكم وصححه من حديث شكل بن حميد وقال اسالك ان تطهر قلبي وتحفظ
فرجي البيهقي في الدعوات من حديث ام سلمة وقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم كل من وقع نظره على
امراة فتاقت اليها نفسه ان يجامع اهله لان ذلك يدفع الوسواس عنه رواه احمد من حديث ابي كبشة
الانماري حين مرت به امراة فوقع في نفسه شهوة النساء فدخل فاتى بعض نسائه وقال فكذلك وازواجه
فافعلوا فانه من اماثل اعمالكم اتيان الحلال واسناده جيد وفي رواية جابر انه عليه السلام راى امراة
فدخل على زينب فقضى حاجته وخرج وقال ان المراة اذا اقبلت اقبلت في صورة شيطان واذا ادبرت
ادبرت في صورة شيطان فاذا راى احدكم امراة فاعجبته فليات اهله فان معها مثل الذي معها رواه
مسلم والترمذي واللفظ له وقال حسن صحيح وروي انه انصرف الناس يوما عن مجلس ابن عباس وبقي شاب
لم يبرح فقال ابن عباس هل لك من حاجة قال نعم اردت ان اسال عن مسالة فاستحييت من الناس وانا الان اهابك
واجلك فقال ابن عباس ان العالم بمنزلة الوالد فما افضيت به الى ابيك فافض به الي فقال الشاب
لا زوجة لي وربما خشيت العنت على نفسي فربما استمنيت بيدي فهل في ذلك معصية فاعرض عنه ابن
عباس ثم قال اف وتف نكاح المراة خير منه وهو خير من الزنا وتزيد الى اربع ان لم يعفهم بواحدة
وكان الاولى ان يقول ان لم يعفهم بان قوله هذا لقوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلث ث
ورباع والواو بمعنى او اي اثنتين اثنتين او ثلث ثلث او اربعا اربعا وعن ابن عباس خير هذه
هذه الامة اكثرها نساء يعني النبي صلى الله عليه وسلم رواه البخاري وقال سفيان بن عيينة كثرة النساء
ليست من الدنيا لان عليا رضي الله عنه كان ازهد اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان له اربع نسوة
وسبع عشرة سرية وقد نكح بعد فاطمة بسبع ليال وحكي عن ابن عمر وكان من زهاد الصحابة وعلمائهم انه كان
يفطر من الصوم على الجماع قبل الاكل وربما جامع قبل ان يصلي المغرب ثم يغتسل ويصلي وروي انه جامع
ثلاثة من جواريه قبل العشاء في رمضان قبل العشاء الاخرة ابن جرير وهذا تحرى ان تفرغ الطبع فان المقصود
هو الاعتصام بالشرع وقيل ان الحسن بن علي كان منكاحا نكح زيادة على مائتي امراة وكان
ربما عقد على اربع في عقد وربما طلق اربعا في وقت واحد واستبدل بهن وزيادة الرغبة في لذات الجنة

فلذة الدنيا المؤمن بضم الهمزة والميم معرب مومنة اي عينه تدل على صحة بينه وقد اكثر الله سبحانه في كتابه
مدح الحور العين والازواج المطهرة في ذلك المكان الامين وقطع الملك له الى حاكمه ودوام العبادة
وذلك بترويح النفس وايناسها بالجليس والنظر الملك عنه واللوانسه والذوق انما ليسكن اليها
فالنفس اذا كلفت المداومة بالاكراه على المخالفة جمحت ونابت واذا روحت باللذات في بعض الاوقات
قويت ونشطت ومنه كلميني يا حميرا وعن علي روحوا القلوب عن الذكر فانها اذا كلت عميت وفي
الاستيناس بالنساء من الناس من الاستراحة عن الوسواس ما يزيل الكرب ويفرج القلب
وينشط لذكر الرب فينبغي ان يكون لنفوس ارباب العبادات استراحات الى المباحات وعلى الحر على
العاقل ان يكون له ثلث ساعات ساعة يناجي فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة
يخلو فيها لمطعمه ومشربه اي وما يقتضي النفسه والحديث رواه ابن حبان من حديث ابي ذر في حديث طويل
ان ذلك في صحف ابراهيم وفي لفظ اخر ان يكون العاقل ظاعنا الا في ثلث تزود لمعاد
او مرمة لمعاش او لذة في غير محرم رواه ابن حبان في حديث ابي ذر الطويل ان ذلك في صحف ابراهيم
فود لكل شرة بكسر معجمة وتشديد براء اي كد وجد في طاعة ونشاط ورغبة في حاجة فترة اي كسل
وميل له وغفلة ونوع ورقعة لكن استراحة فمن كان فترته في الفرض الى السنن فقد اهتدى
احمد والطبراني من حديث عبد الله بن عمرو رواه البيهقي ومن كانت الى غير ذلك فقد هلك والترمذي
نحوه من حديث ابي هريرة وقال حسن صحيح ولفظه لكل عامل شرة ولكل شرة فترة الحديث والترمذي
عن ابي هريرة ان لكل شيء شرة ولكل شرة فترة فان صاحبها سدد وقارب فارجوه وان اشير اليه
بالاصابع فلا تعدوه والحاصل ان لكل نشاط في العبادة ابتدا يكون كسل فيها انتهاء اوانثا فينبغي
للسالك ان يصرف تلك الفترة الى عبادة اخرى او شهوة مباحة موافقة للسنة من النساء وغيرها ولذا
قال وهو اي قطع الملالة بمصاحبة النساء انعم جميع السالكين انقطاعها اي الملالة للبعض
اي بعض العاملين بالالة الجاري والبنان اي المشتمل على الخضرة فعن ابن عمر مرفوعا ثلاث
يجلين البصر النظر الى الخضرة والى الماء الجاري والى الوجه الحسن اخرجه الديلمي وعن علي ايضا بمعناه كان
يعجبه النظر الى الخضرة والى الماء الجاري ابو نعيم وابن السني وفي روايتهما كان يعجبه النظر الى الاترج والى الحمام
الاحمر والترمذي عن معاذ انه عليه السلام كان يستحب الصلاة في الحيطان اي البساتين المشتملة الى
الجنان وفراغ القلب اي لذكر الرب من تدبير البيت للعبادة كما هو جار في العادة من شغل الطبخ
والكنس والفرش للمباني وتنظيف الاواني وتهيئة اسباب المعيشة المعينة للمعاني وفي الحديث نعمتان ن
مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ وقد فسر قوله تعالى اتنا في الدنيا حسنة بالمرأة الصالحة وفي الاخرة
حسنة بالحور العين وقنا عذاب النار بالمرأة السليطة وقيل في تفسير قوله تعالى فلنحيينه حياة طيبة اي بزوجة
صالحة وعنه عليه السلام ليتخذ احدكم قلبا شاكرا ولسانا ذاكرا وزوجة مؤمنة صالحة تعينه على اخرته
الترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث ثوبان فمورد زوجات اعوان على الطاعة الخطيب في

في التاريخ من حديث ابن عمر ولفظه فضلت على ادم بخصلتين كانت زوجته عونا له على المعصية وازواجي اي
اعوانا لي على الطاعة وكان شيطانه كافرا وشيطاني مسلم لا يامرني الا بخير وهو اي الفراغ المذكور
يحصل لمن لا يدبر لبيته اي في البيت بنفسه لعجز ولم يتوفر حق الزوجية في امر وكثرة العشرة ليدفع عنهم النشر (?)
اي حذرا لحمل الغنت ود ومنازعة اهل العناد فيسلم اي فارغ القلب في طلب الخير ولذا قيل ان امراة ناصح (?)
له والرياضة اي تهذيب النفس بالقيام بحقوقهن من نفقتهن وكسوتهن واحتمال جفاهن من اذاهن
وبلائهن والصبر على سوء اخلاقهن والسعي في اصلاح احوالهن وارشادهن الى طريق الدين واكل الحلال
والقيام بتربية الاولاد وصيانتهم عن الفساد وفي كل هذه الاحوال فضائل عظيمة لانها رعاية وسياسة
فانها رعاية وولاية رحمانية وقد ورد كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته متفق عليه من حديث ابن عمر ويوم
من وال عادل افضل من عبادة ستين سنة الطبراني والبيهقي من حديث ابن عباس فورد في بعض الاخبار انه
معي في الجنة لم ار مخرجه وفي بعض الحواشي من يحمل كلمات جفا اهله فله ثواب ستين شهيدا وفي رواية من
تحمل من امراته كلمة واحدة اعطاه الله ثواب الف شهيد ودفع عنه ظلمة قبره وضيقه وذكر في الاحيا
ان في الاخبار ان بعض ان قوما دخلوا على يونس فكان يدخل في منزله ويخرج فتوذيه امراته فتستطيل
عليه وهو ساكت فتعجبوا من ذلك فقال لا تعجبوا فاني سالت الله تعالى ما انت معاقب لي في الاخرة فعجله في
الدنيا فقال ان عقوبتك بنت فلان تتزوج بها وانا صابر على ما ترون منها وهو اي الارتياض يحصل
بالشدائد الارتياضة اي الرياضة اي تهذيب النفس عن الاخلاق الذميمة وبنظائر العمل اي ويحصل ايضا
بالذي منه اي من النكاح العمل الصالح فان تعالى اولى اي في حق امته منفعة اي نفعه والعمل الصالح نفعه قاصر
ومن هنا قال عليه السلام ما انفق الرجل على اهله فهو صدقة الشيخان عن ابن مسعود ان الرجل
ليوجر في رفع اللقمة الى في امراته الشيخان عن سعد بن ابي وقاص بخلاف عمل صاحب الباطن فعمله اشرف
لانه علم ومعرفة وحال وحضور مع الرب وهو مقام عال وكمه نادر بين الرجال ولذا اورد اكثر الاحاديث
في مدح الاعمال منها قوله عليه السلام ان الله يحب الفقير المتعفف ابا العيال ابن ماجه من حديث عمران
بن حصين وقوله اذا كثرت ذنوب العبد ابتلاه الله بالحزن ليكفرها احمد من حديث عائشة وقوله
ان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الا الهم بطلب المعيشة الطبراني في الاوسط وابو نعيم في الحلية من حديث ابي
والولد صح هريرة وقال بعض العلما عمل الابدال كسب الحلال والنفقة على العيال وهو المقصود الاصلي منه اي الحكم
العزيز فيه اي في تحصيل الولد بالنكاح اربعة امور محبته تعالى اي اثر محبته بتحصيل حكمته وحكمة بقائه وبقائي
الانسي في مملكته وفق ارادته والتحرز عن تعطيل الاعضاء من المقاصد التي خلقت لاجلها الاشيا فكل عضو
من بني ادم صالح لطاعة فاللسان للذكر والقلب للفكر والاذن للاستماع والعين للنظر واليد للبطش
والرجل للسعي وفي الاشيا لهذا دق الوجوه والعدل على انعام الجماهير واقوالها عند ذوي البصائر
الشاغل في عجائب صنع الله تعالى وعجائب حكمته وبيانه ان السيد اذا سلم الى عبده البذر والات
الحرث وهياله ارضا مهياة للحراثة وكان العبد قادرا على الحراثة ووكل به من يتقاضاه عليه فان تكاسل

العبد وعطل الحرث وترك البذر ضايعا حتى فسد ودفع الموكل عن نفسه بنوع من الحيل كان مستحقا
للمقت والعتاب عن سيده فالله سبحانه خلق الزوجين وخلق النطفة في الفقار وهيأ لها في الانثيين
عروقا ومجاري وخلق الرحم قرارا ومستودعا للنطفة وسلط تقاضي الشهوة على كل واحد من الذكر
والانثى فهذه الافعال والالات تشهد بلسان ذلق في الاعراب عن مراد خالقها وتنادي
ارباب الالباب بتعريف ما اعدت له هذه الاسباب هذا ان لو لم يصرح الخالق على لسان رسوله
عليه السلام بالمراد فكيف وقد صرح بالامر فكل ممتنع عن النكاح معرض عن الحراثة مضيع للبذر
ومعطل لما خلق الله من الالة المعدة وجان على مقصود الفطرة والحكمة المفهومة من شواهد الخلقة المكتوبة
على هذه الاعضاء بخط الهي ليس برقم حروف واصوات يقرؤه كل من له بصيرة ربانية نافذة في
ادراك دقايق الحكمة الازلية انتهى والامر بما ورد من امر الشارع حيث قال تعالى وانكحوا الايامى منكم
والصالحين من عبادكم وامائكم وورد من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج
ومن لا فليصم فان الصوم له وجاء متفق عليه من حديث ابن مسعود من كان ذا طول فليتزوج ابن
ماجه من حديث عايشة من ترك التزويج مخافة العيلة فليس منا الديلمي من حديث ابي سعيد والدارمي
في مسنده والبغوي في معجمه ولعله مقتبس من قوله تعالى ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع
عليم وقد ورد التمسوا الرزق بالنكاح الديلمي وغيره عن ابن عباس مرفوعا وللثعلبي عن ابن عجلان
ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فشكا اليه الحاجة والفقر فقال له عليك بالباءة اي النكاح والله
تعالى يقول في كتابه ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله واما الذي يدور على السنة العوام تزوجوا فقراء
يغنكم الله فكانه بمعناه وروى الديلمي والبزار والدارقطني في العلل والحاكم وابن مردويه من
حديث عايشة تزوجوا النساء فانهن ياتين بالمال وعن الحسن بن علي رايت الغنى في النكاح والطلاق
اما النكاح فقوله سبحانه ان يكونوا فقراء يغنهم الله واما الطلاق فقوله تعالى وان يتفرقا يغن الله
كلا من سعته وقد قيل في حق بشر انه تارك للسنة فقال انا مشغول بالفرض عن السنة فعوتب مرة اخرى
فقال ما يمنعني من التزوج الا قوله تعالى ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف ومحبته عليه الصلاة والسلام
بالاستنان اي بالعمل بالسنة فورد النكاح سنتي فمن احب فطرتي فليستن بسنتي ابو يعلى
من حديث ابن عباس بسند حسن وفي رواية الشيخين عن انس فمن رغب عن سنتي فليس مني وتكثير
الامة التي يكثر فيهم الامة فورد تناكحوا تكثروا فاني اباهي بكم الامم اي في الكثرة يوم القيامة
ابن مردويه في تفسيره من حديث ابن عمر وعبد الرزاق في جامعه عن سعيد بن ابي هلال مرسلا وفي
رواية تناكحوا تناسلوا فاني مكاثر بكم الامم يوم القيامة وفي رواية ابي داود والنسائي والبيهقي وغيرهم
من حديث معقل بن يسار مرفوعا تزوجوا الودود الولود فاني مكاثر بكم الامم ولاحمد والبيهقي
وصححه ابن حبان والحاكم عن انس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامر بالباءة وينهى عن التبتل
نهيا شديدا ويقول تزوجوا الودود الولود فاني مكاثر بكم الامم يوم القيامة ولو بالسقط وهو الولد الذي

الذي خلق بعضه وقد ذكر البيهقي هذه الزيادة في المعرفة عن الشافعي انه بلغه وبركة الدعاء في
اي الولد بعده اي بعد والده فقال عليه السلام من العمل الا في بعد الموت حيث قال كل عمل ابن
ادم ينقطع الا ثلاثة فذكر فيه وولد صالح يدعو له رواه مسلم من حديث ابي هريرة والشفاعة اي وبركة
الشفاعة ان مات الولد قبله اي قبل والده فقد قيل نعم الولد ان عاش نفع وان مات شفع فورد
ان الطفل يجر بابويه الى الجنة ابن ماجه من حديث علي وقال السقط بدل الطفل وله من حديث معاذ ان الطفل
ليجر امه بسرره الى الجنة وفي صحيح مسلم من حديث ابي هريرة ياخذ بثوبه كما انا الان اخذ بثوبك وورد
ايضا ان المولود يقال له ادخل الجنة فيقف على باب الجنة فيظل محبنطئا اي ممتلئا غيظا وغضبا ويقول
لا ادخل الجنة الا وابواي معي فيقال ادخلوا ابويه معه الجنة ابن حبان في الضعفاء من رواية بهز بن حكيم
عن ابيه عن جده وللنسائي من حديث ابي هريرة فيقال لهم ادخلوا الجنة فيقولون حتى يدخل اباؤنا فيقال
ادخلوا الجنة انتم واباؤكم واسناده جيد وقد قيل في تفسير قوله تعالى نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شئتم
وقدموا لانفسكم تقديم الاطفال لك حرق وافات اي كثيرة ذكر منها ثلاث كسب الحرام فالمعيل يضطر
اليه اي الى كسبه او اكله للتوسع في الطعام وورد فيه اي في حق من كسب الحرام لعياله انه هو الذي اكل عياله
حسناته قال في الاحياء الخبر ان العبد ليوقف عند الميزان وله من الحسنات امثال الجبال فيسال عن
رعاية عياله والقيام بهم وعن ماله من اين اكتسبه وفيما انفقه حتى يستغرق بتلك المطالبات كل اعماله
فلا يبقى له حسنة فتنادي الملائكة هذا الذي اكل عياله حسناته في الدنيا وارتهن اليوم بعمله قال
العراقي لم اقف له على اصل وقال بعض السلف اذا اراد الله بعبد شرا سلط عليه في الدنيا انيابا تنهشه
يعني العيال وفوات الحقوق اي الزوجية بالقصور عن القيام بحقوقهن وعدم الصبر على اخلاقهن
وعدم احتمال الاذى منهن وورد كفى بالمرء اثما ان يضيع من يقوت ابو داود والنسائي بلفظ من يقوت
وهو عند مسلم بلفظ اخر وروي ان الهارب من عياله بمنزلة العبد الابق لا يقبل الله له صلاة ولا
صياما حتى يرجع اليهم ومن يقصر عن القيام بحقهن وان كان حاضرا فهو بمنزلة هارب عنهن وقال تعالى قوا
انفسكم واهليكم نارا امرنا ان نقيهم النار كما نقي انفسنا والانسان قد يعجز عن القيام بحق نفسه
فاذا تزوج تضاعف عليه الحق وانضاف اليه نفس اخرى والنفس امارة بالسوء واذا كثرت كثر السوء
غالبا ولذلك اعتذر بعضهم عن التزوج وقال انا مبتلى بنفسي فكيف اضيف اليها نفسا اخرى شعر
لم يسع الفارة في جحرها ۔ علقت المكنس في دبرها ۔ وكان سفيان يقول شعر يا حبذا العزبة والمفتاح
ومسكن تخرقه الرياح ۔ لا صخب فيه ولا صياح ۔ الاشتغال عنه تعالى بتدبير المعيشة ومنه قوله تعالى شغلتنا
اموالنا واهلونا فاستغفر لنا وجمع المال في الحال والادخار للاستقبال والتفاخر بالتكاثر بالاموال
والاولاد بين الرجال وكل ما شغل عن الله تعالى فهو مذموم في الحال والمال ومن هنا قال بعض العقلاء
ضاع العلم بين افخاذ النساء وقال ابن ادهم من تعود افخاذ النساء لم يجئ منه شيء اي ما فاته الا ويدار قال
ابو سليمان من تزوج ركن الى الدنيا اي واشتغل عن المولى وعن زاد العقبى والاستغراق بالتمتع الا ان تناه

بالنساء والمؤانسة اى بان يجتمع معهن فى المكالمة والملابسة اذا عرفت ذلك وميزت بين الفوائد
والافات هنالك فان تحققت الفائدة بجميع افرادها وانتفت الافة بتمام موادها بتعين النكاح ح
لمن قدر عليه بان كان له مال حلال وحسن خلق وجد فى الدين بان لا يشغله النكاح عن الله وهو
مع ذلك شاب محتاج الى تسكين الشهوة ومنفرد محتاج الى تدبير المنزل والمعيشة وان انعكس بان
انتفت الفائدة وتحققت الافة فتعين التجرد فلا يميل اليه وان تقابلا اى الجانبان من الفوائد والافات
فالاخذ بالراجح من الحالات كفوات الشغل به تعالى وطيب اللقمة المخشى من فوات الولد بترك النكاح
وصورته ان شخصا اذا تزوج يفوته الشغل بالمولى ويقع فى لقمة الحرام من كسب الدنيا لكن يحتمل انه
يحصل الولد له فينفعه فى العقبى فالراجح عدم التزوج لانه اى وجود الولد على الفرض والتقدير لا يجبر بهما
اى لا يقابله فوت الشغل وطيب اللقمة ولانه اى الولد موهوم وجوده وهما اى فوتهما ناجزان
اى ناجز كل واحد فى مرتبة شهوده وكذا الزنا اى وقوعه المخشى من كسب الحرام وصورته ان شخصا اذا تزوج ج
وقع فى كسب الحرام واذا لم يتزوج وقع فى الزنا فالراجح التزوج لانه اى الزنا فيه حكمى بتحصيل ولد
لسبى منه يقوم بحقه لان ولد الزنا كالاعطى بكرمه ولا اعتبار لنسبه وحسبه ولانه اى الزنا حرام لعينه
اى لذاته مع عدم ملاحظة ما يترتب عليه والكسب اى لان كسب مال الحرام حرام لغيره لا لذاته
بل لانه تعلق به حق غيره والحاصل ان كسب الحرام اهون الشرين فى هذا المقام بخلاف
النظر والهم اى القصد لفعل الزنا وصورته ان شخصا اذا تزوج وقع فى كسب الحرام واذا لم يتزوج وقع
فى النظر والهم فالراجح عدم التزوج فهما ليسا بالمخشى من كسب الحرام بل هو المخشى منهما لدوام الكسب
اى وتعدد النظر والهم ولان كسب الحرام كبيرة وكل من النظر والهم صغيرة وسرايته شره اى شر كسب
الحرام الى الغير كالزوجة والولد ونحوهما وايضا النظرة زنا العين ولكن اذا لم يطق العزوبة فهو اقرب
الى العقوبة الكسب الحرام الا ان يخاف من افضاء النظر الى معصية الفرج فمرجع ذلك الى خوف العنت بخلاف
النظر والهم حيث لا يتعدى شرهما على الغير فاذا ثبت هذا الحالة الثالثة وهو ان يقوى على غض
البصر لكن لا يقوى على دفع الافكار الشاغلة للقلب فالاولى ترك النكاح لان عمل القلب الى العفو
اقرب فانما يراد فراغ القلب لعبادة الرب ولا يتم العبادة مع كسب الحرام والاكل واطعامه فى العادة
وعند الامن من الافات فالاولى الجمع بينه اى بين التزوج وبين العبادة فانه اكمل الحالات
وافضل الكمالات وهو اى الجمع عند عظم القوة فى الدين كقوة النبوة والولاية فى فوت شوكة همته
وعلت صولة نعمته فلا يشغله شاغل عن ذكر الرب والتوجه الى حضرته كما كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وصحابته وان لم يقدر اى على الجمع بينهما فالنكاح الظاهر لمن يشتغل بالعمل الظاهر اولى ومنهم ارباب لصاحب صح
العبادة والعزوبة لصاحب الباطن اى عمله ومنهم اصحاب المعرفة اقوى كالمسيح عليه السلام وتخصيصه
كما قاله حجة الاسلام ان نبينا عليه الصلاة والسلام مع تمتعه بالنبوة كان متخليا للعبادة ومتخليا
بتجلى الحضرة فكان قضاء الوطر بالنكاح فى حقه عليه السلام غير مانع له عن الدوام كما لا يكون قضاء الحاجة

رابحة فى حق العوام من المشغولين بتدبيرات الدنيا فعامتهم تدبيرهم حتى انهم يشتغلون فى الطاعة
بتفاصيل حوائجهم وقلوبهم مستغرقة بهم غير غافلة عن مهماتهم وكان عليه السلام لعلو حاله من الدرجة حاجتهم
فى المقام لا يمنعه امر هذا العالم عن حضور القلب مع الرب وكان ينزل عليه الوحى وهو فى فراش امرأته
ومتى يسلم مثل هذا المنصب لغيره فى حالته فلا ينبغى ان يقاس عليه من سبقه اليه ولا عيسى عليه
السلام فانه اخذ بالحزم فى طاعته لا بالقوة فى حالته ولعل حالته كانت حالة يؤثر فيها الاشتغال
بالاهل والعيال او يتعذر فيهم طلب الحلال او لا يتيسر له الجمع بين النكاح والتخلى للعبادة على وجه
الكمال فاثر التخلى للعبادة فى عموم الاحوال وهم اعلم باسرار احوالهم واحكام اعصارهم فى مطالب انوارهم
فينبغى ان مما اى من المطالب دنيا اراد ثم الاصل اى الذى عليه مدار العمل فى النكاح والعزوبة ونحوهما ترك الشاغل
عنه تعالى فقد قال عز وعلا يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله ومن يفعل
ذلك فاولئك هم الخاسرون فينظر اى يتفكر ويتأمل ويختار ما هو الاولى من النكاح وتركه بحسب الباطن اى
صفائه وصلاح القلب اى صيانته وتجتهد المتخلى اى المتجرد للعبادة باشتياء العزوبة فى ترك اعتزابه جمع غداء وهو ما يتغذى به من غداء وعشاء
بكسر الشهوة اى تقويتها من هريسة ونحوها وقطعها بالصوم الدائم فانه لها وجاء اى دواء كما تقدم
واصل الوجاء رض الخصيتين ولا تنقص اى بان تنقص وعشاء او فطار على التوسط فى الاكل وغض
البصر عن المحرمات وهو بان غض البصر يحصل على وجه الكمال وان ينفعه فى جميع الاحوال ورد وقل للمؤمنين
يغضوا من ابصارهم تمامه ويحفظوا فروجهم وفى عطف الجملة الثانية اشارة الى ان مدارها على الاولى
فى المحافظة وجعل عليه السلام لكل عضو زنا فعن ابن مسعود العينان تزنيان واليدان تزنيان
والرجلان تزنيان والفرج يزنى احمد والطبرانى هذا اى خذ هذا او مضى هذا والنظر يهيج الوسواس
اى يجتنبه ويحرك الهواجس وربما تعلق القلب بالمنظور اليه ويتعذر الوصول بما لديه فيفضى ذلك
التعلق الى التعب الشديد بما يسوق القلب من التعلق بالمطلب ويمنعه بالكلية عن ذكر الرب فعن عيسى
عليه السلام انه قال اياكم والنظرة فانها تزرع فى القلب الشهوة وكفى بها لصاحبها فتنة ولقد احسن القائل بل
من اهل الفضائل حيث قال شعر وانت اذا ارسلت طرفك رائدا اى قاصدا • لقلبك يوما اتعبتك المناظر
رايت الذى لا كله انت قادر • عليه ولا عن بعضه انت صابر • وايضا كل عضو يصلح لنعمة اخروية فالرجل
للمشى فى رياض الجنة وقصورها واليد لكاس الشراب من طهورها وتناول ثمارها وصورها فالعين للقاء نه
بتحقيق ان نزدان اى تحفظ عما ليس فى رضائه ولله در القائل وكيف ترى ليلى بعين ترى بها •
سواها وما طهرتها بالمدامع • وتلتذ منها بالكلام وقد جرى • حديث سواها فى خروق المسامع
ثم الصواب اى الطريق العدل للمتخلى فى الكف اى كف النظر وامتناع البصر ان قدر على ذلك وان
فاتنى اى الغار عما لا بد لكن لا اثم ان قعد التعمد فى النظر فورد اى انه عليه السلام قال لعلى لك الاولى
وعليك الثانية اى لك النظرة الاولى مباحة من غير قصد وعليك ضرر الثانية اذا كانت عن قصد والضرر
اى ضرر النظر فى الامرد اشد اى اقوى من المرأة لامتناع الوصول فى الشرع وزيادة القبح فى العرف

والفرج ويراعي المتزوج ان عند الزواج اي الجماع وهو في كل اربع من الايام والليالي كما
سياتي فان الافراط يغمر العقل اي يغلبه بحرف الهمة اي تمامها الى التمتع بالشهوة ونظامها وتحرم
عن المقصود الذي هو القيام بالعبادة ويفضي الى تناول الاشيا المقوية للشهوة من المعاجين
والادوية المركبة والمفردة وهو اي تناولها كتشبيه السبع الضاري اي الصائل على غيره والاراذ في
البعد عنه او القرب اليه مع نومه والعشق اي ويفضي اليه وهو المعشوق للمرعنه بفرط المحبة يجعله
اضل من الانعام حيث لا يفرق بين الحلال والحرام وربما يصير مجنونا هائما بين الانام وانما قال اضل
منها لانها ترضى بقضاء شهوتها في اي محل كان من تمنيها وهذا الضيق عقله لا يرضى الا في
غير محله ويحصر موضع وقوعه وان يميل ابدا الى عرضه ويبلغ عطف على يراعي اي ويوصل الخطبة بالكسر
اي الرسالة باظهار الرغبة لكن لا في حال عدة المراة ولا في حال سبق غيره بالخطبة اذ نهي عن الخطبة
على الخطبة متفق الصحيحين من حديث ابن عمر لا يخطب على خطبة اخيه حتى يترك الخاطب قبله او ياذن
له وان كان تزويجها للولي بان كانت صغيرة وينظرها اي يرى وجه المخطوبة قبله اي قبل العقد تقريبا
للالفة فيستحب النظر اليها فانه احرى ان يولف بينهما متفق الجزاء اذا وقع الله في نفس احدكم من امراة
فلينظر اليها ابن ماجه بسند ضعيف من حديث محمد بن مسلمة وللترمذي وحسنه والنسائي وابن ماجه
من حديث المغيرة بن شعبة انه خطب امراة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انظر اليها فانه احرى ان
يودم بينكما وفي حديث ابي هريرة ان في اعين الانصار شيئا فاذا اراد احدكم ان يتزوج منهن فلينظر — صحيح مسلم من / صح
اليهن قيل كان في اعينهن عمش وقيل صفرا وصغر وكان من الورعين من لا ينكح كريمته الا بعد النظر
احترازا من الغرور وعملا بالخبر وقال الاعمش كل تزويج يقع على غير نظر فاخره هم وغم ولعل وجه الاكتفا
بالنظر ان الغالب اجتماع حسن الخلق والخلق لان الظاهر عنوان الباطن وللنسائي من حديث
ابي هريرة بسند صحيح خير نسائكم التي اذا نظر اليها زوجها سرته واذا امرها اطاعته واذا غاب عنها
حفظته في نفسه وماله وفي رواية ولا تخالفه في نفسها ولا مالها ويعقد في المسجد مع احضار جمع من
اهل الصلاح في المشهد فورد اجعلوه اي عقد النكاح في المساجد رواه ابن ماجه عن عايشة مرفوعا
بسند حسن وابن حبان من حديث عمرو بن امية الضمري بلفظ اعلنوا النكاح واجعلوه في المساجد
واضربوا عليه بالدف وفي شوال قد يتبادر قوله في شوال انه عطف على في المساجد فيكون المراد وارد
وليس كذلك بل هو عطف على في المسجد اي ويعقد في شوال ردا على من كره العقد بين العيدين فقيه
ان في شوال كان نكاح عايشة رضي الله عنها اي عقدها وزفافها اي وصولها في صحيح مسلم
عن عايشة تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال وبنى بي في شوال ويقدم الخطبة بالضم يعني
المعروفة في السنة وهي الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور انفسنا ومن سيات
اعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك
له واشهد ان محمدا عبده ورسوله يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها

زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا
يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وقولوا
قولا سديدا يصلح لكم اعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما رواه الاربعة
له — والحاكم وابو عوانة عن ابن مسعود ومع التحميد والصلاة اي على النبي عليه السلام في كل من الايجاب والقبول
فيقول المزوج الحمد لله والصلاة على رسول الله زوجتك ابنتي فلانة على صداق كذا فيقول الزوج الحمد لله
والصلاة على رسول الله قبلت نكاحها لنفسي على هذا الصداق ولا يتزوج اي امراة لعزها اي جاهها
ومالها وجمالها فورد تنكح المراة لمالها وجمالها وحسبها ودينها فعليك بذات الدين متفق عليه من حديث
ابي هريرة فغنيه وعيده وهو من نكح المراة لمالها وجمالها حرم مالها وجمالها ومن نكحها لدينها رزقه الله مالها
وجمالها كذا في الاحيا ورواه الطبراني في الاوسط من حديث انس من تزوج امراة لعزها لم يزده الله الا ذلا
ومن تزوجها لمالها لم يزده الله الا فقرا ومن تزوجها لحسبها لم يزده الله الا دناءة ومن تزوج امراة لم يرد بها
الا ان يغض بصره ويحصن فرجه او يصل رحمه بارك الله له فيها وبارك لها فيه رواه ابن حبان في الضعفا
لا تنكح المراة لجمالها فلعل جمالها يرديها ابن ماجه من حديث عبد الله بن عمر بسند ضعيف ويختار
المتدينة لئلا تفسد الدين على زوجها فورد عليك بذات الدين كما تقدم والحسنة الخلق بالضم اي السيرة
فانها احسن من الحسنة الخلق بالفتح وهو الصورة ليحصل الفراغ اي فراغ الخاطر وهذا اصل مهم في
الدين والدنيا بحسب الباطن والظاهر والجميلة اي الحسنة الصورة لكون العفاف فيه اي في هذا النوع اكثر والتاثير
فيه اظهر وقد اخرج الحكيم الترمذي في نوادره ان زكريا عليه السلام تزوج فتاة جميلة رابعة قد اشرق
لها البيت فقيل له في ذلك فقال اكف بها بصري واحفظ بها فرجي والممنوع على ما تقدم هو الاكتفا بالجمال
مع قطع النظر عن صلاح الدين والكمال الا ان يكون التشاور من قوله ويختار الجميلة من اهلها اي عن راغب
في لذات الدنيا فيعبر من عنده ان نعمة الدنيا بل اكبر لهواتها واعظم شهواتها ولانه يتكلف مونة غير الجميلة
واني ذلك وكان مالك بن دينار يقول يترك احدكم ان يتزوج يتيمة فيوجر فيها ان اطعمها وكساها
وتكون خفيفة المونة ترضى باليسير ويتزوج بنت فلان وفلان يعني ابنا الدنيا فتشتهي عليه الشهوات
بهد — تقول اكسني كذا وكذا وقال ابو سليمان الداراني الزهد في كل شي حتى في المراة يتزوج الرجل العجوز ايثارا للزهد
في الدنيا وقد حث احمد بن حنبل عوراء على اختها وكانت اختها جميلة فسال من اعقلهما فقيل العوراء فقال زوجوني
اياها وقليلة المهر فورد خير النساء ارخصهن مهورا ابن حبان من حديث ابن عباس ومن يعظم بركتها اي بركتها
صداقا يمن المراة خفة مهرها ويسر نكاحها ابن حبان من حديث عايشة من يمن المراة تسهيل امرها وقلة صداقها
اي مهرها وقد جعل صداق فاطمة اربعمائة درهم وهي افضل النسا من جهة النسب والحسب اجماعا وحسن خلقها
يحتمل الضم والفتح وهو الظاهر لما روى ابو بكر البرقاني ان اعظم النسا بركة اصبحهن وجوها واقلهن مهورا او لفظ
الا ان احسنهن ارخصهن مهورا واحسنهن وجوها ولاحمد والبيهقي ان اعظم النسا بركة ايسرهن صداقا وان
جميلة وفي لفظ لهما من حديث عايشة من يمن المراة ان يتيسر خطبتها وان يتيسر صداقها وان يتيسر رحمها قال عروة

يعني الولادة واسناده جيد وورد انه عليه السلام تزوج بعض نسائه على عشرة دراهم واثاث
بيت وكان رحى يد وجرة ووسادة من ادم حشوها ليف كذا في الاحياء وقال العراقي رواه
ابو داود والطيالسي والبزار من حديث انس تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ام سلمة على متاع
قيمته عشرة دراهم قال البزار ورواه في موضع اخر تزوجها على متاع بيت ورحى قيمتها اربعون
درهما ورواه الطبراني في الاوسط والحاكم من حديث علي لما زوجه فاطمة بعث معها بخميلة ووسادة
ادم حشوها ليف ورحيين وسقاء وجرتين ورواه ابن حبان والحاكم وصحح اسناده ولابن حبان
مختصرا وكان عمر ينهى عن المغالاة ويقول ما تزوج صلى الله عليه وسلم ولا زوج بناته باكثر من اربعمائة
درهم رواه اصحاب السنن الاربعة وصححه الترمذي ولقد تزوج عبد الرحمن بن عوف على وزن نواة
من ذهب ويقومونها بخمسة دراهم واصل الحديث متفق عليه من حديث انس وزوج سعيد بن المسيب
ابنته من عبد الله بن وداعة على درهمين ثم حملها هو اليه ليلا فادخلها من الباب ثم انصرف ثم جاءها
بعد سبعة ايام فسلم عليها والولود لان الولد هو المقصود اي الاعظم من النكاح وهو التناسل كما تقدم
وورد عليكم بالولود ابو داود والنسائي من حديث معقل بن يسار تزوجوا الودود الولود واسناده صحيح
وللبيهقي باسناد صحيح عن سعيد بن يسار مرسلا خير نسائكم الولود الودود ولابن حبان من حديث
بهز بن حكيم سوداء ولود خير من حسناء لا تلد وعن عمر حصير في ناحية البيت خير من امراة لا تلد والبكر تورث
هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك متفق عليه من حديث جابر وقد تكون ثيبا وفيها شدة المحبة الى الحب الاول لما فيه
من عدم الخلطة والكلفة والثيب بعض صفات الزوج الثاني تخالف ما الفته فتكره وتتباين ما كانت تلقى
من ازواجها من معروفها وتميل طبعها الى الاول كما قيل شعرا ما الحب الا للحبيب الاول ولذا قيل المراة
التي تزوجت بمتعدد تكون في الجنة مع الاول وقيل مع الثاني وقيل مع احسنهن خلقا وهو الاظهر
ويستغرب الزوج الثاني لو ذكرت له الزوج الاول ببعض محاسنه كما في العكس والنسيبة الكائنة من اهل الدين
كبنات العلماء والاشراف والصلحاء دون الظلمة والمراد سائر الاغنياء ليسري الصلاح الى الولد فان
الولد سر ابيه قوله اياكم وخضراء الدمن تمامه قيل وما خضراء الدمن قال المراة الحسناء في المنبت السوء الدارقطني
في الافراد من حديث ابي سعيد الخدري فقوله اي الحسناء في منبت السوء من اصل الحديث لا فيه تغيير المصـ
وذكر صاحب تحفة العروس عن عمر موقوفا ولفظه اياكم وخضراء الدمن فانها تلد مثل اصلها وعليكم بذات
الاعراق فانها تلد مثل ابيها وعمها واخيها والدمن جمع دمنة بكسر الدال المهملة وهي البعر شبهت المراة
الحسناء الناشئة بالنبات ينبت على البعر في الموضع الخبيث فان ظاهره حسن وباطنه فاسد والاعراق
جمع عرق والمراد به الاصل وقد ورد تخيروا لنطفكم ابن ماجه من حديث عائشة مختصرا والديلمي في مسند
الفردوس من حديث انس تزوجوا في الحجر الصالح فان العرق دساس ومع الغرابة القريبة فانها تنقص
الشهوة لان ميل النفس غالبا الى الغريبة ولذا تضعف الشهوة بالنسبة الى العتيقة وتقوى عند رؤية
الجديد فضعف الشهوة يستلزم الهزال في الولد وهذا معنى قوله رضي الله عنه معللا بان الولد يخلق مهزولا

مهزولا من غير انه قال الحاكم السائب قد اضويتم فانكحوا في النزائع رواه ابراهيم الحربي في غريب الحديث
وقال معناه تزوجوا الغرائب ويقال اغتربوا لا تضووا وللطبراني عن طلحة بن عبيد الله الناكح في قومه كالمعشب
في داره وفي اسناده سليمان بن ايوب بن سليمان الطلحي قال ابن عدي عامة احاديثه لا يتابع عليه
احد ورواه يعقوب بن شيبة في مسنده وقال احاديثه عندي صحاح وخرجها الضياء المقدسي في المختارة
وكان يجتنب ستا الطويلة المهزولة والقصيرة الذميمة بالمهملة اي القبيحة وبالمعجمة اي المذمومة والمسنة اي العجوز
الكبيرة والمكثار اي الكثيرة الكلام وذات ولد اي من غيره ففي مسند الامام ابي حنيفة عن حماد عن ابراهيم
قال اخبرني شيخ من اهل المدينة عن زيد بن ثابت انه جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له هل تزوجت يا زيد
قال لا قال تزوج تستعف مع عفتك ولا تتزوجن خمسا قال ما هن قال لا تتزوجن شهبرة ولا لهبرة ولا نهبرة ولا هيدرة
ولا لفوتا قال زيد يا رسول الله لا اعرف شيئا مما قلت قال بلى اما الشهبرة فالزرقاء البذية واما اللهبرة
فالقصيرة الذميمة واما النهبرة فالطويلة المهزولة واما الهيدرة فالعجوز المدبرة واما اللفوت فذات الولد
من غيرك قال الشيباني حكى ابو حنيفة من هذا الحديث طرفا قلت الحديث رواه الديلمي عن ابي هريرة
وقال بعض العرب لا تنكحوا من النساء ستة انانة ولا منانة ولا حنانة ولا براقة ولا حداقة ولا شداقة
قال فالانانة التي تكثر الانين والمنانة التي تمن على زوجها تقول فعلت لاجلك كذا والحنانة التي تحن الى زوج اخر
او الى ولدها من زوج اخر والحداقة التي ترمي كل شيء بحدقتها فتشتهيه وتكلف الزوج بشرائه ما لا طاقة
له فيه والبراقة التي تكون طول نهارها في تصقيل وجهها وتزيين بدنها والشداقة المتشدقة الكثيرة
الكلام ويحكى ان السائح الازدي لقي الياس عليه السلام في سياحته فامره بالتزوج ونهاه عن
التبتل وقال لا تنكح اربعا المختلعة والمبارية والعاهرة والناشزة فالمختلعة التي تطلب الخلع كل ساعة من
غير سبب والمبارية المباهية بغيرها بالفاخرة بالدنيا والعاهرة الفاسقة والناشزة المرتفعة
بنفسها على زوجها والمتعالية في امرها ودينها ثم رعاية تلك الاوصاف في الزوج اولى فان النكاح
هو لمن له الساق فلو تروح في بصرة اتقى كما اخرج وعن عائشة واسماء ابنتي الصديق النكاح رق فلينظر
احدكم اين يضع كريمته قال البيهقي روي مرفوعا والموقوف اصح وورد من زوج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها
ابن حبان في الضعفاء من حديث انس ورواه الثقات من قول الشعبي باسناد صحيح وروي ان بلالا وصهيبا
اتيا اهل بيت من العرب فخطبا اليهم فقيل لهما من انتما فقال بلال انا بلال وهذا اخي صهيب كنا ضالين
فهدانا الله وكنا مملوكين فاعتقنا الله وكنا عائلين فاغنانا الله فان تزوجونا فالحمد لله وان تردونا
فسبحان الله فقالوا بل تزوجان والحمد لله فقال صهيب لبلال لو ذكرت مشاهدنا وسوابقنا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال اسكت فقد صدقت فانكحك الصدق وكما يكره المغالاة في المهر من جهة المراة
يكره سؤال الرجل الغنى عن مالها قال الثوري اذا تزوج الرجل وقال اي شيء للمراة فاعلم انه لص وقال
رجل للحسن قد خطب ابنتي جماعة فمن ازوجها قال ممن يتقي الله فانه ان احبها اكرمها وان ابغضها
لم يظلمها وعن علي شر خصال الرجال البخل والزهو والجبن فان المراة اذا كانت بخيلة حفظت مالها

وان تصبر صح
قال صح

وما ازوجتي واذا كانت مزهوة السكتت ان تكلم كل احد بكلام لين مريب في صغرها وان
كانت جبانة فرقت من كل شي فلم تخرج من بيتها مثل واذا كانت المرأة حسنا جمع الحسن الخلق
سوداء الحدقة والشعر كبيرة العين بيضاء اللون محبة لزوجها قاصرة الطرف عليه فهي على صورة
الحور العين فان الله عز وجل وصف نساء الجنة بهذه الصفات بقوله خيرات حسان اراد بالخيرات حسن
الخلق وفي قوله قاصرات الطرف وفي قوله عربا اترابا فالعروب هي العاشقة لزوجها المشتهية
الوقاع وبه تكمل اللذة والحور البيض والحوراء شديدة بياض العين شديدة سوادها في سواد الشعر
والعيناء الواسعة العين هذا وفي الحديث لا تتزوجن عجوزا ولا عاقرا فاني مكاثر بكم الامم الطبراني
والحاكم عن عياض بن غنم وللترمذي عليكم بشواب النساء فانهن اطيب افواها وانتق بطونا اي
ارحاما واسخن اقبالا ويتهادى اي كل منهما صاحبه قبل التزوج او الرجل فانه اولى ان يكون في هذا
الفعل هو البادي فورد تهادوا تحابوا البخاري في كتاب الادب المفرد والبيهقي من حديث ابي هريرة
بسند جيد واذا اهدى شيئا فلا ينبغي ان يهدي ليضطرهم الى المقابلة باكثر منه وكذا اذا اهدوا اليه فينبغي
طلب الزيادة في ... كما يشير اليه قوله تعالى ولا تمنن تستكثر اي لا تعط لطلب الكثرة ويولم اي
يصنع الوليمة وهي طعام العرس للمرأة الكريمة لحضور رباعية عليه السلام قولا وهو قوله عليه السلام لابن
عوف اولم ولو بشاة كما رواه الجماعة عن النبي عليه السلام عن ابن عوف وفعلا ففي البخاري من حديث
عايشة اولم على بعض نسائه بمدين من شعير وفي السنن ان ربعة من حديث انس اولم على صفية
بسويق وتمر ولمسلم فجعل الرجل يجي بفضل التمر وفضل السويق وفي الصحيحين التمر والاقط والسمن
ويجعلها اي الوليمة في اليوم الاول وهي سنة اي موكدة قريبة الى الواجب وفي الثاني معروف اي الخيار به وفي الثالثة
رياء اي وسمعة لما به في ابن مسعود مرفوعا طعام اول يوم حق وطعام الثاني سنة وطعام الثالث
سمعة الترمذي والمعنى اذا احدث الله تعالى نعمة لعبد حق له ان يحدث شكرا واستحب ذلك في الثاني جبرا
لما يقع فيه من النقصان في اليوم فان السنة مكملة للواجب واما اليوم الثالث فليس الا رياء وسمعة
ومن هنا قالوا تجب الاجابة على المدعو في الاول وتستحب في الثاني وتحرم في الثالث ثم يستحب
التهنئة له بان يقول بارك الله لك وعليك وجمع بينكما في خير كما رواه ابو داود والترمذي وصححه وابن
ماجه عن ابي هريرة ولا يخطب على خطبة اخيه وقد تقدم ما ورد من نهيه عليه السلام عنه ابدا اي
للمؤمن وهو حرام وقال تعالى والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما
مبينا وورد من اذى مسلما فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى الله الطبراني في الاوسط عن انس ويعلن
اي خطبة النكاح فان الخطبة يستحب اسرارها وورد اعلنوا النكاح تمامه واجعلوه في المساجد واضربوا
عليه بالدف الترمذي من حديث عايشة وحسنه وفي صحيح البخاري عن الربيع بنت معوذ جاء رسول الله صلى
الله عليه وسلم فدخل علي غداة بني بي فجلس على فراشي وجويريات لنا يضربن بدفوفهن ويندبن من
قتل من ابائي الى ان قالت احداهن وفينا نبي يعلم ما في غد فقال لها اسكتي عن هذا وقولي ما كنت تقولين

تقولين قبلها وللترمذي وحسنه والنسائي وابن ماجه من حديث محمد بن حاطب فصل ما بين الحلال
والحرام الدف والصوت اي فرق ما بينهما بحسب الظواهر عند العامة فان العقد بحضرة الشهود وغالبا
يكون في السراير مع اخفائه وقال البيهقي المراد بالدف فان جاء جاء له اذ وقع على خلاف العادة فيقتضي
ما موردة اذ لم يكن في وقت زمانه عليه السلام جلاجل واليضة فهي زيادة مستغنى عنها لحصول المقصود
بدونها وينثر السكر واللوز على راسهما وينتهب القوم فهو سنة فقد اخرج ابو جعفر الطحاوي بسنده
وكذا البيهقي عن معاذ بن جبل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حضر ملاك رجل من الانصار فجاءت
الجواري معهن اطباق عليها اللوز والسكر فامسك القوم ايديهم فقال عليه السلام الا تنتهبون
قالوا انك نهيت عن النهبة قال انما نهيتكم عن نهبى العساكر فاما العرسان فلا قال فرايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاذبهم ويجاذبونه
واحتج به الطحاوي على ان النثار غير مكروه كما ذهب اليه ابو حنيفة وحمل به على الاحاديث التي فيها
النهي عن النهبة ويغسل الزوج رجليها ويرش الماء في زوايا البيت ليدخله البركة ثم اصله اصلا وانما اخرج
احمد في المناقب من حديث ابي بريدة الدمي وقال فارسل النبي الى علي اي بعد عقد فاطمة ان تقرب جص
اتيك لي النبي صلى الله عليه وسلم وقد دعا بماء فقال ما شاء الله ان يقول ثم نضح منه على وجهه ثم دعا فاطمة
فقامت اليه تعثر في ثوبها وربما قال في مرطها من الحيا فنضح عليها ايضا وفي رواية ابن حبان عن
انس انه عليه السلام لما زوج عليا فاطمة دخل البيت فقال لفاطمة ائتيني بماء فقامت الى قعب في البيت
فاتت فيه بماء فاخذه ومج فيه ثم قال لها تقدمي فتقدمت فنضح بين ثدييها وعلى راسها وقال اللهم
اني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ثم قال لها ادبري فادبرت فصب بين كتفيها وقال اللهم
مثل ما قال اولا ثم قال لعلي ائتني بماء فاتى به فنضح بين ثدييه ثم قال اللهم اني اعيذه بك وذريته من الشيطان
الرجيم ثم قال ادبر فادبر فصب بين كتفيه ودعا بما تقدم ثم قال له ادخل باهلك بسم الله والبركة ويتوقى
في المباشرة اي الملامسة تحصين الفرج وكذا العين لقوله سبحانه وقل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم
ويحفظوا فروجهم وتفريغ القلب اي عما يشغله عن ذكر الرب ويسمي في ابتدا الوقوع اي قبيل الجماع
ويقول اللهم جنبني ... ولم احده الا في الحيا من غير بيان الا بشاو يسأله تعالى الذرية الطيبة اقتداء بزكريا
عليه السلام حيث قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء ويجانبه الشيطان فهو ما ورد
في رواية الجماعة عن ابن عباس انه اذا اراد الجماع قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان
ما رزقتنا فانه لو قضي بينهما ولد لم يضره وفي رواية للبخاري لم يضره شيطان ابدا ولابن ابي شيبة
عن ابن مسعود مرفوعا قال واذا فرغ قال اللهم لا تجعل للشيطان فيما رزقتني نصيبا ومن ادابه ان
ينحرف عن القبلة اكراما لها ويغطي راسه ويغطيه بثوب فقد قال عليه السلام اذا جامع احدكم امراته فلا يتجردا
تجرد العيرين ابن ماجه من حديث عتبة بن عبد بسند ضعيف ويقدم المكالمة والملاعبة والقبلة فللديلمي
في مسند الفردوس من حديث انس لا يقعن احدكم على امراته كما تقع البهيمة وليكن بينهما رسول قيل وما
الرسول يا رسول الله قال القبلة والكلام ويجتنب الليلة الاولى من الشهر والاخرة والوسط كذا في نسخة من اوقات

او فات حضور الشيطان ويقال ان الشياطين يحضرون الجماع في هذه الليالي وروي كراهته ذلك
عن علي وعن معاوية وعن ابي هريرة كذا في الاحياء واول الليلة اي وتجنب اول كل ليلة لئلا يكون النوم
على طغيان فانه اولى منه ان يكون نومه على جنابة وان جامع فيها فيستحب ان يغتسل او يتوضا
او يتيمم ثم يرقد متفق حديث عمر قلت للنبي صلى الله عليه وسلم اينام احدنا وهو جنب قال نعم اذا
توضا متفق عليه وعن عائشة كان ينام جنبا لم يمس ماء ابو داود والترمذي وابن ماجه ويلبث بعد
الفراغ اي ويمكث الرجل بعد فراغ منه لتفرغ اي المراة من انزال منيها فان انزالها ربما يتاخر فتهيج
شهوتها ثم القعود عنها يكون ايذاء لها ويباشر كل اربع ليال فهو اعدل اذ السنداك يا باضه الا ر بع
فقد روي ان امراة جاءت الى عمر رضي الله عنه وعنده كعب بن سور فقالت يا امير المؤمنين ان زوجي
يصوم النهار ويقوم الليل وانا اكره ان اشكوه فقال عمر نعم الرجل زوجك فرددت كلامها وعمر يزيدها
على ذلك فقال كعب يا امير المؤمنين انها تشكو زوجها في الهجر فراشها فقال له عمر فكما فهمت امرها
فاحكم بينهما فارسل الى زوجها فجاء فقال لها كعب ما تقولين فقالت شعر، يا ايها القاضي الحكيم رشده،
الهى خليلي عن فراشي مسجده، زهده في مضجعي تعبده، فنهاره وليله ما يرقده، ولست في امر النساء احمده
فقال لزوجها ما تقول فقال شعر، زهدني في فرشها وفي الحجل، اني امرؤ اذهلني ما قد نزل،
في سورة النحل وفي السبع الطول، فقال له كعب شعر، ان لها عليك حقا يا رجل، نصيبها في اربع لمن عقل
فاعطها ذاك ودع عنك العلل، فقال له عمر من اين لك هذا قال ان الله تعالى اباح للحر اربع زوجات فلكل
واحدة يوم وليلة فاعجب ذلك عمر وجعله قاضي البصرة كذا في الشمني شارح النقاية مختصر الوقاية وهو اولى
لكراهته في البداية والنهاية ويزيد لحاجتها وكذا الحاجة فتحصينها واجب وكذا الحصينة بلا وجب
رفع مقام دينه وحال يقينه ويتخذ كل منهما خرقة اي ليطيعهما لازالة الاذى وهو المني لانه نجس عندنا على
القول بطهارته كما هو مذهب الشافعي فلا يخلو عن كراهة الطبيعة مع ان الخروج عن الخلاف مستحب
باجماع علماء الشريعة ويتفاحج اي يعتدل اي ويتعهد معها ولا يجتنب عن ان يتافقها روا كما
ويقال انه مخالفة للمجوس واهل العلم من الروافض المجوس ولا ياتيها جانب الدبر فهو في نسخة
في اللواطة الصغرى ولو جانب لفظ الجانب لكان احسن في تعيين المراتب فانه تعالى قال نساؤكم حرث
لكم فاتوا حرثكم انى شئتم اي مقبلات ومدبرات ومستلقيات والذي يذكر عن ابن عباس وقال حسن
صحيح ان عمر جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هلكت قال وما الذي اهلكك قال حولت
رحلي البارحة فلم يرد عليه بشيء واوحى اليه نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شئتم يقول اقبل وادبر واتق
الدبر والحيضة كذا في المعالم وفي الصحيحين ان قوله نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شئتم نزلت رد اليهود
كانت تقول في الذي ياتي المراة في دبرها في قبلها ان يكون احول ثم المراد بالحرث موضع الزراعة ومنبت
الولد والدبر فهو محل الروث والفرث وانما قال اللواطة الصغرى فان الكبرى انما هي مع الرجال ولا خلاف
بين السلف والخلف ان من اتى المراة والجارية في دبرها ملعون فاعله ونفي مالك حرمته فما نقل عنه افترا

افترا ليس فيه امر كيف وقد يثبت الحائض حرام لكونه اذى واذى الدبر اشد واقوى وقد ورد
عن احمد في المسند وابي داود عن ابي هريرة مرفوعا ملعون من اتى المراة في دبرها وفي رواية لاحمد
واصحاب السنن الاربعة عنه ايضا من اتى كاهنا فصدقه بما يقول او اتى امراة حائضا او اتى امراة
في دبرها فقد برئ مما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم ولا يداوم على ترك الوطء فهو يضعف القوة اي على
قواعد اهل الحكمة ولعل هذا بالنسبة الى كثير الشهوة ولا يباشر بعد مباشرة الا ان يغسل نفسه
اي ذكره او يبول فانه ينقطع ان المني فاذا خرج بعد الماشي يكون مؤذيا ولا يعزل والعزل ان اتيا مر
الحرة في العزل دون اذنه وكره جماعة العزل مطلقا ورد فيه قوله عليه السلام هو الواد الخفي كما
في مسلم من حديث جذامة بنت وهب فانه العقل الحكمي فهو اي العزل كالجلوس في المسجد بلا عبادة لانه
طاعة في موضع فيه اكثر فالاستعادة والا فانه بمنزلة من حج اي في كل سنة وكذا ابن طواف في كل يوم
وليلة فالمراد بالكراهة ترك الاولى والفضيلة ويفارق العزل الواد الخفي بان الثاني جناية على موجود
او مشهود ولذا قال علي كرم الله وجهه لا تكون موؤدة الا بعد سبعة اطوار وتلا الآية الواردة في اطوار
الخلقة وهي قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين الى
قوله تعالى ثم انشاناه خلقا اخر اي نفخنا فيه الروح ولا باس اي بالعزل ان نوى استبقاء الملك
في الجارية بترك الاعتاق اذ قطع اسبابه ليس لمنهي عنه والحسن والسمانة للتمتع اي واستبقاء جمال
المراة وسمنها لدوام التمتع بها والحياة اي واستبقاء الحياة بالتحرز عن المخاض وهو وجع الطلوس
حال الطلق وهذا ايضا ليس منهيا عنه والخوف اي وان نوى المخافة من الافضاء الى كسب الحرام بسبب
كثرة الاولاد وما يترتب عليه من كثرة الحرج في البال ودوام دخول مداخل السوء ومحافل الفساد ومشا ركة
اهل الفساد ومباعدة الزهاد والعباد وهذا ايضا ليس بمنهي عنه فقد كانوا اي الصحابة يعزلون وما
نهوا عنه ففي الصحيحين عن جابر كنا نعزل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والقران ينزل زاد
مسلم فبلغ ذلك نبي الله فلم ينهنا وفي رواية لمسلم من حديث ابي سعيد انهم سالوه عن العزل فقال
لا عليكم ان لا تفعلوا ورواه النسائي من حديث ابي صرمة وفي صحيح مسلم عن جابر ان رجلا اتى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال ان لي جارية هي خادمنا وسانيتنا في النخل وانا اطوف عليها واكره ان تحمل
فقال اعزل عنها ان شئت فانه سياتيها ما قدر لها فلبث الرجل ثم اتاه فقال ان الجارية قد حبلت
فقال قد اخبرتكم انه سياتيها ما قدر لها وفي الصحيحين من حديث ابي سعيد ما من نسمة قدر كونها
الا وهي كائنة وان كان فيه اي في العزل نوع من الافضاء الى كسب الحرام ترك الفضيلة وهو التوكل
والضمان بثقة الله عز وجل حيث قال وما من دابة في الارض الا على الله رزقها فهو دون ترك النكاح
مخافة العيلة فليس منا اي من اهل ملتنا وقد سبق الكلام عليه ولا ياتيهم ان خاف ولادة البنت لما في تزويجهن
من العوم فهو اي خوفها عادة الجاهلية في قتلهم البنات ووادهن في حال الحياة كما اخبر الله سبحانه
عنهم في الكتاب واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به

يمسكه على هون ام يدسه في التراب واراد به المبالغة في التعاطف بتعززها وكمال تحرزها من الطلاق
والتقاعس عن النكاح وما يتبعهن فيأتهم بالعزل اذ انواعهما تهوان العزل لهذا القصد بدعة انها
عادة الخوارج لمبالغتهم في استعمال المياه حتى كن يقضين صلاة ايام الحيض ولا يدخل الخلا
الا عراة فهذه بدعة تخالف السنة نص عليه فاسد وقد استأذنت واحدة منهن على عائشة لما
قدمت البصرة فلم تأذن لها ويفرح بالمولود فانه المقصود في ميدان الوجود وديوان الشهود
فورد انه نور اي للعين في الدنيا وسرور اي للقلب في الاخرة اي عند شفاعته في العقبى ولم
احتمله امل وقد يكل الولد اذا عاش نفع واذا مات شفع وقد ورد الولد ثمر القلب ومجبنة مبخلة
محزنة ابو يعلى الموصلي عن ابي سعيد وفي رواية الحكيم عن خولة بنت حكيم الترمذي الولد من ريحان الجنة
وفي الجملة هو هبة من الله كما يشير اليه قوله سبحانه يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور ولا
يغتم بالبنت لان الصلاح مستور وقد يكون الابن ما كان البنت نخلة وقد يكون الامر
بالعكس او يراد بالنفع الصلاح والنجاح وهو ايضا مبهم كما يشير اليه قوله تعالى اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ن
ايهم اقرب لكم نفعا ويزداد فرحا اي يكون وقت البنت بالتكلف فيه بان يظهر انه مخالف لطبع الجاهلية
حيث قال تعالى واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم وورد من خرج الى سوق من اسواق
المسلمين فاشترى شيئا فحمله الى بيته فخص به الاناث دون الذكور نظر الله اليه ومن نظر الله اليه
لم يعذبه الخرائطي بسند ضعيف وفي رواية له فليبدأ بالاناث قبل الذكور وورد بركة المرأة تبكيرها اي
اول ولدها بالبنات الديلمي عن عائشة رواته كلهم مرفوعا بلفظ من بركة المرأة تبكيرها بالاناث ث
وحكاه ابن عطية عن الثعلبي موقوفا على واثلة بلفظه من يمن المرأة تبكيرها بالانثى قبل الذكر
لان الله تعالى بدأ بالاناث يعني في قوله تعالى يهب لمن يشاء اناثا وعن ابن عباس ان رجلا جاء
على بناته بالموت فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان البركة في الاناث ذكره السخاوي من ابتلي
من هذه البنات بشيء اي قليلا او كثيرا فاحسن اليهن بالتربية كن له سترا من النار اي
حجابا احمد والشيخان والترمذي عن عائشة بلفظ من ابتلي بشيء من هذه البنات الحديث وعن ابن عباس س
ما من مسلم تدرك له ابنتان فيحسن اليهما ما صحبتاه الا ادخلتاه الجنة ابن ماجه والحاكم وقال صحيح الاسناد يدركه
وعن النبي من كان له ابنتان او اختان فاحسن اليهما ما صحبتاه كنت انا وهو في الجنة كهاتين الخرائطي
في مكارم الاخلاق بسند ضعيف ورواه الترمذي بلفظ من عال جاريتين وقال حديث حسن
غريب وعن ابن مسعود من كانت له ابنة فادبها فاحسن ادبها وغذاها فاحسن غذاءها واسبغ
عليها من النعم التي اسبغ الله عليه كانت له ميمنة وميسرة من النار الى الجنة الطبراني في الكبير والخرائطي في
مكارم الاخلاق وعن ابي هريرة من كانت له ثلاث بنات واخوات وصبر على لأوائهن وضرائهن بطن
ادخله الله الجنة بفضل رحمته اياهن فقال رجل واثنتان يا رسول الله قال واثنتان فقال رجل او
واحدة فقال او واحدة الخرائطي واللفظ له والحاكم لم يقل او اخوات وقال صحيح الاسناد ويؤذن في

اذنه اليمنى اي في اول ما يولد ليكون اول ما يقرع سمعه ذكر الله عز وجل ودعوة الداعي الى طاعته
وعبادته ويقيم في اليسرى تبركا فيكون سببا لحضوره في المسجد واداء الصلاة بجماعة وعن ابي رافع رأيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذن في اذن الحسين حين ولدته فاطمة احمد واللفظ له وابو داود والترمذي
وصححه الا انهما قالا الحسن مكبرا فورد فيه اي فيما ذكر من الاذان والاقامة او في جمعهما دفعت عنه ام
الصبيان فانها من جنس الشيطان وهم يهربون عن الاذان لكمال العدوان وعن الحسين بن علي
من ولد له مولود فاذن في اذنه اليمنى واقام في اذنه اليسرى كما دفعت عنه ام الصبيان ابو يعلى الموصلي وابن
السني في اليوم والليلة والبيهقي في شعب الايمان ويقطع سرته ويميط الاذى اي يزيله وهو الى م
الدم ونحوه عن بدنه لما سيأتي وترضعه الام اي ولو مرة فانه اولى تربية تحقق باشفق الناس
وارحمهما ويصدق على امه ما قال تعالى حملته امه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا او تخرج
عن عهدة ظاهر الامر في قوله سبحانه والوالدات يرضعن اولادهن الاية ومولد فهو سنة لم اجد لها
اصلا ولا يسام اي لا يحمل الام وفي نسخة ولا يسأم بصيغة المعلوم للمؤنث او المجهول للمذكر اي
ولا يتبرم ولا يتضجر احد ببكائه فهو ذكر كما جاء عن ابن عمر مرفوعا بكاء الصبي الى شهرين شهادة
ان لا اله الا الله والى اربعة اشهر الشفعة بالله والى ثمانية اشهر الصلاة على النبي عليه السلام والى سنتين
استغفار لوالديه اخرجه الديلمي بسند ضعيف وفي لفظ لغيره بكاء الصبي في المهد اربعة اشهر توحيد واربعة
اشهر صلاة على نبيكم واربعة اشهر استغفار لوالديه ذكره السخاوي في القول البديع ويجب الختان في
اليوم السابع فانه مهما كان صغيرا يبقى القطع يسيرا وقد روى الطبراني في الصغير حديث جابر بسند ضعيف
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عق عن الحسن والحسين وختنهما لسبعة ايام ورواه الحاكم وصحح
اسناده والبيهقي من حديث عائشة ومن لم يوضع عنه اي حتى يصير كبيرا مخالفة لليهود فانهم يختنون
في هذا الامر وحتى يأمن من الخطر اي خطر المولود عن الموت فان الخطر في حال الصغر اكثر وكان اكثر
ووقته اي وقت نهايته ما جزم سبع سنين او عشر سنين او ما يطاق الم فيه وقد اختتن ابراهيم
عليه السلام وهو ابن ثمانين وذلك لانه امر حينئذ فهو اول من اختتن ويترك المولود شبيها بالمختون ويختن
الانثى اي البنت فورد انه مكرمة اي سبب كرامة عند ازواجهن عن ابن عباس الختان سنة
للرجال ومكرمة للنساء الطبراني وهو اي ختان الانثى يبغض الوجه اي يحسنه ويفتر الشهوة اي
يسكنها ويلذ الوقاع اي الجماع ويحبب الى الزوج وهو سبب محبة الزوج ولا يبالغ بصيغة المجهول
فيه اي في الختان او في ختان الانثى بالخصوص ويحسن الاسم اي اسمه ولقبه فانه من جملة حقوقه على والده
فورد حسنوا اسماءكم اي لانكم ابو داود من حديث ابي الدرداء قال النووي باسناد جيد وقال البيهقي انه
مرسل ولفظه انكم تدعون يوم القيامة باسمائكم واسماء ابائكم فاحسنوا اسماءكم وورد حق الولد على والده
ان يحسن اسمه ويزوجه اذا ادرك ويعلمه الكتاب ابو نعيم والديلمي عن ابي هريرة وفي رواية والسباحة
والرماية والتعبيد اي اضافة العبد الى الرب احب اي افضل فورد اذا سميتم اي اردتم ان تسموا ولدكم

الاسماء

فتعبدوا الطبراني من حديث عبد الملك بن زهير عن ابيه واحب الاسماء الى الله عبد الله وعبد الرحمن
مسلم من حديث ابن عمر ولا يجمع بين اسمه عليه السلام وكنيته فهو اي الجمع بينهما منهي عنه لحديث
سموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي متفق عليه من حديث جابر وفي لفظ تسموا فعلل النهي عن التكنية وحاصله
وكان هذا المنع في عصره اذ كان ينادي يا ابا القاسم فلا باس بعده ثم لا يجمع بين اسمه وكنيته
لما رواه احمد وابن حبان من حديث ابي هريرة ولابي داود والترمذي وحسنه وابن حبان من حديث
جابر من تسمى باسمي فلا يكتنى بكنيتي ومن تكنى بكنيتي فلا يتسمى باسمي وقيل كان ذلك اي النهي عن
الجمع بينهما في عصره عليه السلام اي في زمانه لعلة الالتباس واما اليوم فلا ويبدل الاسم
بالحسن اي يغيره منه الى اسم الحسن فبدل عليه السلام اسم العاص بعبد الله وبرة بزينب
المولود بزينب وقال باستفهام مقدر انكار للها تزكي نفسيهما فان برة مبالغة بار [illegible]
البر بالكسر رواه الشيخان عن ابي هريرة نحوه ونهى عليه السلام عن افلح اي عن التسمية بافلح
ونافع وبركة رواه مسلم من حديث سمرة بن جندب الا انه جعل مكان بركة رباحا تحاميا عن
سماع قبيح اي يقال اليس في الدار بركة يعني او نافع او افلح او مثال ذلك ويسمي السقط ان تم خلق صورته
اي منه الاعضاء وان لم ينفخ فيه الروح فيسمي باسم يصلح للذكر والانثى بان يكون في الجنس نحو حمزة وطلحة
عن عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية قال بلغني ان السقط يوم القيامة وتراه الدنيا يقول انت
ضيعتني انت تركتني لا اسم لي فقال عمر بن عبد العزيز كيف وقد لا يدرى انه غلام او جارية
فقال عبد الرحمن من الاسماء ما يجمعهما كحمزة وعمارة وطلحة وعتبة وعنبسة ولا يكنى بابي عيسى لانه
لا اب له اي لعيسى عليه السلام وقد نهى عنه اي عن التكني المذكور لما يوهم من خلاف المرام في سمع العوام
نعم ان حبا سمي رجل ابا عيسى فقال عليه السلام ان عيسى لا اب له فكره ذلك انتهى ولم يتعرض له
مخرجه ويعق عن الابن بشاتين وعن البنت بشاة ولا باس بالشاة ذكرا كان او انثى
في اليوم السابع منه الولادة فهو مامور به روت عايشة انه عليه السلام امر في الغلام بشاتين
مكافيتين وفي الجارية بشاة الترمذي وصححه وعق عن الحسن بشاة واحدة وهذا رخصة في الاقتصار
على شاة واحدة والحديث رواه الترمذي من حديث علي وقال ليس اسناده بمتصل ووصله الحاكم
وصححه الا انه قال حسين ورواه ابو داود من حديث ابن عباس الا انه قال كبشا والنبي اي من
حديث سلمان بن عامر الضبي مع الغلام عقيقته فاهريقوا عنه دما واميطوا عنه الاذى وعن
عايشة لا يكسر للعقيقة عظم كذا في الاحياء ولعل وجهه تفاؤل بسلامة الاعضاء وقال قتادة اذا
ذبحت العقيقة اخذت صوفة منها فاستقبلت به اوداجها ثم توضع على يافوخ الصبي حتى يسيل
منه مثل الخيط ثم يغسل راسه ويحلق بعده كذا في الاحياء ويحلق راسه في السابع لما سياتي او في
الربيعين كما عليه عمل الاكراد الحرمين ويتصدق على وزن شعره ذهبا او فضة وهو المعروف لما سياتي
فامرت به فاطمة في الحسين في اليوم السابع قال العراقي حديث امر فاطمة يوم سابع حسين ان تحلق

بحلق شعره ويتصدق بزنة شعره فضة الحاكم وصححه من حديث علي وهو عند الترمذي منقطع بلفظ
حسن ورواه احمد من حديث ابي رافع ويحنك بالسكر اي يلطخ ان تيسر او العسل او التمر الممضوغ
في لهاته بفتح اللام اي اقصى حلقه من حنكه ففعله عليه السلام لعبد الله بن الزبير حين جاءت
به امه اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنهم ففي الصحيحين عن اسماء ولدت عبد الله بن الزبير بقبا
ثم اتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه في حجره ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل في فيه فكان
اول شيء دخل في جوفه ريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم حنكه بتمرة ثم دعا له وبرك عليه وكان
اول مولود ولد في الاسلام ففرحوا به فرحا شديدا لانهم قيل لهم ان اليهود قد سحرتكم فلا يولد
لكم ويتبعه حقوق الولد ذكرت في باب الصحبة

الباب السابع في الكسب والورع

اي المترتب عليه مقطع الطمع وبعض الاكساب قوام الدنيا والدين العلم والكسب فمن رفضهما فقد
ابتغى الزهد لان العلم التوكل لا الكسب وقع في الجهل والطمع كذا في ربيع الابرار للزمخشري
بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين في كل امر كريم قال تعالى وجعلنا النهار معاشا
وابتغوا من فضل الله اي رزقه وانفقوا من طيبات ما كسبتم الاية وورد من طلب الدنيا حلالا
اي حال كون المطلوب حلالا تعففا عن المسالة اي لاجل عفة نفسه عن سؤال المخلوق مثله وسعيا
على عياله من زوجته واطفاله وتعطفا اي ترحما وتلطفا على جاره من الفقراء في تحسين حاله
وقرينه بالاه لقي الله يوم القيامة في ماله ووجهه كالقمر ليلة البدر من حسن جماله وكمال امثاله
ومن طلب الدنيا مفاخرا اي حال كونه متفاخرا بالتحصيل مكاثرا على اقرانه وامثاله لقي الله عليه
وهو غضبان والله المستعان والحديث رواه ابو الشيخ في كتاب الثواب وابو نعيم في الحلية والبيهقي
في شعب الايمان من حديث ابي هريرة ومن الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهم في طلب المعيشة الطبراني
في الاوسط وابو نعيم في الحلية وعن لقمان الحكيم لابنه استغن بالكسب الحلال عن الفقر فانه
ما افتقر احد قط الا اصابه ثلاث خصال رقة في دينه وضعف في عقله وذهاب لمروته واعظم من هذه
الثلاث استخفاف الناس به وكان عمر يقول لا يقعد احدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني
فقد علمتم ان السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة وكان زيد بن سلمة يغرس في ارضه فقال عمر اصبت
استغن عن الناس يكن اصون لدينك واكرم لوجهك كيف قال احيحة شعر
فلن ازال على الزوراء اعمرها ، ان الكريم على الاخوان ذو المال ، فالكسب سنة الانبياء منهم داود
لقوله عليه السلام وعلمناه صنعة لبوس لكم واول من زرع ادم عليه السلام واول من نجر نوح عليه
السلام ويقال اول من خاط ادريس عليه السلام ومن الاولياء ومنهم اكثر الصحابة رضي الله عنهم اي في الكسب
سنن الحال اي ما فيه من العلم والاعمال فيكون منه الا تقيا الا صفيا ومن قال عز وجل فيهم رجال
لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله الاية وهو اي الكسب اولى لطالب العمل اي للمشتغل
بال عمل الطاعة من التلاوة والعبادة فالكسب في حقه احرى من الاخذ بالسؤال وبغيره كالطمع

في اموال الرجال فالفارغ منه الكسب لتحصيل الحلال سائل بلسان الحال الا ان لم يكن سائلا ببيان
المقال وربما لسان اي الكشف في تحصيل المال ومنه ما ورد ان الله يحب ان يرى عبده تعبا في
طلب الحلال الديلمي عن علي وفي رواية ابن عدي عن ابن عمر ان الله يحب المومن المحترف وورد من
فتح على نفسه بابا من السؤال فتح الله عليه سبعين بابا من الفقر الترمذي من حديث ابي كبشة الانماري با
وقال حسن صحيح وعن ابن مسعود اني لاكره ان ارى الرجل فارغا لا في امر دينه ولا في امر دنياه وجاء
ريح عاصف في البحر فقال اهل السفينة لابراهيم بن ادهم اما ترى هذه الشدة فقال ما هذه شدة
انما الشدة الحاجة الى الناس وسئل احمد ما تقول فيمن جلس في بيته او مسجده وقال لا اعمل شيئا حتى
ياتيني رزقي فقال احمد هذا رجل جهل العلم اما سمع قوله عليه السلام ان الله جعل رزقي تحت رمحي وفي
مسند احمد من حديث ابن عمر جعل رزقي تحت ظل رمحي واسناده صحيح واما سمع قوله عليه السلام حين
ذكر الطير فقال تغدو خماصا وتروح بطانا فذكر انها تغدو في طلب الرزق وكان اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم يتجرون في البر والبحر ويعملون في نخيلهم ثم قال احمد فالقدوة بهم والحديث الثاني رواه
الترمذي وابن ماجه من حديث ابن عمر وقال الترمذي حسن صحيح واما صاحب الباطن وهو العارف بالله
المراقب لفيض مولاه الموحد عما سواه والعالم النافع للناس افتاء وتصنيفا وتدريسا والمشتغل
بمصالحهم كالقاضي وفي معناه الخليفة والمؤذن والامام ونحوه الايتام فان اعطوا الكفاية فرتبت
الكمال اي من وجه الحلال او من الذي الناس من الصدقات اخذوه واشتغلوا بما هو افضل في حقهم من
الاشتغال بكسب المال فهو غاية في الكمال وان اي وان لم يعطوا شيئا بل كل منهم فضائل الكسب
اي الاحاديث التي وردت في فضائله بما فيه من فضائل العلم والحكومة ومنافع الرجال فمنها اي حاله
كونه مبالغا في تمييز ما فيه الفلاح وعمل بحسب الصلاح كان فيه النجاح وقد اشار الصحب على ابي
بكر بترك التجارة لما ولي الخلافة اذ كان ذلك يشغله عن المصالح وكان ياخذ كفايته من مال
المصالح وراى ذلك اولى منهم لما توفي اوصى برده الى بيت المال [illegible] ان كان الصلاح في
الكسب فتح الدكان وترك ما هو فيه لغيره وان كان الصلاح فيما هو فيه من الاموال ليم الشغل به وتو
على الله في امر رزقه وحقه اي حق الكسب على ما ذكر ثلاثون ان ينوي التعفف اي عفة نفسه كل
عن المسئلة والتعطف اي الترحم على عياله بزيادة النفقة لما تقدم ولما روي ان عيسى عليه السلام
راى رجلا فقال ما تصنع فقال اتعبد قال من يعولك قال اخي قال اخوك اعبد منك واقامة فرض الكفاية
اي ينوي بها في صناعات يتوقف عليها العيش اي المعيشة كالزراعة والنجارة والخياطة والتجارة
نعم الخبر بتسعة اعشار الرزق في التجارة الحربي في الغريب من حديث نعيم بن عبد الرحمن وتقدم
نفع الزراعة وروى احمد من حديث ابي هريرة خير الكسب كسب العامل اذا نصح واسناده حسن ويباكر
اي ويسعى في اول النهار لورود ان في الغدو بركة ونجاحا اي فوزا وفلاحا وظفرا بالمراد ومنها
والحديث رواه الطبراني في الاوسط وابن عدي عن عائشة باكروا في طلب الرزق والحوائج فان الغدو

الغدو بركة ونجاح وقد ورد اللهم بارك لامتي في بكورها وروى الطبراني في معاجمه الثلاثة من حديث
كعب بن عجرة انه عليه السلام كان جالسا مع اصحابه ذات يوم فنظر الى شاب ذي جلد وقوة
وقد بكر يسعى فقالوا ويح هذا لو كان جلده في سبيل الله فقال عليه السلام لا تقولوا هذا فانه ان
كان يسعى على نفسه ليكفها عن المسئلة ويغنيها عن الناس فهو في سبيل الله وان كان يسعى على ابوين
ضعيفين او ذرية ضعاف ليغنيهم ويكفيهم فهو في سبيل الله وان كان يسعى تفاخرا وتكاثرا فهو
في سبيل الشيطان ويجتنب اي ترك الصنائع ما يضر الناس كالاحتكار فبائع الطعام محتكر منتظرا
اعلاء السعر وهو ظلم عام وصاحبه مذموم شرعا وعرفا فورد الجالب مرزوق والمحتكر ملعون الحاكم
في صحيحه وابن ماجه في سننه عن عمر من احتكر الطعام اربعين يوما ثم تصدق به لم تكن صدقته كفارة
لاحتكاره ابو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث علي والخطيب في التاريخ من حديث انس
وروى احمد والحاكم بسند جيد من حديث ابن عمر من احتكر الطعام اربعين يوما فقد برئ من الله وبرئ
الله منه وعن علي انه احرق طعام محتكر بالنار كذا في الاحياء وفي حديث مسلم لا يحتكر الا خاطئ وابن ب
ماجه الجالب مرزوق والمحتكر ملعون وفي رواية الاربعين لما رواه ابن عساكر عن معاذ انه من احتكر
طعاما على امتي اربعين يوما وتصدق به لم يقبل منه وفي رواية احمد وابن ماجه عن عمر من احتكر على المسلمين
طعامهم ضربه الله بالجذام والافلاس وفي رواية له للحاكم عن ابي هريرة من احتكر حكرة يريد ان
يغلي بها على المسلمين فهو خاطئ وقد برئت منه ذمة الله ورسوله وقوله خاطئ بالهمز وفي رواية فهو
ملعون واستدل به مالك بعموم الحديث على ان الاحتكار حرام من المطعوم وغيره وبه رواية عن ابي يوسف
والجمهور على ان الاحتكار مختص بالاقوات وحملوا الحديث عليها والله اعلم وروى ابن مردويه
في تفسيره من حديث ابن مسعود ما من جالب يجلب طعاما الى بلد من بلدان المسلمين فيبيعه بسعر يومه
الا كانت منزلته عند الله منزلة الشهيد وبالجملة التجارة في الاقوات مما لا يستحب ولذا اوصى بعض
التابعين رجلا وقال لا تسلم ولدك في بيعتين ولا في صنعتين بيع الطعام وبيع الاكفان فانه يتمنى
الغلاء وموت الناس واما الصنعتان فان يكون جزارا فانها صنعة تقسي القلب وصواغا فانه
يزخرف الدنيا بالذهب والفضة وهذا معنى قوله ويلوث الباطن اي ويجتنبها يلوث باطنه ويظلم
يلوث ظاهره كالجزار هو صنعة الجزار ويقال القصاب فهو يقسي القلب والصياغة فهو يزين
الدنيا وهي مبغوضة الرب وايضا يكون كسر الدرهم الصحيح والدينار الا عند شك في جودته او حال ضرورته
فقد قال احمد بن حنبل ورد نهي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه في الصياغة وانا اكره الكسر
وقال يشتري بالدنانير دراهم ثم يشتري بالدراهم ذهبا ويصوغه خروجا عن الربا وحديث النهي
عن كسر الدنانير والدراهم رواه ابو داود والترمذي وابن ماجه والحاكم من رواية علقمة بن عبد الله عن
ابيه قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تكسر سكة المسلمين الجائزة بينهم الا من باس زاد الحاكم
ان يكسر الدرهم فيجعل فضة ويكسر الدينار فيجعل ذهبا وصنعة ابن ماجه والظاهر اي ويجتنب ما يلوث

فكأنه ولو يلوث باطنه كالحجامة والدباغة وفي معناهما الكناسة فإن تلوث الظاهر يؤدي
إلى تلوث الباطن كما أن طهارة الظاهر تورث طهارة الباطن وقد نهى عليه السلام عن كسب
الحجام رواه ابن ماجه بسند حسن عن ابن مسعود ويحمل على نهي التنزيه لأنه عليه السلام احتجم
وأعطى الحجام أجرته ولو كان حراما لما أعطاه وكيف لا إذ هي من الصنائع التي عدت من
فروض الكفاية فلا بد من قيام بعض بعض الصنائع لئلا يقع الناس في ضياعه إذ لو تركت
التي ذات والصناعات لبطل المعاش وضاعت الحالات فانتظام أمر الكل بتعاونه الكل وتكفل
كل فريق بعمل يليق ولو اشتغلوا كلهم على صنعة لتعطلت البواقي فهلكوا وعلى هذا حمل بعضهم قوله
عليه السلام اختلاف أمتي رحمة أي اختلاف هممهم في الصناعات وسبحان من أقام العباد فيما أراد
وكل حزب بما لديهم فرحون وقال تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق
بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون ولله در القائل

رضينا قسمة الجبار فينا * لنا علم وللجهال مال
فإن المال يفنى عن قريب * وإن العلم باق لا يزال

وما يعسر أي وتجتنب ما يصعب فيه رعاية الاحتياط كالصرف فإن الاحتراز فيه عن دقائق الربا
عسير علما وعملا ولأنه طلب لدقائق الصفات فيما لا يقصد من أعيانها وإنما يقصد رواجها
وقلما يتم للصيرفي ربح إلا باغتنام جهالة معامليه بدقائق النقد فقلما يسلم الصيرفي من الربا وإن
راعى غاية الاحتياط وفي الجامع يجب على الصيرفي أن يجتنب من الفضل في المتجانسين ومن النسيئة
مطلقا وورد لو تجر أهل الجنة لاتجروا في البز ولو تجر أهل النار لاتجروا في الصرف الديلمي من حديث
أبي سعيد وأبو يعلى المسند الأول والدلالة بالفتح والكسر وقد كره ابن سيرين الدلال وكره
قتادة أجر الدلال ولعل السبب فيه قلة استغناء الدلال عن الكذب فمن قبيل رأس مال الدلال
الكذب والإفراط في الثناء على السلعة لترويجها ولأن العمل لا يتقدر وقد يقل وقد يكثر ولا ينظر في
مقدار الأجرة إلى عمله بل إلى قيمة قدر الثوب وهذا هو العادة بل ينبغي أن ينظر إلى قدر التعب
فإن الأجر على قدر المشقة كذا في الإحياء وما يكره فيه أي وتجتنب ما يكره فيه قضاءه كما يكثر الحيوان أي
العبيد ونحوه لأن تجر التي لأن المشتري يكره قضاء الله تعالى فيه وهو الموت الذي هو بصدده
ولأنه يتعلق لأن حبله وسلم منه الناس أي وتجتنب فيه ما يكره فيه عاقبة الناس كبيع الكفن على
ما تقدم وفي معناه حفر القبر وغسل الموتى وحملهم بالأجرة وتشييع الفقراء وأعلى منهم إذ كلهم
من عزاه كارهم وما يحرم أي وتجتنب ما يحرم استعماله كنسج الإبريسم أي الحرير وهو ثوب الرجال دون
النساء وفي الحديث لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة رواه الشيخان وغيرهما عن أنس وفي رواية
أحمد عن جويرية من لبس الحرير في الدنيا ألبسه الله يوم القيامة ثوبا من نار وآنية الذهب والفضة فإنها
تحرم مطلقا وفي الحديث الذي يأكل ويشرب في آنية الفضة إنما يجرجر في بطنه نار جهنم رواه مسلم عن أم سلمة

سلعة تزاد الطرائف إلا أن يتوب والمزمار فإنه حرام باتفاق الأربعة كسائر الآلات وما روي خلاف
الراجح من الشافعية في القصب ورفع البناء أي زيادته على قدر الحاجة فإنه يقال له إلى أين يا أفسق
الفاسقين وذلك لأنه عمل شداد في بناء جنته وعمل فرعون في بناء صرحه وتزيينه بالجص
وكذا بالنقوش والطين فإن هذا مكروه أو حرام لأن إسراف المال وتضييع الأوقات وروى الدارقطني
عن أبي الدرداء أنه عليه السلام سئل أن يكحل المسجد بالنقوش ونحوها فقال لا عريش كعريش
موسى وبيع ما يعطف عليه أي تجتنب متدينا لأن يستعين به أي في التسبب فيكون ظاهر الدلالة إعانة
على البرى كالسقا وكذا الأظلمة ولا إحداهما من أعوانه لئلا يعين على الإثم فقد قال تعالى ولا تعاونوا نوا
على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان وقد دخل سفيان الثوري على المهدي وبيده درج
أبيض فقال يا سفيان أعطني الدواة حتى أكتب فقال أخبرني أي شيء تكتب فإن كان حقا أعطيتك
ولا يبالغ في مدح المبيع أي إن كان بائعا وذم المشترى أي إن كان مشتريا وإن صدق ف
أي ولو كان صادقا في مدحه وذمه فإنما لغو فيه مذموم لأنه مما لا يعنيه فهو به ملوم ومذموم وقد
قال تعالى ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد وقال عز وعلا والذين هم عن اللغو معرضون وورد من حسن
إسلام المرء تركه ما لا يعنيه ولا يحلف ولو كان صادقا في يمينه من غير ضرورة في أمر دينه فهو جعله تعالى
أي جعل الحالف اسمه سبحانه في هذا الحلف عرضة لأيمانه أي كالعرضة التي أعلامها الغصاب لإزالة
ما تلوث به يديه أو كالهدف الذي يرمي الرامي في كل ساعة سهمه إليه لترويج الدنيا الخسيسة بما يسمه الذي
منه لأن شأنها الخسيسة ولا قوله تعالى ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس
فمعناه لا تجعلوا الحلف بالله سببا مانعا لكم من البر والتقوى بأن يدعى أحدكم إلى بر فيقول حلفت
أن لا أفعله بل ينبغي أن يفعله ويكفر عن يمينه وورد كما في صحيح مسلم لا ينظر الله إلى المنفق بتشديد الفاء
المكسورة سلعته أي مروجها بيمينه أي بحلفه فإنه إن كان كاذبا فقد جاء باليمين الغموس وهي من
الكبائر التي تذر الديار بلاقع وإن كان صادقا فقد استخف فيه إذ الدنيا أخس من أن يقصد ترويجها
بذكر اسم الله من غير ضرورة وفي الخبر ويل للتاجر من بلى والله ولا والله وويل للصانع من غد وبعد غد كذا
في الإحياء ذكره صاحب مسند الفردوس من حديث أنس بغير إسناده كذا وفي الخبر اليمين الكاذبة منفقة
للسلعة ممحقة للكسب متفق عليه ولا يكتم عيب المبيع أي في نفسه صفته وحليته وقدره أي ولا يكتم مقداره
من الطول والعرض ونحوه وسعر الوقت أي قيمة مثله فقد نهى عليه السلام عن تلقي الركبان متفق
عليه من حديث ابن عباس وأبي هريرة وفي رواية عن تلقي البيوع كما في الترمذي وابن ماجه
عن ابن مسعود وفي رواية ابن ماجه عن ابن عمر نهى عن تلقي الجلب وهو أن يستقبل الرفقة
ويتلقى الأمتعة ويكذب في سعر الزمن وقد ورد لا تلقوا الركبان فصاحب السلعة بالخيار بعد
أن يقدم السوق ولا يسامح أي ولا يظهر المسامحة بأنه الأول مع الثاني في الصفقة الأولى ولكن
تكون في بيع التولية وصورته أن يبيع شيئا بما قام عليه فيظهر ما يسوغ به الشيء معه من كاجل ثمنه

وقبول ثمنه مع النقصان في بدله ووصفه فان اخفا خيانة كما ان الابداء امانة منى واثمه
لا يحل لاحد يبيع بيعا الا بين ما فيه ولا يحل لمن يعلم ذلك الا بينه البيهقي والحاكم وقال صحيح
الاسناد فمن غشنا فليس منا الترمذي عن ابي هريرة بسند صحيح وزاد الطبراني وابو نعيم
في الحلية عن ابن مسعود والمكر والخداع في النار ومن المكر والخداع عرض الثياب في موضع الظلمة
وفي صحيح مسلم من حديث ابي هريرة انه عليه السلام مر برجل يبيع طعاما فاعجبه فادخل يده فيه
فراى بللا فقال ما هذا فقال اصابته السما قال فهلا جعلته فوق الطعام يراه الناس من غشنا
فليس منا وويل للمطففين اي الهلاك كل الهلاك للتطفيف في الكيل والوزن وهو النقصان الخفيف
في الميزان والمكيال فكيف الحال في اخذ الحال من اموال الناس والرجال الاتية وهم الذين اذا اكتا لوا
على الناس يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم
يوم يقوم الناس لرب العالمين وفيه وعيد في غاية تهديد ولقد كان بعضهم يقول لا اشتري الويل
من الله بحبة فكان اذا اخذ نقص نصف حبة واذا اعطى زاد حبة ويقول ويل لمن يبيع بحبة جنة
عرضها السموات والارض ويروى انه عليه السلام اشترى شيئا وقال للوزان زن وارجح
كما رواه اصحاب السنن الاربعة وقال الترمذي حسن صحيح وقد قيل كل مكلف وهو صاحب موازين
في افعاله واقواله وخطرات احواله فويل له ان عدل عن العدل ومال عن الاستقامة في مقام الفضل
فلا يروج الزيف وهو ما لا نقرة فيه اصلا بل هو مموه مطلا او ما لا ذهب فيه من الدنانير اما ما فيه
نقرة فان كان مخلوطا بالنحاس وهو نقد البلد فقد اختلف العلماء في المعاملة عليه قال الغزالي
والذي رأيته الرخصة فيه اذا كان ذلك نقد البلد سواء علم مقدار النقرة ام لم يعلم وان لم يكن نقد
البلد لم يجز الا اذا علم قدر النقرة فان كان في ماله قطعة نقرتها ناقصة عن نقد البلد فعليه ان
يخبر به معامله وان لا يعامل به الا من لا يستحل الترويج في جملة النقد بطريق التلبيس فاما من يستحل
ذلك فتسليمه اليه تسليط له على الفساد واعانة عليه فهو كبيع العنب ممن يعلم انه يتخذ الخمر وذلك محظور
وفيه اعانة على الشر بل يلقيه في البئر فقد قال بعضهم انفاق درهم زائف اشد من سرقة مائة درهم لان
السرقة معصية واحدة وقد تمت وانقطعت وانفاق الزائف بدعة اظهرها في الدين وسنة سيئة يعمل بها
من بعده فيكون عليه وزرها ووزر من عمل بها الى ان ينقطع عنه او زادهم شيء وبالجملة التجارة محك
الرجال وبها يتبين مقام دينهم في الاحوال وقد قال بعضهم شيء لا يغرنك من المرء قميص رقعه
وازار فوق كعب الساق منه رفعه او جبين لاح فيه اثر قد قلعه فلدى الدرهم فانظر غيه او ورعه
ولا يخلط التراب اي ونحوه من التبن وغير الجنس بالطعام اي الحبوبات ولا يبيع ذا خلطه باللحم
كالدم والغدة والجلد الرقيق وكذا اللحم المهزول بالسمين والضعيف بالسمين وهو اي ما ذكر واشباهه
يخلط الماء باللبن والدهن بالسمن والدبس بالعسل حرام لانه ظلم في حق الانام ولا يقدم على
شيء اي سوم شيء لا يريده اي لا يقصد شراءه بما فوق ثمنه ترغيبا للمشتري فانه النجش المنهي عنه في المتفق

عليه عن ابن عمر ولا حلالا الا يريد لغيره ما لا يريد لنفسه كما ورد لا يؤمن احدكم حتى يحب
لاخيه ما يحب لنفسه اخرجه الشيخان وغيرهما وفي رواية حتى يكره لاخيه ما يكره لنفسه وهو اي حصول
هذا المقام انما يكون باعتقاد ان الخيانة لا تزيد في الرزق والديانة اي الموجبة للامانة لا تنقص
ايا في الرزق فالرزق لا يزيد بالخيانة كما لا ينقص من صدقة صادرة عن الامانة والديانة من الى معرفة
الزيادة والنقصان الا بالميزان فهو لم يصدق بهذا الحديث وهو في غاية من الخسران ان زعم ان الدنيا بهم
تدبيرا وترك فيه حتى يكون سببا لسعادة الانسان في الدين والدنيا وان الاولى الا ينزع الله البركة
منها حتى تكون سببا لهلاك كالكلها في الدنيا وان خربي صدق بقولنا ان الخيانة لا تزيد في المال
والصدقة لا تنقص عنه في المآل وقد قال تعالى يمحق الله الربا ويربي الصدقات وورد ان الامانة تجر الرزق والخيا نه
تجر الفقر فقوله ولا يقنع عن علم وان الارباح اي وباعتقاد ان العقبى اي الاخرة الدنيا كما قال تعالى والاخرة
خير وابقى فمنع بربح العقبى على نفع الدنيا ايثار الماء يبقى على ما يفنى فورد لا تزال لا اله الا الله
تدفع عن الخلق سخط الله اي اثار غضبه ما لم يؤثروا اي مدة لم يختاروا صفقة دنياهم على اخراهم
اي عقد ايجاب جلب الدنيا على عقد يورث عقد العقبى والحديث رواه ابو يعلى والبيهقي في الشعب
عن انس وفي رواية للحكيم الترمذي في النوادر حتى ينزلوا بالمنزل الذي لا يبالون ما نقص من دينهم
اذا سلمت لهم دنياهم وللطبراني في الاوسط من حديث عائشة والكل ضعيف الا انه يقوي بعضها
ببعض ويؤيده حديث من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة قيل وما اخلاصها قال تحجزه عما حرم
الله الطبراني من حديث زيد بن ارقم باسناد حسن والحسن اي التابع في المعاملة ويعني بالاحسان
فعل ما ينتفع به المعامل وهو غير واجب عليه لكنه يفضل منه فان الواجب يدخل في باب العدل وترك
الظلم وقد قال تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان فالعدل سبب للنجاة والاحسان موجب
لنيل الدرجات وبدرك الاحسان الكامل بستة امور بان لا يغبن المشتري غبنا غير معتاد سوا
يكون مجحفا ام لا وان اعطى المشتري اي ولو دفع ثمنه مع زيادة رغبة اي نيلها او حاجة اي لحجته
بقوله تعالى واحسن كما احسن الله اليك وفي الاحيا وقد ذهب بعض العلماء ان الغبن بما يزيد على الثلث يوجب
الخيار ولسنا نرى ذلك ولكن من الاحسان ان يحط ذلك الغبن وفي الخبر غبن المسترسل حرام الطبراني من
حديث ابي امامة بسند ضعيف والبيهقي من حديث جابر بسند جيد وقال ربا بدل حرام وقال الزبير بن عدي
ادركت ثمانية عشر من الصحابة ما منهم احد يحسن يشتري لحما بدرهم فغبن هؤلاء المسترسلين حرام
وعدوان وان كان من غير تلبيس فهو من ترك الاحسان ويحمله اي وبان يتحمل الغبن من ضعيف بايع
او مشتر بان يكون مريضا او عن الكسب عاجزا او فقيرا اي ظاهر الفقر بان لم يكن صاحب نصاب
فيكون به محسنا واما ما ورد من الكمال ان لا يغبن ولا يغبن فهو محمول على غير محل الاحتمال وهذا معنى
وصف بعضهم عمر بانه كان اكرم من ان يخدع واعقل من ان يخدع وكان اياس بن معاوية قاضي البصرة
وكان من عقلاء التابعين يقول لست بخب والخب لا يغبن ولا يغبنني ابن سيرين ولكن يغبن الحسن

ويعين ابي يعلى معين معاوية ابن قرة مثله ومقام الحسن ايضا حسن لقوله عليه السلام المؤمن
غر كريم والفاجر خب لئيم ابو داود والترمذي والحاكم عن ابي هريرة وكان الحسن والحسين
وغيرهما من الصحابة يستقصون في الشراء ثم يهبون مع ذلك الجزيل من المال فقيل لبعضهم تستقصي
في شرائك على اليسير ثم تهب الكثير فقال ان الواهب يهب فضله وان المغبون يغبن عقله
وقد قال بعضهم انا اغبن عقلي وبصيرتي فلا امكنه منه واذا وهبت فانا اعطي لله ولا استكثر الغابن مح
له شيئا فورد في البخاري عن جابر مرفوعا رحم الله امرأ سهل البيع سهل الشراء تمامه سهل القضاء
سهل الاقتضاء قال من عادته ان يحتمل الغبن من غير تاجر يطلب الربح زيادة على تجارته
فاحتمال الغبن منه ليس في محله لانه تضييع للمال وتاسف في المآل اذ لا اجر في المغبون ولا حمد
في الانباء فقد ورد في حديث غريب من طريق اهل البيت ان المغبون لا محمود ولا ماجور الترمذي الحكيم
في النوادر من رواية عبيد الله بن الحسن عن ابيه عن جده وابو يعلى من حديث الحسين بن علي
يرفعه وسيأتي مسح في قبض الثمن والدين اي وفي قبضه بنقص بعض الثمن والدين وترك طلبه
نقد احسن واسهال وقبول حوالة فورد رحم الله امرأ سهل القضاء سهل الاقتضاء وهو تتمة الحديث
المتقدم فليغتنم دعاءه عليه السلام وقد ورد ايضا في هذا المقام اسمح يسمح لك الطبراني من
حديث ابن عباس ورجاله ثقات من انظر معسرا اي امهله او ترك له اي اسقط عنه كله
او بعضه ولو حقيرا حاسبه الله يوم القيامة حسابا يسيرا وفي لفظ اظله الله تحت ظله يوم
لا ظل الا ظله احمد ومسلم باللفظ الثاني من حديث ابي اليسر وهو كعب بن عمرو وفي رواية الطبراني
عن ابن عباس انظره الله بذنبه الى توبته وفي رواية لاحمد وابن ماجه والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين
عن بريدة من انظر معسرا فله بكل يوم مثله صدقة قبل ان يحل الدين فاذا حل الدين فانظره فله بكل
يوم مثلاه صدقة واصله قوله تعالى وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وان تصدقوا اي بكله او ببعضه
خير لكم ان كنتم تعلمون والتصدق سنة هنا افضل من الانظار الذي هو فرض وذكر عليه السلام رجلا
كان مسرفا على نفسه حوسب فلم يوجد له حسنة فقيل له هل عملت خيرا قط فقال لا الا اني كنت رجلا اداين
الناس واقول لفتياني سامحوا الموسر وانظروا المعسر وفي لفظ انظروا وتجاوزوا عن المعسر فقال الله تعالى نحن احق
بذلك منك فتجاوزوا عنه وغفر له رواه مسلم من حديث ابن مسعود الانصاري وهو متفق عليه بنحوه من حديث
حذيفة وربي وفي عطاء الاجر منى الحر اعطوا الاجير اجره قبل ان يجف عرقه ابن ماجه عن ابن عمر وقضاء
الدين قبل الاجل اي قبل حلوله فانه يعد من احسان العمل ويطلب الا مطل باحسن ما شرط اي في العقد
الاول بان يؤدي الجيد مكان الشرط من الردئ فانه يوجب معروفا ويقتضي كون صاحبه مالوفا فورد
خيركم احسنكم قضاء متفق عليه حديثا ابي هريرة وبنوى القضاء لكل اي باحسن ما شرط ان عجز وهما قدر
فورد ان الملائكة يدعون له اي لمن ينوي القضاء بان يقدر الله تعالى له حتى يقضيه والحديث في الاحيا
بلفظ من اداين دينا وهو ينوي قضاءه وكل به ملائكة يحفظونه ويدعون له حتى يقضيه رواه احمد عن

عن عائشة ما من عبد كانت له نية في اداء دينه الا كان له من الله عون وحافظ وفي رواية لم يزل معه من
الله حارس وفي رواية للطبراني في الاوسط الا كان معه عون من الله عليه حتى يقضيه ومن الاحيا كان جماعة
من السلف يستقرضون من غير حاجة لهذا الخبر قلت ومن جواز هذا الا يخلو من النظر لا فيه من نوع الغرر
وصف الخطا الاهم الا ان يحمل على شراء شيء الى اجل المقدر فيتدبر ومن يستدين اي يستقرض ويتدين في
ضعف نوبة في سبيله تعالى بان يكون في حج او غزو ومن يزاده او عات مركوبه وتكفين ميت مقل اي فقير
قريبا كان او بعيدا او نكاح يتعفف به اي يطلب عفة نفسه عن الزنا بسببه عليه تعالى اي متوكلا عليه
ومستندا اليه تحسين للظن لديه ان يرزقه ما يقضيه فهو يقضيه اي يجمع ما عليه من الديون الثابتة
بكرمه اما في الدنيا واما برضي صاحبه في العقبى ويعين منه ان قالة اي يرد البيع ان ندم البائع على شرائها
وكذا حكم المشتري وعن نادي عيان الحسنة اي معه ما في الذخيرة يقيل من يستقيله فانه لا يستقيل الا
متندم يستضر بالبيع ونحوه فلا ينبغي ان يرضى لنفسه ان يكون سبب استضرار من هو عبد عليه
اي على اقالة النادم اقالة تعالى اي عفوه يوم القيامة عثرته اي ذنوبه وزلته وكان الاولى ان
يقول فورد من اقال نادما صفقته اقال الله عثرته يوم القيامة ابو داود والحاكم من حديث ابي هريرة وقال
صحيح على شرط مسلم وربما مكر العصر نسيئة اي صبر عليه على عزم الترك اي ترك المطالبة او ان لم
يطلبه عنا ما بان تحقق فقره اليه فيكون في هذا محسنا اليه فانه لا ينبغي للتاجر ان يشتغل بما منعه
عن زاد معاده فيكون في هذا محسنا اليه عمر ضائعا وصفقته خاسرة اذ ما يفوته من الربح في
العقبى لا يفي به ما يناله في الدنيا فيكون ممن اشترى الحياة الدنيا بالاخرة بل العاقل ينبغي ان يشفق
على نفسه ودينه ومشفقته على نفسه بحفظ راس ماله وصلاح شانه وماله وراس ماله حفظ دينه
وتجارته فيه صادق نيته قال بعض السلف اولى الاشياء بالعاقل احوجه اليه في العاجل واحوج شيء
اليه في العاجل احمد عاقبته في الاجل ولا تنس نصيبك من الدنيا اي لا تنس نصيبك في الدنيا نصيبك منها
للعقبى فان الدنيا مزرعة الاخرة والحق يخرجه الدين الفاضح ويكيل الطعام اي الحبوب اخذا
واعطاء اي حال الاخذ وحال الاعطاء فيه البركة وفي الخبر كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه احمد والبخاري عن المقدام
وفي رواية ابن النجار عن علي كيلوا طعامكم فان البركة في الطعام المكيل وروى البزار عن ابي هريرة انه
عليه السلام نهى عن بيع الطعام حتى يجري فيه صاعان صاع البائع وصاع المشتري فيكون لصاحبه
الزيادة وعليه النقصان وتحقيق هذه المسألة مع ما يتعلق بها من الرعاية في شرحنا للنقاية مختصر الوقاية والله
ولي الهداية ويختار حرف السلف وكان غالب اعمال الاخيار من السلف عشر صنائع الخرز والتجارة
ت والحمل والخياطة والحذو والقصارة وعمل الخفاف وعمل الحديد وعمل المغازل ومعالجة صيد البر والبحر والوراقة كالحرث
وكذا الزراعة وهي صنعة ادم اول ما قدم الى الارض عليه السلام التمسوا الرزق في خبايا الارض والمراد الزرع
انشدوا اشعر تتبع خبايا الارض وادع مليكها لعلك يوما ان تجاب فترزقا ويشير الى هذا المعنى
قوله تعالى هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور ولا يبعد ان يراد

بان يه والحديث المعنى ان عمل الناس مثل للزراعة والتجارة والله سبحانه اعلم والحمل اي حمل الامتعة من محل
الى محل باجرة معينة وبيان ان التجارة من اعمال الكمال والتجارة اي التجارة وفي مسند احمد وصحيح مسلم وابن
ماجه عن ابي هريرة كان زكريا نجارا والخياطة قيل انه من صنعة ادريس والقصر وهو غسل
الثياب ومنه الحواريون والخصف اي خرز النعل والقربة ونحوها وصح انه عليه السلام كان يخصف
نعله والرعي اي رعي الغنم والابل ونحوها وهو من صنعة الانبياء والاولياء والكتابة من حرفة العلماء
والمشايخ الا حيث ان يستكتب به المصحف القديم وحديث النبي الكريم ويعين به الدين القويم والمنهج
المستقيم قال عبد الوهاب الوراق قال لي احمد بن حنبل ما صنعتك قلت الوراقة فقال كسب طيب لو
كنت صانعا بيدي لصنعت صنعتك وهو يحتمل ان يكون معناه الكتابة او صنعة الورق بمعنى الكاغد
الذي يتوقف عليه صنعة الكتابة كشغل المداد فانه آلة الكتابة وقد ورد يوزن مداد العلماء بدم الشهداء
فيرجح مداد العلماء وورد خير تجارتكم البز وخير صناعتكم الخرز الديلمي عن علي ضعيفا وبقال ارجعة
من الصنائع موسومون عند الناس بضعف الراي الحاكة والقطانون والغازليون والمعلمون ولعل
ذلك لان اكثر مخالطتهم مع النسوان والصبيان ومخالطة ضعفاء العقول يضعف العقول كما ان مخالطة
العقلاء تزيد في العقل فان الصحبة تؤثر فورد المرء على دين خليله فلينظر من يخالل وعن مجاهد ان
مريم عليها السلام مرت في طلبها لعيسى عليه السلام بحاكة فطلبت الطريق فارشدوها على الطريق
فقالت اللهم انزع البركة من كسبهم وامتهم فقراء وحقرهم في اعين الناس فاستجيب دعاءها وكره السلف
اخذ الاجرة على كل ما هو من قبيل العبادات في فروض الكفايات كغسل الاموات وحفر القبور ودفنهم
وكذا الاذان والامامة وتعليم القرآن والفقه وان حكم المتاخرون بجواز ذلك اذ لم يروا من يقوم
بهذه الامور احتسابا لهذا الكد ويلزم ما رزق فيه اي من انواع الصناعة او اصناف التجارة فلا ينتقل
عنه الى غيره فمن الخبر من رزق في شيء فليلزمه البيهقي عن انس وفي رواية ابن ماجه من حديث انس
بلفظ من اصاب من شيء فليلزمه ويترك التجرة فيه ثلاثا اي ثلث مرات فلم يرزق اي لم يربح فيه
فان بعض من التجارة يتغير الامور وتغيرها وفي الخبر اليسر يمن والعسر شوم الديلمي عن رجل ويتنقل الى
غيره فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا وفي الخبر لن يغلب عسر يسرين وفيه تحقيق وتدقيق ليس هذا
محله الذي ذكره يليق ويتخذ الغنم ففي مسند الفردوس للديلمي عن ابي هريرة الغنم اموال الانبياء وفي
رواية الخطيب عن ابي هريرة الغنم من دواب الجنة فامسحوا رغامها وصلوا في مرابضها وفي رواية ابي
يعلى عن البراء الغنم بركة والدجاج ونحوها كالناقة والفرس والبقر والبط والحمام للدر اي اللبن والنسل
اي النتاج ففيه عشر الرزق اي وبه الرزق ورد وفي التجارة تسعة اعشار الرزق وفي سنن ابن
ماجه ان النبي صلى الله عليه وسلم امر الاغنياء باتخاذ الغنم وامر الفقراء باتخاذ الدجاج وقال عند اتخاذ
الاغنياء الدجاج ياذن الله بهلاك القرى وقد بينا وجهه في بهجة الانسان في مهجة الحيوان وكان له
عليه السلام بعوان تنجر اوله جمع بعير وغنم لينفق قوت اهله ومن المواهب اللدنية كانت خمسة وان بعون

واربعون لقحة ارسل بها اليه سعد بن عبادة وكانت له مائة شاة وكانت له سبعة اعنز منايح ترعاها
ام ايمن وورد اتخذوا الغنم فانها بركة والشاة من الغنم والبعير من الابل والبقرة من البقر ابو داود وابن ماجه
والحاكم عن معاذ ويختار اي من الغنم صنفا اي نوعا محبوبا فيه السود والبيض كما تكون في غنم شعيب
عليه السلام وهي الكليم في ذلك المقام ولا يحرص على تحصيل الدنيا وتعطيل العقبى فان يباكر بالبو ق
ونحوها فورد شر البقاع السوق انها محل الغفلة والعصيان ومأوى الخطأ والنسيان وموضع راية الشيطان ن
وجنوده اعلاء الا نسان وشراء اهلها اولهم دخولا واخرهم خروجا رواه ابو نعيم من حديث ابن عباس
بلفظ ابغض البقاع الى الله الاسواق وابغض اهلها الى الله اولهم دخولا واخرهم خروجا وقد تقدم حديث
شر البقاع الاسواق وخير البقاع المساجد فينبغي ان ان يميز سوق الدنيا عن سوق العقبى واسواق
الاخرة المساجد ونحوها كالمدارس والمعابد والمشاهد وكان عمر يقول اجعلوا اول نهاركم لاخرتكم
وما بعده لدنياكم وكان صالحو السلف يجعلون اول النهار واخره للاخرة والوسط للدنيا فلم
يبيع الهريسة والرؤوس بكرة الا الصبيان واهل الذمة لانهم كانوا في المساجد بعد وفي الخبر ان الملكين
اذا صعدت بصحيفة العبد في اول النهار واخره ذكر وخير كفر الله ما بينهما من سيئ الاعمال ابو يعلى من حديث
انس بسند ضعيف ويقويه قوله تعالى وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار ويروى ان الملائكة الليل وملائكة
النهار عند طلوع الفجر وعند صلاة العصر فيقول الله وهو اعلم كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم يصلون
وجئناهم وهم يصلون فيقول الله اشهدكم اني قد غفرت لهم متفق عليه من حديث ابي هريرة وقد جاء في تفسير
قوله تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله انهم كانوا حدادين وخرازين فكان احدهم اذا رفع
المطرقة او غرز الاشفار فسمع الاذان لم يخرج الاشفار من المغروز ولم يوقع المطرقة ورمى بها وقام الى
الصلاة وقد قيل من احب الاخرة عاش ومن احب الدنيا طاش والاحمق يغدو ويروح في لا شيء والعاقل
في دينه فتاش ولا يركب البحر الا لحج او عمرة او غزو رواه ابو داود من حديث عبد الله بن عمر فكان مما
ورد وقيل من ركب البحر للتجارة فقد استقصى في طلب الرزق والمعنى انه يدل على كمال حرصه وعدم القناعة
في امره وكان من السلف من اذا ربح دانقا انصرف قناعة به وكان منهم من ينصرف بعد الظهر ومنهم بعد العصر
ومنهم من يعمل في الاسبوع الا يوما او يومين ويتورع اي من الشبهات ولا يكتفي بالتحرز عن المحرمات
وقد حمل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لبن فقال من اين لكم هذا فقيل من هذه الشاة فقال ومن اين لكم هذه
الشاة فقيل من موضع كذا فشرب منه ثم قال انا معاشر الانبياء امرنا ان لا ناكل الا طيبا ولا نعمل الا صالحا
الطبراني من حديث ام عبد الله اخت شداد بن اوس بسند ضعيف ويقويه قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات
واعملوا صالحا ويؤيده قوله عليه السلام ان الله امر المؤمنين بما امر به المرسلين فقال يا ايها الذين امنوا كلوا
من طيبات ما رزقناكم وعن ابي هريرة اذا اتي بطعام من غير اهله سال عنه الحديث رواه احمد من حديث ابي
هريرة باسناد جيد وله من حديث جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه مروا بامراة فذبحت لهم شاة الحديث
وفيه فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم لقمة فلم يستطع ان يسيغها فقال ان هذه شاة ذبحت بغير اذن اهلها

الحديث واسناده جيد واى اصل انه عليه السلام كان ان يسال عن كل ما يحمل اليه الا اذا ظهر له ما يدل
على ريبة لديه وفى البخارى من حديث عايشة كان لابى بكر غلام يخرج له الخراج وكان ياكل ابو بكر
من خراجه فجاء يوما بشئ فاكل منه ابو بكر فقال الغلام اتدرى ما هذا فقال وما هو قال كنت تكهنت لانسان
فى الجاهلية فاعطونى فادخل اصبعه فى فيه وجعل يقئ وفى بعض الاخبار انه عليه السلام لما اخبر بذلك
قال او ما علمتم ان الصديق لا يدخل جوفه الا طيب ويتورع اى ويطلب الورع ويبالغ فى ترك حظه فان
الورع اصل الدين كما ان الطمع فساده فى مقام المجتهدين فورد اما الورعون فانى استحيى ان احاسبهم
اى فانهم حاسبوا انفسهم قبل ان يحاسبوا والحديث لم اعرفه وادنى رتبة اى مراتب التورع الاحتراز
عن الحرام وهو الورع المخصوص به فى عرف الاعلام ثم عن الشهوة اى شهوة النفس وهواها وكان
الظاهر ان يقول ثم عن الشبه ولعله سهو فى النسخة وهو التقوى اى كمالا وحالا فورد دع ما يريبك
اى ما يوقعك فى الريبة والشبهة الى ما لا يريبك النسائى والترمذى والحاكم وصححه من حديث الحسن بن على
ر وهو اى المريب كما فى نسخة كما اختلف فيه عند العلما بالحل والحرمة او الكراهة والخلو عنها كاكل الضب
ونحوها وان خذ بالرفع والخفض اى تم الورع عن الاخذ او المريب كان اخذ ممن علم اى ظن ظنا غالبا
ان فى ماله حراما بان يكون اكثره حراما او عليه اى او ان يعلم بنفسه على منه عدم المبالاة فى المعاملات
تكسب منسوب الى الظلم او خيانة او سرقة او ربا فلا تعامله وكذا الاجناد والظلمة من الامراء والوزراء
ومواصى بهم واعوانهم من العلما ومن الخدمة لم يبال من اين اكتسب المال لم يبال الله عز وجل من اين ادخله
النار الديلمى عن انس وصلة السلطان اى تم الورع عن اخذها او كصلته واعطائه ان اشتبهت
المال اى التبس الحرام بالحلال او استحقاق الاخذ اى اخذه فى تلك الحال وهو يحتمل المصدر واسم الفاعل
ويويد الاول قوله او قدر اى من جملة المال والاولى فى مثله اى فى مثل ما ذكر من مواضع الاشتباه السؤال
عن الغير اى منه الحال ان شك فان راى العليل عليل والنفس بالطبع الى الهوس وهواها تميل والتعلل
اى والا فى مثله حال ان متابع الطهارة ان عنده امر كثيرا بيا ذى اى صاحبه فى الاسرار فالمراد
المومن اى ادخال السرور فى قلبه بقبول له ولو بشبهة فى حاله اعظم من الورع فى الظاهر فعن ابن عمر
ما من شئ احب الى الله من ادخال السرور على المسلم ابن النجار ما الوهم ان الاستى من غرد ليل اى
عما يشعر بعله شبهة وريبة كان حرازا عن الصيد مطلقا ضمان كونه ملكا للغير اى مسببا ولا اثر
عليه اى على الصيد من علامة دالة على انه للغير فوسوسة وتسمى شبهة الشبهة ويبنى اى امر الورع فيه على
ظاهر الحال اى حال المسلم لما ورد نحن نحكم بالظاهر والله يتولى السراير وهو اعلم بالضماير تحسينا للظن فاخيه
المومن فورد ان بعض الظن اثم وهو الذى لا علامة فيه مما يوافقه او ينافيه واما ما ورد من ان الحزم
سوء الظن فمحمول على ما يوجد فيه امارة وفى الاية الى هذا المفهوم اشارة وعن سلمان اذا كان لك
صديق عامل او تاجر يتعاطى الربوا فدعاك الى طعام ونحوه او اعطاك شيا فاقبل فان لك وعليه
الوزر فاذا ثبت هذا فالمراد فالتكلم فى معناه ثم اى تم الورع عما لا باس به مخافة مما به باس وفى

فى سنن ابن ماجه لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع ما لا باس به مخافة مما به باس وهو الصدق
فى التقوى اى المسمى به ومنه انه عليه السلام ارق ليلة فقال له بعض نسائه ارقت يا رسول الله فقال
اجل وجدت تمرة فاكلتها فخشيت ان تكون من الصدقة احمد من رواية احمد بن شعيب عن ابيه عن جده
باسناد حسن كترك العزب الشبع اى المفرط الطيب الكثير ونحوهما ان باس بهما لتحريكهما الشهوات التى — والعطر ايضا
بها باس فتكون باعثة على الريبة والشبهة ثم اى تم الورع عما ليس له تعالى اى خالصا لوجهه
وان كان مباحا فى اصل امره وهو الصدق المطلق وصاحبه الصديق المحقق كترك خطوة او لقمة وكذا ترك
نطق ولحظة وسكون وحركة ليس فيهما اى فى افعالها نية عبادة وقصد سعادة فهم اى اهل هذا
المقام وهم الصديقون كانوا يقتصرون على لقيمات يتقوون على العبادة ابد الدهر وروى عن عمر انه
كان ياكل سبع لقم او تسع وقد اشير اليه بقوله لقيمات فانه اقل جمع القلة وهو ما دون العشرة وفى هذا
بيان الكمية وفى تصغيرها ايما الى تقليلها فى الكيفية والتحقيق انه كلما يشدد فى الاحتياط يكون سببا للتخفيف
اى لتخفيف الحساب وتقليل العذاب والاصل ان تنتقى من القلب والالتجاء فى كل امر من الرب
فورد استفت قلبك وان افتاك المفتون وما كان من التجار ثم اعلم ان اغلب اموال السلاطين حرام
فى هذه الاعصار واكثر ما فى ايديهم معدوم او عزيز فى الديار فقد اختلف الناس فى هذا فقال قوم كلما
لا يتيقن انه حرام فله ان ياخذ وقال اخرون لا يحل ان ياخذ ما لا يتيقن انه حلال فلا يحل بشبهة
اصلا والاعدل ان الحكم للغالب فاذا كان حراما حرم واذا كان حلالا يعنى يحل ويحكم الورع
بتركه الا ان هذا الزمان لم يوجد الا الشبهات لفقد الخالص من الحلالات الطيبات ولهذا صحح جوز اخذ
اموال السلاطين اذا كان فيه حلال او حرام ما لم يتحقق ان بعين الماخوذ حرام لما روى عن جماعة من الصحابة
انهم ادركوا ايام الائمة الظلمة واخذوا الاموال منهم كابى هريرة وابى سعيد الخدرى وزيد بن ثابت وابى
ايوب الانصارى وجرير بن عبد الله وجابر وانس والمسور بن مخرمة فاخذ ابو سعيد وابو هريرة
من مروان ويزيد بن عبد الملك واخذ ابن عمر وابن عباس من الحجاج واخذ كثير من التابعين منهم
كالشعبى وابراهيم والحسن وابن ابى ليلى واخذ الشافعى من هارون الرشيد الف دينار دفعة واخذ
مالك من الخلفا اموالا جمة وقال على كرم الله وجهه خذ ما اعطاك السلطان فانما يعطيك من الحلال وما ياخذ
من الحلال اكثر وانما ترك من ترك منهم الاخذ تورعا الا ترى الى قول ابى ذر للاحنف بن قيس خذ العطا
ما كان نحلة فاذا كان اثمان دينكم فدعوه وقال ابو هريرة اذا اعطينا قبلنا واذا منعنا لم نسال وعن
سعيد بن المسيب عن ابى هريرة انه كان اذا اعطاه معاوية سكت وان منع وقع فيه وروى نافع
عن ابن عمر ان المختار كان يبعث اليه المال فيقبله ثم يقول لا اسال احدا ولا ارد ما رزقنى الله وعن
نافع انه بعث ابن معمر الى ابن عمر ستين الفا فقسمها على الناس ثم جاءه سائل فاستقرض من بعض
ما اعطاه واعطى السائل ولما قدم الحسن بن على على معاوية فقال لاجيزنك بجائزة لم اجزها احدا من
العرب قبلك ولا اجيزها احدا بعدك من العرب فاعطاه اربعمائة الف فاخذها وعن جعفر عن ابيه ان الحسن

والحسين كانا يقبلان جوائز معاوية وقال حكيم بن جبير مررنا على سعيد بن جبير فارسل الى العشار ان
اطعمونا مما عندكم فارسلوا بطعام فاكل منه واكلنا معه وزعمت هذه الفرقة ان ما ينقل من امتناع
جماعة من السلف من العطاء يدل على الورع لا على التحريم كالخلفاء الراشدين وابي ذر وغيرهم من
الزهاد فانهم امتنعوا من الحلال المطلق زهدا ومن الحلال الذي يخاف افضاءه الى المحذور ورعا وما
نقل عن سعيد بن المسيب انه ترك عطاءه في بيت المال حتى اجتمع بضعة وثلاثون الفا وما نقل عن الحسن
انه قال لا اتوضأ منه ما صبر وان ضاق وقت الصلاة لاني لا ادري اصله لعله كان ذلك ورع لا ينكر
ومن هذا القبيل ان ابا بكر حسب جميع ما كان اخذ من بيت المال فبلغ ستة الاف درهم فغرمها لبيت
المال وان عمر كان يقسم مال بيت المال فدخلت ابنة له واخذت درهما من المال فنهض عمر في طلبها حتى
سقطت الملحفة عن احد منكبيه ودخلت الصبية الى بيت اهلها تبكي وجعلت الدرهم في فيها فادخل عمر
اصبعه فاخرجه من فيها وطرحه على الخراج وقال يا ايها الناس ليس لعمر ولا لآل عمر الا ما للمسلمين صح قريبهم وبعيدهم
وكسح ابو موسى الاشعري بيت المال فوجد درهما فمر ابن لعمر فاعطاه اياه فرآه عمر في يد الغلام
فقال اعطانيه ابو موسى فقال يا ابا موسى ما كان في المدينة بيت اهون عليك من آل عمر اردت ان
لا يبقى من امة محمد صلى الله عليه وسلم احد الا طلبنا بمظلمة ورد الدرهم الى بيت المال وقال اني لم اجد
نفسي في مال بيت المال الا كوالي اليتيم ان استغنيت استعففت وان افتقرت اكلت بالمعروف وعن ابن
عمر انه قال في ايام الحج ما شبعت من الطعام منذ انتهبت الدار الى يومي هذا وروي عن علي كرم الله وجهه
انه كان له سويق في اناء مختوم يشرب منه فقيل له اتفعل هذا بالعراق مع كثرة طعامه فقال اني لا اختمه
بخلا فيه ولكني اكره ان تجعل فيه ما ليس منه واكره ان يدخل بطني غير طيب وعن ابن المبارك ان الذين
ياخذون الجوائز اليوم ويحتجون بابن عمر وعائشة ما يقتدون بهما لان كلا منهما كان يفرق ما ياخذ
في مجلسه وكذا جابر بن زيد قبل وتصدق به وكان يقول رايت ان اخذ منهم والصدقة احب الي
من ان ادعها في ايديهم وكذا فعل الشافعي بما قبله من هارون الرشيد فانه فرقه على قرب حتى
لم يمسك لنفسه حبة واحدة فمن التجري على اموالهم وشبه نفسه بالصحابة والتابعين والائمة المجتهدين
فقد قاس الملوك بالحدادين ثم اعلم ان الغني الذي لا مصلحة له فيه فلا يجوز صرف مال بيت المال اليه
هذا هو الصحيح وان كان العلماء قد اختلفوا فيه وفي كلام عمر ما يدل على ان لكل مسلم حقا في مال بيت
المال لكونه مسلما مكثرا جمع المسلمين ولكنه مع هذا ما كان يقسم المال على المسلمين كافة بل على
مخصوصين بصفات فاذا ثبت هذا فكل من يتولى امرا يقوم به وتتعدى مصلحته الى المسلمين ولو اشتغل
بالكسب لتعطل عليه ما هو فيه فله في بيت المال حق الكفاية ويدخل فيه العلماء كلهم اعني العلوم التي
تتعلق بمصالح الدين من علم الفقه والحديث والتفسير والقراءة حتى يدخل فيه المعلمون والمؤذنون وكذا
طلبة هذه العلوم فيه يدخلون ويدخل فيه العمال وهم الذين ترتبط مصالح الدنيا باعمالهم وهم الاجناد
المرتزقة الذين يحرسون المملكة بالسيوف والسهام من اعداء الاسلام ويدخل فيهم الكتاب والحساب

والحساب والعمال على اموال الحلال وليس يشترط في تمام ذلك الحاجة بل يجوز ان يعطوا مع وجود الغنى
لان الخلفاء الراشدين كانوا يعطون المهاجرين والانصار ولم يعرفوا بالحاجة ولا الافتقار وليس يتقدر
ايضا بالمقدار بل هو الى اجتهاد الامام وله ان يوسع بالغنائم ويقتصر على الكفاية بحسب
ما يقتضيه الحال وسعة المال فقد كان عمر رضي الله عنه يعطي لجماعة لكل واحد اثني عشر الف درهم في السنة واثبت
لعائشة وجماعة في هذه الجريدة عشرة الاف ولجماعة ستة الاف وهكذا واعطى لعائشة في جريدة
اخرى اثني عشر الفا ولزينب عشرة الاف ولجويرية ستة الاف وكذا لصفية وسوى ابو بكر رضي الله عنه
في زمانه فراجعه عمر فقال انما فضلهم عند الله وانما الدنيا بلاغ فالسلطان اذا لم يعمم بالعطاء كل مستحق
كما في زماننا فهل يجوز للواحد ان ياخذ منه فهذا مما اختلف فيه العلماء على اربع مراتب فغلا بعضهم
وقال لا ياخذ ما للمسلمين فيه شركة ولا يدري ان حصته منه دانق او دانق اوحبة فليتركه الكل وقيل له
ان ياخذ قوت يومه فقط وان هذا القدر يستحقه لحاجته على المسلمين وقيل له ان ياخذ قوت سنة فان
اخذ الكفاية كل يوم عسر وهو ذو حق في هذا المال فكيف يتركه وقيل انه ياخذ ما يعطى والمظلوم هم الباقون
وهذا هو القياس لان المال ليس مشتركا بين المسلمين كالغنيمة بين الغانمين ولا كالميراث بين الاقربين بين
لان ذلك صار ملكا لهم وهذا لو لم يتفق قسمته حتى مات هؤلاء لم يجب التوزيع على ورثتهم بحكم الميراث
بل هذا الحق غير متعين وانما يتعين بالقبض بل هو كالصدقات ومهما اعطي الفقراء حصتهم من الصدقات
وقع ملكا لهم ولم يمتنع لظلم المالك بقية الاصناف بمنع حقهم وقد وقع الاطناب في هذا الباب لانه مهم
لذوي الالباب في معرفة الخطأ والصواب

الباب السابع

في الاستباحة والمعيشة اي
لاجل المعاش في مراد الدنيا واتخاذ الزاد للمعاد في العقبى وهذا الباب مشتمل على انواع من الاداب كالاكل
والشرب واللبس والمنام والكلام وما لا يستغنى عنه الانام بسم الله الرحمن الرحيم
مفتاح كل كتاب كريم وقرآن كنتم تحبون الله اي وتبتغون رضاه فاتبعوني في كل ما قدره وقضاه
وامر ونهاه تمامه يحببكم الله اي يثبكم في ما طلبتم من دنياه واخراه ويغفر لكم ذنوبكم في عقباه والله
غفور رحيم لمن عصاه ثم اتقاه وما آتاكم الرسول فخذوه اي من اوامره تمامه وما نهاكم عنه فانتهوا اي عن زواجره
قال صلى اي الذي عليه نظام الاحكام اتباعه عليه السلام في جميع الامور من احوال الانام لانه
اي اتباعه يصير العادة عبادة وينور الباطن ويوجب سعادة ويذكر العبودية اي التي هي القيام
بحقوق الربوبية ويقرب الى الارتياض اي تهذيب الاوصاف عن الاخلاق الذميمة فالمسترسل في اتباع
الهوى يشبه البهائم كما اشار اليه قوله تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل لانها ليس لها استعداد
الانام وما يكون كالانعام كيف لم يفرق بين الحلال والحرام هذا اي خذ هذا الكلام وانا على
عليه السلام فمن مال الى الاغراض عنه بنور النبوة على ما اشير فيه دون الانتقال وفق اتباع الهوى
لا استرسال في اتباع الهوى فتركه اي ترك الاتباع للتكذيب كفر بالاجماع ودونه اي وتركه بدون
التكذيب حمقا اي جهالة وضلال في غير النزاع وصفة اي حق اتباعه عليه السلام في انتفاعه بالطعام الذي

هو اصل معاش الانام ان يغسل اليدين الى الرسغين فيغسل اليد الواحدة الا ان صابع غيره كاف بالقيام
بالسنة كما هو مصرح في العوارف والعتبية قبل الاكل وبعده لهما سنتان كما في السراجية ولو غسل يديه للطعام
او غسله يصير الماء مستعملا لاقامة السنة بخلاف ما لو قصد غسلهما من الوسخ كما في الجامع الصغير الخاني
تنظيفا اي تطهيرا من التلوث نظرا الى الثاني وتعظيما للنعمة نظرا الى الاول في الاكل من لعق وتنشيف وشوش
وورد الوضوء المراد به اللغوي وقيل الشرعي قبل الطعام ينفي الفقر لاستقبال النعمة بالطهارة والنظافة
وبعده ينفي اللمم اي اصابة الجنون من فتور العقل وظهور الغم او اصابة لحوق فوات السمم وقيل صغاير
الذنوب ومنه قوله تعالى الا اللمم وقوله عليه السلام ان تغفر اللهم تغفر جما واي عبد لك لا الما وفي نسخة
من الحياء ينفي الهم قال وفي رواية ينفي الفقر قبل الطعام وبعده قال مخرجه رواه القضاعي في مسند الشهاب
مسندا ابو موسى الرضا عن ابائه متصلا باللفظ الاول وللطبراني في الاوسط من حديث ابن عباس
الوضوء قبل الطعام وبعده مما ينفي الفقر وهو من سنن المرسلين ولابي داود والترمذي من حديث
سلمان ان بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده انتهى وروى احمد والحاكم في مستدركه وفي رواية الحاكم
في تاريخه عن عايشة الوضوء قبل الطعام حسنة وبعده حسنتان واغرب سفيان الثوري في قوله يكره غسل
اليدين قبل الطعام ولعله محمول على انها اذا كانت نظيفة بلا ريبة ولذا قيل يد المصلي طاهرة فتجديد
غسلها اسراف ولا سيما ان يكون ما تخرج كما رواه الترمذي في الشمايل عن ابن عباس انه عليه السلام
خرج من الخلاء فقرب اليه الطعام فقالوا الا ناتيك بوضوء فقال انما امرت بالوضوء اذا قمت الى الصلاة
وروى ايضا فيها انه عليه السلام خرج من الغايط فاتي بطعام فقيل له الا تتوضأ فقال عليه السلام
الصلي فاتوضا فاحدثها مالك وسفيان فيكره ان الوضوء قبل الطعام والشافعي انه يستحب تركه والتحقيق
ان المراد من الوضوء المنفي هو الوضوء الشرعي فلا ينافي الوضوء اللغوي العرفي من غسل اليدين مع انه عليه
السلام اراد بيان جواز تركه والتصريح بعدم وجوبه كما في الترمذي عن سلمان قال قرات في التوراة
ان بركة الطعام الوضوء بعده فذكرت ذلك له عليه السلام واخبرته بما قرات في التوراة فقال عليه السلام بركة
الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده انتهى فهو عليه السلام بعث لتمام مكارم الاخلاق الانام ثم مسح
اليدين بعد الطعام مستحب ولا يمسح يديه بالمنديل ونحوه قبل الطعام بل يتركه حتى يجف فيكون اثر الغسل
قايما عند الاكل كذا في الكافية ويفتتح اي يبتدى بعد التسمية بالملح الخالص ويختتم به فقيه اي فيما
ذكر من الافتتاح والاختتام به مغفرة الذنوب اي الصغاير ودفع سبعين بلاء اي من البلوى الظاهرة
والضماير وهذا لا اصل له اصلا وياكل على السفرة اي الجلد او الخرقة الموضوعة على الارض فهو اقرب الى
ادبه عليه السلام وتواضعه لمقام الانعام فورد كان اذا اتي بطعام وضعه على الارض في احمد
في كتاب الزهد عن الحسن مرسلا والبزار من حديث ابي هريرة ونحوه وفي البخاري عن انس ما اكل رسول
الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا سكرجة فقيل فعلى ما ذا كانوا ياكلون فقال على السفر وفي جمع السفرة
الدالة على السفر المذكر لسفر الاخرة وزاد متاعها الفاخرة فالخوان اي استعمال الموائد والمناخر والاشنان

ولا اشنان والشبع منه المبتدع وان لم يكن اي ولو لم يكن فان المبدع الاربع من موهوات عن الشبع فانه
مذموم بالشرع والطبع قال بعض الحكماء ثلاثة يبغضهم الناس البخيل والمتكبر والاكول وقال ابو سليمان
الداراني من شبع دخل عليه ست آفات فقد حلاوة العبادة وقصور حفظ الحكمة وحرمان الشفقة على
الخلق لانه اذا شبع ظن ان الخلق كلهم شباع وثقل الطاعة وان يدور المؤمنون حول المساجد وهو حول
المزابل وتهويد ورود الصواعق والمزابل وقيل في قلة الاكل منافع كثيرة منها ان يكون اصح جسما واجود حفظا
واذكى فهما واقل نوما واطيب نفسا واخف بدنا والطعم حسن وفي كثرته الاكل مضار كثيرة وهي اضداد ما تقدم
ويتولد منها الامراض المختلفة وبعيد اذا كانت العاهة فقد ان كل صلحت بمؤنة قليلة واذا كانت من كثرة الاكل
تحتاج الى مؤنة كثيرة تدفعها ثم ليس كلما ابتدع ممنوعا عنه بل المنهي عنه ابداع بدعة تضاد سنة قال الحجة
وليس في المايدة الا رفع الطعام عن الارض لتيسير الاكل وامثاله ذلك فما لا كراهة فيه اقول وانما الكراهة
من حيث انه مخالف للسنة ومشعار اهل النعمة وطريق اهل الكبر والنخوة قال والاربع التي ذكرناها الخفي
مستبدعة ليست متساوية بل الاشنان حسن لما فيه من النظافة فان الغسل مستحب والاشنان اتم في
التنظيف وكانوا لا يستعملونه لانه ربما كان لا يعتاد عندهم وانهم لم يتيسروا وكانوا مشغولين بامور هي
اهم من المبالغة في النظافة وقد كانوا لا يغسلون الايدي ايضا وكان مناديلهم اخمص اقدامهم وذلك
لا يمنع كون الغسل مستحبا قلت تشبيه الغسل باللاحتياج لذلك يتناقض ما فعلوه احيانا في حال الاضطرار وفي الجملة
ليست المبالغة في النظافة من عمل السلف الاخيار وفي الخانية عن ابي حنيفة وابي يوسف انه لا باس بغسل
اليد بعد الاكل بالنخالة والدقيق فهما بمنزلة الاشنان وهو قول محمد فانه يغسلون والصابون ونحوها اولى
فان النظافة بهما انقى وفي الازهار شرح المصابيح قال العلماء ورد عنه عليه السلام انه غسل قبل الطعام
وبعده وترك الغسل في احايين وورد مسح اليدين بالمنديل والحجب الى ان يريد اكل شيء رطب
وقد اتفق طهارته فيكره وشبهها فتبديد المصلح طاهرة واختلاف الروايات لتفاوت الاطعمة والحالات
والاكثر على اصالة الغسل قبل الطعام وبعده والاكتفاء بالغسل في الآخر والله اعلم قال واما المنخل فالمقصود
تطييب الطعام وذلك مباح ما لم ينته الى التنعم المفرط واما الشبع لهي اشد هذه الاربع فانه يدعو الى تهييج
الشهوات والاسراف وتحريك الادواء في الاعضاء متادبا اي بالاكل حال كونه متادبا في هيئة جلوسه فورد
لا اكل متكيا اي متمكنا في قعوده مستويا كون مستندا او متكيا على احد شقيه او متربعا او مضطجعا والحديث
رواه البخاري من حديث ابي جحيفة وفي السراجية لا باس بالاكل متكيا اذا لم يكن عن تكبر انما انا عبد
اكل كما ياكل العبد البزار من حديث ابن عمر وزاد احمد في الزهد من حديث عطا بن ابي رباح ومن حديث
الحسن مرسلا واجلس كما يجلس العبد وورد بسند ضعيف انه عليه السلام زجر ان يعتمد الرجل بيده
اليسرى عند الاكل الا الفاكهة استثناء من قوله الا اكل متكيا على سبيل التفكه اي التنقل من الجوب فيجوز متكيا
ومضطجعا ويجلس على الرجل اليسرى وينصب اليمنى فهو مسنون روى ابو الحسن المقرئ في الشمايل من حديث
انس كان اذا قعد على الطعام استوفز على ركبته اليسرى واقام اليمنى قال انما انا عبد اكل كما ياكل العبد وافعل

كما يفعل العبد وفيه تنبيه على ان الاكل على المائدة كبر وربما جثا للاكل على ركبتيه وجلس على ظهر
قدميه فقد روى ابو داود من حديث عبد الله بن بسر في اثنا حديث اتوا بتلك القصعة فالتفوا عليها
فلما كثروا جثا رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث وله وللنسائي من حديث انس رايته ياكل وهو مقع
من الجوع وفي القاموس اقعى في جلوسه تساند الى ما وراءه ويروى عن علي انه اكل كعكا على ترس وهو
مضطجع ويقال منبطح على بطنه والعرب قد تفعل ذلك اذا لم يكن مانع لهذا الاكل ولما ورد من نهيه عليه
السلام عن اكل الرجل وهو منبطح على بطنه كما رواه ابو داود وابن ماجه والحاكم فهو محمول على
التنزيه وكذا ينبغي ان ياكل ما يتقوى به اي بالاكل القوة على الطاعة دون التلذذ وقصد الشهوة
ومن دعاء السلف بعد الاكل اللهم اجعله عونا على طاعتك ولا تجعله عونا على معصيتك ومن
ضرورة هذه النية تقليل الاكل من الغضب وفي الخبر ما ملأ ابن ادم وعاء شرا من بطنه حسب
ابن ادم لقيمات يقمن صلبه فان لم يفعل فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس الترمذي
وقال حسن والنسائي وابن ماجه من حديث المقدام بن معدي كرب ويقدم الاكل على الصلاة اي م
ان امن فوتها اي بخروج وقتها وانما يقدمه لئلا يبرد اذا قعد لديه ولئلا يلتفت القلب اليه قال
الخلوط بالصلاة خير من الصلاة المخلوطة بالطعام وورد اذا حضر العشاء بفتح العين اي
طعام الليل والعشاء بكسرها فابدوا بالعشاء وهو يشمل العشائين وكذا اذا اتفق وقت العصر وكذا حكم
الغداء عند الظهر نظرا الى العلة وهي الشاغل والحديث كذا في الاحياء قال العراقي في شرح الترمذي
لا اصل له في كتب الحديث بهذا اللفظ واصل الحديث في المتفق عليه بلفظ اذا وضع العشاء واقيمت
الصلاة فابدوا بالعشاء والجمهور على ان الامر للندب فقيل انه مقيد بمن كان محتاجا الى الاكل وهو
المشهور وقيل على اطلاقه واليه ذهب ابن عمر وقد كان ربما يسمع قراءة الامام فلا يقوم من عشائه ك
وقيل المراد به صلاة المغرب لرواية فابدوا به قبل ان تصلوا المغرب وفي رواية اذا وضع العشاء واحدكم
صائم وقيل وهو الظاهر ينبغي حمله على العموم نظرا الى العلة وهي التشوف المفضي الى ترك الخشوع
وذكر المغرب لا يقتضي الحصر فيها لان الجائع غير الصائم قد يكون اشوق الى الاكل من الصائم
ثم الحمل على العموم انما هو بالنظر الى المعنى الحاقا للجائع بالصائم لا بالنظر الى اللفظ الوارد كذا
في فتح الباري شرح البخاري ويكثر الايدي اي على الطعام ولو من اهله وولده والخدام فورد اجتمعوا
على طعامكم يبارك لكم فيه بصيغة المجهول ابو داود وابن ماجه من حديث وحشي بن حرب باسناد
حسن وقيل الاكل مع العيال افضل من الاكل وحده والاكل مع الغير افضل من الاكل مع العيال وكان عليه
السلام لا ياكل وحده الخرائطي في مكارم الاخلاق عن انس وفيه تقليل الاكل اي غالبا والاتفاق
اي الايثار المحمود وباب اتفاق والجمع في القصعة الواحدة احب الى الله تعالى فعنه عليه السلام خير الطعام
ما كثرت عليه الايدي كذا في الاحياء وسكت عنه مخرجه وعن عمر مرفوعا كلوا جميعا ولا تفرقوا فان البركة
مع الجماعة ابن ماجه وتجتنب القصعة الصغيرة فلا بركة فيها لعدم اتساع الايدي ونحو الصحن والخوان

والنبي ما راى ويجتنب الاكل فيهما فالمسنون الخشب والخزف واما الصيني فهو غاية التنعم ولم يكن من عمل
السلف ويسمي اي ان تبدأ فهو سنة مؤكدة فعن عائشة اذا اكل احدكم طعاما فليذكر اسم الله فان
نسي ان يذكر الله في اوله فليقل بسم الله على اوله واخره ابو داود والنسائي والحاكم وقيل التسمية واجب اسم
ويحمد في الانتهاء فانه مستحب والاحسن ان يذكر لقمة ان يسمي في اوله ويحمد في اخره وفي الاحيا يقول مع اللقمة
الاولى بسم الله ومع الثانية بسم الله الرحمن ومع الثالثة بسم الله الرحمن الرحيم فعل بهذا القول مع
الاول الحمد لله ومع الثانية زيادة رب العالمين ومع الثالثة زيادة الرحمن الرحيم اي بالتسمية ويجهر به
تذكر الغير وتحريضا على الخير ولا يعيب ماكولا من المباح فهو الماثور اي المتفق عليه من حديث ابي
هريرة انه عليه السلام كان لا يعيب ماكولا ان اشتهاه اكله وان كرهه تركه فذهب بعضهم الى ان العيب ان
كان من جهة الخلقة كره وان كان من جهة الصنعة فلا يكره وقال العسقلاني والذي يظهر التعميم فان
فيه كسر قلب الصانع قلت لكن قد يراد به التنبيه والتعليم في الادب ان ياكل بيمينه وان يتحمى ويرجعا ما يليه
ويأكل مما يليه متفق عليه من حديث عمر بن ابي سلمة وهو ربيبه عليه السلام انه قال ادن وسم الله وكل
بيمينك وكل مما يليك الا في الثمار اي الفواكه فهو اي الاستثناء مروي معللا بانه ليس نوعا واحدا اذ يوجد فيه ما هو
ني ومطبوخ وبين ذلك وكذا اذا كان في الطبق انواع من الثمار فمن كل نوع لحق فله ان ياكل من
غير ما يليه والحديث رواه الترمذي وابن ماجه وابن حبان من حديث عكراش بن ذؤيب وفيه وجالت
يد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الطبق فقال يا عكراش كل من حيث شئت فانه غير لون واحد ولا ياكل من
ذروة القصعة اي اعلاها ولا من وسطها اي ولو لم يكن مرتفعا بل من جانبيها فعن ابن عباس
كلوا في القصعة من جوانبها ولا تاكلوا من وسطها فان البركة تنزل في وسطها احمد والبيهقي وفي رواية ابي
داود وابن ماجه عن عبد الله بن بسر كلوا من جوانبها وذروا ذروتها يبارك فيها وفي رواية لابن
ماجه عن واثلة كلوا بسم الله من جوانبها واعفوا راسها فان البركة تاتيها من فوقها ووسط الخبز اي
ولا من وسط الخبز بل ياكل من استدارة الرغيف الا اذا قل الخبز فيكسر الخبز ولا ياكل
باصبعين اي الا اذا كان يحتاج الى ثالثة فهو تكبر وكذا باصبع فان الاكل بها مع انه فعل المتكبرين
لا يستلذ به الاكل ولا يستمرئ به لضعف ما يناله منه كل مرة فهو كمن اخذ حقه حبة حبة ولا باربع فهو
شره اي حرص على الطعام الا اذا احتاج به فقد قيل انه عليه السلام ربما كان يستعين في الاكل برابع
اصابعه وكان لا ياكل باصبعين وقال الشيطان ياكل بهما والسنة اي المعروفة والعادة المالوفة له عليه
السلام بثلاث ففي شمائل الترمذي عن كعب بن مالك انه عليه السلام ياكل باصابعه الثلاث وقد
قال العلي يستحب الاكل بثلاث اصابع ولا يضم اليها الرابعة والخامسة الا لعذر واما ما اخرجه سعيد
بن منصور من مرسل ابن شهاب ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اكل اكل بخمس فيحمل على العمل
النادر لبيان الجواز او على المائع ولا بالشمال فان الشيطان ياكل به اي بهذا العضو فعن جابر لا تاكلوا
بالشمال فان الشيطان ياكل بالشمال ابن ماجه وعند الضرورات تباح المحظورات ولا يقطع الخبز واللحم

بالسكين فهو منهي عنه للتشبه بالعجم في الشرنع اي التكبر والتنعم في ازمنة جاهليتهم اما النهي عن قطع الخبز
بالسكين فرواه ابن حبان في الضعفاء من حديث ابي هريرة وابن حبان من حديث ام سلمة مرفوعا
منافات كرامة كما سياتي بيانه في مقامه واما حديث النهي عن قطع اللحم بالسكين فرواه ابو داود والبيهقي
في شعب الايمان من حديث عائشة مرفوعا لا تقطعوا اللحم بالسكين فانه من صنيع الاعاجم وانهشوه
فانه اهنا وامرا وللترمذي واحمد والحاكم من حديث صفوان بن امية قال انهشوا اللحم نهشا فانه اشهى
واهنا وامرا وفيه ايماء الى جواز القطع وفي الشمائل عن المغيرة بن شعبة قال ضفت مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم ذات ليلة فاتى بجنب مشوي ثم اخذ الشفرة فجعل يحز لي بها منه وفي الصحيحين انه عليه السلام
احتز من كتف فدعي الى الصلاة فالقاها والسكين التي يحتز بها ثم قام يصلي ولم يتوضأ وفي البيهقي
ان النهي عن قطع اللحم بالسكين في لحم قد تكامل نضجه هذا وقد ورد اخلعوا نعالكم عند الطعام فانها
سنة جميلة رواه الحاكم عن انس وفي رواية له ويعني فانه اروح لاقدامكم ويحضر البقل اي يجعله حاضرا
في السفرة فهو يحضر الملائكة اي اذا لم يكن له رائحة خبيثة ويطرد الشياطين لانهم لا يجتمعون مع
الملائكة في محل واحد لكن لم اعرف له اصلا وفي الاحياء يقال ان الملائكة تحضر المائدة اذا كان عليها
بقل وفي الخبر ان المائدة التي انزلت على بني اسرائيل كان عليها كل البقول الا الكراث وكان
عليها سمكة عند راسها خل وعند ذنبها ملح وسبعة ارغفة على كل رغيف زيتون وحب رمان وعن
علي رضي الله عنه من ابتدأ غداءه بالملح اذهب الله عنه سبعين نوعا من البلاء ومن اكل كل يوم سبع تمرات
عجوة قتلت كل دابة في بطنه ومن اكل كل يوم احدى وعشرين زبيبة حمراء لم ير في جسده شيئا يكرهه
واللحم ينبت اللحم والثريد طعام العرب والسفارجات تعظم البطن وترخي الاليتين ولحم البقر داء
ولبنها شفاء وسمنها دواء والشحم يخرج مثله من الداء ولن تستشفي النساء بشيء مثل السمن ولن
تستشفي النفساء بشيء افضل من الرطب والسمك يذيب شحم الجسد وقراءة القرآن والسواك يذهبان
البلغم ومن اراد البقاء ولا بقاء فليباكر بالغداء وليقل من العشاء وليلبس الحذاء اي النعل وليقل غشيان
النساء وليخفف الرداء وهو الدين اي من القرض ولو كانوا من الكرماء واكل اي ويحضر فهو ينفي الفقر
مقلوبه وردها اي قفر من ادم بيت فيه خل الطبراني وابو نعيم عن عائشة ويغطي الاناء اي يستره لئلا يقع
فيه شيء ولا يلتفت اليه نظر حتى يبرد اي يسهل اكله فهو اعظم بركة وهو السنة اي ثابت بها لقوله
عليه السلام ابردوا بالطعام فان الحار لا بركة فيه رواه الحاكم وغيره ولا ينفخ في الطعام الحار
فهو منهي عنه بل يصبر الى ان يسهل اكله والحديث عند احمد عن ابن عباس وهو عند ابي داود والترمذي
وصححه وابن ماجه الا انهم قالوا في الاناء وللترمذي وصححه من حديث ابي سعيد نهى عن النفخ في الشراب
اي لئلا يقع من ريقه شيء ويقع فيه فيتنفر الطبع منه ويكرم الخبز فورد اكرموا الخبز اخرجه الحاكم في
مستدركه عن عائشة وفي رواية فان الله اكرمه ومن اكرم الخبز فقد اكرمه الله وفي رواية فان الله انزله
من بركات السماء اخرجه البغوي في معجم الصحابة من حديث عبد الله بن زيد مرفوعا والطبراني عن

من حديث ابي سكينة وفي رواية زيادة واخرجه من بركات الارض رواه الحكيم فلا يمسح به اليد ولا
السكين لانه نوع اهانة ولا يضع عليه القصعة ولا المملحة لانه قلب الموضوع ولا ينتظر الادام
لان العيش به تمام في مقام النظام فطلب الزيادة حرص من فضل الكلام وبعد دار القابل من الاكل امر
ولا يمكن ان جوعة قد سد دينها وكل طعام بين جنبين واحد ولا يكبر باليدين ان يبدا فاصبع كالمتكبر
ويقدم المكسور على الصحيح اي في الاكل ولا يلتفت يمينا وشمالا لانه يوجب اشتغال ولا يصغر اللقمة
ابان القناعة كما يشير اليه حديث يكفي ابن ادم لقيمات بصيغة التصغير وتجويد المضغ فانه يعين على
الهضم وكانه يتعاون فلا يمد اليد الى غيرها اشعار بعدم الشره وطول الامل واحتمال قرب الاجل
واما حديث الامر بتصغير اللقمة وتدقيق المضغ فقال النووي لا يصح ذكره الزركشي وكذا احاديث صغروا
الخبز واكثروا عدده يبارك لكم فيه ضعفه ابن حبان ورواه الديلمي بسنده عن عائشة مرفوعا ويستحب
باليسرى اي من اليدين عند الحاجة اي الملحة اليه ففي الطبراني عن عبد الله بن جعفر قال رايت في يمين
رسول الله صلى الله عليه وسلم قثاء وفي شماله رطب وهو ياكل من ذا مرة ومن ذا مرة ولا يجمع بين الادامين
فانه نوع من الشره فلا يليق بالنزاهة وكذا في تحفة الملوك فان الجمع بين الاطعمة حرام اي ممنوع منع
تنزيه عند السلف الكرام والا فقد قال الله تعالى قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من
الرزق وقد ورد انه جمع بين التمر والقثاء كما رواه الشيخان واخرج ابو داود وابن ماجه قدم علينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدمنا له زبدا وتمرا وكان يحب الزبد والتمر واكل كالثور وعند الحاكم الاشر
مشهور والى ما به كالجوع ويلعق الاصابع اي الثلاث ويبتدي بالوسطى فلا يدري في اي جزء منه
البركة ففي صحيح مسلم من حديث انس وجابر ولا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق اصابعه فانه لا يدري
في اي طعامه البركة والقصعة اي ويلحسها فهو كعتق رقبة ففي الاحياء يقال من لعق القصعة وغسلها
وشرب ماءها كان له كعتق رقبة وفي الطبراني عن العرباض من لعق الصحفة ولعق اصابعه اشبعه
الله في الدنيا والاخرة ويأكل السواقط جمع الساقطة ومنه قولهم لكل ساقطة لاقطة فهو كالنور
ففي صحيح مسلم اذا وقعت لقمة احدكم فليأخذها فليمط ما كان بها من الاذى ولا يدعها للشيطان
وورد اكرموا الخبز فانه من بركات السماء والارض ومن اكل ما سقط من السفرة غفر له الطبراني وورد
فهو مهر الحور وفي الاحياء يقال التقاط الفتات مهور الحور العين وسبب سعة العيش اي
الرزق في الدنيا حيث عظم نعمة المولى والعافية في الولد اي ذريته من الفقر والسل ففي الاحياء
من اكل ما يسقط من المائدة عاش في سعة وعوفي في ولده قال المخرج رواه ابو الشيخ في كتاب الثواب
من حديث جابر بلفظ امن من الفقر والبرص والجذام وصرف عن ولده الحمق وفي رواية اعطي سعة
من الرزق ووقي الحمق في ولده وولد ولده ويخلل الاسنان اي تنظيفا ويخرج اي بالخلال
ما بقي منه ولا يبلعه الا اذا تخلله بلسانه ويمضمض اي بعد التخلل ويبالغ في النظافة والملاطفة
ما اكل كالثور وبعضه فيما قدمنا مذكور وفي الاحياء فيه اثر من اكل ما يبيت ويحمد الله تعالى بان يقول

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى والحمد لله الذي اطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين
والحمد لله الذي اطعمني هذا الطعام ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة وامثال هذا مما ورد في
السنة ان عرى اي خلى الطعام عن الشبهة اي التوبة والا يستغفر ويندم ويغتم حزنا على اكله
منه فورد كل لحم نبت من سحت فالنار اولى به البيهقي في شعب الايمان من حديث كعب بن عجرة ويبكي
فليس من يأكل ويبكي كمن يأكل ويلهى ويقول الحمد لله على كل حال ويقرأ الاخلاص اي سورة قل
هو الله احد والقريش صوابه قريش اي سورة لايلاف قريش كذا في الاحياء ولعل الاولى ايما
الى توحيد الذات وتفرد الصفات لا سيما النعت الصمدي بالوصف الاحدي الابدي والثانية
اشعار اي تذكار وصفه سبحانه بنعت الاحسان والامتنان حيث قال فليعبدوا رب هذا البيت
الذي اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف واقول وقراءة سورة الفاتحة المشتملة على الحمد والدعاء بالاستقامة
الفاتحة كما هو المتعارف بين العامة مستحسن فالمعنى مفيد ولا يقوم اي عن السفرة قبل ان يرفع
اي الطعام الا اذا كان عادة ذلك المقام وان دعو لصاحب الطعام ان اكل طعام الغير فيقول اللهم بارك
بارك له فيما رزقته واغفر له وارحمه وان افطر عند قوم قال افطر عندكم الصائمون واكل طعامكم الابرار
وصلت عليكم الملائكة ويقدم الافضل اي في السن والرتبة كالعالم والسيد في الغسل اي في غسل
اليد اخرا ويوجه اولا مراعاة لحشمته فيهما في السراجية ان من السنة ان يبدأ بالشباب قبل الطعام
ثم بالشيوخ وبعد الطعام بالعكس الاكل والشراب اي وتقديمه فيهما مطلق لقوله عليه السلام
اذا وضع الطعام فليبدأ امير القوم او صاحب الطعام او خير القوم ابن عساكر عن ابي الدرداء بسند
الكوان في مرسل ويقبل اي الضيف الاكرام كتقديم الطست من المضيف او غيره اصله الطس ابدل احد
من احد السينين تاء وحكي بالشين المعجمة كذا في القاموس والظاهر انه عجمة فالكرامة لا ترد بل
تقبل وقد اجتمع انس بن مالك وثابت البناني وهو تلميذه التابعي فقدم انس الطست اليه فامتنع
ثابت فقال له انس اذا اكرمك اخوك فاقبل كرامته ولا تردها فانما يكرم الله عز وجل وروي ان
هارون الرشيد دعا ابا معاوية الضرير فصب الرشيد على يده في الطست فلما فرغ قال يا ابا
معاوية اتدري من صب على يدك الماء فقال لا فقال صبه امير المؤمنين فقال يا امير المؤمنين انما اكرمت
العلم واجللته ما جلك الله واكرمك كما اجللت العلم واهله ولا يطيل انتظار الجمع اي اذا كان هو
المتبوع والمقتدى به فحينئذ ينبغي له ان لا يطول عليهم الانتظار اذا اجتمعوا للاكل وكفيوا
له موردني ليت ان يعجل فينبغي اي يستوي وفيه انه لم يكن لما كان من ينتظر فالا يتعذر الى به فيه
نظروا او ليسكت اي حين الاكل فهو سيرة العجم المجوس لكن لا يتكلم كثيرا لعنه فانه يوجب
الهم وهو سيرة البهم بل يتكلم بالمعروف ويتكلم بحكايات الصالحين في الاطعمة وغيرها مما يناسب الطعام
ويوافق الرفيق بان يؤثره اخيه الاطعمة ولا يقصدان يأكل زيادة على ما يأكله فان ذلك حرام
ان لم يكن موافقا لرضى رفيقه مهما كان الطعام مشتركا ويتعهد اي يتفقد في الجملة غير ملح اي في حرمة

عزم على الاكل فيقول له كل ولا يزيد على ثلاث اي ثلاث مرات فهو مروي فقد كان عليه السلام
اذا خوطب في شيء ثلاثا لم يراجع بعد ثلاث رواه احمد من حديث جابر واسناده حسن وفي البخاري من حديث
انس كان يعيد الكلمة ثلاثا ولا يحلف بتشديد اللام معلوما او مجهولا اي على الحسن بن علي الطعام
اهون من ان يحلف عليه لان القسم انما يكون لمن يصعب لديه ولا يهون عليه ولا يحوج اي رفيقه
او مضيفه الى التفقد قال بعض الادباء احسن الاكلين اكلك مع الرفقاء من لا يحوج صاحبه الى تفقده في
اكله وحمل بعضه عن اخيه مؤنة قوله وكان ابن المبارك يقدم فاخر الرطب الى اخوانه فيقول من اكل اكثر اعطيته
بكل نواة درهما وكان يعد النوى فيعطي كل من له فضل نوى بعدده دراهم وذلك لزيادة النشاط في انبساط
الانبساط وقال جعفر بن محمد احب اخواني الي اكثرهم اكلا واعظمهم لقمة واثقلهم علي من يحوجني الى تفقده بعد
في الاكل ويجمع ما الكاسر طست ما امكن اي مهما وسع فورد اجمعوا وضوءكم بالفتح اي ما الوضوء وهو يشمل
اللغوي والشرعي جمع الله شملكم اي تفرقكم والحديث رواه القضاعي من حديث ابي هريرة باسناد لا بأس
به وكان حق المص ان يأتي بهذه الجملة قريبا مما سبق ليكون متعلق على اليد على طبق النسق ولا يحاضر ان
ان يجتمع على غسل الايدي في الطست الكبير لا بأس به اذا كان في حالة واحدة بل هو اقرب الى التواضع
ولا تكسبا روا بعدين طول انتظار وان لم تفعلوا فلا ينبغي ان يصب ما كل واحد كما يفعل بعض المتكبرين
من الاعاجم لا تقدم وتعول ابن مسعود اجتمعوا على غسل الايدي في طست واحد ولا تستنوا بسنة الاعاجم
وكتب عمر بن عبد العزيز الى الامصار لا ترفع طست من بين يدي القوم الا مملوءة ولا تشبهوا بالعجم ويدل
ما اخرجه البيهقي والخطيب والديلمي عن ابن عمر مرفوعا اترعوا الطسوس وخالفوا المجوس وهو بالحث فيكر
الترا اي املؤها ولا يضم الذي يصب الماء على اليدي كره بعضهم ان يكون قائما واحب ان يكون جالسا
اي باركا ليكون اقرب الى التواضع وكره بعضهم قيامه من الطست اداب وهي ان لا يبصق فيه وان يقدم جلوس واجب
فيه المتبوع وان يقبل الاكرام بالتقديم وان يدار يمينه وان يجتمع فيه جماعة وان يجمع الماء فيه وان يكون
الخادم قائما ماثلا وان يمج الماء فيه ويرسله من فيه برفق حتى لا يرش على الفراش وعلى اصحابه ويصب صاحب
المنزل بيده على يد ضيفه كما فعله مالك بالشافعي في اول نزوله عليه وقال لا يروعك مني ما رأيته فخدمة الضيف
فرض فعله ولعله ماخوذ من قوله تعالى هل اتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين وقوله عليه السلام من كان يؤمن
بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه وقوله اذا جاءكم الزائر فاكرموه الخرائطي في مكارم الاخلاق من حديث انس
ويحترز عما يكره الرفيق قولا اي مما يعجبه ويكون سببا لكدورة خاطره وفعلا كالنفخ في الطعام والشراب
لما تقدم وكذا لا يشم الطعام فانه من عمل الانعام ولا يأكل في الظلمة فهو منهي عنه وما كان اربعة اشياء لا ن
فيه وما ه اذا احتاج عادة والنظر الى اكله اي فيستحي منه بل يشتغل بنفسه الا اذا اكل مع اهله ونفض اليد
اي في القصعة وتقريب الراس اي وتقديمه عند وضع اللقمة في فمه واخراج شيء من الفم متوجها اي الى رفيقه او
طعامه واخذه باليمين فينبغي ان يخرج الشيء من الفم جاريا وجهه واخذ باليسار وجعل اللقمة المغموسة في القصعة
فانه سبب لنفرة الطبيعة والدهنين اي الاكل مع من يغمس اللقمة الدسمة بالدهن وغيره في الخل والعكس اي ولا الخل

في الدسم فقد يكرهه غيره وكذا اللقمة التي قطعها بسنه فلا يغمس بقيتها في المرقة والخل ونحوهما والتكلم
بالمستقذرات اي الحسية والمعنوية والا مع الحال اي الحال من المخوفات كذكر الموت وتذكار الاموات
والاستيذان اي طلب الاذن في التقديم اي تقديم الطعام بل يقدمه من غير استعلام كما يشير اليه قوله
فراغ الى اهله فجاء بعجل سمين اي ذهب اليهم بخفية قال الثوري اذا زارك اخوك فلا تقل له اتاكل او اقدم
اليك ولكن قدم فان اكل والا فارفع والامتناع اي امتناع الضيف او الرفيق عن الاكل قبل
استشاعه اي امتناع صاحبه فلا يمسك قبل اخوانه اذا كانوا يحتشمون الاكل بعده بل ينبغي ان يمد يده
ويقبضها ويتناول قليلا قليلا الى ان يستوفوا فان كان قليل الاكل توقف في الابتداء وقلل الاكل
حتى اذا توسعوا في الطعام اكل معهم اخرا وقد فعل ذلك كثير من الصحابة واذا امتنع بسبب فليعتذر منهم
رفعا للخجلة عنهم والرفع اي رفع الطعام قبل استيفائه اي استيفاء الضيف غرضه في ذلك المقام
بل يغتنم اطالة المجلس مع الاصحاب الكرام وان من اداب الطعام ما قال جعفر بن محمد اذا قعدتم مع
الاخوان على الموائد فاطيلوا الجلوس فانها ساعة لا تحسب عليكم من اعماركم وقال الحسن كل نفقة
ينفقها الرجل على نفسه وابويه فمن دونهم يحاسب عليها الا نفقة الرجل على اخوانه في الطعام
فان الله يستحي ان يسأله عن ذلك ويروى حديث جابر عند الازدي في الضعفاء ثلث لا يسألون عن
النعيم الصائم والمتسحر والرجل يأكل مع ضيفه ورواه الديلمي بنحوه من حديث ابي هريرة وقد ورد لا تزال
الملائكة تصلي على احدكم ما دامت مائدته موضوعة بين يديه حتى ترفع الطبراني في الاوسط
من حديث عائشة وفي الاحيا روي عن بعض علماء خراسان انه كان يقدم الى الاخوان طعاما كثيرا لا يقدرون
على اكل جميعه وكان يقول بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الاخوان اذا رفعوا ايديهم عن
الطعام لم يحاسب من اكل فضل ذلك الطعام وانا احب ان استكثر مما اقدمه اليكم لناكل فضل ذلك قال
العراقي لم اقف للحديث على اصل وعن علي لان اجمع اخواني على صاع من طعام احب الي من ان اعتق
رقبة وقيل اجتماع الاخوان على الكفاية من الانس والالفة ليس هو من الدنيا وقد ورد ان في الجنة
غرفا يرى باطنها من ظاهرها وظاهرها من باطنها هي لمن الان الكلام واطعم الطعام وصلى
بالليل والناس نيام الترمذي من حديث علي وعنه عليه السلام من اطعم اخاه حتى يشبعه وسقاه حتى
يرويه بعده الله من النار سبع خنادق ما بين كل خندقين مسيرة خمسمائة عام الطبراني من حديث ابن عمر
والتكلف اي تكلف المضيف للضيف كان لا يستقرض ففي البخاري عن عمر نهينا عن التكلف وفي رواية
البيهقي عن سلمان مرفوعا لا يتكلفن احد لضيفه ما لا يقدر عليه والمعنى انه يقدم له ما حضره من الطعام
فان لم يحضره شيء ولم يملك شيئا فلا يستقرض لاجله فيشق على نفسه وقال بعض السلف في تفسير التكلف
ان تطعم اخاك ما لا تاكله انت بل تقصد زيادة عليه في الجودة والقيمة وكان الفضيل يقول انما تقاطع الناس
بالتكلف يدعو احدهم اخاه فيتكلف له فيقطعه عن الرجوع اليه وقال ما ابالي من اتاني من اخواني فاني
لا اتكلف له وانما اقرب له ما عندي ولو تكلفت له لكرهت مجيئه ومللته وقال بعضهم كنت ادخل على اخ

لي فتكلف فقلت له انك لا تاكل وحدك ولا انا فما بالنا اذا اجتمعنا اكلناه فاما ان تقطع هذا التكلف
او تقطع المجيء فقطع التكلف ودام اجتماعنا بسبب ذلك ومن تقديم شيء يحتاج اليه العيال اي بان يقدم جميع
ما عنده فيجحف بعياله ويؤذي قلوبهم في ماله وروي ان رجلا دعا عليا رضي الله عنه فقال اجيبك
على ثلاث شرائط لا تدخل من السوق شيئا ولا تدخر ما في البيت ولا تجحف بالعيال او ان تسامح
النفس به فانه من جملة التكلف فهو يورث الانقطاع اي انقطاع الصحبة والالفة والا فان طعام الاخ
قال الثوري اذا اردت ان لا تطعم عيالك مما تاكله فلا تحدثهم به ولا يرونه معك وعن بعضهم دخلت
على جابر بن عبد الله فقدم الينا خبزا وخلا وقال لولا انا نهينا عن التكلف لتكلفنا رواه احمد وقال
بعضهم اذا قصدت للزيارة فقدم ما حضر وان استزرت فلا تبق ولا تذر وعن سلمان امرنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان لا نتكلف للضيف ما ليس عندنا وان نقدم ما حضرنا رواه ابو بكر بن لال
في مكارم الاخلاق وعن حديث سلمان لا يتكلفن احد لضيفه ما لا يقدر عليه وعن انس وغيره من الصحابة
انهم كانوا يقدمون ما حضر من الكسر اليابسة وحشف التمر ويقولون لا ندري ايهما اعظم وزرا الذي يحتقر
ما يقدم اليه او الذي يحتقر ما عنده ان يقدمه وتقديم اي المضيف ما يشتهي اي ما يحب لنفسه لقوله تع
لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون او ما يشتهيه الضيف اذا علم من حاله ففي الشمائل انه عليه السلام
زار بعض اصحابه فذبح له شاة فقال علموا انا نحب اللحم ويستحسن ان يشتهي المزور اخاه الزائر ويلتمس
منه الاقتراح مهما كانت نفسه طيبة بفعل ما يقترح قال ابو بكر الكتاني دخلت على السري فجاء بفتيت واحد
فجعل نصفه في القدح فقلت اي شيء تعمل انا اشربه لك كله في مرة فضحك فقال هذا افضل من حجة فورد من
صادف اي وافق كما في رواية من اخيه شهوة اي علمها وقدر عليها ينقضها اي قاطعها اياه غفر له البزار
والطبراني من حديث ابي الدردا ومما ينبغي للزائر ان لا يقترح لشيء بعينه فربما يشق على المزور فروي
الاعمش عن ابي وائل انه قال مضيت مع صاحب لي نزور سلمان فقدم الينا خبز شعير وملحا جريشا
فقال صاحبي لو كان في الملح صعتر لكان اطيب فخرج سلمان فرهن مطهرته واخذ صعترا فلما اكلنا
قال صاحبي الحمد لله الذي قنعنا بما رزقنا فقال سلمان لو قنعت بما رزقت لم تكن مطهرتي مرهونة هذا
وان خيره اخوه بين طعامين فليختر ايسرهما عليه فقد اخبرنا عليه السلام بين شيئين الا اختار
ايسرهما متفق عليه من حديث عائشة ثم اذا علم المضيف فرح الضيف باقتراحه عليه وتيسره لديه فلا باس
بل يحصل زيادة الانبساط بسببه وقد فعل ذلك الشافعي مع الزعفراني اذ كان نازلا عليه ببغداد وكان
الزعفراني يكتب كل يوم رقعة بما يطبخ من الالوان ويسلمها الى الجارية فاخذ الشافعي الرقعة في بعض الايام
والحق فيها لونا اخر بخطه فلما راى الزعفراني ذلك اللون انكر وقال ما امرت بهذا فعرضت عليه خط الشافعي
ملحقا بالرقعة فلما وقعت عينه على خطه فرح به واعتق الجارية سرورا باقتراح الشافعي عليه وذلك لانه يدل
على صداقته كما يشير اليه قوله تع او صديقكم وقد قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر منزل ابي الهيثم
بن التيهان كما في الشمائل للترمذي وقال حسن صحيح ومنزل ابي ايوب الانصاري كما رواه الطبراني في المعجم

الصغير عن ابن عباس بسند ضعيف لمن حضر طعاما بالكوفة وكانوا جياعا والدخول على مثل هذه الحالة
اعانة على ذلك المسلم على حيازة الثواب وهي عادة السلف وكان عون بن عبد الله المسعودي
له ثلثمائة وستون صديقا يدور عليهم في السنة وآخر ثلثون يدور عليهم في الشهر وآخر سبعة يدور عليهم
في الجمعة ثم ان دخل ولم يجد صاحب الدار وكان واثقا بصداقته عالما بفرحه من حسن حاله اذا اكل فله ماله
فله ان يأكل بغير اذنه اذ مدار الاذن على الرضا لاسيما في الاطعمة فامرها على السعة فرب رجل يصرح بالاذن
ويحلف وهو غير راض فاكل طعامه مكروه ورب غايب لم يأذن فاكل طعامه محبوب وقد دخل عليه السلام
دار بريرة واكل طعامها وهي غايبة وكان الطعام من الصدقة فقال بلغت الصدقة محلها وكان محمد بن
واسع واصحابه يدخلون منزل الحسن فياكلون ما يجدون بغير اذن فكان الحسن يدخل ويرى ذلك
فيسر ويقول هكذا كنا وروي عن الحسن انه كان قائما يأكل من متاع بقال يأخذ من هذه الجرة تينة
ومن هذه عنبة فقال له هشام ما بدا لك يا ابا سعيد في الورع تأكل متاع الرجل بغير اذنه فقال يا لكع اتل
علي اية الاكل فتلا الى قوله تعالى او صديقكم فقال فمن الصديق يا ابا سعيد قال من استروحت اليه النفس
واطمأن اليه القلب وجاء قوم الى منزل سفيان الثوري فلم يجدوه ففتحوا الباب وانزلوا السفرة وجعلوا
يأكلون فدخل الثوري فجعل يقول ذكرتموني اخلاق السلف هكذا كانوا وزار قوم بعض التابعين ولم
يكن عنده ما يقدمه اليهم فذهب الى منزل بعض اخوانه فلم يصادفه في المنزل فدخل فنظر الى قدر قد طبخها
والى خبز قد خبزه وغير ذلك فحمله كله وقدمه الى اصحابه فقال كلوا فجاء رب المنزل فلم ير الطعام فقيل قد
اخذه فلان فقال قد احسن فلما لقيه قال يا اخي ان عادوا فعد هذا ومن الخصال الذميمة ان تقصد
قوما مترقبا لوقت طعامهم فتدخل وقت اكلهم لمفاجأتهم فان ذلك من الفجأة حال العجلة فقد قال تعالى يا ايها
الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه اي غير منتظرين حينه
ونضجه وفي الخبر من مشى الى طعام لم يدع اليه مشى فاسقا واكل حراما البيهقي
من حديث عايشة ولابي داود من حديث ابن عمر من دخل على غير دعوة دخل سارقا وخرج مغيرا
ويضيف اي بما قدر عليه وحضر لديه فورد لا خير فيمن لا يضيف احمد من حديث عقبة بن عامر وقال
انس كل بيت لا يدخله ضيف لا تدخله الملائكة ومر عليه السلام برجل له ابل كثيرة وبقر كثيرة فلم
يضفه ومر بامراة لها شويهات فذبحت له فقال عليه السلام انظروا اليهما انما هذه الاخلاق بيد
الله فمن شاء ان يمنحه خلقا حسنا فعل رواه الخرايطي في مكارم الاخلاق من رواية ابي المنهال مرسلا
وقال ابو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل به عليه السلام ضيف فقال قل لفلان اليهودي
نزل بي ضيف فاسلفني شيئا من الدقيق الى رجب فقال اليهودي والله لا اسلفه الا برهن فاخبرته
فقال عليه السلام والله اني لامين في السماء امين في الارض ولو اسلفني لاديته اذهب بدرعي ارهنها
عنده رواه ابن مردويه في تفسيره واسحاق بن راهويه في مسنده فان قلت قد تقدم المنع عن الاستقراض
فكيف الجمع قلت محله اذا لم يكن ما يستغرقه وتخلصه فيكون تكلفا زايدا لا يحمله هذا وكان ابراهيم الخليل

الخليل اذا اراد ان يأكل خرج ميلا يلتمس من يتغدى معه وكان يكنى ابا الضيفان ولصدق نيته وحسن
مقصده دامت ضيافته في مشهده الى يومنا هذا في بلده فلا ينقضي ليلة الا ويأكل عنده جماعة من
ثلثة الى عشرة الى مائة وتقصد به اي بالطعام ان تقيم الفقرا اعانة على البر وزيادة الطاعة فقد
ورد في دعائه عليه السلام اكل طعامكم الابرار وفي قوله لا يأكل طعامك الا تقي وقد تقدم دون الاغنيا
ولو كانوا من الصلحا فورد انه اي عكسه شر الطعام معنى به حديث شر الطعام الوليمة يدعى اليه الاغنيا دون
الفقرا متفق عليه من حديث ابي هريرة ولا يهمل الاقربا اي لا تتركهم في الطلب لضيافة الغربا والاخوان اي
الاحبة من الصلحا لقوله تعالى الاخلا يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين ولا تخص بعضهم بل يعمهم تجنبا
عن الوحشة اي التفرق عن الصحبة وقطع الرحم لاسيما اذا كان المدعو العدو في النسبة وينوي اي بالضيافة
استمالة القلوب اي ميل قلوب الاخوان والتقرب اليه بالمحبة الدالة على محبته تعالى لديه وهو ينوي اكرام
اخيه المومن اتباعا لقوله عليه السلام من اكرم اخاه المومن فكانما يكرم الله وينوي ادخال السرور على قلبه
امتثالا لقوله عليه السلام من سر مومنا فقد سر الله عز وجل ابن حبان والعقيلي في الضعفا من حديث
ابي بكر الصديق واقامة السنة اي الطريقة الحسنة دون المباهاة اي لا المفاخرة بكثرة النعمة ولا قصد
الريا والسمعة ولا ارادة العوض وحمل المنة ولا يدعو من يشق الحضور اي حضور مجلس الضيافة او محل
الجماعة لا ان الثقيل يمل كالعليل ولا من يتأذى به الحاضرون كالمبروص وصاحب الجذام ومن يكثر التحكم
والكلام ويبحث بالشقاق مع العلماء علامة ولا الفاسق فانه اعانة على الاثم بل على الاثام وقد
قال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ويجيب اي دعوة الداعي الى الوليمة
ونحوها ان قدر ناويا اكرام المومن فورد من اكرم اخاه المومن فانما يكرم الله لان المومن مراة المومن والحديث
رواه الاصبهاني في الترغيب والترهيب من حديث جابر والعقيلي من حديث ابي بكر واسرار اي فرحه
فورد من سر مومنا فقد سر الله وقد تقدم والحذر عن المعصية فورد من لم يجب الداعي فقد عصى الله
ورسوله كما في المتفق عليه من حديث ابي هريرة واقامة السنة فهي موكدة اي قريبة للوجوب او الى ولي
دليل مقبول والا فهو دليل فعل ولا يميز الغني بالاجابة عن الفقير فان ذلك هو التكبر المنهي عنه ولذلك امتنع
بعضهم عن اصل الاجابة وقال بعضهم انتظار المرقة مذلة وقال اخر اذا وضعت يدي في قصعة غيري فقد ذلت
له رقبتي فقيل هذا خلاف السنة ودفع بان محله اذا كان الداعي لا يفرح بالاجابة ولا يتقلد بها المنة
ولذا قال بعض الصوفية لا تجب الدعوة من يرى انك اكلت رزقك وانه يسلم اليك الوديعة ويرى لك عليه
الفضل والمنة وقال السري السقطي اه على لقمة ليس على الله فيها تبعة ولا للمخلوق فيها منة ويتعلل اي ويتعذر
اذ لم يرد ما يأتي بنوع من العلة الاجابة وذكر لا يستثنى الداعي الا طعام وانما هو حيا من بعض الاثام وقصده الاباحة
اي ولا رادته المفاخرة فليس من السنة اجابة من يطعم مباهاة وتكلفا فروى ابو داود من حديث ابن عباس
انه عليه السلام نهى عن طعام المتباريين اي المتفاخرين كما في رواية العقيلي والمتباريان المتعارضان بفعلهما
للمباهاة والريا كما قاله ابو موسى المديني والتحاتي اي ويتعلل ايضا لان حضر ازعال احترازا عن ارتكاب معصية

اي ما يوجد عند الداعي ككون الشبهة اي الشبهة في الطعام والمنكر في المجلس اي فيه منكرا ان نام من فرش
ديباج او آنية فضة او تصوير حيوان على الحائط او سماع شيء من المزامير او الملاهي او تشاغل
بنوع من اللهو والهزء واللعب فكل ذلك مما يمنع من الاجابة والتي ابي ويوجب تحريمها او كراهتها وكذلك
اذا كان الداعي ظالما او مبتدعا او فاسقا او شريرا او متكلفا طالبا للمباهاة والرياء والسمعة فلا
تجاب له الدعوة فالنية اي تصحيحها وتحسينها الا تؤثر في المباح فتجعله عبادة وتخرجه عن كونه عادة
بخلاف المعصية فانها لا تؤثر في تغيير حكم النية فلا يصح له ان ينوي سرور اخوانه بمساعدتهم في شرب
الخمر او سماع المزامير ونحوهما لا اي لا يجيبه لسفاهة الجاه اي في المدعو ولا لفقر الداعي فهو اي
كل منهما تكبر وكان عليه السلام مع كمال عزه وجلاله يجيب دعوة العبد والفقير وفي ان حبا المساكين
بدل الغني وكان يجالس في اصل الحديث الذي رواه الترمذي وابن ماجه من حديث انس وضعفه الترمذي
وصححه الحاكم وفي ذكر العبد غنية عنه ولقد اجاب دعوة الخياط كما في الشمائل ومر الحسن بن علي رضي
الله عنهما بقوم من المساكين الذين يسألون الناس على قارعة الطريق وقد نثروا كسرا على الارض
وهم يأكلون وكان راكبا على بغلته فسلم عليهم فقالوا له هلم الى الغداء يا ابن بنت رسول الله فقال
نعم ان الله لا يحب المستكبرين فنزل وقعد معهم على الارض واكل طعامهم ثم سلم عليهم وركب
وقال قد اجبتكم فاجيبوني فقالوا نعم فوعدهم وقتا فحضروا عنده فقدم اليهم فاخر الطعام
وجلس يأكل معهم ولا اي لا يجيبه لبعد المسافة ان اعتيدت اي الدعوة اليه والاجابة لديه فورد انه ع
البخاري من حديث ابي هريرة لو دعيت الى كراع الغميم لاجبت وتمامه ولو اهدي الي ذراع لقبلت
والظاهر ان المراد كراع الشاة لكن في المتن مقيد بكراع الغميم تبعا لما في الاحياء وهو بفتح المعجمة وكسر الميم
واد بين الحرمين على مرحلة من مكة وقيل اسم موضع قريب بالمدينة وانه مما يعتاد مسافتها بالحضور
ان جابه او اريد بذكره غاية المبالغة الا ان العراقي قال ذكر الغميم ولا يعرف وترد هذه الزيادة كما رواه
الترمذي من حديث انس لو اهدي الي كراع لقبلت ولا للصوم اي ولا يمتنع لاجل صومه فيفطر ان كان نفلا
ان الحج اي مثبتا الزوال في سر الاكل اي فرصة بفطره بعدل الصوم مع ان الصوم له قضا بخلاف كسر خاطر
مسلم وقد فانه صحا ورد تكلف لك اخوك اي لطبخ الطعام وتقول اني صائم قاله على سبيل التوبيخ لترك
الافطار للضيف عند الحاجة والحديث رواه البيهقي من حديث ابي سعيد الخدري صنعت لرسول الله صلى
الله عليه وسلم طعاما فاتاني هو واصحابه فلما وضع الطعام قال رجل من القوم اني صائم فقال عليه السلام
دعاكم اخوكم وتكلف لكم الحديث وللدارقطني نحوه من حديث جابر ولا اي وان لم يفطر فضيافته بالعطر
اي طيب المشام وطيب الكلام ولا التنحي ولا الدهان ونحوها فانها اصناف الاكرام في المجلس حيث يجلس
فانه قد يكون رتب في مجلسه موضع كل واحد فيخالفه لانه تشوش عليه وان اشار اليه بعض الضيفان بالارتفاع
اكراما فلا يرتفع فهو تواضع فقد ورد من التواضع لله الرضى بالدون من المجلس الخرائطي في مكارم الاخلاق
وابو نعيم في رياضة المتعلمين من حديث طلحة بن عبيد الله بسند جيد ثم يخص جنبه بالسلام والكلام ولا ينظر الى

الى جانب ياتي منه الطعام فهو شره اي دال على حرص في الاكل ولا يطيل اي الضيف انتظارا للمضيف
اذا دعاه فان الانتظار اشد من الموت خصوصا عند توهم الفوت ولا يعجل اي الضيف في المجيء قبل
ان يستعد اي الاستعداد للمضيف الطعام وفجأة المقام ويغير منكرا اي ان قدر على تغييره بيده ولا
اي وان لم يقدر على تغييره باليد ينكر باللسان ومرجع اي ولا يقنع بانكار الجنان فان ذلك من
اضعف الايمان حتى قال احمد بن حنبل اذا راى مكحلة راسها مفضض ينبغي ان يخرج وكذا اذا راى
على حيطان البيت ستورا من الديباج كما تستر الكعبة ويبتدي المضيف بالغسل اي بغسل اليد تحفظا
عن تغير السامة قبل الاكل لانه داع فيكون كالمؤذن يتوضأ قبل الاذان فغسل اليد قبل الطعام
وبعد القوم وقال الغسل قبل الطعام لرب البيت اولى لانه يدعو الناس الى كرامته انتهى ولا يخفى ان
هذا عيب في عرف زماننا ان كان في المجلس فالاولى ان يغسل قبل انعقاد المجلس او في اخر تواضعا ويتأخر
اي في غسل اليد بعده اي بعد فراغ الكل انتظارا للداخل اي من كان يأكل معه وتعظيما للضيفان بالتأخر
لانه تواضع معه في محله ولهذا ينبغي ان يكون اخرهم اكلا فقد كان بعض الكرام يقدم الطعام فاذا
قارب القوم تمام التمام جثا على ركبتيه ومد يده الى الطعام بين يديه واكل وقال بسم الله ساعدوني بارك
الله عليكم وكان السلف يستحسنون ذلك منه ويقدم ما يكفي من الطعام فلا ينقص عن قدر الكفاية ترك
المروءة اي مع وجود القدرة والزيادة على قدر اي حد رياء ان يحضر الناس به اي يطيب بنفسه باخذ ما فضل
من الطعام او ينوي ان يتبرك بفضلهم وقد احضر ابراهيم بن ادهم طعاما كثيرا على المائدة فقال له سفيان يا ابا
اسحاق اما تخاف ان يكون هذا اسرافا فقال ابراهيم ليس في الطعام اسراف ولعل ذلك لانه ليس فيه تضييع
والا في ذلك ويؤيده قولهم لا خير في سرف ولا سرف في خير فهو من قبيل المباحات والمذموم منه المباهاة فان لم يكن
نيه صحيحة فالتكثير تكلف وتصنع قال ابن مسعود نهينا ان نجيب دعوة من يباهي بطعامه وكره جماعة من
الصحابة اكل طعام المباهاة ومن هذا ذلك وكان لا يرفع من بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلة
طعام قط لانهم كانوا لا يقدمون الا قدر الحاجة ولا ياكلون الا تمام الشبع بل حد الكفاية والقناعة
ويميز اولا اي يعزل من الطعام نصيب العيال تحاميا عن الطمع منهم اي لئلا تكون اعينهم طامحة الى رجوع
شيء منه فلعله لا يرجع فتضيق صدورهم وتنطلق في الضيفان السنتهم وتتوجه شرورهم فيكون قد اطعم
الضيفان ما يتبعه كراهة قوم وذلك خيانة في حقهم ولا يرفعه اي ما تقدم الى طعمه فليس للضيفان اخذه
وهو الذي تسميه الصوفية الا فيه توسع من المذلة الا ان يعلم اي الضيف بقرينة الحال سرور اي بفرح المضيف
اذا اخذه فرفعه حينئذ وان كان يظن كراهته لذلك فلا ينبغي ان يوضع شيء مما لكل اذا صرح صاحب
الطعام بالاذن فيه عن قلب راض به واذا علم رضاه فينبغي مراعاة العدل والنصفة مع الرفقا فلا ينبغي
ان يأخذ كل واحد الا ما يخصه او يرضى به رفيقه عن طوع وسخاء لا عن كراهة وحياء ويحتال لسر الطاعمين
اذا اخر الضيف بيتها لانه عليه السلام كان اذا خير بين امرين اختار ايسرهما ولا يقترح الضيف على
المضيف اذا علم فرحه بذلك كما فعله الشافعي في بيت الزعفراني واذا بات اي اقام الضيف عند في الليل
الى

بريه القبلة اى يعلمه المضيف اى جهة الكعبة والمتوضأ اى محل الطهارة هكذا فعله كذلك بالشافعى وفيه
اشارة الى قيام الليل بالتهجد ونحوه وكناية عن قضاء الحاجة فى وقته ويكرمه اى المضيف الضيف بما
امكن من انواع الاكرام لوروده اى عنه عليه الصلاة والسلام من كان يؤمن بالله واليوم الآخر اى
بجميع ما يجب الايمان به والتى يطرق الوعيد به فليكرم ضيفه متفق عليه من حديث ابى شريح وهو اى الاكرام
اولا بالطلاقة اى بشاشة الوجه والسرور اى الفرح فى مقام النشاط عند الدخول والخروج وعلى المائدة وساير
اوقات الصحبة فيكمل ذلك اى اكرام الضيف بطلاقة الوجه وطيب الحديث وقال زيد بن ابى زياد
ما دخلنا على عبد الرحمن بن ابى ليلى الا حدثنا حديثا حسنا واطعمنا طعاما حسنا وثانيا بتعجيل
الطعام فانه يعنى السلام قبل الطعام والطعام قبل الكلام وهو اول المعتبرين فى قوله تعالى هل اتاك
حديث ضيف ابراهيم المكرمين انهم اكرموا بتعجيل الطعام اليهم ودل عليه قوله سبحانه فما لبث ان جاء بعجل
حنيذ اى مشوى وقوله فراغ الى اهله فجاء بعجل سمين اى ذهب بسرعة او خفية وقد جاء يتخذ من لحم واى
سمى عجلا لانه عجله كذا فى الاحياء والاظهر ان المجاز على حقيقته عبارة ويؤخذ منه العجلة اشارة
وقد ورد ان التأنى من الله والعجلة من الشيطان كما رواه الترمذى من حديث سهل بن سعد الا ان ابا
داود روى منه حديث سعد بن ابى وقاص التؤدة فى كل شىء الا فى عمل الآخرة قال الاعمش لا اعلم
الا انه رفعه وصب الماء اى ويكبه المضيف على اليد اى يد الضيف وهو اول المعتبرين فى الآية السابقة
وقد وفد وفد النجاشى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام يخدمهم بنفسه فقال اصحابه نحن نكفيك
يا رسول الله فقال انهم كانوا لاصحابى مكرمين وانا احب ان اكافيهم والتشييع الى الباب اى
باب الدار قال عليه السلام من السنة للمضيف ان يشيع الى باب الدار كذا فى الاحياء وسكت عنه مخرجه
واخذ الركاب اى ركاب الضيف للركوب فالكل ماثور والاخير مروى عن فعل ابن عباس بزيد بن
ثابت ويرجع اى الضيف فرحا اى فى نفسه وان قصر فى حقه ولو قصر المضيف فى حق الضيف برضا الضيف
متعلق برجع فهو حسن الخلق اى فى عشرة الخلق فقد ورد حديث حسن واسناده حسن عن الحسن عن
ابى الحسن عن جد الحسن ان احسن الحسن الخلق الحسن ولا يكون اى لا يلبث الضيف اكثر من ثلثة
ايام تحرزا عن السآمة الموجبة للملام وورد فى الصحيحين من حديث ابى شريح الخزاعى الضيافة
ثلثة ايام وما زاد صدقة يعنى ان شاء فعل وان شاء ترك الا ان يلح اى يبالغ المضيف على الضيف
بالتسوية وعنده زيادة على الثلاث ثم يعرف انه من صميم قلبه وطيب نفسه ويعد فراش الضيف اى يهيئه
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فراش للرجل وفراش للمرأة وفراش للضيف والرابع للشيطان
مسلم من حديث جابر ويستأذن كل اى من الضيف والمضيف صاحبه فى صوم النفل فهو ماثور ويعتذر
اذا كان فرضا من قضاء او نذر وصى على بينه فى رواية الترمذى من نزل على قوم فلا يصوم تطوعا الا باذنهم
ويرسل الطعام لاصحاب المصائب اى الموت بعض الاقارب فامر عليه السلام به اى بارسال الطعام
المسمى بالوضيمة فى لسان العامة لآل جعفر اى ابن عمه وجعفر اى ابن عمه وهو اخو على بن ابى طالب من ابيه وامه

وامه فى وقت شهادته والنمى اى ان يكون ما يجلب بنكر كالنوح ولطم الوجه وخرق الثوب وكشف العورة
تحرزا عن الاعانة على الاثم اى المعصية وقد قال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم
والعدوان والحديث معروف فى جعفر دون حمزة فروى ابو داود والترمذى وابن ماجه من حديث عبد
الله بن جعفر باسناد حسن انه لما جاء نعى جعفر بن ابى طالب قال صلى الله عليه وسلم ان آل جعفر شغلوا بميتهم
عن طعامهم فاحملوا اليهم ما ياكلون ويجتنب طعام السلطان اى اكله فانه لا بد فيه نصيب من الشيطان
ويقبل اى طعامه لو اكره على قبوله او اكله فقد ورد رفع عن امتى الخطاء والنسيان وما استكرهوا
عليه ابن ماجه وابن حبان والحاكم وصحح عن ابن عباس واذا ابتلى به فليقلل منه اكله وان يقصد
ان جوده اى الطيب ان طعمه بغضا للنفس ومخالفة الهوى ومتابعة للكفاية والقناعة لا سيما
اذا كان الطعام فيه نوع من الشبهة فقد رد بعض المزكين شهادة من حضر طعام سلطان فقال
كنت مكرها فقال رايتك تقصد الاطيب وتكبر اللقمة وما كنت مكرها على ذلك واجبر السلطان هذا المزكى
على الاكل فقال اما ان آكل واخلى التزكية او ازكى ولا آكل فلم يجد بدا من تزكيته فتركوه وحكى ان ذا النون
المصرى حبس فلم ياكل اياما فى السجن وكانت له اخت فى الله فبعثت اليه من غزلها طعاما على يد السجان
فامتنع من اكله فعاتبته المراة بعد ذلك فقال كان حلالا ولكنه جاءنى على طبق ظالم واشار به الى يد السجان
وهذا غاية الورع ونحو الثوم اى ويجتنبه والبصل والكراث اى وساير البقول التى لها رائحة خبيثة
خصوصا اذا كان يريد دخول المسجد قبل زوال الرائحة الكريهة لا سيما يوم الجمعة لكثرة الجماعة فهو منهى عنه
لتنفر الملائكة والناس عن رائحته ولذا يستحب التطيب فى حضورها والاكل اى ويجتنبه فى السوق فهو دناءة اى
دالة على قلة مبالاة وعلامة دناءة فقد حكى عن ابراهيم النخعى انه قال الاكل فى السوق دناءة وفى الجامع
والسند الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غريب لكن قال مخرجه رواه الطبرانى من حديث ابى امامة
وهو ضعيف ورواه ابن عدى فى الكامل من حديثه وحديث ابى هريرة انتهى وتعدد طرقه مما يرقيه الى الحسنة
كما لا يخفى واما قوله فى الاحياء فقد نقل ضده من حديث ابن عمر قال كنا ناكل على عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم ونحن نمشى ونشرب ونحن قيام رواه الترمذى وصححه فلا يظهر وجه التضاد اذ يمكن المشى والقيام
ان يكونا فى غير السوق واما قوله تعالى وقالوا ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشى فى الاسواق فانكار
منهم عليه بكل واحد منهما لا بالجمع بينهما يعنى قولهم ياكل الطعام انه ليس بملك وقوله ويمشى يعنى
فى الاسواق انه محتاج الى المبايعة لا بنية التواضع وبهضم النفس وفيه ان الكراهة لما فيه من الدلالة على
الدناءة بالاكل مع نظر الجماعة فكيف يتصور انه يتغير لاجله القضية تبعا للنية وقد صرح الائمة بجرح ذلك فى
الشهادة والاكل تحماله ويجتنبه فى الصحة فهو يضر اى فى الصحة كتركه فى المرض فان وجوده فيه الدواء
كالدواء او قريب منه الحمى فهو يقين من المكروه وعلى شك من العوافى وفيه اللطائف انه راى رسول الله صلى
الله عليه وسلم صهيبا ياكل تمرا واحدى عينيه رمدا فقال اتاكل التمر وانت ارمد فقال يا رسول الله انما
امضغ بالشق الآخر يعنى الجانب السليم فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ماجه من حديث

وفى معناه محضر جماعة منه
السجد وعن
صح

٣
ائتم

صهيب باسناد جيد ويتكل بعضهم القافة اي يغمس الذباب الواقع في الشراب ثم لينقله اي يخرج
الذباب فان في احد جناحيه داء وان الآخر دواء رواه البخاري وابن ماجه عن ابي هريرة مرفوعا
اذا وقع الذباب في شراب احدكم فليغمسه ثم لينزعه فان في احد جناحيه داء وفي الآخر شفاء ويذكر
الجائع حال اكله وقت شبعه ويقول اللهم لا تؤاخذني بحق الجائعين وحساب يوم القيامة فان
حلال الدنيا له حساب وحرامها له عقاب يوجب الملامة والندامة وان لا ياكل الا مع الاخيار وان يشاركهم
بل وان يصاحبهم ولا يفارقهم بل الا لتقياء الا مبرار والعلماء من الاخيار فهو يورث الحكمة اي وانواعا
من الاسرار المنضمة الى انوار الحكمة وان يواظب على البر اي اكل عيش الحنطة ثلثة ايام فهو المروي
اي في الصحيحين عن ابي هريرة ما شبع ال محمد من طعام ثلثة ايام تباعا حتى قبض وياكل التمر
فهو اكثر طعام الانبيا عليهم السلام وعن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت
الليالي المتتابعة واهله طاويا لا يجدون عشاء وكان خبزهم الشعير رواه الترمذي وصححه ويخلط
البربه اي بالشعير ثم اكله فهو سبب البركة وياكل من التمر الا وترا اي ثلثا وسبعا او خمسا واسبعا فورد من
تصبح بسبع تمرات عجوة وهو جنس من تمر المدينة او غيرها لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر رواه احمد والشيخان
وابو داود عن سعد ولا يجمع بين التمر والنوى في طبق اي مشتمل بينه وبين دقيقة وكف اي ولا
في كف لتقذر صاحبه بل يجعله اي النوى من الفم على ظهر اليد او في بطن الكف واصابعه فيلقي اي
في مكان يليق به وكذلك نحوه اي نحو التمر او نواه من الخوخ والعنب وكذلك فضلات التين والرطب
في رواية عبدان وابي موسى عن انس انه عليه السلام نهى عن فتح التمرة وقشر الرطبة ويقدم
الثمار اي اكل الفاكهة الرطبة فورد اي في وصف نار الجنة وفاكهة مما يتخيرون اي يختارون ولحم طير مما
يشتهون ولا استدلال به من حيث الترتيب الذكري بينهما وهو ايضا اقرب الى قواعد الطب فانها اسرع
استحالة فينبغي ان تقع في اسفل المعدة وفيه ايضا اشارة الى تقديم الطف الالوان من الطعام حتى
يستوفي منه ما يريده ولا يكثر الاكل بعده بخلاف عادة المترفين من تقديم الغليظ من الاطعمة ليستأنف
حركة الشهوة بمصادفة اللطيف بعد وذلك خلاف السنة لانه حيلة في استكثار الاكل ومن الوسع ان يفعل
بعد ما تقدم الفاكهة اللحم والثريد وقد ورد سيد ادام اللحم وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر
الطعام وان جمع اليه الحلاوة فقد جمع الطيبات لقوله تعالى في وصف الطيبات وانزلنا عليكم المن
والسلوى فالمن العسل والسلوى اللحم سمي سلوى لانه يتسلى به عن جميع الادام ولا يقوم غيره مقامه
في مقام المرام قال ابو سليمان الداراني اكل الطيبات يورث الرضا عن الله عز وجل من جميع الجهات
وتتم هذه الطيبات بشرب الماء البارد فانه من اعظم اللذات ولذا ورد في الدعاء النبوي اجعل حبك احب
اليّ من الماء البارد وقال بعضهم اذا كان خبزا جيدا ثم اكل حامضا وماء باردا فهو كفاية ويقال اخر الحلاوة
بعد الطعام خير من كثرة الالوان وياكل ما احب اي من الثمار في موسمها فهو المروي ان الله سبحانه
ما خلقها في تلك الازمنة ولا امكنة الا لحكمة بالغة في منفعة الخلق بها والتلذذ بسببها والتذكر لما على فوا كه

فواكه الجنة وكثرة انواعها وفي الدنيا وياكل ما وجد من الطعام الحلال ان وجد تمرا دون خبز اكله
وان وجد شوا اكله وان وجد خبز بر او شعير اكله وان وجد حلوا او عسلا اكله وان وجد لبنا دون خبز
اكتفى به وان وجد بطيخا اكله وان وجد رطبا اكله ويجوع النفس اي يرتاضها ويعودها بتقليل الاكل
لوليمة الفردوس وذلك لان تلك الوليمة للمتجردين في الدنيا والمرتاضين بانواع الرياضة على انفسهم
منها رضا للمولى ولله در القائل بل ويلهيك عن دار الخلود مطاعم ولذة نفس غبها غير نافع
تنقد ورد اجوعكم في الدنيا اشبعكم في العقبى وكان عليه السلام يعقد الحجر اي يربطه على البطن اي
بطنه من الجوع اي من شدة ما به من الجوع وقد اشبعت الكلام عليه في جمع الوسائل بشرح الشمائل ويجتنب
الشرب في اثناء الاكل كما هو منع ارباب الحكمة الا لتعلق لقمة او صادف عطش اي بكثرة حرارة فقد يقال
ان ذلك مستحب في الطب وانه دباغ المعدة من الغش ولا يشرب على الريق واذا عطش ولم يقدر ان
يصبر فليأكل لقمة ليوافق المعدة ويشير اليه قوله تعالى كلوا واشربوا وان كان الواو لمطلق الجمع فان
التقديم الذكري قد يفيد الترتيب كما في قوله تعالى ان الصفا والمروة من شعائر الله وقوله عليه السلام صح
ابدؤا بما بدأ الله سبحانه ولا يكثر من الشرب بعده فهو يخل الهضم لانه يبرد المعدة ويفسدها
بل يصبر قدر ساعة ونحوها ويأخذ الكوز باليمين لما ورد ان الشيطان ياكل بالشمال كما في مسلم وغيره
ويشرب في ثلث من الانفاس لما في الصحيحين وغيره عن انس انه عليه السلام كان اذا شرب تنفس
ثلثا ويقول هو اهنأ وامرأ وابرأ وفي رواية الترمذي وابن ماجه عن ابن عباس كان اذا شرب
تنفس مرتين والاول اكثر واظهر واشهر مفتتحا بالتسمية وهو العباس على الاكل وعن ابن مسعود كان
اذا شرب تنفس في الاناء ثلثا يسمي عند كل نفس ويشكر في اخرهن ابن السني والطبراني ويقول الحمد
لله الذي سقانا عذبا فراتا برحمته ولم يجعله ملحا اجاجا بذنوبنا الطبراني في الدعاء مرسلا من رواية ابي
جعفر محمد بن علي بن الحسين ومختتما بالتحميد في كل اي كل نفس وهو السنة اي كمالها ولا فاصل السنة
المعروفة هو التسمية في اول الشرب والتحميد في اخره وورد عن انس برواية الديلمي مرفوعا مصوا الما
مصا اي اشربوه قليلا قليلا بشبه مصا وفي رواية ابي داود عن عطاء بن ابي رباح اذا شربتم
فاشربوا مصا ولا تعبوه عبا اي ولا تشربوه كثيرا يشبه صبا فان الكباد من العب وهو وجع الكبد
من العب اي من هذا النوع في الشرب وفي رواية البيهقي عن ابن شهاب مرسلا انه عليه السلام نهى
عن العب نفسا واحدا وقال ذلك شرب الشيطان من انية خزف متعلق بيشرب اي من الكوز الفخار
او من الخشب وهو القدح وهو الانسب والى مشرب العرب اقرب ثم بيده اي ثم الافضل ان يشرب
بيده فهو افضل من الكرع اي من الشرب بفمه وغيره اي وغيرها ذكر كالشرب من انية النحاس والقعود اما
من انية الذهب والفضة فان ذلك حرام على الذكور والنساء قائما كما في حديث مسلم عن انس عن غيره وروى
عنه انه شرب قائما كما في الصحيحين عن ابن عباس وحمل على عذر او بيان جواز او الاختصاص بما زمزم
ولا مضطجعا لانه خلاف السنة والحكمة الا لضرورة وينظر فيه اي في الما او الكوز قبل الشرب اي قبل ان

يشرب منه حتى اذا كان فيه اذى دفعه عنه ولا يتنفس فيه اى في داخل الاناء بل يتنفس خارجه
الاناء ثلثا كما سبق به الانباء وورد في الشمايل وغيره ويحفظ اسفله اى اسفل الكوز عن الترشح عليه
اى على بدنه وثوبه وغيرهما مما يكون مكروها لديه فان كل ما تورد يتبرك اى يطلب البركة بسور المسلمين
مورد سور المومن شفا هكذا اشتهر على الالسنة ويتانس له بقوله عليه السلام من التواضع ان
يشرب الرجل من سور اخيه رواه الدارقطني في الافراد عن ابن عباس وقال القاضي عياض في شرح
حديث ام زرع ويروى عن جرير بن عبد الله انه قال لبنيه اذا اشتريتم فاسأروا اى اتركوا في الاناء
سؤرا وهو بقية الشراب في حديث اخر فانه اجمل ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا خير في طعام
ولا شراب ليس له سور وفي الحليه عن ابن عمر انه عليه السلام كان يبعث الى المطاهر ابو السقايات
فيوتى بالما فيشرب يرجو بركة ايدى المسلمين وتبطره اووقع له عليه السلام من عند زمزم والله اعلم
ولا يرد الما اى ما زمزم او مطلقا تعظيما للنعمه ولا يعرض اى الما على غيره تكثيرا للمنة ويدار الكوز
وكذا القدح والملعقة في الاكل والشرب والطشت في وقت غسل اليد بالايمن فقد شرب عليه السلام
لبنا وابو بكر عن يمينه وعمر ناحيه فقال عمر اعط ابا بكر فناول الاعرابى وقال الايمن فالايمن مالك
واحمد والجماعة عن انس ويختار الثوب الابيض اى للبسه لاسيما يوم الجمعة واما يوم العيد فيختار
ما فيه القيمة اكثر والزينة اظهر فهو اى البياض احب الالوان اليه صلى الله عليه وسلم كما في شمايل الترمذي
عن سمرة بن جندب مرفوعا البسوا البياض فانها اطهر واطيب وكفنوا فيها موتاكم وعن ابن عباس
رفعه عليكم بالبياض من الثياب ليلبسها احياكم وكفنوا فيها موتاكم فانها من خيار ثيابكم وكان
يلبس الثوب الاخضر اى احيانا كما في الشمايل والمراد به البحت لانه من ثياب اهل الجنة او البرد
الذى فيه خطوط خضر واما ما ورد انه لبس الاحمر فمحمول على ما فيه خطوط حمر من البرد فقد ورد عن انس
كان احب الثياب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسه الحبرة وهو بوزن العنبة نوع من برود
اليمن فيه خطوط حمر او خضر او زرق والصوف اى في بعض الاحيان باى لون كان من الالوان
ويتوكى فيه اى في اللبس ستر العورة بالازار والتزين لتودد المسلمين اى بلبس الردا ونحوه من
العمامة والقبا وقد قال تعالى يا بني ادم خذوا زينتكم عند كل مسجد ويبدا بالايمن في لبس كل شي من
نحو القميص والخف والنعل وغيرها وبالايسر في النزع اى نزع كل شي كرامة لليمين فيهما فكان عليه
السلام يحب التيامن ما استطاع في طهوره وتنعله وترجله وفي شانه كله رواه احمد والجماعة عن
عايشة وفي الترمذي عن ابي هريرة كان اذا لبس قميصا بدا بميامنه ويفتتح اللبس بالتسمية ويختم
اللبس بالتحميد كما هو معروف من شمايله عليه السلام ففي الشمايل عن ابي سعيد الخدري قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استجد ثوبا سماه باسمه عمامة او قميصا او رداء ثم يقول بعد التسمية
والبسملة اللهم لك الحمد كما كسوتنيه اسئلك خيره وخير ما صنع له واعوذ بك من شره وشر ما صنع له وفي رواية
ابي داود وغيره فمن لبس ثوبا فقال الحمد لله الذي كساني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر

شماله والاعرابي بيمينه

له ما تقدم من ذنبه وما تاخر ويلبس السراويل قاعدا اى كالخف كيلا تنصب انه اى منحنية وقوفه على
جانب او دابة ولا يسبله اى لا يسدل ثوبه من القميص والسراويل والازار ونحوها الى ما تحت
الكعب ففيه اى في الاسبال له الوعيد بانه فقد ورد ان الاسبال في الازار والقميص والعمامة من
جر منها شيئا خيلا لم ينظر الله اليه يوم القيامة رواه ابو داود والنسائي وابن ماجه عن ابن عمر بل يرفع
الى نصف الساق فهو افضل بالاتفاق وفي رواية احمد عن انس الازار الى نصف الساق او الى
الكعبين لا خير في اسفل من ذلك وفي رواية ابن سعد عن يزيد بن ابي حبيب مرسلا كان يرخي
الازار من بين يديه ويرفعه من وراءه وفي رواية الترمذي في الشمايل ويقول انه اتقى وانقى وابقى
ويبدا بلبس القميص قبل كل شئ لانه استر حيث يقوم مقام الازار والردا ففي عن ام سلمة كان احب
الثياب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم القميص رواه الترمذي في الشمايل وفيه ايضا ان كم عليه
السلام كان الى الرسغ ويلبس الخشن اى الغليظ من الثوب ازارا او ردا او غيرهما وهو السنة
اى فعلا وقولا وفي رواية الترمذي والحاكم عن معاذ بن انس من ترك اللباس تواضعا لله وهو يقدر
عليه دعاه الله يوم القيامة على روس الخلايق حتى يخيره من اى حلل الايمان شاء يلبسها فورد اى
عن بعض السلف من رق ثوبه اى لطف رق دينه اى ضعف فكانهما متلازمان كما يشير اليه
حديث من احب اخرته اضر بدنياه ومن احب دنياه اضر باخرته فاثروا ما يبقى على ما يفنى وورد من
لبس ثوب شهرة البسه الله ثوب مذلة يوم القيامة رواه احمد وابو داود وابن ماجه بسند حسن عن ابن
عمر مرفوعا وفي رواية البيهقي عن ابي هريرة وزيد بن ثابت انه عليه السلام نهى عن الشهرتين
رقة الثياب وغلظها ولينها وخشونتها وطولها وقصرها ولكن سداد فيما بين ذلك واقتصاد ولا
يترك اى ثوبه حتى يرقعه فهو السنة لانه عليه السلام كان يركب الحمار ويخصف النعل ويرقع القميص
ويلبس الصوف ويقول من رغب عن سنتي فليس مني رواه ابن عساكر عن ابي ايوب ويكسو المرقوع
فقيرا المسكين بعد حرفه تعالى ففي رواية احمد عن عمر انه استجد قميصا فلبسه فقال حين بلغ ترقوته الحمد
لله الذي كساني ما اوارى به عورتي واتجمل به في حياتي ثم عمد الى الثوب الذي اخلق فتصدق به
كان في ذمة الله وفي جوار الله وفي كنف الله حيا وميتا ولا يتخذ ثوبين اى من جنس واحد كازارين
وردائين وقميصين زهدا في الدنيا ويتصدق باحدهما ان اضطر ميلا الى ثواب العقبى واما
حديث صاحب القميصين لا يجد حلاوة الايمان فلا اصل له ويتعمم فان العمائم تيجان العرب كما انها
بمنزلة التيجان للملوك لغلبة العمايم فيهم وفيه اى في لبس العمامة الوقار اى ظهور العظمة منهم ففي الفردوس
للديلمي عن ابن عباس العمائم تيجان العرب فاذا وضعوا العمائم وضعوا عزهم وفي رواية الباوردي ى
عن ركانة العمامة على القلنسوة فصل ما بيننا وبين المشركين يعطى يوم القيامة بكل كورة يدورها
على راسه نورا ويرسل الذيل اى ذيل العمامة المسمى بالعذبة بين الكتفين ويضع احد الشقين
مما يلى الاذنين اى قدر الشبر او موضع القعود او نصف الظهر وهو وسط مرضى اى عند المص وال

كان والشهر والكثر والظهر والكلم يرى وقد جمعته في رسالة مستقلة ويستجد اي يلبس الجديد
ليلة الجمعة او يومها وهو المعروف من حديث انس كان اذا استجد ثوبا لبسه يوم الجمعة رواه ابن
حبان ويلبس ما اصاب اي وجده من جديد او غيره من غير تعلق بنوع منه او تقيد بصنف منه ما لم يرد
نهي عنه كالحرير ولون الاحمر والاصفر ما لم يكن من احدى الشهرتين فقد ورد من لبس الحرير في الدنيا
لم يلبسه في الاخرة متفق عليه وفي رواية احمد عن جويرية البسه الله يوم القيامة ثوبا من نار وفي
رواية عبد الرزاق عن الحسن مرسلا الحمرة من زينة الشيطان وفي رواية ابن ماجه عن ابي ذر
من لبس ثوب شهرة اعرض الله عنه حتى يضعه متى وضعه وفي رواية ابي داود وابن ماجه بسند
حسن عن ابن عمر من لبس ثوب شهرة البسه الله يوم القيامة ثوبا مثله ثم يلهب فيه النار ونهى
عليه السلام عن لبستين المشهورة في حسنها والمشهورة في قبحها الطبراني عن ابن عمر ويتفقد الخف
قبل اللبس اي مخافة ان يكون فيه ما يؤذيه من دابة او غيرها ويتعمد لبسه وينزعه خوفا من وقوعه
ويحتفي احيانا تواضعا اي لله سبحانه لقوله والله جعل لكم الارض بساطا وقوله الم نجعل الارض مهادا
فهو اي الحفا ما ثور اي عن الصحابة والسلف الصالحين ومنهم بشر الحافي ومن كرامته ان
الدواب تسكن بغداد لم يكن يرى من الروث مدة حياته وبوجوده فيها استدل على وفاته ويلبس
النعل الاصفر فهو يوجب السرور كانه اخذه من قوله تعالى صفراء فاقع لونها تسر الناظرين وورد من
لبس نعلا صفرا قل همه ذكره الثعلبي عن علي ويروى عن ابن عباس مرفوعا بلفظ لم يزل في سرور
ما دام لابسها بدل قل همه ويتطيب اي ويستعمل الطيب كذا رواه احمد والبخاري والترمذي والنسائي
عن انس وفي صحيح مسلم وابي داود وغيرهم من عرض عليه طيب فلا يرده فانه خفيف المحمل طيب الرائحة
الترمذي عن ابن عمر مرفوعا ثلاثة لا ترد اللبن والوسادة والطيب فهو اي كل من التطيب وعدم
رد الطيب ما ثوري اي عنه عليه السلام وروى ابن سعد عن ابراهيم مرسلا انه عليه السلام كان يعرف
بريح الطيب اذا اقبل يعني سواء تطيب او لم يتطيب كما قرر في محله وانما كان يتطيب لزيادة محبته في الطيب
كما يدل عليه حديث حبب الي من دنياكم ثلاث الطيب والنساء الحديث وان صنف من الطيب للرجال ما خفي لونه
وظهر ريحه كماء الورد والمسك وللمرأة ما ينعكس اي ما ظهر لونه وخفي ريحه كالزعفران والصندل اقتبل اذا
ان اراد الخروج واما لا فلا حرج عليها في داخل بيتها والحديث رواه الترمذي عن ابي هريرة والطبراني
والضياء عن انس مرفوعا بلفظ طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفي لونه وطيب النساء ما ظهر لونه وخفي ريحه
ويجتنب الحنا اي الخضاب به في يديه ورجليه فهو تشبه بالنساء لانه شعارهن اي عادتهن او لانه
من حقهن فقد ورد كان يكره ان ترى المرأة ليس في يديها اثر حنا او خضاب البيهقي عن عائشة وفي رواية
احمد وابي داود والترمذي وابن ماجه عن ابن عباس لعن الله المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين
من الرجال بالنساء والنمص وهو قلع الشعر بالخيط من وجه الغير الا للنساء من قلعه من وجه نفسه او طلعة منه
غيره وفي النهاية النامصة التي تنتف الشعر من الجبين والمتنمصة التي تامر من يفعل بها ذلك فهو اي ما ذكر

مطلب

وافضله المسك ثم الورد والعود ولا يرد الطيب صح

ما ذكر من التعليق منهي عنها فورد لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات
للحسن المغيرات خلق الله احمد والستة عن ابن مسعود ولا يبني اكثر من سبعة اذرع في الارتفاع
لانه قدر الكفاية وبعده من الاسراف الزيادة وفي الخبر من بنى بناء فوق ما يكفيه كلف يوم القيامة ان يحمله على
عاتقه من سبع ارضين رواه البيهقي في الشعب وابو نعيم في الحلية من حديث ابن مسعود مرفوعا وله
شواهد فورد فيه اي في حق مخالفه نودي اي اين يا فاسق وفي رواية يا افسق الفاسقين الا ان
بنا المتقدم والصحيح ثبت عن شداد وفرعون ذي الاوتاد وفي رواية ابي داود عن النبي مرفوعا
من بنى فوق عشرة اذرع نادى مناد من السماء يا عدو الله الى اين تريد وعن الحسن كنت ادخل
بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضربت بيدي الى السقف ويبني فيه اي في بنائه التعبد اي الموضع
الذي يتعبد فيه لربه ويعتزل عن غيره ودفع الحر والبرد فقط في الخبر ثلاث لا يحاسب بهن العبد ظل خص
يستظل به وكسرة يشد بها صلبه وثوب يواري به عورته احمد في الزهد والبيهقي عن الحسن مرسلا
ولا يبالغ فيه اي في استحكام بنائه بالجص والنورة فاول من بنى بالاجر فرعون وهامان وقد قال
تعالى اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة اي محكمة ومرتفعة ونظر عمر رضي الله عنه في طريق الشام
الى صرح قد بني بجص واجر فكبر وقال ما كنت اظن ان يكون في هذه الامة من يبني بنيان هامان
لفرعون يعني به قول فرعون فاوقد لي يا هامان على الطين اراد به الاجر وورد لدوا للموت وابنوا للخراب
البيهقي في الشعب عن ابي هريرة والزبير مرفوعا وابو نعيم في الحلية عن ابي ذر موقوفا واحمد في الزهد
عن عبد الواحد قال عيسى عليه السلام فذكر فلم يضع عليه السلام لبنة بكسر لام فسكون موحدة
على لبنة ولا قصبة على قصبة وانما بنى الحجرات من الجريد ولكن في السير ذكر انه اشتغل باللبن وبنى به
المسجد والبيوت للازواج الطاهرات ويبدأ يوم الاحد لانه يبتدأ به في تخليق الارض والسموات
كما حقق في تفسير قوله تعالى ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ويتخذ موضعا للوضوء والغسل
لكمال حاله وموضعا للبول والغائط اي منفردا وكان مقتضى الترتيب ان يعكس الوضعين لان القصد
بهما قضاء الحاجة واما النظافة وموضعا للضيافة فورد انه اي البنا موضع الضيافة زكاة البيت اي الصدقة
اي زكاته ونماؤه وبهاؤه وضياؤه وقد لبق للاجنبي ان يضيف ويصح فراشا للضيف ولا يتوطن
في دار الحرب اي بلاد الكفر فورد انا بريء من كل مسلم مقيم بين ظهراني المشركين اي في ديار الكافرين
بفتح النون ولا يجوز كسرها واصله بينهم ثم ادخل الظهر مقحما او اشعارا بانه متظاهر بهم ثم زيدت
الف ونون في لفظ الظهر تاكيدا وكان القياس كسر النون كما في الرباني واللحياني الا انه اريد ثم الحقا به
التثنية ومعناه ان ظهرا منهم امامه وظهرا وراءه فهو مكنوف من جانبيه ومن جوانبه واذا بولغ قيل بين
اظهرهم ثم كثر حتى استعمل في الاقامة بين القوم مطلقا ثم قال لا ترآى ناراهما اي لا ترى نار المسلمين والمشركين
من كمال قربها وفيه تنبيه على عذر من يسكن فيه لبعد ما بينهما وعدم قدرته على الانتقال من ابعد بها الى
اسعد بها فقد قال تعالى الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض

قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها الاية والحديث رواه ابو داود والترمذي من حديث
جرير انا بريء من كل مسلم يقيم بين اظهر المشركين قالوا يا رسول الله ولم قال لا تراءى ناراهما
والمعنى لا ينبغي ان يتقارب ناراهما بل ينبغي ان يتباعد داراهما واما قوله عليه السلام لا هجرة
بعد الفتح فمعناه لا هجرة واجبة من مكة وغيرها الى المدينة بعد فتح مكة واستقرار الاسلام وينظف
اى البيت وما حوله للملوثات والقاذورات ولا يكسوا جدران البيت بالستارات ولا يزخرف
اى بانواع الزينات فانها من الامور الفانية المشغلة عن الاحوال الباقية وقد نهى عليه السلام
ان يستر الجدر رواه البيهقي عن علي بن حسين مرسلا وقال تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة
لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها
يتكئون وزخرفا وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والاخرة عند ربك للمتقين وقد ورد لو كانت الدنيا
تعدل جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء الترمذي وغيره عن سعيد بن سعد ويقرأ عند الدخول
اية الكرسي لانها اية الحفظ والاخلاص ثلاثا اى قراءتها او قراءة كل منها يورث الغناء اى عن السوى
لاشتمالها على توحيد ذاته وتفريد صفاته وقراءة الفاتحة انسب فان فيها رائحة الابتداء والحمد والشكر
والثناء فاتحة ويغلق الباب ليلا اى بعد المغرب والعشاء مسميا لان الشيطان لا يفتح بابا اغلق عليه
وسمى لديه بيا مثنى اى مبتدئا بالمصراعين اذا كان الباب ذا مصراعين ويوافقه هذا التعليق
من غير التعليق ويرخى الستر اى فيما لم يكن له باب يغلق ويعلق الستار في الصحيحين وغيرهما عن جابر
مرفوعا اذا كان جنح الليل بكسر الجيم اى اوله فكفوا صبيانكم فان الشياطين تنتشر حينئذ فاذا
ذهب ساعة من الليل فخلوهم واغلقوا الابواب واذكروا اسم الله فان الشيطان لا يفتح بابا مغلقا
واوكوا قربكم واذكروا اسم الله وخمروا انيتكم واذكروا اسم الله ولو ان تعرضوا عليها شيئا واطفئوا مصا بيحكم
وفي رواية الطبراني والحاكم اذا نمتم فاطفئوا المصابيح فان الفارة تاخذ الفتيلة فتحرق اهل البيت
الحديث وفي الصحيحين عن ابن عمر لا تتركوا النار في بيوتكم حين تنامون ويتوضأ اى يتطهر
للنوم ففي الخبر اذا اتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة رواه الستة عن البراء ليكون رؤياه صادقة
وذلك لما ورد من بات على طهارة بات معه ملك ويستاك اى عند النوم لانه من كمال الطهارة والنظافة
ولان النوم اخو الموت وليس للمحتضر ان يستاك لما فعله عليه السلام وبعد الطهور بفتح الطاء اى
بما يتطهر به والسواك اى عند راسه وينوي القيام اى للتهجد في وقته تلك امرا ثوابا ونية المؤمن
خير من عمله ويستاك كلما استيقظ لكانوا اى بعض السلف يفعلونه ويضع وصيته اى بماله وعليه مكتوبة
تحت الراس اى قريبا منه تحاميا عن هجوم الموت اى مجيئه بغتة دونها اى بلا وصية وقد ورد
ما حق امرئ مسلم له شيء يريد ان يوصي فيه يبيت ليلتين الا ووصيته مكتوبة عنده رواه الشيخان عن
عن ابن عمر وورد من لم يوص لم يؤذن له في الكلام مع الموتى وورد ترك الوصية عار في الدنيا ونار
وشنار في العقبى ويتوب عن الذنوب فلعله يكون اخر حياته فيصير صالحا عند مماته وينوي الخير للمسلمين

للمسلمين اى ينوي ليستر بحوا عن الداعة وليشفعهم عند انتباهه ولذا قيل نوم الظالم عبادة
كما ورد نوم العالم عبادة ليغفر له اى بسبب النية والتوبة ولا يبسط له الفراش الناعم اى اللين
الناعم فيعطى لغلبة النوم ولانه يشبه بالترفه اى بالتنعم الزائد ففي الشمائل برشحت عن عائشة ما كان
فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي قالت من ادم حشوه ليف وسئلت حفصة ما كان فراش رسول
الله صلى الله عليه وسلم في بيتك قالت مسحا بكسر الميم اى فراشا خشنا من صوف نثنيه فينام عليه فلما كان
ذات ليلة قلت لو ثنيته اربع ثنيات كان اوطأ له فثنيناه باربع ثنيات فلما اصبح قال
ما فرشتموني الليلة قلنا هو فراشك الا انا ثنيناه باربع ثنيات قلنا هو اوطأ لك قال ردوه لحالته الاولى
فانه منعتني وطأته صلاتي الليلة ولا يواظب عليه اى لا يداوم بالنوم على مطلق الفراش بل ينبغي
ان ينام تارة على الحصير كما ورد في السنة وتارة على الارض كما ثبت عن ابي تراب فهو المروي عن
عن النبي والولي وينفضه اى فراشه قبل الاتيان اى قبل قعوده لئلا يلقى ما يؤذيه في حال قعوده
ففي صحيح مسلم فليأخذ داخلة ازاره فلينفض بها فراشه وفي اكثر الروايات قبل ثلاث مرات
لما لعله في الاحتراس عن المؤذيات ويستقبل القبلة ووجهه والناصية وفي نسخة واخمصاه اى بطن قدميه
اليها فيكون بمنزلة المستلقي فيقبل هو نوم الانبياء ويكره ان ينام بعد ان يستلقي عليه للراحة
من غير نوم وارد في منه ان ينام على وجهه منبطحا ففي سنن ابن ماجه انه عليه السلام مر برجل في
المسجد منبطح على وجهه فضربه برجله فقال قم واقعد فانه نومة جهنمية ولكن المعروف في كتب الحديث
ما ذكر او يكون كالملحود وهو بان يضع يده اليمنى تحت خده ويضطجع على شقه الايمن كما في مسلم وغيره بتوابه
ويقول باسمك ربي وضعت جنبي وبك ارفعه ان امسكت نفسي فاغفر لها وان ارسلتها فاحفظها بما
تحفظ به عبادك الصالحين رواه الستة ويقرأ اية الكرسي لانها للحفظ عن شياطين الانس والجن
وهو في صحيح البخاري وروى الطبراني عن ابن مسعود من قرأ عشر ايات اربعا من اول البقرة واية
الكرسي واثنتين بعدها وخواتيمها لم يدخل ذلك البيت شيطان حتى يصبح والايتين من اخر البقرة فروى ب
الاربعة عن ابي مسعود الانصاري مرفوعا من قرأ الايتين من اخر سورة البقرة في ليلة كفتاه اى عن قيام
الليل او من كل مكروه وقال النووي في الاذكار روينا الامام الحافظ ابو بكر بن ابي داود باسناده عن
علي رضي الله عنه قال ما كنت ارى احدا يعقل ينام قبل ان يقرأ الايات الثلاث الاواخر من البقرة قال ويبدأ
من قوله تعالى لله ما في السموات وما في الارض وشهد الله الى الاسلام اى شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة
واولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم ان الدين عند الله الاسلام والهكم اله واحد الى يعقلون
لا اله الا هو الرحمن الرحيم ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر
بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح
والسحاب المسخر بين السماء والارض لايات لقوم يعقلون وان ربكم الله الذي خلق السموات والارض وما
بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره الا له

الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا في
الارض بعد اصلاحها وادعوه خوفا وطمعا ان رحمة الله قريب من المحسنين وقل ادعوا الله او ادعوا
الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا وقل
الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا وعشر من اول
الكهف وهي بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما
لينذر باسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا ماكثين فيه
ابدا وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم ولا لابائهم كبرت كلمة تخرج من افواههم ان
يقولون الا كذبا فلعلك باخع نفسك على اثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا انا جعلنا ما على
الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا وعشر من اخرها
وهي افحسب الذين كفروا ان يتخذوا عبادي من دوني اولياء انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا قل هل
ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا اولئك
الذين كفروا بايات ربهم ولقائه فحبطت اعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ذلك جزاؤهم جهنم بما
كفروا واتخذوا اياتي ورسلي هزوا ان الذين امنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا
خالدين فيها لا يبغون عنها حولا قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي
ولو جئنا بمثله مددا قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا
صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا والمعوذتين بكسر الواو وبفتح يقرأهما اي او ان كما في رواية فينفث على
اليدين بضم الفاء وكسرها اي ينفخ نفخا لطيفا عليهما بعد جمعهما ووصل كفه اليمنى بكفه اليسرى وفي رواية
البخاري وابي داود عن ابي هريرة يجمع كفيه ثم ينفث فيهما فيقرأ قل هو الله احد وقل اعوذ برب الفلق
وقل اعوذ برب الناس ويمسح الوجه والبدن وفي رواية الصحيح ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده
يبدأ بهما على راسه ووجهه وما اقبل من جسده يفعل ذلك ثلث مرات ففي الكل فضائل ويذكر الموت
لان النوم اخوه والنشور لانه بعد قيام من القبور كالاستيقاظ من النوم ويشير اليه قوله عليه السلام
عند المنام اللهم باسمك اموت واحيا وبعد القيام الحمد لله الذي احيانا بعد ما اماتنا واليه البعث
والنشور وفي الطبراني ولتقرأ قل يا ايها الكافرون ثم لينم على خاتمتها وفي رواية احمد عن اذا اخذت
مضجعك من الليل فاقرأ قل يا ايها الكافرون ثم نم على خاتمتها فانها براءة من الشرك وفي رواية البزار
عن انس اذا وضعت جنبك على الفراش وقرأت فاتحة الكتاب وقل هو الله احد فقد امنت من كل شيء
الا الموت وفي رواية احمد عن شداد بن اوس ما من رجل ياوي الى فراشه فيقرأ سورة من كتاب الله الا بعث
الله اليه ملكا يحفظه من كل شيء يؤذيه حتى يهب متى هب وينام على حبه تعالى اي في قلبه غير مشارك
لربه وذكره اي بلسانه موافقا لجنانه ويحكمه اي في جميع شانه وكلما يستيقظ وينام اي في زمانه محوطا
حبه تعالى يحتمل اضافة المصدر الى فاعله ومفعوله مع اتحاد المال لما يشير اليه قوله سبحانه يحبهم ويحبونه

ويحبونه والعبرة بالعناية السابقة المترتب عليها الرعاية اللاحقة وحسن العاقبة اي ومن اراد حسن الخاتمة
فان النوم كالموت في الحالة السالمة ولا ينام وحده اي منفردا عن اهله فانه عليه السلام كان ينام
مع نسائه او المعنى لا ينام وحده في بيت لم يكن فيه غيره ففي مسند احمد عن ابن عمر انه عليه السلام نهى عن
الوحدة ان يبيت الرجل وحده ان يستوي الحضور في المقام الا ان الحضور الكامل انما هو في الغيبة عن مشاهدة
الانام لكن كما قيل كن وسطا وامش جانبا وكن قريبا غريبا وكائنا بائنا فهنيئا لمن تمكن
الكفور ولا ساكن الكفور كساكن القبور البخاري في تاريخه والبيهقي عن ثوبان والكفور بالضم ما بعد
من الارض عن الناس فيه النهي عن الرهبانية والانعزال عن الخلق بالكلية ولا على سطح غير محوط
اي ستره لما ورد فيه النهي ومن رقد فبات على ظهر بيت ليس له حجاب فقد برئت منه الذمة رواه ابو داود
بسند حسن وفي رواية الترمذي عن جابر نهى عليه السلام ان ينام الرجل على سطح ليس بمحجور عليه ولا ينام
لا باب له اي ولا ستارة فان كان نعوم مقام البيت في هذا الباب عند بعض اولى الا الباب ولا بعد
الصبح فان الارض تشكو منه الى الله تعالى حيث انه صرف وقته الشريف في غير العبادة وضيعه في النوم وفتق الطبيعة
والعادة وقد ورد عن عثمان مرفوعا برواية البيهقي وغيره الصبحة تمنع الرزق اي المعنوي وكذا الحسي لانه
عليه السلام قال بورك لامتي في بكورها ولا بعد العصر لانه ايضا وقت شريف كما يشير اليه قوله سبحانه
يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا وفي رواية ابي يعلى عن عائشة من نام بعد
العصر فاختلس عقله فلا يلومن الا نفسه وكان عليه السلام اذا اراد القيام الى الصلاة بعد المنام
ينام نومة خفيفة قبيل الصبح او يضطجع ساعة لطيفة بعد ركعتي الصبح وفيه تجدد الشوق الى اداء الفرائض
وذهاب اثر القيام اي فتور الصوت عن الوضوء وازالة الكسل عن جميع البدن ويقيل بفتح اوله اي ينام وقت
القيلولة فهو سنة مستحبة لفعله عليه السلام وحثه عليها بالكلام حيث قال قيلوا فان الشيطان
لا يقيل ابو نعيم عن انس معينة على القيام كالسحور للصيام وهو بفتح السين ما يتسحر به وبالضم اكل
الطعام في وقت السحر وهو السدس الاخير من الليل لقوله عليه السلام استعينوا بطعام السحر على صيام
النهار وبالقيلولة على قيام الليل رواه ابن ماجه والحاكم عن ابن عباس متضمنة للسلامة اي من
ضعف الدماغ وما هو مورث للملل له وموجب للسامة والكسل منه من مخالطة اهل الغفلة في التحادث
معهم في البطالة مع الثوري كانوا يستحبون اذا تفرغوا ان يناموا طلبا للسلامة ولذا قيل النوم خير من
النميمة وليكن النوم اي ليقع مجموعه ثلث الليلة واليوم اي الا اقل وهو ثلثاهما مصروف الى اليقظة فيكون
اكثر عمره للطاعة وينبغي ان ينتبه قبل الزوال ليستعد للصلاة على وجه الكمال وان يقص الرؤيا اي
لا يحدث بها اذا راى ما يحبه الا على عالم اي بتعبير الرؤيا او ناصح للرائي بان يكون محبا له ومشفقا عليه فان اي صح
الرؤيا لا يستقر ما لم تعبر فاذا عبرت سقطت فاذا كان العابر غير محب فقد يعبرها بما يكره فيحصل بذلك
الم وغم وليس المراد ان تزيلها عما جعل الله عليه وقد تقع الرؤيا بقول اول عابر اذا كان خبيرا بالرؤيا وربما
احتملت الرؤيا تأويلين او اكثر فعبرها من يعرف تعبيرها على وجه كما هي فيقع على ما عبرها فقد ورد ان امرأة

اتت النبي صلى الله عليه وسلم وقالت رأيت كأن صابر بيتي اي عتبته قد انكسر فقال يرد الله عليك غائبك
فرجع زوجها ثم غاب فرأت مثل هذا فاتت النبي صلى الله عليه وسلم فلم تجده ووجدت ابا بكر
فاخبرته فقال تموت زوجك فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هل قصصتيها على احد قالت
نعم قال هو كما قال هذا او ما في الكتب رواه الترمذي عن ابي هريرة رض وفي الصحيحين اذا راى في منامه
ما يحب فليحمد الله عليها وليحدث بها ولا يحدث بها الا من يحب وفي رواية الحاكم عن النبي ان الرؤيا
تقع على ما تعبر ومثل ذلك مثل رجل رفع رجله فهو ينتظر متى يضعها فاذا راى احدكم رؤيا فلا يحدث
بها الا ناصحا او عالما ولا يذكر ما يرى ولا يحدث بجميع ما يراه بل بما يحبه من الرؤيا لما سبق فان راى
رؤيا مكروهة اي ما يكرهه كما في الرواية فليبزق عن يساره اي يبزق ثلثا كما رواه السنة وليتعوذ اي
بالله من الشيطان ومن شرها اي شر الرؤيا التي يكرهها ثلثا كما رواه السنة ايضا ولا يذكرها لاحد
فانها لا تضره كما في الصحيحين وغيرهما ويتحول عن جنبه الذي كان عليه وليقم وليصل كما رواه
مسلم فيصلي ركعتين فانهما اقل ما يطلق عليه الصلاة للنهي عن البتيراء خلافا للشافعي في تجويزه
الركعة المفردة وليتصدق بشيء لان الصدقة تدفع البلاء وليرد المعبر الى احسن التاويل لان الرؤيا
تقع تاول عابرها الا ان خبرا بالرؤيا وربما اصلحت الرؤيا بتعبيرين او اكثر كما تقدم ولا يبعد ان
يكون المعنى يعبر المعبر احسن تعبير منه انواع العبارة فقد حكي ان للسلطان كان معبران وظيفة احدهما
الالف وللاخر نصفه مع انهما متساويان في الفضائل وتحسين الشمائل فسئل السلطان عن موجب
تفضيل احدهما على الاخر لان الحكيم لا يرجح الا لحكمة ومصلحة فقال رايت [illegible] وتمت قدامي فحكيت
لهما فقال صاحب الالف البشرى ان عمرك اطول من اعمار اقاربك وقال الاخر يموت جميع اقاربك قبلك فانظر الى تبلك صح
سوء كل منهما واحد كل لهما ومختلف حسن تعبيرهما وحقيقتهما لما عند بعضهما ولا يقتني كلبا
اي لا يحفظ ولا يمسكه عنده فاكمل بكره اي الناذل للرحمة ينتقص ولكنه اي دون الحفظ لكنهم يتاذون
ايضا فيه الا انهم لا بد لهم منه القرب منه الا لماشية من غنم وابل وبقر ونحوها او صيد اذا كان معلما
او زرع لحفظه من الدواب وغيرها وفي الخزينة اقتنى كلبا الا كلب ماشية او ضاريا اي كلب معلم ينقص
من عمله كل يوم قيراطان رواه الشيخان عن ابن عمر والمراد بكلب الماشية ما يكون للحفظ فيشمل كلب
الزرع ولذا اقتصر في الحديث عليه ولا يستقبل الشمس اي في قعوده في وقت الشتاء قعودا ويستدبر
قعودا اي لا يستدفأ ونهى عليه السلام ان يقعد الرجل بين الظل والشمس الحاكم عن ابي هريرة
وابن ماجه عن بريدة ويخرج من داره مسميا متعوذا بان يقول بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة
الا بالله العلي العظيم اللهم اني اعوذ بك من ان ازل او ازل او اضل او اضل او اجهل او يجهل علي رواه
ابن ماجه وغيره قارئا اية الكرسي اي للحفظ عن شياطين الانس والجن ويسرع في المشي الى البيت
اي حال كونه راجعا اليه ليكون اسرع من حاجة وصيانة [illegible] فيه احسن احواله لديه ولا يعود احد
عليه لان الزمان زمان البيوت ولزوم السكوت والقناعة بالقوت الى ان يموت ولا يمشي بين المرأتين

المرأتين فانه اعيذ منه العصيان وقيل يورث النسيان في ابي داود ومستدرك الحاكم عن ابن عمر انه عليه
السلام نهى ان يمشي الرجل بين المرأتين وروى البيهقي عنه مرفوعا اذا استقبلك المرأتان فلا تمر بينهما
خذ يمنة او يسرة وهذا معنى قوله ويترك الطريق للنساء اي التي ليس لهن شيء من الحياء ولا كان ينبغي
لهن ان يتركن الطريق للرجال ويلصقن بالجدران لستر الحال ويميط الاذى اي يزيل ما فيه من الاذى
كالشوك والحجر ونحوهما عن الطريق ومنه تنبيه المؤذية للضيف فيه اجر جزيل وثناء جميل لاهل التوفيق
فمن موارد الايمان بضع وسبعون شعبة فافضلها قول لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق
رواه مسلم وغيره عن ابي هريرة وعن معقل بن يسار مرفوعا من اماط الاذى عن طريق المسلمين
كتب له حسنة ومن تقبلت منه حسنة دخل الجنة رواه البخاري في تاريخه ولا يختال اي لا يتبختر ماشيا فخورا ولا يمش
في الارض مرحا تمامه انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها
وفي اية اخرى واقصد في مشيك اي توسط وفي اخرى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا
اي ساكنين لينين متواضعين متخاشعين من تعظم في نفسه اي تكبر واختال في مشيته اي تبختر
لقي الله وهو عليه غضبان رواه احمد وغيره عن ابن عمر وكانه مقتبس من قوله تعالى ان الله لا يحب من
كان مختالا فخورا ويأخذ العصا اي الكبير وابتداؤه من الاربعين فهو سنة اي للانبياء كما ثبت في
رسالة الانبياء وقد قال الحسن في العصا ست خصال سنة الانبياء وزين الصلحاء وسلاح الاعداء
وعون الضعفاء والمساكين ورغم المنافقين وزيادة [illegible] اذا كان المؤمن معه العصا هرب الشيطان منه
ويخشع المنافق والفاجر عنه وتكون قبلته اذا صلى وقوة اذا عيي كما قال موسى ولي فيها مآرب
اخرى كذا في البستان ولما اشتهر ان السنة من وصل الى الاربعين ولا يمسك العصا فقد عصى فلعل
اصله ويبعد بضم اوله في قضاء اي حاجته من البول والغائط عن الاعين اي اعين الناظرين
ان وجد اي الصحراء كما ورد به السنة وان يستتر بشيء ان وجده من شجر او حجر ولو استتر براحلته او ذيله
جاز كما في بعض الروايات واما في البنيان فالغالب ان يكون مستترا لمكان الخلا ولا يكشف العورة
قبل ان ينتهي الى موضعه اي محل جلوس الغضا في الخلا والفضاء اذ ليس من الادب كشفها قبل الحاجة
اليه ولا يستقبل النيرين اي الشمس والقمر تعظيما للملائكة الذين يجرونهما او لانهما ايتان عظيمتان وهو
لا ينافي قوله عليه السلام شرقوا او غربوا لما لا يخفى على الاعلام ولا يستقبل القبلة ولا يستدبرها فان
فيهما تحقيرا لها سواء يكون في الصحراء او في البناء وفي رواية احمد وغيره انه عليه السلام نهى ان يستقبل القبلتين
ببول او غائط وفي الصحيحين اذا اتى احدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يولها ظهره شرقوا او غربوا
وهذا امر لاهل المدينة ومن كانت قبلته على ذلك السمت ممن هو في جهة الشمال والجنوب فاما من كانت قبلته
في جهة المشرق والمغرب فلا يجوز ان يشرق او يغرب وانما يجنب ويشمل كذا في النهاية ولا يبول في
الماء الراكد اي الواقف سواء كان الماء قليلا او كثيرا وكذا لا ينبغي ان يبول في الماء الجاري ولعله اقتصر على الاول
لورود الحديث فيه بناء على قلة الماء الجاري في الحرمين حينئذ ففي صحيح مسلم وغيره عن جابر انه عليه السلام نهى ان

يبال في الما الراكد وفي رواية الطبراني في الاوسط بسند ضعيف عنه انه نهى ان يبال في الما الجاري وفي
ان حبان قال ابن المبارك ان كان الما جاريا فلا باس به وقد يقال ان الراكد اذا كان عشرا في عشر فلا باس
به والاولى ان لعموم النهي على ما لا يخفى ولا تحت الشجرة المثمرة فروى ابن عدي عن ابن عمر انه عليه
السلام نهى ان يتخلى الرجل تحت شجرة مثمرة ونهى ان يتخلى على ضفة نهر جار اي جانبه وهو بكسر اوله
وفتحه وكذا لا ينبغي ان يتخلى تحت شجرة مظلة يستظل تحتها الناس لان مدار النهي اذى المسلمين
وكذا ورد النهي ان يبال في قبلة المساجد وابوابها كما رواه ابو داود في مراسيله ولا في الجحر بضم الجيم
وسكون المهملة اي ثقب الجدار ونحا فيه اوكار الدابة فروى ابو داود والحاكم في مستدركه عن عبد الله بن
سرجس انه عليه السلام نهى ان يبال في الجحر وقد قالوا لقتادة ما يكره من البول في الجحر قال كان يقال انها
مساكن الجن ولا في موضع صلب ولا في مهب الريح اي في جال الريح استنزاها من رشاشه فروى ابو داود
والبيهقي عن ابي موسى اذا اراد احدكم ان يبول فليرتد لبوله مكانا لينا اي ليطلبه وروى ابو يعلى بسند
مرفوعا اذا بال احدكم فلا يستقبل الريح ببوله فترده عليه ولا يستنجي بيمينه ولا في المغتسل اي ولا يبول في
مغتسله لانه يورث الوسوسة ويوجب الشبهة ولورود النهي في السنة ويتكي على الرجل اليسرى
اي في جلوسه ويقدم داخلا في الخلاء رجله اليسرى خارجا اذا كان مع بنيان مراعاة عكس
دخول المسجد وخروجه ولا يبول قايما فعن عايشة من حدثكم انه عليه السلام كان يبول قايما فلا
تصدقوه الترمذي وغيره وقال عمر رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا ابول قايما فقال يا عمر لا تبل
قايما ابن ماجه باسناد ضعيف وابن حبان من حديث ابن عمر وفيه رخصة اذ روى حذيفة انه عليه السلام
بال قايما وهو اما لعذر او لبيان الجواز وكذا لا يبول ولا يبول في المغتسل فانه عليه السلام هم
قال عامة الوسواس منه اصحاب السنن من حديث عبد الله بن مغفل وقال ابن المبارك قد وسع في البول
في المغتسل اذا جرى الما عليه ذكره الترمذي ولا يستصحب شيئا عليه اسمه تعالى او اسمه عليه السلام والظاهر
انه كذلك اسما سائر الانبيا العظام ولا يدخل اي بيت الما حاسر الراس اي كاشفه قيل فيغطيه بمئزر
حياء من الله ومن ملكه وكان ابو بكر يفعل ذلك ويتعوذ في الدخول فيقول بسم الله اللهم اني اعوذ بك من
الخبث والخبايث ويحمد بعد الخروج فيقول غفرانك الحمد لله الذي اذهب عني ما يوذيني وابقى علي ما ينفعني رواهما
النسائي وغيره ويعد النبل بضم النون وفتحها اي يهيي الحجر او المدر لكي يستنجي قبل الجلوس فهو سنة والايتار
مستحب وقيل واجب ولا يستنجي بالما في موضعه اي محل الغايط او البول الا اذا كان محفورا فيخشى ان يصل
اليه اثرهما فذلك ماثور وينبغي ان يستبري بالتنحنح والنتر ثلثا وامرار اليد على اسفل القضيب
ثم يستنجي فاذا وجد منه بللا فيعتقد انه بقية الما فان كان يوذيه ذلك فليرش عليه الما حتى يقول في نفسه
ذلك ولا يتسلط الشيطان عليه بالوسواس وفي الخبر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فعله اعني رش
الما كذا في الاحيا وقال مخرجه حديث رش الما بعد الوضوء هو الانتضاح رواه ابو داود والنسائي وابن
ماجه وكان ارخصهم استبرا افقههم فيدل الوسواس فيه على قلة الفقه وقد قدمنا كيفية الاستنجا في اداب
ابتداء

اداب الوضوء اول الكتاب ويترجل ومنه التسرح اي تسريح لحيته وراسه ويدهنه اي من القمل ونحوه بالادهان
بتشديد الدال اي استعمال الدهن المطيب وغيره او بالادهان جمع دهن والتسريح فنقل شمايل
الترمذي من حديث انس انه عليه السلام كان يكثر دهن راسه وتسريح لحيته وعند ابي داود والترمذي ي
من حديث عبد الله بن مغفل باسناد صحيح انه عليه السلام نهى عن الترجل الا غبا وترد ادهنوا بتشديد
الدال وبتخفيفها مع فتح الهاء غبا اي يوما بعد يوم او وقتا دون وقت ومنه حديث زر غبا تزدد حبا
اخرجه جماعة وقيل الغب في الادهان ان يكون في كل اسبوع مرة والحديث ذكر في الاحيا وقال ابن
الصلاح لم اجد له اصلا وقال النووي غير معروف ذكره العراقي من كان له شعرة فليكرمها كذا في
النسخ بتا الوحدة ولا معنى للوحدة على ما لا يخفى فصوابه من كان له شعر فليكرمه كما هو رواية ابي
داود عن ابي هريرة وقد دخل عليه رجل ثاير الراس اشعث اللحية فقال اما كان لهذا دهن
يسكن به شعره ثم قال يدخل احدكم علي كانه شيطان ابو داود والنسائي وابن حبان من حديث
جابر وقد سبق انه عليه السلام كان لا يفارقه المشط في سفر ولا حضر وقد بسطت الكلام عليه في
رسالة سميتها بالتصريح في التسريح ويقلي الانف اي ما يجتمع فيه من الرطوبات المنعقدة الملتصقة
بجوانبه ويزيلها بالاستنشاق والاستنثار والاذن اي وما يجتمع من الوسخ في معاطف الاذن
والمسح يزيل ما يظهر منه وما يجتمع في قعر صماخي اذنيه فينبغي ان ينظف برفق عند الخروج من الحمام ونحوه
من الاستحمام لئلا يصمم فان كثرته ربما يضر بالسمع واما ما يجتمع بالاسنان واطراف اللسان فيزيله
بالخلال والمضمضة والاستنان وقد ورد ما لي اراكم تدخلون علي قلحا استاكوا البزار والبيهقي من حديث
العباس والقلح محركة صفرة الاسنان ومن تحت الاظفار رفع الطبراني عن وابصة بن معبد سالت النبي
صلى الله عليه وسلم عن كل شيء حتى سالته عن الوسخ الذي يكون في الاظفار فقال دع ما يريبك الى ما لا
يريبك وقد امر عليه السلام بغسل البراجم والرواجب فروى الحكيم الترمذي من حديث عبد الله بن بشر ن النوادر
نقوا براجمكم ومسلم من حديث عايشة عشرة من الفطرة وفيه غسل البراجم ولاحمد من حديث ابن عباس
قيل يا رسول الله لقد ابطا عنك جبريل قال ولم لا يبطي عني وانتم لا تستنون ولا تقلمون اظفاركم ولا
تقصون شواربكم ولا تنقون رواجبكم قال ولهي معاطف ظهور الانامل والثاني روس الانامل وقيل الاول
وسخ الظهور والثاني وسخ الاذن ونقوه لغاو لا تقلع الجلد ولا تنقر بها اي ان قيهما بما تحت الظفر من
الوسخ ولا تتاذى بهما كما تتاذى بما تحت الظفر من الوسخ واما الدرن الذي يجتمع على البدن من الوسخ
والعرق وغبار الطريق فذلك يزال بالحمام او بالاستحمام ويدخل الحمام اي ويجوز دخوله لانهم اي السلف
من الصحابة والتابعين دخلوه اي دخلوا حمامات الشام فعن ابن عباس انه قال نعم البيت بيت الحمام
من دخله فليستتر الطبراني والبيهقي والحاكم وقال بعضهم نعم البيت الحمام يطهر البدن ويذكر النار روي
ذلك عن ابي الدردا وابي ايوب الانصاري وقال بعضهم بئس البيت الحمام يبدي العورة ويذهب الحيا
فهذا بيان افته وما سبق اظهار فائدته فلا باس بطلب فائدته عند الاحتراز من افته كما بينه بقوله ويصون

عورته وهي ما بين سرته وركبته عن نظر الغير ونظره عن عورة الغير ولا يكشفها اي ولو لم يكن
هناك غيره الا لضرورة غسلها بالتصاق جدرانه في خلوة من خلواته ومن جملة الكشف رقة الازار
لا سيما عند بلته فتلصقه بجلدته وهذا انبح في الامرد ونحوه وكذا يصونها عن مس الغير ولا يتعاطى
امرها وازالة وسخها الا بيده ويمنع الدلاك من مس الفخذ وما بين السرة الى العانة ثم من الواجب
ان ينهى عن كشف العورة لان النهي عن المنكر واجب ولا يسقط عنه وجوبه الا لخوف ضرب او شتم
واما قوله اعلم ان ذلك لا يفيد ولا يعمل به فليس بعذر اذ لا يخلو قلب عن التأثر بسماع الانكار
ونفيتح الامر الا بمثل الجهل وعدم العقل وفقد الحياء وقلة المبالاة بالعلماء والصلحاء ولمثل
هذه الاعصار الحزم ترك دخول الحمام في هذه الايام وتخليته عن الايام اذ لا يخلو من عورة مكشوفة
لا سيما ما تحت السرة الى فوق العانة لاختلاف العلماء في كونها عورة بل الفخذ ونحوها لذلك وقد
الحقها الشارع بالعورة وجعلها كالحريم لها وروي ان ابن عمر في الحمام ووجهه في الحائط وقد عصب
عينيه بعصابة وينوي بدخول الحمام التنظيف للصلاة لا لعاجل الدنيا من اللذات ويعطي الاجرة
قبله اي قبل دخوله الحمام لسراية للحمامي بعدم الانتظار وتطيب لنفسه واعلاما بالعوض لرفع
الجهالة من احد العوضين فان ما يستوفيه مجهول وقد ورد اذا استأجر احدكم اجيرا فليعلمه اجره الدار قطني
ي الافراد عن ابن مسعود ويتعوذ اي يقول بسم الله اعوذ بالله من الرجس النجس الخبيث
المخبث الشيطان الرجيم ويقدم رجله اليسرى عند دخوله ويتعوذ بالله من شر النار بعد دخوله
ولا يسلم على احد عند الدخول وان سلم عليه لم يجب بلفظ السلام بل يسكت ان اجاب غيره ويدعو
بالمعافاة اي يقول عافاك الله لمن سلم اي عليه ولم يجب عنه ولا بأس بابتدائه به اي يقول
عافاك الله ونحوه ولا بالمصافحة اي بان يصافح الداخل اصحابه ولا يكثر التكلم بل ولا يبتدأ
بالكلام كيلا يكثر الكلام في الحمام ولا يقرأ القرآن الا في النفس اي سرا ولا بأس باظهار
التعوذ اي من الشيطان الرجيم ويذكر الحميم في دار الجحيم ويجتنبه اي دخول الحمام وقت الغروب اي
قرب المغرب وبين العشائين فهو وقت انتشار الشياطين خصوصا في الحمام ونحوه وعلى الريق
فهو يورث الموت اي سريعا فعن الشافعي عجبت لمن يدخل الحمام على الريق ثم يؤخر الاكل بعد ان
يخرج منه كيف لا يموت انتهى ولا يعجل بدخول البيت الحار حتى يعرق اولا ولا يسرف في الماء اي
لا يكثر صب الماء عليه بل يقتصر على قدر الحاجة لان المأذون فيه بقرينة الحال الزيادة على
العادة لو علمه الحمامي لم يرض به لا سيما الماء الحار فله مؤنة وزيادة مشقة ولا بأس بالكبس اي من غيره
فهو مروي اي عن بعض الصحابة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل منزلا في بعض اسفاره فنام
على بطنه وعبد اسود يغمز ظهره فقلت ما هذا يا رسول الله فقال ان الناقة تقحمت بي رواه الطبرا نى
نى الاوسط عن عمر بسند ضعيف ويذكر ظلمة اللحد في مكان ظلمة وحرارة جهنم عند حرارة ويحمد
بعد الخروج فالماء الحار في الشتاء من نعيم يسأل عنه يوم القيامة كالماء البارد في الصيف وقال ابن عمر الحمام

الحمام من النعيم الذي احدثوه ولا تدخله المرأة اي النساء ولا يجوز للرجل ان يدخل حليلته اي زوجته
او امته الحمام وروى الترمذي وحسنه والنسائي والحاكم وصححه من حديث جابر من كان يؤمن بالله
واليوم الآخر فلا يدخل الحمام الا بمئزر ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل حليلته الحمام
وللحاكم من حديث عائشة الحمام حرام على نساء امتي وقال صحيح الاسناد ولابي داود وابن ماجه
من حديث عبد الله بن عمر فلا يدخلنها الرجال الا بالازار وامنعوها النساء الا مريضة او نفساء
ويحلق الشعر اي شعر رأسه ان اراد التنظيف اي زيادته ولا احتياط في الغسل كما اختاره علي كرم الله
وجهه حيث كان يكثر الاغتسال وقد سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول تحت كل شعرة جنابة ولذا قال
فمن ثم عاديت رأسي فان ابقاء الشعر على الرأس انفع للدماغ وادفع للحر والبرد ولذا اختاره عليه
السلام وسائر اصحابه الكرام فما حلقوا الا بعد الفراغ من احد النسكين وحيث قرر عليه السلام
فعل علي صار سنة مع انه قال عليه السلام عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين فيستحب تركه لمن يكرمه
بدهنه وتسريحه ولا اذا ترك بعضه وحلق بعضه وجعله قزعا اي قطعا فهو داب اهل الشطارة ومنهي
عنه للصبي والكبار ولا يجره بقول من يقول ان حلقه يورث الصداع فانه نوع من الخداع وتسويل
للشيطان في مقام الخداع ولا يرسل اي شعر الذوائب بحيث يتشبه بالنساء فانه نوع من التلبيس
والتزييف ويقص الشارب اي في كل جمعة وقد ورد قصوا الشوارب وهذا اللفظ لاحمد من حديث ابي هريرة
ولمسلم من حديث ابي هريرة جزوا اي اقطعوا وفي الصحيحين من حديث ابن عمر بلفظ احفوا الشوا رب
واعفوا اللحى فان حفا يشعر بالاستقصاء ومنه قوله تعالى فيحفكم تبخلوا اي يستقص عليكم وفي رواية حفوا
اي اجعلوهما حفافي الشفة وحوليها ومنه قوله تعالى وترى الملائكة حافين من حول العرش واما الحلق فلم
يرد والاحفاء قريب من الحلق وقد نقل عن الصحابة ونظر بعض التابعين رجلا احفى شاربه فقال
ذكرتني اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه ايماء الى ان مختار التابعين عدم الاستقصاء ويؤيده رواية
الطبراني عن الحكم بن عمير مرفوعا قصوا الشارب مع الشفاه واما قوله عليه السلام اعفوا اللحى اي كثروها
ولا تقصوها وفي الخبر ان اليهود يعفون شواربهم ويقصون لحاهم فخالفوهم وكره بعض العلماء
الحلق ورآه بدعة ولا بأس بابقاء السبال اي اطراف الشارب فعله عمر وغيره كما في الاحياء
ولان ذلك لا يستر الفم ولا يبقى فيه غمر الطعام لعدم وصوله اليه لكن يشكل بهذا ما رواه احمد
من حديث ابي امامة قلنا يا رسول الله ان اهل الكتاب يقصون عثانينهم ويوفرون سبالهم فقال
قصوا سبالكم ووفروا عثانينكم وخالفوا اهل الكتاب وفي صحيح ابن حبان من حديث ابن عمر في المجوس
انهم يوفرون سبالهم ويحلقون لحاهم فخالفوهم اللهم الا ان يراد بالسبال الشوارب مجازا بقرينة
مقابلته بالعثانين ونقل جمع العثنون بمعنى اللحية وورد احفوا الشوارب واعفوا اللحى وانتفوا الشعر
الذي في الآناف ابن عدي والبيهقي عن عمرو بن شعيب والقص يقوم مقام النتف في الآنف
ولا يؤخر حلق العانة ونتف الابط وتقليم الظفر اكثر من اربعين يوما فهو المأثور اي المذكور في صحيح

مسلم من حديث انس انه عليه السلام وقت لنا في قلم الاظفار ونتف الابط وحلق العانة
اربعين يوما وورد قص الظفر ونتف الابط وحلق العانة يوم الخميس والغسل والطيب واللباس
يوم الجمعة الديلمي عن علي ويحلق الابط ان لم يقدر على النتف باعتياده لئلا يجتمع الوسخ في
خلاله والمقصود النظافة في جميع حاله ويزيل العانة اي شعرها بالطلاء اي النورة ان اعتاد لحصول
المقصود وهو فقدان ذي الوجود والتحامي عن الايلام اي مع تحصيل المرام ويبتدي بتقليم
مسبحة اليمنى ويختم بخنصر اليسرى وخنصر الرجلين ولا مسبحة فيهما اي في الرجلين ويختم بالابهام في الكل
اي في جميع اليدين والرجلين فهو المروي قال العراقي لم اجد له اصلا وقد انكر ابو عبد الله المازري
في الرد على الغزالي وشنع عليه به فكتب لا وجه للتشنيع عليه حيث قال ولم ارى في الكتب جزما وبا
في ترتيب قلم الاظفار ولكن سمعت انه روي عنه عليه السلام انه بدا بالمسبحة اليمنى وختم بالابهام
اليمنى وابتدا باليسرى بالخنصر الى الابهام ثم وجه بهذا الترتيب بما وقع له من الالهام كما بسط عليه
الكلام هنا وفي حديث جابر قصوا اظافيركم فان الشيطان يجري ما بين اللحم والظفر الخطيب
في الجامع بسند ضعيف لكن روى احمد ومسلم والاربعة عن عائشة عشر من الفطرة اي السنة التي انبيا
التي امرنا ان نقتدي بهم فيها قص الشوارب واعفاء اللحية والسواك واستنشاق الماء وقص الاظفار
وغسل البراجم ونتف الابط وحلق العانة وانتقاص الماء اي وكيف يعني الاستنجاء به قال
مصعب ونسيت العاشرة الا ان تكون المضمضة وذكر عمار بن ياسر الختان في العاشرة ويكتحل
اي في كل ليلة ثلثا اي ثلث مرات متوالية في كل عين ويبتدي باليمنى فهو مروي اي في الشمايل
وغيره من حديث ابن عباس وحسنه الترمذي وروى الي منه حديث ابن عمر باسناد ضعيف للطبراني ثلثا ن
في اليسرى اي وثلثا في اليمنى فالا ثنيا ربا عتبار العينين جميعا لا باعتبار كل واحدة منهما كما في الادلة
فنتاملو فانه الاولى ثنيا ساعي غسل اليدين ثلثا ثلثا ثم الا تبدا باليمنى لشرفها وكذا الزيادة
لها في رواية لتعظيمها بمنح حق بها وان الله وتر يحب الوتر كما ورد وورد عليكم بالاثمد
وهو حجر يكتحل به اي الزموه ولا تتركوه عند مضجعكم اي مرقدكم بالليل فانه مما يزيد في البصر اي في
قوته وينبت الشعر اي شعر الاجفان في طرف العين والحديث رواه ابو نعيم في الحلية عن ابن عباس
بلفظ عليكم بالاثمد فانه يجلو البصر او ينبت الشعر في رواية ابن ماجه والحاكم عن ابن عمر عليكم
بالاثمد عند النوم الحديث وفي رواية الطبراني وغيره عن علي عليكم بالاثمد فانه منبتة للشعر مذهبة
للقذى مصفاة للبصر وفي رواية احمد اكتحلوا بالاثمد المروح اي المطيب بالمسك ولا يكثر التزين
بالتسريح ونحوه ولا يكتحل الا وقتا فانه داب المترفين فقد نهى عليه السلام عن الترجل الا غبا
ويقطع اللحية الطويلة اي زيادة على القبضة فانه مستحب وقيل واجب فالمفرط منها في الطول او العرض
يرى بصيغة المجهول اي يظهر سمج بفتح فكسر اي قبيح فانه يسوء الخلقة ويفتح باب الغيبة اي في
والغيبة فلا باس بان ياخذ من عرضها على كمال البنية ويبقى قدر القبضة كما فعله ابن عمر وجماعة من التابعين

الى سبعين وروجحه النخعي وابن سيرين فهو الوسط اي المتوسط المعتدل المحمود في كل شيء قال
النخعي عجبت لرجل عاقل طويل اللحية ان لا ياخذ من لحيته ويجعلها بين لحيتين وقد قيل كلما طالت اللحية
الا وقد نقص العقل المسنون فانه عليه السلام كان ياخذ من لحيته طولا وعرضا كما رواه الترمذي عن
ابن عمر وقيل ينبغي ان لا يتعرض لها اعفوا اللحى اي اتركوها وابقوها على حالها واختاره الحسن وقتادة
وقالوا تركها عافية احب للحديث المتقدم ولا يجوز تصغيرها وتكبيرها لاظهار الشيب اي بتوهم ان فيه
العيب وهو نور وقار ويعد من علامة الوقار فانه ناشي عن مكر وغرور ومنه حديث الا جب خدعة
فورد بما خضاب المسلمين والمومنين لا فرق بين المسلم والمومن في عرف الشرع وانما هو التفنن في
العبارة كما وقع اليه الاشارة في قوله تعالى فاخرجنا من كان فيها من المومنين فما وجدنا فيها غير بيت
من المسلمين واما في اصل اللغة فيفرق بينهما حيث ان الاسلام انقياد الظاهر والايمان انقياد
الباطن كما يدل عليه قوله تعالى قل لا تمنوا علي اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ويقويه
حديث جبريل ان الاسلام هو ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وتقيم الصلوة والايمان ن
ان تومن بالله واليوم الاخر وملائكته وكتبه ورسله الخ ولما كان الانقياد الظاهر لا ينفع بدون الانقياد د
الباطن كالمنافق ولا الانقياد الباطن دون الانقياد الظاهر كما في ابي طالب ونحوه فالمراد بالمومن
والمسلم واحد وهو الجامع بين الانقياد بين في الاستحكام الاعتقادين ومعانقة المتين يحتمل ان يكون
المراد بهما ان لكل واحد من الحمرة والصفرة فخضاب اهل الاسلام واهل الايمان او ان يكون لفا ونشرا
مرتبا فيوافق ما ذكر في الاحياء من قوله عليه السلام الصفرة خضاب المسلمين والحمرة خضاب المومنين
تنبيها على الفرق بينهما لغة واشعارا بان نعت الايمان اكمل فالحمرة افضل فانهم كانوا يخضبون بالحناء
للحمرة وبالخلوق والكتم للصفرة وحديث الاحياء رواه الطبراني والحاكم بلفظ الافراد من حديث ابن عمر
ثم لما جاز ان يلبس على الكفار من الغزو والجهاد فان لم يكن على نية بل للتشبيه باهل الدين
فهو مذموم ويكره تسويدها فورد هو خضاب اهل النار كذا في الاحياء قال وفي لفظ خضاب الكفار
قال المخرج رواه الطبراني والحاكم من حديث ابن عمر بلفظ الكافر قيل واول من خضب بالسواد فرعون
وفي الاحياء وقد ورد من خضب بالسواد سود الله وجهه يوم القيامة الطبراني عن ابي الدرداء وتبييضها
بالكبريت اي ويكره تبييضها اظهارا للكبر اي لكبر السن ترفعا على الشباب من اقرانه وتوصلا الى
التوقير عند اخوانه وانتفى ان يقبلوا الشهادة ويعلوا شانه وتصديق الرواية عن مشايخ الدراية ظنا منه
بان كثرة الايام تغطيه فضلا بين الانام ولم يعرف ان الفضل يتعلقه الالهام وامتثال ذلك من الاعراض
الفاسدة والاغراض الكاسدة كما بينتها في التصريح لشرح التسريح وتنقيحها عبثا اي بلا منفعة
وتشبها بالامرد فهو منكر اي بدعة مستقبحة فان اللحية زينة الرجال كما ان شعر الراس زينة النساء في جميع
الاحوال او استنكافا من الشيب فقد نهى عليه السلام عن نتف الشيب وقال هو نور المومن رواه ابو
داود والترمذي وحسنه والنسائي وابن ماجه من رواية عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده وتزيينها للناس

بالكسائر بزعمها صح

للتنبيه صح

بالتذرير وهو تفصيص كالتعبية طاقة على طاقة للتزوير والتشريح اي بالتكبير وقد قال بشر
في البحية بشر كان شريحي للناس وتركي متقلة لنطها سالزيد والزيادة اي ونزيادة الشعر
في انقا رحلين اي الخلوين بارسال الصدغ بضم فسكون ما بين العين والاذن والشعر المدلى
عليه وهو شعر الراس التي رن عن عظمها اي عظم اللحي المنتهية الى نصف الخد وذلك بباين كهية
اهل الصلاح وكثيرا ما يفعله بعض الاعجام ولا ياكل الجنب اي ولا ينبغي ان ياكل وهو جنب فاذا اراد
ان ياكل يغسل فمه اولا وكذا اذا اراد ان يشرب ولا ينام اي الجنب دون وضوء اي او ما يقوم مقامه
من التيمم فعن عمر قلت للنبي صلى الله عليه وسلم اينام احدنا وهو جنب قال نعم اذا توضا متفق عليه
وهذا هو الاولى والا فلا باس به وقد كان عليه السلام ينام وهو جنب ولا يمس ماء كما رواه احمد
وغيره عن عائشة وكان ذلك لبيان الجواز ورحمة على ضعفاء الامة ولا يتنقص من البدن اي لا يقطع
الجنب شعرا او ظفرا او دما ما دام جنب فاجزاء البدن اي جميعها تعاد في الاخرة كما كانت في الدنيا
قال تعالى كما بدأكم تعودون وقال عز وعلا ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة اي حفاة عراة
غرلا والمزال جنبا يكون كذلك وهو نقصان في المراتب هنالك وان كانت تزول عن المؤمنين لما لا
يحتاج اليها اذا اغتسلوا على حياض والانهار في باب الجنة قبل الدخول عليها وقد ورد انه عليه السلام
كان يامر بدفن الشعور والاظفار الطبراني عن وائل بن حجر وفي رواية الحكيم عن عائشة كان يامر
بدفن سبعة اشياء من الانسان الشعر والظفر والدم والحيضة والسن والعلقة والمشيمة ويكنس المسجد
اي ينظفه من القمامة فانه افضل ازالة انواع الاذى طه وقد قال تعالى وطهر بيتي وورد ابنوا المساجد واخرجوا جوا
القمامة منها فمن بنى لله بيتا بنى الله له بيتا في الجنة واخراج القمامة منها مهور الحور العين رواه الطبراني
وغيره ويتنور بالسرج ونحوها فقد قال انس بن مالك من اسرج في مسجد سراجا لم تزل الملائكة
وحملة العرش يستغفرون له ما دام في ذلك المسجد ضوؤه رواه الحارث بن اسامة في مسنده وغيره به
مرفوعا وسنده ضعيف والحديث الضعيف يعمل به في فضائل الاعمال ويفرشه بالحصير امثالها فيتهيا
اي في التشال فقد يتمايل فانها كلها من عمارة المسجد وقد قال تعالى انما يعمر مساجد الله من امن بالله
ولا يزخرفه اي لا يبالغ في زينته ولا ينقشه بحيث يشغل المصلي في احدى كلمته ولا يصون في اي
جدرانه وسقفه فضلا عن قبلته فهو اي مجموع ما ذكر من البدع اي المستبشع ويتعهد النعل اي يتفقدها
ويتخصص عند بابه رعاية لجنابه ويمسح ما به اذى على اطرافه ويقدم الرجل اليمنى داخلا فيه
ويقول بسم الله اعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم ويسلم
على النبي صلى الله عليه وسلم ويقول اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك رواه ابو داود وغيره
واليسرى خارجا منه ويعوذ ويقول اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب فضلك رواه الترمذي وغيره
ولا يجلس حتى يصلي ركعتين كما في الصحيحين وتحية المسجد الحرام هي الطواف ان قدر عليه والا فالصلاة ه
ان لم يكن وقت مكروه والا فيقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر عملا بقوله عليه السلام

اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا ولا يجهر بالدعاء على من يجهر فيه او ينشد ضالة اي يطلبها برفع صوت
فورد اذا رايتم من يبيع او يبتاع في المسجد فقولوا لا اربح الله تجارتك واذا رايتم فيه من ينشد ضالة
فقولوا لا ردها الله عليك رواه الترمذي والحاكم عن ابي هريرة مرفوعا ويبلغه اي جدرانه عن
النخامة اي ما القي من الانف والبزاق اي ما الفم فعن البزاق في المسجد سيئة ودفنه حسنة احمد والطبراني
وفي الصحيحين البزاق في المسجد خطيئة وكفارتها دفنها ولا يتخذه بيتا اي مسكنا الا اذا كان ن
غريبا ولم يجد مكانا قريبا ولا ممرا اي طريقا معبرا الا لضرورة داعية اليه او حاجة باعثة اليه
فينبغي ان ينوي الاعتكاف ولو ساعة ليثاب به فالكل روى فيه الطبراني عن ابن عمر لا تتخذوا المساجد طرقا
الا لذكر او صلاة وان غلب النعاس يتحول عن موضعه ليطرد النوم وفي الخبر اذا نعس احدكم وهو في المسجد
فليتحول من مجلسه ذلك الى غيره ابو داود والترمذي عن ابن عمر ويضرب باطراف اصابعه جانب راسه
الايمن ثلاثا ثم يجلس في موضع اخر ويستقبل القبلة والجلوس فيه عبادة اي في حد ذاته فضلا عن
ان يكون في حدود المسجد وجهاته وقد ورد اكرم المجالس ما استقبل به القبلة اخرجه ابو يعلى وابن
عدي والطبراني في الاوسط واورده الحاكم وقال ابن حبان انه خبر موضوع وقد كانت احواله عليه
السلام في مواضع التي ان يخطب لهم وهو مستدبر القبلة قلت وفيه انه مصلحة سماع الناس ولم
يعكس ايثارا للكثير فهو ايضا دليل على مدعانا وفيه اي في الاستقبال قوة البصر ان وقع
القبلة بمنزلة الكعبة في النظر ويجلس موضعا اقرب الى التواضع اي والبعد عن اهل الترافع لا بين
الظل والشمس فهو مقعد الشيطان اي مجلسه ويحبه ان يقعد الانسان وفي مستدرك الحاكم عن ابي
هريرة وابن ماجه عن بريدة انه عليه السلام نهى ان يقعد الرجل بين الظل والشمس وفي رواية احمد
نهى ان يجلس بين الضحى والظل وقال مجلس الشيطان ولا يتوقى بالجلوس بين اثنين اي مخصوصين
كاب وابن واخوين وصاحبين فقد ورد انه عليه السلام نهى ان يجلس الرجل بين الرجلين الا
باذنهما رواه البيهقي عن ابن عمر ولا يقيم احدا عن موضع جلوسه فيجلس هو فيه فقد في البخاري عن ابن
عمر انه عليه السلام نهى ان يقام الرجل عن مجلسه ويجلس فيه اخر وان قام احد بنفسه حياء منه او ادبا
معه لا يجلس ثمة اما تواضعا او عملا بظاهر النهي ويجلس حيث انتهى اي وصل محلا فارغا في الصف
فقد كان دابه عليه السلام في المجالس كما في الشمائل وروى البغوي والبيهقي والطبراني عن شيبة
بن عثمان مرفوعا اذا انتهى احدكم الى المجلس فان وسع له فليجلس والا فلينظر الى اوسع مكان ى
يراه فيجلس فيه وخلف الصف اي ويجلس ان لم يجد مكانا فيه ولا يعود كانه اخذ من حديث صح انه اقتدى
به عليه السلام قبل ان يصل الى الصف فقال له عليه السلام زادك الله حرصا ولا تعد فروي من العود اي
لا ترجع الى مثل هذا الفعل فانه مكروه بلا مشي حتى تصل الى الصف الذي يسعك فيصل وروي من الاعادة
اي ولا تعد صلاتك فانها صحيحة حيث وقعت في المسجد فان شرط صحة الاقتداء ان يكون مقام الامام
والمقتدي متحدا واحدا وقال الامام احمد ببطلان صلاة المنفرد خلف الصف اذا اقتدى بالامام والمأمور واه

الطبراني عن وابصة رأى المصلي وحده الا وصلت الى الصف فدخلت معهم او جررت اليك رجلا ان ضاق
بك المكان فقام معك اعد صلاتك فانه لا صلاة لك محمول على نفي الكمال عند الجمهور وعلى نفي الصحة
عند الامام احمد وفي بعض الحواشي اي ولا يعود الى نية حينئذ فهو تكبير لكن لا يخفى بعده ولا
يتخطى رقاب الناس فقد ورد فيه وعيد شديد وهو ان يجعل جسرا يوم
القيامة يتخطاه الناس الا اذا وجد فرجة فانه حينئذ يجوز له ان يتخطى ويصلي فيها فان التقصير
من غيره فيستحق التقدم عليه ويحيي اي يخص بالسلام والتحية بقربه اي في ذلك المقام
وفي نسخة بقربه بصيغة المصدر ولا يمد الرجل الى قدام صاحبه فانه ترك الادب وكان اكثر جلوسه
عليه السلام ان ينصب الساقين ويجعل اليدين عليهما ويسمى الحبوة الاحتبا وكان عليه
السلام يتربع احيانا ويقعد جلسة التشهد كثيرا وقد يرفع رجله اليمنى بدون اليسرى ويلازم
اي في قعوده الوقار اي السكينة والرزانة والتواضع اي مع اهل السكينة ويجتنب الجلوس على
القدمين والركبة فهي كلسة الاقعا ويسمى جلسة الكلب لكن نهيه مقيد بالصلاة فروى الحاكم
في مستدركه والبيهقي في سننه انه عليه السلام نهى عن الاقعا في الصلاة وفي النهاية هو ان
يلصق الرجل اليته بالارض وينصب ساقيه وفخذيه ويضع يديه على الارض والاكثار النظر اي
يجتنب تكثير نظره الى الكاهل وهو ما بين الكتفين والعقب اي الى ورائه والالتفات اي والتفات ن
اي وتجنبه الى الجوانب فانه ابعد من الادب واللعب مع اللحية والاصابع فانه من اللغو وضد حال
ارباب الخشوع واصحاب الخضوع وقد راى عليه السلام رجلا يعبث بلحيته في الصلاة فقال
لو خشع قلبه لخشعت جوارحه وتخليل الاسنان وادخال الاصبع في الانف وهذا كله مكروه في المجامع
والى قلة ارباب الفضائل والفواضل واخراج البزاق والنخع من الانف والتثاؤب في الوجوه
اي في مقابلتها دون ادبارها والجشا اي كذلك فورد اقصر جشاك عنا وهو بضم الجيم ممدودا
بخار يخرج من الفم عند الاكل الكثير والاشارة باليد والعين بحيث يتوهم المصاحب ما لا يليق
باهل المناقب قال تعالى يعلم خائنة الاعين ونحوها اي وتجنب امثال هذه المذكورات مما يكره الناس
اي في الحركات والسكنات وليستغفره تعالى عند القيام اي من المجلس ففي المعالم عند قوله تعالى وسبح
بحمد ربك حين تقوم قال سعيد بن جبير وعطا اي قل حين تقوم من مجلسك سبحانك اللهم وبحمدك
فان كان المجلس خيرا ازددت احسانا وان كان غير ذلك كان كفارة له وروى البغوي باسناده
الى ابي هريرة مرفوعا من جلس مجلسا فكثر فيه لغطه فقال قبل ان يقوم سبحانك اللهم وبحمدك اشهد
ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك الا كان كفارة لما بينهما وفي رواية ابي داود وابن حبان
عن ابي هريرة كفارة المجلس ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك الخ تلك ثمراته وزاد عملت سوءا وظلمت
نفسي فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب الا انت ولا يقعد في السوق بلا حاجة فانها ابغض البلاد الى
الرحمن واحبها الى الشيطان ولا في الطريق اي الجادة للعامة ويؤدي الحقوق اي حقوق الجلوس او

او حقوق الطريق ان جلس وهو اماطة الاذى وارشاد الضال وقضا حاجة العاجز والامر
بالمعروف والنهي عن المنكر ونصرة المظلوم واغاثة الملهوف واعانة الضعيف ورد السلام
واعطا السائل ولو بجميل الكلام وفي رواية الطبراني عن وحشي لعلكم تفتحون من بعدي مداين
عظاما وتتخذون في اسواقها مجالس فاذا كان ذلك فردوا السلام وغضوا من ابصاركم واهدوا
الاعمى واعينوا المظلوم ويفتتح وفي نسخة ويفتتح اي يبتدي بالكلام في مجلس الكرام اذا كان ذا
بال منه المرام بالتسمية والتحميد والاستعاذة والانسب تقديم التعوذ والصلاة عليه اي على النبي
عليه السلام فورد كل امر ذي بال لا يبدا فيه ببسم الله الرحمن الرحيم اقطع رواه الرهاوي في الاربعين
عن ابي هريرة وفي رواية عنه كل امر ذي بال لا يبدا فيه بحمد الله والصلاة علي فهو اقطع ابتر ممحوق
البركة ويختار العربية اي اللغة المنسوبة الى العرب فقد ورد احبوا العرب لثلاث لاني عربي والقران كلام الله
عز وجل عربي ولسان اهل الجنة في الجنة عربي وقد قيل العربية نصف العلوم النقلية ويخفض الصوت اي لا
كل مع لقوله تعالى واغضض من صوتك ان انكر الاصوات لصوت الحمير ولا يكثر اي من الكلام فان كثرة الكلام
تميت قلب الانام ويهذب اللفظ اي ينقي مبانيه ويحسن ما فيه ويميز بين ما يوافق المقام ويناسبه
ويبين الكلام بتبيين معانيه ويخلصه من الزوائد المخلة والفوائد المملة ويتفكر اي اولا في الحجة اي الادلة
ثم يحتج بها ويتمسك بسببها ويسكت عند الغضب لقوله تعالى ولما سكت عن موسى الغضب اخذ الالواح
اي سكن كما في قراءة شاذة ولهذا ورد النهي للقاضي ان يحكم وهو غضبان لانه حينئذ لم يفرق بين
الحق والباطل في الحالة العجيبة ويذكره تعالى عند النسيان لقوله تعالى واذكر ربك اذا نسيت ويستثني
اي يقول ان شاء الله فيما يعده في مستقبله لقوله تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء
ن الله ولا يحلف عليه تعالى نحو اجترا اي اظهار جراة لديه فورد ان رجلا قال والله لا يغفر الله لفلان
قال الله تعالى من ذا الذي يتالى علي ان لا اغفر لفلان فاني قد غفرت لفلان واحبطت عملك رواه مسلم
عن جندب البجلي ويحترز عن القصص اي قصص الملوك وارباب الشي عنه واصحاب البطالة بل عن
قصص الانبياء وحكايات الاولياء اذا لم تكن ثابتة مروية عن العلماء الاصفياء والحلف اي ويحترز عن كثرة
اليمين ما امكن ولو كان صادقا اذ فيه شرط الحنث ووجوب الكفارة وشبهة التهمة وان حلف اي
على يمين وراى غيرها خيرا منها فليات به اي بذلك الغير الذي هو الخير وليكفر عن حنث يمينه ففي صحيح
مسلم وغيره عن ابي هريرة من حلف على يمين فراى غيرها خيرا منها فليات الذي هو خير وليكفر عن
يمينه ويراعي الادب اي مع الاصحاب والاحباب في قوله وفعله وسائر الابواب ويتكلم بالقصير
الجامع وهو الكلام الجامع المانع وقد ورد اعطيت جوامع الكلم رواه ابو يعلى عن عمر والكلم
التي مبانيه يسيرة ومعانيه كثيرة وروي خير الكلام ما دل وقل ويتوقف بين كل فقرتين اي مركبين ببعض
السكوت على كل منهما ليحفظ السامع اي ليدرك ويفهم ففي الصحيحين عن عائشة انه عليه السلام كان
يحدث حديثا لو عده العاد لاحصاه ولا يبحث قبل تمام الكلام اي في اثنا المهم اذ قد يكون له تعلق

في المقام يدفع الباحثة مع الخصام ويستأذن للسؤال اي تأدبا مع ارباب الكمال فالكل مأثور في
الكتب المبسوطة مذكور ويكثر البكا فورد حرمت النار على ثلثة اعين عين بالجر على البدل او بالرفع
اي منها او احدها عين سهرت في سبيل الله اي احراسا لخلق الله وعين غضت اي غمضت عن
محارم الله اي ابتغاء لوجه الله وعين بكت من خشية الله اي من خوف يوم يلقاه الطبراني والحاكم عن
ابي ريحانة بلفظ حرمت النار على عين بكت من خشية الله وحرمت النار على عين سهرت في سبيل
الله وحرمت النار على عين غضت عن محارم او عين فقئت في سبيل الله وفي رواية الحاكم عن ابي
هريرة ثلثة اعين لا تمسها النار عين فقئت في سبيل الله وعين حرست في سبيل الله وعين
بكت من خشية الله دون الضحك اي لا يكثر الضحك بل يقلله فهو يميت القلب ويذهب النور البها
الصفا وفي الخزانة عليه السلام كان طويل الصمت قليل الضحك احمد عن جابر بن سمرة فورد فليضحكوا
قليلا وليبكوا كثيرا وهو امر معناه خبر اي يضحكون في الدنيا قليلا من الضحك او الزمان ويبكون كثيرا
من البكا او الزمان وهذا اذا كان المراد به الخبر عن اهل الكفر في الدنيا والعقبى واما ان كان المراد
به الخبر عنهم في الدار الاخرى فالمراد من القلة العدم والله اعلم فالمعنى من ضحك في الدنيا كثيرا فانه يبكي
ان امر يكون عسيرا يسيرا او يخفض صوت العطاس فالتصريح به اي بالصيحة عند الناس من حمق
اي حماقة وجهالة لتمام الاستيناس وقد ورد التثاؤب الشديد والعطسة الشديدة من
الشيطان ابن السني عن ام سلمة ويستر اي فمه عند العطاس بثوبه اي بكمه او منديله او بيده اي
بكفه فورد اذا عطس احدكم فليضع كفيه على وجهه وليخفض صوته الحاكم والبيهقي عن ابي هريرة
ويستر الفم باليد في التثاؤب او بالثوب لانه ايضا يحصل المقصود دون الثوب ايضا لا يكون الا
بمسا على الساعد في الصحيحين عن ابي هريرة التثاؤب من الشيطان فاذا تثاءب احدكم
فليرده ما استطاع فان احدكم اذا قال ها ضحك منه الشيطان وفي رواية الترمذي العطاس من الله
والتثاؤب من الشيطان فاذا تثاءب احدكم فليضع يده على فيه واذا قال اه اه فان الشيطان
منه جوفه وان الله عز وجل يحب العطاس ويكره التثاؤب ولعل وجهه ان العطاس يطرد النوم
والكسل والتثاؤب يوجب النعاس والفشل واما ما ورد من ان العطاس والنعاس والتثاؤب في
الصلاة من الشيطان فوجهه ان كلا منها مانع من القراءة ونحوها ويلقي البزاق اي ان لم يقدر على
ابتلاعه في السجادة اي ان لم يكن للمكان احد من الابرار وتحت القدم اي اليسرى اذا لم يكن ارض
مسجد دون القبلة اي لا يلقي الى جهة القبلة مطلقا تعظيما للكعبة بيت الله الحرام ففي الصحيحين
اذا كان احدكم يصلي فلا يبزق قبل وجهه فان الله قبل وجهه اذا صلى وعن اليمين اي ايضا سواء يكون
فيه احد ام لا تعظيما لصاحب اليمين من الملك بكونه المقربين ولعل صاحب اليسار متأخر في جانبه فانه
مأمور بالنسبة الى صاحب اليمين كما قرر في محله وفي رواية احمد واصحاب السنن الاربعة عن طارق
بن عبد الله المحاربي مرفوعا اذا صليت فلا تبزقن بين يديك ولا عن يمينك ولكن ابزق تلقاء شمالك

شمالك ان كان فارغا والا فتحت قدمك اليسرى ثم ادلكه قال ابو يزيد لبعض اصحابه قم بنا حتى ننظر الى
هذا الرجل الذي قد اشهر نفسه بالولاية وكان رجلا مشهورا بالزهد والديانة فمضينا فلما خرج من
بيته ودخل المسجد رمى ببزاقه تجاه القبلة فانصرف ابو يزيد ولم يسلم عليه وقال هذا غير مأمون على ادب
من اداب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يكون مأمونا على ما يدعيه اي من الادب مع الرب
ويتفاءل بكلمة صالحة اي يسمعها من يدعو كيا صالح ويا فلاح ويا منصور ويا مظفر فانه عليه السلام
كان يعجبه الفال الحسن ويكره الطيرة ابن ماجه عن ابي هريرة والحاكم عن عائشة فالكل مأثور
اي منقول عن فعله عليه السلام كما مر به اي بما ورد عنه من الكلام ولا يتطير اي لا يتشاءم
بالفال القبيح واصله التطير بالسوانح والبوارح من الطير وكان التطير يصدهم عن مقاصدهم في زمن
الجاهلية فنفاه الشرع ونهى عنه واخبر انه لا تأثير له في جلب نفع او دفع ضر ومثاله ان خرج لحاجة
وسمع كلمة يا خاسر دالة على عدم قضائها فان رجع عنها بسببها كان ذلك تطيرا فهو منهي عنه روى
احمد عن عبد الله بن عمر مرفوعا لا تتطير فان فعلت فكفارته ان تقول اللهم لا خير الا خيرك ولا طير
الا طيرك ولا اله غيرك ورواه الطبراني عنه بلفظ من ردته الطيرة من حاجة فقد اشرك فكفارته ان
يقول اللهم لا خير الا خيرك الخ ورواه ابو داود ولفظه اذا رأيتم من الطيرة شيئا تكرهونه فقولوا اللهم لا ياتي
بالحسنات الا انت ولا حول ولا قوة الا بك وفي رواية ابن ابي شيبة الا بالله ويفتتح الكتاب اي
اذا اراد مكتوبا الى غيره بالتحميد والصلاة بان يكتب الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله
ويذكر اولا اي بعد بسملة نفسه ثم المكتوب اليه فهو السنة المعروف في السنة ان يبدأ باسمه ثم المكتوب
اليه ثم بحمد الله فيكتب مثلا من عبد الله فلان الى فلان عبد الله السلام عليك فاني احمد الله
اليك وهو مقتبس من قوله تعالى انه من سليمان اي الى بلقيس وانه بسم الله الرحمن الرحيم وقد كتب
صلى الله عليه وسلم الى معاذ بن جبل يعزيه وهو بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى معاذ
سلام عليك فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو اما بعد فاعظم الله لك الاجر والهمك الصبر ورزقنا
واياك الشكر الحديث رواه ابن مردويه والحاكم عن معاذ قالوا وفي الاية مطلق الجمع ويتربه اي
يلقي التراب على الكتاب فهو سبب النجاح اي وصوله الى الباب وقد ورد اذا كتب احدكم الى انسان
فليبدأ بنفسه واذا كتب فليترب كتابه فهو انجح الطبراني في الاوسط عن ابي الدرداء والترمذي الجملة
الثانية والطبراني الاولى ويتعفف اي يطلب العفة عن طلب الحاجة اي بالمسألة من الخلق ما امكن
اي مهما امكن التعفف ولم تلجئه الضرورة الى التكلف وفي دعائه اللهم كما صنت وجهي عن
سجود غيرك فصن وجهي عن مسألة غيرك وقد قال بعض اهل التوفيق السؤال ذل ولو اين الطريق
اي حتى طلب الحاجة عند الضرورة من الخليفة ان يتوضأ ويصلي ركعتين ويرفعها اليه تعالى اي اولا
لانه غياث المستغيثين وارحم الراحمين واكرم الاكرمين وفي الخبر يسأل احدكم ربه حاجته حتى
يسأله الملح وحتى يسأله شسعه رواه الترمذي وغيره وقد ورد من كانت له حاجة الى الله او الى احد من بني ادم

فليتوضأ وليحسن وضوءه ثم ليصل ركعتين ثم ليثن على الله وليصل على النبي صلى الله عليه وسلم وليقل
لا إله إلا الله الحليم الكريم سبحان الله رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين أسألك موجبات
رحمتك وعزائم مغفرتك والعصمة من كل ذنب والغنيمة من كل بر والسلامة من كل إثم لا تدع لي ذنبا إلا
غفرته ولا هما إلا فرجته ولا حاجة هي لك رضا إلا قضيتها يا أرحم الراحمين رواه الترمذي عن
ابن أبي أوفى وفي رواية له وللطبراني عن ابن حنيف من كانت له ضرورة فليتوضأ وليحسن وضوءه ويصلي ركعتين
ثم يدعو اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي هذه
لتقضى لي فشفعه فيّ ويخرج إلى وقت حين يخرج في طلب الحاجة بكرة الخميس أو بكرة غيره فإن البركة
في البكور كما تقدم بعد التحميد والصلاة على النبي عليه السلام وقراءة الفاتحة فإن فيها راحة
قضاء الحاجة فاتحة وآية الكرسي فإنها الدالة على العظمة والجلال فقط وأواخر آل عمران إلى آخر قوله إن في
خلق السموات والأرض إلى آخر السورة أو من قوله لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد إلى قوله
تعالى يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون فقد رؤي بعض المجاذيب
أنه يخرج بطاقة من جيبه وينظر فيها ثم يردها فإذا الكلمات عز وأجهما (?) واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا
والقدر أي سورة القدر تنبيها له على أن الأشياء كلها بالقضاء والقدر فلا يتسلط على أن يتغير وليقصد
الأتقى تبرعا لأن عطاءه أتقى والأكرم طبعا لأن سخاءه أبقى والأسمح أي الأسهل بدءا فإن
الخير منه أرجى والأحسن أي خلقا وخلقا فقد ورد اطلبوا الخير عند حسان الوجوه رواه البخاري
في تاريخه عن عائشة وجماعة عن غيرها وفي رواية ابن عدي والبيهقي عن عبد الله بن جراد رك
تطلبوا إذا ابتغيتم المعروف فاطلبوه عند حسان الوجوه وذلك لأن الظاهر عنوان الباطن والغالب لب
اجتماع حسن الخلق وحسن الخلق ومن لوازم حسن الخلق الكرم مع الخلق والأرحم قلبا فعن أبي
سعيد اطلبوا الحوائج إلى ذوي الرحمة من أمتي ترزقوا وتنجحوا فإن الله تعالى يقول إن سخطي فيهم رواه
العقيلي والطبراني في الأوسط والأبر تركه معصية فيه أي في طلب الحاجة بأن يكذب في مقدار
ما يحتاج إليه في تودد أن أمي ميتا أريد دفنه أو عندي تعب أو أنه أكلت أيام كذا أو معي عيال ونحو
ذلك إذ المسكين صادق فيما … ولا يلح أي في الطلب من الخلق قال تعالى لا يسألون الناس إلحافا
أي إلحاحا وورد أن الله يبغض السائل الملحف ويحب الحيي العفيف المتعفف رواه البيهقي عن أبي
هريرة ويشاور أي في أمر مشكل يقع له العاقل أي المجرب في الأمور العالم أي المعظم في الصدور
الصالح إذ عنده الخبر المستور الملك بم ذلك لأن المرء الذي وقع له في الدهر ويحتاج فيه النصح للنفس
كالسخي في المال أي في أمر يتعلق ببذل المال والشجاع في الحرب إلى غير ذلك لأن من أهل الكمال
وقد علم كل أناس مشربهم وعرف كل فريق منه طلبهم فورد وتشاوروا كلهم في الأمر وأمرهم شورى بينهم
ثم امرأته إن لم تجد أحدا منهم فمن يستخير وتخالف أي رأيهن فورد فيه أي في خلافهن البركة لقلة عقلهن
ونقصان دينهن وأخرج العسكري في الأمثال عن عمر قال خالفوا النساء فإن في خلافهن البركة وعن

وحمتي في ذوي الرحمة
عبادي ولا تطلبوا الحوائج
عند القاسية قلوبهم فلا
ترزقوا ولا تنجحوا فإن
الله تعالى يقول صح

وعن أنس مرفوعا لا يفعلن أحدكم أمرا حتى يستشير فإن لم يجد من يستشير فليستشر امرأته ثم ليخالفها لتفي
فإن في خلافها البركة رواه ابن لال وروى الديلمي والعسكري والقضاعي عن عائشة مرفوعا
طاعة النساء ندامة وفي مسند أحمد هلكت الرجال حين أطاعت النساء وأخرجه الطبراني والحاكم
وصححه من حديث أبي بكرة مرفوعا وأخرج ابن عدي من حديث أم سعد بنت زيد بن ثابت عن أبيها
مرفوعا طاعة النساء ندامة وأخرج العسكري عن معاوية قال عودوا النساء لا فإنها ضعيفة إن
أطعتها أهلكتك وقال بعض الشعراء وترك ظن فهي منه الخلاف وإذا ما اشتهى على الأنسة شاوروا لكن
وخالفوهن فيما طلب الأصل في مبناه لكن صح مبناه فيما قدمناه ويقدم الاستخارة أي على الاستشارة ن
والمراد دعاؤها بحيث بأن يقول اللهم خر لي واختر لي ولا تكلني إلى اختياري أو صلاتها ودعاؤها
المشهور المذكور في الحصن وشرحه المسطور وقد ورد ما خاب من استخار ولا ندم من استشار ولا عال من
اقتصد الطبراني في الأوسط عن أنس ويختار أهون الأمرين كالتدريس والفتوى فالتدريس أهون
والفتوى أهون من القضاء والقضاء أهون من الخلافة والأيسر منهما فروي عن بعض السلف الصبر عن النساء
أهون من الصبر عليهن والصبر عليهن أيسر من الصبر على النار وقيل الفرق بين الأهون والأيسر
أن الأهون باعتبار النفع والضرر والأيسر باعتبار سهولته على النفس ويبعد عن الخطر ولا يحب
المال لكثرة العرض بل يبذل المال لحفظ العرض وحسن الحال ولا يبدل الدين بالدنيا لقوله تعالى أولئك
الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين ولا يركب البحر وقد يجوز
للحكم بعلمها ولا بجرية على كمال أنه خلق للحمل والركوب فإن كل خلق لعمل أي على وفق العادة كما في الفرس
والجمل وقد ورد كل ميسر لما خلق له رواه الشيخان ويركب على ما اصطحب أي ما صادفه من الفرس
والحمار والبغل والبعير والفيل من غير تعلق وتقييد بواحد منها قال تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة
ويخلق ما لا تعلمون أي الفيل إذا كان الخطاب للعرب خاصة وأما البعير فقال تعالى ولكم فيها جمال حين
تريحون وحين تسرحون وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤوف
رحيم وقال عز وجل وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة
ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين أي مطيقين وقال عز
وعلا أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها
يأكلون ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون وقال عز شأنه وعظم برهانه وآية لهم أنا حملنا ذريتهم
في الفلك المشحون وخلقنا لهم من مثله ما يركبون فالبعير سفينة البر كما أن الفلك سفينة البحر ويردف الخادم م
أي وغيره سواء كان المركوب جملا أو فرسا أو حمارا لأن ذلك من التواضع فقد أردف النبي عليه السلام الفضل وابن عباس
في طريق عرفة عام حجة الوداع خلفه ناقته وأردف أبا بكر يوم على حمار في طريق قبا كما تقدم وكان
عليه السلام لا يدخر البيت أي بيته حتى يتصدق ويباشر النفقة أي ما فضل من النفقة في بيته أو في
بيته ويسعى في الحاجة أي في قضائها بنفسه عند قدرته فأخرج أحمد عن أنس أنه عليه السلام كان يذبح

اضحية ويخصف النعل على حد صفته ويخيط الثوب اي بقدر معرفته فقد اخرج ابن عساكر عن ابي
ايوب انه عليه السلام كان يخصف النعل ويرقع القميص ويلبس الصوف ويقول من رغب عن سنتي
فليس مني اي من تركها تكبرا فليس على طريقتي ويقطع اللحم اي اذا كان نيا او غيره نضيجا وهو ثابت
في السنة كما سبق وفي الشمائل عن جابر بن طارق قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم فرايت
عنده دبا يقطع فقلت ما هذا فقال نكثر به طعامنا ويشتغل بامور البيت مع امهات المؤمنين فروى
احمد عن عايشة كان يخيط ثوبه ويخصف نعله ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم وروى ابن سعد عنها
كان يعمل عمل البيت واكثر ما يعمل الخياطة وفي رواية ابي يعلى عنها كان يغسل ثوبه ويحلب شاته ويخدم
نفسه ولا يتكلف اي وكان عليه السلام لا يتكلف في شيء من الكسوة والطعام والضيافة والوليمة
ولا يحبه اي التكلف بل يبغضه واخرج الدارقطني بسند ضعيف انا والاتقياء من امتي برءاء
من التكلف ويقويه ما في مسند الفردوس من حديث الزبير بن العوام الا اني بريء من التكلف وصالحو
امتي واخرجه ابن عساكر في تاريخه عنه بلفظ اللهم اني وصالحو امتي برءاء من كل متكلف واخرجه
عن الزبير ابن ابي هالة وهو ابن خديجة زوج النبي صلى الله عليه وسلم بلفظ انا وامتي براء من
التكلف ولا يتصيد اي بنفسه ويحبه اي يحب منه غيره ويقبل الهدية ويكافي عليها اي بمثلها او بازيد
منها لقوله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها على قول وفي البخاري عن عايشة
كان يقبل الهدية ويثيب عليها ويرد المعونة بالمنة وان قلت اي الهدية او المنة فانها كثيرة المؤنة
وثقيلة المعونة ويعتق العبيد وكذا الجارية ايام الرق اي تركان العبودية مع الحاح من حق الربوبية فحسنة
بعشر من اي فاجره مرتين كما في حديث ثم ان الاجر في حسنة قال تعالى من جاء بالحسنة وتلزم المراة عشر صح
قعر البيت اي من الحرمان ونحوه فلا تنزع اي لكي تحكم اي على البيت والمعنى انها لا تسكن في العوالي
خصوصا اذا كان فيها شابا بكر مشرفة على الحوالي ولا ينظر الى الخارج ولو كانت ساكنة في الداخل
تنظر الى الرجال فتنة اي في حقهن كما ان نظر الرجال اليهن فتنة في حقهم قال تعالى قل للمؤمنين
يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن
وامرت ام سلمة بان تحتجب عن الاعمى اي مع انها من ازواج الطاهرات ولا باس اي للمراة
بالخروج في المهم اي الديني والاخروي او الدنيوي الضروري في اسوء هيئة اي اخشنها من
لباس الجمال واخلي طريق اي من الرجال حال كونها متنكرة لمن يعرف اي تشبهها او حسبها صيانة عن
عرضها غير مسمة صوتها اي اذا لم تكن حزونة بها وتتصدق اي الشخص بما بقي من طعام تحيل
اي يتغير ويفسد من اللحم المطبوخ واللبن ونحوهما اذا كان كثيرا فانه تضييع للمال وتفويت للثواب
الكمال ويغتنم الصحيح بطول السلامة فان فرعون مضى عليه من العمر اربعمائة سنة ولم تحصل له صداع
ولا حمى مقدار سنة فورد ان يخلو المؤمن من علة اي مرض وضعف قوة وذلة ضد عز بان يسلط عليه
احد من الظلمة ونكبة اي فاقة وحاجة وقد يجتمع عليه ان كان من اهل عناية ورعاية وحماية واذا كان

كان قابا عنها في بعض الاوقات فلا بد ان يبتلى في كل اربعين يوما بشي ويسترجع اي
يقول انا لله وانا اليه راجعون في المصيبة اي اي دقة فهو كانوا اي مروي عنه عليه السلام وعن السلف
الكرام ممدوح في القران حيث قال تعالى وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا
اليه راجعون الاية وفي الحديث ليسترجع احدكم في كل شيء حتى في شسع نعله فانها من المصائب ابن
السني عن ابي هريرة وقد ورد من اصيب بمصيبة فاحدث استرجاعا وان تقادم عهدها كتب الله له من
الاجر مثله يوم اصيب رواه ابن ماجه عن الحسن بن علي ويحترز عن الشق اي شق الجيب والضرب
اي على الوجه والصدر والحلق اي حلق شعر راس المراة ولحية الرجل والنواح وهو صياح اهل الميت
نهى اي جميعها منهي عنها اذ هي من رسوم الجاهلية ففي الصحيحين عن ابن مسعود ليس منا من لطم
من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية ولابي داود والنسائي عن ابي موسى ليس منا من
سلق ومن حلق ومن خرق فالسلق رفع الصوت عند المصيبة ومنه قوله تعالى سلقوكم بالسنة حداد والحلق
حلق الشعر والخرق خرق الثوب ويأتي المريض فورد المرض انينه تسبيح وصياحه تكبير ونفسه صدقة ونومه
عبادة وتقلبه من جنب الى جنب جهاد في سبيل الله يقول الله تعالى لملائكته اكتبوا لعبدي احسن ما كان
يعمل في صحته فاذا قام مشى كان كمن لا ذنب له الخطيب والديلمي عن ابي هريرة وقال رجاله معروفون
بالثقة الا حسين بن احمد البلخي فانه مجهول انتهى ويخفف بعض ما به اي من ثقل الالم ذاكرا اي حال
كونه ذاكرا الله تعالى فيما اعطاه من النعم والمنن ومستغنيا به فيما ابتلاه من المحن ومستغيثا به في ايام
الفتن ومستعيذا به عن حلول النقم لا متاوها اي بطريق الضجر والفزع من كثرة الهم والغم والا فقد
مدح الله سبحانه سيدنا ابراهيم الخليل بقوله ان ابراهيم لحليم اواه منيب فاذا كان اواها وراه الله في
تسليم امره ورضاه بقدره وفق ما قضاه يكون خيرا له في دنياه وعقباه ويعصب الراس اي مثلا
يعصبه تبعا للسنة واظهارا للعجز ولانه يخفف الصداع وينام على الفراش اي ولو كان دابه ان
لا ينام عليه الشتاء على الصبا اي على شدة المرض وحدة الالم مرموقا اي واحترازا او احترا سا
عن الشدائد اي طلب شدة الامر باظهار التجلد في التحمل والتلبس ويستشفي اي يطلب الشفا
بالدواء اي الجلي والخفي بشفاء الظاهر والباطن فان ذكر الحبيب شكر اللبيب وسكر الطبيب والدعا
فانه يرد البلا ويكون القضاء والدعوات المأثورة للشفاء نحو اللهم عافني واعف عني واشفني
واسالك العفو والعافية في الدنيا والاخرة والصلاة لقوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة او الصلا ة
على النبي صلى الله عليه وسلم ان ذكر الجليل شفاء العليل والقران لانه شفاء لاهل الايمان ودوا
لاهل الايقان وشقاء اهل الطغيان وخسران اهل العدوان فقد قال تعالى وننزل من القران ما هو
شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا لاسيما الفاتحة لانها فاتحة كل خير ودافعة كل شر وضير
فورد انه اي فاتحة الكتاب شفاء من كل داء اخرجه البيهقي في الشعب من حديث عبد الله بن جابر وروي
التيسير ان ايات الشفاء وهي ويشف صدور قوم مؤمنين وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين فيه

شفاء للمؤمنين للناس وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين وإذا مرضت فهو يشفين
امثال الطب وشفاء يكتب ويغسل ويشرب فانه مجرب محقق اي فالاول بتل خصوصا وقت ان حل
نعم اي السلف امروا به اي بالحجم وقد قيل الحجم راس الدوا واخرج الخلال ومنه حديث عائشة
مرفوعا الازم دوا والمعدة بيت الدا وعودوا البدن ما اعتاد والازم بالزائد الحمية واخرج ابن
ابي الدنيا عن وهب بن منبه قال اجمعت الاطبا على ان راس الطب الحمية فلن سبيلا ان يكون التقدير
نعم اي الحكما امروا بالحجامة ويداوي اي فانه لا يناقض التوكل ولانا في مورد تداووا عباد
الله اي اطلبوا الدوا بعضكم من بعض يا عباد الله ما انزل دا الا وله دوا الا السام اي الموت فيمن عند
احمد والسنن الاربع وابن حبان والحاكم عن اسامة بن شريك مرفوعا تداووا عباد الله فان
الله لم يضع داء الا وضع له دوا غير داء واحد الهرم ويستوهب مهر امراته اي يطلب الهبة من بعض مهرها
وبا كله فهيه شفا لقوله تعالى فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا اي صالحا غير
ضار ولا تنغص فيه في الدنيا ولا تبعة معه في الاخرى واستوهب على رضي الله عنه امراته اي من
مهرها او استقرض في العارضة اي العلة من مهرها شكمة الراوي فاشترى به العسل لقوله تعالى
فيه شفا للناس ومزجه اي خلطه بما السما اي المطر لقوله سبحانه وانزلنا من السما ما طهورا او شربه
فصار سبب الشفا اي حيث اجتمع فيه اسباب الدوا لهذا اي مضى او ضد لهذا او ازالة السكنجبين
الصفراء لا يفارق او والا اي كما قال الحكما لا يتعلق اي تعلق السكنجبين في ازالة الصفراء
بالنظر اي التامل والتوقف على الشروط اي المعتبرة التي ذكرها الاطبا في عرف المزاج وغلبة العلة
وجود الدوا ومقداره بحسب المزاج واقتداه لم يبق عنه فرق بين ازالة السكنجبين الصفراء
وبين ارواء الماء بخلاف ما لم يعرف ذلك فانه لا ينفعه فما لكم هذا جواب سوال مقدر يرد على قوله
عليه السلام ما فهم الحديث ان السكنجبين مثلا لا ربما يوافق لدفع الصفرا او يودي الى
عطش مفرط فنقول استعماله موقوف بالنظر الى احواله وموقف على شروط استعماله والحاصل ان
الدوا سبب لدفع الدا فمهما حصل السبب فيتلوه المسبب لا محالة في الاغلب كمعالجة الجوع
بالطعام والعطش بالماء الحلو البارد وانما يختلف نحو السكنجبين لتوقفه على شروط دقيقة
يعرفها الاطبا بخلاف اشباع الطعام وارواء الماء وكل ذلك بتدبير مسبب الاسباب وترتيبه
الاسباب بكمال قدرته وجمال حكمته فلا يضر المتوكل استعمال الدوا مع النظر الى حسبه دون الطبيب
والدوا واحتجموا اذا كان المرض دمويا او مطلقا لما ورد الحجامة تنفع من كل داء فاحتجموا الديلمي
عن ابي هريرة فيما مررت بملا اي جمع عظيم ليلة العروج من كثرتهم من الملائكة اي المقربين
الا قالوا بشر امتك بالحجامة اي بالعافية والسلامة بسبب الحجامة والاحب اي الاولى ان تقع
الحجامة في النصف الاخير من الشهر لما رواه ابن حبيب عن عبد الكريم مرسلا الحجامة تكره في اول
الهلال ولا يرجى نفعها حتى ينقص الهلال وان تنسب في سبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين

وعشرين فهو اي التبيغ انسب اي خصوصا اذا اتفق يوم الثلاثا لسبع عشرة من الشهر فورد هو ابي الحجا
لسبع عشرة من الشهر في يوم الثلاثا كان دوا من داء السنة رواه ابن سعد والطبراني وابن عدي
عن معقل بن يسار ولفظه الحجامة يوم الثلاثا لسبع عشرة من الشهر دوا لدا سنة ان في القفا فانه يورث
النسيان وروى الديلمي عن انس مرفوعا الحجامة في نقرة الراس تورث النسيان فتجنبوا اذكر وقد
احتجم عليه السلام في يافوخه من وجع كان به ذكره ابن الديبع ورواه ابن سعد عن انس الحجامة
في الراس هي المغيثة امرني بها جبريل حين اكلت طعام اليهودية وفي رواية العقيلي عن ابن عباس
الحجامة في الراس امان من الجنون والجذام والبرص والاضراس والنعاس ورواه الطبراني وابن السني
في الطب عن ابن عمر وفي رواية للطبراني وابي نعيم عن ابن عباس الحجامة في الراس شفا من سبع اذا ما نوى
صاحبها من الجنون والصداع والجذام والبرص والنعاس ووجع الضرس وظلمة يجدها في عينيه وفي
رواية ابن ماجه والحاكم وابن السني وابي نعيم عن ابن عمر الحجامة على الريق امثل وفيها شفا وبركة وتزيد
في الحفظ وفي العقل فاحتجموا على بركة الله يوم الخميس واجتنبوا الحجامة يوم الجمعة والسبت ويوم الاحد واحتجموا
يوم الاثنين والثلاثا فانه اليوم الذي عافى الله فيه ايوب من البلا واجتنبوا الحجامة يوم الاربعا
فانه اليوم الذي ابتلى فيه ايوب وما يبدو جذام ولا برص الا في يوم الاربعا او في ليلة الاربعا وفي الصحيحين
عن جابر مرفوعا ان كان في ادويتكم خير ففي شرطة محجم او شربة من عسل او لذعة بنار توافق داء وما
احب ان اكتوي وتجتنب الكي فيه خوف السراية اي سراية الم الكي الى الموت او سراية المرض الى سائر الجسد
والرقية اي وتجتنبهما اذا لم يعرف معناها من مبناها اذ نهى عنهما اي عن الكي والرقية فروى الترمذي والحاكم
عمران انه عليه السلام نهى عن الكي وفي الحلية عن ابن عباس انه عليه السلام كان يكره الكي وفي رواية
البزار عن انس سبعون الفا من امتي يدخلون الجنة بغير حساب هم الذين لا يكتوون ولا يكوون ولا
يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون واما الرقية بالقران والادعية الماثورة فلا شك في جوازها
بل في استحبابها فكان عليه السلام يرقي اللديغ بالفاتحة سبع مرات رواه الترمذي وغيره عن ابي سعيد
وكان ايضا يرقي المعتوه بالفاتحة ثلاثة ايام غدوة وعشية كلما ختمها جمع بزاقه ثم تفله رواه ابو داود
والنسائي وفي صحيح مسلم وغيره عن ابي سعيد بسم الله ارقيك من كل شي يوذيك ومن شر كل نفس او عين حاسد
الله يشفيك بسم الله ارقيك وروى ابن ماجه والحاكم عن ابي هريرة ان ارقيك برقية رقاني بها جبريل
تقول بسم الله ارقيك من كل دا ياتيك من شر النفاثات في العقد ومن شر حاسد اذا حسد ترقي بها ثلاث مرات
واما قوله عليه السلام لشفا بنت عبد الله علمي حفصة رقية النملة كما رواه ابو عبيد في الغريب عن ابي بكر بن
سليمان بن ابي حثمة فقال الجلال السيوطي في شرح ابي داود رقية النملة شي كانت تستعمله النسا يعلم كل من
يسمعه انه كلام لا ينفع ولا يضر ورقية النملة كانت تعرف بينهن ان يقال العروس تحتفل وتختضب وتكتحل
وكل شي تفتعل غير ان لا تعصي الرجل فاراد عليه السلام بهذا الكلام تانيب حفصة والتوبيخ لها لانه القى
اليها سرا فافشته ويوصي بثلث المال الا انه يجوز ان يوصي به ولو كان الافضل دونه ففي الصحيحين عن ابن عباس

الثلث والثلث كثير وفيهما عن سعد انك ان تذر ورثتك اغنياء خير من ان تذرهم عالة يتكففون الناس الحديث وارضاء الخصوم اي بالمال وان يتحلل او قضاء الدين او طلب ابرائه وفدية الصلاة والصوم اي وبمقدار ان يفدي به الصلوات والصيام الفائتة لكل فرض ووتر نصف صاع وكذا لكل يوم صوم فمن مات مات دون الوصية اي الواجبة عليه وفي نسخة دونها اي بغير الوصية لا يؤذن له التكلم مع الموتى في القبر الى يوم القيامة رواه ابو الشيخ في الوصايا عن قيس ولفظه من لم يوص لم يؤذن له في الكلام مع الموتى وفي رواية ابن ماجه من مات على وصية مات على سبيل وسنة ومات على تقى وشهادة ومات مغفورا له وتمنى الموت اي علامات حلوله وامارات نزوله فمن الخبر تحفة المؤمن الموت رواه الطبراني باسناد جيد عن ابن عمر مرفوعا وذلك لانه وسيلة الى وصول مولاه وحصول لقاه وفي الصحيحين عن ابي موسى مرفوعا من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه وان يشتغل اي المحتضر بتلقين اي وقت حضور الموت بغيره تعالى ظاهرا او باطنا لقوله تعالى ارجعي الى ربك راضية مرضية ويقرأ يس اي بنفسه او يقرأها غيره فيستمعها فمن الخبر اقرؤوا على موتاكم يس اي على من اشرف على الموت رواه احمد وغيره عن معقل بن يسار ويحضر الصالحين اي ليعينوه بالتلقين ويعينوه بالدعاء في شدة البلاء ولا يكره السكرات اي لانها من جملة المكفرات او من موجبات رفع الدرجات ويستحب ان يقول اللهم اعني على غمرات الموت وسكرات الموت رواه الترمذي عن عائشة مرفوعا ويطيب حول البيت اي فينظفه ويبخره وفي نسخة حول الميت وهو المحتضر وبعد تحقق الموت فهو محضر الملائكة اي ملك الموت واعوانه والملائكة المبشرة لقوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن اولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الاخرة ولكم فيها ما تشتهي انفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم ويجتهد في هدو الجوارح اي سكونها عن الاضطراب فقد ورد موتوا قبل ان تموتوا في هذا الباب وينبغي ان يكثر الحمد فعن ابن عباس المؤمن بخير على كل حال تنزع نفسه من بين جنبيه وهو يحمد الله تعالى رواه النسائي وورد ارقبوا المريض الثلاث اي انظروا الى من دنا موته على المريض وقت ظهور احوال تطرأ عليه في ذلك الزمان عنده ثلاث اي منه علامات لكل احد من اهل الايمان او الكفران كما فصله بقوله اذا ارشح جبينه اي عرق وفي رواية ابي داود والترمذي والنسائي عن بريدة وصححه ابن حبان المؤمن يموت بعرق الجبين وذرفت عيناه اي سالت وذلك لان الدمعة علامة الرحمة ويبست شفتاه لانه من خوف مولاه فهو اي ما ذكر من الخصال الثلاث من رحمة الله قد نزلت به واذا غط اي وارقبوا اذا غط غطيط المخنوق اي صوت كصوته وهو الصوت الذي يخرج مع نفس النائم او حال خنقه وصرعه واحمر لونه واربدت شفتاه فهو من عذاب الله قد نزل به ومع هذا يحسن الظن بشانه ويحكم بايمانه لان الدليل المذكور ظني في مقام برهانه ولعله محمول على غالب احيانه وكلمة التوحيد اي وليجتهد في اكثارها منه او من غيره تلقينا له ونيابة عنه فمن ورد انه من مات وهو يعلم ان لا اله الا الله اي وان محمدا رسول الله دخل الجنة اي استحق دخولها ولا بد له من وصولها وفي الصحيحين عن ابن مسعود

مسعود من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة وفي مسند احمد وغيره عن معاذ من كان اخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة وحسن الظن اي وليجتهد في حسن ظنه بربه ان يرحمه ويعفو عنه جرمه ففي صحيح مسلم وغيره عن جابر لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله تعالى وورد في الصحيحين انا عند ظن عبدي بي اي في حالتي معه في الذنب والعقبى فليظن بي ما شاء اي من العفو والعقوبة فان مصيره اليه وحسابه عليه وان ما قضيت له من خير او شر فلا مرد له لدي والخوف والرجاء اي وليجتهد في الجمع بينهما فورد لا يجتمعان في قلب عبد اي مؤمن الا اعطاه الله الذي يرجوه اي من العفو وامنه الذي يخاف منه اي من العقوبة حين قال ظرف زيد اي في زمان قال محتضر ارجو الله واخاف ذنوبي وفي رواية البيهقي عن سعيد بن المسيب مرسلا ولفظه ما اجتمع الرجاء والخوف في قلب مؤمن الا اعطاه الله عز وجل الرجاء وامنه الخوف ويكره للمخلط اي الذين خلطوا عملا صالحا واخر سيئا الفجاة اي موت البغتة لقوله تعالى عسى الله ان يتوب عليهم فموت الفجاة تفوت التوبة ولما رواه احمد عن عائشة مرفوعا موت الفجاة راحة للمؤمن واخذة اسف على الكافر فمحموله على المؤمن الصالح اذ الفاجر في حكم الكافر والمؤمن ببعض الوجوه دون الطاعون اي لا يكره في بلد فيه الطاعون ففي الصحيحين عن انس الطاعون شهادة لكل مؤمن فورد من صبر في الطاعون اي ولم يخرج فرارا منه له مثل اجر شهيد وفي مسند احمد وصحيح البخاري عن عائشة الطاعون كان عذابا يبعثه الله على من يشاء وان الله جعله رحمة للمؤمنين فليس من احد يقع الطاعون فيمكث في بلده صابرا محتسبا يعلم انه لا يصيبه الا ما كتب الله له الا كان له مثل اجر شهيد وفي رواية لاحمد عن جابر الطاعون غدة كغدة البعير المقيم بها كالشهيد والفار منها كالفار من الزحف وفي رواية الطبراني في الاوسط عنه الطاعون شهادة لامتي ووخز اعدائكم من الجن غدة كغدة البعير تخرج من الاباط والمراق من مات منه مات شهيدا ومن اقام فيه كان مثل المرابط في سبيل الله ومن فر منه كالفار من الزحف وفي مسند احمد الطاعون لا يدخل مكة والمدينة لما فيهما من نزول السكينة

الباب الثامن في الصحبة

للصحبة تاثير بليغ في المنفعة والمضرة وان كان الشخص قويا في كمال المرتبة قال تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين وفي رواية النسائي عنه عليه السلام ما بال قوم يصلون معنا لا يحسنون الطهور فانما يلبس القرآن علينا اولئك وفي رواية احمد ومسلم عن ابي سعيد يا ايها الناس انها كانت ليلة ابيت ليلة القدر واني خرجت لاخبركم بها فجاء رجلان يختصمان معهما الشيطان فنسيتها فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة وفي رواية احمد والبيهقي عن ابن عباس انه قيل يا رسول الله ابطأ عنك جبريل فقال ولم لا يبطئ عني وانتم حولي لا تستنون ولا تقلمون اظفاركم ولا تقصون شواربكم ولا تنقون رواجبكم اي مفاصل انامكم وهذا والنظر الى اهل الدنيا مضر لاهل العقبى كما يشير اليه قوله تعالى لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا وذلك لانه سبب الغفلة عن المولى ومن هنا قال سعيد بن المسيب لا تنظروا الى الظلمة فتحبط اعمالكم الصالحة بخلاف ما ورد النظر الى الكعبة عبادة كما رواه ابو الشيخ عن عائشة والنظر الى علي عبادة كما رواه الطبراني والحاكم عن

ابن مسعود وعن عمران بن حصين وذلك لانهما يشتاقان الى ذكر الله وورد اولياء الله الذين اذا رؤا ذكر الله بسم الله الرحمن الرحيم فهو اول ما يجب به لانه الكريم الحكيم وسبحان به على دفع الشيطان الرجيم والصاحب اللئيم وورد ان المتحابين بتشديد الموحدة في الله اي في سبيله لا لتجارة على منابر من نور اي التي توجب لا تواضع من سرور توضع لهم حول العرش اي في مكان المقربين لباسهم نور اي مجرد او حرير يتلألأ نور ووجوههم نور اي كنور شموس وبدور يغبطهم النبيون والشهداء اي يطلبون مراتبهم مع انهم من اكابر السعداء وهذا اللائق في علو البهاء والمعنى ان حالهم عند الله يكون بحيث لو غبط النبيون والشهداء يومئذ حال غيرهم مع جلالة قدرهم لغبطوهم في علو امرهم ولكن بعد ان يراد به النبيون والشهداء الذين لم يتيسر لهم التحابب مع الولاية وان صفيا وتوبه كما في ان جبا انه يروى ان الله تعالى اوحى الى نبي من الانبياء اما زهدك في الدنيا فقد تعجلت به الراحة واما انقطاعك الي فقد تعززت بي ولكن هل عاديت لي عدوا او هل واليت لي وليا والحديث رواه الطبراني عن معاذ ان المتحابين في الله في ظل العرش وفي رواية عن ابي ايوب المتحابين في الله على كراسي من ياقوت حول العرش وقال ابو ادريس الخولاني لمعاذ اني احبك في الله فقال له ابشر ثم ابشر فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ينصب لطائفة من الناس كراسي حول العرش يوم القيامة وجوههم كالقمر ليلة البدر يفزع الناس وهم لا يفزعون ويخاف الناس ولا يخافون وهم اولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فقيل من هؤلاء يا رسول الله فقال هم المتحابون في الله كذا في الجامع وقال مخرجه رواه احمد والحاكم في حديث طويل ان ابا ادريس قال قلت والله اني لاحبك في الله قال فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان المتحابين لجلال الله في ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين وهو عند الترمذي من رواية ابي مسلم الخولاني عن معاذ بلفظ المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء وقال حسن صحيح ولابن حبان من حديث ابي مالك الاشعري ان لله عبادا ليسوا بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء على منازلهم وقربهم من الله الحديث وفيه تحابوا في الله وتصافوا فيه يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور فيجعل وجوههم نورا وثيابهم نورا يفزع الناس يوم القيامة ولا يفزعون وهم اولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وروى النسائي في سننه الكبرى ورجاله ثقات من حديث ابي هريرة ان حول العرش منابر من نور عليها قوم لباسهم نور ووجوههم نور ليسوا بانبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء فقالوا يا رسول الله صفهم لنا فقال هم المتحابون في الله والمتجالسون في الله والمتزاورون في الله فالحب فيه تعالى كما يكون الايمان بالله ورسوله واليوم الاخر لم يتصور وجوده فهو منبعث من الايمان ومستزيد به لان تعالى فاذا علمت ذلك فاعلم ان الحب اما ان يكون لمعنى في ذات المحبوب كحب الصورة الجميلة والسير الحميدة الجليلة وهو حب بالطبع وشهوة النفس اذ هو منبعث منها واما ان يكون التوصل به الى مقصود اخر ليس في ذات المحبوب وذلك اما ان يكون بنفس الدنيا او متعلقا بالاخرة واما ان يكون متعلقا بالله فالاول ليس من الحب في الله لانه منبعث من الدنيا والثاني علامة الحب لله كحب علم اي كحبك للعالم ليتعلم وحالة اي من

من جملة اقواله وسائر افعاله واخلاقه واحواله وصالح يتبرك به اي بدعائه وثوابه وحسن حاله في مثاله اذ العالم يستفاد من علمه والصالح يستفاض من عمله وحلمه في الدنيا ويرجى شفاعتهما في العقبى فقد قال بعض السلف استكثروا من الاخوان فان لكل مؤمن شفاعة فلعلك تدخل في شفاعة اخيك وروي في غريب التفسير في قوله تعالى ويستجيب الذين امنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله اي يشفعهم في اخوانهم فيدخلهم الجنة معهم ولذا حث جماعة من السلف على الصحبة والالفة والتحابب وكرهوا الانفراد والعزلة ولابي عبد الرحمن السلمي من حديث علي مرفوعا من سعادة المرء ان يكون اخوانه صالحين قال الصالحين ان نسي ذكره وان ذكر اعانه ويشير اليه قوله تعالى حكاية عن موسى واجعل لي وزيرا من اهلي هارون اخي اشدد به ازري واشركه في امري كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا وفي رواية لابي داود من حديث عائشة رضي الله عنها اذا اراد الله بالامير خيرا جعل الله له وزير صدق ان نسي ذكره وان ذكر اعانه ونقل في الاحياء معنى الحديث وعبر عنه بقوله من اراد الله به خيرا رزقه اخا صالحا الحديث والحاصل ان الصالح يشمل العالم والمتعلم نعم عيسى عليه السلام من علم وعمل وعلم يدعى في الملكوت عظيما وامره تفريج اي الرجل للعبادة تتيسر امر البيت ولا يتعلق به من اصلاح حاله وحفظ ماله وصيانة دينه ولذا ورد في الحجاب وفور الاجر والثواب لمن انفق على العيال حتى اللقمة يضعها الرجل في في امراته كي تتقدم والله اعلم وغني يعطف كما اي قدر حاجة العالم او العابد يصون العرض الى تحفظ وفيهما عن الضياع في الطلب اي الطلب كما لا بد لهما منه فقد كان جماعة من السلف يتكفل بكفايتهم جماعة من اهل الثروة وكان المواسي والمواسي حيثما هم المحبون في الله ومتعبدا له تعالى اي المتبدي من العبادة والمظهر لها المشير الى انه من اهل السعادة فالمحب للشيء محب لمحبه ومحبوبه وقد ورد في الدعاء اللهم اني اسألك حبك وحب من يحبك وحب عمل يقربني الى حبك وكذا المبغض اي للشيء مبغض لمبغضه وفي الجملة من احب الله واحب لقاءه ورضاه اذا احب غيره كان محبا في الله لانه لا يتصور ان يحب شيئا الا لمناسبة لما هو محبوب عنده وهو رضا الله ومن ههنا ترى احب العالم جميعه لانه خلقه وصنعه واحسن خلقه وقد قال ابو مدين شعر

لا تنكر الباطل في طوره ۝ فانه بعض ظهوراته ۝

وقد قيل ان المؤمن اذا احب كلبه وقال المجنون بني عامر شعر

امر على الديار ديار ليلى ۝ اقبل ذا الجدار وذا الجدارا ۝
وما حب الديار شغفن قلبي ۝ ولكن حب من سكن الديارا ۝

فالمخلوقات باسرها مظاهر للصفات الجمالية والنعوت الكمالية فليس في الكون سوى الله ومصنوعاته فمن احب انسانا احب صنعته ولذا كان عليه السلام اذا حمل اليه باكورة من الفواكه مسح بها عينيه وقال انه قريب عهد بربنا الطبراني في الصغير من حديث ابن عباس وهذا بالنظر الى التوحيد الصرف وحقيقة واما من مقام الشريعة وطريقته فلا بد من اعطاء كل ذي حق حقه فيما دي ويقال اللهم ارنا الاشياء كما هي واللهم ارنا الحق حقا وارزقنا اتباعه وارنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه وبذلك يتم الكمال فقد ورد اوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله رواه احمد من حديث البراء بن عازب وورد انه

من احب لله وابغض لله واعطى لله ومنع لله فقد استكمل الايمان رواه ابو داود وعن ابي امامة ويزداد
اي الحب والبغض بقوة الطاعة وكثرتها والمعصية اي في الحب والمحبوب وينقصان بضعفهما لانهما
مترتبان على وجودهما يكون على قدر شهودهما وحب الحب في الله ان كل حب لولا الايمان
بالله واليوم الاخر لم يتصور وجوده فهو حب في الله وكذا زيادة الحب وقد يغلب الحب بحيث لا يبقى
للنفس حظ الا فيما هو حظ المحبوب وانشد اريد وصاله ويريد هجري ¤ فاترك ما اريد لما يريد ¤ وقال
سمنون المحب فليس لي في سواك حظ ¤ فكيف ما شئت فاختبرني ¤ قال ودني اي ادنى مراتب الحب المعبر عنه
بالمصاحبة والاخوة فعن انس ما احدث عبد اخا في الله عز وجل الا احدث الله عز وجل له درجة في الجنة
ابن ابي الدنيا في كتاب الاخوان ثم المحبة الموجبة لزيادة الصحبة الاخوة وذلك ما يتمكن في حبة القلب
اي سويدائه وخاصة اجزائه وخلة منه اثنا عشر فعن انس ما تحابا اثنان في الله الا كان احبهما الى الله
اشدهما حبا لصاحبه ابن حبان والحاكم وقال صحيح الاسناد ثم الخلة بالضم اي الصداقة والمحبة الصادقة
وهي ما تخلل اي توسط الحب وتداخل امره في سره بحيث لا يسع لمحبة غيره وهذا معنى قوله وان تركه
منعه اي في الخلة اي حب سوى الله بل كان خاصة له سبحانه فلا بد له من انفراد الخليل في حب الجليل الجليل
مورد لو كنت متخذا خليلا اي من المخلوقين لاتخذت ابا بكر خليلا لكونه عندي جليلا ولكن صاحبكم
يعني نفسه خليل الرحمن اي وحبيبه فلا يسع في قلبه خلة غيره والحديث رواه احمد والبخاري ومسلم عن الزبير
والبخاري عن ابن عباس بلفظ لو كنت متخذا من امتي خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن اخي
وصاحبي وعن الزجاج الخليل هو الذي ليس في محبته خلل وقيل الذي يوالي فيه ويعادي به وقيل الخليل
هو المحب المختص لشيء دون غيره ولهذا قال عليه السلام اني ابرا الى كل خليل من خلته ولو كنت متخذا الحديث
فخلة امته عليه السلام قطع المخالفة بينه وبين غيره من الانام واستشكل قول ابي هريرة وبعض الصحابة
خليلي عليه السلام واجيب بان المنفي ان يتخذ هو خليلا وما نفي ان يتخذه غيره خليلا بخلاف ما سواه
اي غير الخلة من المحبة والاخوة فانه يتصور التشريك في كل منهما فورد اي في الاخوة وكمال المحبة علي مني بمنزلة
هارون اي من موسى الا انه لا نبي بعدي رواه ابو بكر المطيري في جزئه عن ابي سعيد وفي رواية الطبراني
عن ابن عمر علي اخي في الدنيا والاخرة فمنصب العاقل وهو العالم العامل والحسن الخلق وهو الفاضل
الكامل وقد قال عليه السلام يا ابا هريرة عليك بحسن الخلق قال ابو هريرة وما حسن الخلق يا رسول
الله قال تصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك البيهقي في الشعب من حديث الحسن مرسلا
عن ابي هريرة اذ لم يسمع منه فاشتراطهما لما ورد ان مدار الصحبة والالفة عليهما فلا يبعد
عن الاحمق والسيء الخلق اولى وفاسق وقد ورد فيه حديث ابي هريرة برواية ابي داود والترمذي وحسنه
والحاكم وقال صحيح ان ثبتك الله المرء على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل فلا بد ان يتميز بصفات
يرغب بسببها في محبته اما العقل فهو راس المال بتحصيل الكمال وعن علي كرم الله وجهه شعر ¤
ولا تصحب اخا الجهل ¤ واياك واياه ¤ فكم من جاهل اردى ¤ حليما حين واخاه ¤ يقاس المرء بالمرء ¤

اذا ما هو ما شاه ¤ وللشيء على الشيء ¤ مقاييس واشباه ¤ وللقلب على القلب ¤ دليل حين تلقاه ¤
كيف والاحمق قد يضرك وهو يريد نفعك وقال الجنيد لان يصحبني فاسق حسن الخلق احب الي من
ان يصحبني قارئ سيء الخلق اقول وذلك لانه اذا غلب عليه غضب او سهو او بخل او جبن او طمع
هواه في ذلك فيما سلك بمقتضى ما غلب عليه من الاخلاق فاذا غلب عليه غضب اجترأ عليك
او سهوا اثر نفسه عليك او بخل قطع احوجك ما يكون اليك او جبن لم ينصرك بل فر ان يرد عليك والطامع
اي يصاحبه صحبة الحريص بهم قاتل اي بسم منه حيث لا يدري والصالح اي وصاحب التقي فعن
ابي ذر مرفوعا الوحدة خير من الجليس السوء والجليس الصالح خير من الوحدة رواه الحاكم فالفاسق وهو
مرتكب الكبيرة والمصر على الصغيرة يستحق المقت وهو الغضب وهو ينافي الحب فقد قال الحسن مصارمة
الفاسق قربان الى الله وقد يقال يحب الفاسق لاجل ايمانه ويبغض بسبب عصيانه لكن لا بد من
عدم قربانه ثم المبتدع اولى بان يجتنب في صحبته سراية البدعة وعن عيسى عليه السلام تحببوا الى
الله ببغض اهل المعاصي وتقربوا الى الله بالتباعد عنهم والتمسوا رضا الله بسخطهم قالوا يا روح الله
من نجالس قال جالسوا من يذكركم الله رؤيته ويزيد في عملكم كلامه ومن يرغبكم في الاخرة عمله وقد
قال علي رضي الله رجز شعر ان اخاك الحق من كان معك ¤ ومن يضر نفسه لينفعك ¤ ومن اذا ريب الزمان صدعك ¤
شتت فيه شمله ليجمعك ¤ وقال بعض العلماء لا تصحب الا احد رجلين رجل تتعلم منه شيئا من امر دينك
او رجل تعلمه شيئا في امر دينه فيقبل منك والثالث فاهرب منه فالمدار في الصحبة على المنفعة فورد فضل
الاخوين اذا التقيا تفضل احدهما على الاخر وما التقى مؤمنان قط الا افاد الله احدهما من صاحبه
خيرا رواه السلمي في اداب الصحبة والديلمي عن انس وفي الخبر المؤمن مرآة المؤمن والمؤمن اخو المؤمن يكف عنه
ضيعته ويحوطه من ورائه ابو داود عن ابي هريرة اي يجمع عليه معيشته ويحفظ عليه ما لته وقوله المؤمن
مرآة المؤمن اي يرى منه ما لا يرى من نفسه فيستفيد المرء باخيه معرفة عيوب نفسه ولو انفرد لم يستفد
كما يستفيد بالمرآة الوقوف على عيوب صورته الظاهرة وقال الشافعي من وعظ اخاه سرا فقد نصحه
وزانه ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه والله سبحانه يعاتب المؤمن يوم القيامة تحت كنفه
وفي ظل ستره فيوقفه على ذنوبه سرا واما الكل المقت فينادي على رؤوس الاشهاد وتستنطق
جوارحهم بفضائحهم بين العباد وقيل الاخوان ثلثة احدهم مثل الغذاء لا يستغنى عنه والاخر مثل
الدواء يحتاج اليه في وقت دون وقت والثالث مثل الداء لا يحتاج قط لكن العبد قد يبتلى به وهو الذي
لا انس فيه ولا نفع فيه وقال علقمة العطاردي في وصيته لابنه يا بني ان عرضت لك الى صحبة الرجال
حاجة فاصحب من اذا خدمته صانك وان صحبته زانك وان قعدت بك مؤنة مانك اصحب من اذا مددت يدك
بخير مدها وان راى منك حسنة عدها وان راى منك سيئة سدها اصحب من اذا سالته اعطاك وان سكتت
ابتداك وان نزلت بك نازلة واساك اصحب من اذا قلت صدق قولك واذا حاولتما امرا امرك وان تنازعتما
اثرك قال ابن اكثم قال لي المامون فاين بهذا فقيل له اتدري لم اوصاه بذلك قال لا قال لانه اراد ان لا يصحب

احد الهنا لكم وعن الحسن بن علي لا يغرنك قول من يقول المرء مع من احب فانك لن تلحق الابرار
الا باعمالهم فان اليهود والنصارى يحبون انبياءهم وليسوا معهم انتهى وربما يقال ان الكفر يحجبهم
ويمنعهم ما لا الايمان فيرجى ان يجمعهم نور من احب فتوكد حشر معهم كما اورده الحاكم وقد يقال محبتهم
لانبيائهم ليست خالصة لله بل لكونهم من ابنائهم ولذا اورد من احب ان يجد طعم الايمان فليحب
المرء لا يحبه الا لله رواه الطبراني عن ابي هريرة وقال رجل لمحمد بن واسع اني احبك في الله فقال
احبك الذي احببتني له جله ثم حول وجهه وقال اللهم اني اعوذ بك ان احب فيك وانت لي مبغض
ولا يجله كما ورد ان الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف رواه مسلم من
رواه مسلم من حديث ابي هريرة والبخاري تعليقا من حديث عائشة ورواه الطبراني في الاوسط
عن علي ان الارواح في الهوا جنود مجندة تلتقي فتشام وعنه عليه السلام ان ارواح المؤمنين
لتلتقي على مسيرة يوم وما راى احدهم صاحبه احمد من حديث عبد الله بن عمر وبالجنبة علة النغم فروي
ان امراة بمكة كانت تضحك الناس وكانت بالمدينة اخرى فنزلت المكية على المدنية فدخلت على عائشة
رضي الله عنها فاضحكتها فقالت اين نزلت فذكرت لها فقالت صدق الله ورسوله سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول الارواح جنود مجندة الحديث رواه الحسن بن سفيان في مسنده
وعنه عليه السلام لو ان مؤمنا دخل الى مجلس فيه مائة منافق وهو مؤمن واحد لجاء حتى يجلس
اليه البيهقي في الشعب موقوفا على ابن مسعود ومن هنا قيل ان للطيور ملكة تجر الشكل الى الشكل
ويشير اليه قوله تعالى وهو على جمعهم اذا يشاء قدير وقال بعض الحكماء كل انسان يانس الى شكله كما ان
كل طير يطير مع شكله واذا اصطحب اثنان برهة من الزمان ولم يتشاكلا في الحال فلا بد ان يفترقا
في الاستقبال ورأى بعضهم غرابا مع حمامة فتعجب من ذلك وقال اتفقا وليسا من شكل واحد ثم طارا
فاذا هما اعرجان فقال من هنا اتفقا هذا وقد اختلف طرق السلف في اظهار البغض مع
اهل المعصية واتفقوا على اظهار البغض للظلمة والمبتدعة وكل من عصى الله بمعصية متعدية الى غيره واما
من عصى الله في نفسه فمنهم من نظر بعين الرحمة الى العصاة كلهم ومنهم من شدد الانكار واظهار
الهجر فقد كان احمد بن حنبل يهجر الاكابر في ادنى كلمة حتى هجر يحيى بن معين في قوله اني لا اسأل
احدا شيئا ولو حمل السلطان الي شيئا لاخذته وهجر الحارث المحاسبي في تصنيفه للرد على المعتزلة
وقال اوردت شبههم وحملت الناس على التفكر فيها ثم ترد عليهم وهجر ابا ثور في تأويله قوله
عليه الصلاة والسلام من حديث ابي هريرة ان الله خلق ادم على صورته كذا ذكر في الاحياء
ولم يبين تأويله فقيل على صفة الجمال او على صفة من السمع والبصر والكلام وقيل
الضمير في صورته لادم والله اعلم والحاصل ان مذهب الامام احمد ان هذا الحديث من احاديث الصفات
منه المشكلات كالايات المتشابهات نؤمن بمبناها ولا نتعرض لمعناها مع اعتقاد تنزيهه الله سبحانه
عن المشابهة بالمخلوقات ومقتضاها واما الجمهور فما اختاروا هجر اهل المعصية للعلم بان الذين

الذين شربوا الخمر وتعاطوا الفواحش الا من في زمانه عليه السلام وايام اصحابه الكرام فلم يكونوا
يهجرونهم بالكلية بل كانوا منقسمين فيهم الى من يغلظ القول فيه ويظهر البغض اليه والى من يعرض عنه ولم
يتعرض له بشيء والى من ينظر اليه بعين الرحمة ولا يؤثر التباعد والتقاطع وهذا هو المناسب لهذه
الامة فانهم اتباع نبي الرحمة ومما يدل على تخفيف الامر في الفسق القاصر الذي هو بين العبد وبين
الله ما روى البخاري من حديث ابي هريرة ان شارب خمر ضرب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
مرات وهو يعود فقال واحد من الصحابة لعنه الله ما اكثر ما يشرب فقال عليه السلام لا تكن عونا
للشيطان على اخيك وتقدم حاجته اي حاجة اخيه في الاول اي اعطاته ولا تنفس اي حفظها وهو اي
التقديم الاولى اي لائق بهذا المقام الا على لقوله تعالى ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة اي
مجاعة ولقد كان من بعض الانصار ممن اخا النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين احد من المهاجرين
انه اعطاه احسن داريه واحسن بيت فيها واحسن امرأتيه وقال ابن عمر اهدي الى رجل من اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم راس شاة فقال ان اخي فلانا احوج مني فبعث به اليه فبعثه ذلك الانسان
الى اخر فلم يزل يبعث به واحد الى اخر حتى رجع الى الاول بعد ان تداوله سبعة وقيل اربعون ثم التسوية
اي المواساة في المال بينه وبين اخيه على السوية فقد عرض سعد بن الربيع نصف ماله واحدى زوجتيه
على عبد الرحمن بن عوف فقال له عبد الرحمن بارك الله لك في اهلك ومالك رواه البخاري من حديث انس ثم
الاناخر اي تاخر حق صاحبه عن حق نفسه فان فضل منه شيء فليصرفه الى اخيه وان عدم هذا اي التأخر
وهو التاخر فلا اقل بل هو في مقام التقصير والادون اي التقديم والتسوية كانوا اي من كانوا من
السلف الكرام كما قدمنا ودركا من صاحب يصحب صاحبا ولو ساعة من نهار الا سئل عن صحبته هل اقام
فيها حق الله تعالى او اضاعه وفي نسخة ام اضاعه حين اعطى اي ورد الحديث المتقدم حين اعطى عليه السلام
اقوم المساكين اي اعطاهما الى الصاحب وهو ابو بكر الصديق وقال انت احق به يا رسول الله فعالجا فقال
وفي الاحياء ان اتفذا الكرخ الى ما رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه دخل غيضة مع بعض اصحابه
فاجتنى منها سواكين احدهما معوج والاخر مستقيم ودفع المستقيم الى صاحبه فقال له يا رسول الله كنت
احق بالمستقيم مني فقال ما من صاحب الحديث قال مخرجه لم اقف له على اصل اقول لكن رواه ابن جرير
الطبري كما ذكره ابن عطية في تفسيره امرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون اي كانوا اخلطاء في
الاموال لا يميز بعضهم رحله عن بعض وكان فيهم من يعيب من قال نعلي لانه اضافه الى نفسه وكانوا
لا يميزون اموالهم كما حكي عن ابراهيم بن شيبان انا كنا لا نصحب من يقول نعلي وقال ابو محمد العكا شي
منه ان ذا الجنيد صحبت اقواما بالبصرة فاكرموني فقلت مرة لبعضهم اين ازاري فسقطت من
اعينهم ومن هنا قيل الصوفي لا يملك ولا يملك فهو كالملك ويظهر التشبه فيه اي في اتفاق صاحبه الى در
ابي الفرج بسببه فقد جاء فتح الموصلي الى منزل اخ له وكان غائبا فامر اهله فاخرجت صندوقه
ففتحه فاخذ حاجته فاخبرت الجارية مولاها فقال ان صدقت فانت حرة سرورا بما فعل وذلك لانه دل

على حد انه كما حقق في قوله تعالى او صديقكم وقال تعالى او ما ملكتم مفاتحه وكان الاخ يدفع
يدفع مفاتيح بيته الى اخيه ويفوض اليه التصرف فيه وكان يتحرج عن الاكل بحكم التقوى حتى
انزل الله هذه الاية واذن لهم في الانبساط في طعام الاخوان والاصدقاء وقبول المنة اي
على نفسه بقبول الصاحب احسانه فقد جاء رجل الى ابي هريرة وقال اني اريد ان او اخيك في
الله قال اتدري ما حق الاخا قال عرفني قال ان لا تكون احق بدينارك ودرهمك مني فقال لم
ابلغ هذه المنزلة بعد قال فاذهب عني وقال علي بن الحسين لرجل هل يدخل احدكم يده في كم اخيه
او كيسه فيأخذ منه ما يريد بغير اذنه قال لا قال فلستم باخوان وجاء رجل الى ابراهيم بن ادهم وهو
يريد بيت المقدس فقال له اريد ان ارافقك فقال له ابراهيم على ان اكون املك لشيئك منك قال لا
قال اعجبني صدقك ولا يحوج اي اخاه الى السؤال اي اصل الطلب او مقدار بل يبادر للمواساة
بالمال قبل كشف الحال فهو اي الاحواج الى السؤال تقصير في مقام الكمال فان ادنى الاخوة
هو القيام بالحاجة عند السؤال وقد قال ابو سليمان الداراني كان لي اخ بالعراق فكنت اجيئه
في النوائب فاقول اعطني من مالك شيئا وكان يلقي الي كيسه فآخذ منه ما اريد فجئته ذات يوم فقلت
احتاج الى شيء فقال كم تريد فخرجت حلاوة اخائه من قلبي وقال بعضهم اذا طلبت من اخيك
مالا فقال ماذا تصنع به فقد ترك حق الاخا وقال بعضهم اذا استقضيت اخاك الحاجة فلم يقضها
فذكره ثانية فلعله ان يكون قد نسي فان لم يقضها فتوضأ للصلاة وكبر عليه اربع تكبيرات
واقرأ هذه الاية والموتى يبعثهم الله وكان في السلف من يتفقد عيال اخيه واولاده بعد موته
اربعين سنة يقوم بحاجتهم ويتردد كل يوم اليهم ويمونهم بماله وكانوا لا يفقدون من ابيهم الا
عينه بل كانوا يرون منه ما لم يروا من ابيهم في حياته وكان الواحد منهم يتردد الى باب دار اخيه
ويسأل ويقول هل لكم زيت هل لكم ملح هل لكم حاجة وكان يقوم بها من حيث لا يعرفه اخوه
وقال ميمون بن مهران من لم تنتفع بصداقته لم تضرك عداوته وكان الحسن يقول اخواننا احب الينا
من اهلينا واولادنا وقال لان اهلنا يذكروننا بالدنيا واخواننا يذكروننا بالعقبى ويتودد باللسان
ع اي بالكلام مرة وبالسكوت تارة فقد ورد راس العقل بعد الايمان التودد الى الناس واصطناع
المعروف الى كل بر وفاجر الطبراني في الاوسط عن علي بن الحسين عن ابيه عن جده وقال انس
كان عليه السلام لا يواجه احدا بشيء يكرهه رواه الترمذي وغيره ولكن مدار الصحبة الان صحة على
النصيحة بل مدار الدين النصيحة فمن قنع بالسكوت صحبه اهل الفجور في البيوت وينبغي ان تعلم انك
لو طلبت منزها عن كل عيب اعتزلت عن الخلق كافة ولم تجد من تصاحبه قط كما ورد الناس
كابل مائة لا تجد فيها راحلة واخبر تقله وانشد شعر تمنى على الزمان محالا ان ترى مقلتاي
طلعة حر، ما من احد من الناس الا وله محاسن ومساوي فاذا غلبت المحاسن المساوي فهو الغاية
والمنتهى في المنى وفي الصحيحين لا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا وكونوا عباد

عباد الله اخوانا فالتجسس تطلع الاخبار والتحسس بالمراقبة بالابصار وتتبع العيوب والتجاهل
والتغافل عن الذنوب تتمة اهل الدين من التخلق باخلاق علام الغيوب فورد اللهم يا من اظهر
الجميل وستر القبيح ونظر المشارك في السراء والضراء فورد لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه المؤمن ما يحب
لنفسه رواه الشيخان وقد نظر ابو الدرداء الى ثورين يحرثان في فدان فوقف احدهما يحك جسمه
فوقف الاخر فبكى ابو الدرداء وقال هكذا الاخوان في الله يعملان لله فاذا وقف احدهما وافقه
الاخر وفي المثل لولا الوئام لهلك الانام وقد ورد المؤمنون كرجل واحد ان اشتكى راسه اشتكى
كله احمد ومسلم عن النعمان بن بشير ولا يتعجبن احد الا ببركة في الفضل كمثل ما ترى له
ويدعوه باحب الاسماء اي اسمائه في حال ندائه فعن عمر رضي الله عنه ثلاث يصفين لك ود اخيك ان
تسلم عليه اذا لقيته وتوسع له في المجلس وتدعوه باحب اسمائه اليه وورد اذا احب احدكم اخاه فليسأله
عن اسمه واسم ابيه وعن منزله رواه البيهقي عن ابن عمر ولفظه اذا احب رجلا فليسأله عن اسمه
واسم ابيه فان كان غائبا حفظته وان كان مريضا عدته وان مات شهدته وفي رواية ابن سعد
والبخاري في تاريخه والترمذي عن يزيد بن نعامة الضبي بلفظ اذا آخى الرجل الرجل فليسأله عن
اسمه واسم ابيه وممن هو فانه اوصل للمودة وممن هو اي من اي قوم وقبيلة هو وكان عليه السلام
يدعوهم اي اصحابه بالكلام بالكنى اي اذا كانوا معروفين بالكنية كابي بكر ونحوه حتى قال يا ابا عمير
ما فعل النغير ويثني عليه اي على اخيه وعلى اهله اي من ابيه وبنيه بل على صفته وفعله وخلقه وهيئته
وعقله وجميع ما يفرح به حال كونه صادقا في قوله معتقدا اي متوسطا في مدحه لا مفرطا ولا مفرطا
في وصفه ويكون معلنا به بحيث يبلغ اليه فهو يؤكد المحبة اي يزيدها ويسكت عن العيوب اي ان شئت
من الذنوب مستترا في بيانها في الخلا خوفا من الفضيحة في الملا فورد المسلم مرآة المسلم فاذا رأى
شيا فليأخذه ابن منيع عن ابي هريرة وقد قيل لمسعر تحب من يخبرك بعيوبك فقال ان نصحني فيما بيني
ن وبينه فنعم وان قرعني في الملا فلا وعن عمر رضي الله عنه رحم الله امرأ اهدى الي عيوبي وقال لسلمان
وقد قدم عليه ما الذي بلغك عني مما تكره فاستعفى فالح عليه فقال بلغني ان لك حلتين تلبس احداهما
بالنهار والاخرى بالليل وبلغني انك جمعت بين ادامين على مائدة واحدة فقال عمر اما هذان
فقد كفيتهما فهل بلغك غيرهما فقال لا وكتب حذيفة المرعشي الى يوسف بن اسباط بلغني انك بعت دينك
بحبتين وقفت على صاحب لبن فقلت بكم هذا فقال بسدس فقلت بثمن فقال هو لك وكان يعرفك
مني الملك افصاح اي اشاعة فيه فضاعة وافتضاح وفيه اي في الافصاح او عند بعثه نعت
يوم القيامة بقوله سبحانه ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين امنوا لهم عذاب اليم في الدنيا
والاخرة وهذا الكل في عيب وهو غافل عنه فانه يرجى النفع منه ويسكت ان علم علمه به اي بعيبه
ولعدم انتفاع النصح اي بسببه لكونه ماسور الطبع لمقصود الشرع والقطع اي قطع مصاحبة اسلم
بلا نسب والابقاء اي ابقاؤه اقرب لرجاء تأثير الصحبة فيه فيقبل النصيحة بعده وقيل القطع اولى

لمن كان ضعيفا والا بعدا لمن كان قويا مورد مثل الجليس الصالح مثل صاحب المسك البخاري عن ابي
موسى ولفظه مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل صاحب المسك وكير الحداد لا يعدمك من صاحب
المسك اما تشتريه او تجد ريحه وكير الحداد يحرق بيتك او ثوبك او تجد منه ريحا خبيثة وان القطع منهي
عنه اي في ان تنهى الحديث من بهجر اخاه سنة فهو كسفك دمه احمد في مسنده بخلاف ان تبدأ ر
فتركه كا مورد لئلا يقع في البلا لحديث لا تصاحب الا مومنا اي كاملا احمد وغيره وينهى اهل
عن تقصير اي في خدمته او صحبته قال الاحنف حق الصديق ان يتحمل منه ثلاثة ظلم المعصية
وظلم المدلة وظلم الهفوة الا اذا ادى ان يستمر الى القطع اي جواز مقاطعته قال ولي الاصحاب ل
وهو مخرج اهل الكمال فقد اختلف الصحابة والتابعون في ادامة مودته او مقاطعته فذهب ابو ذر
الى ان تتقاطع فقال اذا انقلب اخوك عما كان عليه فابغضه من حيث احببته وراى ذلك من مقتضى
الحب في الله والبغض في الله وراى ابو الدرداء وجماعة من الصحابة فذهبوا الى خلافه فقال ابو الدرداء
اذا تغير اخوك وحال عما كان عليه فلا تدعه لاجل ذلك فان اخاك يعوج مرة ويستقيم اخرى وفي
الخبر اتقوا زلة العالم ولا تقطعوه وانتظروا فيئته البغوي في المعجم وابن عدي في الكامل من
حديث عمرو بن عوف المزني ثم العتاب في السر حكي عن اخوين من السلف انقلب احدهما عن
الاستقامة فقيل لاخيه الا تقطعه وتهجره فقال احوج ما كان الي في هذا الوقت لما وقع في عثرته
ان اقف بين و التلطف اي في المعاتبة على المخالفة وادعوه بالعود الى ما كان عليه من الموافقة والكناية
بالكناية ثم التصريح اي في السر الكناية والا ظهر ان السر في السر والعلن فيه في العلن ففي حديث
عمر وقد سئل عن اخ كان آخاه فخرج الى الشام فسال عنه بعض من قدم عليه فقال ما فعل اخي
فقال ذاك اخو الشيطان قال مه قال انه قارف الكبائر حتى وقع في الخمر فقال اذا اردت الخروج فاذني
فكتب عمر عند خروجه اليه بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر
الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا اله الا هو اليه المصير ثم عاتبه تحت ذلك وعذله
فلما قرا الكتاب بكى وقال صدق الله ونصح لي عمر فتاب ورجع ثم المشافهة اي ان كان غائبا ولم
ينضبط بتصريح الكتابة في المعاتبة اذ المقصود ان اصلح اصلاح النفس برعاية الحق اي حق صاحبه
وتحمل الاذى على رجاء المراجعة فقد قيل لابي الدرداء الا تبغض اخاك وقد فعل كذا فقال انما ابغض
عمله وهو لكونه اقتبس من قوله تعالى فان عصوك فقل اني بريء مما تعملون حيث لم يقل اني بريء منكم مراعاة
لحق القرابة واخوة الدين اكد من اخوة القرابة ولذا قيل لحكيم ايما احب اليك اخوك او صديقك
فقال انما احب اخي اذا كان صديقا وكان الحسن يقول كم من اخ لم تلده امك ولذا قيل القرابة
تحتاج الى المودة والمودة لا تحتاج الى القرابة ثم تقبل المعذرة اي وجوبا فمن لم يقبلها مثل اسم
صاحب المكس وهو الذي ياخذ المال من الناس ظلما من التاجر كالعاشر وقد ورد من اعتذر اليه
اخوه بمعذرة فلم يقبلها كان عليه من الخطيئة مثل خطيئة صاحب مكس رواه ابن ماجه وابو داود في

في المراسيل منه حديث جوذان بن اختلف في صحبته وباقي رجاله ثقات ورواه الطبراني في الاوسط
من حديث جابر بسند ضعيف بهذا وقد قيل ينبغي ان تستنبط لزلة اخيك سبعين عذرا فان لم يقبله
قلبك فرد اللوم على نفسك وقل لقلبك ما اقساك يعتذر اليك اخوك سبعين عذرا فلم تقبله فانت
المعيب لا اخوك ويدعو له اي في الحضور والغيبة فيستجاب فيه اي في حق اخيه ما لم ينتبه بغيبة
فعن عبد الله بن عمرو ان اسرع الدعاء اجابة دعوة غائب لغائب ابو داود والترمذي وعن ابي
الدرداء دعوة الاخ لاخيه مستجابة رواه مسلم ولفظه ذلك في صحيح مسلم من حديث ابي الدرداء اذا
دعا الرجل لاخيه بظهر الغيب قال الملك ولك مثل ذلك ويحفظ الوفاء اي وفاء العهد قال تعالى واوفوا
بعهد الله اذا عاهدتم والثبات على المحبة ومع اهله واخوانه اي في حال غيبته وبعد موته وبعد
زمانه فكانوا اي السلف يبالغون فيه كما تقدم وورد فكمال الوفاء بعد الوفاة خزنة كثيرة لعد
في الحياة فيحبون كلب الحبيب اي مراعاة لعقب الحبيب ويشير اليه قوله تعالى وكلبهم باسط ذراعيه
بالوصيد ولله در القائل رأى المجنون في البيداء كلبا * فمد له من الاحسان ذيلا
فلاموه على ما كان منه * وقالوا لم منحت الكلب نيلا
فقال دعوا الملام فان عيني * رأته مرة في حي ليلى
وورد انها اي العجوز كانت تاتينا ايام خديجة وان كرم العهد اي حسنه وبقاءه من الايمان اي
كماله صح اي ورد حين اكرم عليه السلام عجوزا اي دخلت عليه فقيل له في ذلك فقال الحديث
وان صلح اي في حقوق الصحبة تسوية الظاهر والباطن والغيبة والحضور والا فلا يكون مراعيا
موافقا بل يكون مرائيا منافقا ولا يغير الحال اي من التواضع في الفعال والقال عند ارتفاع القدر
اي باتساع الجاه او زيادة المال فهو من اللوم اي من الدناءة والخساسة واصل اللوم ضد الكرم
ولقد قال بعض ارباب اهل الكمال شعر ان الكرام اذا ما ايسروا ذكروا * من كان يالفهم في المنزل الخشن
واوصى بعض السلف ابنه فقال يا بني لا تصحب من الناس الا من اذا افتقرت اليه قرب منك وان
استغنيت عنه لم يطمع فيك وان علت مرتبته لم يرتفع عليك وحكى الربيع ان الشافعي اخى رجلا
ببغداد ثم ان اخاه ولي السيبين وهما نهران احدهما بالبصرة والاخر في ناحية الفرات فتغير له
عما كان عليه فكتب الشافعي هذه الابيات اليه شعر

اذهب فودك من فؤادي طالق * ابدا وليس طلاق ذات البين
فان ارعويت فانها تطليقة * ويدوم ودك لي على ثنتين
وان امتنعت شفعتها بمثالها * فيكون تطليقين في حيضين
فاذا الثلاث اتتك مني بتة * لم تغن عنك ولاية السيبين

ولا ينفرد عنه في اكل اللذائذ وكذا شربه وفي لبسه بل ينبغي ان يؤثره على نفسه وحضور السرور لانه ل
يحصل نور على نور ويستوحش اي يحزن عند فراقه اي لكمال اشتياقه وقد قيل شعر

وجدت مصيبات الزمان جميعها ؛ سوى فرقة الاحباب هينة الخطب ؛ اي سهلا الامر وانشد
ابن عيينة هذا البيت وقال لقد عهدت اقواما فارقتهم منذ ثلثين سنة ما تخيل لي ان حسرتهم
ذهبت من قلبي وانشدت عايشة رضي الله عنها ذهب الذين يعاش في اكنافهم البيت وسيأتي
اي يوافقه في الامور الا فيما يخالف الحق فقد ورد لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق اخرجه احمد والحاكم
عن عمران وفي الصحيحين عن علي لا طاعة لاحد في معصية الله انما الطاعة في المعروف وفي رواية
احمد عن انس لا طاعة لمن لم يطع الله قالوا فالاولى في ذلك الايثار اي الخلاف فيه الكلام الى الشقاق قا
وسيأتي ومنع لقوله تعالى وامرهم شورى بينهم ومنها حفظ السر عنه حيث لا يخاف الشر منه ولا يحب عداوة
مثل يكون شريكا له في العداوة اي من الوفا ان لا يصادق عدو صديقه قال الشافعي اذا اطاع
صديقك عدوك فقد اشتركا في عداوتك ويخفف اي ثقالة الصحبة ومؤنة الكلفة بترك التكليف اي في
نفسه والتكليف لصاحبه في اداء الحقوق والمراد بها ما يلزم مروءة لا لزوما شرعيا قال بعض الحكماء
تمام التخفيف بطي بساط التكليف حتى لا يستحي منه فيما لا يستحي من نفسه ومن الجنايات اذا ثبتت
المحبة سقط الادب وقال علي رضي الله عنه شر الاصدقاء من تكلف لك ومن احوجك الى مداراة والجا ك
اي اعتذار في حالته وقال الفضيل انما تقاطع الناس بالتكلف يزور احدهم اخاه فيتكلف
له فيقطعه ذلك عنه وقيل لبعضهم من تصحب قال من يرفع عنك ثقل التكلف ويسقط بينك وبينه مؤنة
التحفظ وعن جعفر بن محمد اثقل اخواني علي من يتكلف لي واتحفظ منه واخفهم على قلبي من اكون
معه كما اكون وحدي وقال حكيم انه لا ينبغي ان يكلف اخاه ما يشق عليه في حالته بل يروح سره
من مهماته وحاجاته ويرفعه عن ان يحمله شيئا من اعبائه ومشقاته مؤناته ولا يكلفه التواضع ضع
له والتفقد لاحواله والقيام بحقوقه بل لا يقصد بمحبته الا الله تبركا بدعائه واستيناسا
بلقائه واستعانة به على دينه وتقربا الى الله تعالى بتقوية يقينه وقال بعضهم كن مع ابناء الدنيا بالادب
ومع ابناء الاخرة بالعلم ومع العارفين كيف شئت يعني انهم لا يرونه الا ما يرونه من الرب ولا
ينظرون الى السبب وقال اخر لا تصحب الا من يتوب عنك اذا اذنبت ويعتذر عنك اذا اسات ويحمل
عنك مؤنة نفسك ويكفيك مؤنة نفسه وهذا عزيز الوجود في ميدان الشهود كنوافل العبادة تركا
واتيانا اي فعلا قال الامام حجة الاسلام ومن التخفيف وترك التكلف والتكليف ان لا يعترض
في نوافل العبادات لان طائفة الصوفية يصطحبون على شرط المساواة بين اربعة معان ان اكل
احدهم النهار كله لم يقل له صاحبه صم وان صام الدهر كله لم يقل له افطر وان نام الليل كله لم يقل له قم
وان صلى الليل كله لم يقل له نم ويستوي حالاته عنده بلا مزيد ولا نقصان لان ذلك ان تفاوت
حرك الطبع الى الرياء والتحفظ لا محالة وقد قيل من سقطت كلفته دامت الفته ومن خفت مؤنته دامت
مودته ومن معاداته شيخي العارف بالله الولي نور الدين علي المتقي في هامش هذا الكتاب الموجز المنتقى
اعلم ان الله تعالى خفف على عباده في عبادات النوافل تخفيفين احدهما انه خفف في اصل التكليف يعني

يعني اذا اراد الشخص عبادة النفل راسا لا تكليف عليه ولا مؤاخذة لديه وثانيهما في وصفه
من التكليف لجواز صلاة النفل حال القعود مع القدرة والركوب متوجها الى جهة ونحوها فينبغي
للمصاحب ان يتخلق باخلاق الله تعالى ويخفف في حقوق الصحبة مثل هذه الصحبة في عبادة النافلة
مطلقا مثلا اذا اشترط المصاحبان على انفسهما شرطين بان قال احدهما على مؤنة السلخ والطبخ
وقال الاخر على تحصيل الماء والحطب فاذا قصر احدهما في شرطه بان لم يات باصل الشرط مطلقا فلا
يواخذه لان التكلف متروك في النفل واذا اتى باصل الفعل ولكن بترك التكلف بان طبخ طعاما مالحا
او قليل الملح فلا يواخذه لان التكلف متروك ايضا وعلى هذا القياس ينبغي في جميع حقوق الصحبة
مراعاة هذه القاعدة الصحيحة انتهى كلام المؤلف حيث اتى بهذه الوجيزة في مبانيها مع كثرة معانيها
نور دانا وانقيا امتي برآء من التكلف الدارقطني في الافراد من حديث الزبير بن العوام ولفظه الا
اني بريء من التكلف وصالحوا امتي واسناده ضعيف ويقويه قوله تعالى قل ما اسئلكم عليه من اجر وما انا من
المتكلفين اي من المتقولين القرآن من تلقاء نفسي فمن تقول شيئا من تلقاء نفسه فقد تكلف في
امره وكذا الحكم في فعله ويرفع الادب اي من العالم والاعتذار ونحوهما مع اهل الوداد عند تمام
الاتحاد فعند كمال الانبساط مع الاصحاب يطوى بساط الادب فالمقصود صفاء القلب
مع الاحباب الادب والادب اي التكلف عنوانه فاذا عرف اصل المكتوب فلا يحتاج الى عنوانه من
المطلوب ويزور اي صاحبه غبا اي يوما بعد يوم او وقتا بعد وقت يزدد حبا لحصول الاشتياق
الى الوصال الا ان يامن الملال اي الموجب للقطع في الاستقبال وينوي فيه اي في التزاور
الاستيناس اي طلب الانس بالملاقاة اي لقاء اهل اليقين والاستعانة على الدين كما هو شان
المجتهدين والتقرب اليه تعالى باقامة الحق اي حق الاخوة والصحبة وتحمل المؤنة اي كلفة الالفة
ففي مسند احمد وغيره عن ابن عمر المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على اذاهم افضل من المؤمن
الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على اذاهم وفي رواية الدارقطني عن جابر المؤمن يالف ويولف
ولا خير فيمن لا يالف ولا يولف وخير الناس انفعهم للناس وقد قال تعالى واعتصموا بحبل الله
جميعا ولا تفرقوا الاية وهذا امر وفي الخبر ان الله يقول حقت محبتي للذين يتزاورون في اجلي وحقت
محبتي للذين يتحابون في اجلي احمد في حديث عمرو بن عبسة وعبادة بن الصامت والحاكم
وصححه وعن النبي ما زار رجل في الله الا ناداه ملك من خلفه طبت وطابت لك الجنة رواه ابن علان
والترمذي وابن ماجه من حديث ابي هريرة من عاد مريضا او زار اخا في الله ناداه مناد من السماء
طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلا وعنه عليه السلام ان رجلا زار اخا له في الله فارصد
الله له ملكا فقال اين تريد فقال اريد ان ازور اخي فلانا فقال الحاجة لك عنده قال لا قال القرابة
بينك وبينه قال لا قال فلنعمة له عندك قال لا قال فبم قال احبه في الله قال فان الله ارسلني اليك يخبرك بانه
يحبك بحبك اياه وقد اوجب لك الجنة رواه مسلم من حديث ابي هريرة ويسلم على المسلم صغيرا وكبيرا او فقيرا

لحديث افشوا السلام واطعموا الطعام الترمذي عن ابي هريرة وفي رواية الحاكم عن ابي موسى
افشوا السلام بينكم تحابوا وفي رواية البيهقي من حديث هانئ بن يزيد ان من موجبات المغفرة
بذل السلام وحسن الكلام وان لقيته مرارا اي مرة بعد مرة لعموم قوله عليه السلام حق المسلم على
المسلم ست اذا لقيته فسلم عليه رواه مسلم وحالت شجرة او جدار او كذا الاسطوانة ثانيا اي بهذا
السلام تجديدا لعهد الاسلام ان اي بان لا يؤذي بصيغة المعلوم والمجهول من عرضه وماله
اي وما يراه والله قبل الكلام متعلق بيسلم اي يأتي بالسلام قبل ان يشرع في الكلام فانه تحية
اهل الاسلام حتى في دار السلام ومن بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجبه اي لا ترد عليه الكلام
حتى يبدأ بالسلام اي وينبغي ان لا تبدأ بالكلام والحديث رواه الطبراني في الاوسط وابو نعيم في
الحلية عن ابن عمر ولفظه من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه وعند الدخول في بيته اي يسلم
على اهله فللترمذي عن انس انه قال عليه السلام له اذا دخلت على اهلك فسلم يكون بركة عليك
وعلى اهل بيتك وبيت غيره اي كذلك لئلا يدخل الشيطان معه لحديث جابر اذا دخلتم بيوتكم فسلموا
على اهلها فان الشيطان اذا سلم احدكم لم يدخل بيته الخرائطي في مكارم الاخلاق وهو مامور
به اي في قوله تعالى فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم اي على جنسكم من المسلمين وان كان اي البيت
خاليا وهو اعم من بيته وبيت غيره فتحية اي حينئذ يكون بلفظ السلام علينا وعلى عباد
الله الصالحين فان لم يكن اي الحفظة او الكتبة يردونه فانهم من جملة عباد الله الصالحين والدخول
اي ويسلم عند دخوله في قوم اي على قوم وهو ظاهر متعارف والخروج اي ويسلم ايضا عند خروجه
عنهم ليكون مشاركا لهم في كل خير اي ابتداء وانتهاء وان السلام الاول للملاقاة والثاني
للموادعة ولعل هذا وجه التكرار من قوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما الا قيلا سلاما سلاما
ولابي داود والترمذي وحسنه من حديث ابي هريرة اذا انتهى احدكم الى المجلس فليسلم فان بدا له ان يجلس
فليجلس ثم اذا قام فليسلم فليست الاولى باحق من الآخرة ويبدأ به اي بالسلام فهو المروي اي عنه
عليه السلام انه كان يبدأ بالسلام كما في الشمائل وفي نسخة يبدر وفي مسند احمد عن ابي امامة
من بدأ بالسلام فهو اولى بالله ورسوله وقد قال العلماء ان الابتداء سنة اجرها اكثر من جواب السلام
مع انه فرض وذلك لما في البداية من التواضع ولانه تسبب في اداء الفرض وقد ورد اذا مر الرجل بالقوم فسلم
عليهم فردوا عليه كان له عليهم فضل درجة لانه ذكرهم السلام وان لم يردوا عليه رد عليه من هو خير منهم
والطبراني والبيهقي في الشعب عن ابن مسعود مرفوعا وموقوفا والبزار عنه مرفوعا السلام
اسم من اسماء الله وضعه الله في الارض فافشوه بينكم فان الرجل اذا مر بقوم فسلم عليهم الحديث ولا
يسلم على جمع النساء ايضا اي من جانب ويرد عليهن اذا سلمن عليه فان الرد فرض فلا يترك لتوهم الوقوع ع
في الريبة وكان انس يمر على الصبيان فيسلم ويروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه فعل ذلك رواه الشيخان ن
وفي النسائي عن انس انه عليه السلام كان يزور الانصار ويسلم على صبيانهم ويمسح رؤوسهم ولا اي ولا

ولا يسلم عند تلاوة القرآن اي على تاليه ولا مستمعه لئلا يقع خلل فيه ولا اذان اي اشتغال
المؤذن والمجيب به وقضاء الحاجة ونحوها اي من الحمام وكشف العورة وحالة الجماع فلا يتكلم فيها
اي مطلقا فضلا عن السلام ورده وعن ابن عمر ان رجلا سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبول
فلم يرد عليه ولا اللعب اي ولا يسلم عند اللعب بالشطرنج اي على لاعبه ومن معه من صاحبه ونحوه
اي النرد ومجلس الشرب ولا آلات الغناء واشباهها ولا يرد فيها اي في المذكورات التي لا يسلم فيها ويزيد يد
في الجواب اي بطريق الاستحباب فورد اذا حييتم بتحية اي اذا سلم عليكم بسلام ومن قبيل السلام عليكم
فحيوا باحسن منها اي بالزيادة عليها فتقولوا وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته او ردوها اي قولوا
في جوابها مثلها ولا يبالي لابتدائه اي لا تبدأ السلام الداخل على المدخول عليه والماشي على الواقف
ونحوه والراكب على النازل والصغير على الكبير والقليل على الكثير ففي الصحيحين عن ابي هريرة
يسلم الراكب على الماشي والماشي على القاعد والقليل على الكثير والصغير على الكبير وان بلغ سلاما
من احد فليقل وعليه السلام ورحمة الله وبركاته رواه السنة عن عائشة او وعليك وعليه السلام
رواه النسائي عن انس كذا في الحصن فيجوز الاكتفاء بالاول والجمع بينهما افضل واو للتنويع في
اختلاف الروايات ومن ذلك يعني اذا بعث انسان مع انسان سلاما فقال الرسول سلم عليك فلان
يجب عليه ان يرد على الفور ويستحب ان يرد على المبلغ ايضا فيقول وعليك وعليه السلام ثم الافضل ان
يقول المسلم السلام عليكم بصيغة الجمع وان كان المسلم عليه واحدا ويقول المجيب وعليكم السلام ورحمة
الله وبركاته ويأتي بواو العطف ويجوز تنكير السلام ايضا واما الجواب فالاستحباب وعليك
السلام او وعليكم السلام فان حذف الواو فقال عليكم السلام اجزأ اذ لكن في الصحيحين
عن ابي هريرة خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعا فلما خلقه قال له اذهب فسلم على اولئك
نفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يحيونك فانها تحيتك وتحية ذريتك فقال السلام عليكم فقالوا السلام م
عليك ورحمة الله فزادوه ورحمة الله انتهى وفيه دليل على ان السلام عليك يصلح للتحية وجوابها
لكن بشرط ان يكون احدهما بعد الآخر فلو تقعا معا فانه حينئذ يجب على كل واحد جواب
الآخر ويكتفي برد واحد اذا سلموا على القوم اجزأ عنهم لما في الموطا عن زيد بن اسلم مرسلا
ولابي داود من حديث علي يجزي عن الجماعة اذا مروا ان يسلم احدهم ويجزي عن الجلوس ان يرد
احدهم فعلم ان السلام سنة كفاية كما ان جوابها فرض كفاية وفي الديلمي عن علي السلام تطوع
والرد فريضة ولا يشير بالاصبع والكف فهو عادة الكفار اي من اهل الكتاب منهي عنه ففي الترمذي ب
من رواية عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده لا تشبهوا باليهود والنصارى فان تسليم اليهود الاشارة
بالاصابع وتسليم النصارى الاشارة بالكف وفي رواية ابي يعلى وغيره عن جابر تسليم باصبع واحدة صلح
يشير بها فعل اليهود والمعنى انه لا يكتفي بها عند السلام فلو جمع بين الاشارة والسلام لزيادة ة
الاعلام او لبعد المقام او لكون المسلم عليه لا يسمع الكلام فلا باس به الا انه لا بد من اسماع

كلاً منهما خلافا لما يفعله كثير من العامة وبعض الطلبة باخفاء السلام او رده وان اكتفيا باشارة ان
بعض او عصا من اليد او الراس ويؤيده حديث عبد الحميد بن بهرام انه عليه السلام مر بالمسجد
وعصبة من النساء قعود فالوى بيده بالتسليم اي مشيرا واشار عبد الحميد بيده رواه الترمذي
وقال حسن وقال احمد لا باس به ورواه ابو داود وابن ماجه من وجه اخر وان يخص المعارف
بالتسليم بل يعم السلام على من يعرف ومن لا يعرف اذا عرف بانه مسلم فان السلام من حقوق
المسلم على المسلم فهو اي تخصيص العارف بالسلام من اشراط الساعة اي علاماتها اي
من جملتها قلة العلم وكثرة الجهل وان يبدا بعليك السلام فهو تحية الميت اي يجوز ان يقال له ذلك
ويقال السلام عليكم اذ صح انه عليه السلام قال السلام عليكم دار قوم مؤمنين وقال رجل لرسول
الله صلى الله عليه وسلم عليك السلام فقال ان عليك السلام تحية الميت قاله ثلاثا ثم قال اذا
لقي احدكم اخاه فليقل السلام عليكم ورحمة الله وبركاته رواه الترمذي والنسائي في اليوم والليلة
وقال الترمذي حسن صحيح ويصافح اي مصافحة المتقين لا سيما الكبراء اي الذين من العلماء والاولياء
والشرفاء اذا كانوا من الضعفاء لا من السلاطين والامراء والوزراء فهو اي التصافح من تمام
التحية وعن الحسن المصافحة تزيد في المودة وعن ابي هريرة مرفوعا تمام تحياتكم بينكم المصافحة
الخرايطي في مكارم الاخلاق وهو عند الترمذي من حديث ابي امامة وضعفه وورد فيها اي في المصافحة
قسمة مائة مغفرة تسعة وتسعون لاحسنهما بشرا فعن ابي هريرة اذا التقى المسلمان فتصافحا
قسمت بينهما مائة رحمة تسعة وتسعون لابشهما واطلقهما وابرهما واحسنهما مسائلة باخيه الطبراني
في الاوسط وعن البراء اذا التقى المسلمان فتصافحا قسمت بينهما مائة رحمة تسعة وتسعون
لاحسنهما بشرا الخرايطي بسند ضعيف وعن عمر مرفوعا اذا التقى المسلمان فسلم كل واحد على صاحبه
وتصافحا نزلت بينهما مائة رحمة للبادي تسعون وللمصافح عشرة البزار في مسنده والخرايطي واللفظ
له والبيهقي في الشعب وقد ورد قبلة المسلم اخاه المصافحة الخرايطي وابن عدي من حديث انس
وقال غير محفوظ والمعنى ان المصافحة تقوم مقام تقبيل اليد في الجملة ولا باس بتقبيل يد المعظم في الدين
تبركا به وتوقيرا له فعن ابن عمر قبلنا يد النبي صلى الله عليه وسلم ابو داود بسند حسن وعن كعب بن مالك
قال لما نزلت توبتي اتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقبلت يده ابو بكر بن المقرئ في كتاب
الرخصة في تقبيل اليد بسند ضعيف وروي ان اعرابيا قال يا رسول الله ائذن لي فاقبل راسك
ورجليك فاذن له ففعل الحاكم من حديث بريدة وقال صحيح الاسناد وعن البراء بن عازب انه
سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتوضا فلم يرد عليه السلام حتى فرغ من وضوئه فرد عليه ومد
يده اليه فصافحه فقال يا رسول الله ما كنت ارى هذا الا من اخلاق العجم فقال عليه السلام ان
المسلمين اذا التقيا وتصافحا تحاتت ذنوبهما الخرايطي بسند ضعيف وهو عند ابي داود والترمذي
وابن ماجه مختصرا ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان الا غفر لهما قبل ان يتفرقا ويجعل الا صا
يع

ان صابع على الاصابع اي اصابعه في اصابع اخيه وهذا غير محفوظ في السنة وان يهويا نحو ذقن
اللغة اذ مفهوم موضع صفحة الكف او اليد واصابعها في كف صاحبه ونحوه وان يدع اي يترك يده
حتى يدع صاحبه اي يده فيدل على كمال التواضع واظهار المسكنة وللطبراني في الاوسط باسناد
حسن عن ابي هريرة انه عليه السلام كان لا ياخذ احد بيده فينزع يده حتى يكون الرجل هو الذي
يرسله ولم يكن يرى ركبته خارجة عن ركبة جليسه ولم يكن احد يكلمه الا اقبل عليه بوجهه ثم لم يصرفه
عنه حتى يفرغ من كلامه ولابي داود والترمذي وابن ماجه نحوه من حديث انس فهو السنة اي المروية
في شمائله وفضائله لا من وراء الثوب اي لا يصافح من وراء الكمام فهو جفاء من عادة الكفار اي المتكبرين
من العجم والروم ويعانق القادم اي الواصل من السفر وفي الاحياء ان الالتزام والتقبيل ورد
به الخبر عند القدوم من السفر وقد رواه الترمذي من حديث عائشة قالت قدم زيد بن حارثة الحديث وفيه
فاعتنقه وقبله وقال حسن غريب وقال ابو ذر ما لقيته عليه السلام الا صافحني وطلبني يوما فلم اكن في
البيت فلما اخبرت جئت وهو على سرير فالتزمني فكانت اجود واجود رواه ابو داود وياخذ ركاب
العلماء للتوقير فقد فعل ابن عباس ذلك بركاب زيد بن ثابت كما تقدم واخذ عمر بغرز زيد اي بركابه
حتى رفعه وقال هكذا فافعلوا بزيد واصحابه ويوسع المجلس مسجدا كان او غيره لقوله تعالى اذا قيل لكم
بلسان المقال او بيان الحال تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم والتفسح التوسع وفي الصحيحين
من حديث ابن عمر لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن توسعوا وتفسحوا وعنه عليه السلام
اذا اخذ القوم مجالسهم فان دعا رجل اخاه واوسع له فليأته فانما هي كرامة من الله تعالى عز وجل
اكرمه بها اخوه فان لم يوسع له فلينظر الى اوسع مكان يجده فليجلس فيه البغوي في معجم الصحابة من
حديث ابن ابي شيبة ورجاله ثقات وابن ابي شيبة هكذا ذكره ابو موسى المديني في ذيله في الصحابة ويكرم
الداخل ان كان من ذوي الفضائل والفواضل فيبسط له الثوب اي من الرداء ونحوه فروي انه عليه السلام
دخل بعض بيوته فدخل عليه اصحابه حتى دحس وغص المجلس فامتلا فجاء جرير بن عبد الله البجلي فلم يجد مكانا
فقعد على الباب فلف عليه السلام رداءه فالقاه اليه فقال له اجلس عليه فاخذه جرير ووضعه على وجهه
وجعل يقبله ويبكي ثم لفه ورمى به اليه صلى الله عليه وسلم وقال ما كنت لاجلس على ثوبك اكرمك الله كما اكرمتني
فنظر النبي صلى الله عليه وسلم يمينا وشمالا ثم قال اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه الحاكم من حديث جابر وقال
صحيح الاسناد وروي ان ظئر رسول الله صلى الله عليه وسلم التي ارضعته جاءت اليه فبسط لها رداءه ثم قال
مرحبا بامي ثم اجلسها على الرداء ثم قال لها اشفعي تشفعي وسلي تعطي فقالت قومي فقال اما حقي وحق
بني هاشم فهو لك فقام الناس من كل ناحية وقالوا وحقنا يا رسول الله ثم وصلها بعد ووهب
لها سهمانه بحنين وهو احدى عشر سهما فبيع ذلك من عثمان بن عفان بمائة الف درهم كذا في الاحياء
ورواه ابو داود والحاكم وصححه من حديث ابي الطفيل مختصرا اي بسط رداءه لها دون ما بعده وللحاكم من حديث
ابن عمر انه دخل عليه صلى الله عليه وسلم فالقى له وسادة من ادم حشوها من ليف الحديث واسناده صحيح وللطبراني

من حديث سلمان دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متكئ على وسادة فالقاها الي الحديث وسنده
ضعيف ويخفف اي الدخول عليه الصلاة فريضة او نافلة ويشتغل به اي باكرامه من سلام ونحوه
وتحصيل مرامه ثم يعاودها اي في اتمام صلاته فالظاهر ان تخفيف الصلاة الى حد ليس له اصل
في السنة وانما يحتمل ان لا يكون للسائل طلب وغرضهم لانه صنيع اهل الكتاب كذا في المحيط والذخيرة
ولانه يشبه الركوع الذي هو ركن من اركان الصلاة فكما لا يجوز ان يسجد احد لاحد لا يجوز ان يركع
له وكذا القيام على هيئة الوقوف في الصلاة لحديث من سره ان يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من
النار رواه ابو داود والترمذي وحسنه من حديث معاوية وعن انس رضي الله عنه قلنا يا رسول الله اينحني بعضنا
لبعض قال لا قال افيعانق بعضنا بعضا قال لا قال فيتصافح قال نعم الترمذي وحسنه وابن ماجه وضعفه
احمد والبيهقي وفي الاحياء لا باس بان تحنا لدفع شر ان شقيا وان يقوم اي للداخل كما هو عادة اهل
الى ان قال فهو منهي عنه اي في الحديث معللا بانه من عادة الاعاجم فعن ابي امامة اذا رايتموني فلا
تقوموا كما يقوم الاعاجم ابو داود وابن ماجه وعن انس ما كان شخص احب اليهم من رسول الله صلى
الله عليه وسلم وكانوا اذا راوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته لذلك الترمذي وقال حسن صحيح وفي
الاحياء ان القيام مكروه على سبيل الاعظام لا على سبيل الاكرام اقول وقد صار بهذا القيام من
الشعار العوام اذ يترتب على تركه انواع الملام فيكون النهي للتنزيه في هذا المقام وعن ابن مسعود
موقوفا ومرفوعا ما راه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن واما ما في صحيح مسلم عن ام هانئ انها سلمت
على النبي صلى الله عليه وسلم فقال من هذه فقيل له ام هانئ فقال عليه السلام مرحبا بام هانئ فمحمول على زيادة
الترحيب للاكرام بعد جواب السلام ويوقر الكبراء اي العظماء في الرتبة او السن كالعلماء العاملين
والصلحاء الكاملين والشرفاء الحاكمين والشيوخ السابقين لتقدمهم في دخول الاسلام فلهم قدم
صدق وبينهم سبق في هذا المقام وقد قال تعالى والسابقون السابقون لكن تقدم الرتبة في العلم والتقوى
والنسب على مجرد كبر السن في الحسب واشار الله الى الترتيب في غاية من التهذيب فالعلماء كما قال تعالى يرفع
الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات والمتقون كما قال عز وعلا ان اكرمكم عند الله اتقاكم
ويقدمهم في المشي اذا ضاق المقام وفي الكلام والجلوس فورد ليس منا اي من اتباعنا واشياعنا من لم
يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا رواه احمد والترمذي عن ابن عباس واحمد والحاكم عن عبادة بن الصامت
بزيادة ولم يعرف لعالمنا حقه وفي رواية لاحمد والترمذي والحاكم عن ابن عمر بلفظ من لم يرحم صغيرنا
ويعرف شرف كبيرنا وللبخاري في تاريخه وابي داود عن ابن عمر بلفظ من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق
كبيرنا فليس منا واذا عد بصيغة المجهول اي جاء الوعيد في التقدم اي تقدم الصغير على الكبير بالفقر اي
بسبب فقر الكبير او المعنى او عار بالفقر بحال فهو عظيم الكبير بانه تعيد له فيتعظمه في كبره فقر الخبر ما اكرم شاب
شيخا لسنه الا قيض الله له من يكرمه عند سنه وفي هذا البشارة له بطول عمره وهو الحديث رواه
الترمذي عن انس وفيه تمام توقير المشايخ ان لا يتكلم بين ايديهم الا باذن قال جابر قدم وفد جهينة على

على النبي صلى الله عليه وسلم فقام غلام ليتكلم فقال عليه السلام مه فاين الكبير الحاكم وصححه مسلم وبرالشيخ
فحسب الصغار اي الاطفال وغيرهم ممن دون البلوغ فكان عليه السلام يلاطفهم اي من حيث اشفاقه عليهم
فكان يمسح رؤسهم ويدعو لهم ويجلسهم في حجره ويحنكهم رواه البزار وقد كان يقدم من السفر فيتلقاه
الصبيان فيقف عليهم ثم يأمر بهم فيرفعون اليه فيرفع منهم بين يديه وخلفه ويأمر اصحابه ان يحملوا
بعضهم فربما تفاخر الصبيان بعضهم لبعض حملني رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه مسلم من حديث عبد
الله بن جعفر كان اذا قدم من سفر تلقي بنا قال فتلقي بي وبالحسن او بالحسين قال فحمل احدنا بين يديه
والاخر خلفه وفي رواية له انه يتلقى بصبيان اهل بيته وانه قدم فسبق بي اليه فحملني بين يديه ثم جيء باحد ابني
فاطمة فاردفه خلفه وفي الصحيحين ان عبد الله قال لابن الزبير اتذكر اذ تلقينا رسول الله صلى الله عليه
وسلم انا وانت وابن عباس قال نعم فحملنا وتركك بهذا اللفظ لمسلم وفي البخاري ان ابن الزبير قال لابن
جعفر والله اعلم كذا افاد المخرج الا ان بعد ان يحمل على قضيتين فيكون في كل منهما جبر لخاطر الاخر
ثم ذكر وللحاكم بن منيع من حديث حسن بن علي عن امراة منهم بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مستلقيا
على ظهره يلاعب صبيا اذ جاءت فقامت لتاخذه وتضربه فقال دعيه ابتوني بكوز من ماء الحديث واسناده
صحيح ويلطف اليتيم قريبا او اجنبيا فورد انا وكافل اليتيم اي مربيه ومصلحه كهاتين في الجنة واشار
اي بالسبابة والوسطى وهو كناية عن كمال الرتبة وجمال القربة والحديث رواه احمد والبخاري وابو داود والترمذي
عن سهل بن سعد بلفظ انا وكافل اليتيم في الجنة هكذا ولابن ماجه من حديث ابي هريرة خير بيت
من المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء اليه ولاحمد والطبراني
من حديث ابي امامة من وضع يده على راس يتيم رحمة له الحديث ويظهر البشاشة اي الانبساط اذ البشر
مع احبابه وفي بسط النشاط فورد ان الله يحب السهل اي اللين الهين الطلق بفتح فكسر اي صاحب
طلاقة الوجه والحديث رواه البيهقي عن ابي هريرة بلفظ الطليق وقد ورد اتدرون على من حرمت النار
قالوا الله ورسوله اعلم قال على الهين اللين السهل القريب الترمذي وحسنه عن ابن مسعود ويشمت اي يجيب
العاطس الحامد اي الذي قال الحمد لله بعد عطاسه بدعاء الرحمة والمغفرة ويجيب بدعاء الهداية والصلاح
اتفق العلماء على انه يستحب للعاطس ان يقول الحمد لله عقيب عطاسه ويستحب عند الشافعي ويجب عندنا
على من سمعه ان يقول له يرحمك الله ويستحب للعاطس بعد ذلك ان يقول يهديكم الله ويصلح بالكم او يغفر
الله لنا ولكم والاحاديث في هذا كثيرة كما بيناها في شرح الحصن واما اذا لم يحمد العاطس فلا يستحق
الجواب لما في الصحيحين عن انس انه عليه السلام شمت عاطسا ولم يشمت اخر فسأله عن ذلك فقال
انه حمد الله وانت سكت فعليه فيقل كثيرا اي واجبها اذا ازاد على الثلاث فورد انه زكام فعن ابي
هريرة شمت اخاك ثلثا فان زاد فهو زكام ابو داود وفي صحيح مسلم عن سلمة بن الاكوع انه شمت عاطسا
فعطس اخرى فقال انه مزكوم وعن ابي هريرة كان عليه السلام اذا عطس غض صوته واستتر بثوبه او
بيده ابو داود والترمذي وقال حسن صحيح وفي رواية الاولى فيهم في اليوم والليلة الاخر وقطعه وفاه وفي الصحيحين

الشيء وبين الشيطان فاذا تثاءب احدكم فليضع يده على فيه فاذا قال اه اه فان الشيطان يضحك
من جوفه وعن علي من عطس عنده فسبق الى الحمد لم يشتك خاصرته الطبراني في الاوسط في الدعا ويصلح
ذات البين اي احوال ناشئة مما بينه وبين غيره وبين احد من المسلمين بالمودة وترك التنازع عه
قال تعالى لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس وقال عز وعلا فاتقوا
الله واصلحوا ذات بينكم فهو افضل الصلاة فللطبراني والبيهقي عن ابن عمر افضل الصدقة اصلاح
ذات البين ولابي داود والترمذي وصححه من حديث ابي الدرداء الا اخبركم بافضل من درجة الصيام والصلاة ة
قالوا بلى قال اصلاح ذات البين وفساد ذات البين هي الحالقة وللشيخين من حديث ام كلثوم
بنت عقبة بن ابي معيط ليس بكذاب من اصلح بين اثنين فقال خيرا او نمى خيرا ويستر العيوب اي
عيوب غيره وكذا عيوب نفسه فورد انه في صحيح مسلم عن ابي هريرة من ستر على مسلم ستر الله عليه في
الدنيا والاخرة وللشيخين عن ابن عمر من ستر مسلما ستره الله يوم القيامة وللطبراني عن ابي سعيد
لا يرى امرؤ من اخيه عورة فيسترها عليه الا دخل الجنة وروى الحاكم عن رجل من ستر اخاه المسلم في الدنيا
ستره الله يوم القيامة وللطبراني والضياء والشهاب من ستر على مؤمن عورة فكانما احيا ميتا وللحاكم ره
في تاريخه ولابي داود والحاكم وصححه من حديث علي عن عقبة بن عامر من رأى عورة فسترها كان كمن احيا
موءودة في قبرها وللترمذي وابن ماجه والحاكم وصححه من حديث علي من اذنب ذنبا في الدنيا فستره الله عليه
وعفا عنه فالله اكرم من ان يرجع في شيء قد عفا عنه ومن اذنب ذنبا في الدنيا فعوقب عليه فالله اعدل من
ان يثني عقوبته على عبده وعنه عليه السلام اتقوا الله واصلحوا ذات بينكم فان الله تعالى يصلح بين
المؤمنين يوم القيامة الحاكم وصححه وضعفه البخاري وابن حبان وللطبراني من حديث ابن عمر ان من
احب ان يحمل على الله اي وكان البر على المؤمن ويتقي مواضع التهم تحرزا عن سوء ظنهم اي بالريبة ووقوعهم ٤عم
في الغيبة فانهم اذا عصوا الله بذكره وكان هو السبب فيه كان شريكا في وزرهم قال تعالى ولا تسبوا
الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم وقال عليه السلام كيف ترون من يسب ابويه
فقالوا وهل من احد يسب ابويه قال نعم يسب الرجل ابوي غيره فيسب ابويه متفق عليه من حديث
عبد الله بن عمر وعن انس انه عليه السلام كان يحدث نسائه فمر به رجل فدعاه فقال يا فلان ان هذه زوجتي
صفية فقال يا رسول الله من كنت اظن فيه فاني لم اظن فيك فقال ان الشيطان يجري من ابن ادم
مجرى الدم رواه مسلم وفي رواية للشيخين عن صفية اني خشيت ان يقذف في قلوبكما شيئا وفي نسخة
شرا وكانا رجلين وقال على رسلكما انها صفية الحديث وكانت قد زارته في العشر الاواخر من رمضان
وعن عمر رضي الله عنه من اقام نفسه مقام التهمة فلا يلومن من اساء به الظن ومر برجل يكلم امرأة
على الطريق فعلاه بالدرة فقال يا امير المؤمنين انها امرأتي قال فهلا حيث لا يراك الناس ويشفع
اي في غير الحدود لقوله تعالى ومن يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة
يكن له كفل منها فورد اشفعوا تؤجروا ويقضي الله على لسان نبيه ما شاء رواه الشيخان من حديث

حديث ابي موسى وورد ما صدقة افضل من صدقة اللسان قيل وكيف ذلك قال الشفاعة يحقن بها الدم
ويجر بها المنفعة الى اخر ويدفع بها المكروه عن اخر الخرائطي والطبراني عن سمرة ويرشد الضال اي
يهديه الى طريقه الحسي او المعنوي وينشد ضالة اي يطلبها لكن في غير المسجد لما تقدم ويقولون يا هادي
الضال ويا راد الضالة اردد علي ضالتي بعزتك وسلطانك فانها من عطائك وفضلك رواه ابن
ابي شيبة موقوفا على ابن عمر وللطبراني عنه مرفوعا ويفرج المكروب اي ويزيل هم المهموم وينصر
المظلوم ففي الصحيحين انصر اخاك ظالما او مظلوما فقيل كيف ينصر ظالما فقال يمنعه الظلم قلت
وفي منعه من الظلم نصر للمظلوم ايضا فورد من فرج عن مغموم او اعان مظلوما غفر الله له ثلثا
وسبعين مغفرة الخرائطي في مكارم الاخلاق وابن حبان في الضعفاء وابن عدي من حديث انس
بلفظ من اغاث ملهوفا ويسعى في حاجة فالمشي فيها ساعة خير من اعتكاف شهرين وان لم تقض
للحاكم وصححه من حديث ابن عباس لان يمشي احدكم مع اخيه في قضاء حاجته واشار باصبعه افضل
من ان يعتكف في مسجدي هذا شهرين وللطبراني في الاوسط من مشى في حاجة اخيه كان خيرا له
من اعتكاف شهرين وكان فيها ضعيف وروى البخاري في تاريخه والطبراني والخرائطي عن انس
بسند ضعيف من مشى لاخيه في حاجة فكانما خدم الله عمره ولابن المبارك في الزهد والدقائق باسناد
ضعيف مرسلا من اقر عين مؤمن اقر الله عينه يوم القيامة وقال انس عرضت له عليه السلام امرأة
وقالت لي معك حاجة وكان معه ناس من اصحابه فقال اجلسي في اي نواحي السكك شئت اجلس اليك
ففعلت فجلس اليها حتى قضت حاجتها رواه مسلم ويعظ اي يبشر الناس بالثواب في الطاعة
وينذرهم بالعقاب على المعصية قال تعالى واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك يا بني صح
لظلم عظيم الايات وقال تعالى يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مؤمنين ويبين الله لكم الايات
وورد ان الدين النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم رواه مسلم عن تميم
الداري وقال عليه السلام اوصيك بتقوى الله وصدق الحديث ووفاء العهد وصدق الامانة وترك
الخيانة وحفظ الجار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام البيهقي في كتاب الزهد وابو نعيم
في الحلية ويعين الضعيف اي في عمله وصنعته والمحسن اي بزيادة معرفته او يعين الضعفاء والفقراء
ويحسن الى العلماء والصلحاء ليكون مشاركا لهم في ثواب يوم الجزاء فقد صح من كان في عون اخيه
كان الله في عونه ويحفظ الغيبة اي غيبة اخيه فيمنع [illegible] ان يقع في غيبته فيه [illegible] يا معشر من
امن بلسانه ولم يدخل الايمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من تتبع عورة
اخيه تتبع الله عورته فيفضحه ولو كان في جوف بيته ابو داود من حديث ابي برزة باسناد جيد وللترمذي
نحوه من حديث ابن عمر وحسنه وعن ابي الدرداء من رد عن عرض اخيه كان له حجابا من النار الترمذي مسلم صح
وحسنه وعن ابي الدرداء من رد عن عرض اخيه الا كان حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم يوم القيامة للطبراني صح
ولاحمد من حديث اسماء بنت يزيد نحوه ولابن ابي الدنيا في الصمت عن انس من ذكر عنده اخوه المسلم وهو

يستطيع نصره فلم ينصره ولو بكلمة اذل الله به عز وجل في الدنيا والاخرة ولابي داود من حديث
معاذ بن انس من حمى عرض اخيه المسلم في الدنيا بعث الله له ملكا يحميه يوم القيامة من النار ولابي
داود من حديث جابر وابي طلحة ما من امرء ينصر مسلما في موضع ينتهك فيه عرضه ويستحل حرمته الا
نصره الله في موطن يحب فيه نصرته وما من امرء خذل مسلما في موطن ينتهك فيه حرمته الا خذله
الله في موطن يحب فيه نصرته ويبر الحلف اي يمين صاحبه في الحضور والغيبة بان وعد اخوه
بشخص باعطاء شيء او حلف عليه ولم يتيسر له فالمناسب يعطيه ذلك لئلا يقع صاحبه في الحنث فهنالك
وهو من جملة اخلاق الله مع من لا يتبع رضاه كما ورد في الصحيحين عن النبي ان من عباد الله من لو
اقسم على الله لابره اي لجعله بارا في يمينه بما قاله وقضاه وفي الصحيحين من حديث البراء امرنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم بسبع فذكر منها ابرار القسم او المقسم ويحب التائب لقوله ان الله يحب التوابين
خصوصا الشاب فورد ان الله يحب الشاب التائب ابو الشيخ عن انس ولابي نعيم في الحلية
عن ابن عمر ان الله يحب الشاب الذي يفني شبابه في طاعة الله ولاحمد والطبراني عن عقبة
بن عامر ان الله تعالى ليعجب من الشاب ليست له صبوة ويستغفر للمذنب اقتداء بالملائكة المقربين
الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين امنوا الاية و
للطبراني عن عبادة من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة وله وللضياء
عن ابي الدرداء من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كل يوم سبعا وعشرين مرة كان من الذين يستجاب
لهم ويرزق به اهل الارض واما حديث انس الربع من حق المسلمين عليك ان تعين محسنهم وان
تستغفر لمذنبهم وان تدعو لمدبرهم وان تحب تائبهم فقد ذكره صاحب الفردوس ولم اجد له اسنادا
قاله العراقي ويعامل كلا على حسب حاله اي حال صاحبه في اعلى مناقبه او ادنى مراتبه فعرض الفقه
اي مسائله الغامضة لا لمحل اللهو اي لارباب الاشتغال بما يلهيهم عن العلم والفهم والكمال والبيان
اي وعرض الفصاحة والبلاغة و… اصناف البديع وانواع البيان لشغل اللسان ابدا التفسير
بل المناسب ان يعرض عليهم ما يكتسب من الطاعات وما يجتنب من المحرمات وينصف من نفسه وفي نسخة
وينصف منه اي نفسه بالكسر اي يعمل بالنصفة بفتحتين اي العدالة فمن ثلث خصال يستكمل به
الايمان حتى يكون فيه ثلث خصال الانفاق من الاقتار والانصاف من نفسه وبذل السلام
الخرائطي عن عمار بن ياسر ووقفه البخاري عليه ولا يعلم احد مقداره وان كان من اهل البيت
اي المطلعين على حاله فالعلم بالقلة يوجب ان يهانه اي يعد من الفقراء وبالكثرة عدم الرضا اي بالنفقة
وعده من البخلاء وورد استروا ذهبكم اي … وعرضه ولذهابكم اي التفقه سفركم حذركم
ومذهبكم اي في موضع يخاف على … فاظهر مشتركة والحديث لم اجد له اصلا ولا يحتقر احدا
اي من البغي وليكن فيه الكفار فالعاقبة مستورة وورد انما الاعمال بالخواتيم كما في صحيح البخاري عن سهل
بن سعد ولا يستعظم الدنيا فان الله قد استحقرها حيث قال متاع الدنيا قليل وورد لو كانت الدنيا تعدل

وفي نسخة يستكمل الايمان وفي الخرائطي يستكمل العبد الايمان صح

عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء الترمذي وصححه عن سهل بن سعد والمعنى انه
لا ينظر الى اهل الدنيا بعين التعظيم لهم في حال دنياهم ومهما عظم اهل الدنيا في تمسكه فقد عظمت
الدنيا فيسقط من عين الله عز وجل وللحكيم الترمذي عن ابي هريرة اذا عظمت امتي الدنيا نزعت
منها هيبة الاسلام … فهي حقيرة وما فيها تحقرت الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ما كان لله منها
ابو نعيم في الحلية عن جابر وفي مسند احمد عن عائشة الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها
يجمع من لا عقل له ولا يتكبر على الفقير اي الفقراء فانه موجب لتحقيره بل على المتكبر اي بحاله وجاهه
على الفقير فورد التكبر على المتكبر صدقة ويجالس الفقير فهو السنة فلابي نعيم عن ابن عمر تواضعوا
وجالسوا المساكين تكونوا من كبراء الله وتخرجوا عن الكبر دون الغني اي لا يجالس الغني فضلا عن ان
يحبه فورد اياكم ومجالسة الموتى قيل ومن الموتى قال الاغنياء ويحب العافية اي الذي يكره المرض او
الذي ما ياتيه الحمى ونحوها من الصداع فان فرعون ادعى اربعمائة سنة ما حم ولا حصل له صداع ولا كسر له
ظفر في بطنه … وقد ورد انه عليه السلام مدحت له امراة حسنة فرغب فيها فقيل انها ما … مرض فقال لا حاجة لي فيها
مرض فقال لا حاجة لي فيها وفي صحيح مسلم من يرد الله به خيرا يصب منه والعامي اي وعن الجاهل والادنى
ابتلي اي مجلس العامي لا يخوض في كل فن اي ولا يكتفي بما يحصل من مرامه ويتغافل عما يجري
عليه اي يحب تقاصره والسلطان عطف على قوله الغني اي ودون السلطان والمعنى لا يجالسه
واذا ابتلي به يكثر الحذر اي عن غضبه وان اظهر المحبة اي في وجهه ولا يعتمد اي على اقباله ولا على
جاهه واعطائه له فيراقبه مراقبة الطفل فيتحمل منه ما يتحمل عنه ويتكلم على حسب ارادته وفق طاعته
والطاعة لكن لا بما يضره في دينه واخرته ولا يدخل بينه وبين اهل بيته في معاملته ومجاملته
فهو مضر ويبالغ في الادب ومن ادابه لا صحبة به ترك الغيبة وتجنبه الكذب وصيانة السر وقلة
الحوائج وتهذيب الالفاظ والمباني وتحسين البيان للمعاني وتصحيح الاعراب في الخطاب والمذاكرة
باخلاق الملوك السابقة و… وترك المداعبة في مجلس المصاحبة وان لا يتحشى بحضرته ولا يتخلل
بعد ان اكل في صحبته ويتبرك بالعادل فيعدون سبعة يظلهم الله يوم القيامة يوم لا ظل الا ظله ويدعو
له بالصلاح ولو كانت له دعوة واحدة مستجابة فيعينه صلاح العامة ونفع العام خير من نفع الخاص
مع ان الخير فيمن دخل في العام ويستعيذ اي بالله الملك العلام عند الدخول عليه خوفا من الزلل والخطل
لديه وعليه ويجب على السلطان الاستمال اي التجافي عن مجالسته ومؤانسته الا في كشف السر اي لعز
المحرم والقدح في الملك اي الطعن بما ينافيه والتعرض في الحرم اي من امراته وجاريته وولده …
والعامة اي ودون عامة الناس فلا يجالسهم لفساد الزمان اي اهله فانهم لا يقيلون لكم
عثرة ولا يقبلون منكم معذرة ولا يغفرون زلة ولا يسترون عورة ويحاسبون على النقير والقطمير
ويحسدون على القليل والكثير يستنصفون ولا ينصفون ويواخذون على الخطأ والنسيان ولا يعفو ن
يغرون الاخوان بالنميمة والبهتان فصحبة اكثرهم خسران وقطيعتهم رجحان ان رضوا فظاهرهم الملق

وان سخطوا اغاظهم الحق لا يوسعون في جفنتهم ولا يرحبون في ملبسهم ظاهرهم ثياب وباطنهم ذئاب ب
يقطعون بالظنون ويتغامزون وراءك بالعيون ويتربصون بصديقهم من الحسد ريب المنون
يحصون عليك العثرات في صحبتهم ليواجهوك بها في غضبهم ووحشتهم فان ابتليت بهم فادبه ترك
الخوض في حديثهم وعلمه ان صف الى اراجيفهم والتغافل عما يجري من سوء الفاظهم ومباينهم وعدم ذكر
شعارهم ومعايبهم وعلمه اللقا لطيف مع اي مرة اليهم واعلام التودد والتحبب لديهم وورد فخالطوا الناس
باعمالهم وزايلوا القلوب اي وجانبوهم عن مثل سخط احوالهم ومحافظة اقوالهم والحديث لم اجل
وفي الطبراني عن ابي جحيفة مرفوعا جالسوا الكبراء وسائلوا العلماء وخالطوا الحكماء ولا تعتمدوا في الجي ول
والجى ليس المؤلفة الا على من جرب اي امتحن تحقيقا في الاحوال المختلفة كالفقر والغنا والحضر والسفر
وغير ذلك منه القرب والبعد والمحبة العداوة فانه تظهر حقيقة كل احد فانك قل تجد جزا اي كما واحدا
من مائة بل منه العجز مما يظهر منه الود وفي الخبر اخبر تقله وفي حديث اخر الناس كابل مائة لا تجد
فيها راحلة فلا تعول على مودة من لم تخبره حق الخبرة بان تصحبه ما في داره او في موضع واجده
قرار فتخبر به في عزله وولايته وغناه وفاقته او تسافر معه او تعامله او تقع في شدة او بلية محتاج
اليه في دفع الغضة ثم اياك ان تمازح لبيبا او غير لبيب فان اللبيب يحقد عليك والسفيه يجترئ
عليك وان المزاح يخرق الهيبة ويذهب بماء الوجه ويشين الفقيه ويجرئ عليه السفيه
ويورث الذلة ويوجب الذلة ويسقط المنزلة وهو اذا كثر يميت القلب ويباعد عن ذكر الرب وبه تظلم
السرائر وتموت الخواطر وبه تكثر العيوب وتظهر الذنوب ومن بلي بمجلس فيه مزاح او لغط فليذكر الله
عند قيامه ليكون كفارة لما وقع في مقامه فقد ورد من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل ان يقوم
من مجلسه ذلك سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك الا غفر له ما كان
في مجلسه ذلك كما رواه الترمذي من حديث ابي هريرة وصححه ولا يطمع اي ينبغي له مع رعاية الحق الى مراعاة
حقه من الادب في قربه ولا كافي ايديهم اي ولا يطمع كما في ايديهم من المال والجاه فعن سهل بن سعد
مرفوعا ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما في ايدي الناس يحبك الناس رواه ابن ماجه وغيره والمعنى
لا تتذلل لهم وبسبب لتنال منه دنياهم فتصغر في عينهم ثم تحرم دنياهم فان لم تحرم كنت استبدلت
الذي هو ادنى بالذي هو خير ولا يعاتب فانه لم يقض حاجة ولا يطالب الامر في امر المعاتبة الا ان كثرة
العتاب تجر الى المقاطعة في المصاحبة ولا تعظهم ان يتوقع القبول اي تحمل اي تلوحي تجز اي
عن تعصبه اذا وعظ لقرينكا وقد قال تعالى فذكر ان نفعت الذكرى اي الموعظة الحسنى ونحوه تعالى ان
رأى منهم كرامة اي احسانا ونعيما واقبالا فتكريما ونكلهم اليه اي وفوض امرهم الى الله سبحانه الى
رأى مكرهم تفويضا اليه وتوكلا عليه وقد قال تعالى في موضع الى فرعون فستذكرون ما اقول لكم وافوض امري
الى الله ان الله بصير بالعباد فوقاه الله سيئات ما مكروا وقال عيسى عليه السلام ان تعذبهم فانهم عبادك ك
وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم وتستعيذ به من شرهم وتستارك لهم في صفتهم اي في حق صدر عنهم و

وتغافل عن باطلهم اي منكر ظهر منهم ويجب الكبير كالاب اي في التوقير والصغير كالابن اي في
الترحم والمساوي كالاخ اي الشفيق في الشفقة والرفق ويبالغ في الاحسان اي في التحمل عن
اذاهم والاحسان بالاعطاء ونحو الى اهله وغيرهم له فورد عن علي بن الحسين عن ابيه عن
جده اصنع المعروف الى اهله اي مستحقه فان لم تصب اي في مصادفة اهله فانت من اهله اي من اهل
الاحسان اي افراد الانسان ولو بالاحسان ذكره الدارقطني في العلل وهو ضعيف والاصل اي
القاعدة المطردة في حقوق المسلم ان يحب له ما يحب لنفسه اي مثل ما يحب ويكره له مثل ما يكره لنفسه
كما سبق في الحديث وورد الخبر من ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يشهد
ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وليأت الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه رواه مسلم من حديث
عبد الله بن عمرو قال عليه السلام احسن مجاورة من جاورك تكن مؤمنا واحب للناس ما تحب لنفسك
تكن مسلما الخرائطي في مكارم الاخلاق ولا يهجره اي اذا غضب عليه فوق ثلاثة ايام فورد في
الصحيحين عن ابي ايوب انه اي الشان لا يحل اي لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلاث يلتقيان و
يستاذن للدخول ثلاثا اي ثلاث مرات كما سيأتي بحث بعد ذلك اي كل استيذان قدر ان يصلي
ركعتين وهو الاقل او اربع ركعات وهو الاكثر ليفرغ من الذكر ان كان مشتغلا به والتوضي او
الغسل او الصلاة او امرا خوف الهمات فورد عن ابي هريرة كما رواه الدارقطني في الافراد بسند
ضعيف الاستيذان ثلاث اي ثلاث مرات فالاول وفي رواية فالاولى يستنصتون اي يطلبون
السكوت ليستشعروا الاستيذان وما غرضه وفي رواية يستمعون اي يسمعون والثانية يستصلحون
اي يطلبون صلاح حالهم بالاذن بدخوله او بعدمه ويستشيرون والثالثة يأذنون او يردون اي
وفق ما يختارون وفي الصحيحين من حديث ابي موسى الاستيذان ثلاث فان اذن لك والا فارجع
ويدق الباب اي ولا يقل لكم ارجعوا هو ازكى لكم ولا يطلع على الباب اي لا يقف بحيث يكشف الحجاب ب
ويدق لينا اي بلطف ونحوه ويسمى ولا يقول انا اي فلان عند الباب او لا يقول انا اذا قيل من
بل يقول انا فلان ونحوه ولا يأتي عليهم اي من وراء الاستار بان ينادي احدا منهم صاحب الدار
او عبده في مقام الانتظار بل يحمد ويسبح اي ويذكر الله بالتهليل ونحوه ويتنحنح اي اذا كان معروفا
بتنحنحه او رجاء بانه يتذكر منه مريدي دخوله ويعود المريض فهو من جملة حقوق المسلم على المسلم ففي الصحيحين
من حديث ابي هريرة حق المسلم على المسلم خمس رد السلام وعيادة المريض واتباع الجنائز واجابة الدعوة
وتشميت العاطس في ثياب نظيفة بل في بيض لطيفة لئلا يتوهم المريض من ثياب كثيفة انه حزين عليه
لما رأى عليه من علامة الموت لديه غير عابس اي في وجهه بل يدخل عليه ببشاشة تشرح صدره وتفتح امره
ويجلس عند ركبة المريض اي اذا كان مضطجعا ليقع نظر المريض على وجهه من دون رائحة اي ان يجلس
فوق راسه لئلا يحوجه الى التكلف في توجهه اليه وتلقينه عليه ويضع اليد على جبهته او يده يمنى على نبضه
اذا كان له معرفة ببسطه وقبضه ويسأله اي عن حاله كيف هو اي انما لئلا يكون تكليفا عليه في جوابه وهذا

اذا كان مغلوبا اى بابه وان فيقول كيف انتم وما حالكم او كيف تجدك ونحو ذلك فهو السنة اى المروية
عنه عليه السلام تمام عيادة المريض ان يضع احدكم يده على جبهته او على يده ويسأله كيف
هو وان يحدث اى عنه ان يبشره او يقال يبرؤه وما هو جزء من الدعاء وليتنفسه فان الملائكة يؤمنون
عليه اى يقولون فيه آمين فيكون علامة الاجابة فى ذلك الحين ويبشره بطول العمر وسرعة
الصحة اى وسهولة ان مرو بان المرض كفارة للسيئات او رفع للدرجات وانه انما يكون فى تكميل من
الاوقات فينبغى الصبر عليه بل الشكر لديه مورد اذا مرض العبد بعث الله تعالى اليه ملكين فقال انظرا ما يقول
لعواده فان هو اذا جاؤه حمد الله واثنى عليه رفعا ذلك الى الله وهو اعلم فيقول لعبدى على ان توفيته
ادخله الجنة وان انا شفيته ان ابدل له لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه وان اكفر عنه سيئاته مالك فى الموطا
من حديث عطاء بن يسار ووصله ابن عبد البر فى التمهيد من روايته عن ابى سعيد الخدرى وفيه عباد
ابن كثير الثقفى ضعيف الحديث وللبيهقى من حديث ابى هريرة قال الله تعالى اذا ابتليت عبدى المؤمن
فلم يشكنى الى عواده اطلقته من اسارى ثم ابدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه ثم ليستانف العمل
واسناده جيد وجملة اداب المريض حسن الصبر وقلة الشكوى وعدم الضجر والفزع الى الدعاء والتوكل بعد
الدواء على خالق الداء والدواء وسائر ان شاء ويغتنم دعاء اى المريض فهو كدعاء الملائكة فى كونه مستجابا
وقد سبق كون دعاء المريض مستجابا ويدعو له بالشفاء ثلاث مرات فيه الشفاء ان لم يحضر اجله فلابى   سبع صح
داود وغيره عن ابن عباس مرفوعا من عاد مريضا لم يحضر اجله فقال عنده سبع مرات اسأل الله العظيم
رب العرش العظيم ان يشفيك الا عافاه الله من ذلك المرض ويغب فيها بضم اوله اى يعوده يوما بعد يوم
او وقتا بعد وقت لما سبق من حديث زر غبا تزدد حبا وعن جابر اغبوا فى العيادة واربعوا الا ان
يكون مغلوبا ابن ابى الدنيا وابو يعلى واسناده ضعيف وقال بعضهم عيادة المريض بعد ثلاث وينبغى ان
يخفف فيها فروى ابن ابى الدنيا فى كتاب المرض من حديث انس باسناد فيه ضعف اى عيادة المريض فواق
ناقة ورواه البيهقى عنه العيادة فواق ناقة وقال وسن افضل العيادة اخفها وهى مرة سنة عند الشا[فعى]
وفرض كفاية عندنا والزيادة تطوع واما ما فى الاحياء من ان ابن عباس قال عيادة المريض مرة سنة
فمحمول على انه ثبت بالسنة واما الزيادة فمستحبة وان حصل الكثير عليها مرتبة رفى النعمة الكتابية والحسابية
ان العيادة فيها الزيادة على العيادة وقد تقدم حديث اذا عاد المسلم اخاه او زاره ناداه مناد طبت
وطاب ممشاك وتبوأت منزلا فى الجنة الترمذى وابن ماجه عن ابى هريرة وفى المستدرك الاربع والحاكم
من حديث على من اتى اخاه المسلم عائدا مشى فى خرفة الجنة حتى يجلس فاذا جلس غمرته الرحمة فان كان
غدوة صلى عليه سبعون الف ملك حتى يمسى وان كان مساء صلى عليه سبعون الف ملك حتى يصبح واللفظ
لابن ماجه وصححه الحاكم وحسنه الترمذى ولمسلم من حديث ثوبان من عاد مريضا لم يزل فى خرفة الجنة وللحاكم
والبيهقى من حديث جابر اذا عاد الرجل المريض خاض فى الرحمة فاذا قعد عنده انغمس فيها وقال الحاكم
صحيح على شرط مسلم وكذا صححه ابن عبد البر وذكر مالك فى الموطا بلاغا بلفظ قرب منه ورواه الواقد[ى]

الواقدى بلفظ اشعر فيها وللطبرانى فى الصغير من حديث انس فاذا اقعد عنده غمرته الرحمة وله فى
الاوسط من حديث كعب بن مالك وعمرو بن حزم استنقع فيها وورد النهى فى عيادة صاحب الرمد
بفتحتين اى وجع العين والدمل بضم فتشديد ميم مفتوحة ووجع الضرس اى السن والجرب بفتحتين
وهو الحكاك والعرق بالكسر الدنى منسوب الى حصن المدينة اذ لم توجد غالبا فى القرية الا ان منشأها العفو
الكثيرة التى تبدو من الجماعة الكثيرة ويسمع العائد المحتضر اى الذى احتضره الموت بعلامات دالة
على الفوت وهى سواد الظفر وبرودة الرجلين والتفافهما واعوجاج الانف وانفتاح العين وانخساف
الصدغين كلمة التوحيد وهى لا اله الا الله فتقدم حديث من كان اخر كلامه لا اله الا الله دخل
الجنة وفى صحيح مسلم وغيره لقنوا موتاكم لا اله الا الله اى المشرفين على الموت كحديث اقرؤا على موتاكم
يس احمد وغيره دون الحاح اى الحاح على المحتضر بان يقول له قل لا اله الا الله بل يقول عنده
ليسمعها وينتفع بها اذ لا يبعد انه حال الغلبة والشدة يمتنع عن قبول الكلمة فيتوهم له سوء الخاتمة
نعوذ بالله من ذلك مع ان المدار على ايمان القلب كما ذكر وانما يستحب النطق باللسان ان لم تزل
الجنان على اختلاف فى ان الاقرار شرط او شطر للايمان فى اول دخول المسلم فى ميدان الاحسان
والايمان الا بيان والله المستعان ويعجل تغطيته وجه الميت اى بعد ربط حنكه ورجليه وتغميض عينيه
فان الميت اذا برد تيبس اعضاؤه وتوحش اجزاؤه وتجهيزه اى غسله وما يتعلق به وتكفينه باطيب
الثياب بان يكون من وجه حلال لا يقع فيه العتاب والعقاب وابيضها الاحاديث وردت
فى هذا الباب كقوله عليه السلام البسوا الثياب البيض فانها اطهر واطيب وكفنوا فيها موتاكم
رواه احمد وغيره عن سمرة وفى رواية عنه بلفظ عليكم بالبياض من الثياب فليلبسها احياؤكم وكفنوا فيها
موتاكم فانها من خيار ثيابكم وفى رواية الدارقطنى فى الافراد عن انس خير ثيابكم البياض فالبسوها احياءكم
وكفنوا فيها موتاكم لا اثر كما فيه بلا وسطها المعتبر فى جميع الباب ويعزى المصاب اى المبتلى
بموت احد اى من رب وان جاب وكلا التعزية المرغب فيها بالتسلية تسكين قلبه اى قلب المصاب بالوعد
اى بما وقع منه الكتاب وان علام بجزيل الثواب حيث قال تعالى وبشر الصابرين وانما يوفى الصابرون
اجرهم بغير حساب وبان الجزع لا ينفع وبه يفوت الاجر ويقع فى مقام الحجاب فى الترمذى وابن
ماجه عن ابن مسعود مرفوعا من عزى مصابا فله مثل اجره وللترمذى عن ابى برزة ولفظه من عزى
ثكلى كسى بردا يوم القيمة مصافحا اى ان صافحه فانها تفعله عامة اهل مكة بالتواضع اى باظهار معه
فاظهار الحزن اشعار بمشاركته له فيه وقلة التكلم اى بامور الدنيا وترك التبسم لانه دال على الغفلة
عن احوال العقبى ويستغفر له اى للميت بالخير اى باعمال الخير ذاكرا او للايمان اى بالظن تحسينا للظن
بالمسلم وبدعوته عند الذكر اى عند ذكر الميت فورد لا تذكروا موتاكم الا بخير فى ابى داود وغيره عن ابن
عمر اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساويهم ويشيع الجنازة ففى الصحيحين عن ابى هريرة من شيع
جنازة فله قيراط فان انتظر حتى يدفن فله قيراطان ولمسلم من حديث ثوبان القيراط مثل

جبل احد ولما روى ابو هريرة الحديث وسمعه ابن عمر قال لقد فرطنا الى الآن في قراريط كثيرة
خاشعا اى حال كونه مقرونا بالخشوع والخضوع متفكرا في الموت اى وفيما بعده وقيل منه الموت
كان مكحول الدمشقي اذا راى جنازة قال اغدوا فانا رائحون موعظة بليغة وغفلة سريعة يذهب
الاول والآخر لا عقل له وخرج مالك بن دينار خلف جنازة اخيه وهو يبكي ويقول والله لا تقر عيني
حتى اعلم الى ما صرت ولا والله لا اعلم ما دمت حيا والاستعداد له اى للموت لحديث كفى بالموت
واعظا الطبراني عن عمار ولا حملت الزهد كفى بالموت مزهدا في الدنيا ومرغبا في الآخرة ولابن
السني عن انس كفى بالدهر واعظا وبالموت مفرقا غير متكلم اى من كثرة الحزن والملال واشتغال البال
في امر الآل قال الاعمش كنا نشهد الجنائز فلا ندري لمن نعزي لحزن القوم كلهم ولا ما كلام النزال(?)
وان يمشي امام الجنازة لانه شفيعها ومن خلفه الميت مذهب للشافعي والمختار عندنا ان يمشي وراء
فان الجنازة متبوعة لا تابعة كما ورد ومن خلفه الميت انما يتصور اذا كان وراءه مع انه منهي
ان تبيان اى انه من السابقين والناس الى الظن(?) ولانه ربما احتيج الى المساعدة في حمل الميت فهو
حينئذ انسب واقرب ويصلي عليه اى صلاة الجنازة فهي فرض كفاية ويقرا الفاتحة عند راسه
اى بعد دفنه واول البقرة اى المفلحون عند رجليه ويدعو له اى بالرحمة والمغفرة او بالتثبيت في جواب
الملكين ويتذكر به من حيث انه خرج من الدنيا محل الفتنة والبلوى فقد نظر ابراهيم الزيات الى الناس
يترحمون على ميت فقال لو ترحمون على انفسكم لكان اولى انه نجا من اهوال ثلاثة وجه ملك الموت قد رأى
ومرارة الموت فقد ذاق وخوف الخاتمة قد امن ويجتهد اى المصاب ان يكون عدد المصلين اى
على جنازة قريبه اربعين اى الى على الاكثر من ذلك فهو على قبول الشفاعة اى انه يبعد عن كرم الله
ان لا يقبل منه بهذه الجماعة ولما رواه مسلم وابن ماجه عن ابي هريرة من صلى عليه مائة من
المسلمين غفر له ولا يرجع من غير ... حتى يفرغ من الدفن كيحوز بالقيراطين ويقعدا اى لا يقعد بعد
وضع الجنازة لانه منعه واختلف ان المراد بها وضعها عن الرقاب او كما قال في القبر ... لعنة
ان كان الكتاب في هذا الامر ويتصدق الولي قبل مضي ليلة ... اى من الصدقات والخيرات ان
تيسر فان الميت حينئذ كالغريق المغوث يريد الخلاص من البلاء والا اى وان لم يتيسر التصدق الحسي
فيتصدق بالمعنوي وهو ان يصلي ركعتين بالفاتحة وآية الكرسي الى ان حصل حفظه من العذاب والحكم تر
... والسورة الهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر لان عشاء والتذكر وترك المفاخر عشرا اى عشر مرات في كل
اى من الركعتين ويهبه الثواب رجاء النجاة من العذاب ويسلم اى على صاحب القبر ويقف مستدبر القبلة
اى ومستقبل الميت كما في آداب السلام مع الامام ويجوز ان يجلس عنه حتى ... وكان ابو الدردا
يقعد الى القبور فقيل له في ذلك فقال اجلس الى قوم يذكرونني معادي وان قمت عنهم لم يغتابوني ويواظب
اى الولي على الصدقة سبعة ايام ويزور القبر اى قبر صاحبه او القبور زيادة الدعاء لاهله والرقة
والعبرة لنفسه فزوروا القبور فانها تذكر الآخرة وفي رواية ابن ماجه عن ابي هريرة فانها تذ

تذكركم الآخرة وتدمع العين وترق القلب وفي رواية الحاكم عن انس كنت نهيتكم عن زيارة القبور
الا فزوروها فانها ترق القلب وتدمع العين وتذكر الآخرة ولا تقولوا هجرا وفي رواية ابن ماجه
عن ابن مسعود فانها تزهد في الدنيا وتذكر الآخرة ومن لم ينس المقابر والبلى اى التفتت في علم
البلى حين ميل فيه ... انه الناس ظرف لورود المقدر فتدبر وفي رواية البيهقي عن الضحاك مرسلا
ان الزهاد من لم ينس القبر والبلى وترك فضل زينة الدنيا وآثر ما يبقى على ما يفنى ولم يعد غدا من
ايامه وعد نفسه في الموتى وفي رواية الترمذي والحاكم عن اسماء بنت عميس بئس العبد عبد تخيل واختال
ونسي الكبير المتعال بئس العبد عبد تجبر واعتدى ونسي الجبار الاعلى بئس العبد عبد سها ولها ونسي
المقابر والبلى بئس العبد عبد عتا وطغى ونسي المبتدا والمنتهى بئس العبد عبد يختل الدنيا بالدين
يختلب(?) بئس العبد عبد يختل الدين بالشبهات بئس العبد عبد طمع يقوده بئس العبد عبد هوى يضله
بئس العبد عبد رغب يذله واى ما كان المقصود من زيارة القبور للزائر الا عتبار بها والمرحمة للمقبور
ان ينتفع بالدعاء وعن عمر بن عبد العزيز انه ذكر عنده فقيه تعجب ... صوت الخليفة لكثرة الجهد
والعبادة فقال عمر للفقيه لو رأيتني بعد ثلاثة ايام وقد ادخلت في قبري وقد خرجت الحدقتان
فسالتا على الخدين وتقلصت الشفتان وخرج الصديد من الفم وانتفخ البطن وانفتح الفم وعلا
الصدر وخرج الدود والصديد من المناخر لرأيت اعجب مما تراه الآن ويقرا القرآن لما رواه صحيح
مسلم عن ابي امامة الباهلي اقرءوا القرآن فانه يأتي يوم القيامة شفيعا لاصحابه ثم يسبح ويدعو
اى بالمغفرة والرحمة لنفسه وللمؤمنين والمؤمنات فان الذكر بانما ينفعه له في تلك الدار وعن حاتم الاصم
من مر بالمقابر فلم يعتبر لنفسه ولم يدع لهم فقد خان نفسه وخانهم وقال سفيان من اكثر ذكر القبر وجده
روضة من رياض الجنة ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من حفر النيران وورد قراءة يس في المشاهد اى
في الاحاديث المشهورة او الروايات المأثورة فقد تقدم حديث اقرءوا على موتاكم يس وحمله
الجمهور على ان المراد بالموتى المشرفون على الموت ولا يبعد حمله على حقيقته واما الجمع بين الحقيقة
والمجاز فلا يجوز عندنا خلافا للشافعي والاخلاص سبعا اى سبع مرات فلعل فيه مغفرة الميت
والقائه ان غفر للميت اى ان كان الميت مغفورا او لم احد له اصلا والمشهور انه يقرأ ثلاث مرات
لانه بمنزلة ختم القرآن بجميع الآيات ففي مسند احمد وغيره عن ابي من قرأ قل هو الله احد فكانما قرأ
ثلث القرآن وفي رواية العقيلي عن رجاء الغنوي من قرأ قل هو الله احد ثلاث مرات فكانما قرأ
القرآن اجمع وفي رواية حمل عن معاذ بن انس من قرأ قل هو الله احد احدى عشر مرات بنى الله
له قصرا في الجنة ويعين لها اى لزيارة القبور يوم الخميس والجمعة ففي رواية ابن عدي عن ابي بكر
من زار قبر والديه او احدهما يوم الجمعة فقرأ عنده يس غفر له والسبت اى لقربه الى الجمعة والاثنين فانها
ايام يتواضع ... والعبادة فيها زيادة فضائل فالموتى يعلمون زوارهم فيها اى زيادة علم بها
والزيادة اى لا يدوس القبر ولا يقعد عليه فللخطيب عن ابي هريرة لان اجلس على جمرة احب الي

من لم ينس اى ورد الخبر صح

الدنيا صح

منه ان اطاع على تيسير ولا يمس الضر ان التابوت ولا الجدار فورد النهي اي عن مثل ذلك بقوله عليه
السلام فكيف تتبور ساير الانام ولا يقبل فهو زيادة على المس فهو اولى بالنهي فالتقبيل مختص
بالحجر الاسود وبايدي الانبياء والعلماء والصلحاء وبر الوالدين اي يحسن اليهما فان فيه خير الدارين
قال تعالى ووصينا الانسان بوالديه حسنا وفي قراءة احسانا فالعقوق اي مخالفة احدهما على وجه لا يحتمل
لهما من الكبائر وكذا ان دب منهما من الصغائر وقد سئل عليه السلام عن الكبائر فقال تسع
الاشراك بالله وعقوق الوالدين الحديث وقال عز وعلا وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه
وبالوالدين احسانا وللطبراني في الصغير من حديث ابي هريرة ان الجنة يوجد ريحها من مسيرة خمسمائة نه
عام ولا يجد ريحها عاق ولا سيما الام فورد برها ضعفان على الوالد اي على حقه كما في الاحب
وقال مخرجه غريب بهذا اللفظ وقد ورد في معناه حديث بهز بن حكيم عن ابيه عن جده من ابر
قال امك ثم امك ثم امك ثم اباك ثم الاقرب فالاقرب ابو داود والترمذي والحاكم وصححه وفي
الصحيحين من حديث ابي هريرة قال رجل يا رسول الله من احق الناس بحسن الصحبة قال امك ثم امك ثم امك
ثم اباك ولعله مقتبس من قوله تعالى حملته امه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا اي من مشقة
الحمل والوضع والفطام من زيادة حق الوالدة مع ما لها من كمال الشفقة والمرحمة بهذا ولما في
حديث طارق المحاربي عند احمد والحاكم من حديث ابي رمثة بر امك واباك واختك واخاك ثم ادناك فادناك مقدما
قال منه فالحج بر على المندوبات لا الواجبات اي الفرايض العينية من العبادات فهو المراد بما ورد
بر الوالدين افضل من الصلاة والصوم والحج والعمرة والجهاد اي اذا كانت هذه الطاعات نوافل
ولا يبعد ان يراد به اي لغة او يراد به من حيث انه من حقوق العباد المستلزمة لحق الله سبحانه افضل
من مجرد حقوق الله تعالى فان العفو في ترك حقوق الرب اقرب ويؤيده ما في الحياة من ان الله اوحى الى
موسى عليه السلام يا موسى انه من بر والديه وعقني كتبته بارا ومن برني وعق والديه كتبته عاقا واما
حديث المتن فكذا في الاحياء وقال مخرجه لم اجده هكذا وروى ابو يعلى والطبراني في الصغير والاوسط
من حديث انس اتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني اشتهي الجهاد ولا اقدر عليه قال هل
بقي من والديك احد قال امي قال فابل الله في برها فاذا فعلت ذلك فانت حاج ومعتمر ومجاهد واسنا ده
حسن ويستاذن للدخول عليهما اي ادبا معهما حال حياتهما ويستغفر لهما اي بعد مماتهما وينفذ
عهودهما ووصاياهما بل يقضي حقوقهما ولو من غير عهدهما ويكرم اصدقاءهما فورد اي في
صحيح مسلم من حديث ابن عمر ان من ابر البر اي من افضل الاحسان واكمل الامتنان بالنسبة الى
الوالدين للانسان ان يصل الرجل اي الشخص اهل ود ابيه بعد ان يولي الاب اي في غيبته
سواء كان في حال حياته او موته وكذا حكم الام بل هو اولى لكمال الحق فروى ابو داود وابن ماجه
وابن حبان والحاكم وقال صحيح الاسناد عن مالك بن ربيعة قال بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذ جاءه رجل من بني سلمة فقال هل بقي علي من بر والدي شيء ابرهما بعد وفاتهما قال نعم الصلاة

الصلاة عليهما والاستغفار لهما وانفاذ عهدهما واكرام صديقهما وصلة الرحم التي لا توصل الا بهما
ويتصدق لهما لحديث الطبراني في الاوسط على احدكم اذا اراد ان يتصدق بصدقة ان يجعلها
لوالديه فيكون لوالديه اجرها ويكون له مثل اجورهما من غير ان ينتقص من اجورهما شيء ويزورهما
ميتا واقله في كل جمعة فورد من زار قبر ابويه او احدهما في كل جمعة اي بخصوصها وهو الان فضل الفضا عف
الجمعة فيه سبعين مرة اي في كل اسبوع غفر له وكتب برا الحكيم الترمذي عن ابي هريرة ويقطع لسان
السفيه عنهما بماله فهو من البر اي في صحته وحقهما ففي رواية العسكري والقضاعي مرفوعا ما وقى به المرء
عرضه فهو له صدقة ويقدم حق المعلم اي للعلوم الشرعية على حقهما فان حقوقهما من الامور العرضية
فهو اي المعلم سبب حياة الروح اي في الابد وهما سبب ايجاد الجسد في دار الفناء والكبد ولا يقرع باب
داره بل يتوقف كما يعبد انتظاره فروى الشيخ في قومه كالنبي في امته فورد اي في التنزيل ولو انهم صبروا
اي من غير خطاب ولا دق باب حتى تخرج اليهم وقت ذهاب او اياب لكان خيرا لهم في كثرة ثواب
وحسن مآب ويصل الرحم بما امكن من عطاء وزيارة ورد عطا ذكره او ما يعوض له من جفا وعطاء فورد من
كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليصل رحمه لم اجده اصلا وفي الصحيحين من حديث عائشة عنه عليه السلام
يقول الله تعالى انا الرحمن وهذه الرحم شققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها
بتته اي قطعته البتة وفيهما من حديث انس من سره ان ينسأ له في اثره اي يؤخر في اجله ويوسع
له في رزقه فليصل رحمه ولاحمد والطبراني من حديث درة بنت ابي لهب باسناد حسن انه قيل
لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي الناس افضل قال اتقاهم لله واوصلهم للرحم وآمرهم بالمعروف
وانهاهم عن المنكر وللطبراني والبيهقي من حديث عبد الله بن عمر ان الرحم معلقة بالعرش وليس
الواصل بالمكافي ولكن الواصل الذي اذا قطعت رحمه وصلها وهو عند البخاري دون قوله الرحم معلقة
بالعرش فرواه مسلم من حديث عائشة والحاكم من حديث معاذ وللطبراني من حديث ابي امامة افضل الفضائل يل
ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتصفح عمن ظلمك وقالت اسماء بنت ابي بكر قدمت علي امي فقلت
يا رسول الله ان امي قدمت علي وهي مشركة افاصلها قال نعم صليها رواه الشيخان وفي رواية افاعطيها
قال نعم صليها وهو مقتبس من قوله تعالى وصاحبهما في الدنيا معروفا وللترمذي وحسنه والنسائي وابن
ماجه من حديث سلمان بن عامر الضبي الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم صدقة وصلة بلوا
اي وورد بلوا وهو بضم الباء واللام المشددة اي جددوا وفي رواية صلوا ارحامكم ولو بالسلام اي
مشافهة او مكاتبة والحديث رواه العسكري من حديث انس مرفوعا قيل بل جوار القريب اي مجاور نه
وكذا احسان قريته فهو يرفع الحرمة ويورث العظمة اي بسبب الملك له كما قيل من كرم الهمة حب الوطن ومكة
والمدينة اولى بسبب قلة الحشمة والعظمة وعن عمر رضي الله عنه انه كتب الى عماله مروا الاقارب ان تزاوروا وروا
ولا يتجاوروا ونظيره انه كان يقول في الحج يا اهل اليمن يمنكم ويا اهل العراق عراقكم ويا اهل الشام
وزر غبا اي ليزداد حبا ويراعي حق الكبير من الاخ والاخت والعم والعمة والخال والخالة لحق الابوين بين

ای المؤمنین الذین اتقوا النبی صلی الله علیه وسلم صح

والصغير اي منهم كالولد اي والكبير ومن كان فيه ويشتريه اي قريبه مملوكا اي ليعتق اي لان الجار ان
يعتقه او ليعتق عليه اذا كان من ذي رحم محرم منه كما هو مذهب لاسيما الوالدين فهو قضا حقهما
وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة لن يجزي ولد والده حتى يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه اي بان ينوي
عتقه او يصير سببا لعتقه ويبالغ في ارضا الجار فقيل الجار ثم الدار واستنبط هذه النكتة من قول
آسية امراة فرعون اذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ثم ورد اي في الصحيحين عن عايشة
وابن عمر ما زال جبريل يوصيني في الجار اي في حقه بالاحسان وغيره حتى ظننت انه اي الجار سيورثه اي
الجار الاخر وفيهما عن ابن شريح من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم جاره وللبخاري عنه
لا يؤمن عبد حتى يامن جاره بوائقه وللبزار وابي الشيخ وابي نعيم عن جابر الجيران ثلثة
جار له حق وجار له حقان وجار له ثلاث حقوق فالجار الذي له ثلاث حقوق هو الجار المسلم ذو
الرحم فله حق الجوار وحق الاسلام وحق الرحم واما الجار الذي له حقان فالجار المسلم له حقان
حق الجوار وحق الاسلام واما الذي له حق واحد فالجار المشرك اقول فلعل حصته اوفى من غيره لانه
لا يسامحه في تقصيره وكان هذا هو الموجب فيما نقله ابن مي بعد كتب عبد الله بن عمرو وغلام له عنده
يسلخ له شاة فقال يا غلام اذا سلخت فابدا بجارنا اليهودي حتى قال ذلك مرارا فقال له كم تقول هذا
فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل يوصينا بالجار حتى خشينا انه سيورثه رواه ابو داود
والترمذي رواه ابو داود والترمذي وقال حسن غريب وان حمله الحاكم وصححه حديث ابي هريرة
انه قيل له عليه السلام ان فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتوذي جيرانها فقال هي في النار
وللخرائطي وابن عدي عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده اتدرون ما حق الجار ان استعان
بك اعنته وان استقرضك اقرضته وان افتقر عدت اليه وان مات شيعت جنازته وان اصابه خير
هنأته وان اصابته مصيبة عزيته ولا تستطيل عليه بالبنا فتحجب عنه الريح الا باذنه وان اشتريت
فاكهة فاهد له فان لم تفعل فادخلها سرا ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده ولا توذه بقتار
قدرك الا ان تغرف له منها اتدرون ما حق الجار والذي نفسي بيده لن يبلغ حق الجار الا من رحمه الله
وقال ابو ذر الا من رحمه الله وقال ابو ذر اوصاني خليلي عليه السلام وقال اذا طبخت فاكثر المرق
ثم انظر اهل بيت من جيرانك فاغرف لهم منها رواه مسلم وعن ابي هريرة مرفوعا يا نسا المسلمات
لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة رواه الشيخان وجملته ان يحب له ما يحب لنفسه فقد حكي ان
بعضهم شكا كثرة الفار فقيل لو اقتنيت هرا فقال اخشى ان يسمع صوت الهر فيهرب منه
الى دار الجار فاكون قد احببت له ما لا احب لنفسي ثم الدار اي ويرد بركة سعتها اي وسعته بقدر
كفايته وحسن جوار اهله اي مجاورته في مجاورته والحديث اخرجه مسلم من حديث ابن عمر الشوم في الدار
والمراة والفرس فيمن الدار سعتها وحسن جوار اهلها وشومها ضيقها وسوء جوار اهلها وشوم المراة
عقم رحمها وسوء خلقها ويمنها خفة مهرها وتيسير نكاحها وحسن خلقها ويمن الفرس ذله وحسن خلقه

خلقه وشومه صعوبته وسوء خلقه وللدمياطي من رواية سالم بن عبد الله مرسلا اذا كان الفرس
ضروبا فهو مشوم واذا كانت المراة قد عرفت زوجا قبل زوجها فحنت الى الزوج الاول فهي مشومة
واذا كانت الدار بعيدة من المسجد لا يسمع منها الاذان والاقامة فهي مشومة واسناده ضعيف
ووصله صاحب الفردوس بذكر ابن عمر فيه وهو الجنان في ما ورد من قوله تعالى ونكتب ما قدموا واثارهم
وقوله عليه السلام يا بني سلمة دياركم دياركم تكتب اثاركم فانه محمول على ان الاجر على قدر
المشقة فهي بهذا الاعتبار مباركة ومقبولة وورد في حق اربعين دارا عن الزهري مرسلا
ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم يشكو جارا فامر عليه السلام ان ينادي على باب المسجد
الا ان اربعين دارا جار رواه ابو داود في مراسيله قال الزهري اربعون هكذا واربعون هكذا واربعون
هكذا واربعون هكذا اوما الى اربع جهات ووصله الطبراني من رواية الزهري عن ابن كعب بن مالك
عن ابيه ورواه ابو يعلى من حديث ابي هريرة وقال اربعون ذراعا وكلاهما ضعيف وروي
اربعون في كل جهة والله اعلم بما تقدم فكانه يشير الى ما قيل من المراد باربعين في مجموع الجهات
بان يكون عشرة في كل جهة وعن عايشة قلت يا رسول الله ان لي جارين احدهما مقبل ببابه
والاخر ناء ببابه عني وربما كان الذي عندي لا يسعهما فايهما اعظم حقا قال المقبل عليك ببابه رواه
البخاري فيه تنبيه الى مراعاة الاقرب كما يشير اليه قوله تعالى والجار ذي القربى والجار الجنب وعن
ابن مسعود قال رجل يا رسول الله كيف لي ان اعلم اذا احسنت او اسات قال اذا سمعت جيرانك يقولون
قد احسنت فقد احسنت واذا سمعتهم يقولون قد اسات فقد اسات احمد والطبراني باسناد
جيد وان حمله وغيره عنه عليه السلام من اراد الله به خيرا عسله قيل وما عسله قال يحببه الى جيرانه
وفي رواية البيهقي يفتح له عملا صالحا قبل موته حتى يرضى عليه من حوله واسناده جيد ويحترز عن
النظر الى بيته بان لا يطلع من السطح ويغض على عوراته وان اطلع على غرة فليصفح عن
زلاته واجرا الميزاب اليه بان يكون خير الماء الميزاب عليه ووضع الساريه اي الاسطوانه
على حايطه اي جداره ففي الصحيحين عن ابي هريرة لا يمنعن احدكم جاره ان يغرز خشبة
في جداره وفي مكارم الاخلاق للخرايطي عن ابي هريرة قضى عليه السلام ان الجار يضع جذعه
في حايط جاره شاء ام ابى واسناده جيد والمضايقة في الغلا اي التراب اي ونحوه من الرماد وغيره
بين يدي داره ولا يمنع عنه الريح برفع البنا وكذا الضوء بسد الهواء او نحو الماء والماء وان رفع
شيئا مطلقا من العادة فليكف عن الجار ويرسل اليه ثمرة اي فاكهة يشتهيها او يخفيها بان لا يبدي لها
لانه اذا اراها لا يشتهيها ولم يكن قادرا على ان يشتريها ولا يبلغه اي لا يوصله ريح القدر
الا على ارادة ان يرسل اليه وان فيقال في حقه احسانه ما يتيسر وحاله يعينا ويسامح
ما امكن اي من تقصيراته لانه ليس حق الجار مجرد كف الاذى بل احتمال الاذى بل لابد من الرفق وبذل
الندى وتحسين المعاشرة مع المراة فيحسن الخلق معهن وتحمل الاذى عنهن ترحما عليهن لقصور عقلهن

مؤ ردا اي في القران وعاشروهن بالمعروف تمامه فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل
الله فيه خيرا كثيرا وفي اية اخرى فامساك بمعروف او تسريح باحسان وفي اخرى ولهن مثل الذي
عليهن بالمعروف وعن ابن عباس اني احب ان اتزين لامراتي كما تحب امراتي ان تتزين
لي بهذه الاية من صبر اي ورد منه من صبر على سوء خلق امراته اعطاه الله من الاجر مثل ما اعطى
ايوب على بلائه ومن صبرت على سوء خلق زوجها اعطاها الله ثواب اسية امراة فرعون كذا
في الاحياء وقال مخرجه لم اجد له اصلا قلت ومما يدل على عدم ثبوته فقد الملازمة بين الفقرتين
فان امراة ايوب كانت من الصالحات والصابرات على المشقات فحسن المقابلة ان يقال
مثل ما اعطى نوحا او لوطا على بلائه اي بابتلائه بامراته فيكون مشيرا الى قوله تعالى ضرب الله
مثلا للذين كفروا امراة نوح وامراة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما اي
بالكفر لان حرم الانبياء مصونات عن الزنا الى ان قال وضرب الله مثلا للذين امنوا امراة
فرعون الاية وقد ورد عنه عليه السلام اكمل المؤمنين ايمانا احسنهم خلقا والطفهم باهله الترمذي
والنسائي والحاكم وصححه وللترمذي من حديث عايشة وصححه خيركم خيركم لاهله وانا خيركم لاهلي ثم
ليس حسن الخلق معها مجرد كف الاذى عنها بل تحمل الاذى منها والحلم عند طيشها وغضبها
وتلك اذيتها اقتداء به عليه السلام فان ازواجه كن يراجعنه في الكلام وتهجره الواحدة منهن
الى الليل كما في الصحيحين من حديث عمر في الحديث الطويل في قوله تعالى وان تظاهرا عليه
اي حفصة وعايشة وفي رواية ابي يعلى في مسنده وابي الشيخ في كتاب الامثال وفيه ابن اسحاق
وقد عنعنه قالت عايشة له مرة في كلام غضبت عنده انت الذي تزعم انك نبي الله فتبسم
رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتمل ذلك حلما وكرما اقول وبهذه الحالة عليه السلام بانها ما خرجت
بهذا الكلام من سنن الاسلام لما اطلعه الله سبحانه من علم الغيب من الاحكام والا فظاهره ردة
لو صدر مثله من غيرها يحكم بكفرها وكان عليه السلام يقول لها اني اعرف غضبك علي من رضاك قالت
وكيف تعرفه قال اذا رضيت قلت لا واله محمد واذا غضبت قلت لا واله ابراهيم قالت صدقت انما اهجر
اسمك وراجعته امراة عمر في الكلام فقال اتراجعيني فقالت ان ازواج رسول الله صلى الله
عليه وسلم يراجعنه فقال عمر خابت حفصة وخسرت ان راجعته ثم قال لحفصة لا تغتري بابنة ابن ابي
قحافة فانها حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي انه وقعت احداهن في صدر رسول الله صلى الله
عليه وسلم فزبرتها امها فقال عليه السلام دعيها فانهن يصنعن اكثر من ذلك ويزيد بسط لعبا ومزاحا
فانه يوجب اصلاح حالهن وتطييب قلوبهن مؤ ردا اي خرجه ابو يعلى بر بهلول تكدا اي اخذ تملك عنها قوله عند
وفي نسخة قد اعجبها وقد اعجبكم وكان عليه السلام يمزح معهن وينزل الى درجة عقولهن حتى روي انه
عليه السلام كان يسابق عايشة في العدو فسبقته يوما وسبقها في بعض الايام فقال عليه السلام هي
بهذه بتلك ابو داود والنسائي في الكبرى وقالت عايشة سمعت اصوات اناس من الحبشة وغيرهم يلعبون

يلعبون في يوم عيد فقال لي اتحبين ان تري لعبهم قالت قلت نعم فارسل اليهم فجاؤوا وقام عليه
السلام بين البابين فوضع كفه على الباب ومد يده فجعلت ذقني على يده فجعلوا يلعبون وانظر
وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حسبك يا حميراء واقول اسكت مرتين او ثلاثا الحديث رواه الشيخان
والنسائي مع اختلاف في بعض الالفاظ وقال عمر رضي الله عنه مع خشونته ينبغي للرجل ان يكون في
اهله كالصبي فاذا التمس ما عنده وجد رجلا وكذا روي عن لقمان ووصفت اعرابية زوجها وقد
مات فقالت كان ضحوكا اذا ولج سكوتا اذا خرج اكلا ما وجد غير سائل عما فقد ولا يدع الرغبة
اي بالمزح حتى لا يبطل حكم الهيبة للمراة ولا يسترسل في الحرمة فكانت نساء العرب يعلمن بناتهن اختبار
ازواجهن ويقلن لبنتها اختبري زوجك قبل الاقدام والجراة عليه انزعي زج رمحه فان سكت
فقطعي اللحم على ترسه فان سكت فكسري العظام بسيفه فان سكت فاجعلي الاكاف على ظهره
فانما هو حمارك في امر طول عمره بمداراة البخاري عن ابي بكرة لن يفلح قوم تملكهم امراة وروي ان
اسماء بنت خارجة الفزاري قال لابنته عند الزفاف انك خرجت من العش الذي فيه درجت وصرت الى فراش
لم تعرفيه وقرين لم تالفيه فكوني له ارضا يكن لك سماء وكوني له مهادا يكن لك عمادا وكوني له امة يكن لك عبدا
لا تلحفي به فيملك ولا تتباعدي عنه فينساك ان دنا فاقربي منه وان ناى فابعدي عنه واحفظي انفه
وسمعه وعينه لا يشم منك الا طيبا ولا يسمع منك الا حسنا ولا ينظر منك الا جميلا وقال رجل لزوجته شعر
خذي العفو مني تستديمي مودتي ❊ ولا تنطقي في سورتي حين اغضب ❊ ولا تنقريني نقرك الدف مرة
فانك لا تدرين كيف المغيب ❊ فاني رايت الحب في القلب والاذى ❊ اذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب
مؤ ردا اي كما سبق وخالفوهن اي في المشورة واصل الحديث شاوروهن وخالفوهن فان في خلافهن
اي لقلة عقلهن ونقصان دينهن وهو من تتمة كلام عمر رضي الله عنه خالفوا النساء فان في خلافهن
البركة وقال الحسن والله ما اصبح رجل يطيع امراته بما تهوى الا كبه الله في النار رواه او ورده الغزالي
من حديث عبد الزوجة فلا اصل له وانما ثبت في صحيح البخاري من حديث ابي هريرة تعس عبد الدينار
تعس عبد الدرهم والله سبحانه اعلم ويغار اي ان تؤمن لكن تتادى الى مثالب الشر ومن دعا غوائل
جملة حالية اي والحال ان المراة مناكر وورد انهن كما ورد للشيطان حبايل فالغيرة بعد ظهور الريبة
من اخلاق الرجال والحال العفايف واصحاب الفواضل بل هو من باب التخلق باخلاق الله وورد ان الله
تعالى يغار والمؤمن اي الكامل يغار اي على امراته وجاريته وقرابته وبهذا الكمال وغيرة الله ان ياتي المؤمن
ما حرم عليه اي من الزنا ونحوه والحديث متفق عليه من حديث ابي هريرة الا ان الترمذي لم يقل والمؤمن يغار
والحاصل ان الغيرة كرامة الرجل اثر عن تمام جوهر حقه وغيرة الله ان يكون مخالفة امره والا يفرط
الا ان يبالغ في الغيرة لئلا تقع في محظور مؤ ردا اي في رواية ابي داود والنسائي وابن حبان من حديث
جابر بن عتيك من الغيرة غيرة يبغضها الله وهو غيرة الرجل اي على اهله من غير ريبة اي شك
وشبهة وفي رواية ان من الغيرة ما يحبه الله تعالى ومنها ما يبغضه الله الحديث وجاء في حديث عنه عليه السلام

اي يغير وهو من امور لا يفعلها الا منكوس القلب وقد قال علي رضي الله عنه لا تكثر الغيرة على اهلك
فترمى بالسوء من اجلك وقد ورد نهيه عليه السلام عن تتبع عثرات النساء الطبراني وان الغيرة
من غير ريبة من سوء الظن الذي نهينا عنه فان بعض الظن اثم ثم اعلم ان مثل المراة الصالحة في
النساء كمثل الغراب الاعصم من مائة غراب كما رواه الطبراني من حديث ابي امامة بسند ضعيف والاعصم
الابيض البطن ولاحمد من حديث عمرو بن العاص كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمر الظهران
فاذا بغربان كثيرة فيها غراب اعصم احمر المنقار فقال لا يدخل الجنة من النساء الا مثل هذا الغراب
في هذه الغربان واسناده صحيح وهو في السنن الكبرى للنسائي وورد استعيذوا من الفواقر الثلث وفيه
جار ان رأى حسنة دفنها وان رأى سيئة اذاعها وامام ان احسنت لم يرض عنك وان اسأت غضب
منك وامراة ان دخلت عليها تسلطت وان غبت عنها خانتك الديلمي عن ابي هريرة بسند ضعيف
وجاء بلفظ اخر رواه الطبراني من حديث فضالة بن عبيد ثلث من الفواقر وذكر منها وامراة ان
حضرت آذتك وان غبت عنها خانتك وسنده حسن ويمنع اي المراة الشابة عن الحضور في المسجد
وجوز بعض متقدمي ائمتنا حضور العجوز من غير زينة في الصبح والعشاء حال الظلمة والمتاخرون اطلقوا منعهن
لفساد الزمان خصوصا في حق النسوان وفيه انه حيث كان عليه السلام قد اذن للنساء في حضور المسا جد
وهو متفق عليه من حديث ابن عمر ائذنوا للنساء بالليل الى المساجد والصواب ان المنع في المنع الا
لما فيه [illegible] مستصوب ذلك في زمن الصحابة حتى قالت عائشة رضي الله عنها لو علم النبي صلى الله
عليه وسلم ما احدث الناس بعده لمنعهن الخروج متفق عليه ولما قال ابن عمر كما في الصحيحين قال
عليه السلام لا تمنعوا اماء الله مساجد الله قال بعض بنيه وهو بلال والله لنمنعهن فضربه
وغضب عليه وهجره وقال تسمعني اقول قال عليه السلام لا تمنعوا فتقول بلى وانما تجرأ على المخالفة
لعلمه بتغير الزمان وانما غضب عليه لاطلاقه اللفظ بالمخالفة ظاهرا من غير اظهار العذر قال واخر وج
الا ان الخبر يباح للمراة العفيفة برضا زوجها ولكن القعود اسلم والله اعلم فاذا خرجت فينبغي
ان تغض بصرها عن الرجال ولسنا نقول ان وجه الرجل في حقها عورة كوجهها في حقه بل هو كوجه
الصبي الامرد في حق الرجل فيحرم النظر عند خوف الفتنة فان لم يكن فتنة فلا اذ لم تزل الرجال على ممر
الزمان مكشوفي الوجوه والنساء يخرجن متنقبات ولو كانت وجوه الرجال عورة في حق النساء لامروا
بالتنقب او منعهن من الخروج الا لضرورة انتهى وقد بالغ النووي وحرم النظر الى الامرد الحسن الوجه
ولو بغير شهوة ويقتصد اي في النفقة فنعم الحال القصد في النفقة نصف المعيشة الطبراني والبيهقي
عن ابن عمر فورد اي في القران ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك وهو كناية عن البخل الآية اي ولا
تبسطها كل البسط وهي كناية عن الاسراف والتبذير فتقعد ملوما محسورا وقال عز وجل في نعت
عباد الرحمن والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وقيل كان لعلي اربع نسوة
يشتري لكل واحدة منهن في كل اربعة ايام لحما بدرهم وقال ابن سيرين يستحب للرجل ان يعمل لاهله

نستبرعه

في كل جمعة فالوذجة فان الحلو وان لم يكن من المهمات ولكن تركه بالكلية تقتير في العادة
وان لا يختص اي الرجل باجود الطعام اي لا ينبغي له ان يستاثر عن اهله بماكول طيب فلا يطعمهم
منه فان ذلك مما يوغر الصدر ويوجب التحير الا اذا رضي اهله وطاب عندهم عمله وان فعل ذلك فليخفه
بحيث لا يطلع عليه غيره وان لا ينبغي ان يصف عندهم طعاما ليس يريد اطعامهم اياه بل اذا وصفوا
عنده طعاما فينبغي ان يطعمهم اياه ويشترك كان اي هو والعيال فيه اي في اكل على مائدته فورد
فيه فضل كثير ومنه ما تقدم من ان خير الطعام ما كثرت عليه الايدي وقال سفيان بلغنا ان الله وملائكته
يصلون على اهل بيت ياكلون في جماعة ويعلم اي المراة ما يجب عليها من علم الحيض والحكمة والاحكام م
الصلاة وما يقضى منها في الحيض وما لا يقضى فانه امر بان يقيها النار بقوله تعالى قوا انفسكم واهليكم نارا
فعليه ان يلقنها اعتقاد اهل السنة ويزيل عن قلبها البدعة ويخوفها بالله اذا تساهلت في امر
دينها ومن الاحكام فيها ان انقطع دمها قبيل المغرب بمقدار ركعة فعليها قضاء الظهر والعصر واذا انقطع
قبل الصبح بمقدار ركعة فعليها قضاء المغرب والعشاء انتهى وهذا في مذهب الشافعي واما عندنا فلا
يجب عليها الا قضاء الصبح والعشاء ثم ان قصر عن ذلك علم الرجل ناب عنها في السؤال عن اهل العلم
والجواب اي وان فيجب عليها الخروج ونهي الرجل منعها في تلك الحال ويعدل بين النساء في البيتوتة
اي في مبيت الليل عندهن وان عطاياه من نفقتهن وكسوتهن فلا تميلوا الى بعضهن دون غير كان
حتى لو خرج الى سفر واراد استصحاب واحدة منهن اقرع كذلك كان يفعله عليه السلام كما في الصحيحين
عن عائشة وذلك لقوله تعالى ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء اي كمال العدل ولو حرصتم اي من طريق
الفضل فلا تميلوا كل الميل اي الى واحدة دون اخرى فتذروها كالمعلقة بين المزوجة والمطلقة فورد في
المائل اي في القسم جاء يوم القيامة واحد شقيه مائل اصحاب السنن وابن حبان من حديث ابي هريرة
مرفوعا من كانت له امراتان فمال الى احداهما دون الاخرى وفي رواية فمال مع احداهما وفي اخرى فلم يعدل
بينهما جاء يوم القيامة واحد شقيه مائل اي ساقط يحتمل في المباشرة الشتاء معنوي من البيتوتة وان عطايا
اي لكن الميل معه بل الميل منه والميل عنه والمحبة اي التي تتفرع عليها عجائب اسباب الميل به فلا اختيار
فيهما اي طبعا فلا حرج في عدم العدل فيهما شرعا وورد انه عليه السلام انه كان يعدل بينهن
ويقول اللهم هذا اي الذي فعلته من القسم جهدي بالضم الطاقة وبالفتح المشقة اي غاية اجتهادي
فيما املك اي من العدل بينهن ولا طاقة لي فيما لا املك اي من زيادة المحبة والميل معه الى بعضهن بعد القسم
ظرف لورد اي قال هذا الكلام بعد القسم والحديث رواه اصحاب السنن وابن حبان من حديث عائشة
انه عليه السلام كان يعدل بينهن ويقول اللهم هذا جهدي فيما املك ولا طاقة لي فيما تملك ولا املك ولابن
سعد في الطبقات من رواية محمد بن علي بن الحسين ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحمل في ثوب يطاف
به على نسائه وهو مريض يقسم بينهن وفي مرسله عليه السلام قال اين انا غدا قالوا عند فلانة قال فاين
انا بعد غد قالوا عند فلانة فعرف ازواجه انه يريد عائشة الحديث وللبخاري من حديث عائشة كان يسال

في مرضه الذي مات فيه اين انا غدا اين انا غدا يريد يوم عايشة فاذن له ازواجه ان يكون حيث شاء وفي
الصحيحين لما ثقل استاذن ازواجه ان يمرض في بيتي فاذن له بهذا او قال تعالى وان امراة خافت من
بعلها نشوزا او اعراضا فلا جناح عليهما ان يصالحا بينهما صلحا والصلح خير روى ابو داود من حديث
عايشة قالت سودة وهي بنت زمعة حين اسنت وفرقت ان يفارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول
الله يومي لعايشة الحديث وللطبراني فاراد ان يفارقها وهو عند البخاري بلفظ لما ان كبرت سودة وهبت
يومها لعايشة فكان يقسم لها بيوم سودة وللبيهقي مرسلا طلق سودة فقالت اريد ان احشر في
ازواجك الحديث ثم انه عليه السلام بحسن عدله وقوة فضله كان اذا تاقت نفسه الى واحدة من نسائه
في غير يومها جامعها ثم طاف في يومه ذلك او ليلته على ساير نسائه كما ذكره في الصحيحين عن عايشة
طاف على نسائه في ليلة واحدة وله تسع نسوة ولابن عدي في الكامل عن انس انه عليه السلام طاف
على تسع نسوة في ضحوة نهار قيل وهذا من خصوصياته عليه السلام ولو وقع الخصومة اي المخالفة
الجانبين اي جانبي الزوجين او جانبه اي الرجل وحده ولا تلتئم اي خصومتهما ولا تجتمع امرهما فلا
بد من حكمين من اهله واهلها فورد في القران ان يريدا اصلاحا الاية وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا
حكما من اهله وحكما من اهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما والضمير يريدا الى الزوجين كضمير
بينهما او الاول الى الحكمين والثاني الى الزوجين ويروى ان عمر رضي الله عنه بعث حكمين الى زوجين
فعادا ولم يصلحا امرهما فعلاهما بالدرة وقال ان الله يقول ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما
فعادا واحسنا النية وتلطفا في القضية فاصلحا بينهما وقد جرى بينه عليه السلام وبين عايشة
نوع من الكلام حتى ادخل بينهما ابا بكر حكما فاستشهد فقال لها عليه السلام تكلمين او اتكلم
فقالت تكلم انت ولا تقول الا حقا فلطمها ابو بكر حتى دمي فمها فقال يا عدية نفسها او يقول غير
الحق فاستجارت برسول الله صلى الله عليه وسلم وقعدت خلف ظهره فقال له عليه السلام لم ندعك
لهذا ولم نرد بهذا منك وان كان النشوز من جانبها اي المراة فقط فقد قال تعالى وللرجال عليهن
درجة وقال الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم فالصالحات
قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن
في المضاجع واضربوهن فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا وهذا معنى قوله فيعظ الزوج اي
ينصحها ويلاطف معها اولا لقوله تعالى ادع الى سبيل ربك بالموعظة الحسنة ثم تخوفا اي يحذر المراة
من الضرب ونحوه ثم يستدبر في الفراش بان يوليها ظهره في المضجع ثم يعتزلها اي ينفرد بفراشه
عنها دون البيت اي من غير ان يخرج هو او هي من البيت ثم يهجرها اي يهجر بها وهو مع ذلك في
البيت معها ثلاثة ايام اي من ليلة الى ثلاث ليال وقال ابي ويزداد فيه جاز ان يهجرها عشرة وعشر ون
او شهرا ان كان للدين كترك الصلاة وغسل جنابة وابا عن فراش ونحوها فعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذ ارسل بهدية الى زينب فردتها عليه فقالت له التي تكون في بيتها لقد اقمانك

ارتماتك اذ ردت عليك هديتك اي اذلتك واستصغرتك فقال عليه السلام انتن اهون على الله ان
تقمئنني ثم غضب عليهن كلهن شهرا الى ان عاد اليهن كذا في الاحياء وذكر ابن الجوزي بغير
اسناد في الوفا وفي الصحيحين من حديث عمر كان اقسم ان لا يدخل عليهن شهرا من شدة موجدته
عليهن وفي رواية آلى منهن شهرا ولمسلم من حديث جابر ثم اعتزلهن شهرا ثم يضرب اي المراة ضربا غير
جارح ولا كاسر لعظم ولا ملطخ بدم ولا على وجه البضة فورد فيه اي في بيان هذا الحكم من امره
وكيفيته عنه عليه السلام ما ورد فسر له ما حق المراة على الرجل فقال يطعمها اذا طعم ويكسوها اذا اكتسى ولا
يقبح الوجه ولا يضرب الا ضربا غير مبرح اي غير مولم ولا يهجر الا في البيت ابو داود والنسائي في الكبرى
وابن ماجه ورواية معاوية بن حيدة بسند جيد وقال ولا يضرب الوجه ولا يقبح اي لا يقول قبحك
الله او قبح الله وجهك وفي رواية لابي داود ولا تقبح الوجه ولا تضرب ولا يطلق الا من غير احتياج
الى اجتناب والفراق فورد ابغض الحلال عند الله الطلاق رواه ابو داود وابن ماجه والحاكم في
مستدركه عن ابن عمر ولفظه ابغض الحلال الى الله الطلاق وفي رواية للحاكم ما احل الله شيئا ابغض
اليه من الطلاق وعند الديلمي من حديث معاذ بن جبل ان الله يبغض الطلاق ويحب العتاق وفي
رواية له ما احل الله حلالا احب اليه من النكاح ولا احل حلالا اكره اليه من الطلاق وقد يقال المباح
ما استوى فعله وتركه فكيف يتصور ان يكون احد طرفيه مبغوضا فلا بد من التجوز في المباح بارادة
ما يشمل المكروه ففي الكافي ان الطلاق محظور في اصله مباح نظرا الى حاجة فالطلاق المباح نظرا
الى الحاجة والوصف بالمبغوضية نظرا الى اصله انتهى وحاصله انه عند الحاجة مباح وعند عدمها مكروه
ونظيره السوال من الناس فانه محرم باصله ويباح عند الضرورة الى فرع ولانه اي الطلاق ابتداء
اي في مقام الافتراق ولا يباح ابتدا الا لعذر الا لضرورة منه اي من جانبه او جانبها منها اي من جانبها
بان كانت تؤذي زوجها او اهله او يكون سيئة في خلقها او فاسقة في دينها والا فقد قال تعالى
فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا او امر الاب اي او لاجل امر الي الزوج به اي بالطلاق فقد ان
صح الغرض اي غرض الاب ولا يكون عن حظ النفس او الغضب وهو كذا تور اي مروي عن ابن عمر انه
قال كان تحتي امراة احبها وكان ابي يكرهها ويامرني بطلاقها فراجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا ابن عمر طلق امراتك اصحاب السنن قال الترمذي حسن صحيح ورد فلا جناح عليهما الاية وتمامها مها
فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به والمعنى اذا كان الاذى من الزوج
فلها ان تفتدي بذلك او يكره للرجل ان ياخذ منها اكثر مما اعطاها فان ذلك اجحاف لها وتحامل عليها
ومجانا على بضعها فالاولى ان يفادها اخذ ما اخذته من العطا فيطلق اي حر في طهر خال عن الجماع فان
الطلاق في الحيض والطهر الذي جامعها فيه بدعي حرام وان كان واقعا لما فيه من تطويل العدة
وتحصيل الضرر فان فعل ذلك فليراجعها فقد طلق ابن عمر امراته في الحيض فقال عليه السلام لعمر مره فليرا جعها
حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم ان شاء امسكها وان شاء طلقها فتلك العدة التي امر الله ان يطلق لها

الشا واما امره بالصبر بعد الرجعة مع طهرين كذلك لئلا يكون مقصود الرجعة الطلاق فقط كذا في الاحيا
وهو موافق لمذهب الشافعي ان الخلع فسخ او طلاق رجعي واما على مذهبنا انه طلاق بائن فلا
يمكن ان يراجعها وانما يراجعها اذا كان الطلاق رجعيا واما حديث ابن عمر فمحمول على الطلاق الرجعي
واحدة فقط اي يقتصر على طلقة واحدة ولا يجمع بين الثلاث فانه طلاق بدعي ايضا وهو حرام عندنا
ومكروه عند الشافعي ولان الطلقة الواحدة تفيد المقصود من المفارقة ويستفيد بها الرجعة ان ندم
في العدة وتجديد النكاح ان اراد بعد العدة واذا طلق ثلاثا ربما ندم فيحتاج الى ان يتزوجها محلل
والى الصبر مدة وعقد المحلل منهي عنه مكروه فيه ويكون هو الساعي له ثم يكون قلبه معلقا بزوجة
الغير ومطلقته اعني زوجة المحلل بعد ان زوجت منه فيورث كل ذلك تنغيصا في الزوجية وكل ذلك ثمرة
الجمع بين الطلقات الثلاث بلا تعنيف والتخفاف اي ينبغي ان يتلطف في التعلل لتطليقها وان
يستعجل في امر تفريقها ويسر بطلاقها اي ويخفي بارسال بعدته على سبيل المتعة في القضية جبرا للمصيبة
اي الا اصابها اي الا اصابتها من البلية وقد قال تعالى ومتعوهن بالمعروف وذلك واجب في بعض الصور
ومستحبة في بعضها وفي كتب الفقه تذكر تفصيلها وكان الحسن بن علي رضي الله عنهما مطلاقا ومنكاحا
قايلا اني وجدت الغنا فيهما حيث قال سبحانه ان يكونوا فقرا يغنهم الله من فضله وقال وان يتفرقا يغن الله
كلا من سعته وقد وجه ذات يوم بعض اصحابه بطلاق امراتين من نسائه وقال قل لهما اعتدا وامره ان يدفع
الى كل واحدة عشرة الاف درهم ففعل فلما رجع اليه قال ما ذا فعلتا قال اما احداهما فنكست وتنكست
راسها واما الاخرى فبكت وانتحبت وسمعتها تقول متاع قليل من حبيب مفارق فاطرق الحسن وترحم لها
وقال لو كنت مراجعا امراة بعدما فارقتها لراجعتها ودخل الحسن ذات يوم على عبد الرحمن بن الحارث
بن هشام فقيه المدينة ورئيسها ولم يكن له في المدينة نظير وبه ضربت المثل عائشة رضي الله عنها حيث
قالت لو لم اسر مسيري ذلك لكان احب الي من ان يكون لي ستة عشر ذكرا من رسول الله صلى الله عليه وسلم
مثل عبد الرحمن بن الحارث فدخل الحسن في بيته فعظمه عبد الرحمن واجلسه واكرمه فقال الا ارسلت
الي فكنت اتيتك فقال الحاجة لنا فقال وما هي قال جئتك خاطبا ابنتك فاطرق عبد الرحمن ثم رفع راسه
فقال والله ما على وجه الارض احد يمشي عليها اعز علي منك ولكن تعلم ان ابنتي بضعة مني وانت مطلاق
فاخاف ان تطلقها وان فعلت خشيت ان يتغير قلبي في محبتك واكره ان يتغير قلبي عليك لانك بضعة
من رسول الله صلى الله عليه وسلم فان شرطت ان لا تطلقها زوجتك فسكت الحسن وقام وخرج فقال اهل
بيته سمعته وهو يمشي ويقول ما اراد عبد الرحمن الا ان يجعل ابنته طوقا في عنقي وكان علي رضي الله عنه
يضجر من كثرة تطليقه وكان يعتذر منه على المنبر ان قال في خطبته ان حسنا مطلاق فلا تنكحوه
فقام رجل من همدان فقال والله يا امير المؤمنين لننكحنه ما شاء فان احب امسك وان احب ترك فسر ذلك
علي فقال لو كنت بوابا على باب جنة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام ولا تطلبه اي الطلاق المراة
ان من غير ضرورة ففيه الوعيد الشديد فلابي داود والترمذي وحسنه وابن ماجه وابن حبان

من حديث ثوبان ايما امراة سالت زوجها طلاقا من غير ما باس لم ترح رائحة الجنة وفي لفظ
فالجنة عليها حرام ومما ينبغي للزوج ان لا يفشي سرها عند النكاح ولا عند الطلاق فقد ورد في
افشاء سر النساء في الخبر الصحيح وعيد عظيم كذا في الاحيا وفي صحيح مسلم من حديث ابي سعيد قال عليه
السلام ان اعظم الامانة عند الله يوم القيامة الرجل يفضي الى امراته وتفضي اليه ثم يفشي سرها يعني
او تفشي سره فان الكل ليس بلائق كما ورد وروي ان بعض الصالحين اراد طلاق امراته فقيل له
ما الذي يريبك منها فقال العاقل لا يهتك ستر امراته فلما طلقها قيل له لم طلقتها قال ما لي ولامراة غيري
وهذا بيان ما على الزوج واما حق الزوج على المراة فكما بينه بقوله وتطيع الزوج اي مطلقا في كل ما طلب
منها في نفسها مما لا معصية فيه فقد ورد ايما امراة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة الترمذي وابن
ماجه من حديث ام سلمة وقال الترمذي حسن غريب ولا تمنع نفسها اي عنه ولو كانت على تنور او قتب
مستور فلابن حبان من حديث ابي هريرة اذا صلت المراة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها
واطاعت زوجها دخلت جنة ربها وفي الصحيحين من حديث ابن عباس اطلعت في النار فاذا اكثر
اهلها النساء فقلن لم يا رسول الله فقال يكثرن اللعن ويكفرن العشير يعني الزوج المعاشر ولاحمد من
حديث ابي امامة اطلعت في الجنة فاذا اقل اهلها النساء فقلت اين النساء فقال شغلهن الاحمران الذهب
والحرير ولابي نعيم ويل للنساء من الاحمرين الذهب والزعفران يعني الحلي وساير الاثواب ومصبغات
الثياب وتنقي اي تنظف نفسها وتزينها لتتمتع اي ان تتمتع بها مستعدة في الاحوال كلها فمن الاصمعي
رايت في البادية امراة عليها قميص احمر وهي مختضبة وبيدها سبحة فقلت ما ابعد هذا من هذا فقالت شعر
ولله مني جانب لا اضيعه • وللهو مني والخلاعة جانب • قال فعلمت انها امراة صالحة لها زوج تتزين
له وتستاذنه في ان تعطي من البيت اي من متاعه بل ومن متاعها عند بعض العلماء فلا تتصدق
عليه السلام لا يحل لها ان تطعم الا الرطب الذي يخاف فساده ولابي داود من حديث سعد قالت
امراة يا رسول الله انا كل على ابنائنا وابائنا وازواجنا فما يحل لنا من اموالهم قال الرطب تاكلنه وتهدينه
وصحح الدارقطني في العلل ان سعدا هذا رجل من الانصار ليس ابن ابي وقاص وذكره البزار في
مسنده ابن ابي وقاص واختار ابن القطان ولمسلم من حديث عايشة اذا انفقت المراة من طعام
بيتها غير مفسدة كان لها اجرها بما انفقت ولزوجها اجره بما كسب والخروج عنه اي من خروجها من
البيت ولو الى المساجد ونحوها وصوم النفل اي اذا كان عندها فللبيهقي عن ابن عمر اتت امراة من خثعم الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت اني امراة ايم واريد ان اتزوج فما حق الزوج على المراة قال من حق الزوج
على المراة اذا ارادها على نفسها وهي على ظهر بعير ان لا تمنعه ومن حقه ان لا تعطي شيئا من بيته الا باذنه
فان فعلت ذلك كان عليها الوزر وله الاجر ومن حقه ان لا تصوم تطوعا الا باذنه فان فعلت
جاعت وعطشت ولم يتقبل منها ومن حقه ان لا تخرج من بيتها بغير اذنه فان فعلت لعنتها الملائكة
حتى ترجع الى بيتها او تتوب والحاكم وصححه عن ابي هريرة اتت فتاة الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت

يا نبي الله اني امراة فتاة اخطب وانا اكره التزويج فما حق الزوج على المراة قال لو كان من قرنه
الى قدمه صديد فلحسته ما ادت شكره قالت فلا اتزوج اذا او للترمذي وابن حبان من حديث ابي
هريرة لو امرت احدا ان يسجد لاحد لامرت المراة ان تسجد لزوجها من عظم حقه عليها وان تعيبه
بالقبيح اي لا في صورته ولا في سيرته ولا تؤذيه في سره وعلانيته فللترمذي وابن ماجه عن معاذ
بن جبل لا تؤذي امراة زوجها في الدنيا الا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله فانما هو
عندك دخيل يوشك ان يفارقك الينا ولا تتفاخر على الزوج بمالها وجمالها فقد روي ان الاصمعي قال
دخلت البادية فاذا انا بامراة من احسن الناس تحت رجل من اقبح الناس فقلت يا هذه اترضين
لنفسك ان تكوني تحت مثله فقالت يا هذا اسكت فقد اسات في قولك لعله احسن فيما بينه وبين خالقه
فجعلني ثوابه او لعلي اسات فيما بيني وبين خالقي فجعله عقوبتي افلا ارضى بما رضي الله لي فاسكتتني وفي
رواية له رايت في البادية اعرابية من احسن الناس ورايت زوجها من اقبح الناس وهي تقول بشرى
لك فانت وانا في الجنة فقال لها اعلمك بذلك فقالت انك ابتليت انا بقبحك فصبرت وموضع الصابرين الجنة
وابتليت انت بحسني فشكرت وموضع الشاكرين في الجنة وتقدم حقه اي حق الزوج على الاقارب حتى
على الوالدين فللطبراني في الاوسط عن انس كان رجل خرج الى سفر وعهد الى امراته ان لا تنزل
من العلو الى السفل وكان ابوها في السفل فمرض فارسلت المراة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تستاذن
في النزول الى ابيها فقال عليه السلام اطيعي زوجك فمات ابوها فاستاذنته فقال اطيعي زوجك فدفن
ابوها فارسل عليه السلام ان الله عز وجل غفر لابيها بطاعتها لزوجها ولا تنبسط اي بالكلام
والسلام مع حبيبه اي مع صديق زوجها لسيما في حال غيبته عن بلده ولا تنقبض في غيبته بترك المداعبة
في حال المصاحبة ولا تتلذذ بانواع من الطعام والاصناف من الزينة في ذلك المقام الا ان الوقت يقتضي
الحزن ولا تهتم ولتقوم بامور البيت اي بكل ما يتعلق بالدار تقدر عليها من غير نظر الى عار اهل الديار
فقد روي عن اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنهما انها قالت تزوجني الزبير وماله في الارض من مال ولا مملوك
ولا شيء غير فرسه وناضحه فكنت اعلف فرسه واكفيه مؤنته واسوسه وادق النوى لناضحه واعلفه
واستقي الماء واخرز غربه واعجن وكنت انقل النوى اي احمله على راسي من ثلثي فرسخ حتى ارسل الي
ابو بكر بخادم فكفاني سياسة الفرس فكانما اعتقني ولقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ومعه اصحابه
والنوى على راسي فقال عليه السلام اخ اخ ليبيخ ناقته ويحملني خلفه فاستحييت ان اسير مع الرجال
وذكرت الزبير وغيرته وكان اغير الناس فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم اني استحييت فجئت فحكيت
له ما جرى فقال والله لحملك النوى على راسك اشد من ركوبك معه عليه السلام رواه الشيخان ومن جملة القيام
بامور بيتها دوام لزوم سكونها وعدم خروجها من غير ضرورة بها فلابن حبان من حديث ابن مسعود
اقرب ما تكون المراة من ربها اذا كانت في قعر بيتها وان صلاتها في صحن دارها افضل من صلاتها في المسجد
ولا تستبدل زوجا بعد وفاته لتكون زوجته في الجنة اي على تقدير ايمانهما البتة واما اذا تزوجت بعده فانها

ان تنكح من زوجها تكون للاول او للثاني او تخير فيهما وهو الاظهر وفي البستان انها تكون لاخر
منهما فقد ذهب الى ما روي عن معاوية بن ابي سفيان انه خطب ام الدرداء فقالت سمعت ابا الدرداء يحدث
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال المراة لاخر ازواجها في الاخرة وقال لي ان اردت ان تكوني
زوجتي في الجنة فلا تتزوجي بعدي والثاني قال انها تخير فقد ذهب الى ما روي عن ام حبيبة سالت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله المراة منا ربما يكون لها زوجان في الدنيا لايهما تكون في الاخرة قال
تخير فتختار احسنهما خلقا معها ثم قال عليه السلام ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والاخرة هذا ولابي داود
من حديث ابي مالك الاشجعي انا وامراة سفعاء الخدين كهاتين في الجنة امراة تأيمت عن زوجها وحبست
نفسها على اولادها حتى بانوا او ماتوا ولابي يعلى عن ابي هريرة حرم الله على كل ادمي الجنة ان يدخل قبلي
غير اني انظر عن يميني فاذا امراة تبادرني الى باب الجنة فاقول ما لهذه تبادرني فيقال يا محمد هذه
امراة كانت حسناء جميلة وكانت عندها يتامى لها فصبرت عليهن حتى بلغ امرهن الذي بلغ فشكر
الله لها ذلك ومما يجب عليها من حقوق النكاح اذا مات عنها زوجها ان لا تحد عليه اكثر من اربعة اشهر
وعشر ليال فتجتنب في تلك المدة الطيب والزينة قالت زينب بنت ابي سلمة دخلت ام حبيبة زوج النبي
صلى الله عليه وسلم حين توفي ابوها ابو سفيان بن حرب فدعت بطيب فيه صفرة خلوق او غيره فدهنت لمست
به جارية ثم مست بعارضيها ثم قالت والله ما لي بالطيب من حاجة غير اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول لا يحل لامراة تؤمن بالله واليوم الاخر ان تحد على ميت اكثر من ثلثة ايام الا على زوج اربعة اشهر
وعشرا رواه الشيخان ومن الكمل اداب المراة ترك المطالبة بما وراء الحاجة كما يشير اليه قوله تعالى يا ايها النبي قل
لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها الاية ولا تهتم بالتعفف عن كسب الحرام ولقد
كانت عادة النساء في السلف الكرام كان الرجل اذا خرج من منزله تقول امراته او ابنته اياك وكسب الحرام
فانا نصبر على الجوع والضر ولا نصبر على النار وهم رجل من السلف للسفر فكره جيرانه سفره فقالوا لزوجته
لم ترضين ولم يدع لك نفقة فقالت زوجي منذ عرفته عرفته اكالا وما عرفته رزاقا ولي رزاق وهو الخلاق
فيذهب الاكال ويبقى الرزاق وخطبت رابعة بنت اسماعيل احمد بن ابي الحواري فكره ذلك لما كان فيه
من العبادة فقال لها والله ما لي همة في شيء لشغلي بحالي فقالت والله اني لا اشتغل بحالي ما لي شهوة
ولكني ورثت مالا جزيلا من زوجي فاردت ان تنفقه على اخوانك واعرف بك الصالحين فيكون طريقا
الى الله فقال حتى استاذن استاذي فرجع الى ابي سليمان الداراني قال وكان ينهاني عن التزوج
ويقول ما تزوج احد من اصحابنا الا تغير فلما سمع كلامها قال تزوج بها فانها ولية الله هذا كلام الصديقين
قال فتزوجها فكان في منزلها كرسي من جص فتغير من غسل الايدي المستعجلين للخروج بعد الاكل فضلا عمن غسل
بالاشنان قال وتزوجت عليها ثلاث نسوة فكانت تطعمني الطيبات وتطيبني وتقول اذهب بنشاطك طك
وقوتك الى ازواجك وكانت هذه تشبه في اهل الشام برابعة العدوية في البصرة ومن حقهما حال الولد اي من
حقوقه فللطبراني من حديث ابن عمر قال رجل يا رسول الله ابر قال بر والديك فقال ليس لي والدان فقال بر ولدك

نكي ان لو الديك عليك حقا كذلك لولدك عليك حق وان ينتهه كيلا يصير طبعا له في كبره ان يتحاشى
الى نبيا كرامه حينئذ فلا يقال بكون وتلقنه كلمة التوحيد في اول ما ينطق به اللسان فعن رواية ابن السني
عن ابن عمر مرفوعا اذا افصح الولد فليعلمه لا اله الا الله وهو شامل للتلقين مبناه وتبيين معناه
وفي رواية له ايضا عن انس انه عليه السلام كان اذا افصح الولد من بني عبد المطلب علمه وقل الحمد لله الذي
لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا القول ايضا وبيان سبب تعليم
سورة الاخلاص والفاتحة وتعليمه علوم الدين اي اصول الشريعة وفروعها وليمنعه عن تعلم المنطق
والكلام والهيئة والحكمة وسائر علوم الفلاسفة لما ورد عنه عليه السلام اللهم اني اسالك علما نافعا
واعوذ بك من علم لا ينفع والكتب به في الهاء ووسيلة الوقاية الرواية والدراية وهي من الباب الهداية في البداية
والنهاية والرمي لقوله تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة وقوله عليه السلام الا ان القوة الرمي وقد
سبق ما ورد في فضل فعله وذم تركه والسباحة وكذا معرفة الغوص في الماء ولعله لا يحتاج اليه في سفر
البحر للحج والغزو لانهما مقصودان سيما البحر افضل من سفر البر ومن اللطايف ان نحويا خاطب
بحريا فقال هل تعلمت النحو قال لا قال ضيعت نصف عمرك فسكت حتى هاج البحر فقال هل تعلمت السباحة
يا نحوي فقال لا فقال ضيعت جميع عمرك ويؤدب اي وليضرب ونحوه لست سنين اي اذا خالف
في اداب الصالحين واخلاق المحسنين او فيما يتعلق بحقوق الوالدين والاقربين فللبيهقي
عن ابن عباس مرفوعا من حق الولد على الوالد ان يحسن ادبه ويحسن اسمه والادب دون ست سنين
فتاديبه باللسان والا فاحسان ويعزل الفراش اي عن امه واخته ونحوهما لسبع سنين لانه حينئذ
وقت تمييزه بابن النساء وغيرهن ويضرب على الصلاة اي على تركها لعشر اي حتى يتدرب بفعلها وتحمل
ثقلها ولابي داود والبيهقي مرفوعا اذا عرف الغلام يمينه عن شماله فمروه بالصلاة وروي لثلاث
عشرة اي فانه قارب البلوغ ويزوج لست عشرة لتحقق البلوغ حينئذ فيجب صيانته ولابن السني
عن انس مرفوعا اضربوه على الصلاة لسبع واعزلوا فراشه لتسع وزوجوه لسبع عشرة فاذا فعل ذلك
فليجلسه بين يديه ثم ليقل لا جعلك الله علي فتنة ورواه ابو الشيخ عن انس بلفظ فاذا بلغ سبع
سنين عزل فراشه فاذا بلغ ثلاث عشرة ضرب على الصلاة فاذا بلغ ست عشرة زوجه ابوه ثم اخذه
بيده ويقول قد ادبتك وعلمتك وانكحتك اعوذ بالله من فتنتك في الدنيا وعذابك في الاخرة ويسوي بين
الاولاد في الهدايا فعنه عليه السلام رحم الله والدا اعان ولده على بره اي لم يحمله على عقوقه بسوء عمله
في حقوقه ابو الشيخ وابن حبان في كتاب الثواب عن علي وابن عمر رضي الله عنهم وجاء رجل الى عبد
الله بن المبارك فشكى اليه بعض ولده فقال هل دعوت عليه فقال نعم قال انت افسدته ويبدا اي وليبدا بالعطا
بالاطفال اي لصغرهم وقلة صبرهم والبنات لحزنهن عن كسرهن نساء وابدا ان وذكم في العطية
كذا في الاحيا ولم يتعرض له في مختصر الجامع الصغير بلفظ ساووا بين اولادكم في العطية فلو كنت مفضلا
احدا لفضلت النساء الطبراني والخطيب وابن عساكر عن ابن عباس والظاهر ان القبلة ونحوها في حضورهم

حضورهم ينبغي فيها التسوية قياسا على العطية بخلاف زيادة المحبة القلبية فانها ليست من الافعال
الاختيارية كما وقع ليعقوب في يوسف واخوته في تلك القضية ثم الظاهر ان التسوية في العطا انما
هو اذا كانوا كلهم فقراء او اغنياء واما اذا كان بعضهم فقراء فزادهم في العطاء فلا باس به بل يجب عليه نفقة
ذوي الرحم المحرم عندنا بهذا وفي الجملة الولد محل المرحمة فقد عثر الحسين وهو عليه السلام على منبره فنزل ل
فحمله وقرا قوله تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة كذا في الاحيا وقال مختصره رواه اصحاب السنن من حديث
ابن بريدة في الحسن والحسين يمشيان ويعثران قال الترمذي حسن غريب وللنسائي من رواية عبد الله
بن شداد عن ابيه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بالناس اذ جاء الحسن او الحسين فركب
عنقه وهو ساجد فاطال السجود بالناس حتى ظننا انه قد حدث امر فلما قضى صلاته قالوا قد اطلت
حتى ظننا انه قد حدث امر فقال ان ابني قد ارتحلني فكرهت ان اعجله حتى يقضي حاجته اي يفرغ
غرضه من ملاعبته ورواه الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين وراى الاقرع بن حابس النبي عليه
السلام وهو يقبل ولده الحسين فقال ان لي عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم فقال عليه السلام
ان من لا يرحم لا يرحم البخاري عن ابي هريرة ولابي حفظ الذهبي في ترجمة اسامة من كتابه سير النبلاء
عن مجالد عن الشعبي عن عائشة قالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما اغسل وجه اسامة فجعلت
اغسله وانا انفة فضرب بيدي ثم اخذه فغسل وجهه ثم قبله ثم قال قد احسن اذ لم يكن جارية يعني لميل
لحوجنا الى الحلية وكسوة الزينة والتزويج ونحوه فيه المحنة ولحديث احمد عن عائشة ان اسامة عثر بعتبة
الباب فدمي فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يمصه ويقول لو كان اسامة جارية لحليتها ولكسوتها حتى
انفقها وان ده صحيح وعنه عليه السلام الولد ريح الجنة الخرائطي وابن حبان في الضعفاء عن ابن
عباس وقد قيل والولد ريحانة سبعا وخادم سبعا ثم هو عدو او شريك وقال يزيد بن معاوية
ارسل الى الاحنف بن قيس فلما وصل اليه قال يا ابا الحسن ما تقول في الولد فقال يا امير المؤمنين ثمار
قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لهم ارض ذليلة وسماء ظليلة وبهم نصول على كل جليلة فان طلبوا فاعطهم
وان غضبوا فارضهم يمنحوك ودهم ويحبوك جهدهم ولا تكن عليهم ثقلا فيملوا حياتك ويحبوا وفاتك
ويكرهوا قربك فقال له معاوية لله انت يا احنف لقد دخلت علي وانا مملوء غضبا وغيظا على يزيد فلما
خرج الاحنف من عنده رضي على يزيد وبعث اليه بمائتي الف درهم ومائتي ثوب فارسل يزيد الى الاحنف
بمائة الف درهم ومائة ثوب فقاسمه اياها على الشطر ثم اعلم ان اكثر العلماء على ان طاعة الوالدين
واجبة في الشبهات حتى اذا كانا يتنغصان بانفرادك عنهما بالطعام فعليك ان تاكل معهما لان ترك
الشبهة ورع ورضا الوالدين حتم وكذلك ليس لك ان تسافر في مباح او نافلة الا باذنهما والمبادرة
الى الحج الذي هو فرض الاسلام نفل على القول بالتراخي والخروج لطلب العلم نفل الا اذا كنت تطلب الفرض
العيني من الصلاة والصوم ونحوهما ولم يكن في بلدك من يعلمك وذلك كمن يسلم ابتداء في بلد ليس فيها من يعلمه
شريعة الاسلام فعليه الهجرة من ذلك المقام ولا يتقيد بحق الوالدين قال ابو سعيد الخدري هاجر رجل الى

رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليمن ومن اراد اليها فقال عليه السلام باليمن ابواك قال نعم قال اكلم
اذناك فقال لا قال عليه السلام فارجع الى ابويك فاستاذنهما فان فعلا فجاهد والا فبرهما فان
ذلك خير ما تلقى الله به بعد التوحيد احمد وابن حبان وجاء اخر اليه صلى الله عليه وسلم يستشيره في الغزو فقال
الك من ام قال نعم قال فالزمها فان الجنة تحت قدميها ابن ماجه والحاكم من حديث معاوية بن جاهمة
ان جاهمة اتى النبي صلى الله عليه وسلم قال الحاكم صحيح الاسناد وجاء اخر وطلب البيعة على الهجرة وقال
ما جئتك حتى ابكيت فقال ارجع اليهما فاضحكهما كما ابكيتهما ابو داود والنسائي وابن ماجه والحاكم من
حديث عبد الله بن عمرو وقال صحيح الاسناد ويتوضأ اي مولاه اي موت ولده ويصلي ركعتين عند
تقدم لقوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة ويأخذ بناصيته المشترى اي من العبد والجارية والدابة
ويدعو بالبركة ويقول اللهم بارك لنا فيه وارزقنا خيره واكفنا شره واجعله طويل العمر كثير الرزق اللهم
اعطني خيره انت اخذت بناصيته انك على صراط مستقيم ويذيقه اي العبد او الجارية اكلة اي شيئا من الحلو
اولا اي تفاؤلا بحلاوته اخرا فانه اطيب لنفسه الطبراني في الاوسط والخرائطي ويطعمه مما يطعم اي
مما يأكله بنفسه والاولى ان يأكل معه اي تواضعا به وكما في الصحيحين وان لم يأكل معه وان ابى فليناوله
ومن رواية اذا كفى احدكم مملوكه صنعة طعامه وكفاه حره ومؤنته وقربه اليه فليجلسه فليأكل معه او
ليأخذ اكلة فيروغها واشار بيده وليضعها في يده وليقل كل هذه والبيهقي في تاريخه والبيهقي عن
ابي هريرة مرفوعا برئ من الكبر من اكل معه خادمه وركب الحمار في الاسواق واعتقل الشاة فحلبها
ويكسوه مما يكتسي ولا يكلفه ما لا يطيق وكان عمر رضي الله عنه يذهب الى العوالي في كل سبت فاذا وجد
عبدا في عمل لا يطيقه وضع عنه وروى عن ابي هريرة انه راى رجلا على دابة وغلامه يسعى خلفه
فقال له يا عبد الله احمله فانه اخوك روحه مثل روحك ثم قال لا يزال العبد يزداد من الله بعدا ما مشى خلفه
وقد دخل رجل على سلمان وهو يعجن فقال يا عبد الله ما هذا فقال بعثنا الخادم في شغل وكرهنا ان
نجمع عليه عملين ويمسكه ما احب اي ما دام يحب امساكه ولا يعذبه اي مملوكه اذا لم يحب امساكه بل يبيعه
فالكل لكلام نور منقى ابي داود من حديث علي كان اخر كلامه عليه الصلاة والسلام الصلاة الصلاة اتقوا
الله فيما ملكت ايمانكم وفي الصحيحين من حديث انس كان اخر وصيته عليه السلام حين حضره الموت الصلاة ة
الصلاة وما ملكت ايمانكم وفيهما من حديث ابي ذر اطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون ولا تكلفو هم
ما يغلبهم فان كلفتموهم فاعينوهم وهذا لفظ مسلم وفي رواية لابي داود من لايمكم من مملوكيكم فاطعموهم
مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون ومن لا يلايمكم منهم فبيعوه ولا تعذبوا خلق الله تعالى فان الله ملككم
اياهم ولو شاء ملكهم اياكم واسناده صحيح وفي رواية لمسلم من حديث ابي هريرة للمملوك طعامه وكسوته بالمعروف
ولا يكلفه من العمل ما لا يطيق وورد كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته رواه الشيخان عن ابن عمر ولا يضرب
عبثا اي من طريق العبث بل تاديبا اي يضربه على سبيل الادب فيكون تعذيبا لا تعذيبا ففي صحيح
مسلم عن ابي مسعود الانصاري قال بينا انا اضرب غلاما لي فسمعت صوتا من خلفي اعلم ابا مسعود

مرتين فالتفت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فالقيت السوط من يدي فقال والله لله اقدر عليك
منك على هذا وعن ابي المتوكل ان رجلا من اصحابه عليه السلام ضرب عبدا له فجعل العبد يقول اسا لك
بالله اسالك بالله اسالك بوجه الله فلم يعفه فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صياح العبد فانطلق اليه
فلما راه امسك يده فقال عليه السلام سألك بوجه الله فلم تعفه فلما رايتني امسكت يدك قال فانه حر
لوجه الله يا رسول الله فقال لو لم تفعل لسفعت وجهك النار ابن المبارك في الزهد هكذا مرسلا
وفي صحيح مسلم من حديث ابي سعيد فجعل يقول اعوذ بالله قال فجعل يضربه فقال اعوذ برسول الله فتركه
وفي رواية له فقلت هو حر لوجه الله فقال اما انك لو لم تفعل للفحتك النار او لمستك النار وللترمذي عن ابي
سعيد اذا ضرب احدكم خادمه فذكر الله فارفعوا ايديكم ان على ذلك لا يضربه على ما صدر منه من عثرة
او غفلة ونسيان اي تخلقا باخلاق الله حيث عفا عن الخطأ والنسيان كما يشير اليه قوله تعالى ربنا
لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا وحديث رفع عن امتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه وقيل للا حنف
بن قيس ممن تعلمت الحلم قال من قيس بن عاصم قيل فما بلغ من حلمه قال بينما هو جالس في داره اذ
اتته جارية بسفود عليه شواء فسقط السفود من يدها على ابن له صغير فمات فدهشت الجارية فقال
ليس يسكن روع هذه الجارية الا العتق انت حرة لوجه الله لا باس عليك وكان عند ميمون
بن مهران ضيف فاستعجل على جاريته بالعشاء فجاءت مسرعة ومعها قصعة مملوءة فعثرت واراقتها على
راس سيدها فقال يا جارية احرقتني قالت يا معلم الخير ومؤدب الناس ارجع الى ما قال الله تعالى قال وما قال
الله تعالى قالت والكاظمين الغيظ قال قد كظمت غيظي قالت والعافين عن الناس قال قد عفوت عنك
قالت زدني ان الله يقول والله يحب المحسنين قال انت حرة لوجه الله ولا يزيد على ثلاث اي ضربات
ثلاث اذا كان الذنب صغيرا واما اذا كان كبيرا فينقص من الاربعين فانه غاية التعزير فانه اي المزيد
عليه قصاص اي ينقص منه يوم القيامة وورد اعف عنه اي عن الخادم سبعين مرة لمن قال كم اعفو قال ابو
داود والترمذي وقال حسن صحيح عن ابن عمر جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كم نعفو
عن الخادم فصمت ثم قال اعف عنه كل يوم سبعين مرة وكان عون بن عبد الله اذا عصاه خادمه
قال له ما اشبهك بمولاك مولاك يعصي مولاه وانت تعصي مولاك فاغضبه يوما فقال انما تريد ان اضربك
اذهب فانت حر ويعتق اي المملوك ان طالت المدة وطول المدة يكون بسبع سنين فاكثر على ما في شرح
الشرعة فيه العتق من النار لقوله عليه السلام من اعتق رقبة مؤمنة اعتق الله بكل عضو منها عضوا منه من
النار حتى فرجه بفرجه رواه الشيخان عن ابي هريرة وفيهما ايضا عنه عليه السلام من كانت عنده جارية
فعالها واحسن اليها ثم اعتقها وتزوجها فله اجران وقالت جارية لابي الدرداء اني سممتك منذ سنة
وما عمل فيك شيئا فقال لم فعلت ذلك فقالت اردت الراحة منك قال اذهبي فانت حرة لوجه الله اقول
ولعلها كانت مدبرة ولا يعزل معه اي لا يمزح مع مملوكه فهو يسقط الوقار اي الهيبة والرأفة فلا يحبه
بعد ذلك الحد من المهابة وهذا وفي الصحيحين عن ابن عمر مرفوعا اذا نصح العبد لسيده واحسن عبادة الله فله

اربع مرتين ولما اعتق ابو رافع بكى وقال كان لي اجران فذهب احدهما ويهذب اهل البيت من الزوج
والزوجة والخدم بالرياضة اي بتحسين الاخلاق لا سيما الولد المراهق اي المقارب لسن البلوغ الاولى
ووقع فيه تكليف الخالق فهو اي التهذيب في حال الصغر ايسر اي اسهل على كل منهما مرة واي في قوله
تعالى يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم واهليكم اي احفظوها نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة
غلاظ شداد لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون ولا يتجاهلوا انا اي لا بد دسه فانه يسئل
عنه اي يهمل كان عبثا او عمدا او خطأ او نسيانا وقد قال تعالى حكاية عن النمل لا يحطمنكم سليمان وجنوده
وهم لا يشعرون وقد قيل الدين ان لا يؤذي الذر ويطوف طوافات البيت اي يجوز ان لا يخلو في بيته
الا ما والعبيد الصغ ودون الخمس والعبيد الكبار فهو كما نور اي مروي في الكتاب والسنة قال تعالى
يا ايها الذين امنوا ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلث مرات من قبل صلاة
الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم
جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله ولا يبعد ان يراد بالطوافات
الهرات فعن كبشة بنت كعب بن مالك وكانت تحت ابن ابي قتادة دخل عليها فسكبت له وضوءا فجاءت
هرة تشرب منه فاصغى لها الاناء حتى شربت قالت كبشة فرآني انظر فقال اتعجبين يا ابنة اخي فقلت
نعم قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انها ليست بنجس انها من الطوافين عليكم والطوافات رواه نسخه م
الاربعة وقال الترمذي حسن صحيح ولا يضرب اي حتى الدواب على الوجه ولا يعذب اي الوجه ونحوه بالنار
اي بالكي ونحوه واختلف في تجويز تحريق الزنديق فنهى عنهما فلابي داود عن ابي هريرة اذا ضرب احدكم
فليتق الوجه وللترمذي والحاكم عن عمران انه عليه السلام نهى عن الكي ويعرض الا والعلق على التوس الا
الجهاد ونحوه سبعين مرة ولعله اريد به الكثرة للمبالغة والا فقد سبق حديث للمملوك طعامه وكسوته بالمعروف
وقد ورد في الفرس ذلك اي الفداء لراكبه وحسن خلقه اي لصاحبه وقد تقدم والله اعلم ولا يدخل
على الظلمة اي الشاملة للكفرة والفجرة قال تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار قال اهل ... ان يسلم
منه الا حوالي ان يعتزل عنهم فلا تراهم ولا يرونك دون هذه الحالة ان يدخلوا عليك ويترددوا اليك
وشر الحوالين ان تدخل عليهم ويتوسل اليهم وهذا مذموم في الكتاب والسنة نهيا عن استعمال دارهم
اي المغصوبة من اهل ديارهم ومظلتهم اي ومكان ظل خيمهم وارتحى ربهم واقراشهم اي بساطهم
ودثار بهم فلا تخلو عن حرام وقد قال تعالى وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم وهو بعموم مبناه يشمل
الاحياء والاموات وان كان المقصود الاموات ويرادف معناه ولما وصف عليه السلام امرا الظلمة قال فمن
تابعهم تبعهم ومن اعتزلهم سلم اوكاد يسلم ومن وقع معهم في دنياهم فهو منهم الطبراني عنه حديث ابن عباس بسند ضعيف
وفي رواية ومن خالطهم هلك وانما قال اوكاد يسلم لان من اعتزلهم سلم من اثمهم ولكن ان لا يسلم من
عذاب ينعم معهم ان نزل بهم لترك المنابذة والمنازعة والتواضع لهم اي ومن الخضوع والمذلة والمسكنة المستلزم
لاكرام الظلمة من تعظيم ان يركع او يسجد او يتمثل له قائما في الخدمة والتواضع للظالم من المعصية بل من تواضع لغني لبس

ليس بظالم لاجل غناه لمعنى اخر يقتضي التواضع نقص ثلثا دينه فكيف اذا تواضع للظالم فلا يباح
له الا مجرد السلام فاما تقبيل اليد والانحناء فلا الا عند خوف ولقد بالغ بعض السلف حتى امتنع عن
رد جوابهم في السلام تارعا الا حياء ونية نظرا ان ذلك وجب فلا ينبغي ان يسقط بالظلم قلت
قد يسقط بادنى من ذلك ومن جملته انه عليه السلام ما رد جواب من لبس ثوبا احمر فورد ضرارهم فاسقا وهو
مرتكب الحرام وكان الاكرام من غير ضرورة في ذلك الكلام فقد اعان على هدم الاسلام اي على تعطيل
بعض اركانه بتعظيم الظالم الذي يجب الاهانة في شانه والحديث غريب بهذا اللفظ والمعروف ومن وقر
صاحب بدعة رواه ابن عدي من حديث عائشة والطبراني في الاوسط وابو نعيم في الحلية من حديث
عبد الله بن بشر باسناد ضعيف والسكوت اي ومن علامة الانكار بلسانه عن منكر رآه عندهم
اي وقد علم انه ينكر باللسان عليهم كان يكون من العلماء او المشايخ العظام وذلك كما يرى في مجلسهم
من الفرش الحرير واواني الفضة والحرير الملبوس عليهم وعلى غلمانهم مما هو حرام من خاتم الذهب ونحوه
وكل من راى سيئة وسكت عليها فهو شريك في تلك السيئة فان قلت انه يخاف على نفسه فهو معذور
في السكوت فهذا حق لكنه مستغن عن ان يعرض نفسه لارتكاب ما لا يباح الا بعذر فانه لو لم يدخل
ولم يشاهد لم يتوجه عليه الخطاب بالحسبة حتى يسقط عنه بالعذر وعند هذا اقول من علم فسادا في
موضع وعلم انه لا يقدر على ازالته فلا يجوز له ان يحضر ذلك الموضع ليجري ذلك الفساد بين يديه وهو
يشاهده ويسكت عليه والدعاء لهم بالبقاء اي حال التحية او وقت الاعطاء فورد فمن دعا لظالم بالبقاء
فقد احب ان يعصى الله في ارضه اي من ان يبدأ الا بتقية والحديث ذكره الزمخشري في تفسيره والغزالي
في الاحياء قال السبكي ولم اجده في المرفوع بل اخرجه ابو نعيم في الحلية من قول سفيان الثوري وقال
العراقي رواه ابن ابي الدنيا من قول الحسن البصري وكذا قال العسقلاني في تخريج الكشاف والمدح
اي ومن الثناء للفاسق وان صدق اي في مدحه وكذا ان صدقه فيما يقوله من باطل بصريح قوله او
بتحريك راسه او باستبشار في وجهه فهو اعانة على الاثم وتحريك للرغبة في المعصية والاعانة على المعصية
معصية ولو بشطر كلمة لانه بسبب مدحه يجترى على ظلمه وفسقه وورد ان الله يغضب اذا مدح الفاسق
ابن ابي الدنيا وابن عدي وابو يعلى والبيهقي عن انس وقد سئل سفيان عن ظالم اشرف على الهلاك
في برية هل يسقى شربة ماء فقال لا دعه حتى يموت لان ذلك اعانة له وقال غيره يسقى الى ان تثوب اليه
نفسه ثم يعرض عنه وانما يجوز له ان يدعو بقوله اصلحك الله او وفقك للخيرات او طول عمرك في
الطاعات والمحبة لهم بان يظهر لهم الموالاة والاشتياق الى الميل قاله بهم اراده الظلمة اي ميلهم فيكون
شريكا لهم في الاثم معهم ثم ان كان كاذبا عصى بمعصية الكذب والنفاق وان كان صادقا عصى بحبه بقاء
ظالم في الافاق وحقه ان يبغضه في الله ويمقته فالبغض في الله والحب واجب ومحب المعصية والراضي بها عاص ومن
ظالما فان احبه لظلمه فهو عاص لمحبته وان احبه بسبب اخر فهو عاص من حيث انه لم يبغضه وان اجتمع في شخص
خير وشر وجب ان يحب لذلك الخير ويبغض لذلك الشر وقد حكي عن بعض عباد البصرة انه كان يأخذ اموالا من

ان مراد بعرضها على الفقراء فقيل له الا تخاف ان تحبهم فقال لو اخذ رجل بيدي وادخلني الجنة ثم عصى
ربه ما احبه قلبي لان الذي سخره لي لاخذ بيدي هو الذي ابغضه لاجله شكرا له على تسخيره اياه اقول
وهذا مقام دقيق لان الطبع يميل الى من يحسن اليه كما روي عن عايشة رضي الله عنها جبلت القلوب
على حب من احسن اليها وبغض من اساء اليها كذا في الاحيا وهو من رواية البيهقي في الشعب عن ابن مسعود
مرفوعا وموقوفا ويؤيده حديث اللهم لا تجعل لفاجر عندي يدا فيحبه قلبي رواه ابن مردويه في التفسير
عن رجل لم يسم والديلمي عن معاذ وروي ان بعض الامرا ارسل الى مالك بن دينار بعشرة الاف
فاخذها كلها فاتاه محمد بن واسع فقال ما صنعت بما اتاك به هذا المخلوق فقال سل اصحابي فسالهم فقالوا
اخرجه كله فقال انشدك الله قلبك اشد حبا له الان ام قبل ان ارسل اليك فقال بل الان فقال انما كنت
اخاف هذا وقد صدق فانه اذا احبه احب بقاءه وكره عزله ونكبته وموته وكل ذلك حب لاسباب الظلم
وهو مذموم عند اهل العلم والحاصل نعمه تعالى أي وعن التضاد نعمه سبحانه الظاهرة والباطنة عليه
من العلم والعمل وعليه اختيار الفقر والقناعة بالكفاية للقيام بالطاعة برؤية التوسيع عليهم ومشاهدة
اسباب التنعم لديهم فللحاكم من حديث عبد الله بن الشخير وصححه اقلوا الدخول على الاغنياء فانه اجدر
ان لا تزدروا نعم الله عز وجل وقد تقدم حديث ابي هريرة ابغض القراء الى الله الذين يأتون الامرا
وحديث انس العلما امنا الرسول على عباد الله ما لم يخالطوا السلطان فاذا فعلوا ذلك فقد خانوا
الله ورسوله فاحذروهم واعتزلوهم ولابي عمرو الداني في كتاب الفتن من رواية الحسن مرسلا لا تزال
هذه الامة تحت يد الله وكنفه ما لم تمال قراءها امراءها ورواه الديلمي عن علي وابن عمر بلفظ ما لم تعظم
ابرارها فجارها ويداهن خيارها اشرارها ولابي داود والترمذي وابن ماجه عن ابن مسعود مرفوعا
لما وقعت بنوا اسرائيل في المعاصي نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا فجالسوهم في مجالسهم وواكلوهم وشاربوهم بهم
فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم واللفظ للترمذي وقال
حسن غريب والحاصل ان الافضل في حقه ان يعتزل عنهم واذا خطر بباله تنعمهم فليذكر ما قال حاتم
الاصم ان ما بيني وبين الملوك يوم واحد اما امس فلا يجدون لذته واني واياهم في غد على وجل وانما
هو اليوم فعسى ان يكون في اليوم وما قال ابو الدرداء ان اهل الاموال يأكلون ونأكل ويشربون ونشرب
ويلبسون ونلبس ولهم فضول اموال ينظرون اليها وننظر معهم اليها وعليهم حسابها ونحن منها براء
قلت وهو مقتبس من قوله تعالى ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون
الا استثناء منه قوله وان يدخل على الظلمة الا لرعاية طاعة الرعية فلعله يريد حديث انس اسمعوا
واطيعوا وان استعمل عليكم عبد حبشي كان راسه زبيبة ولمسلم في حديث ابي هريرة رضي الله عنه عليك
بالطاعة في منشطك ومكرهك وله ايضا عنه من خرج من الطاعة وفارق الجماعة ثم مات مات ميتة جاهلية
ودفع الشاذ أي ولدفع شر الاذى والظلم عن نفسه او غيره من اهله ونحوه فيدخل أي حينئذ مراعيا
حقه تعالى حيث قال يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم ويكرم أي بالقيام

بالقيام ونحوه كرها ان دخلوا أي الظلمة عليه أي معتقدين لا لاجل مكافاة عليه لا لكرامة أي بنية زيادة
لا كرامه أي اكرام الظالم له عز الدين أي لعزة اهله من اهل العلم والعمل به وقد قال تعالى هل جزاء الاحسان
الا الاحسان وقد سبق حديث اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه ورعاية للحشمة بين الرعية أي في السلك
ويجوز الاهانة في الحال أي بترك القيام وترك زيادة الكلام بعد رد السلام وعند العلم بعدم اضطراب
الرعية أي من الامرا والوزرا اذا كان اهانته بنية اعزاز الدين واهله من العلماء المجتهدين وتحقير الظلمة
أي في نظرهم واظهار الغضب له تعالى كما هو واجب على اهل العلم وغيرهم كما ورد في احاديث الحب في الله
والبغض في الله ولقد دعي سعيد بن المسيب الى البيعة للوليد وسليمان ابني عبد الملك بن مروان فقال
لا ابايع اثنين ما اختلف الليل والنهار فان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن بيعتين فقال ادخل من
الباب واخرج من الباب الاخر قال والله لا يقتدي بي احد من الناس فجلد مائة والبس المسوح رواه
ابو نعيم في الحلية باسناد صحيح والحاصل انه لا يجوز الدخول عليهم الا بعد ان يكون من جهتهم امر الزام
لا امر اكرام وعلم انه لو امتنع اوذي او فسد عليهم طاعة الرعية واضطرب امر السياسة العرفية فيجب
عليه حينئذ الاجابة طاعة لهم ومراعاة لمصلحة الخلق حتى لا يضطرب امر الولاية وان صلى الا تشفعا
من التعلب أي في تحمة برضا الرب وبنية الاصلاح أي يحملهم على صلاح حالهم وفلاح مالهم لا لاظهار
انه بانه من اهل العلم والصلاح وانه من الفائزين بالنجاة والنجاح فان العاقبة مستورة فينبغي
ان تكون النية في هذه الامور صحيحة مبرورة زهو أي ما ذكر من نية الاصلاح وعلامة الاشتغال يعرف
بالفرصة عند حصول الموعظة أي للظلمة من غيره أي الموجودين من الوعاظ الابرار والعلما الكبار ثم اذا
ابتلي بالدخول عليهم يجب ان ينصحهم فقد ورد ان الدين النصيحة قيل لمن قال لله ولكتابه ولرسوله
ولائمة المؤمنين وعامتهم روي عن محمد بن صالح قال كنت عند حماد بن سلمة واذا ليس في البيت الا حصير
وهو جالس عليه ومصحف يقرا فيه وجراب فيه علمه ومطهرة يتوضأ فيها فبينا انا عنده اذ دق داق
الباب فاذا هو محمد بن سليمان فاذن له فدخل وجلس بين يديه ثم قال له ما لي اذا رايتك امتلأت
منك رعبا قال حماد لانه قال عليه السلام ان العالم اذا اراد بعلمه وجه الله هابه كل شيء وان اراد ان
يكثر به الكنوز هاب كل شيء ثم عرض عليه اربعين الف درهم وقال تاخذها وتستعين بها قال اردها على
من ظلمته بها قال والله ما اعطيتك الا ما ورثته قال لا حاجة لي فيها قال فتاخذها وتقسمها قال لعلي ان عدلت
في قسمتها ان يقول بعض من لم يرزق منها انه لم يعدل في قسمتها فياثم فازوها عني كذا في الاحيا وقال
مخرجه حديث حماد بن سلمة مرفوعا هذا معضل وروى ابو الشيخ بن حبان في كتاب الثواب من حديث
واثلة بن الاسقع من خاف الله خوف الله منه كل شيء ومن لم يخف الله خوفه الله من كل شيء وللعقيلي في الضعفا
من حديث ابي هريرة نحوه والا وان لم يجب عليهم وعن خواصهم لئلا يقع في طمع جاههم واموالهم والتغافل
عن احوالهم بالتجاهل عن افعالهم واقوالهم مع الاشتغال بعيوب نفسه ومحاسبة يومه وامسه ومذاكرة الموت
وما بعده من حال رمسه فمن حذيفة اياكم ومواقف الفتن قيل وما ذاك قال ابواب الامرا يدخل احدكم عليه

الامير يصدقه بالكذب ويقول ما ليس فيه وقال ابو ذر لسلمة يا سلمة لا تغش ابواب السلاطين فانك لا تصيب
من دنياهم شيئا الا اصابوا من دينك افضل منه وقال سفيان في جهنم واد لا يسكنه الا القراء الزائرون
للملوك وان اقرأ وقال الاوزاعي ما من شيء ابغض الى الله عز وجل من عالم يزور عاملا وقال سمنون ما اقبح
بالعالم يؤتى الى مجلسه فلا يوجد فيسأل عنه فيقال انه عند الامير قال وكنت اسمع انه يقال اذا رأيتم
العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم حتى جربت اذ ما دخلت قط على هذا السلطان الا وحاسبت
نفسي بعد الخروج فارى عليها الدرك مع ما اواجههم به من الغلظة والمخالفة لهواهم وقال ابو ذر في حديث
من كثر سواد قوم فهو منهم اي من كثر سواد الظلمة وقال ابن مسعود ان الرجل ليدخل على السلطان ومعه
دينه فيخرج وما معه دينه قيل له لم قال لانه يرضيه بسخط الله وقال الفضيل ما ازداد رجل من ذي سلطان قربا
الا ازداد من الله بعدا وقال وهب هؤلاء الذين يدخلون على الملوك لهم اضر على الامة من المقامرين
وقال محمد بن مسلمة الذباب على العذرة احسن من قارئ على باب هؤلاء ولما خالط الزهري السلطان ن
كتب اخ له في الدين اليه عافانا الله واياك ابا بكر من الفتن فقد اصبحت بحال ينبغي لمن عرفك ان يدعو لك
ويرحمك اصبحت شيخا كبيرا وقد اثقلتك نعم الله بما فهمك من كتابه وعلمك من سنة نبيه صلى الله عليه وسلم وليس
كذلك اخذ الله الميثاق على العلماء قال عز وجل واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس
ولا تكتمونه واعلم ان ايسر ما ارتكبت واخف ما احتملت انك آنست وحشة الظالم وسهلت سبيل
الغي بدنوك ممن لم يؤد حقا ولم يترك باطلا حين ادناك اتخذوك قطبا تدور عليك رحى ظلمهم وجسرا يعبرون
عليك الى بلائهم وسلما يصعدون فيه الى ضلالتهم يدخلون بك الشك على العلماء ويقتادون
بك قلوب الجهال فما ايسر ما عمروا لك في جنب ما خربوا عليك وما اكثر ما اخذوا منك فيما افسدوا عليك من
دينك فما يؤمنك ان تكون ممن قال الله تعالى فيهم فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات
الآية وانك تعامل من لا يجهل ويحفظ عليك من لا يغفل فداو دينك فقد دخله سقم وهيئ زادك فقد حضر
سفر بعيد وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء والسلام فان قلت فقد كان علماء السلف
يدخلون على السلاطين فاقول نعم فتعلم الدخول منهم ثم ادخل فقد حكي ان هشام بن عبد الملك قدم
حاجا الى مكة فلما دخلها قال ائتوني برجل من الصحابة فقيل يا امير المؤمنين قد تفانوا قال فمن التابعين
فاتي بطاوس اليماني فلما دخل عليه خلع نعليه بحاشية بساطه ولم يسلم عليه بامرة المؤمنين ولكن
قال السلام عليك يا هشام ولم يكنه وجلس بازائه وقال كيف انت يا هشام فغضب هشام حتى
هم بقتله فقيل له انت في حرم الله وحرم رسوله فلم يمكن ذلك فقال له يا طاوس ما الذي حملك على
ما صنعت فقال وما الذي صنعت فازداد غضبا وغيظا فقال خلعت نعليك بحاشية بساطي ولم تقبل
يدي ولم تسلم علي بامرة المؤمنين ولم تكنني وجلست بازائي بغير اذني وقلت كيف انت يا هشام
فقال اما ما فعلت من خلع نعلي بحاشية بساطك فاني اخلعهما بين يدي رب العزة كل يوم خمس مرات ولا
يعاقبني ولا يغضب علي واما قولك لم تقبل يدي فاني سمعت امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه

يقول لا يحل لرجل ان يقبل يد احد الا امرأته من شهوة او ولده من رحمة واما قولك لم تسلم علي بامرة
المؤمنين فليس كل الناس راضين بامرتك فكرهت ان اكذب واما قولك لم تكنني فان الله سمى
انبياءه فقال يا داود يا يحيى يا عيسى وكنى اعداءه فقال تبت يدا ابي لهب واما قولك جلست بازائي فاني
سمعت امير المؤمنين علي بن ابي طالب يقول اذا اردت ان تنظر الى رجل من اهل النار فانظر الى رجل
جالس وحوله قوم قيام فقال له هشام عظني فقال سمعت امير المؤمنين علي بن ابي طالب يقول ان
في جهنم حيات كالقلال وعقارب كالبغال تلدغ كل امير لا يعدل في رعيته ثم قام وهرب عن صحبته
وعن سفيان الثوري قال ادخلت على ابي جعفر بمنى فقال لي ارفع الينا حاجتك فقلت له اتق الله
فقد ملأت الارض ظلما وجورا قال فطأطأ راسه ثم رفع راسه فقال ارفع الينا حاجتك فقلت انما
انزلت هذه المنزلة بسيوف المهاجرين والانصار وابناؤهم يموتون جوعا فاتق الله واوصل اليهم
حقوقهم قال فطأطأ راسه ثم رفع راسه فقال ارفع الينا حاجتك فقلت حج عمر رضي الله عنه فقال لخازنه
كم انفقت قال بضعة عشر درهما وارى هاهنا اموالا لا تطيق حملها الجمال ولما استعمل عثمان بن عفان
العباس اتاه اصحاب النبي عليه السلام ومما حكى عنه ابو ذر وكان له صديقا فعاتبه فقال ابو ذر سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الرجل اذا ولي ولاية تباعد الله عنه كذا في الاحياء وقال مخرجه
لم اقف له على اصل وكان عمر بن عبد العزيز واقفا مع سليمان بن عبد الملك فسمع سليمان صوت
الرعد فجزع ووضع صدره على مقدم الرحل فقال عمر هذا صوت رحمته فسمع سليمان صوته عذابه فكيف اذا سمعت صح
ثم نظر سليمان الى الناس يوم عرفة فقال ما اكثر الناس فقال عمر خصماؤك يا امير المؤمنين فقال سليمان
ابتلاك الله بهم وحكي ان سليمان بن عبد الملك قدم المدينة وهو يريد مكة فارسل الى ابي حازم فدعاه
فلما دخل عليه قال له سليمان يا ابا حازم ما لنا نكره الموت قال لانكم خربتم آخرتكم وعمرتم دنياكم فكرهتم
ان تنتقلوا من العمران الى الخراب فقال يا ابا حازم كيف القدوم على الله قال يا امير المؤمنين اما المحسن
فكالغائب يقدم على اهله واما المسيء فكالآبق يقدم على مولاه فبكى سليمان وقال ليت
شعري ما لي عند الله فقال ابو حازم اعرض نفسك على كتاب الله حيث قال ان الابرار لفي نعيم وان
الفجار لفي جحيم قال سليمان فاين رحمة الله قال قريب من المحسنين ثم قال سليمان يا ابا حازم اي عباد
الله اكرم قال اهل المروءة والتقى قال فاي الاعمال افضل قال اداء الفرائض مع اجتناب المحارم قال فاي
المؤمنين اكيس قال رجل عمل بطاعة الله ودعا الناس اليها قال فاي المؤمنين اخسر قال من باع آخرته بدنيا
غيره قال سليمان ما تقول فيما نحن فيه قال او تعفيني قال لا ولكن نصيحة تلقيها الي قال يا امير المؤمنين ان
اباءك قهروا الناس بالسيف واخذوا هذا الملك عنوة من غير مشورة من المسلمين ولا رضا منهم حتى قتلوا
منهم مقتلة عظيمة وقد ارتحلوا فلو شعرت ما قالوا وما قيل لهم فقال له رجل من جلسائه بئس ما قلت قال ابو حازم ان
الله قد اخذ الميثاق على العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه فقال كيف لنا ان نصلح هذا الفساد فقال ان
تأخذ المال من حله فتضعه في حقه فقال سليمان ومن يقدر على ذلك قال من يطلب الجنة ويخاف النار قال سليمان ادع

لي فقال اللهم ان كان سليمان وليك فبيره بخير الدنيا والاخرة وان كان عدوك فخذ بناصيته الى
ما تحب وترضى فقال سليمان اوصني فقال اوصيكم واوجز عظم ربك ونزهه ان يراك حيث نهاك او يفقدك
حيث امرك وحكي ان ابا بكرة دخل على معاوية فقال اتق الله يا معاوية واعلم انك في كل يوم يخرج
عنك وفي كل ليلة تاتي عليك لن تزداد من الدنيا الا بعدا ومن الاخرة الا قربا وعلى اثرك
طالب لن تفوته وقد نصب علما لن تجوزه فما اسرع ما تبلغ العلم وما اوشك ما يلحق بك الطالب وانا
وما نحن فيه زايل وفي الذي نحن اليه صايرون باق ان خيرا فخير وان شرا فشر ويامر بالمعروف وينهى
عن المنكر لقوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وقوله والمومنون
والمومنات بعضهم اولياء بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر الاية وقوله الذين ان مكناهم
في الارض اقاموا الصلوة واتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور وقوله
عليه السلام المومنون كالبنيان يشد بعضه بعضا رواه الشيخان عن ابي موسى وهو اي ما ذكر من
الامر والنهي او افراد الخير باعتبار الكل ذو منهما فرض اي ثابت بالاجماع والكتاب والسنة على الكفاية اي
اذا اطلع على الامر جماعة وامر او نهى واحد منهم سقط عن الباقين والا اثم الجميع الا اذا كانوا
معذورين باليد واللسان فحق عليهم ان ينكروا بالجنان وذلك اضعف الايمان او لاهلية في
مقام الامتنان او مراتب اربابه الاحسان في الفرض اي من المعروف فعلا كالصلاة والصيام وتركا
كاجتناب ما يحرم من الحرام ومندوب اي وهو مستحب في المندوب اي منه المعروف فعلا وتركا وورد في
التنزيل ولتكن منكم امة اي جماعة منكم وهو دليل كونه من الكفاية يدعون الى الخير اي الحق وهو الايمان
ويامرون بالمعروف الاية اي وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون اي الناجون عن العذاب المظفرون
بالثواب هم لا من القائمون به والمباشرون له وهو القطب الاعظم في الدين والامر المهم الذي
بعث الله له النبيين اجمعين فلو طوي بساطه واهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة وعمت الفترة
واضمحلت الديانة وارتفعت الامانة وفشت الضلالة وشاعت الجهالة وظهر الفساد وخرب البلاد
وهلك العباد وان لم يشعروا بالهلاك الى يوم التناد ولاصحاب السنن عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه
انه قال في خطبة خطبها يا ايها الناس انكم تقرؤن هذه الاية وتتاولونها على خلاف تاويلها يا ايها الذين
امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من قوم عملوا
بالمعاصي وفيهم من يقدر ان ينكر عليهم فلم يفعل الا يوشك ان يعمهم الله تعالى بعذاب من عنده ولابي
داود والترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث ابي ثعلبة الخشني انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير
قوله تعالى لا يضركم من ضل اذا اهتديتم فقال يا ابا ثعلبة مر بالمعروف وانه عن المنكر فاذا رايت شحا مطاعا
وهوى متبعا ودنيا موثرة واعجاب كل ذي راي برايه فعليك بنفسك ودع العوام ان من ورائكم فتنا كقطع الليل
المظلم للمتمسك فيها بمثل الذي انتم عليه اجر خمسين منكم قيل بل منهم يا رسول الله قال بل منكم لانكم تجدون
على الخير اعوانا ولا يجدون على الخير اعوانا وللبزار من حديث عمر والطبراني في الاوسط من حديث ابي هريرة

هريرة مرفوعا لتامرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعو خياركم
فلا يستجاب لهم وللترمذي وحسنه من حديث حذيفة نحوه الا انه قال او ليوشكن الله ان يبعث عليكم عقابا منه
ثم تدعونه فلا يستجيب لكم ولابن ماجه باسناد جيد مرفوعا ان الله تعالى ليسال العبد ما منعك اذا رايت
المنكر ان تنكره فاذا لقن الله العبد حجته قال يا رب وثقت بك وفرقت من الناس وللطبراني والبيهقي وحسنه
عن عكرمة عن ابن عباس لا تقفن عند رجل يقتل مظلوما فان اللعنة تنزل على من حضره حين لم يدفعوا
عنه ولا تقفن عند رجل يضرب مظلوما فان اللعنة تنزل على من حضره وللبيهقي عن ابن عباس بسند
حسن لا ينبغي لامرء شهد مقاما فيه حق الا تكلم به فانه لن يقدم اجله ولن يحرمه رزقا هو له
رواه الترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث ابي سعيد بلفظ الا لا يمنعن رجلا هيبة الناس ان يقول
بحق اذا علمه ولابن عدي من حديث ابي هريرة من حضر معصية فكرهها فكانه غاب عنها ومن
غاب عنها فاحبها فكانه حضرها ثم الامر والنهي يجب على العبد وان علم العبد انه اي منه بعض عمله
بها تحرزا عن انسداد باب الاحتساب اي الحسبة بالامر والنهي لاجل الثواب لتعذر العصمة اي
عن جميع المعصية الا لارباب النبوة دون الصحابة فضلا عمن دونهم والانبياء كما قال الحجة اختلف
في عصمتهم عن الخطايا والقران دال على نسبة ادم الى المعصية وكذا جماعة من الانبياء ولذا قال سعيد
بن جبير ان لم يامر بالمعروف ولم ينه عن المنكر الا من لا يكون فيه شيء لم يامر احد بشيء فاعجب ذلك مالكا
من سعيد بن جبير والا ان الواجب عليه شيئان وهما الامتناع اي بنفسه والمنع اي لغيره فلا يسقط
بترك احدهما وهو الامتناع الاخر وهو المنع كما في عكسهما فلا تلازم بينهما واما ما ورد في ذم القائل
بما لا يعمل كقوله تعالى يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون
وقوله اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون وكحديث مررت
ليلة اسري بي بقوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت من انتم فقالوا كنا نامر بالخير ولا ناتيه وننهى
عن الشر وناتيه وكما روي ان الله تعالى اوحى الى عيسى عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحي
مني كقول القائل لا تلم المرء على فعله وانت منسوب الى مثله من ذم شيئا واتى نحوه فانما يزري على عقله شعر
فلعدم العمل اي لاجل الامر والقول كما توهمه قوم واذن الامام اي وان عدم اذنه بالحسبة لعموم الادلة
والاطلاق فيما اي فيه بغير تقييد بما دون اخر حتى يحتسب على الامام ايضا كما يدل عليه حديث ابي سعيد الخدري
افضل كلمة حق عند امام جائر ابو داود وابن ماجه والترمذي وحسنه فاذا جاز الحكم على الامام على مراغمته فكيف
يحتاج الى اذنه وقد شرط قوم هذا الشرط ولم يشترطوا الا حاذق بمراعية الحسبة وهذا الاشتراط فاسد فان
الايات والاخبار يدل على ان كل من راى منكرا فسكت عليه عصى اين ما راه وكيفما راه على العموم فالتخصيص
بشرط التفويض من الامام تحكم لا اصل له والعجب ان الروافض زادوا على هذا فقالوا لا يجوز الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر ما لم يخرج الامام المعصوم وهو الامام الحق عندهم وهؤلاء ارذل رتبة من ان يكلموا بل جوابهم
ان يقال لهم اذا جاءوا الى القضاة طالبين لحقوقهم في دمائهم واموالهم ان نصرتكم امر بالمعروف واستخراج حقوقكم

من ايديكم ظلمكم نهي عن المنكر وطلبكم حقكم من جملة المعروف وما هذا زمان النهي عن الظلم وطلب
الحقوق لان الامام الحق بعد لم يخرج هذا والمستمر في عادات السلف في الحسبة على الولاة قاطع
باجماعهم على الاستغناء عن التفويض بل كل من امر بمعروف فان كان الوالي راضيا به فذاك وان
كان ساخطا له فسخطه له منكر يجب الانكار عليه فكيف يحتاج الى اذنه في الانكار عليه ويدل عليه ايضا انكار
السلف على الامراء ما روي ان مروان بن الحكم خطب قبل الصلاة في العيد فقال له رجل انما الخطبة بعد
الصلاة فقال له مروان ترك ذلك يا فلان فقال ابو سعيد اما هذا فقد قضى ما عليه قال لنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم من راى منكم منكرا فلينكره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك
اضعف الايمان وروي ان المهدي لما قدم مكة لبث ما شاء الله فلما اخذ في الطواف نحي الناس
عن البيت فوثب عبد الله بن مرزوق فلببه بردائه وقال له انظر ما تصنع من جعلك بهذا البيت احق
ممن اتاه من البعد حتى اذا صار عنده حلت بينهم وبينه من جعل لك هذا فنظر في وجهه وكان يعرفه
لانه من مواليهم فقال له اعبد الله بن مرزوق فقال نعم فاخذ فجيء به الى بغداد فكره ان يعاقبه عقوبة يشنع
بها عليه في العامة فجعله في اصطبل الدواب ليسوسها وضموا اليه فرسا عضوضا سيء الخلق ليعقره
الفرس فلين الله له الفرس قال ثم صيروه الى بيت واغلق عليه واخذ المهدي المفتاح عنده فاذا
هو قد خرج بعد ثلاث الى البستان ياكل البقل فاوذن به المهدي فاستدعاه فقال من اخرجك قال الذي
حبسني قال من حبسك قال الذي اخرجني فضج المهدي وصاح وقال اما تخاف ان اقتلك فرفع عبد
الله اليه راسه وهو يضحك وهو يقول لو كنت تملك حياة او موتا لكان ذلك فما زال محبوسا حتى مات
المهدي ثم خلي عنه فرجع الى مكة قال وكان قد جعل على نفسه نذرا ان خلصه الله من ايديهم ان ينحر مائة
بدنة فكان يعمل في ذلك حتى نحرها بدنة بدنة وروي عن حبان بن عبد الله قال تنزه هارون الرشيد بالدوير
ومعه رجل من بني هاشم وهو سليمان بن ابي جعفر فقال له هارون قد كانت لك جارية تغني فتحسن
فجئنا بها قال فجاءت فغنت فلم يحمد غناءها فقال ما شانك قالت ليس هذا عودي فقال للخادم جئنا
بعودها قال فجاء بالعود فوافق شيخا يلقط النوى فقال الطريق يا شيخ فرفع الشيخ راسه فراى العود
فاخذه وضرب به الارض فاخذه الخادم وذهب به الى صاحب الربع فقال احتفظ بهذا فانه طلبة امير
المؤمنين فقال له صاحب الربع ليس ببغداد اعبد من هذا فكيف يكون طلبة امير المؤمنين فقال له اسمع
ما اقول لك ثم دخل على هارون فقال اني مررت على شيخ يلقط النوى فقلت له الطريق فرفع راسه فراى
العود فضرب به الارض فكسره فاستشاط هارون وغضب واحمرت عيناه فقال له سليمان بن فاخذه ثم
ابي جعفر ما هذا الغضب يا امير المؤمنين ابعث الى صاحب الربع يضرب عنقه ويرمي به في دجلة فقال لا
ولكن نبعث اليه ونناظره اولا فجاء الرسول فقال اجب امير المؤمنين فقال نعم قال اركب قال لا فجاء
يمشي حتى وقف على باب القصر فقيل لهارون قد جاء الشيخ فقال للندماء اي شيء ترون نرفع ما قدامنا
من المنكر حتى يدخل هذا الشيخ او نقوم الى مجلس اخر ليس فيه منكر فقالوا له نقوم الى مجلس ليس فيه منكر اصلح

اصلح بنا فقاموا صوبه اي الى المجلس ليس فيه منكر ثم امر بالشيخ فادخل وفي كمه الكيس الذي
فيه النوى فقال له الخادم اخرج هذا وادخل على امير المؤمنين فقال من هذا عشائي الليلة قال
نحن نعشيك قال لا حاجة لي في عشائكم فقال هارون اي شيء تريد منه فقال في كمه نوى فقلت له اطرحه
وادخل على امير المؤمنين فقال دعه لا يطرحه قال فدخل فسلم وجلس فقال له هارون يا شيخ ما حملك على
ما صنعت فقال واي شيء صنعت وجعل هارون يستحي ان يقول كسرت عودنا فلما اكثر عليه قال اني سمعت
اباءك واجدادك يقرؤون هذه الاية على المنبر ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى
عن الفحشاء والمنكر والبغي وانا رايت منكرا فغيرته قال فغيروه فوالله ما قال الا هذا فلما خرج اعطى رجلا بدرة
فقال له اتبع الشيخ فان رايته يقول قلت لامير المؤمنين وقال لي فلا تعطه شيئا وان رايته لا يكلم
احدا فاعطه البدرة فلما خرج من القصر اذا هو بنواة في الارض قد غاصت فجعل يعالجها ولم يكلم
احدا فقال له يقول لك امير المؤمنين خذ هذه البدرة فقال قل لامير المؤمنين يردها من حيث اخذها ويروى ي
انه اقبل بعد فراغه من كلامه على نواة يعالج قلعها من الارض وهو يقول

ارى الدنيا لمن هي في يديه … هموما كلما كثرت لديه
تهين المكرمين لها بصغر … وتكرم كل من هانت عليه
اذا استغنيت عن شيء فدعه … وخذ ما انت محتاج اليه

وحقه اي وحقوق وجوب الاحتساب ثلاثة العلم اي معرفة خطا الامور وصوابها ليعلم الحدود
اي لمراتبها والحقوق المتعلقة باصحابها فالجاهل معزول عن هذا الباب بل شرطه ان يكون مسلما
مكلفا قادرا على الاحتساب ومن كلامهم قال بعض علمائنا ان العامي الكامل بالجنان والعالم الكامل ان
باللسان والامير الكامل بالاركان فانه يجب ان يعلم المحتسب مواقع الحسبة وحدودها ومجاريها
ليقتصر على حد الشرع في ابوابها وذلك معنى قوله والورع اي عن المنكرات مطلقا او عن ذلك المنكر
الذي اراد النهي عنه ورعه عن مخالفة معلومه فما كل من علم عمل بل ربما يعلم انه مسرف في الحسبة وزائد على الحد
الماذون فيه شرعا ولكن يحمله عليه غرض من الاغراض الفاسدة او غرض من الاعراض الكاسدة
وليكن كلامه ووعظه مقبولا لعدم تاثير قول الفاسق وسقوط اعتباره عند الخلائق الا ان الحسبة
ان تكون بالنهي بالوعظ وتارة بالقهر والاستيعاب وعظ من لا يتعظ اولا وكذا ان قهر بالفعل فقد قهر
بالحجة اذ يتوجه عليه ان يقال فانت لم تقدم عليه فيستغرب الطباع عن قهره بالفعل فلا يفيد فائدة
الا ينسامع ارباب الجهل وان فعل لا يخرج الفعل عن كونه حقا كما ان من يذب الظالم عن احاد المسلمين
ويهمل اباه وهو مظلوم معهم يستغرب الطباع عنه ولا يخرج دفعه عن المسلم عن كونه حقا فتحصل ان هذا ان
الفاسق ليس عليه الحسبة بالوعظ على من يعرف فسقه لانه لا يتعظ به واذا لم يكن عليه ذلك وعلم انه يفضي الى
تطويل اللسان في عرضه بالانكار فنقول ليس له ذلك ايضا فرجع الكلام الى ان احد نوعي الاحتساب وهو
الوعظ قد بطل بالفسق وصارت العدالة مشروطة فيه واما الحسبة القهرية فلا يشترط فيها ذلك فلا حجر على

الفاسق في اراقة الخمر وكسر الملاهي ونحوها اذا اقدر عليه قال الغزالي وهذا غاية الانصاف والكشف
في المسئلة انتهى ولا يخفى ان هذا مبني على ما تقدم من ان العدالة ليست بشرط في هذا الباب بل هو
من باب الكمال والله اعلم بالصواب وقد ورد عن انس قلنا يا رسول الله لا نامر بالمعروف حتى نعمل به كله
ولا ننهى عن المنكر حتى نجتنبه كله قال عليه السلام بل مروا بالمعروف وان لم تعملوا به كله وانهوا عن المنكر
وان لم تجتنبوه كله الطبراني في المعجم الصغير والاوسط وحسن الخلق اي ليقدر به على ترتيب الحسبة على الخلق
بالحكمة اولا وبالموعظة ثانيا وبالتي هي احسن من المدافعة والمضاربة والمقاتلة ثالثا وهو ان يسايس اي يدار
سياسة الناس فمن الحيا ورد ان يامر بالمعروف وان ينهى عن المنكر الا رفيق فيما يامر به رفيق فيما ينهى
عنه الحديث قال مخرجه لم اجده هكذا وللبيهقي في الشعب من رواية عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده من امر
بمعروف فليكن امره بمعروف والحاصل ان العلم والورع لا يكفي فيه بل لا بد فيه حسن الخلق ايضا فان الغضب
اذا هاج لم يغنه العلم والورع في قمعه ما لم يكن في الطبع قبول له بحسن الخلق وعلى التحقيق لا يتم الورع
الا مع حسن الخلق والقدرة على دفع الشهوة ومنع الغضب وبه يصبر المحتسب على ما اصابه في دين الله
كما قال تعالى حكاية عن لقمان يا بني اقم الصلاة وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك ان ذلك
من عزم الامور وعن بعض السلف اذا اراد احدكم ان يامر بالمعروف فليوطن نفسه على الصبر وليثق من
الله بالثواب فان من وثق بالثواب لم يجد مس الاذى وان فاذا اصيب عرضه او نفسه بشتم
او ضرب نسي الحسبة وغفل عن دين الله وتصحيح النية وتحسين الطوية فاشتغل بنفسه الردية واخل بها
الدين بل ربما يقدم عليه ابتغاء طلب الجاه او طمع المال او للرياء والسمعة ولعل هذا وجه العائل بهذا زمان
السكوت والبيوتة وقال كعب الاحبار لابي مسلم الخولاني كيف منزلتك عند قومك قال حسنة قال ان التوراة تقول لابي مسلم صح
ان الرجل اذا امر بالمعروف ونهى عن المنكر ساءت منزلته عند قومه فقال ابو مسلم صدقت التوراة وكذب
ابو مسلم فيجيء ان الغضب اي منه او من عليه لا يسكن دونه اي عند امر من الامور بل يتحرك فيه انواع ع
من الشرور ورد اي فرطه فيقول له قولا لينا اي مثل يا بني لعله يتذكر اي يتعظ فيترك الكفر او يخشى
اي عقاب ربه فينتهي عن ضلالته انتهى فاذا كان الانبياء مامورين بالرفق مع شر الخلق فكيف
بالحق مع اهل الحق وحكي عن المامون انه وعظه واعظ وعنف له في القول فقال يا رجل ارفق فقد
بعث الله تعالى من هو خير منك الى من هو شر مني وامره بالرفق فقال فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى
وقد روى ابو امامة ان غلاما شابا اتى النبي عليه السلام فقال يا نبي الله اتاذن لي في الزنا
فصاح الناس به فقال عليه السلام قربوه ادن فدنا حتى جلس بين يديه فقال عليه السلام اتحبه
لامك قال لا جعلني الله فداك قال كذلك الناس لا يحبونه لامهاتهم قال اتحبه لابنتك قال لا جعلني
الله فداك قال كذلك الناس لا يحبونه لبناتهم قال اتحبه لاختك قال لا جعلني الله فداك قال كذلك الناس
لا يحبونه لاخواتهم وزاد ابن عوف انه ذكر العمة والخالة وهو يقول في كل ذلك لا جعلني الله فداك وهو عليه
السلام يقول كذلك الناس لا يحبونه وقالا جميعا في حديثهما اعني ابن عوف والراوي الاخر فوضع رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على صدره وقال اللهم طهر قلبه واغفر ذنبه وحصن فرجه فلم يكن
شيء ابغض اليه منه اي من الزنا رواه احمد باسناد جيد رجاله رجال الصحيح وسئل الفضيل بن عياض عن
سفيان بن عيينة قبل جوائز السلطان فقال ما اخذ منهم الا دون حقه ثم خلا به وعذله ووبخه
فقال سفيان يا ابا علي ان لم نكن من الصالحين فانا لنحب الصالحين واولها اي ابتداء الحسبة التعريف
اي تعريف قبح المعصية ثم الوعظ اي النصيحة بالكلام اللطيف والتخويف منه تعالى اي بالعقوبة في الدنيا
والاخرى لمن يتجاوز اي المحتسب حده اي عما ذكر من حدود الشرع ثم ان كان احتسابه على الوالدين وقد
سئل الحسن عن الولد كيف يحتسب على والده قال يعظه ما لم يغضب فاذا غضب سكت عنه وقيل وفي
معنى الوالدين السلطان والاستاذ ونحوهما فلا ان حاصله الاخبار الواردة في ان الجلاد ليس له ان يجلد
اباه في الزنا ولا ان يباشر اقامة الحد عليه ولا يباشر قتل ابيه الكافر وانه لو قطع يده لم يلزمه القصاص صح
ثم قال ويثبت بعضها بالاجماع فقال مخرجه لم اجد فيه الا حديث لا يقاد الوالد بالولد رواه الترمذي
وابن ماجه من حديث ابن عمر او المولى اي المالك من العبد او البعل اي الزوج من المراة او السلطان اي
والي الخليفة ومن في معناه من الرعية من امرائه ووزرائه فانه ربما يفضي الى خرق هيبته واسقاط
حشمته ويترتب عليه الفساد من جهة حميته والغضب على رعيته فليلطف فيه مستدركه من حديث عياض
بن غنم الاشعري من كانت عنده نصيحة لذي سلطان فلا يكلمه بها علانية وليأخذ بيده فليخل به
فان قبلها قبلها وان كان ادى الذي عليه والذي له رجال الصحيح الا حسان والترمذي وحسنه من
حديث ابي بكرة من اهان سلطان الله في الارض اهانه الله في الارض وهذا منه عليه السلام طريقة
رافة ورحمة على الانام والا فقد ورد عنه من حديث ابي عبيدة قلت يا رسول الله اي الشهداء اكرم
على الله قال رجل قام الى وال جائر فامره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله الحديث رواه البزار والحاكم كم
في مستدركه وصحح اسناده من حديث جابر سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ورجل قام الى امام جائر
فامره ونهاه فقتله وبعقوبة ما سلف من السلف حتى قاد بهم امرهم الى الهلاك والتلف والى صلاته لا يجب
عليه الا انه يستحب اي يثاب عليه بل يشتغل بالدعاء اي لتوفيقهم بالمعروف والاستغفار اي للمغفرة عليهم
عنهم في المنكر فان هذين الامرين نفعهما اكثر خصوصا في هذا الزمان فتدبر ثم التعنيف اي الكلام م
الخشن والسب اي الشتم دون الفحش فلا يقول له يا كافر يا يهودي يا نصراني يا خنزير يا كلب يا فاسق
بل يقول مثل يا جاهل ويا احمق الا تخاف من الله وما يجري مجراه لمن لا يتجاوز عنه اي عن هذا الامر ان كان
الاحتساب على المسلم فان الذمي يخرج عن سبيل الكافر فان الذمي اذا امتنع المسلم بفعله دون قوله فهو
يسلط عليه بمنعه من الوصول اليه لقوله تعالى ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا واما مجرد قوله لا تزن
ونحوه من النصيحة والتخويف من الفضيحة فلا محذور فيه بل ربما يكون سببا لك متابع عما فيه ثم التغيير اي
تغيير المنكر باليد والمباشرة على سبيل المنع بالقهر ككسر الملاهي اي الالات المشاكلة كالمزمار والة وقلب
واراقة الخمر التي هي ام الخبائث واصل المعاصي واساس الشر وكذا اختطاف ثوب الحرير من راسه ان شئت

التي المغصوب منه ليرده على صاحبه فليكن مثل ما ذكر من حديث ابي طلحة انه قال يا نبي الله اني اشتريت خمرا
لايتام في حجري قال اهرق الخمر واكسر الدنان ثم التهديد اي التخويف بالضرب من عنده او من عند
غيره منه الحاكم ونحوه ثم الضرب اي بمباشرته ان كان قادرا لديه حتى يمتنع عما هو عليه وهو يفتقر الى جمع
اي الطاقة او مادية الحاجة كالمواظب على القذف والغيبة فان سلب لسانه غير ممكن ولكن يحمل
على اختيار السكوت بالضرب وهذا قد يحوج الى استعانة وحصول اعانة وان لم يقدر اي على الضرب ونحوه
فلكراهته اي بقلبه كما فيه نورد اي في حديث او اثر اي من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه
فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان اي اضعف اعمال الايمان او اضعف زمانه او اضعف
مراتبه في شانه رواه احمد ومسلم والاربعة عن ابي سعيد مرفوعا ولا حرج ان العاجز ليس عليه حسبة
الا بقلبه اذ كل من احب الله يكره معاصيه وينكرها قال ابن مسعود جاهدوا الكفار بايديكم فان لم
تستطيعوا الا ان تكفهروا في وجوههم فافعلوا ثم اعلم انه لا يتوقف سقوط الوجوب على العجز
الحسي فقط بل يلتحق به ما يخاف عليه مكروها يناله وكذا علم ان الانكار لا ينفع وهذا معنى قوله
وان ظن انه جرار الى تحبب اي الانكار بالقول بل يستحب اظهاره الا ان يلزمه ان لا يحضر مواضع
المنكر ويعتزل في بيته حتى لا يشاهد ولا يخرج الا لحاجة مهمة او واجب ولا يلزمه مفارقة تلك البلدة والهجرة الا اذا كان
يرهق الى الفساد ويحمل على مساعدة السلاطين في الظلم والمنكرات فيلزمه الهجرة ان قدر عليها فان
الاكراه لا يكون عذرا في حق من يقدر على الهرب من الاكراه وان ظن اصابة مكروه من ضرب
ونحوه او فعل منكر اخر اي بسببه كضرب غيره من اصحابه او اقاربه او رفقائه فحرم اي حرم الاحتساب
به الا ان يظن ان شايع الحرمة فاذا تعارض الظنان فيستفتي من القلب في اختيار ما يلهم الرب
وينظر في صلاحه اي صلاح حاله من جانبه بالخلق بتحسين حاله فروي عن العالم الرباني ابي سليمان
الداراني انه قال سمعت من بعض الخلفاء كلاما فاردت ان انكر عليه وعلمت اني اقتل ولم يمنعني القتل
ولكن كان في ملأ من الناس فخشيت ان يعتريني التزين للخلق فاقتل من غير اخلاص في الفعل
للحق فان قيل فما معنى قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة اجيب بانه لا خلاف في ان المسلم
الواحد له ان يهجم على صف الكفار ويقاتل وان علم انه يقتل وهذا ربما يظن انه مخالف لموجب الاية
وليس كذلك فقد قال ابن عباس ليس التهلكة ذلك بل ترك النفقة في طاعة الله تعالى اي من لم يفعل ذلك
فقد اهلك نفسه ويوضح الجملتان السابقة واللاحقة اذ قال تعالى وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا
بايديكم الى التهلكة واحسنوا ولا يبعد ان تفسر التهلكة باسراف المال وتضييع العيال وقال ابو عبيدة
هو ان يذنب ثم لا يعمل بعده خيرا حتى يهلك ذكره في الاحياء وهو صحيح في المعنى لكنه يبعد ما اخذ
منه الاية فيجب ايراده منه المبنى ثم انه جاز ان يقاتل الكفار حتى يقتل جاز ايضا له ذلك في الحسبة
والاعتبار للظن الغالب في حصول فائدة ما ايلام المحارب والمحتسب من مقعد الحال بان يكون
في طبعه من ارباب الكمال فالجبان وهو ضعيف القلب في ميدان البيان يستقرب البعيد في الامكان

الامكان فيرى البعيد قريبا حتى كانه يشاهده ويرتاع منه ولا يجاهد والمتهور بعكسه اي الذي
لا يستبعد القريب في الزمان والمكان فيبعد وقوع المكروه به بحكم ما جبل عليه من حسن امله حتى انه
لا يصدق به الا بعد وقوعه ولا يخفى ان الجبن مرض وهو ضعف في القلب بسبب قصور في القوة وتفريط
والتهور افراط في القوة وخروج عن الاعتدال بالزيادة وكل منهما نقصان وانما الكمال في الاعتدال
الذي يعبر عنه بالشجاعة فكل التفات الى الطرفين في الاخلاق والاحوال ولا يتجسس فيشترط ان
يكون المنكر ظاهرا للمحتسب بغير تجسسه فكل من ستر على معصيته في داره واغلق عليه بابه لا يجوز ان
يتجسس عليه فاتفته وجدان رائحة كوضع الاذن لسماع الملاهي ولا الانف لشم الخمر
والمناهي لا حس من صوت الاوتار متعلق بوضع الاذن ورائحة الخمر في تلك الدار وطلب ازالة ما تحت
الثوب فاذا رأى فاسقا وتحت ذيله شيء كظرف خمر او خشب عود لم يجز ان يكشف عنه ما لم يظهر بعلامة
خاصة بان كانت له رائحة فايحة او تشكل العود اذا كان الثوب الساتر رقيقا فان مجرد الظن لا يعمل
به فانه قد يستر قارورة الخمر في الكم وتحت الذيل ولا يدل فسقه على ان الذي معه خمر يشرب منها اذ الفاسق
يحتاج ايضا الى الخل وغيره ولا يجوز ان يستدل باخفائه انه لو كان خلا لما اخفاه لان الاغراض
في الاخفاء تختلف بان تتعلق كذلك باب الحياء وهو اي التجسس منهي عنه اي في قوله تعالى يا ايها الذين
امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا وروي ان عمر رضي الله عنه تسلق دار
رجل فراه على حالة مكروهة فانكر عليه فقال يا امير المؤمنين ان كنت قد عصيت الله من وجه فقد عصيت
انت من ثلاثة اوجه فقال وما هي فقال قد قال الله تعالى ولا تجسسوا وقد تجسست وقال واتوا البيوت
من ابوابها وقد تسورت من السطح وقال تعالى لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على
اهلها وما سلمت فتركه عمر وشرط عليه التوبة وقد شاور عمر الصحابة وهو على المنبر وسألهم عن الامام
اذا شاهد بنفسه منكرا فهل له اقامة الحد فيه فاشار علي بان ذلك منوط بعدلين فلا يكفي فيه واحد ويدخل
الدار عند ارتفاع الاصوات اي اصوات الملاهي وما يدل على نحو ذلك من المنكرات من الملاهي وهذه المنزلة
استثناء من الحكم السابق والمعنى انه لا يجوز الدخول على من اغلق باب داره وتستر بحيطان
داره الا ان ظهر في الدار ظهورا يعرفه من هو خارجها كاصوات المزامير والاوتار اذا ارتفعت بحيث
جاوز ذلك حيطان الدار فمن سمع ذلك فله دخول الدار وكسر الملاهي وقطع الاوتار وكذا اذا ارتفعت اصوات
السكارى بالكلمات المالوفة بينهم بحيث يسمعها اهل الشوارع فهذا اظهار موجب للحسبة ولا انكار ولا حسبة
على غير المكلف اذ يشترط المحتسب عليه ان يكون بصفة يصير الفعل الممنوع منه في حقه منكرا ولم يكن معصية
بالنسبة اليه ولعل يكفي في ذلك ان يكون انسانا ولا يشترط كونه مكلفا اذ تقرر ان الصبي لو شرب الخمر
منع منه واحتسب عليه وان كان قبل البلوغ ولا يشترط كونه مميزا لما تحقق ان المجنون لو كان يزني
بمجنونة او ياتي بهيمة او يشرب الخمر وجب منعه نعم من الافعال ما لا يكون منكرا في حق المجنون كترك الصلاة
والصوم وغيرهما فعلى المحتسب عليه لا يشترط التكليف اي تكليف المحتسب فانه يشترط تكليفه في حق

الوجوب عليه واما امكان الفعل وجوازه فلا يستدعي الا العقل حتى ان الصبي المراهق للبلوغ خ
المميز وان لم يكن مكلفا فله انكار المنكر وله ان يريق الخمر ويكسر الملاهي فاذا فعل ذلك نال به
ثوابا ولم يكن لاحد منعه من حيث انه ليس بمكلف فان هذه قربة وهو من اهلها كالصلاة والامامة
وسائر القربات وليس حكمه حكم الولايات حتى يشترط فيه التكليف ولذلك اثبتوا الحسبة للعبد والآحاد
الرعية نعم في المنع بالفعل وابطال المنكر نوع ولاية وسلطنة ولكنها تستفاد بمجرد الايمان كقتل
المشرك وابطال اسبابه وسلب اسلحته فان للصبي ان يفعل ذلك حيث لا يستضر به فالمنع عن
الفسق كالمنع عن الكفر الا في محل الخلاف اي لا يحتسب الا في المتفق على كونه منكرا فلا احتساب في
محل الاجتهاد فلا حسبة فيه كاكل الشافعي الضب فليس للحنفي ان ينكر عليه الاكل وكذا في اكل الضبع
ومتروك التسمية عمدا وليس للشافعي ان ينكر على الحنفي شربه النبيذ الذي ليس بمسكر وتناوله ميراث ذوي
الارحام وجلوسه في دار اخذها بشفعة الجوار الى غير ذلك من مجاري الاجتهاد نعم لو راى الشافعي
شافعيا يشرب النبيذ او ينكح بلا ولي ويطأ زوجته او راى الحنفي حنفيا يلعب بالشطرنج او
يلبس الثوب الحرير فهذا في محل النظر كما في الاحياء والاظهر ان له الحسبة والانكار اذ لم يذهب
احد من المحصلين الى ان المجتهد يجوز له ان يعمل بموجب اجتهاد غيره ولا ان الذي ادى اجتهاده
في التقليد الى تقليد من رآه افضل العلماء ان له ان يأخذ بمذهب غيره فينتقد من المذاهب اطيبها
عنده بل على كل مقلد اتباع مقلده في كل تفصيل فاذن مخالفته للمقلد متفق على كونه منكرا بين المحصلين
وهو عاص بالمخالفة الا ان يجوز له تقليد غيره من الائمة في بعض المسائل فاذا اعتقد وقال انا مقلد
للشافعي او الحنفي في هذا الباب يرتفع عنه الاحتساب والله اعلم بالصواب وقد ذهب جمع الى انه
لا حسبة الا في مثل الخمر والخنزير ونحوه مما يقطع بكونه حراما كاكل الميتة والدم ومما اجمع على تحريمه حيث جوزوا لكل
مقلد ان يختار من المذاهب ما اراد فقال به وبعمل وجه كل منهم بما ورد من ان الله سبحانه يحب ان يؤتى
رخصه كما يحب ان يؤتى عزائمه وقد قال تعالى فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون فمن تبع عالما لقي الله
سالما ومن المعلوم ان الله سبحانه ما كلف احدا ان يكون حنفيا او مالكيا او شافعيا او حنبليا بل كلفهم
ان يعملوا بالكتاب والسنة ان كانوا علماء وان يقلدوا العلماء ان كانوا من الجهلاء ولا قبل الارتكاب
الا وان يحتسب قبل مباشرته ما يجب عليه الاجتناب فيشترط ان يكون المنكر موجودا في الحال لا انه
سيوجد في المآل فهو اي وجوده قبل الارتكاب مشكوك فيه فلا يجوز فيه الاحتساب كمن يعلم بقرينة منه
حال وهيئة انه عازم على الليلة فانه لا حسبة عليه الا بوعظ ونصيحة فان انكر عزمه عليه لم يجز
وعظه ايضا لان فيه اساءة ظن بالمسلم وربما صدق في قوله وربما لا يقدم على ما لم يعزم عليه
والتنبيه للمرتبة المتفرعة على الاصل وهو ان الخلوة بالاجنبية معصية ناجزة وكذا الوقوف وحده
الوقوف على باب حمام النساء وما يجري مجراه من سائر الاشياء ولا يحتسب بعد الارتكاب وفراغه بعدم اي ولا
بهذا الباب فهو اي هذا النوع من الاحتساب حق الامام اي ومن جملة النواب وعلى المحتسب عليه القبول صح

القبول والا عند اداء اي واجبا عليه ولا زمان لديه فهو الكمال كما لو راى عن السلف الابرار وبعض
المصر اي الملازم على المعصية من غير رجوع بالتوبة بسوء الكلام كافرا كان فاجرا او مبتدعا ولم يكن داعيا
ثنية اي في الله تعالى اي شانه وتعاظم بركه بان اعرض عنه اي في السلام والكلام والا تمنية اي
بزيادة المهانة وترك الاعانة اي فيما يظهر من الاعانة وابطال الاعراض تعين على المعصية دون غيرها
اي غير المعصية ولو اعان اي في الاعراض التي تعين على غير المعصية دون غيرها اي غير المعصية بحيث يعاقب
على قبول النصح اي فيما يذكره من الكلام او يحقق السلام فحسن اي فانه مستحسن قال تعالى لا ينهاكم
الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين
فهذا اي ترك الاعانة يتوسل حتى اهل الذمة فالكلام مختلف بالنية اي باختلاف [illegible] وتفاوت الطريقة فامر الترك
للفسق اي كما يختلف في ترك الاحسان لخوف الفسق الا ان يعلم مخرج من قوله فان اعان اي الا
ان يعلم المبغض الا قتداء اي اقتداء الناس به فلا يعينه حينئذ كما في نسخة المبتدع اي الداعي الى بدعته
والمعلن بالفسق في الملا تاكيد للاعلان او تقييد للمبتدع والمعلن فهو احتراز من البدعة والفسق في
الخلوة وان ظهر انه ظرف لسبغض المصر كما يشير اليه قوله حتى يترك السلام اي في الابتداء ورده في الاظهر
فهو اي حق السلام ورده يسقط بادنى غرض كالبول في الحمام ونحوه فورد منه التنهد اي زجرا وقهرا صاحب
بدعة اي منكرة ملا الله قلبه ايمانا اي معرفة وايقانا ومن اهانه امنه الله اي جعله امنا من عذابه يوم
الفزع الاكبر وهو القيامة الكبرى ومن الان له اي في الكلام او اكرمه اي بالقيام او لقيه ببشر
اي في حال السلام فقد استخف بما انزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم اي فلم يعمل بما يجب عليه من الاحكام
وان استحل ذلك فقد خرج عن دائرة اهل السلام هذا الحديث لم اجده في كتب الاعلام لكن ورد عنه
عليه السلام من وقر صاحب بدعة فقد اعان على هدم الاسلام ويستثنى من البغض في الخلق
سو اي اذا كان وصلح او في حكمه الخلق ان الطفل والمبغض اقرب الى الانزجار اي الى امتناع المبتدع والفا
عن حاله بدوام التلطف بالنصح انسب الى الاصلاح امره فيفعل بمقتضى ذلك ولا يحسن الى من اي ظلمه
في حق الناس لان ذلك بالحماية ولا بالشفاعة والعناية فهو اي الاحسان الى الظالم اساءة في حق المظلوم
الا اذا ولي بالرعاية كما في نسخة بخلاف ظلمه اي ظلم ان يعاقبه بمثله وله ان يحسن اليه في مقابلة ظلمه عليه
بل هذا من الخلق المحمود [illegible] تعالى ادفع بالتي هي احسن ويضطر الذي اي الضيق الطرف اي بقية
ن ودعوة المسلم وعلته فان السلام يعلو ولا يعلى ولا يبدأ بالسلام عليه الا من في باب الاكرام الادب ولا حاجة
اليه ولا يزيد في جوابه اي على قوله وعليكم او عليك فحسب ومن المصالح ان يقول له وعليك السلام من
غير زيادة ورحمة الله وبركاته وليس كذلك فانه مخالف للرواية والدراية وسلام على من اتبع الهدى كان الذي
او الحربي او الفاسق او البدعي في جمع المسلمين وكانه مقتبس من قول موسى عليه السلام والسلام على
من اتبع الهدى وكذا في العكس بان كان المسلم بين الكافرين او الفاجرين وقيل يقول السلام عليكم
وينوي المسلمين الكاملين ويدعو في تشميته اي جواب عطسته بالهداية اي بان يقول يهدينا ويهديكم

الله ان بالرحمن لمن يقول يرحمكم الله ولا يرشده اي لا يدله على معبده اي في البيعة لليهود او الكنيسة
للنصارى فانه اعانة على المعصية وقال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان
ولا يصافحه اي ان المصافحة من باب كمال الصحبة ويغسل الوضوء اي اللغوي وهو غسل اليدان صافحه
اي كافر الكافر لقوله تعالى انما المشركون نجس ولا يستقبل جنازته بالوجه اي بالمواجهة بل يدبر عنها
وجهه اذا اتته في المقابلة **الباب التاسع** في الصمت وآفات اللسان المراد بالصمت
السكوت في ميدان البيان فقد ورد من صمت نجا رواه الترمذي من حديث عبد الله بن عمر بسند ضعيف
والطبراني بسند جيد والصمت حكمة وقليل فاعله الديلمي عن ابن عمر بسند ضعيف والبيهقي في الشعب
من حديث انس بلفظ حكم بدل حكمة قال والصحيح عن انس ان لقمان قال وابي نعيم في الحلية من حديث
ابن عمر من كثر كلامه كثر سقطه رواه الحسن قول القائل ما ان ندمت على سكوتي مرة ولقد ندمت على الكلام
مرارا بسم الله الرحمن الرحيم خير كلام صدر من كل حكيم ورد ان اكثر خطايا ابن آدم في
لسانه الطبراني وابن ابي الدنيا في الصمت والبيهقي في الشعب بسند حسن وللترمذي وصححه وابن
ماجة والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين من حديث معاذ قلت يا رسول الله انؤاخذ بما نقول
فقال ثكلتك امك وهل يكب الناس على مناخرهم الا حصائد السنتهم وللترمذي وحسنه من حديث
عقبة بن عامر قلت يا رسول الله ما النجاة قال امسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك
وفي الصحيحين من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليسكت ولابن ابي الدنيا وغيره من
حديث انس مرفوعا رحم الله عبدا تكلم فغنم او سكت فسلم ففي الصمت الوقار اي حصول الرزانة
والطمانينة واجتماع الهمة اي للامور المهمة والفراغ للعبادة التي هي وسيلة الى السيادة السعادة
والسلامة من آفات الدارين اي محن الكونين وفتن المحلين فان البلاء اي في الدنيا والاخرى
موكل بالمنطق مصدر ميمي اي بنطق اللسان الصادر عن الانسان في معرض البيان فاللسان صغير
جرمه كبير جرمه وجرمه اذ لا يتبين الكفر والايمان والطاعة والعصيان الا بشهادة اللسان
ثم الذي ادرجه المص في كلامه حديث رواه الخطيب في تاريخه عن ابن مسعود بلفظ البلاء موكل بالمنطق
فلو ان رجلا عير رجلا برضاع كلبة لرضعها قال السخاوي ضعيف القول وبعوره ما نسبه الزركشي الى ان
لال في مكارم الاخلاق من حديث ابن عباس والديلمي من حديث ابي الدرداء قال السيوطي والديلمي ايضا
من حديث ابن مسعود مرفوعا واحمد عنه في الزهد موقوفا وابن السمعاني في تاريخه من حديث علي مرفوعا
وبهذا تبين خطا ابن الجوزي حيث ذكره في الموضوعات لكن بلفظ البلاء موكل بالقول ولعل هذا
سبب نسبته الى الوضع منها اي من آفات اللسان ما لا يعني اي ما لا ينفع الانسان من البيان
وهواي ما لا يعني ما لا اثم عليه ولا ثواب اي لا اجر لديه ولا ينبغي ان يزاد ولا حاجة اليه وقد
يعبر عنه باللغو ومنه قوله تعالى والذين هم عن اللغو معرضون واذا مروا باللغو مروا كراما والا صل في
اللغو ما لا يعني كل كلام استوى القول والفعل بل حضور القلب وتصون في ميدان الفعل الا ان الاكثر

ان كثر اشتغالها بما يتعلق باللسان ففيه آفات كثيرة وعادات شنيعة في ذكر الصمت منها ثلاثة عشر
ابتدائها ولا تضييع الوقت وهو يوجب المقت فانك به مضيع زمانك ومحاسب على عمل لسانك فرأس مال
العبد اوقاته ومهما صرفها الى ما لا يعنيه ضاع ما له ثم تمضي ايامه في الذنب ولم يدخر فيها ثوابا للعقبى
ومن هنا قال الصديق الاكبر ليتني كنت اخرسا الا عن ذكر الله وفي الحديث ليس يتحسر اهل الجنة يوم
القيامة الا على ساعة مرت بهم ولم يذكروا الله فيها رواه الطبراني والبيهقي عن معاذ وجاء في حديث
ضعيف ان الله امرني ان يكون نطقي ذكرا وصمتي فكرا ونظري عبرة وقساوة القلب الا فيها بالغفلة
عن ذكر الرب قال تعالى فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله وقال عز وعلا الذين امنوا وتطمئن قلوبهم
بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب اي تسكن وتلين وقال عز وجل في بيان القرآن وذكره تقشعر منه
جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ووهن الابدان اي ضعفها بضعف بعض
جسدها فانه اذا اشتكى بعض الاعضاء شاركه سائر الاجزاء وتأخر الرزق اي المعنوي او الحسي ايضا
حتما لما فاته من الرزق وايذاء الحفظة اي كرام الكاتبين بالقاء كلام واملاء مرامه من غير فائدة في
تمامه قال عطاء بن ابي رباح ان من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام وكانوا يعدون منه
ما عدا كتاب الله وسنة رسوله او امرا بمعروف او نهيا عن منكر او نطقا بحاجتك في معيشتك التي لا بد لك
منها اتنكرون ان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون وعن اليمين وعن الشمال قعيد
ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد اما يستحي احدكم ان لو نشرت صحيفته التي املى صدر نهاره كان اكثر
ما فيها ليس من امر دينه ولا دنياه وارسال الكتب اي صحائف الاعمال منه تعالى اي المعروض عليه قبل العقاب منه
وقراءته بين يديه تعالى يوم القيامة على رؤوس الاشهاد كما يشير اليه قوله تعالى اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم
عليك حسيبا ومن هنا قال عمر رضي الله عنه حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وهو مستفاد من قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله وتكرار الامر بالتقوى يدل على مطلوبه
في الدنيا والاخرى والحبس عن الجنة اي بمقداره اشتغاله في الدنيا من الغفلة عن الحضرة والكتب لما
اثبته في الكتاب من استحقاق الثواب او ايتي به العقاب واللوم كما يشير اليه قوله تعالى اقسم بيوم
القيامة ولا اقسم بالنفس اللوامة فانها تلوم نفسها على وجه الندامة في انها ان عملت خيرا تلوم نفسها
لما ما زادت عليه وان عملت شرا فظاهر في حق الكل منه والتعيير اي التوبيخ على التقصير والقطاع الحجة
اي البطالة في تلك الحالة والحياء منه تعالى لما فيه الخجالة وورد اي من الاحاديث في رواية الترمذي
وابن ماجه من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه بل ورد ما هو اشد من هذا فعن انس استشهد غلام منا
يوم احد فوجد على بطنه صخرة مربوطة من الجوع فمسحت امه التراب عن وجهه وقالت هنيئا لك الجنة يا بني
فقال عليه السلام وما يدريك لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه او يمنع ما لا يضره ابن ابي الدنيا والترمذي
مختصرا وفي حديث آخر انه عليه السلام فقد كعبا فسأل عنه فقالوا انه مريض فخرج يمشي حتى اتاه فلما دخل
عليه قال له ابشر يا كعب فقالت امه هنيئا لك الجنة يا كعب فقال عليه السلام من هذه المتألية على الله قال ابي اي

يا رسول الله قال وما يدريك يا ام كعب لعل كعبا قال ما لا يعنيه او منع ما لا يغنيه والمعنى ان الجنة انما تتهيا لمن
لا يحاسب ولا يعاقب ومن تكلم فيما لا يعنيه حوسب عليه وان كان كلامه مباحا فلا تتهيا الجنة
له لان استماع المناقشة في الحساب فانه نوع من العذاب ومنها الفضول اي فضول الكلام وهو زيادة
فيما يعني يعني على قدر الحاجة فان من يعنيه امر يمكنه ان يذكره بكلام مختصر ويمكنه ان يبسطه ويقرره
ويكرره ومهما تادى مقصوده بكلمة واحدة فذكر كلمتين فالثانية فضول اي فضل على الحاجة نعن ابن
عباس وابن مسعود الله ذكرهم فضول الكلام بحسب امرئ ما بلغ به حاجته اي منه المرام في المقام نوره طوبى لمن
امسك الفضل من لسانه وانفق الفضل من ماله تمامه ووسعته السنة ولم تستهوه البدعة رواه البغوي والبيهقي
وقال ابن عبد البر حديث حسن ومنها فضول الكلام لا تنحصر ولا تحصى بل المهم محصور في كتاب الله تعالى
لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس وقد ورد الدنيا ملعونة
ملعون ما فيها الا امرا بمعروف او نهيا عن منكر او ذكر الله البزار عن ابن مسعود والطبراني عن ابي الدرداء
بلفظ الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ما ابتغي به وجه الله عز وجل ومنها الخوض في الباطل وهو الكلام
في المعاصي كحكاية احوال النساء اي حكايات احوالهن من قدهن وخدهن وجمالهن ومقامات الفساق
من مجالس الخمر وسماع الزمر وتنعم الاغنياء اي بالماكول والمشروب من الاشياء وتجبر الملوك اي واتباعهم
من الامراء والوزراء وحروب الصحابة كقصتي الجمل وصفين على طريق الاخبار دون بيان علة ورواية المحدثين
والمذاهب الباطلة وما يتعلق بها من المشارب العاطلة فان كل ذلك مما يحل الخوض فيه وهو اعظم
الناس خطايا اي جمع خطيئة كغضبه وقضايا يوم القيامة اكثرهم خوضا في الباطل ابن ابي الدنيا من حديث
قتادة مرسلا ورجاله ثقات ورواه هو والطبراني موقوفا على ابن مسعود باسناد صحيح وهو في حكم المرفوع
ولابن ماجه والترمذي وقال حسن صحيح من حديث بلال بن الحارث ان الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله
ما يظن ان تبلغ بها ما بلغت يكتب الله بها رضوانه الى يوم يلقاه وان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله
ما يظن ان تبلغ به ما بلغت يكتب الله بها عليه سخطه الى يوم القيامة وكان علقمة يقول كم من كلام قد منعنيه
حديث بلال بن الحرث ولابن ابي الدنيا من حديث ابي هريرة باسناد حسن مرفوعا ان الرجل ليتكلم بالكلمة
يضحك بها جلساءه يهوي بها ابعد من الثريا وللشيخين والترمذي واللفظ له وقال حسن غريب ان
الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها باسا يهوي بها سبعين خريفا في النار وبهذا كان الخوض في الباطل حراما
كما يشير اليه قوله تعالى وكنا نخوض مع الخائضين وقوله فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره وقال
سلمان اكثر الناس ذنوبا يوم القيامة اكثرهم كلاما في معصية الله وقال ابن سيرين كان رجل من الانصار
يمر بمجلس لهم فيقول توضؤوا فان بعض ما تقولون شر من الحدث يعني فان الحدث مباح وكلام
المعصية منكر ولذا قال بعض السلف يتوضؤون من الغيبة والنميمة والمقصود الطهارة الظاهرة والباطنة
عن المعصية الذميمة والا فان اي ما لا يعني من فضول الكلام مكروها كراهة تنزيه او لكونه ترك
الاولى كما لا يخفى وسبب الكلام باعث جميع ما ذكر مما لا يعني والفضول والخوض هو الحرص على علم لا ينفع

لا ينفع بل انه يضر ولا يدفع ومن هنا قال عليه السلام انتم اعلم بامور دنياكم وقال ان الانساب
علم لا ينفع وجهل لا يضر ولا انبساط بالكلام للتودد اي للتحبب مع الانام والغفلة عن
ذكر الملك العلام وامضاء الوقت في اللسان وذلك يا من غير منفعة للخاص او العام والعلاج اي معالجة
الكل ستة ذكر اتيان الموت لانه لا بد من تدارك الفوت في اول الوقت وقد ورد الاثر واذكر هادم اللذات
والسؤال اي وذكر السؤال عن الاحوال يوم العرض على الملك المتعال وخوف الخسران بتضييع الوقت
اي الزمان في الهذيان فقد قال تعالى قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة
الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا والعزلة وهو ان لا تنفع الا في الحاجة لان اكثر الخير في الصحبة
والمسلم والنافلة في العموم او حصاة وهو مروي عن الصديق رضي الله عنه فقد روي عنه انه كان
يضع حصاة في فيه يمنع بها نفسه عن الكلام فيما لا يعنيه وكان يشير الى لسانه ويقول هذا الذي
اوردني الموارد اي المهالك الصادرة من ثمراته والسكوت عن بعض المباحات حذرا من كلام الآفات
لانه لا نجاة منه بهذا الا بالسكوت عن كل كلام يأثم به لو سكت في الحاجات ومن بعضهم جعلت
على نفسي بكل كلمة فيما لا يعنيني صلاة ركعتين فسهل ذلك علي فجعلت لكل كلمة صوم يوم فسهل
علي ولم تنته حتى جعلت على نفسي بكل كلمة ان اتصدق بدرهم فصعب علي فانتهيت كذا في شرح الخطب
ومنها المراء وهو في هذا المقام الطعن في الكلام اي كلام الغير باظهار خلل اي نقصان او طغيان
اي زيادة في معرض بيان بحسب المبنى او من جهة المعنى وهو حرام قال تعالى فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا
ال وعنه عليه السلام لا تمار اخاك ولا تمازحه ولا تعده موعدا فتخلفه الترمذي من حديث ابن عباس والطبراني
من حديث ابي الدرداء وابي امامة وانس بن مالك وواثلة بن الاسقع ولابن ابي الدنيا موقوفا على
ابن مسعود ذروا المراء فانه لا تفهم حكمته ولا تؤمن فتنته والواجب السكوت باطنا لكونه منكرا او
موقوفا وهذا اذا لم يكن بامور الدين متعلقا او السؤال مستفيدا اي متعرفا والتعريف اي تعريف
الخلق متلطفا اي لا متعنتا ولا متكلفا وورد في ترك المراء وهو محق اي صاحب حق بنى له بيت في اعلى
الجنة ومن تركه وهو مبطل بنى له في ربض الجنة وفي رواية بنى له بيت في ربض الجنة رواه الترمذي وابن
ماجه من حديث انس مع اختلاف قال الترمذي حديث حسن ولابن ابي الدنيا من حديث ابي هريرة
لا يستكمل عبد حقيقة الايمان حتى يدع المراء وان كان محقا وهو عند احمد بلفظ لا يؤمن العبد حتى يترك
الكذب في المزاح والمراء وان كان صادقا وللديلمي من حديث ابي مالك الاشعري ست خصال من الخير من
كن فيه بلغ حقيقة الايمان الصيام في الصيف وتعجيل الصلاة في يوم الدجن اي الغيم والصبر على المصيبات
واسباغ الوضوء على المكاره وترك المراء وهو صادق وللطبراني من حديث ابي امامة كفارة كل لحاء ركعتان والملاحاة
مصدر لاحى بمعنى مارى والآفات المراء كثيرة ومن ثم قال سفيان لو خالفت اخي في رمانة
فقال حلوة وقلت حامضة لسعى بي الى السلطان وقال ايضا صاف من شئت ثم اغضبه بالمراء فليرمينك
بداهية تمنعك العيش وقال ابن ابي ليلى لا امارى صاحبي فاما ان اكذبه واما ان اغضبه

والجدال اي البحث ترجيح كل منهما كيفما كان على وفق مرامه وهواه في العرف او الغالب ثم ان تعلق
باظهار المذاهب اي الفرعية الحكمية فيه او الاصولية الاعتقادية قال الله تعالى ولقد صرفنا في هذا القران
للناس من كل مثل وكان الانسان اكثر شيء جدلا وقال عز وجل ولا تجادلوا اهل الكتاب الا
بالتي هي احسن وقال عز وعلا ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن
فهو ما دون فيه مع اهل الكفر والبدعة ومنهي عنه في حق المسلمين من اهل السنة والجماعة فللترمذي
من حديث ابي امامة وصححه ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا اوتوا الجدل وهو اي الجدل المذموم
يعرف بكراهة اصابة الخصم اي الحق والصواب في اثنائه وارادة اخطائه وهو قد يوجب ظهور كونه
واغوائه واظهار فضل النفس في اهوائه وورد اي في حديث ام سلمة ان اول ما عهد الي ربي ونهاني
عنه بعد عبادة الاوثان وشرب الخمر ملاحاة الرجال اي مجادلتهم ومنازعتهم ومماراتهم في
محاورتهم رواه ابن ابي الدنيا والطبراني والبيهقي وابو داود مرسلا من حديث عروة بن رويم والب
اي الباعث على المراء والجدال الترفع باظهار الفضل والكمال والتهجم على الغير باظهار في العلوم او الاعمال
والغضب اي وليهيج في محافل الرجال وعلاج كل اي من الترفع والغضب في موضعه اي الذي يليق به ومحله
ان علاج الترفع ترك الكبر والتواضع وعلاج الغضب بتصور وقدرة الرب ويروى ان الامام الهمام
ابا حنيفة قال لداود الطائي اي لجليل تلميذه لم اثرت الانزواء فقال اجاهد نفسي بترك الجدال والمراء
فقال احضر المجالس واسمع ما يقال ولا تتكلم ثم انتبا قال ففعلت ذلك فما رأيت مجاهدة اشد
مما هنالك قال في الاحياء وهو كما قال لان من سمع خطأ وهو قادر على كشفه يعسر عليه الصبر عنه
جدا ولذا قال عليه السلام من ترك المراء وهو محق بنى له بيت في اعلى الجنة لشدة ذلك على النفس وما يحصل
غالبا منه فيه ثم قال وينبغي للانسان ان يكف اللسان عن اهل القبلة واذا رأى احدا مبتدعا تلطف
في نصحه على الخلوة بطريق المجادلة الحسنة والمحاورة المستحسنة فعنه عليه السلام رحم الله من كف لسانه
عن اهل القبلة الا باحسن ما يقدر عليه ابن ابي الدنيا من حديث هشام بن عروة مرسلا وقال هشام
بن عروة كان يردد قوله هذا سبع مرات ومنها الخصومة وهي من الصفات المذمومة والاخلاق
المشومة وهي لجاج اي مخاصمة زائد في الكلام مع اصحابه الكلام ليستوفي حق اليماله او يغرم اضافة
ادنيا به ابتداء او اعتراضا كاثبات الوراثة ودفع الخصومة اتفاقا قال ولمعنى المدعي بالكسر والشاخ
وصف المدعى عليه ومن هنا قيل الصوفي لا يخاصم ولا يخاصم فورد اي في النبي اي عن عائشة ابغض
الرجال الى الله الالد الخصم اي اللجوج الشديد الخصومة والحديث مقتبس من قوله تعالى ومن الناس من يعجبك
قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو الد الخصام ولابن ابي الدنيا وعنه عن ابي هرير ه
من جادل في خصومة بغير علم لم يزل في سخط الله حتى ينزع وهو حرام الا لمظلوم ينصر حجته بطريق
الشرع مقتصرا على الحاجة اي قدر حاجته من غير تجاوز حد لحاجته لقوله تعالى لا يحب الله الجهر بالسوء من
القول الا من ظلم وقوله والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون والاولى الترك اي اذا وجد اليه سبيلا

سبيلا اي متى امكن الاستغناء عنه لعسر ضبط اللسان على الاعتدال في ميدان البيان والاحتراز عن
موجبات الاثم اليه والاحتراس عن مقتضيات انواع العصيان كالحقد والغضب والسب ونحوها
من نحو الكذب والبهتان والفرح بغم المسلم في ترك الكلام وفوت طيب الكلام اي ولفوته الذي وقد
قال عليه السلام يوجب الجنة اطعام الطعام وحسن الكلام طب اي الطبراني من حديث هاني بن شريح باسناد
جيد وقال عمر رضي الله عنه شعر بني ان البر شيء هين وجه طليق وكلام لين ولا جدالا تقدم
ما تقدم لمن عفا واصلح فاجره على الله وقال عز وعلا وقولوا للناس حسنا وقد قال بعضهم ما خاصم قط
ورع في الدين وقال ابن قتيبة مر بي بشر بن عبد الله بن ابي بكرة فقال ما يجلسك قلت خصومة بيني وبين
ابن عم لي فقال ان لابيك عندي يدا واني اريد ان اجزيك بها واني والله ما رأيت شيئا اذهب للدين
ولا انقص للمروءة ولا اضيع للذة ولا اشغل للقلب من الخصومة قال فقمت لارجع فقال لي خصمي ما لك فقلت
لا اخاصمك فقال عرفت انه حقي فقلت لا ولكن اكرم نفسي عن هذا قال فاني لا اطلب منك شيئا هو
لك ومنها التشدق اي التكلف في الكلام والتوسع في المرام بتكلف السجع والتصنع فيه اي من غير ان
يكون في سجيته سجع الطبع كما قيل لبعض المشايخ في ذم السجع فقال ارجعت عما سجعت واما اصل
السجع فغير مذموم في الشرع كما نزل في فواصل اي القران العظيم وورد في كثير من حديث النبي الكريم ومنه
اعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ونفس لا تشبع ودعاء لا يسمع ومنهم ولا ادعاء وارد
من انه عليه السلام قضى بغرة في الجنين فقال بعض قوم الجاني كيف ندي من لا اكل ولا شرب ولا صاح
ولا استهل ومثل ذلك يطل اي يهدر ويبطل فقال عليه السلام اسجعا كسجع الاعراب وانكر ذلك لان اثر
التكلف والتصنع بين عليه في هذا الباب والحديث رواه مسلم من حديث المغيرة بن شعبة وابي هريرة
واصله عند البخاري رضي الله عنه فورد شرار امتي الذين يتشدقون في الكلام ابن ابي الدنيا من حديث فا طمه
شرار امتي الذين غذوا في النعيم ياكلون الوان الطعام ويلبسون الوان الثياب ويتشدقون في
الكلام ولمسلم من حديث ابن مسعود الا هلك المتنطعون ثلاث مرات والتنطع هو التعمق والاستقصا
ولاحمد من حديث ابي ثعلبة وهو عند الترمذي من حديث جابر وحسنه ان ابغضكم الى الله وابعدكم مني مجلسا
الثرثارون المتفيهقون المتشدقون والسبب اظهار الفصاحة والتميز عنه واما تحسين الالفاظ في
المواعظ وكذا في الخطب والتصنيف للتأثير في القلوب فجائز دون الافراط اي بغير ان طاب في
الاغراب لان المقصود تحريك القلوب وتشويقها وقبضها وبسطها وتحقيقها وتدقيقها وانشا قه
الالفاظ والبيان ما يؤثر في ميدان المعاني واما المحاورات التي تجري في قضاء الحاجات فلا يليق
بها السجع فيما بين الكلمات قال لاشتغاله من التكلف المذموم اذ لا باعث عليه الا الريا المذموم
ومنها الفحش وهو التصريح بالذمائم اي بالكلمات الذميمة كلفظ الجماع الا لضرورة كما نقل عن
ابن عباس ان الله حي كريم ويكني كنى باللمس عن الجماع فالمسيس واللمس والدخول والصحبة كنايا ت
عن الوقاع وليست بفاحشة بل الجماع والبول وكذا الكراهة والاولى فينبغي ان يكني عنهما بقضاء الحاجة

او بالغايط فانه من كنايات القرآن اذ حقيقته الوضع المنخفض من الارض مع ما فيه من التنبيه ان
مثل هذا الكلام يليق بتقاضا حال الانسان والجذام ونحوه من البرص والقرح والبواسير والقولنج
والا كمال بل يقال العارض الذي يشكوه من زوجتك وكذا امرأتك ومن بيتك بل يقال من في البيت
او العيال او اهل البيت او ام الاولاد ونحو ذلك والظاهر ان زوجتك من كنايات القرآن حيث قال
تعالى اسكن انت وزوجك الجنة وقال امسك عليك زوجك فورود التفحش ليس من الاسلام احمد
وابن ابي الدنيا باسناد صحيح من حديث جابر بن سمرة بلفظ ان الفحش والتفحش ليسا من الاسلام
في شيء الحديث وللنسائي والحاكم وصححه من حديث عبد الله بن عمرو اياكم والفحش فان الله لا يحب الفحش
والتفحش ولابن ابي الدنيا وابي نعيم في الحلية من حديث عبد الله بن عمرو باسناد لين الجنة حرام
على كل فاحش ان يدخلها قال العلاء بن زياد كان عمر بن عبد العزيز يتحفظ في منطقه فخرج جراح
في ابطه فقلنا لنسأله ما ذا نقول فقلنا من اين يخرج فقال من باطن اليد ومن هذا القبيل قوله
عليه السلام ما ذا القول لامرأة رفاعة حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك رواه البخاري من
حديث عائشة ومن ذلك ما اتفق عليه الشيخان عنها من حديثها في المرأة التي سألته عن الاغتسال
من الحيض فقال خذي فرصة ممسكة فتطهري بها الحديث ومنها السباب اي الشتم فورد سباب المؤمن فسوق
رواه الشيخان عن ابن مسعود ولفظه سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر ولمسلم من حديث ابي هريرة
المستبان ما قالا فعلى البادي ما لم يعتد المظلوم ولاحمد وابي يعلى والطبراني من حديث ابن عباس
باسناد جيد ملعون من سب والديه وفي رواية الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو من اكبر الكبائر ان
يسب الرجل والديه قالوا يا رسول الله كيف يسب الرجل والديه قال يسب ابا الرجل فيسب اباه
ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ان يسب قتلى بدر من المشركين وقال لا تسبوا هؤلاء فانه لا يخلص
اليهم شيء مما تقولون وتؤذون الاحياء رواه ابن ابي الدنيا من حديث محمد بن علي الباقر مرسلا ورجاله
ثقات وللنسائي من حديث ابن عباس باسناد صحيح ان رجلا وقع في اب للعباس كان في الجاهلية فلطمه
الحديث وفيه لا تسبوا امواتنا فتؤذوا احياءنا ولابي داود والترمذي وقال غريب من حديث ابن عمر
اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساويهم وللنسائي من حديث عائشة لا تذكروا موتاكم الا بخير واسناده
جيد وللبخاري من حديث عائشة لا تسبوا الاموات فانهم قد افضوا الى ما قدموا والرخصة في مثل هذا ان
من بني فلان اي اذا كان بعض فلان من الفساق بالدنيه وابعد التشبيه بالرديه فيكون صادقا في قوله
يا سيئ الخلق الا ان الخلق لا يخلو من سوء الخلق الا قليلا لكن في حق الحيا يا احمق اذ لا يخلو احد من
نوع حماقة يا جاهل لان كل احد جاهل اكثر من علمه لقوله تعالى وما اوتيتم من العلم الا قليلا فكل احد من افراد
الانسان لا يخلو عن جهل وحمق ولو في بعض الاحيان والله المستعان ومنها اللعن بمعنى
الطرد وهو الابعاد عنه تعالى اي طلب بعد الغير عن رحمته سواء يكون بجملة خبرية كلعنة الله او دعائية
كاللهم العنه فهو حكم عليه تعالى لان الخبر ايضا بمعنى الامر فلا يجوز اي على احد من فاسق ومبتدع وفاجر

وفاجر بل لا يجوز لعن كل ميت كافر اي بحسب حكم ظاهر لجواز انه اسلم الا ولم يطلع عليه احد
الا اذا علم موته كافرا بنص قطعي من الكتاب كابي لهب او بتواتر في حديث كابي جهل وفرعون فان
كفره ثابت بالكتاب والسنة واجماع الامة والا فالنفاق الى كلام ابن عربي ومن تبعه كما بينته في رسالة
م مستقلة ولا يجوز الدعاء على كافر حي بالحتم انه لا يسلم في آخر عمره وقياسه امره بخلاف الترحم للمسلم
الحال جواب سؤال مقدر وهو انه ينبغي ان لا يجوز الترحم للمسلم في الحال لجواز انه يكفر في المآل فقال
انما يجوز لانه اي الدعاء بالرحمة للمسلم سؤال الثبات على الاسلام وهو مستحب باجماع الاعلام
وسؤال الثبات على الكفر كفر لانه يدل على رضاه به بخلاف الدعاء له بالموت على الكفر فان رضاه
ليس بكفر بل لموته على كفره تغيظا في امره ويدل على جوازه دعاء موسى وهارون على فرعون وقومه
بقوله ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم ومن المعلوم ان
سنا ايمانهم عند رؤية العذاب ايمان يأس وتوبة يأس فلا يقبل لقوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا
وقوله حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن وقوله عليه السلام ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر
ن واما اذا قيل اغفر او ارحم فلانا وهو كافر واراد به الدعاء بان يجعله سبحانه اهلا للمغفرة والرحمة بالهداية
والمعرفة فقيل لا بأس والظاهر انه لا يجوز لنهي الشارع ان يقال في جواب عطسة الكافر يرحمك الله بل
يقال يهديك الله ويجوز التعميم مثل لعن الله الكافرين لقوله تعالى فلعنة الله على الكافرين والا لعنة الله
على الظالمين بل يجوز التعميم ايضا في حق الفاجرين من غير تعيين بان يقال لعن الله آكل الربا وموكله
وكاتبه وشاهديه وهم يعلمون كما رواه الطبراني عن ابن مسعود مرفوعا ولعن الله الخمر وشاربها
وساقيها وبايعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه واكل ثمنها كما اخرجه ابو
داود والحاكم عن ابن عمر ولعنت القدرية على لسان سبعين نبيا رواه الدارقطني في العلل عن علي
رضي الله عنه ويجوز لعنة الله على اليهود والنصارى والمجوس وعلى الخوارج والروافض والا والترك
الا يترك اللعن مطلقا اي عموما وخصوصا فيما لم يرد في الكتاب والسنة لعنه اذ هو مما لا يعنيه قال مكي بن
ابراهيم كنا عند ابن عون فذكروا بلال بن ابي بردة فجعلوا يلعنونه ويقعون فيه وابن عون ساكت
فقالوا يا ابن عون انما نذكره لما ارتكب منك فقال ابن عون انما كلمتان تخرجان من صحيفتي يوم
القيامة لا اله الا الله ولعن الله فلانا فلان تخرج من صحيفتي لا اله الا الله احب الي من ان تخرج لعن
الله فلانا وفي الجملة ففي لعنة الاشخاص خطر فليجتنب في امره ولا خطر في السكوت عن لعن ابليس فضلا
عن غيره وورد المؤمن اي الكامل ليس بلعان اي بذي لعن فالصيغة للنسبة كالتمار واللبان او للمبالغة
فانه ربما يصدر عن المؤمن في حالة احوال الغضب او الغفلة وهو مذموم سواء يكون انسانا او جمادا او
حيوانا والحديث رواه الترمذي وحسنه من حديث ابن عمر لا يكون المؤمن لعانا ولابي داود والترمذي
من حديث سمرة بن جندب وقال الترمذي حسن صحيح لا تلاعنوا بلعنة الله ولا بغضبه ولا بجهنم وقال عمران
بن الحصين بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره اذ امرأة من الانصار على ناقة لها فضجرت

سير فلعنتها فقال عليه السلام خذوا ما عليها واعروها فانها ملعونة قال فكأني انظر الى تلك الناقة
تمشي في الناس لا يعرض لها احد رواه مسلم وابن ابي الدنيا باسناد جيد من حديث انس كان
رجل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على بعير فلعن بعيره فقال يا عبد الله لا تسر معنا على بعير ملعون
تم د ك انكارا عليه كذا في الاحياء عن ابي ذر او ابي الدرداء لعن الارض احلال قالت لعن الله
اعصانا الله وعن عايشة رضي الله عنها قالت سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر وهو يلعن بعض
رقيقه فالتفت اليه فقال يا ابا بكر اللعانين وصديقين كلا ورب الكعبة اللعانين وصديقين كلا ورب
الكعبة مرتين او ثلاثا فاعتق ابو بكر يومئذ رقيقه وجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال لا اعود رواه
ابن ابي الدنيا ولمسلم من حديث ابي الدرداء ان اللعانين لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة وشرب شفعاء صح
نعيمان الخمر مرات في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعض الصحابة لعنه الله ما اكثر ما يؤتى
به فقال عليه السلام لا تكن عونا للشيطان على اخيك وفي رواية لا تقل هذا فانه يحب الله ورسوله
ابن عبد البر مع الاستيعاب وللبخاري منه حديث عمر ان رجلا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان اسمه عبد الله وكان يلقب حمارا وكان يضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد جلده في الشراب
فأتي به يوما فامر به فجلد فقال رجل من القوم اللهم العنه ما اكثر ما يؤتى به فقال عليه السلام لا تلعنوه فوالله
ما علمت الا انه يحب الله ورسوله وهذا يدل على ان لعن فاسق بعينه لا يجوز وفي الصحيحين من
حديث ثابت بن الضحاك لعن المؤمن كقتله والتحقيق ان اللعن غير جائز الا على من يتصف بصفة تبعده
عن الله وهو الكفر والفسق والظلم والبدعة وذلك غيب باعتبار الخاتمة اذ ربما يموت صاحبه على
التوبة فاللعن الاعيان فيه خطر لان الاحوال تتقلب على الاعيان الا انه عليه السلام يجوز ان
يعلم من يموت على غير الاسلام ولذا كان يقول في دعائه على قريش اللهم عليك بابي جهل بن هشام
وعتبة بن ربيعة وغيرهما ممن قتلوا على الكفر ببدر كما في الصحيحين من حديث ابن مسعود ولانه لم يعلم
عاقبته وكان يلعنه فنهي عن ذلك اذ روي انه كان يلعن الذين قتلوا اصحاب بئر معونة في قنوته شهرا
فنزل قوله تعالى ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون يعني انهم ربما يسلمون فمن اين
تعلم انهم ملعونون كذا في الاحياء وقال مخرجه رواه الشيخان من حديث انس دعا رسول الله صلى الله
عليه وسلم على الذين قتلوا اصحاب بئر معونة ثلاثين صباحا الحديث وفي رواية لهما قنت شهرا
يدعو على رعل وذكوان الحديث ولهما من حديث ابي هريرة كان يقول حين يفرغ من صلاة الفجر
من القراءة ويكبر ويرفع راسه الحديث وفيه اللهم العن لحيان ورعلا الحديث وفيه ايضا ثم بلغنا انه ترك
ذلك لما انزل الله ليس لك من الامر شيء ولفظه لمسلم واما من بان موته على الكفر فيجوز لعنه ان لم يكن
فيه اذى على مسلم كما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سال ابا بكر عن قبر مر به وهو يريد الطائف
فقال هذا قبر رجل كان عاتيا على الله وعلى رسوله وهو سعيد بن العاص فغضب ابنه وهو عمرو بن
سعيد قال يا رسول الله هذا قبر رجل كان اطعم للطعام واضرب للهام من ابي قحافة فقال ابو بكر

ابو بكر يكلمني هذا يا رسول الله بمثل هذا الكلام فقال عليه السلام لعمر اكفف عن ابي بكر وانصرف ثم
اقبل على ابي بكر فقال يا ابا بكر اذا ذكرتم الكفار فعموا فانكم اذا خصصتم غضب الابناء للآباء فكف
الناس عن ذلك كذا في الاحياء وقال مخرجه رواه ابو داود في المراسيل من رواية علي بن ربيعة قال لما
افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة توجه منها الى الطائف ومعه ابو بكر ومعه ابنا سعيد
بن العاص فقال ابو بكر لمن هذا القبر قالوا قبر سعيد بن العاص فقال ابو بكر لعن الله صاحب هذا القبر
فانه كان يحاد الله ورسوله الحديث وفيه فاذا سببتم المشركين فسبوهم جميعا وللترمذي من حديث المغيرة
بن شعبة ورجاله ثقات لا تسبوا الاموات فتؤذوا الاحياء فان قيل هل يجوز لعن يزيد لكونه قاتل
الحسين او امر به فقال الغزالي هذا لم يثبت اصلا فلا يجوز ان يقال انه قتله او امر به ما لم يثبت فضلا
عن اللعن لانه لا يجوز نسبة مسلم الى كبيرة من غير تحقيق نعم يجوز ان يقال قتل ابن ملجم عليا
رضي الله عنه وقتل ابو لؤلؤة عمر رضي الله عنه لان ذلك ثبت متواترا ولا يجوز ان يرمى مسلم بكفر وفسق
من غير تحقيق فعنه عليه السلام لا يرمي رجل رجلا بالكفر ولا يرميه بالفسق الا ارتدت عليه ان لم
يكن صاحبه كذلك رواه الشيخان من حديث ابي ذر وللديلمي من حديث انس ما شهد رجل على رجل
بالكفر الا باء به احدهما ان كان كافرا فهو كما قال وان لم يكن كافرا فقد كفر بتكفيره اياه وهذا اذا عناه
ان يكفره وهو يعلم انه مسلم فان ظن انه كافر ببدعة او بغيرها كان مخطئا لا كافرا فان قيل فهل
يجوز ان يقال قاتل الحسين لعنه الله او الآمر بقتله لعنه الله قلنا الصواب ان يقال قاتل الحسين
ان مات قبل التوبة لعنه الله لانه يحتمل ان يموت بعد التوبة فان وحشيا قاتل حمزة قتله وهو كافر ثم
تاب عن القتل والكفر جميعا ولا يجوز ان يلعن والقتل كبيرة ولا ينتهي رتبة الكفر فاذا لم يتقيد بالتوبة
واطلق كان فيه خطر كذا في الاحياء وقد تقدم عنه انه لا يجوز لعن احد الا اذا تحقق موته على الكفر
فالصواب ان يقال قاتل الحسين ان مات على الكفر لعنه الله اذ لا يجوز لعنه ان مات على الايمان
وتاب عن العصيان والله المستعان ومنها نسبة الذنب الى المسلم يعني وهو بريء منه الى الذنب بعد
التحقيق اي الى الذنب الذي تحقق وقوعه منه فقد قال تعالى ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا
فقد احتمل بهتانا واثما مبينا ومنها الدعاء على احد قال تعالى ويدعو الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان
الانسان عجولا فورد ان المظلوم ليدعو على الظالم الى ان يقول لا صحح الله جسمه ولا سلمه الله روحه
ونحوه حتى يكافئه اي يماثله في الظلم ثم يبقى للظالم عنده فضله اي زيادة يوم القيامة اي ان زاد على
مثله لقوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم والحديث كذا في الاحياء وقال
مخرجه لم اقف له على اصل وللترمذي من حديث عايشة بسند ضعيف من دعا على من ظلمه فقد انتصر قلت وهو
مطابق لقوله تعالى ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل انما السبيل على الذين يظلمون الناس
اي ابتداء او بالبغي وزعن الحد انتهى ومنها المزاح بكسر الميم مصدر مازح او مازح وبالضم اسم والمزح
به وهو المطايبة في الكلام باللسان الا انه لما كان اللسان كالترجمان عن حال الجنان قال المصـ

وهو مطابقة القلب ولا يبعد ان يكون المعنى وهو سبب لطب القلب وهو اى كثيره او اصله
مذموم اى وقاعه معلوم لانه يورث الداء ببعج كثرة الذنوب والعيوب اى الظاهرة والباطنة
كحقد العاقل وجراة السفيه اى الجاهل فعن سعيد بن العاص لابنه يا بنى لا تمازح الشريف فيحقد
عليك ولا الدنى فيجترى عليك وسقوط الوقار اى الهيبة والعظمة فى نظر الابرار فعن عمر رضى الله عنه
من مزح استخف به وذهاب حقوق المحبة لانه لا يخلو عن مراء فى الصحبة ويقال المزاح مذهب
للبهى ومقطعه للمودة وقاد الغفلة عنه تعالى اى عن ذكر الرب بحيث الا غلب وظلمة القلب الناشئة
عن الغفلة وورد لا تمار اخاك ولا تمازحه الترمذى الا النادر الخالى عن الباطل فانه غير مذموم
كما ورد انى امزح ولا اقول الا حقا لكن مثله يقدر على ان يمازح ولا يقول الا حقا واما غيره
فاذا افتتح باب المزاح كان غرضه ان يضحك الناس كيف كان وكثرة الضحك تميت القلب وتدل على
الغفلة عن احوال الاخرة واهوالها وقد ورد لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا متفق عليه
من حديث انس وعائشة وقال القاسم مولى معاوية اقبل اعرابى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
على قلوص له فسلم فجعل كلما دنا الى النبى صلى الله عليه وسلم ليسأله تقربه وجعل الصحب يضحكون منه ففعل
ذلك ثلث مرات ثم وقصه فقتله فقيل يا رسول الله ان الاعرابى قد صرعه قلوصه فهلك قال وافواهكم
ملئ من دمه ابن المبارك فى الزهد والرقائق وهو مرسل كما هو المأثور عن الحسن قال اتت عجوز
الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام لا تدخل الجنة عجوز فبكت فقال انك لست بعجوز يومئذ
قال تعالى انا انشأناهن انشاء فجعلناهن ابكارا الترمذى فى الشمائل هكذا مرسلا واسنده ابن الجوزى
فى الوفا من حديث انس بسند ضعيف وروى زيد بن اسلم ان امرأة يقال لها ام ايمن جاءت الى النبى
صلى الله عليه وسلم فقالت ان زوجى يدعوك فقال ومن هو اهو الذى بعينه بياض فقالت والله ما بعينه
بياض قال بلى ان بعينه بياضا فقالت لا والله فقال عليه السلام ما احد الا بعينه بياض اراد به البياض
المحيط بالحدقة الزبير بن بكار وجاءته امرأة اخرى فقالت يا رسول الله احملنى على بعير فقال عليه السلام
نحملك على ابن البعير فقالت ما اصنع به لا يحملنى فقال عليه السلام وهل من بعير الا وهو ابن البعير
ابو داود والترمذى وصححه من حديث انس بلفظ انا حاملوك على ولد الناقة وروى ان الضحاك بن سفيان
الكلابى كان رجلا دميما قبيحا فبايعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عندى امرأتان احسن
من هذه الحميراء افلا انزل لك عن احداهما فتزوجها وعائشة جالسة تسمع قبل ان يضرب الحجاب فقالت
هى احسن ام انت فقال بل انا احسن منها واكرم فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسئلة عائشة اياه
لانه كان دميما الزبير بن بكار من رواية عبد الله بن حسن بن حسن مرسلا او معضلا والدارقطنى
نحو هذه القصة مع عيينة بن حصن الفزارى بعد نزول الحجاب من حديث ابى هريرة وقال عليه السلام
لصهيب وبه رمد وقد راه يأكل تمرا فقال اتاكل التمر وانت رمد فقال انما اكل بالشق الاخر فتبسم عليه
السلام قال بعض الرواة حتى بدت نواجذه ابن ماجه والحاكم من حديث صهيب وروى ان خوات بن

جبير كان جالسا الى نسوة من بنى كعب بطريق مكة فطلع عليه النبى صلى الله عليه وسلم فقال
يا ابا عبد الله ما لك مع النسوة فقال يفتلن ضفيرا لجمل لى شرود قال فمضى عليه السلام لحاجته ثم طلع عليه
فقال يا ابا عبد الله اما ترك ذلك الجمل الشراد بعد قال فسكت واستحييت قال فكنت بعد ذلك اتفرد
منه كلما رايته حياء منه حتى قدمت المدينة وبعد ما قدمت المدينة حتى طلع على وانا اصلى فى المسجد فجلس
الى فطولت صلاتى فقال لا تطول فانى انتظرك فلما فرغت قال يا ابا عبد الله اما ترك ذلك الجمل الشراد
بعد فسكت واستحييت قال وكنت اتفرد منه حتى لحقنى يوما وهو على حمار وقد جعل رجليه فى شق واحد
فقال يا ابا عبد الله اما ترك ذلك الجمل الشراد بعد فقلت والذى بعثك بالحق نبيا ما شرد منذ اسلمت قال الله
اكبر الله اكبر اللهم اهد ابا عبد الله قال فحسن اسلامه وهداه الله الطبرانى فى الكبير ورواه زيد بن اسلم
عن خوات بن جبير ورجاله ثقات وكان نعيمان الانصارى رجلا مزاحا وكان يشرب فيؤتى به
الى النبى صلى الله عليه وسلم فيضربه بنعله ويأمر اصحابه فيضربونه بنعالهم فلما كثر ذلك منه قال له رجل من
الصحب لعنك الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم لا تفعل فانه يحب الله ورسوله وكان يشترى الهدايا
ويهديه الى النبى صلى الله عليه وسلم ثم يجيء بصاحبه فيقول اعطه ثمن متاعه فيقول عليه السلام اولم
تهده لنا فيقول يا رسول الله لم يكن عندى ثمنه واحببت ان تأكله فيضحك عليه السلام ويأمر لصاحبه بثمنه
رواه الزبير بن بكار ونحو من مطايبات يباح مثلها بل تستحب احيانا ومن الغلط العظيم ان يتخذ
الانسان المزاح حرفة على الدوام ويتمسك بفعله عليه السلام فهو كمن يدور مع الزنوج ابدا ينظر الى
رقصهم ويتمسك باذنه عليه السلام لعائشة فى النظر الى رقصهم فى يوم عيد كلهم فهذا اخطأ اذ من
الصغائر ما يصير كبيرة بالاصرار ومن المباحات ما يصير صغيرة بالاصرار كذا فى الاحياء ومنها الاستهزاء
وهو استحقار الغير بذكر عيوبه على وجه يضحك اى منه على الملأ قولا وفعلا متعلقان بذكر عيوبه تنبيها على
ان ذلك قد يكون بالمحاكاة فى الفعل والقول وقد يكون بالاشارة والايماء فعن عائشة حكيت انسانا
فقال عليه السلام ما يسرنى انى حكيت انسانا ولى كذا وكذا رواه ابو داود والترمذى وصححه وهو اى بجميع
انواعه حرام لانه ايذاء وايضا هو عمل السفهاء ولذا قال موسى اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين حين
قال قومه اتتخذنا هزوا اى مهزوا بنا وورد فى سورة الحجرات لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم
الاية ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن من عير اخاه بذنب لم يمت حتى يعمله الترمذى عن معاذ
بن جبل وحسنه وذكر وذكر عن احمد بن منيع قالوا من ذنب قد تاب منه وعنه عليه السلام ان المستهزئين ين
بالناس يفتح لاحدهم باب من الجنة فيقال هلم هلم فيجئ بكربه وغمه فاذا اتاه اغلق دونه فما يزال
كذلك حتى ان الرجل ليفتح له الباب فيقال له هلم هلم فما يأتيه ابن ابى الدنيا مرسلا وعن عبد الله
بن عباس فى قوله تعالى يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها الصغيرة التبسم
بالاستهزاء بالمؤمن والكبيرة القهقهة بذلك وذلك لا يختص على خطه وصنعته او على صورته وخلقته الا
الاستثناء منه حرام اى انما يحرم فى حق من يتأذى به اما من جعل نفسه مسخرة فربما يفرح بسببه

فهو اي السخرية في حقه كالمزاح الذي في اصله مرخص مباح ومنها اظهار السر اي افشاء سر صاحبه
ما اذا عتد وامتناعه منه مرض لؤم الطبع ومنهي عنه في لسان الشرع وفيه ان يذكر ان الحق اي التهاون
بحق المعارف وان صدق وورد لا يحل لاحد ان يفشي على صاحبه ما يكره لم يعرف بهذا اللفظ لكن ورد
الحديث بينكم امانة رواه ابن ابي الدنيا من حديث ابن شهاب مرسلا والخطيب عن علي المجالس بالامانة
ولابي داود عن جابر المجالس بالامانة الا ثلاث مجالس سفك دم حرام او فرج حرام او اقتطاع
مال بغير حق وورد من حديث جابر اذا حدث الرجل الحديث ثم التفت فهي امانة ابو داود والترمذي
وحسنه ومنها الوعد على عزم الخلف فهو من ثلاث اي خصال ثلاث علامات النفاق فعن ابي هريرة
مرفوعا ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم اذا حدث كذب واذا وعد
اخلف واذا ائتمن خان متفق عليه والواجب اي شرعا او مروة الوفا في كل وعد لهم اي صاحب
الوعد منه الجزم وان استثنى اي وقال ان شاء الله لانه قد يقال للتبرك والتبري من الحول والقوة
كما يشير اليه قوله تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله اي الا متبركا بذكر مشيئته
وارادته فمورد اي في قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود اي بالعهود وورد في السنة العدة
اي الوعد دين اي قرض كقرض او عطية شك او اختلاف رواية ولعل ان ظهر وقد اقتصر على الدين جا
على الثاني وقال اخرجه ابو نعيم في الحلية عن ابن مسعود مرفوعا ورواه عن الا اللفظ الاول فرواه
الطبراني في الاوسط عن علي وعن ابن مسعود وفي رواية ابن عساكر عن علي العدة دين ويل لمن
وعد ثم اخلف كررها ثلاثا ولابن ابي الدنيا من رواية ابن لهيعة مرسلا الوأي مثل الدين او افضل
وقال الوأي يعني الوعد ورواه الديلمي ايضا عن علي وقد اثنى الله على نبيه اسمعيل بقوله انه كان
صادق الوعد يقال انه واعد انسانا الى موضع فلم يرجع اليه فبقي اثنين وعشرين يوما ينتظره
وعن عبد الله بن ابي الحمساء بايعت النبي صلى الله عليه وسلم فواعدته ان اتيه بها في مكانه ذلك فنسيت
يومي والغد فاتيته اليوم الثالث وهو في مكانه فقال يا فتى قد شققت علي انا ههنا منذ ثلاث
انتظرك رواه ابو داود وكان عليه السلام جالسا يقسم غنائم هوازن بحنين فوقف عليه رجل
فقال ان لي عندك موعدا اي صدقت فاحتكم ما شئت قال احتكم ثمانين ضائنة وراعيها فقال لك
لك ولقد احتكمت يسيرا ولصاحبة موسى التي دلته على عظام يوسف كانت احزم منك واجزل حكما
حين حكمها موسى فقالت حكمي ان تردني شابة وادخل معك الجنة ابن حبان والحاكم في مستدركه من حديث
ابي موسى مع اختلاف وقال الحاكم صحيح الاسناد واحزم بالجيم والزاي اي اوجب ولا يبعد ان
يكون بالحاء المهملة اي احوط والزم ويعذر اي يعد معذورا ان ترك اي الوفا بعذر اي شرعي
او عرفي فكان ابن مسعود لا يعد وعدا الا ويقول ان شاء الله اي تعليقا لئلا يكون الوعد محققا
وقيل لابراهيم بن ادهم الرجل يواعد الرجل الميعاد فلا يجيء قال ينتظر ما بينه وبين ان يدخل
وقت الصلاة التي تجيء فورد فيه اي في العذر نقل ثم ان كان في نيته الوفا اي منه اصله في الوعد الاكد

الاكد فليس بمنافق لابي داود والترمذي من حديث زيد بن ارقم اذا وعد الرجل اخاه ومن نيته ان يفي فلم يف
فلا اثم عليه لكنه متصور بصورة الخلف فالاولى ان يحترز اي احترازا من التهمة في خلف الوعد
وانما في ابن حبان انه عليه السلام كان اذا وعد وعدا قال عسى فقال مخرجه لم اجد له اصلا ومنها الكذب
بفتح فكسر وبكسر فسكون وقد عد من قبايح الذنوب وفواحش العيوب وهو حرام بالكتاب والسنة قال
تعالى انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وفي الصحيحين اربع من كن فيه فهو منافق اذا
حدث كذب وفيهما عن ابن مسعود لا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا
ولابن عبد البر في التمهيد بسند ضعيف عن عبد الله بن جراد انه سال النبي صلى الله عليه وسلم هل
يزني المؤمن قال قد يكون من ذلك قال هل يكذب قال لا ثم اتبعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بهذه
الكلمة انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وفي حصره مبالغة في نفيه عن المؤمن
او مقيد بالكامل ويؤيده ما رواه ابن ابي شيبة في مصنفه من حديث ابي امامة وابن عدي من حديث
سعد بن ابي وقاص على كل خصلة يطبع او يطوى عليها المؤمن الا الخيانة والكذب وقيل لخالد بن
صبيح من يكذب بكذبة واحدة هل يسمى فاسقا قال نعم الا ان استثنى منه قوله وهو حرام اي ولا يحرم بل
يجب اذا وقع في تركه اي حصل في ترك الكذب افحش منه اي منكر اعظم من الكذب كما في ستر السر
اي بان يسال عن سر اخيه فله ان ينكر ويكذب فيه وكذا في ستر اسرار نفسه من كشف عوراته فعنه
عليه السلام اجتنبوا هذه القاذورات التي نهى الله عنها فمن علم شيئا فليستتر بستر الله رواه الحاكم
واسناده حسن وذلك لان اظهار الفاحشة فاحشة اخرى بل اعظم من الاولى فله انكاره بحفظ
دمه وماله الذي يؤخذ ظلما وعرضه بلسانه وان كان كاذبا وانكار سعي العلم اي وكما في عدم
الاقرار بمكان من اختفى عن ظالم قصد قتله او ضربه او اخذ ماله او كشف عرضه وحاله فعن ميمون بن
مهران ان الكذب في بعض المواطن خير من الصدق ارايت لو ان رجلا يسعى واخر وراءه بالسيف
فدخل دارا فانتهى اليك فقال ارايت فلانا ما كنت قائلا له الست تقول لم اره وما تصدق فهذا
الكذب واجب او فيه اي او في تركه افحش من الصدق كما في اصلاح ذات البين فورد الاستثناء
اي استثناء جرمه الكذب في الحرب وفي الاصلاح اي اصلاح ذات البين والحديث مع المرأة ففي صحيح
مسلم عن ام كلثوم قالت ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرخص في شيء من الكذب الا في ثلاث
الرجل يقول القول يريد به الاصلاح والرجل يقول القول في الحرب والرجل يحدث امرأته والمرأة تحدث
زوجها وبعض المراد بتحديث الزوجين ما يقع بينهما من الوعد في احد الامرين بنية عدم الوفا الحديث
كما رواه ابن عبد البر في التمهيد من رواية صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار مرسلا قال رجل للنبي
صلى الله عليه وسلم اكذب اهلي قال لا خير في الكذب قال اعدها واقول لها قال لا جناح عليك وان
اسرار الحرب لو وقف عليها العدو احترز واسرار الزوج لو وقفت عليها المرأة تنشأ منه فساد اعظم من فساد
الكذب وكذا المتهاجران يدور بينهما المعصية والعداوة فاذا امكن الاصلاح بكذب فذلك اولى من الصدق

الذي لم يترتب عليه خير ثم لا يجوز الكذب ولو كان بطريق اللعب فعن عبدالله بن عامر جاء عليه السلام
الى بيتنا وانا صبي صغير فذهبت لالعب فقالت امي يا عبدالله تعال اعطيك فقال عليه السلام ما اردت
ان تعطيه فقالت تمرا فقال اما انك لو لم تفعلي كتبت عليك كذبة رواه ابو داود لا اي لا يجوز الكذب عند
استواء الطرفين فاصله قبيح اي لم يترجح احد الطرفين فلا بد من ترجيح فان ادى الترك اي ترك الكذب في حاجة
اي امر يقتضيه لسان الصدق الى الخلل حرام فيه ان كان حاجة الغير او تعريضا بالعلم ضمنا ان امكن
اي تركه بعوض الى محرم الى خفاء جواز امر الكذب فانه يختلف باختلاف الذوات وتفاوت الاوقات
والاوقات ولو تعريضا غاية ختم قوله فان ادى الترك الخ اي التعريض بمعنى التلويح فقرير على ظن كاذب
وقد ورد في حديث كذب الحديث وهو يرى انه كذب فهو احد الكاذبين رواه مسلم في مقدمة صحيحه من حديث
سمرة بن جندب هذا او قد جوز الكذب للضرورات المبيحة للمحظورات والا اي وان لم يمكن ترك الكذب
فالمعاريض متعينة وهي بفتح الميم ان يتكلم الرجل بكلمة يظهر من نفسه شيئا ومراده شئ آخر كذا في البستان
وتحقيقه في قوله تعالى ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء وفي المغرب التعريض خلاف التصريح
والفرق بينه وبين الكناية هو ان التعريض تضمين الكلام دلالة ليس فيها ذكر كقوله ما اقبح البخل
تعريض بانه بخيل والكناية ذكر اللازم وارادة الملزوم كقولك فلان طويل النجاد كثير الرماد والنجاد
حمائل السيف والمعنى انه طويل ومضياف وقد ورد ان في المعاريض لمندوحة عن الكذب ابن عدي
والبيهقي عن عمران بن حصين مرفوعا وفي الاحياء وقد نقل عن السلف ان في المعاريض مندوحة عن
الكذب وعن عمر رضي الله عنه ايضا على ايراد حديثه مثل الله يعلم ما قلته لاحتمال كون ما نافية او موصولة او استفهامية
ومنه ما رويتك ما رفعت الجنب عن الفراش الا ما رفعه الله تعالى فانه يشمل الرفع الاختياري والاضطراري
ثم الانكار عن القول بالنسبة الى الاول والصحيح ما اضافه الى الثاني فهما لف ونشر مرتب في بديع المباني
ومنبع المعاني ثم الاحياء ومن اشتد المعاريض ما روي ان مطرفا دخل على زياد فاستبطأه فتعلل بمرض
وقال ما رفعت جنبي منذ فارقت الامير الا ما رفعني الله وقال ابراهيم اذا بلغ الرجل عنك شيئا فكرهت
ان تكذب فقل ان الله يعلم ما قلت من ذلك من شيء فيكون قوله ما حرف نفي عند المستمع وعنده للابهام
وكان معاذ عاملا لعمر رضي الله عنهما فلما رجع قالت امراته ما جئت به مما ياتي به العمال من عراضة اهلهم
ولم يكن جاء به فقال كان معي ضاغط فقالت كنت امينا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر فبعث
فبعث معك عمر ضاغطا فقامت بذلك في نسائها فاشتكت عمر فلما سمع عمر بذلك دعا معاذا فقال بعثت
معك ضاغطا فقال لم اجد ما اعتذر اليها الا ذلك فضحك عمر واعطاه شيئا وقال ارضها به وقوله ضاغطا
يريد به ربه تعالى اي رقيبا ضابطا وكان النخعي لا يقول لابنته اشتري لك سكرا او لو اراد لكن يقول
ارايت لو اشتريت لك فانه ربما لم يتفق له ذلك وكان ابراهيم اذا طلبه في الدار من يكرهه قال للجارية قولي له
اطلبه في المسجد ولا تقولي ليس هاهنا كيلا يكون كذبا وكان الشعبي اذا طلب في البيت وهو
يكرهه يخط دائرة وتقول للجارية ضعي اصبعك فيها وقولي ليس هاهنا ومن المعاريض ما اخرجه الحسن

الحسن بن سفيان والديلمي عن ابي هريرة قال ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم خلف ناقة ابي بكر فقال
يا ابا بكر ولِّ الناس عني فانه لا ينبغي لنبي ان يكذب فجعل الناس يسألونه من انت قال باغ يبتغي
قالوا ومن وراءك قال هاد يهديني تم التصريح اي بالكذب عند عدم امكان التلويح والمعتبر النية
اي تحسين الطوية في التصحيح وان تستفتي القلب اي السليم عن الغرض السقيم ومنه اي من جنس
الكذب الملحق به ولا يوجب الفسق بسببه التسامح في العدد اي بذكر مبالغة اي زائد على قدر فلقة فانه مرة
وقد يراد في المبالغة ويقال الفرع بيانه بالمرخ ونحو قال العشق لا بالمعنى وزعن الحد اي حد الكرة
المعهودة في الى ونحو ولكن لا يعتاده اي لا ينبغي اعتياد المبالغة فيه خطر الوقوع الى الكذب اي
اثم الكذب اذا لم يصل في العرف الى حد الكثرة وكذا الاستعارات من تبه من هذا القسم الكذب في المبالغة
ولكنها ليست بكذب فان علماء البيان قد حققوا ذلك بالبرهان وقالوا الاستعارات تفارق الكذب
من وجهين احدهما البناء على التأويل وثانيهما نصب الدليل من القرينة على ارادة خلاف الظاهر
نحو رايت اسدا في الحمام والله اعلم بحقائق المرام ولكن عليك بالاحتياط في مثل هذا الكلام فعن ضوات
التيمي قال جاءت اخت الربيع بن خثيم عائدة الى بني فانكببت وقالت كيف انت يا بني فقال ربيع ارضعته
قالت لا قال ما عليك لو قلت يا ابن اخي فصدقت ومنه شهوة الطعام اي ومن الكذب التسامح في نفي
شهوة الطعام وذلك كان يقال للانسان كل الطعام فيقول لا اشتهيه وذلك منهي عنه ان لم يكن له غرض
صحيح فيه فورد اي عن مجاهد عن اسماء بنت عميس كنت صاحبة عائشة التي هيأتها وادخلتها على
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعي نسوة فوالله ما وجدنا عنده قرى اي ضيافة الا قدحا من اللبن فشرب
ثم ناوله عائشة قالت فاستحيت الجارية قالت فقلت لا تردي يد رسول الله خذي منه فاخذته على حياء فشربت
منه ثم قال لي ناولي صواحبك فقلن لا نشتهي فقال عليه السلام لا تجمعن جوعا وكذبا كذا في الاصل في باب
الانفعال والرواية الصحيحة لا تجمعن جوعا وكذبا قالت فقلت يا رسول الله ان قالت احدانا لشئ تشتهيه
لا اشتهيه ايعد ذلك كذبا فقال عليه السلام ان الكذب ليكتب كذبا حتى تكتب الكذيبة كذيبة والحديث
اخرجه ابن ابي الدنيا والطبراني في الكبير وله نحوه من رواية شهر بن حوشب عن اسماء بنت يزيد وهو الصواب
لان اسماء بنت عميس كانت اذ ذاك بالحبشة لكن في طبقات الاصبهاني بين ابي الشيخ من رواية عطاء
بن ابي رباح عن اسماء بنت عميس زففنا الى النبي صلى الله عليه وسلم بعض نسائه الحديث فاذا كانت غير
عائشة ممن تزوجها بعد خيبر فلا مانع منه ذكره ومن الكذب من انواع الكذب ومن اشنعه اليمين الغموس من الكبائر
فورد ثلثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم المنان بعطيته والمنفق
سلعته بالحلف الكاذب والمسبل ازاره رواه مسلم من حديث ابي ذر وفي الصحيحين من حديث ابن مسعود
من حلف على يمين وهو فيها فاجر ليقتطع بها مال امرئ مسلم وقال عليه السلام وكان متكئا الا انبئكم باكبر الكبائر
الاشراك بالله وعقوق الوالدين ثم قعد وقال الا وقول الزور متفق عليه من حديث ابي بكرة وهو اعم من شهادة
الزور وقيل اي وكذا المحتش وقوعه من قال الله يعلم انه كذا قال النووي في الاذكار وهذه العبارة فيها خطر

وان كان صاحبها متيقنا فعن عيسى عليه السلام انه من اعظم الذنوب فانه نسبة الجهل الى علام
الغيوب فان علمه تعالى تعلق بعدم وقوعه ومن الاخبار اى وكذا افحش الكذب جدوى الاخبار وهو بفتح
الهمزة او بكسرها ان علام انه ليما الكذب على النبى عليه السلام والرؤيا اى ومن الحلم بما علام
اعظم الفرى اى الكذب فقد اخرج البخارى ان من اعظم الفرى ان يدعى الرجل الى غير ابيه او يرى عينيه
ما لم تر او يقول على ما لم اقل ومن الاحياء وقد ظن ظانون انه يجوز وضع الاخبار فى فضائل الاعمال
وفى التشديد فى المعاصى وزعموا ان القصد فيه صحيح وهو خطأ محض اذ قال عليه السلام من كذب على
متعمدا فليتبوأ مقعده من النار يعنى وهو متفق عليه من طرق فلا ريب ان يكون متواترا فهذا لا يرتكب
الا لضرورة اذ فى الصدق مندوحة عن الكذب وفيما ورد من الايات والاخبار كفاية عن غيرها
وقول القائل ان ذلك تقرر على الاسماع وسقط وقعه وما هو جديد فوقعه اعظم فهذا هوس اذ ليس
هذا من الاغراض التى تقاوم محذور الكذب على الله ورسوله ويؤدى فتح بابه الى امور تشوش الشريعة
ولا يقوم خير هذا بشره اصلا فالكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر اقوا وقد صرح
الجوينى والد امام الحرمين بانه كفر هذا وعن اسماء بنت ابى بكر سمعت امراة تسأل رسول الله صلى الله
عليه وسلم وتقول ان لى ضرة وانى اتكثر من زوجى بما لم يعطنى اضارها بذلك فهل على فيه شئ فقال المتشبع
بما لم يعط كلابس ثوبى زور متفق عليه ولابن عبد البر فى الاستيعاب عنه عليه السلام لا يستكمل
المؤمن ايمانه حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه وحتى يجتنب الكذب فى مزاحه ومنها الغيبة بكسر الغين وهو
فيها اى فى حدها وتعريفها ذكرك اخاك بما يكره اى على سبيل المنقصة فى حال الغيبة فعن ابى هريرة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله اعلم قال ذكرك اخاك بما يكره قيل افرايت
ان كان فى اخى ما اقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه ما تقول فقد بهته رواه مسلم
ويجوز الاجمال اى الابهام فى الغيبة فورد ما بال اقوام يفعلون كذا رواه ابو داود وعن عائشة بسند
صحيح انه عليه السلام كان اذا كره من انسان شيئا قال ما بال اقوام يفعلون كذا وكذا الا ان يفهم
المعين اى من المبهم بقرينة كقولك بعض من قدم من السفر وبعض من يدعى العلم وبعض من مر بنا وبعض
من رايناه اذا كان معه قرينة تفهم عين الشخص فهو غيبة لان المحذور تفهيمه دون ما به التفهيم
وكذا امثال الطائفة الذين مضوا على اليوم من جملة الابهام فان الطائفة بمعنى القوم والنواحى ستة
التصريح وهو ظاهر ومنه ان عائشة ذكرت امراة فقالت انها قصيرة فقال اغتبتيها رواه احمد واصله عند
ابى داود والترمذى وصححه والتعريض اى التلويح مثل قوله ان تاب الله عليه تعنيه تنبيه على انه يرتكب
ما يجب عليه التوبة وقد يقول ذلك المسكين قد بلى بافة عظيمة تاب الله علينا وعليه الحمد لله الذى عصمنى
من مخالطة السلطان وهذا من غيبة القراء المرائين واتباع الشيطان وهو اخبث انواع الغيبة
لانهم يفهمون المقصود على صيغة اهل الصلاح ليظهروا من انفسهم التعفف عن الغيبة ولا يدرون
بجهلهم انهم جمعوا بين فاحشتين الرياء والغيبة ولا ثناء فورد وتسميته غيبة وفى نسخة تسمية غيبة

غيبة ومنه ذلك قول عائشة دخلت علينا امراة فلما ولت اومأت بيدى اى قصيرة فقال قد اغتبتيها
ابن ابى الدنيا وابن مردويه ورجاله ثقات والغمز اى بالعين للتشبيه او اخذ البدن للتشبيه والحكاية
فورد حين حكت عائشة انسانا فقال ما يسرنى وفى رواية ما احب انى حكيت انسانا وانى لى كذا وكذا
وقد تقدم بيان الحكاية وحاكاه اذا فعل مثل فعله واكثر ما يستعمل فى القبيح قال النووى ومن الغيبة المحرمة
المحاكاة بان يمشى متعارجا او مطأطئا راسه او غير ذلك من الهيآت بل هو اشد انواع الغيبة لانه
اعظم فى التصوير والتفهيم على ما فى الاحياء وكذا يعنى غيبة كذا ذكر المصنفين اى تصنيفا انه لتهجين
كلامه ويكون مراده ان يعترض به شئ من الاعذار المحوجة الى ذكره وذلك ان القلم احد اللسانين
ويحصل به الغيبة تصريحا وتلويحا فورد اى فى سورة الحجرات ولا يغتب بعضكم بعضا اى لا يتناول بعضكم بعضا
فى ظهر الغيب بما يسوءه مما هو فيه ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا الاية اى فكرهتموه والاستفهام للانكار
كما قال بعده لما بين لهم ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا قالوا لا اى بلسان الحال او بلسان المقال فكرهتموه
والمعنى فكما كرهتم هذا اى فاجتنبوا ذكره بالسوء غائبا قال الزجاج ومثاله ان ذكرك من لم يحضر بسوء بمنزلة اكل لحمه
وهو ميت لا يحس به وقالت عائشة رضى الله عنها لا يغتاب منكم احد احدا فانى قلت لامراة مرة وانا عند النبى
عليه السلام ان هذه لطويلة الذيل فقال الفظى الفظى فلفظت بضعة من لحم رواه ابن ابى الدنيا وابن مردويه
فى التفسير ولما رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل فى الزنا قال رجل لصاحبه اقعص كما يقعص الكلب فمر
بهما النبى صلى الله عليه وسلم وهما معه بجيفة فقال انتهشا منها فقالا يا رسول الله ننتهش جيفة فقال
ما اصبتما من اخيكما انتن من هذه رواه ابو داود والنسائى من حديث ابى هريرة باسناد جيد وعن ابى هريرة
مرفوعا من اكل لحم اخيه فى الدنيا قرب اليه لحمه فى الاخرة فيقال كله ميتا كما اكلته حيا ابن مردويه فى التفسير
وروى عن ابى بكر وعمر ان احدهما قال لصاحبه ان فلانا لنؤوم ثم طلبا ادما من رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليأكلا مع الخبز فقال عليه السلام قد ائتدمتما فقالا ما نعلمه فقال بلى انكما اكلتما من لحم صاحبكما رواه ابو
العباس الثقفى او ابو عوانة فى الادب من رواية عبد الرحمن بن ابى ليلى نحوه كذا فى تخريج الاحياء
وقال الامام الدميرى هو من كبار الحفاظ توفى سنة خمس وعشرين وثلثمائة وله مسند مشهور وفى هذا الحديث
وحديث المرجوم حجة وكان القائل احدهما تنبيه على ان المستمع احد المغتابين وان المستمع لا يخرج من اثم
الغيبة الا بان ينكر بلسانه فان خاف فبقلبه وان قدر على القيام او قطع الكلام بكلام اخر فى ذلك
الكلام فلم يفعل لزمه الاثم ولا يكفى ان يشير باليد اى اسكت او يشير بحاجبه وجبينه فان ذلك احتقار
للمذكور بل ينبغى ان يعظمه ويذب عنه صريحا فعنه عليه السلام من اذل عنده مؤمن وهو يقدر على ان ينصره
فلم ينصره اذله الله يوم القيامة على رؤس الخلائق احمد والطبرانى عن سهل بن حنيف ولابن ابى الدنيا
عن ابى الدرداء من رد عن عرض اخيه بالغيب كان حقا على الله ان يرد عن عرضه يوم القيامة احمد والطبرانى
عن اسماء بنت يزيد من ذب عن عرض اخيه بالغيبة كان حقا على الله ان يعتقه من النار الغيبة اشد من ثلثين
زنية فى الاسلام وانما قيل بحال الاسلام لانه اقبح مما قبله فى الاحكام ومثله ان الزانى فى دار الحرب وفى

عسكرا اهل السنة لا يوجب الحد وفيه بحث اذ عدم وجوب الحد ليس الا لكونه في محل انتقاله الى الطلب
وان فعل يسقط عنه بالكلية ولانه اخف من الزنا فهي دار السلام والله سبحانه اعلم بحقائق الكلام
والحديث رواه ابن ابي الدنيا في الصمت وابن حبان في الضعفاء وابن مردويه في التفسير بلفظ اياكم
والغيبة فان الغيبة اشد من الزنا ان الرجل قد يزني ويتوب فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبة
لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه واما الحديث بلفظ الاتي فقد اشتهر على وجه المبالغة وليس له اصل صريح
لكن قد يؤخذ من حديث انس قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الربا وعظم شانه فقال
ان الدرهم يصيبه الرجل من الربا اعظم عند الله في الخطيئة من ست وثلاثين زنية يزنيها الرجل
وان اربى الربا عرض الرجل المسلم فالغيبة تتناول العرض رواه احمد وابن ابي الدنيا وعن مجاهد في
تفسير قوله تعالى ويل لكل همزة لمزة الهمز الطعان في الناس واللمز الذي ياكل لحوم الناس وقال
الحسن والله للغيبة اسرع في دين المؤمن من الاكلة في الجسد وقال بعضهم ادركت السلف وهم
لا يرون العبادة في الصوم ولا في الصلاة ولكن في الكف عن اعراض الناس وقال ابن عباس اذا
اردت ان تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك ولعله مقتبس من قوله عليه السلام طوبى لمن شغله عيبه عن
عيوب الناس الديلمي عن انس وقال ابو هريرة يبصر احدكم القذى في عين اخيه ولا يبصر الجذع في عين
نفسه وسمع علي بن الحسين رجلا يغتاب اخر فقال اياك والغيبة فانها ادام كلاب الناس وقال الحسن ذكر
الغير ثلاثة الغيبة والبهتان والافك وكل في كتاب الله فالغيبة ان تقول ما فيه والبهتان ما ليس فيه
والافك ان تقول ما بلغك ولعل الاخير ماخوذ من القصة المعروفة وتمامه مستوفى في شرح حديث كفى بالمرء كذبا
ان يحدث بكل ما يسمع ومن السبب الباعث على الغيبة شهوة التشفي من الغيظ اي الغضب الكامن
في القلب فيسبق اللسان بالطبع الى الطعن الذي ان لم يكن له مانع من الدين الغيوب والورع الجلي
فليلزم روى ابن ابي الدنيا وابن عدي والبيهقي في الشعب من حديث ابن عباس للجنة بابا لا يدخله الا من
شفي غيظه بمعصية الله والديلمي عن سهل بن سعد من اتقى ربه كل لسانه ولم يشف غيظه ولابي داود
والترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث معاذ بن انس من كظم غيظا وهو قادر على ان ينفذه اي يمضيه
كما في رواية دعاه الله يوم القيامة على رؤس الخلائق حتى يخيره في اي الحور شاء وموافقة الاقران
اي اخوان الزمان خوفا من التثقيل اي عن عده ثقيلا في ذلك المكان اذا انكر الغيبة او قطع مجلس الصحبة
ويرى ذلك من حسن المعاشرة وجميل المجاورة والعلم بان الله يغضب عليه اذا طلب بسخطه رضا المخلوقين والتهالك
اي الميل قطعا عن رد قوله لسبق الغير في تقبيح اي تقبيح قوله وتقبيح حاله ان يستشعر انسان انه سيقصد
ويطول لسانه ويقبح مقاله ويفضح حاله عند محتشم او يستشهد عليه بشهادة فيبادر قبل ان يقبح حاله
ويطعن فيه ليسقط اثر مقالته وشهادته او اذا ذكر زيد مسألة فاعترض عليها عمرو فيقول انا عشاني زيد ان يغتاب ب
عمرا فيقول هو جاهل او احمق ونحوهما ليبين ما سبق منه كلامه عن بطلان مرامه والتبري عن فاحشة
منسوبة اليه بالنسبة الى الغير اي عزم لتخلص عن عيبه وضره وما حاله انه ينسب الى الشيء غيره ان يتبرا

وكان من حقه ان يبري نفسه
ولا يذكر الذي فعله صحيح

يتبرأ منه فيذكر الذي فعله او ينسب غيره اليه فيكون بهذا اجمع بين الذنوب لذنبه وقد قال تعالى ومن
يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا والمباهاة اي التصنع والمفاخرة
بان يرفع نفسه بتنقيص غيره وخفض امره فيقول فلان جاهل وفهمه ركيك وكلامه ضعيف وعمله
ضعيف وغرضه ان يثبت في ضمن ذلك فضل نفسه ويرى انه اعلم منه والحسد وهو انه ربما يحسد من يثني الناس س
عليه ويحبونه ويكرمونه فيريد زوال النعمة عنه فلم يجد سبيلا اليه الا بالقدح فيه والطعن عليه فيريد ان
يسقط ماء وجهه عند الناس حتى يكفوا عن اكرامه والثناء على جاهه ومقامه لانه يثقل عليه ان يسمع علو
مرامه والهزل اي التحقير والاستخفاف فان ذلك قد يجري في الحضرة فيجري ايضا في الغيبة ونحوه اي اللعب
والهزل والمطايبة وترجية الوقت بالسب المقت والعلاج الذي به يمنع اللسان من الغيبة ذكر ما ورد
فيها اي في ذم الغيبة من الكتاب والسنة وقطع السبب اي ما مر كالحسد والحقد والتكبر والغضب كما في موضعه
اي جاء ذكره في كتب الاخلاق في محله فان مساوي الاخلاق كلها انما تعالج بمعجون العلم والعمل
المركب لها وانما علاج كل علة بمضادة سببها فليفحص عن سببها ويعالج بعدمه بهذا والمختار
كما سبق واذا كان من عادته ردت شيئا ديته الا ان الناس لكثرة الاعتياد تساهلوا في امر الغيبة
ولم يكترثوا ابتلوا بالاعراض الخلق وهذه بلية عامة شاملة للعباد في جميع البلاد ونعم الزمن الغافل
الا من حفظه الله من الغيبة والمرخص اي في ذكر مساوي الغير سبعة امور التظلم مورده في سورة النساء لا يحب
الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم فمن ذكر قاضيا بالظلم والخيانة واخذ الرشوة كان مغتابا عاصيا
وان المظلوم من جهة القاضي فله ان يتظلم الى السلطان وينسبه الى الظلم اذ لا يمكنه استيفاء حقه الا به كما
وقد قال عليه السلام ان لصاحب الحق مقالا ومطل الغني ظلم وكلاهما متفق عليه من حديث ابي هريرة
ولابي داود والنسائي وابن ماجه من حديث الشريد باسناد صحيح لي الواجد يحل عرضه وعقوبته والاستعانة نه
اي بالحاكم ونحوه على تغيير المنكر اي ازالته واصلاح العاصي بتركه وتوبته نحو ما نقل انه مر على الصحب
كما قيل لعمر بن الخطاب ان ابا جندل قد عاقر الخمر بالشام فكتب اليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه
بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب
ذي الطول لا اله الا هو اليه المصير فتاب الله عليه ورجع بالرجعة اليه والاستفتاء كما يقول للمفتي ظلمني ابي او
اخي او زوجي وكيف طريق الخلاص لي فكما منع هند امراة ابي سفيان بن الحرب اي لم يمنعها النبي
صلى الله عليه وسلم عن الغيبة حاكيا كلامها اذ اشكت بخل ابي سفيان ان تاخذ له الا ان حلا خذاه ما له بغير علم
ففي الصحيحين من حديث عائشة ان هندا قالت للنبي صلى الله عليه وسلم ان ابا سفيان رجل شحيح
لا يعطيني انا وولدي فقال عليه السلام خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف وهذا الا ان بطريق الفتوى
لا على سبيل الحكم مع الدعوى والتعريض اولى بان يقول كيف من ياخذ مال زوجها بغير اذنه ان حل له
والتحذير عند خوف سراية الفسق فاذا رايت متفقها يتردد الى فاسق او مبتدع وخفت ان يسري اليه
فسقه او يتعدى اليه بدعته فلك ان تكشف له بدعته وفسقه الا لخوف اي او عند خوف سراية الفسق كاذبا

القصر الكثير المنحل الى الغير فهو داخل في الرواية بهز بن حكيم عن ابيه عن جده اذكروا الفاجر بما فيه ليحذره
الناس رواه الطبراني وغيره بلفظ أترعوون عن ذكر الفاجر اذكروه بما فيه يحذره الناس وهذا
دليل السراية واما دليل الحذر فقوله عليه السلام لامرأة استشارت النبي في تزوج معاوية
او ابي جهم او اسامة اما معاوية فرجل صعلوك اي فقير جدا لا مال له تأكيد لحاله واما ابو جهم فلا يرفع
العصا عن اهله وهو كناية عن كثرة ضربه وسوء خلقه وفي رواية عن عنقه وهو يحتمل المعنى المذكور او
الكناية عن كثرة سفره وملكه اما اسامة فهي حضرة انكحي اسامة بن زيد فانه خير منهما في حسن عشرته
وطيب نفقته والسادس المذكور باسم العيب اي منه ان عذار المرخص كالاعمش والاعرج وكذا الاعمى والاعور
والاصم والابكم والابرص والاحمر والاصفر والعور والى اي وصف آخر او عاهة اخرى او لون آخر
ونحو انها لو البصير لمن عمى عدولا عن اسم النقص في المعنى وان كان المال واصلا في المعنى وقد ذكر ابن
سيرين رجلا فقال ذلك الرجل الاسود ثم قال استغفر الله اني اراني قد اغتبته وذكر ابن سيرين
النخعي ولم يقل الاعور والسابع المتجاهر بالفسق اي اعلامه وعدم مبالاته به من الرفض كالمخنث والعواد ابراهيم فقال
والمجاهر بشرب الخمر او الزنا او الربا او مصادرة الناس واخذ اموالهم فهو داخل من حديث النبي من القى
جلباب الحياء اي غطاءه فلا غيبة له رواه ابن عدي وابو الشيخ نعم لو ذكر بغيرها يتظاهر به اثم قال عوف
دخلت على ابن سيرين فتناولت الحجاج فقال ابن سيرين ان الله حكم عدل ينتقم للحجاج ممن اغتابه
كما ينتقم من الحجاج لمن ظلمه وانك اذا لقيت الله غدا كان اصغر ذنب اصبته اشد عليك من اعظم ذنب اصابه
الحجاج وقال قوم لا غيبة في الدين لانه ذم ما ذمه الله فذكره بالمعاصي وذمه يجوز بدليل ما روي انه
ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة وكثرة صومها وصلاتها ولكنها تؤذي جيرانها فقال هي في النار
ابن حبان والحاكم وصححه من حديث ابي هريرة وذكر امرأة اخرى بانها بخيلة قال فما خيرها اذا رواه الخرائطي
في مكارم الاخلاق من حديث ابي جعفر محمد بن علي مرسلا قال الى ان جيران وهذا فاسد لانهم كانوا
يذكرون ذلك لحاجتهم الى تعرف الاحكام بالسؤال ولم يكن غرضهم التنقص ولا يحتاج اليه في غير مجلس
رسول الله صلى الله عليه وسلم اقول وفيه بحث لان الصحابة كانوا عارفين بان اذية الجار والبخل
من الصفات الذميمة واما قوله والدليل عليه اجماع الامة ان من ذكر غيره بما يكرهه فهو مغتاب فعلم ان
هذا عام ولا يخص منه الكلام فلا حجة فيه والالزام ونحوه اي ونحو المذكور في الغرض الصحيح بان يقول
لمن يريد ان يودع عنده احدا انه خاين والحاصل ان في الغرض الصحيح استثناء التلف اي من التصريح
والتلويح بذكر العيب ثم اعلم ان الواجب على المغتاب ان يتوب ويندم ويتأسف على ما فعل ليخرج
عن حق الله ثم يستحل المغتاب ليحله فيخرج عن مظلمته وينبغي ان يستحله قال الحسن يكفيه الاستغفار
دون الاستحلال وربما يحتج في ذلك بما روى انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كفارة من اغتبته ان تستغفر له ابن ابي الدنيا والحارث بن ابي اسامة في مسنده من حديث انس بسند
ضعيف وقال مجاهد كفارة اكلك لحم اخيك ان تثني عليه وتدعو له بخير ويؤيده قوله تعالى ادفع بالتي هي

هي احسن السيئة والحسن التفصيل وهو ان لا يحتاج الى الاستحلال اذا لم يبلغ الكلام الى
المغتاب منه بخلاف ما اذا وصله الاذى لانه يتشوش بذكره فقد يكون الاستغفار كافيا في الذنب
عند بعض الابرار واما قول ابن عطاء بن ابي رباح حين سئل عن التوبة عن الغيبة قال تمشي الى صاحبك
وتقول له كذبت فيما قلت وظلمت واسأت فان شئت اخذت بحقك وان شئت عفوت فهو خاص
بالافتراء بل ينبغي ان يعترف بالخطأ حضور الملك بالحلال والملك فيقول صاحبك وهو الاصح
ض مبني على انه لا فرق بين الغيبة والتوبة وهو بعيد بل مرتبة واما الطلاق قول القائل الغرض لا عوض
له فلا يجب الاستحلال منه بخلاف المال فكلام ضعيف اذ في الحديث الصحيح المتفق عليه عن ابي هريرة
من كانت لاخيه عنده مظلمة في عرض او مال فليتحلله منه قبل ان ياتي يوم ليس هناك دينار ولا درهم
يؤخذ من حسناته فان لم يكن له حسنات اخذ من سيئات صاحبه فزيدت على سيئاته ان كان صاحب
الغيبة حيا او ميتا فينبغي ان يكثر الاستغفار والدعاء ويكثر الحسنات تكفير السيئات فان
الحسنات يذهبن السيئات وكان بعض السلف لا يحلل الظالم قال سعيد بن المسيب لا احلل
من ظلمني وقال ابن سيرين اني لم احرمها عليه فاحللها له ان الله حرم الغيبة عليه وما كنت لاحلل
ل ما حرم الله ابدا والظاهر ان المراد بالاستحلال ان يجعله في حل بعفو عنه لا ينقلب حرامه بمنزلة الحلال
المباح له وهذا محمل قوله عليه السلام ايعجز احدكم ان يكون كابي ضمضم كان اذا خرج من بيته
قال اللهم اني تصدقت بعرضي على الناس رواه البزار وابن السني في اليوم والليلة والعقيلي في الضعفاء
من حديث انس وذكره ابن عبد البر من حديث ثابت مرسلا عند ذكر ابي ضمضم في الصحابة قال العراقي
ولا يصح لرجل ممن كان قبلنا كما عند البزار والعقيلي والمعنى اني لا اطلب مظلمة في القيامة منه ولا
اخاصمه ولا فلا تصير الغيبة حلالا به بل لا تسقط المظلمة بسببه لانه عفو قبل وجوبه الا انه وعد
وله العزم على الوفاء بان لا يخاصم فان رجع وخاصم لم تسقط حقه من حد القذف ومظلمته وفظلمه الحق
مثل مظلمة الدنيا وعلى الجملة فالعفو افضل وثوابه اكمل قال الحسن اذا جثت الامم على الركب بين يدي الله
د يوم القيامة نودوا ليقم من كان اجره على الله فلا يقوم الا من عفا عن مظلمة في الدنيا وكانه مستفاد
من قوله فمن عفا واصلح فاجره على الله وجاء في قوله خذ العفو الاية انه عليه السلام قال يا جبريل ما هذا
العفو قال ان الله يامرك ان تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك وقد روي عن الحسن ان
رجلا قال له ان فلانا قد اغتابك فبعث اليه طبقا من الرطب وقال قد بلغني انك قد اهديت الي حسناتك
فاردت ان اكافئك عليها فاعذرني فاني لا اقدر ان اكافئك على التمام وقال بعضهم لو كنت مغتابا احدا
لاغتبت ابوي لانهما اولى بان ياخذا حسناتي او ياخذ سيئاتي يوم القيامة ومنها النميمة وهي تبليغ
كلام اي مذموم يقال في حق الغير اليه متعلق بتبليغ اي الى الغير وهو المقول فيه كان يقول فلان كان
يتكلم فيك بكذا او كذا وهو حرام سواء كان التبليغ قولا او فعلا او كناية او رمزا واشارة فهو داخل في سورة
ان لم يكن عيبا او مغتاب متشابه بنميم الا به ولكن مناع للخير معتد اثيم عتل بعد ذلك زنيم والمقصود

منه من جمع بين انواع الوصف من الذميم وفي رواية احمد من حديث ابي مالك الاشعري الا اخبركم بشراركم
المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الاخوان الملتمسون للبرآء العثرات وفي الصحيحين من
حديث حذيفة لا يدخل الجنة نمام وفي حديث اخر قتات وهو النمام قال عبد الله بن المبارك ولد الزنا
لا يكتم الحديث واشار به الى ان كل من لا يكتم الحديث ويمشي بالنميمة دل على انه ولد زنا استنباطا من
قوله تعالى زنيم فانه هو الدعي ودليل من حديث ابي موسى من سعى بالناس فهو لغير رشدة او فيه
شيء منها وللطبراني بلفظ لا يسعى على الناس الا ولد بغي والا من فيه عرق منه وقال تعالى حمالة الحطب
قيل كانت نمامة حمالة للحديث وقال تعالى فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا قيل كانت امرأة لوط
تخبر بالضيفان وامرأة نوح كانت تخبر بانه مجنون والسبب اي الباعث على ذلك اي على النميمة ارادة السوء
بالقائل اي مقصد السوء بالمحكي عنه فعن ابي ذر من اشاد على مسلم كلمة ليشينه بها بغير حق شانه
الله بها في النار يوم القيامة ابن ابي الدنيا والطبراني وعن ابي الدرداء ايما رجل اشاع على رجل كلمة
وهو منها بريء ليشينه بها في الدنيا كان حقا على الله ان يشينه بها يوم القيامة في النار ولعل الحديثين
مقتبسان من قوله تعالى ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين امنوا لهم عذاب اليم في الدنيا
والاخرة او اظهار محبة السامع وهو المحكي له وقد قال بعضهم لو صح نقل النمام اليك لكان هو المجترئ
بالشتم عليك والمنقول عنه اولى بحلمك حيث لم يقابلك بشتمك او التفرج بالحديث اي التنزه بحكاية اهل
الذنب فعلى السامع التكذيب اي تكذيب قول القائل وعدم قبوله فعن مصعب بن الزبير نحن نرى ان
قبول السعاية شر من السعاية لان السعاية دلالة والقبول اجازة وليس من دل على شيء فاخبر به كمن قبله
واجازه لان النمام فاسق لا يقبل قوله لقوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا
ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين وعلى السامع ان ينهاه عن ذلك وينصحه ويقبح
له فعله قال تعالى وأمر بالمعروف وانه عن المنكر وان يبغضه في الله وان لا يظن باخيه الغائب السوء لقوله
تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن وان لا يحمله ما حكي له على التحقيق والتجسس لقوله تعالى ولا تجسسوا وان لا يرضى
لنفسه بما صدر عن النمام في حقه فلا يحكي نميمته بقوله فلان قد حكى لي كذا وكذا فيكون به نماما ومغتابا
ويكون قد اتى بما عنه نهى فقد روى كعب انه اصاب بني اسرائيل قحط فاستسقى موسى عليه السلام مرات
فما اجيب فاوحى الله اليه اني لا استجيب لك ولمن معك وفيكم نمام وقد اصر على النميمة فقال موسى يا رب من
هو حتى نخرجه من بيننا فقال يا موسى انهاكم عن النميمة واكون نماما فتابوا باجمعهم فسقوا وقال الحسن من
نم اليك نم عليك وروي عن عمر بن عبد العزيز انه دخل عليه رجل فذكر عنده عن رجل شيئا فقال له عمر ان
شئت نظرنا في امرك فان كنت كاذبا فانت من اهل هذه الاية ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا وان كنت
صادقا فانت من اهل هذه هماز مشاء بنميم وان شئت عفونا عنك فقال العفو يا امير المؤمنين لا اعود اليه
ابدا ومثله روي عن علي كرم الله وجهه ان رجلا اتاه يسعى اليه برجل فقال له يا هذا نحن نسال عما
قلت فان كنت صادقا مقتناك وان كنت كاذبا عاقبناك وان شئت ان نقيلك اقلناك فقال اقلني يا امير

المؤمنين فالسعاية قبيحة وان كانت صحيحة وقد ذكرت السعاية عند بعض الصالحين فقال ما ظنكم بقوم
يحمد الصدق في كل طبقة من الناس الا منهم وقد بلغ سعاية بعض الى الحكيم العلي فقال الموت يجمعنا
والتعريض والقيامة تجمعنا والله يحكم بيننا وهو خير الحاكمين هذا وقد قال تعالى ويقطعون ما امر الله به
ان يوصل ويفسدون في الارض والنمام منهم وقال عليه السلام ان من شر الناس من اتقاه الناس لشره
متفق عليه من حديث عائشة والنمام منهم وقال عليه السلام لا يدخل الجنة قاطع رواه الشيخان من
حديث جبير بن مطعم قيل اي قاطع بين الناس وهو النمام وقيل قاطع الرحم وقيل قاطع الطريق
م والله ولي التوفيق ومنها الكلام ذي اللسانين اي تكلم ذي اللسانين مع كل من المتعاديين بما يوافقه اي تكلم كل واحد بكلام
يوافقه فهو نفاق اي نوع من النفاق وصفة الشقاق فورد عن عمار بن ياسر مرفوعا من كان له
وجهان في الدنيا كان له لسانان في النار رواه البخاري في كتاب الادب المفرد وابو داود بسند حسن
بلفظ من كان له وجهان في الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيامة وهو كذلك في الخبر في الصحيحين
من حديث ابي هريرة تجد من شر الناس يوم القيامة ذا الوجهين الذي ياتي هؤلاء بحديث وهؤلاء بحديث
وفي لفظ الذي ياتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه وقيل لابن عمر انا ندخل على امرائنا فنقول القول فاذا خرجنا قلنا غيره
قال كنا نعد ذلك نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه الطبراني من طرق واصله في صحيح البخاري
وقال ابو الدرداء انا لنكشر في وجوه اقوام وان قلوبنا لتلعنهم وقالت عائشة رضي الله عنها استاذن رجل
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ائذنوا له فبئس رجل العشيرة هو فلما دخل الان له القول واقبل عليه فلما
القول صح خرج قلت يا رسول الله قلت ما قلت ثم النت له الكلام فقال يا عائشة ان شر الناس الذي يكرم اتقاء شره متفق
عليه ومنها المدح وهو منهي عنه في بعض المواضع فهو يضر المادح اذا كان الممدوح ظالما او فاجرا لخبر [illegible]
الفاسق اي فرحه بمدحه رواه ابن ابي الدنيا والبيهقي من حديث انس ان الله يغضب اذا مدح الفاسق وربما
فانه بالمدح مظهر للحب وقد لا يكون مضمرا له ولا معتقدا لجميع ما يقوله فيصير به مرائيا منافقا والكذب اي
حقيقة او حكما حيث يذكر بالظن وقد لا يكون مطابقا للواقع وان كان لا بد لاحدكم ان يكون مادحا اي [illegible]
فليقل احسب فلانا اي كذا وكذا يعني انه صالح او متق ونحوهما والممدوح اي ويضر الممدوح بحدوث الكبر
والعجب اي والغرور في قلبه بسبب مدحه فورد فيه اي في ضر الممدوح اي برواية الصحيحين من حديث ابي
بكرة ان رجلا مدح رجلا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ويحك قطعت عنق صاحبك زاد ابن ابي الدنيا
لو سمع اي لو بلغه وقبله ما افلح لحدوث المهلكة وقال عمر رضي الله عنه المدح هو الذبح ولو سلم اي المدح عنه
اي عن الضرر لمندوب اليه فورد انا سيد ولد ادم اي يوم القيامة كما في صحيح مسلم من حديث ابي هريرة وزاد الترمذي
وابن ماجه من حديث ابي سعيد [illegible] والحاكم من حديث جابر وقال صحيح الاسناد ولا فخر وله من حديث عبادة
بن الصامت انا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر اي اقوله [illegible] اي امتثالا لامره سبحانه واما بنعمة ربك
فحدث لا افتخارا اي تفاخرا كما يفعل الناس بالثناء على انفسهم وذكر الا ان اتقى من كان بالله وبقربه
في مقام الثناء ان يكونه مقدما على انبيائه لو وزن ايمان ابي بكر بايمان العالم لرجح اي ايمان ابي بكر وغلب

وفي نسخة العالمين صح [illegible]

على ايمان غيره من غير الانبياء والمرسلين والملائكة المقربين اخرجه ابن عدي في الكامل من حديث ابن عمر
مرفوعا ولفظه لو وزن ايمان ابي بكر بايمان الناس لرجح ايمان ابي بكر رواه اسحاق بن راهويه
والبيهقي في الشعب بسند صحيح عن عمر موقوفا وللترمذي وحسنه من حديث عقبة بن عامر لو كان بعدي
نبي لكان عمر بن الخطاب ولابن عدي عنه لو لم ابعث فيكم لبعث عمر فيكم وللديلمي عن ابي هريرة لو لم ابعث
لبعثت يا عمر قال سفيان بن عيينة لا يضر المدح من عرف نفسه واثنى على رجل منهم الصالحين فقال اللهم ان
هؤلاء لا يعرفوني وانت تعرفني وقال علي كرم الله وجهه لما اثني عليه اللهم اغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني
بما يقولون واجعلني خيرا مما يظنون ومنها التكلم بالكلمة المنهي عنها اي من الاقوال الصادرة على لسان العامة
وبعض الخاصة الناشئة عن الغفلة عن دقائق الخطاب في الكلام لا سيما فيما يتعلق بالله من ذاته وصفاته
كالحلف بغير الله ففي الصحيحين من حديث عمر ان الله ينهاكم ان تحلفوا بابائكم وقال ابن عمر من حلف بغير الله
فقد اشرك رواه احمد والترمذي والحاكم في مستدركه وفي رواية احمد والبيهقي عن قتيلة بنت صيفي من حلف فليحلف
برب الكعبة وفيه تنبيه على انه لا يجوز الحلف بالكعبة ولا بالمصحف ولا بالنبي ولا بالامانة ونحوها وتسمية
العنب بالكرم لنهيه عليه السلام فيكون فرع الكرم فليلوم وفي الصحيحين من حديث وائل بن حجر لا تسموا
العنب الكرم انما الكرم الرجل المسلم ولمسلم من حديثه لا تقولوا الكرم ولكن قولوا الحبلة يعني العنب
وقول ما شاء الله وشئت لان في العطف المطلق بالواو تشريكا وتسوية في الكلام وهو خلاف
ما يوجب الاحترام فعن حذيفة لا يقل احدكم ما شاء الله وشئت ولكن ليقل ما شاء الله ثم شئت وعن ابن
عباس جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه في بعض الامور فقال ما شاء الله وشئت فقال عليه
السلام اجعلتني لله عدلا بل ما شاء الله وحده وفي صحيح مسلم من حديث عدي بن حاتم خطب
رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال
عليه السلام قل ومن يعص الله ورسوله فقد غوى وفي الاحياء فكره قوله ومن يعصهما لانه تسوية وجمع
انتهى وفيه بحث لا يخفى من سلك الاوجه ان يقال العدول عن التثنية الشريفين لغرابتي وان
كان المقام يقتضي الضمير اختصارا ام لا لما قال القايل اعد ذكر نعمان لنا ان ذكره هو المسك ما كررته يتضوع
ولهذا ورد في كثير من القرآن من يطع الله ورسوله ومن يعص الله ورسوله وعبدي وامتي وربي وربتي
فعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقل احدكم عبدي وامتي كلكم عباد الله وكل
نسائكم اماء الله ولكن ليقل غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي ولا يقول المملوك ربي وربتي ولكن ليقل
سيدي وسيدتي فكلكم عبيد والرب سبحانه رواه الشيخان فالصواب اي في مقام الخطاب ثم شئت
بدل قوله وشئت وكان ابراهيم يكره ان يقول اعوذ بالله وبك ويجوز ان يقول اعوذ بالله ثم بك ويجوز ان
يقول لولا الله ثم فلان ولا يقول لولا الله وفلان وغلامي وجاريتي بدل عبدي وامتي وسيدي
وسيدتي بدل ربي وربتي ونحوها اي من الكلمات المنهية للناس وان كان صح من حديث بريدة باسناد صحيح
من قال انا بريء من الاسلام فان كان صادقا فهو كما قال وان كان كاذبا فلن يرجع الى الاسلام فهذا

فهذا وامثاله مما يدخل في مذموم الكلام ولا يمكن حصره في هذا المقام وقال ابراهيم اذا قال الرجل للرجل
يا حمار يا خنزير قيل له يوم القيامة حمارا رايتني خلقته خنزيرا رايتني خلقته وعن ابن عباس ان احدكم
ليشرك حتى يشرك بكلبه يقول لولاه لسرقنا الليلة ولاحمد من حديث البراء من سمى المدينة يثرب فليستغفر
الله هي طابة هي طابة ولابي داود من حديث بريدة بسند صحيح لا تقولوا للمنافق سيدنا فانه
ان يكن سيدكم فقد اسخطتم ربكم وكما روي لا يقولن احدكم زرعت ولكن ليقل حرثت الحديث في الجامع
للسيوطي ولعله مقتبس من قوله تعالى افرايتم ما تحرثون ءانتم تزرعونه ام نحن الزارعون وكان يقول على
نبيه وفي نظائره بل انت وفي الحديث لا يقل احدكم خبثت نفسي وليقل لقست وفي الحديث لا يقل احدكم
نسيت بل ليقل نسيت ومنها سؤال العامة عما يتعذر ادراكه اي حتى للخاصة كسر الروح وقد قال تعالى قل الروح
من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا والمعتقد ان الارواح اجسام لطيفة تداخل الاشباح الكثيفة وتخرج
منها كما اخبر سبحانه عنها بقوله ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي وانها خلقت
قبل الاجساد بخمسمائة عام ومن جاوز عنه فقد ضل فان التحكم رجم بالغيب من الجهال وحقايق الصفات
كيفية كلامه سبحانه وكذا كنه معرفة سمعه وبصره وساير كمالاته وقد قال تعالى ولا يحيطون به علما
وليس كمثله شيء ومهما خطر ببالكم فالله وراء ذلك وقد قال عليه السلام سبحانك لا احصي ثناء عليك انت
كما اثنيت على نفسك اي من قوله قل هو الله احد وساير ايات الصفات الجمالية والجلالية الدالة على كمال
الذات او بعض اي مما يحصى ولو لم يتعذر كسر القدر فانه بالنسبة الى الخلق قد تعسر فهو بحر عميق كم فيه
غريق ولا يخلص منه الا بان يقال فيه يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون
فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم اجمعين خلقت هؤلاء للجنة ولا ابالي وخلقت هؤلاء للنار ولا ابالي
والحاصل ان العوام الاشتغال بالعمل بما في القرآن والتسليم بما جاءت به الرسل من تفاصيل الاسلام والا يمان
ولذا قال عليه السلام ذروني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم
فما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما امرتكم به فاتوا منه ما استطعتم متفق عليه من حديث ابي هريرة وقال انس سأل
الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اكثروا عليه اغضبوه فصعد المنبر فقال سلوني فما تسألوني
عن شيء الا انباتكم به فقام اليه رجل فقال يا رسول الله من ابي فقال ابوك حذافة فقام اليه شابان اخوان
فقالا يا رسول الله من ابونا فقال ابوكما الذي تدعيان اليه ثم قام اليه رجل فقال يا رسول الله افي الجنة
انا او في النار قال لا بل في النار فلما راى الناس غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم امسكوا فقام اليه
عمر فقال رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا فقال احسنت يرحمك الله انك
ما علمت لموفق متفق عليه وفي الحديث نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القيل والقال واضاعة المال
وكثرة السؤال متفق عليه من حديث المغيرة وعنه عليه السلام يوشك الناس يتساءلون بينهم حتى يقولوا
هذا خلق الله الخلق فمن خلق الله فاذا قالوا ذلك فقولوا الله احد الله الصمد حتى يختموا السورة ثم ليتفل
احدكم عن يساره ثلاثا وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم والحاصل ان السؤال ينبغي ان لا يكون الا

اهل الكمال فيما يكون من الضروريات في الاعتقادات او العبادات والمعاملات والله اعلم بحقائق
الحالات ومنها القول بالظن الا فيما في العقايد المتعلقة بالرب قال تعالى ان الظن لا يغني من الحق شيئا
وهو اي القول بالظن او نفس الظن ما يخبر به القلب اي بسماعه عما كان به ويحصل التردد في بابه وانما
جوز في الفروع دون الاصول للضرورة في قلة المنقول فيورد واجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض
الظن اثم ومما كان هذا الظن فيشمل ما اذا ابتلى بعلته خبر من موت احد او قدومه او سفره او امر غيره الشيء
بقوله الا اذا اخبر عدل اي بالموت او القدوم او السفر ونحوه ومنها علم العلاق اي بالنسبة الى الميت
واهله وما علم اي ومنها علم عدم باعث اخر كالعصبية في نسبه والدعوة الى ملته ومنها فيعد سراي اذا اخبر
عن ظن وتوقعه اذ يكذب به سوء الظن اي به ومنها سوء التجسس عطف على القول بالظن اي ومنها التجسس المستمرة
عن حقيقة الامر فهو ما لا اي كاشفة وفاضحة في الخبر فيورد في سورة الحجرات ولا تجسسوا او الاستماع
اي ومنها استماع القول بالظن فيورد في سورة القصص واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه تمامه وقالوا لنا اعمالنا
ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين المستمع شريك القائل لم ار له اصلا وفي الاحياء المغتاب
والمستمع شريكان في الاثم ولم يخرجه العراقي وفي الطبراني مرفوعا نهى عن الغيبة وعن الاستماع الى
الغيبة ومنه اي في الشماعة يهيجان الوسواس اي ثورانها وبقاءها في النفس على طريق الهواجس
ولا قصاص في نحو الغيبة فلا تخلص لمن يقول انا اغتاب الناس ثم يغتابوني فتكون المقاصصة
في الدنيا دون العقبى والسب والتجسس من الاقوال الردية والافعال الدنية لكن القصاص اي القصاص
على مورد الشرع اي في النفس ثم الاطراف ونحوها من تضييع الاموال فيقتص بالضرب والقطع والقتل
واخذ الاموال او الابدال وورد ان امر بكتابه ما فيه اي من الخصال الذميمة فلا نجزه بما فيه اي فانه
لا يجوز فيه المقاصصة ولا يبعد ان يكون هذا محمولا على التحريض على ما هو الاولى من العفو وقيل يقابل
اي نحو الغيبة وما عطف عليه بما لا كذب فيه لكن لقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها ثم الاولى الترك بقوله
تعالى فمن عفا واصلح فاجره على الله ولقوله سبحانه وتعالى والصلح خير ولئن صبرتم لهو خير للصابرين والتحقيق
في سماع الابرار ان حرمته في الانشاد اي في تغنيها مع قطع النظر عما فيها فان الشعر كالنثر
كلام حسنه حسن وقبيحه قبيح لكن لتلذذ اي بالتحرم الا لاجل التلذذ فلا يحرم كل لذة يلتذ بها
كالماء الجاري والخضرة ونحوهما ولم ينكر احد تحريمها ولا للوزن اي ولا يحرم لمجرد التقابل والتعادل
بين الكلمتين والجملتين او المصراعين ولا يحرم سماع صوت العندليب اي المسمى بالبلبل المعبر عنه
بالهزار دستان فان انغامها بلغت الالف في الاشجار والبستان والقمري وكذا الفاختة والحمامة
وما غرب من الكل الطوطي المسمى بالدرة التي تتفصح حتى تقرأ الاية والسورة وتتكلم بما وقع في الغيب من امور
الصورة طبق ما وقع في المعنى والصورة فهو اي صوتها ونحوها موزون اي متشكل بنغم بنفي او ابيات اوزان
تناسب مطالعه ومقاطعه اي مبادئه ومباقيه تتناسبه ولا للفهم اي ولا يحرم لمجرد فهم الكلام من الصوت
في ذلك المقام ولا يحرم كل مفهوم من المرام ولم يقل به احد من الاعلام بهذا اي بمعنى او بحسن هذا او الامر هذا

هذا والشعر كلام اي كسائر الكلام من حيث هو مباح في اصل الاحكام والانشاد ماثور عن النبي
صلى الله عليه وسلم واصحابه مروي ومنثور فكان عليه السلام ينقل اللبن مع القوم في بناء المسجد
وهو يقول هذا الحمال لا حمال خيبر، هذا ابر ربنا واطهر، رواه البخاري في قصة الهجرة من رواية عروة
مرسلا قال ابن شهاب ولم يبلغنا في الاحاديث انه عليه السلام تمثل ببيت شعر تام غير هذا البيت وفي
الصحيحين من حديث انس بينا يرتجزون ورسول الله صلى الله عليه وسلم معهم يقولون اللهم لا خير الا خير الاخرة
فاغفر الانصار والمهاجرة قال العراقي وليس البيت الثاني موزونا يعني باعتبار المصراع الاول فتامل
وفي رواية اللهم ان العيش عيش الاخرة فارحم الانصار والمهاجرة وفي الصحيحين انه قال في حفر الخندق
بلفظ فبارك في الانصار والمهاجرة وفي رواية فاغفر وفي رواية لمسلم فاكرم ولهما من حديث سهل
بن سعد فاغفر للمهاجرين والانصار وللبخاري في تعليقه ولابي داود والترمذي والحاكم متصلا من
حديث عايشة كان عليه السلام يضع لحسان منبرا في المسجد يقوم عليه قائما يفاخر عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم او ينافح ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يؤيد حسان بروح القدس ما نافح او
فاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الترمذي حسن صحيح وقال الحاكم صحيح الاسناد ولمسلم من حديث
عايشة انشاد حسان هجوت محمدا فاجبت عنه، وعند الله في ذاك الجزاء، اتهجوه ولست له بكفوء،
فشركما لخيركما الفداء، القصيدة وانشاد حسان ايضا وان سنام المجد من آل هاشم، بنو بنت مخزوم ووالدك العبد
وللبخاري انشاد ابن رواحة وفينا رسول الله يتلو كتابه، اذا انشق معروف من الفجر ساطع،
الابيات وللترمذي في الشمايل انشاده ايضا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة
خلوا بني الكفار عن سبيله، اليوم نضربكم على تنزيله، ضربا يزيل الهام عن مقيله، ويذهل الخليل عن خليله
وللبغوي في معجم الصحابة وابن عبد البر في الاستيعاب من حديث النابغة قال انشدت النبي صلى الله عليه
وسلم شعرا فقال احسنت لا يفضض الله فاك وفي الصحيحين عن عايشة لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
المدينة وعك ابو بكر وبلال وكان بها وبا فقلت يا ابت كيف تجدك ويا بلال كيف تجدك فكان ابو بكر
اذا اخذته الحمى يقول كل امرئ مصبح في اهله، والموت ادنى من شراك نعله، وكان بلال اذا اقلعت عنه
الحمى يرفع عقيرته اي صوته ويقول الا ليت شعري هل ابيتن ليلة، بواد وحولي اذخر وجليل،
وهل اردن يوما مياه مجنة، وهل يبدون لي شامة وطفيل، وهما جبلان بمكة قالت عايشة
فاخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة او اشد وانقل حماها فاجعلها
في الجحفة ومن انشاد عايشة شعر ذهب الذين يعاش في اكنافهم، وبقيت في خلف كجلد الاجرب، وللترمذي
من حديث جابر بن سمرة كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتناشدون الاشعار وهو يتبسم
وللبيهقي في دلايل النبوة ان النساء انشدن عند قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم شعر
طلع البدر علينا من ثنيات الوداع، وجب الشكر علينا ما دعا لله داع، واما ذكر الشطوح والدف والالحان لكان
كما ذكر في الاحياء فلما لا اصل له كما صرح به مخرجه وفي الجملة انشاد بغرض قدومه وسروره وقدومه عليه السلام الى

ذلك المقام ومن هذا القبيل قوله عليه السلام الا ان ادري بفتح خيبر افرح ام بقدوم جعفر ومسلم من
حديث عمرو بن الشريد عن ابيه قال استنشد النبي صلى الله عليه وسلم كانه فيه من قول امية بن الصلت
كلا ذلك يقول هيه هيه اي استزده ثم قال ان كاد في شعره ليسلم فتنفس الانشاد والسماع جائزان بلا كراهة
ولابي داود والطيالسي عن انس كان يحدي له في السفر وان الحبشة كان يحدو بالنساء وكان البراء بن
مالك يحدو بالرجال فقال عليه السلام يا انجشة رويدك سوقك بالقوارير ولم يزل الحداء من عادة
العرب في زمانه عليه السلام والصحابة الكرام وما هو الا اشعار تؤدى باصوات طيبة والحان موزونة
والنهي اي عن الشعر للنجدي فهو اشتغال بما لا يعنيه فورد لان يمتلي بطن احدكم قيحا اي صديدا احمر
يريه يفسد قلبه من وريه وريا كرمى رميا اي يفسده خير له من ان يمتلي شعرا رواه احمد واصحاب الكتب
الستة وتضمنه عطف على النجدي اي لتضمن الشعر فحشا من الكلام وهجى اي ذم احد من اهل الاسلام
وافترا اي في مقام المرام كنظم الكفار والمبتدعة في ذم المسلمين واهل السنة والجماعة ويجوز هجاؤهم اي
اهل البدع والكفر فعله حسان وامره به كما تقدم في الصحيحين من حديث البراء انه عليه السلام قال
لحسان اهجهم او هاجهم وجبريل معك وقد قال تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون الم تر انهم في كل واد يهيمون وانهم
يقولون ما لا يفعلون الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا والتوسيع
اي ويجوز المبالغة في المدح ان وجد الوصف المذكور في الممدوح اي في الجملة لانه ليس بكذب اي حينئذ
بل مبالغة وتسامح لان صناعة الشعر لا تقتضي اعتقاد صورته اي صورة الكذب وحقيقته وتوارث استماع
المبالغات اي وتواتر استماعها من اشعار العرب وغيرهم بلا نكير اي بلا انكار على قائلها ومنشدها
بل عد الكذب من مستحسنات الشعر كما قيل الكذب الشعر احسنه ويشير اليه قوله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون
الم تر انهم في كل واد يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون وقد سبق التسامح في الشرايع اذا اريد به المبالغة
مثل كذا مرة والف مرة ويراد به الكثرة ونظير هذا قولهم لبيك وسعديك كما في اطلاق التثنية وقصد التكرير
والتكثير كقوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين ومن هذا القبيل ههنا قوله تعالى ان تستغفر لهم سبعين مرة
فانه لم يرد به حقيقة العدد اذ لا مفهوم له عند ارباب الاصول بل اريد به الكثرة كما يدل عليه الاية الاخرى سواء
عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ووصف نحو الخدود اي وجاز نعت نحو الوصب والوجه من
البياض والحمرة والقد اي القامة بالاعتدال في جمالها وكمالها والصدغ اي الشعر المتدلي على الوجه
المسمى بالزلف على الاقرب اي جاز ما ذكر على القول الاقرب الى الصواب او لا نسب في بيان الرخصة
المحتاج اليها في هذا الباب وقيل لا يجوز مطلقا وان وجد التفصيل الاتي وهو قوله ان لم يحمل اي صاحب
الخدود والقد وكذا السامع على معينة سوى امراته وامته وذلك كمن يعشق زوجته او سريته فيصف اي غناها
لتتضاعف لذته في لقائها وهذا اذا كان السامع والمغني في بيته واما اذا كان في مجلس جماعة
فلا يجوز له ذكر امراته ولا جاريته وكذا لا يجوز ان يحمل على امرد صبيح الوجه بخصوصه مطلقا او استعارة
اي جاز ما تقدم ان استعار العارف بالمجاز والصريح والكناية سواد الصدغ لظلمة الذنب وهو جنس المعصية

المعصية الناشئة من ظلمة الغفلة وبياض الخد لنور الطاعة وبرد الحالة والوصال اي في معناه الوصل
والاتصال للقائه تعالى اي في دار البقاء او مقام الغنى والفراق وكذا الانفصال الحجاب ونحوهما من انواع
العذاب والنظر مبتدأ الا اثر اي اثر التأثر في المتغني به من الشوق وغيره فيفيد تفصيل على الاقرب
بنا على القول الاقرب وقد قيل لا عبرة بالنظر الى التأثر بل هو حرام مطلقا فمندوب خبر اي فمستحب
سماعه ومطلوب لكن بشروط بينها بقوله ان تشوق اي المتغني به الى الحج او الغزو ان كان اي
احدهما قربة اي واجبا يحل فيما اذا لم يجب بان لم يوجد شرائط وجوب الحج او لا يوان اي باذن
فانه عذر في التأخير على القول بالتراخي في الحج او غلب الهلاك في الطريق اي برا او بحرا او نحوه من فقدان
سائر شروط الاداء وفي الاحياء ومن الغناء المباح غناء الحجيج فانهم يدورون اولا في البلاد بالطبل
والشاهين والغناء وهو جائز لانها اشعار نظمت في وصف الكعبة والمقام وزمزم والحرم وسائر
المشاعر العظام ووصف البادية وغيرها من امور الكرام وتأثير ذلك تهييج الشوق الى بيت الله وا
نيرانه ان كان ثم شوق حاصل واستثارة الشوق اليه لمن لا يشوق اليه محمودا او حزن اي ان
وقع المتغني به حزنا وتأسفا على التقصير في الدين كالمروي عن داود عليه السلام وقد ورد في معرض
المدح لداود عليه السلام انه كان حسن الصوت في النياحة على نفسه وفي تلاوة الزبور حتى كان يجتمع
الانس والجن والوحوش والطيور لسماع صوته وكان يحمل في مجلسه اربعمائة جنازة وما يقرب من
ذلك في تلك اي وفي الحديث في مدح ابي موسى انه اوتي لقد اعطي مزمارا من مزامير ال داود وقد
تقدم وذكر في تفسير قوله تعالى يزيد في الخلق ما يشاء هو حسن الصوت وقد قرئ بالحاء المهملة وقد ورد
لله اشد اذنا للرجل الحسن الصوت بالقران من صاحب القينة الى قينته وفي قوله تعالى ان انكر الاصوات لصوت
الحمير بدلالة مفهومه على مدح الصوت الحسن وهذا مجمع عليه وان الطير كانت تقف على
راس داود عليه السلام وما اي وكما اشتغل الوعاظ على المنابر من نظم او نثر مهيج الترغيبات
والترهيبات في الحج والغزو ونحوهما او الكرا اي ان زاد المتغني به صحبة تعالى بذكره والتأمل في امره ولا اشتغال
بغيره فانه مندوب في كل منه التشويق والتحزين مباح اي مستوي طرفاه لا ثواب ولا عقاب ان اكد
المتغني به السرور والفرح فيما يباح فيه كالعيد والعرس والولادة اي اوليمة والختان وحفظ القران
اي تمامه وكذا الاجتماع الاخوان في بعض الزمان للطعام والكلام وكذا قدوم بعض الاصحاب من السفر
كما تقدم وتوتر فهو ما ثور اي مذكور عن السلف والخلف بل عن النبي صلى الله عليه وسلم اما العيد ففي الصحيحين
عن عائشة ان ابا بكر رضي الله عنه دخل عليها وعندها جاريتان في ايام منى تدففان وتضربان والنبي
صلى الله عليه وسلم متغش بثوبه فانتهرهما ابو بكر وقال امزمار الشيطان فكشف النبي عليه السلام عن
وجهه فقال دعهما يا ابا بكر فانها ايام عيد قالت وكان يوم عيد يلعب فيه السودان بالدرق والحراب فاما
سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم واما قال تشتهين تنظرين فقلت نعم فاقامني وراءه وخدي على خده
ويقول دونكم اي افعلوه يا بني ارفدة حتى اذا مللت قال حسبك قلت نعم قال فاذهبي وفي صحيح مسلم فوضعت

راسي على منكبه فجعلت انظر الى لعبهم حتى كنت انا التي انصرفت واما العرس فقد تقدم حديث اعلنوا هذا النكاح
واضربوا عليه بالدف ومن معناه الولادة والختان ومما يؤيد الولادة ذبح العقيقة وهو قول اصحاب
الطريقة في الحقيقة واما حفظ القران فهو اكبر سرور واعظم نور او شوق المتغني به الى الرضوان ممن
ان حيا ان تقيا في الحربه او البلدان او المراة اذا ان منه اي غير نصيبهما لكل جنبي فانه حج حرام ان
شوق المتغني الى الزنا او توابعه او حزن المتغني به على الموتى اي فيحصل به الجزع والفزع والبكاء بيا
اي على البكاء بالمتعلقة تورد في الحديد كيلا ومن التنزيل لكيلا تاسوا على ما فاتكم تمامه ولا تفرحوا بما
اتاكم بالمد والقصر وفي ال عمران لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم وادني رتبة اي مراتب التغني
وسماعه ان السماع للشهوة ويحرم حتى لو اغلب على قلبه حب شخص معين او لم يغلب لكنه ان يسمع
وصف نحو الخد والقد والوصل والهجران ويحرك ذلك شهوته وينزله على صورة معينة وفق لذته ولذلك سئل
حكيم عن العشق فقال دخان يصعد الى دماغ الانسان يزيله الجماع ويهيجه السماع وهو نفخ الشيطان
المنافي لنفخ الرحمن فلذا يلي من حديث علي كان ابليس اول من ناح واول من تغنى وابن ابي الدنيا
والطبراني عن ابي امامة ما رفع احد عقيرته بغناء الا بعث الله اليه شيطانين على منكبيه يضربان على
اعقابهما بصدره حتى يمسك ثم للتلهي اي الاشتغال بمجرد النغمة وهو المعنى بقوله تعالى ومن الناس من
يشتري لهو الحديث الاية والمواظبة عليه اي من غير تخلل التوبة لانه ذنب اي عند الكل من العلماء والصوفية
من الصغائر وبهذا المحمل كلام الائمة المجتهدين من الفقهاء فقد حكى القاضي ابو الطيب الطبري عن ابي
حنيفة ومالك والشافعي في شرح ادب القضاء ان الغناء لهو مكروه يشبه الباطل ومن استكثر منه فهو سفيه
ترد شهادته وقال الشافعي صاحب الجارية اذا جمع الناس لسماعها فهو سفيه ترد شهادته قال وحكي
عن الشافعي انه كان يكره الطقطقة بالقضيب ويقول وضعته الزنادقة ليشتغلوا به عن القران قال
واما مالك فقد نهى عن الغناء وقال اذا اشترى جارية فوجدها مغنية كان له ان يردها وهو مذهب
ساير اهل المدينة الا ابراهيم بن سعد وحده قال واما ابو حنيفة فانه كان يكره ذلك ويجعل سماع الغناء
من الذنوب وكذا ساير اهل الكوفة سفيان الثوري وحماد وابراهيم النخعي والشعبي وغيرهم انتهى
كلام الطبري ويؤيده ما ورد من الاحاديث في ذم القينة وهي الجارية المغنية فللطبراني من حديث [illegible]
ان الله حرم القينة وبيعها وثمنها وتعليمها ثم يقويه ما رواه ابو داود عن نافع كنت مع ابن عمر في
طريق فسمع زمارة راع فوضع اصبعيه في اذنيه ثم عدل عن الطريق ولم يزل يقول يا نافع اتسمع
ذلك حتى قلت لا فاخرج اصبعيه ثم قال هكذا رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه ابو داود وعن
ابن مسعود مرفوعا وموقوفا الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل رواه البيهقي
وعن ابن المبارك عن عكرمة بن عمار عن يحيى بن كثير مرسلا ما اقبلت دار مفاخرة الا اقبلت
عن والحبرة الغناء ومنه قوله تعالى فهم في روضة يحبرون اي يغنون ويسرون ومر على ابن عمر قوم محرمون
وفيهم رجل يغني فقال الا لا اسمع الله لكم الا لا اسمع الله لكم وقال الشبلي السماع ظاهره فتنة وباطنه

وباطنه عبرة اي محنة واما ما نقل ابو طالب المكي اباحة السماع عن جماعة من الصحابة والتابعين كعبد
الله بن جعفر وابن الزبير ومعاوية وغيرهم فانما محمول على سماع ليس فيه شيء من الغناء وسماع
القران واشعار العرب ولو بالالحان واما ما نقل انه مذهبهم المختار عندهم فان المسئلة ظن قبل الاجماع عبه
وفعلهم ليس بحجة عند غيرهم فكذا ما روي عن بعض المشايخ الصوفية وقد ذكرت هذه المسئلة في رسالة
مستقلة وقد رايت رسالة منسوبة للشيخ احمد الغزالي اخي حجة الاسلام محمد الغزالي متضمنة لتكفير منكر
السماع بادلة سخيفة ظاهرة الفساد ودراية ضعيفة لما انها عند اهلها رواج وكساد وقد يكون مراد
المصنف ان السماع صغيرة والمواظبة عليه من الاصرار على الصغيرة كبيرة كما اذا داوم على الطبل طوال الايام او ربع
الكتب في رقصهم على الدوام ثم لترويح النفس اي الاستراحة واراحة تعبها قطعا للملالة والسآمة
من العبادة كما يجري ويسري في العادة الا لكمل الارادة وكل العابدين ثم تغايله صالحها اي حال النفس
ومقامها في المعاملة معه تعالى من تحصيل مرادها وهذا حالة العارفين وفيها خطر باعتبار تمامها ودوا منها
وتحقيق ذلك ان الاناء يترشح بما فيه سواء يكون صاحبه موافقه او منافيه فالسماع يشبه الحجر في اخراج
ما في الباطن فربه يعرف ما في القلب من خوف ورجاء وقلق وسكون وشوق وذوق ونشاط وانبساط فينقل
المريد حال نفسه في المعاملة مع ربه فاذا كان في باطنه خوف يظهر منه اثاره من نحو البكاء والحزن والحنين واذا
كان رجاء تبين انواره من الفرح والسرور وكمال الحضور ومنه ما قال ابو سليمان الداراني السماع لا يجعل
في القلب ما ليس فيه ولكن يحرك ما فيه ويشترط رعاية السنة اي الشريعة الغراء والطريقة الزهراء بالكمال اي بحمل
السماع على ما يليق به تعالى اي على وجه الكمال فمن نحو بياض الخد ونحوه يتذكر صفات الجمال ومن الزلف ونحوه
يتفكر في نعوت الجلال ثم لحبه تعالى فقط اي مع قطع النظر عن لوازمه وتفصيل مكارمه وهو اي هذا المقام
لمن فني عن حظوظ نفسه اي بالكلية وغاب عما سواه اي عن خطور غير الله تعالى حتى عن شهوده فهو الفناء
المعبر عنه بالفناء عن الفناء وذلك فانه فيهما فني عن نفسه ومحو عن غيره افني فكانه فني عن كل شيء الا عن الواحد
المشهود وفني ايضا عن الشهود فان القلب ان التفت الى الشهود والى نفسه بانه مشاهد فقد غفل عن
المشهود كالسكران الخارج عن السكر وهو نهاية مقام العارفين في حال البقاء وقد يعبر عن هذا المقام
باللقاء ولكن هذا كالبرق الخاطف قلما ظهوره في عالم السماع فان دام لطاقة القوة البشرية ومنه اي من
حبه تعالى تولد الوجد اي حصول الذوق ووصول الشوق وهو اي الوجد ما صادف القلب اي وجد القلب
من شوق اي الى الله ورضاه وخوف من حجابه وسخطه وحزن اي تاسف على ما فات وقلق اي اضطراب
في حالات ويحتمل ان يجد اي يفيد الوجد نقاء القلب اي طهارته عن السوى من كمال الصفاء وحصول العلم
اي زيادة المعرفة بالحكم والكشف وهي العلم بالله وبصفاته الفائق وبان احوال الاخرة ورجال الكمل
العاجزين عنه اي اذا كان متعلقا بالذات او بكنه الصفات كما عن البعض وان تكلفوا فانها من المعاني الدقيقة
يعجز التعبير عنها ولو بالمباني الرشيقة ثم ان يبعد ان يكون السماع سبب الكشف بما لم يكن مكشوفا قبل الا السماع ع
فان للكشف اسبابا ولفتحه ابوابا منها التنبيه والسماع تنبيه للنبيه ومنها تغير الاحوال ومشاهدة في

من احوال واذواق فعال وادراكي بنوع علم يفيد انفتاح امور لم تكن معلومة قبل ذلك من الاحوال ومعنى انبعاث
وانبساط ونشاط القلب بقوة السماع فيتقوى به على مشاهدة ما كان قصر عنه دركه كما يتقوى الجمل على
الحمل بحيث يطلع على الخبيث بسبب سماع الحداء بانواع الغنا وحمل القلب انكشاف جماله وملاحظة
اسرار الملكوت وانوار الجبروت طبق كماله ووفق حاله ومعنى الصفاء وهو سبب الكشف لارباب الوفا
وهذا التوضيح الباب وفتح ابواب ورفع حجب ربما تمثل الحق للعبد في لفظ منظوم لقريع سمعه يعبر عنه
بصوت الهاتف او بالهام او في صورة مشاهدة منزهة عن صور الانام والسماع سبب للحق
يصيد به الخلق بهذا كما يسمع صوت الهاتف عند سماع القلب يشاهد ايضا بالبصر صورة الخضر
عليه السلام فانه يتمثل لارباب القلوب بصور مختلفة وفي مثل هذه الحالة تتمثل الملائكة للانبياء
اما على حقيقة صورتها او على مثال يحاكي صورتها بعض المحاكاة والتواجد اي التكلف في الوجد واظهاره
من غير تحصيل القصد مذموم لانه ما يتعلق برؤية الخلق ان يقصد الوصول الى الحقيقة اي حقيقة الوجود يتعلق
برؤية الحق وذلك لورود اللهم ارزقني حبك حبك بمعناه ان حبك مضافه والمفعول كما حقق في قوله تعالى يحبهم ويحبونه وكذا
قوله وحب من يحبك وحب ما يقربني الى حبك اي من القول والعمل وغير ذلك والحديث قد ذكر فيما سبق اي ولورود
ما تقدم من التباكي اي ومدحه وهو التكلف بالبكاء في التلاوة اي في فصل فضل التلاوة وذلك
للتشبه باهل البكاء من الابرار ومن انبياء القراء ومن تشبه بقوم فهو منهم ومشاهدة اقتضاء وام
ذكر التشبي اي ايصاله والفضائل والنظر اليه من احواله والتفكر في فضائله وما يترتب عليه من تحسين
اكماله اي عشقه متعلق بالمضار اي بالجر الى المحبة ومودة حتى يمتنع الخلاص عنه اي عن تفكره وتذكره
ولو تكلف بالدفع في تصور وجعه اي حق السماع ووجبه ان لا يكون المستمع اي المغني ممن حرم النظر
اليه كالنسوان والمردان الا الشيخ اي الكبير الفاني الآمن على نفسه اي من الشهوة كما في قبلة الصائم
من المفصل بين الآمن وغيره وقال القاضي ابو الطيب استماعه من المرأة التي ليست بمحرمة له لا يجوز
عند اصحاب الشافعي بحال سواء كانت مكشوفة او من وراء ستر وسواء كانت حرة او مملوكة انتهى
ويعلم وجهه ان صوت العورة عورة الا بمحل الضرورة ولا يخفى ان الامرد الحسن الوجه خطره اقوى
فانه عند الشيطان اشهى وللخلق اغوى حتى قال النووي ان النظر اليه حرام ولو بلا شهوة واما قول
الغزالي ان صوت المرأة في غير الغنا ليس بعورة فلم تزل النساء في زمن الصحابة يكلمن الرجال في السلام
والاستفتاء في الاحكام والمشاورة وغير ذلك من الكلام محمول على ان الضرورات تبيح المحظورات وان لا آلة
اي وان لا تكون آلة الغنا من المزامير كذا طبل الكوبة والاوتار وهذا مجمع عليه لانه من شعار الاشرار
واما قصب الراعي فمختلف فيه فاباحه الرافعي وحرمه النووي من اتباع الشافعي وصرح علماؤنا بان
الدف مباح في محله اذا لم يكن له جلاجل في طرفه لان اباحته وقعت على خلاف القياس فيقتصر
على مورده روى ابن يزيد بن الوليد اياكم والغنا فانه يزيد الشهوة ويهدم المروءة وانه لينوب عن الخمر
ويفعل ما يفعله السكر فان كنتم لابد فاعلين فجنبوه النساء فان الغنا داعية الزنا فهو اي الغنا باعتبا

باعتبار اصله شعار اهل الشرب في مجلسه فحرام تبعا اي لحرمة شرب الخمر فانه قد يفضي الى فساد الامر
وينجر الى مباشرة الشر كخلوة الاجنبية لانها مقدمات الجماع والنظر الى مخدع اي فضاله بالنسوانية
ثم التماس حرام لا لذاتها بل تبعا لحرمة الزنا اذ هما قد يكونان وسيلتين الى فعله ولانه اي الغنا اذا لم
يذكر اي الشرب ويكره كالمزفت تشديدا للفاء المفتوحة اي ظرف القير والحنتم اي الظرف الاخضر
ونحوهما من الدباء والنقير لان الشرع حرم الانتقال بهذه الاشياء للامر بكسر دنان الخمر وظروفها
تبعا لحرمة الخمر تغليظا في امرها ثم اطلق بعد ذلك الملة وفيه انه ابيح بهذه الاشياء بحمل قال ان الغنا
فهو محمول على مبيح مطلق السماع من العلماء فالسماع حرام لتكميل الخمر وان كان لا يسكر لانه يدعو
الى المنكر وما من حرام الا وله حريم يطيف به وحكم الحرمة ينسحب على حريمه ليكون حمى للحرام ووقاية له
وحظارا مانعا حوله كما ورد ان لكل ملك حمى وان حمى الله محارمه وفيه اي يتبع فيما اذا كان الآلة مزمارا
التشبه باهل الشرب ومن تشبه بقوم فهو منهم حتى حرم تشبه الرجال بالنساء وعكسه حتى قيل تترك السنة
اذا صارت شعارا لاهل البدعة كما اي كالتشبه في الاجتماع للسماع واحضار الآلات ونصب الساقي اي
المناول في اداء السكنجبين ونحوه من اللبن والقهوة الحادثة المصنوعة من البن وقشره فانه اذا لم
اجتمع قوم في مجلس الساقي على عادته يدور بكاس واحد على جماعة واحدا بعد واحد وفق عادته فانه
يحرم السكنجبين وامثاله للتشبه بخلاف نحو الدف بضم الدال وتفتح والطبل اي طبل الحج والغزو
واما طبل الكوبة حرام لانه من شعار الفسقة وهو طبل مستطيل دقيق الوسط واسع الطرفين ولعل هذين
لم يكونا من شعار اهل الشرب في زمنه عليه السلام او في ايام المصنف او ذكره تبعا للغزالي لجوازهما في مذهبه
واما اذا كانا من شعار الفسقة فينبغي ان يقال بحرمتهما للتشبه فان العلة مشتركة ولان المتغني به قرآنا
اذ لا يجوز فيه اي في القرآن مد المقصور وقصر الممدود اي في المجمع عليه وربما لان زمان التغني المذموم
نشأ في الصوفية اي باللحان الفسقية والنغمات الموسيقية ولان قاضي به الكرام تبعا عليه
السلام كانوا يأمرون في مجلسهم من يقرؤا حالا بصوت حسن كما ليس في القرآن عمل بقوله عز وجل
واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق وقد اخبر الله سبحانه عن
حال الانبياء بقوله اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا وعن حال اولي العلم ان الذين
اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا يبكون ويزيدهم خشوعا وفي الصحيحين ان
ابن مسعود قرأ عليه عليه السلام بامره فلما انتهى الى قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على
هؤلاء شهيدا قال حسبك الآن ورأيت عينيه تذرفان اي تسيلان دمعا ولمسلم من حديث ابن عمر انه
قرأ ان تعذبهم فانهم عبادك فبكى ولابن عدي في الكامل والبيهقي في الشعب انه قرئ عنده ان لدينا
انكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا اليما فصعق اي بكى بصوت ولابي داود والنسائي والترمذي في الشمائل
من حديث عبد الله بن الشخير انه كان يصلي ولصدره ازيز كازيز المرجل واما حديث اختصام علي
وجعفر وزيد بن حارثة في حضانة ابنة حمزة فقال لعلي انت مني وانا منك فحجل وقال لجعفر اشبهت خَلقي وخُلقي

لحن وقال زيد انت اخونا ومولانا فحجل الحديث رواه ابو داود وفيه حديث علي وهو عند البخاري دون ذكر الحجل وعلى تقدير صحته فالمراد به اظهار الفرح والسرور بما وقع من المدح في الحضور وان كان الحجل في اصله نوع من الرقص وهو على رجل واحد فلا ينبغي ان يحمل عليه لقولهم الرقص نوع من النقص وما ابعد من استدل على جواز الرقص على الدوام بهذا الحديث الذي وقع نادرا من الصحابة الكرام في مجلسه عليه السلام مع عدم كونه نصا في مقام المرام وقد ورد ليس منا من لم يتغن بالقران وزينوا اصواتكم بالقران وزينوا القران باصواتكم وان النهي اي وانما قلنا انه لا يجوز ان يكون المتغنى به قرانا اذ لا يجوز فيه مد المقصور والحن وان يجوز النهي عن ايته اي عن قراءتها حيث لا يوافق السامع بالنسبة الى كلمة من الحالات والمقامات كاحكام المعاملات والحدود في باب السياسات وهذا القصور لهم السامع عن الايات البينات وما يتضمنها من اللطايف والاشارات واما العارف فيلاحظ بهذه المعاني من جميع المباني كما قال سبحانه فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب واما الموجد فيغظ الى كلام ربه كانه يسمع منه في نيابه عن غيره فيكون قلبه مطمئنا بذكره ومشتغلا بفكره كما قال تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب وقال تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وقال انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم وقال لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله ومن المقرر ان القران افضل الذكر لاشتماله على ذكر الله باعتبار توحيد ذاته وانواع صفاته واصناف مخلوقاته واجناس اخبار من مبدا المخلوقات ومنتهى مصنوعاته فالطمانينة وكذا الاقشعرار والخشية ولين القلب والوجل والخشوع وسمع عمر رجلا يقرا ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع فصاح صيحة وخر مغشيا عليه فحمل الى بيته فلم يزل مريضا شهرا وروي ان زرارة بن ابي اوفى من التابعين كان يوم الناس بالرقة فقرا السلة فاذا نقر في الناقور فصعق ومات في محرابه وسمع الشافعي قاريا يقرا هذا يوم لا ينطقون ولا يوذن لهم فيعتذرون فغشي عليه وكان الشبلي في مسجده ليلة من رمضان وهو يصلي خلف امام له فقرا الامام ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك فزعق الشبلي زعقة ظن الناس انه قد طارت روحه وكان يقول بمثل هذا تخاطب الاحباب وسمع رجل من اهل التصوف قاريا يقرا يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فاستعادها من القاري وقال كم اقول لها ارجعي فليست ترجع وتواجد فزعق زعقة فخرجت روحه وسمع علي بن الفضيل قاريا يقرا يوم يقوم الناس لرب العالمين فسقط مغشيا وسمع بكر بن معاذ قاريا يقرا وانذرهم يوم الازفة فاضطرب ثم صاح وقال ارحم من انذرته ولم يقبل اليك بطاعتك بعد الانذار ثم غشي عليه وسمع ابراهيم بن الادهم احدا يقرا اذا السماء انشقت فاضطربت اوصاله وعن محمد بن صبيح قال كان رجل يغتسل في الفرات فمر به رجل على الشط يقرا وامتازوا اليوم ايها المجرمون فلم يزل الرجل يضطرب حتى غرق ومات وقال بعض الصوفية كنت ليلة اقرا هذه الاية كل نفس ذائقة الموت فجعلت ارددها فاذا الهاتف يهتف بي كم تردد هذه الاية فقد قتلت اربعة من الجن لم يرفعوا روسهم الى السماء مذ خلقوا وقال ابو علي المغازلي للشبلي

ربما

ربما يطرق سمعي اية من كتاب الله فتجذبني على الاعراض عن الدنيا ثم ارجع الى احوالي والى الناس فلا ابقى على ذلك فقال ما طرق سمعك من القران فاجتذبك اليه فذلك عطف منه عليك ولطف منه بك واذا رددك الى نفسك فهو شفقة منه عليك فانه لا يصلح لك التبري من الحول والقوة في التوجه اليه وبالجملة لا يخلو صاحب القلب عن وجد عند سماع القران وذكر الرب فان كان القران لا يوثر فيه اصلا فمثله كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون ولا يجوز اي ولا يجوز وهو حال كون المتغنى به قرانا ضرب اليد والدف لان القران حق محض فلا يقرن بصوت اللهو كما يشير اليه قوله تعالى افمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وانتم سامدون اي مغنون ويدل عليه قوله سبحانه وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه لعلكم تغلبون وقوله عز وجل واذا ذكر الله وحده اشمازت قلوب الذين لا يومنون بالاخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون ثم في معنى القران كل ما يكون من ذكر الله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فما يفعله بعض مشايخ اليمن من الجمع بينهما منكر ظاهر لكن خفي على جماعة بحيث يحسبه العامة انه طريقة الصوفية وقد يجترئون على مثله في المسجد وفي الحجرة وفي الاسواق ومحاضر العشاق والله ولي دينه وناصر دين نبيه وزماننا هذا زمان السكوت وملازمة البيوت لظهور اهل الفساد وغلبة اهل العناد والله

٤ رءوف بالعباد ومما يويد ما قدمناه انه لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت الربيع بنت معوذ وعندها جوار يغنين فسمع احداهن تقول وفينا نبي يعلم ما في غد فقال عليه السلام دع هذا وقولي ما كنت تقولين وهذه شهادة بالنبوة فزجرها عنها وردها الى الغناء الذي هو لهو لان هذا جد محض فلا يقرن بصورة اللهو فالفاعلون للجمع بينهما يصدق عليهم قوله سبحانه واخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا واخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم وينبغي عطف على ان لا يكون اي ولا يجوز السماع ان يتفق فيه شاغل للخاطر مما ينافيه من الزمان كوقت الصلاة والطعام اي حضورهما والمكان اي وشاغل من المكان كالشارع اي الجادة وال سواق وما فيه صوت قبيح او رائحة كريهة فانهما منفرتان للطبيعة المستقيمة وتستبعد الملك ايضا عنهما والاخوان اي وشاغل من الاخوان الحاضرين كالمتكبر المحتاج

ش الى رعايته خصوصا اذا كان من ذوي الجاه والحكومة والمتكلف اي من الفقهاء حيث تكلف في حضور الشوق في خاطره بالرقص بناء على قول بعض الصوفية ايضا الرقص من النقص وخرق الثوب فانه من ضيق الحال وعدم انشراح المجلس كما فيه من تضييع المال والمتكلف المتواجد من اهل التصوف المراي بالوجد والرقص وتمزيق الثياب وقد قال سهل كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل وروي ان موسى عليه السلام وعظ بني اسرائيل فمزق واحد منهم ثوبه فاوحى الله الى موسى عليه السلام قل له مزق لي قلبك ولا تمزق ثوبك والمنزه اي المتكلف في الزهد عن الدنيا والرغبة الى العقبى المتلبس في الباطن عن محبة المولى وعلمه الله وفوق السماع بان لا يكون في طبعه لذة وشوق الى السماع وقد عد هذا اضل من البهايم فانه

ت حول محسوساته كالبهايم والجاهل اي ما لا يطلع على ما يليق به تعالى فان المحبة قد تورث في الباطن قبل الظاهر والملو

قلبه بحب الدنيا وبهذا استغنى عنه بقوله والمنزه ومما ذكر من استيعاب الانواع المحذورة في مجلس
السماع والشهوة ويجب ما يشتهي من المجذه والثنا والتلهي بالنغمة اي المستقل بمجرد النغمة وما به
يتلهى ويحضر بالحضور اي وحق السامع ان يسمع بحضور القلب المفيد للسرور ونفي الخاطر المحظور ولا
يلتفت الى الجوانب اي وان ينظر الى الداخل والخارج من الاقارب والاجانب ووجوه المتغنين لانه
من ارباب الفتور المانع عن الحضور الى حيث استماعهم ويكل همهم ان يعمل حفظه ووجوههم وتعاميهم ويشتغل
بنفسه وما يجب عليه من مقام الانس برعاية قلبه عند ذكر ربه وما فتح عليه من كشف لبه ويجلس على هيئة
المتأمل في الكلام المستغرق في المقام من لجة التفريد وبحر التوحيد ويجتنب عما يشوش اي عليه وعلى غيره
ان امكن له كالسعال والتثاؤب وكذا العطاس فانها من الشيطان والمنكرات كضرب اليد اي على طبق
الغنا وتحريك الاطراف اي التي مقدمة الرقص المعبر عنه بالوجد والرقص نفسه وهو بالقيام ونحوه وخرق
الثوب اي قطعه ورميه الا ان صار مغلوبا على عقله بحيث لا يعلم بفعله او اي اذا كان مجذوبا لا يطيق
الاستماع لطربان نحو كآبته اي عظمة الهيبة او اجلال اي خوف مع خشية ربانية او حياء من نوم وارد ة
على تواتر زمانه فيعذر اي في هذه الحالات عن مخالفة ظاهر الشريعة من المنكرات كما غلب على عمر
رضي الله عنه عام الحديبية ما لم يخف فصح ويوم مات عبد الله بن ابي رئيس المنافقين حمية الدين
كما غلب اي حمايته ورعايته بحسب ما ظهر له من حسن رائه ووفق عادته حيث انكر الصلح اي عام الحديبية
فقال عمر كما في صحيح البخاري فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله الست نبي الله حقا
قال بلى قال الستا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قلت فلم نعطي الدنية في ديننا اذا قال اني
رسول الله ولست اعصيه وهو ناصري قال العلماء لم يكن سؤال عمر وكلامه المذكور شكا بل طلبا لكشف ما خفي
عليه منه الى حرصه على اذلال الكفار وظهور الاسلام وعز اهله الابرار كما عرف في خلقه وقوته في نصرة
الدين واذلال المبطلين والصلاة اي وانكر عمر الصلاة على جنازة اي جنازة ابن ابي ومالا عليه
الى قوله الصلاة وغيرها والقيام على قبره حيث هم النبي صلى الله عليه وسلم بفعل هذا كله وقد وافق
قول عمر حكم الله حيث نزل ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا
وهم فاسقون ولعل حلمه عليه السلام كان لتالف كما يبدي من الاسلام او لتالف ولده فانه كان من
الفيادي الاحكام ومنع عمر كما كان يترشح منه اي اثار الكفر والظلام واي طيبة رضي الله اي وكما غلب
على ابي طيبة حب الاسلام حيث شرب دمه عليه السلام بعد الحجامة تبركا بما برز من باطنه عليه السلام
والحديث رواه الدارقطني وقال حسن صحيح وقد وقع شرب بوله ودمه عن جماعة من الصحابة الكرام ولم
ينكر عليهم بل رتب الجزاء عليهم فقال للواحد صحة وللاخر لم تمسك النار وقد بسطت عليه الكلام في سيرة
عليه السلام وقد قال جماعة من العلماء الشافعية ان فضلاته عليه السلام طاهرة وانه من خصوصياته
كما حكى وهو قول الامام الاعظم والله اعلم ومن ذلك ما روى ابن حبان ان نحلا كان في بني اسرائيل على
جبل فقال اللهم من خلق السماء فقالت الله فقال من خلق الارض قالت الله قال من خلق هذا الغنم قالت الله

الله فقال اني لاسمع لله تعالى شانا ثم رمى بنفسه من الجبل فتقطع وبهذا كانه يسمع كما دل على جلال الله وعظمته
وتمام قدرته فطرب لذلك ورمى بنفسه كما ذكر وفي بعض العبارات مكتوبا في الانجيل غنينا لكم فلم تطربوا
وزمرنا لكم فلم ترقصوا اي قول المغني بينا لكم الترغيب والترهيب فلم تشتاقوا وشوقنا فذكرنا وذكرنا فلم تشتاقوا
لكنه اي وصف المغلوب بضرب تقصير اي فيه نوع قصور منه جابر قدر ذوي الكمال عنه لان السماع انما
ورد لو تشهد من العلماء واتباعهم من الاولياء انهم اصحاب شرائع اي صحبة او حكما يتكلمون ان كانوا يتكلمون
في التفهيم يتكلمون لغيرهم لقول عيسى عليه السلام من علم وعمل يدعى في الملكوت عظيما اي فينبغي ان يكون
رفع المكاره وبساطا اي وحق السامع ان يعاون الاخوان في المقام في المجلس ورفع العمامة
عن الراس اذا سقطت عمامته اذ كان اي التعاون معتادا اي فيما بينهم فان الفه موحش اي بعد الحضور
وان سرارهم بعد اي وادخال السرور بالمساعدة فيما لم ينه عنه اي نهيا صريحا وصار معتادا بعد عصرهم
اي بعد انقضا زمان السلف وانتقال من الى الخلف حسنة جزا منه الى مستحسن لما روى عن ابن مسعود
مرفوعا وموقوفا ما راه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن ولقوله عليه السلام خالقوا الناس باخلاقهم رواه
الحاكم وقال وان كان اي ما ذكر بدعة اي في نفس الامر والا عدم حضور ذلك المجلس لئلا يحتاج الى
حظرا لحظر فقد قال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان في اجتناب التعاون
على المباح اقرب الى النجاح وعدم الجناح لاسيما وقد قال عليه السلام من احدث في امرنا ما ليس منه فهو رد
اي مردود على شرط صحيحي الشيخين وقال كل بدعة ضلالة فعليكم باتباع السنة وترك البدعة نعم البدعة
المحمودة ما تزاحم السنة المأثورة ولم يتبع نهي عن الصور المذكورة ويخص به اي وحق السماع بالنسبة الى
المقتدي ان يخص بالسماع لئلا يقتدي العوام به في جواز مطلق الاستماع وعموم انواع السماع وبطلهم
المنع اي للعوام فيصير اكثر للاغاثة على الهوى اي لغلبة هوى النفس حتى على المبتدئين من المريد ن
ويتخلف الكامل المعرفة اي في لبه والمحبة لربه عن مجالس التغني والسماع من غالب امره لاستغنائه اي
لاستغناء الكامل في مقام الفنا والبقا عن المحرك الخارجي من سماع الغنا كما اشار الصديق اليه حيث
راى الاعراب يقدمون ويسمعون القرآن فيبكون فقال كنا كما كنتم ثم قست قلوبنا اي اشتدت
وقويت لتحمل ما تنزل الينا وقيل للجنيد ما لك تركت السماع فقال وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر
السحاب وقال بعضهم صحبت سهل بن عبد الله ستين سنة فما رايته يتغير عند شيء كان يسمعه من الذكر والقران
فلما كان في اخر عمره قرا رجل بين يديه فاليوم لا يؤخذ منكم فدية الاية فرايته قد ارتعد وكاد يسقط فلما عاد
على حاله سالته عن ذلك فقال نعم يا حبيبي ضعفنا وكذلك سمع مرة قوله تعالى الملك يومئذ الحق للرحمن فاضطرب ب
فساله ابن سالم وكان من اصحابه فقال قد ضعفت فقيل له وان كان هذا من الضعف فما قوة الحال فقال
ان لا يرد عليه وارد الا وهو يتلقاه بقوة حاله وقال الجنيد لا يضر نقصان الوجد مع فضل العلم اذ فضل العلم
اتم من الوجد الا بنية ادخال السرور اي ادخال السرور في قلوب اصحاب مجلس التغني بشرط ان المساعدة في
الموافقة وترك المخالفة بالمباعدة وتعليمه ولا بنيته تعليم ضبط الجوارح من الاقوال والافعال مع كمال الحال

والمسلم في جميع الاحوال وقال الاجتناب عن مطلق السماع ولو بشروطه مع الاصحاب
لمكان الاحتمال فالاولى في هذا الباب والصوفي طريقة اختيار العزيمة دون الرخصة والخروج عن
الخلاف فيستحب بالاجماع وسنة السماع المشهور في الاسماع وبذلك تحقق الشروط في غالب
مجالس السماع لدقة مكايد النفس اي هواجسها والشيطان بحملها على وساوسها وقال الحسن
قول الحصري ما ذا اعمل بسماع ينقطع اذا مات من يسمع منه اشارة الى ان السماع من الله هو الدائم
فالانبياء وكمل الاولياء في لذة السماع على الدوام فلا يحتاجون الى التحريك كالعوام وقال بعض المشايخ
الكرام ليتنا نجونا منه هذا السماع راسا براس وقال ابو القاسم النصرابادي لابي عمرو بن نجيد
انا اقول اذا اجتمع القوم فيكون منهم قوال يقول خير من ان يغتابوا فقال ابو عمرو الرياء في السماع
وهو ان تري من نفسك حالا ليس فيك شر من ان تغتاب ثلاثين سنة **الباب**

العاشر في الاناة والعجلة والحلم والعفو والنصيحة والحقد الاناة بفتح الف اسم لضد العجلة والحلم
التحمل والعفو التجاوز والنصيحة ارادة الخير للمنصوح له والحقد بالكسر العداوة بالقلب وينتج نحو
الحسد والغضب بسم الله الرحمن الرحيم الذي يستعان به على كل خلق كريم ويستعاذ به عن
كل طبع ذميم الاناة معنى اي خلق باطني باعث على الاحتياط في الامور اي المتعلقة بالحكم الخارجي
وهو ارادة اتمام الامور على وجهها بحيث لا يفوت شيء من حقها والثاني مصدر باب التفعل وتاءه
للطلب او التكلف اتباعها اي تتبع تلك الامور بعد الدخول اي دخول الانسان فيه اي في حال
الدخول وقبل الدخول وضده التعسف في الحصول والتوقف قبله اي وتقابله التوقف وضدها اي الاناة
العجلة وهو اي العجلة معنى باعث على الاقدام اي اقدام الانسان على الامور باول خاطر من غير
تأمل وتفكر والاستعجال اتباعها اي تتبع ذلك الباعث من غير تأخر وورد العجلة من الشيطان ابو يعلى
من حديث انس بلفظ التاني من الله والعجلة من الشيطان والترمذي وحسنه من حديث سهل بن سعد
بلفظ الاناة من الله الا في تزويج البكر اي خصوصا اذا بلغت ووجدت لها كفؤا وقضاء الدين ولو كان
مؤجلا وتجهيز الميت اذا كان ميسرا وقرى الضيف اذ حسنه ان يكون معجلا لقوله تعالى فما لبث ان جاء
بعجل حنيذ فيه الدلالة على المبادرة بالعبادات والتوبة من الذنب اذ يجب ان تكون في الحال
فان اكثر عذاب اهل النار من تسويفهم في الحال ويستثنى ايضا الصلاة اذا دخل وقتها فان في التاخير
افات واقبحها اي العجلة ما تشابهها الحرمان عن المطلوب لمن استعجل نيل منزلة من مال او جاه او
لذة او مقام او حال او مرتبة او اجابة دعوة قبل الوقت اي المقدر لها فان الامور مرهونة باوقاتها
ينزل مثل الله اي ترك المستعجل طلب تلك المنزلة والدعوة منه جهة الملل له فيكون لسبب الحرمان عن
وصول تلك الحال لا محالة ويغلو ويبالغ في الجهد واتعاب النفس فينقطع عن الطريق فهو بين افراط
وتفريط وكلاهما نتيجة الاستعجال وقد ورد برواية البزار والحاكم والبيهقي وغيرهم ان هذا الدين متين
فاوغل فيه برفق فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى والمنبت الذي انقطع به في سفره وعطبت راحلته

راحلته والفعل انبت مطاوع بته من البت القطع وفي المثل السائر ان لم تستعجل تصل ولبعضهم
قد يدرك المتأني بعض حاجته ¤ وقد يكون مع المستعجل الزلل ¤ فيغتر بسلام ويترك الدعاء فيحرم حاجته
ما لم يكن فيتهم الانسان في دعاء الخير ان منه الشر فيسقط او مكافاة ظالم او مغضوب عطفا على نيل
منزلة او مجرور عطفا على منزلة فيبطل اجره لعدم صبره بالدعاء عليه اي على الظالم وذلك بان يظلم انسان
فيغضب ولا يدعو عليه وربما ينجو ويزعن الحد فيقع في المعصية والهلاك قال تعالى ويدعو الانسان بالشر دعاءه
بالخير وكان الانسان عجولا واقتحام الشبهة اي ومن افات العجلة دخول الشبهات المورثة للسيئات
فاصل الورع اي اساسه الذي عليه مدار الشرع النظر البالغ في كل شيء اي من الاصل والفرع الذي هو
م بصدده من اكل وشرب وكلام وغيره فاذا كان الرجل مستعجلا في امور غرضا او لا متثبت عند صدوره
فيبادر الى كل طعام وكلام فيقع في شبهة او حرام وكذا في ساير المرام فيفوته الورع الذي عليه مدار الاحكام
الاسلام وقد ورد اخبار واثار في فضل الرفق الذي عليه مدار حسن الخلق في معاشرة الخلق ففي صحيح
مسلم من حديث عائشة ان الله رفيق يحب الرفق ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف وفي الصحيحين من حديثها
ايضا ان الله يحب الرفق في الامر كله ولمسلم من حديث جرير من يحرم الرفق يحرم الخير كله كما في رواية
ابي داود وللطبراني في الاوسط من حديث ابن مسعود والبيهقي في الشعب كلاهما من حديث عائشة الرفق
يمن والخرق شوم ولابن المبارك في الزهد من حديث ابي جعفر مرسلا اذا اردت امرا فتدبر عاقبته فان
كان رشدا فامضه وان كان سوى ذلك فانته وعن الحسن المؤمن وقاف متان وليس كحاطب ليل ثم
العنف وان كان محمودا في بعض الاحوال ولكن الاحتياج الى الرفق اقوى في اكثر الافعال والاقوال ومن هنا
قال سفيان لاصحابه تدرون ما الرفق قالوا قل يا ابا محمد قال ان تضع الامور في مواضعها الشدة في موضعها
واللين في موضعه والسيف في موضعه والسوط في موضعه وفيه تنبيه على انه ينبغي مزج الغلظة باللين والعنف
بالرفق كما قيل **شعر** ووضع الندى في موضع السيف بالعلى ¤ مضر كوضع السيف في موضع الندى ¤ اي العطاء
ويعني اي عون الانسان ما يتكلم الناس لكنه محبة الا والجانبها كالايات منهكة تجري مجراها والافراط
اي ومن افات العجلة الافراط بانتها في الغضب وهو اي الغضب او افراطه مذموم اي شرعا وعقلا وقد ورد اي
برواية الطبراني والبيهقي من رواية بهز بن حكيم عن ابيه عن جده الغضب يفسد الايمان اي كماله او يطفي
نوره ويمنع ظهوره كما يفسد الصبر العسل وهو بفتح الصاد وكسر الباء عصارة شجر مر وعن ابي هريرة رضي الله
عنه ان رجلا قال يا رسول الله مرني بعمل واقلل قال لا تغضب ثم اعاد عليه فقال لا تغضب رواه البخاري وفي
كلما قيل لابن المبارك اجمل لنا الخلق الحسن في كلمة قال ترك الغضب وعن علي منه في قوله تعالى وسيدا وحصورا قال
السيد الذي لا يغلبه الغضب وقد قيل الغضب غول العقل وهو اي الغضب غليان دم القلب لطلب الانتقام
والمحمود منه الغضب الا عند الكسر للاخلاق وللاحوال فليبيهق في الشعب مرسلا خير الامور اوساطها
وهو اي الاعتدال الضبط تحت الشرع والعقل بان لا يكون فيه تفريط ولا افراط فيغضب حيث وجبت
الحمية الشرعية ويسكن حيث يحسن الحلم في القضية الفرعية فالتفريط اي بعقد الغضب او ضعفه مذموم وهو الذي

اي باهله ح

يقال فيه انه لا حمية له ولذا قال الشافعي من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضي فلم يرض فهو شيطان
كان افراطا اي كما ان الافراط بالتهور والجبن مذموم قال تعالى اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية
الجاهلية فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين ذم الكفار بما تظاهروا به من الحمية الصادرة من
الغضب بالباطل ومدح المؤمنين بما انعم الله عليهم من السكينة وورد في مدح الاعتدال قوله تعالى اشداء
على الكفار رحماء بينهم وكذا قوله تعالى اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين وقد قال تعالى لنبيه عليه السلام
يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ولا تاخذكم بهما اي بالزاني والزانية في حدهما رأفة
في دين الله اي شفقة ورحمة وهو دليل لذم التفريط وقال عليه السلام خيار امتي احداؤها يعني في الدين رواه
الطبراني والبيهقي عن علي وقلعه اي قلع الغضب ودفعه في زوال ما يستغنى عنه كالجاه والمال الكثير والعلو
والدواب ممكن اذ ليست بهذه الاشياء ضروريات الاحتياج الخلق فيمكن رفعها بالرياضة والمجاهدات العلمية
والعملية لا اي لا يمكن قلعه في زوال ما احتيج اليه وان لا يستغنى عنه بحال كطعام يسد جوعه من قوت يومه
وليلته وثوب يستر عورته ويصحح صلاته وبيت يواريه اي يستر حالته ويدفع برودته وحرارته وكتاب
يطالعه وفي معناه كالة بها يكتسب ما يحتاج اليه فهذه ضروريات بعض افراد الناس لصعوبة تفريغ القلب عن
جميعها اي عن حب هذه الاشياء بحكم الطبيعة فانه لا يمكن قلعها بالرياضة ولا كلف احد به في ابواب الشريعة
وقد اشار اليه صلى الله عليه وسلم بقوله من اصبح منكم امنا في سربه معافى في بدنه عنده قوت يومه فكانما حيزت
له الدنيا اي جمعت له لذاتها الترمذي وابن ماجه من حديث عبد الله بن محصن وقال الترمذي حسن غريب ورواه
البخاري في تاريخه والعسكري بدون زيادة بحذافيرها الا لمن غلب عليه التوحيد فلا يغضب عن تفويت مثل
الاشياء لما عنده من المقام السديد وقال الغزالي يرى الخلق مسخرين للحق الشاكر الغالب كالقلم للكاتب
لكن غلبة التوحيد الى هذا الحد في مقام التفريد انما يكون كالبرق الخاطف يقع في احوال نادرة مع الرب
ثم يرجع القلب الى الوسائط رجوعا طبيعيا لا يندفع عنه ولو تصور ذلك على الدوام لاحد من الانام
لتصور لرسوله عليه السلام فانه كان يغضب حتى يحمر وجنتاه ويقول انما انا بشر اغضب كما يغضب البشر
كما في الصحيحين وفي رواية فايما مسلم سببته او لعنته او ضربته فاجعلها مني صلاة وزكاة وقربة
تقربه بها اليك يوم القيامة وفيه اي وفيما احتيج اليه يتصور الكسر اي كسر النفس بان لا يظهر الاثر اي اثر
الغضب في البشرة لا قلع الغضب بالمرة لانه غير مقدور البشر وعن علي كرم الله وجهه كان عليه السلام
لا يغضب للدنيا فاذا اغضبه الحق لم يعرفه احد ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له رواه الترمذي في الشمائل وفي
صحيح مسلم عن عروة ان عائشة حدثته ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من عندها ليلا قالت فغرت
عليه فجاء فرأى ما اصنع فقال ما لك يا عائشة اغرت فقلت وما لي لا يغار مثلي على مثلك فقال صلى الله عليه
وسلم لقد جاءك شيطانك قالت يا رسول الله او معي شيطان قال نعم قلت ومع كل انسان قال نعم قلت ومعك
يا رسول الله قال نعم ولكن ربي اعانني عليه حتى اسلم قيل فلا يامرني الا بخير في الجملة اراد شيطان الغضب والمعنى
انه لا يحملني على الشر وقال عبد الله بن عمرو بن العاص يا رسول الله اكتب عنك كلما قلت في الغضب والرضا

والرضا قال اكتب فوالذي بعثني بالحق ما يخرج منه الا حق واشار الى لسانه فلم يقل الا ان اغضب ولكن
قال ان الغضب لا يخرجني عن الحق ولا اعمل بموجب الغضب والحديث رواه ابو داود باسناد صحيح وهو معنى
ما في قوله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وقوله سبحانه قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي
اي التمييز بيني وبينكم بوقوع الوحي الي دونكم بهذا وقد يفقد اصل الغضب فيما هو ضروري اذا كان
القلب مشغولا بضروري اهم منه فلا يكون في القلب متسع للغضب لاشتغاله بغيره فان استغراق
القلب ببعض المهمات يمنع الاحساس بما عداها ولو كانت من الضروريات ومن هنا لما شتم سلمان قال ان
خفت موازيني فانا شر مما تقول وان ثقلت موازيني لم يضرني ما تقول فقد كان همه مصروفا الى الاخرة
فلم يتاثر قلبه بالشتم ولم يصر سببا للغضب وكذا لما شتم الربيع بن خثيم فقال يا هذا سمع الله كلامك
وان دون الجنة عقبة ان قطعتها لم يضرني ما تقول وان لم اقطعها فانا شر مما تقول وقيل للبسطامي حين
اغضبه ام ذنب الكلب فقال ان مت مؤمنا فلحيتي والا فذنب الكلب فكان همه حسن الخاتمة وشتم رجل
ابا بكر الصديق فقال ما ستر الله عنك اكثر فكانه كان مشغولا بالنظر في تقصير نفسه عن ان يتقي الله حق
تقاته ويعرف الله حق معرفته فلم يغضبه نسبة غيره اياه الى النقصان في امر اذ كان ينظر الى نفسه بعين
النقصان وذلك لكمال قدره وقالت امراة لمالك بن دينار يا مرائي فقال ما عرفني غيرك فكانه كان
مشغولا بان ينفي عن نفسه افة الرياء ليصل الى حالة الاخلاص ومقام البقاء بعد الفناء وسب رجل
الشعبي فقال ان كنت صادقا فغفر الله لي وان كنت كاذبا فغفر الله لك والسبب اي باعث الغضب ستة
اشياء الكبر والعجب والمزاح وان كان حقا والهزل ان يذا اي بالتعيير والمراء والحرص اي شدة الميل في الفضول اي زيادة
المال والجاه وكلها باجمعها اخلاق ردية واحوال دنية مذمومة في امور شرعية واحكام فرعية ولا خلاص من
الغضب مع بقاء هذه الاسباب فلا بد من ازالتها باضدادها المعروفة في الباب وعلاج كل اي من الكبر ونحوه
في موضعه اي ياتي مفصلا واما مجملا فهو بان يميت الكبر بالتواضع ويميت العجب بمعرفة النفس اذا كان
بالعلم والعمل واما اذا كان بالنسب المجرد فبمعرفة ان بني ادم جنس واحد وان الشرف بالفضائل والفخر والعجب
من اكبر الرذائل ويميت المزاح بالاشتغال بالمهمات الدينية والامور الضرورية ويزيل الهزل بالجد
ويميت الباطل بالحق لقوله تعالى انه لقول فصل وما هو بالهزل ويزيل التعيير بالاشتغال بعيوب نفسه فورد
طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس ومن عير اخاه بذنب لم يمت حتى يبتلى به ويزيل الحرص على مزايا
العيش بالقناعة والاشتغال بالعبادة على قدر الاستطاعة والدنيا ساعة فاجعلها طاعة مع ما في
القناعة من الاستغناء والترفع عن ذل الحاجة ثم المواظبة على مباشرة اضدادها مدة مديدة حتى تصير
بالعادة مالوفة هينة سديدة ذا المحن عن النفس فقد تركت وطهرت عن هذه الرذائل واتصفت
بمحامد الفضائل ومكارم الشمائل والحاصل ان الغضب انما هو لضعف النفس والمريض اسرع غضبا
من الصحيح والمراة اسرع غضبا من الرجل والصبي اسرع غضبا من الكبير والشيخ الضعيف اسرع غضبا من
الكهل وذو الخلق السيء والرذائل اسرع غضبا من صاحب الفضائل فالرذل يغضب لشهوته عند فوت لقمة

وبتخلو عند فوت حبيبه وصاحب الغضب يملك نفسه عند غضبه وحدته ففي الصحيحين عن ابي هريرة ليس
الشديد بالصرعة انما الشديد من يملك نفسه عند الغضب ومن هذا الذي ذكرناه علم وجه تفضيل الاحوال
ويان جملة العلاج التوضي والاغتسال اتم ففي الحديث اذا غضب احدكم فليتوضأ بالماء فان
الغضب من النار رواه ابو داود من حديث عطية السعدي وفي رواية احمد ان الغضب من الشيطان وان الشيطان
خلق من النار وانما يطفى النار بالماء فاذا غضب احدكم فليتوضأ وروي ان عمر رضي الله عنه غضب يوما
فدعا بماء فاستنشق وقال ان الغضب من الشيطان وهذا يذهب الغضب يعني في الجملة والتعدد اي بالعدد ه
ويكون وفي نسخة التغسل وهو الظاهر فيكون في الاصل تصحيف وتحريف اذ لم يرد فيه حديث شريف بخلاف
الاغتسال فقد اخرج ابن عساكر من حديث معاوية الغضب من الشيطان والشيطان خلق من النار وانما
يطفى النار الماء فاذا غضب احدكم فليغتسل ومن جملة العلاج السكوت فعن ابن عباس مرفوعا اذا غضبت
فاسكت رواه احمد وابن ابي الدنيا والطبراني والبيهقي في شعب الايمان والقعود اي الجلوس اذا كان
قائما والاتكاء اذا كان جالسا والاضطجاع اذا كان متكئا فلا بد من حديث ابي سعيد ان الغضب
جمرة في القلب الم تروا الى انتفاخ اوداجه وحمرة عينيه فاذا وجد احدكم من ذلك شيئا فان كان قائما
فليجلس وان كان جالسا فلينم او فليضطجع فان لم يزل ذلك فليتوضأ بالماء البارد او يغتسل فان
النار لا يطفئها الا الماء ولابن ابي الدنيا من حديث ابي هريرة كان عليه السلام اذا غضب وهو
قائم جلس واذا غضب وهو جالس اضطجع فيذهب غضبه ولاحمد باسناد جيد وكان ابو ذر قائما فجلس
ثم اضطجع فقيل له لم جلست ثم اضطجعت فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنا اذا غضب احدكم
وهو قائم فليجلس فان ذهب عنه الغضب والا فليضطجع والمرفوع عند ابي داود بسند فيه انقطاع
والاضطجاع غاية السكون فان سبب الغضب الحرارة وسبب الحرارة الحركة والظاهر عنوان الباطن
ويستفاد لكل منهما على الاخر كما حقق في محله تاثر الظاهر والباطن وقد ورد ان ابا ذر قال لرجل يا ابن
الحمراء في خصومة بينهما وفي رواية يا ابن المحمرا فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا ذر
بلغني انك اليوم عيرت رجلا بامه قال نعم فانطلق ابو ذر ليرضي صاحبه فسبقه الرجل فسلم عليه فذكر ذلك
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا ذر ارفع راسك فانظر ثم اعلم انك لست بافضل من احمر فيها ولا
اسود الا ان تفضله بعمل ثم قال اذا غضبت فان كنت قائما فاقعد وان كنت قاعدا فاتكئ وان كنت متكئا
فاضطجع رواه ابن ابي الدنيا باسناد صحيح وفي الصحيحين من حديثه قال كان بيني وبين رجل من اخواني
كلام وكانت امه اعجمية فعيرته بامه فشكاني الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا ذر انك امرؤ فيك جاهلية
ولاحمد انه عليه السلام قال له انظر فانك لست بخير من احمر ولا اسود الا ان تفضله بتقوى ورجاله ثقات
والصادق الكذاب لا رتب فعن ابي سعيد الخدري مرفوعا الا ان الغضب جمرة في قلب ابن ادم الا ترون
الى حمرة عينيه وانتفاخ اوداجه فمن وجد من ذلك شيئا فليلصق خده بالارض الترمذي وحسنه وكان هذا
اشارة الى تمكين اعز الاعضاء من اذل الاشياء لتتشوه النفس المذلة وتزيل عنها الزهو والعزة

والمعزة واتى الى ان منه اوله واخر التراب لا يصلح له الغضب في باب من الصواب والا قول بعض اولى
الالباب ومالي قول بعض اولي الالباب ما للتراب ورب الارباب والله اعلم بالصواب وقال عروة بن
محمد لما استعملت على اليمن قال لي ابي اوليت قلت نعم قال فاذا غضبت فانظر الى السماء فوقك والى الارض
تحتك ثم عظم خالقهما ان الكظم مروي اي فعلها كما قدمنا مامور به كما بينا والمعنى انه جمع فيه بين العلم والقول
معلكا وفي نسخة معللا بانه اي الغضب جمرة اي حرارة غريزية او مادته عرضية يتوقد في القلب بدليل حمرة
العين اي حينئذ والانتفاخ الاوداج اي عروق الرقبة وقد سبق به الرواية وتحقق به الدراية والاستعاذة
اي ومن جملة العلاج العودة الى الحالة الاولى بعد التغير عنها الى الحالة الثانية من الاستعاذة اي التعوذ
بالله من الشيطان الرجيم عند الغيظ وهو متفق عليه من حديث سليمان بن صرد قال كنت جالسا مع النبي صلى
الله عليه وسلم ورجلان يستبان فاحدهما احمر وجهه وانتفخت اوداجه فقال عليه السلام لو قال اعوذ
بالله من الشيطان الرجيم لذهب عنه ما يجد الحديث ولابن عدي اذا غضب الرجل فقال اعوذ بالله سكن
غضبه ولابن السني في اليوم والليلة من حديث عائشة كان عليه السلام اذا غضبت عائشة اخذ بانفها
وقال يا عويش قولي اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي واذهب غيظ قلبي واجرني من مضلات الفتن والاستعانة نه
بالله تعالى بحوله وقوته في دفع غضبه وشدة حدته والعلم بثواب الحلم والتحلم عطف على العلم الحلم
اي ومن العلاج التكلف في الحلم فانه محمود ايضا وللطبراني انما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم فورد في
التنزيل والكاظمين الغيظ اي المتحملين وذلك في معرض مدح المتقين من المؤمنين وتمامه والعافين
عن الناس والله يحب المحسنين وللطبراني في الاوسط والبيهقي في الشعب من حديث انس من كف غضبه
كف الله عنه عذابه ولابن ابي الدنيا من حديث ابن عمر من ملك غضبه وقاه الله عذابه ولابن ابي الدنيا
من حديث علي اشدكم من ملك نفسه عند الغضب واحلمكم من عفا عند القدرة ان المسلم ليدرك بالحلم درجة الصائم
اي بالنهار القائم اي بالليل رواه الطبراني في الاوسط ولابن السني من حديث ابي هريرة اطلبوا العلم
واطلبوا مع العلم السكينة والحلم وفي الصحيحين يا اشج ان فيك خلقين يحبهما الله الحلم والاناة وللطبراني
من حديث فاطمة ان الله يحب الحيي الحليم ولابن ماجه باسناد جيد من حديث ابن عمر ما جرع عبد جرعة اعظم
اجرا من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله زاد ابن ابي الدنيا من حديث ابن عباس وما كظمها عبد الا
ملأ الله قلبه ايمانا وقال ايوب حلم ساعة يدفع شرا كثيرا واجتمع سفيان الثوري وفضيل بن عياض
فتذاكرا الزهد فاجمعا على ان افضل الاعمال الحلم عند الغضب والصبر عند الطمع وقال رجل لعمر والله لا تقضي
بالعدل ولا تعطي الجزل فغضب عمر حتى عرف في وجهه فقال رجل يا امير المؤمنين الم تسمع ان الله قال خذ العفو وأمر
بالعرف واعرض عن الجاهلين وهذا من الجاهلين فقال عمر صدقت وكانما كانت نارا فاطفيت وتسكين
غضبه تعالى وقدرته وفضيحة الاخرة اي والعلم بها فانها تكون سببا لاطفاء نار الغضب وتسكين عن
اللهب فيخوف نفسه بعقاب الله بان يقول قدرة الله علي اعظم من قدرتي على هذا الانسان فلو امضيت
غضبي عليه لم امن ان يمضي الله غضبه علي يوم القيامة فانا احوج ما اكون الى العفو والمرحمة وقد قال تعالى في

بعض الكتب المتقدمة يا ابن آدم اذكرني حين تغضب اذكرك حين اغضب فلا امحقك فيمن امحق وبعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم وصيفا الى حاجة فابطأ عليه فلما جاء قال لولا القصاص لاوجعتك
ضربا اي خوف القصاص في القيامة ابو يعلى من حديث ام سلمة بسند ضعيف ولاحمد من حديث عبد الله
بن عمرو سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبعدني من غضب الله قال لا تغضب وتشبه الحكيم
بان يكون متأنيا متوردا كذا الحليم ان يكون متأنيا وقد مدح الله سبحانه خليله بانه حليم وكذا البشرة بغلام حليم
والاناة اي وما يتابع الانبيا من الاصفيا فقد ورد العلما ورثة الانبيا وضد ذلك من حال الاكراد
والاتراك والجهلة والاغبيا والغضوب اي وتشبه كثير الغضب بالسبع الضاري اي الصايل العادي
منه الاسد ونحوه نعوذ من اخلاق البهايم والكلب الهايم وقبح هيئته اي بتغير صورته حال غضبه وشدة
حدته بان تتنكر وتتذكر صوته عند حال غضبه وتغير لونه وشدة رعدته في اطرافه واكتافه وخروج افعاله
عن ترتيبه ونظامه من اضطراب الحركة في اعضائه وكلامه حتى يظهر الزبد على الاشداق وتحمر
الاحداق وتنقلب المناخر وتستحيل الخلقة في المناظر ولو راى الغضبان نفسه في حال غضبه وقبح صورته
ليسكن غضبه من قبح هيئته واستحالة خلقته وقبح باطنه اعظم من ظاهره وهذا اثر التغير في جسده واما
اثره باللسان فانطلاقه بالشتم والفحش وقبح الكلام الذي يستحي منه ذوو العقول ويستحي منه قائله
ايضا عند فتور غضبه وذلك مع تخبط نظمه واضطرابه واما اثره على الاعضاء فالضرب والهجم والتمزيق
والجرح والقتل عند التمكن من غير مبالاة فان هرب منه المغضوب عليه او فاته بسبب لديه وعجز عن
التشفي اليه رجع الغضب على نفسه بتمزيق ثوبه ولطم وجهه وقد يضرب بيده على الارض او جدار ويعدو
عدو الواله والسكران في مشيه وربما يسقط صريعا لا يطيق العدو لسرعة وربما يضرب الجمادات والحيوانات
فيضرب القصعة على الارض ويكسر المايدة ويتعاطى افعال المجانين فيشتم البهيمة ويخاطبها ويقول لها
الى متى اي متى منك هذا يا كيت وكيت كأنه يخاطب عاقلا حتى ربما رفسته دابة فيرفس هو الدابة
ويقابلها بذلك وربما تنكر نفسه بيده الى بالة او يشنق او يرمي في بحر ونحوه والعجز اي والعلم بالعجز عن
المغلبة على مراده فالله غالب على امره وهو القاهر فوق عباده فان الغضبان يود جريان الشيء على
وفق مراد نفسه دون مراد ربه ومن وقع في هذه الورطة يا به بالغضب من الله وعذابه ونعم ما قيل
تود النفس ان تلقى مناها ويابى الله الا ما يريد فيفعل الله ما يشا ويحكم ما يريد فكن مسلما لا من
ان كنت من المريد الطالب لمقام المزيد وانتقام المغضوب عليه اي فيحذر نفسه عاقبة الانتقام من
تسلط المغضوب عليه على اظهار عيوبه والشماتة بمصايبه وحدوث الذنوب اي انواع العصيان
لاخذ اللسان في الفحش من السب للانسان والجوارح من الضرب والقتل كما سبق في معرض البيان
والتغيب في الحقد فان الغضب اذا لزم كظمه لعجز عن التشفي في غيظه رجع الى باطنه واحتقن فيه فصار حقدا
وحينئذ يلزم قلبه استثقاله ويحسد في حسن حاله ويظهر الشماتة بمصيبته والحزن بمسرته والعزم على افشا
سره وهتك ستره والاستهزاء به في قوله وفعله وجميع امره وهو اي الحقد ذميمة اي خصلة مذمومة فاحشة الى

اي متى ورق عن الحد الاشتمال على سيئات منفذيه عن العد فورد المؤمن اي الكامل ليس بحقود فعول
بمعنى فاعل اي ليس بذي حقد او ليس بمبالغ في الحقد والحديث في الاحيا وقال مخرجه لم اقف له على
اصل والعلاج اي علاج الحقد قلع الغضب اي الذي سبب الحقد الباعث على الحسد ونحوه وذكر ما ورد
اي من الفضايل في الكتاب والسنة في العفو مثل والعافين عن الناس وتمامه والله يحب المحسنين
وللطبراني في مكارم الاخلاق من حديث انس اذا وقف العباد نادى مناد ليقم من اجره على الله فليدخل
الجنة قيل من ذا الذي اجره على الله قال العافون عن الناس وهو مستفاد من قوله فمن عفا واصلح فاجره
على الله وللحاكم وصححه ان الله عفو يحب العفو فالتحلي باخلاق الله تعالى شأن عظيم عند مولاه
ضد العفو كما مر وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين وورد في تفسير العفو ان تعطي من حرمك وتصل من قطعك
وتعفو عمن ظلمك وان تعفوا اقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم وهو اي العفو اسقاط حق وجب
اي ثبت للعبد على غيره كما قول ابي ضمضم وهو رجل من بني اسرائيل اللهم تصدقت بعرضي على عبادك وعلى
اي لا يعفو الا بعد اثبات ما له للعجز لا اثبات حق واجب له على الغير وعليه الوفا اي بوعده ولكن توجيه
انه لما كان العفو اسقاط حق وجب ورد عليه ان قول ابي ضمضم تصدقت يدل على ان العفو قد يكون باسقاط
الحق قبل الوجوب فاجاب بانه وعد بان لا يخاصمه به يوم القيامة لا عفو كما قد ورد في الاحيا قال رجل
من المسلمين اللهم ليس عندي صدقة اتصدق بها فايما رجل اصاب من عرضي شيا فهو صدقة عليه فاوحى
الله الى النبي عليه السلام اني قد غفرت له قال مخرجه رواه ابو نعيم في الصحابة والبيهقي في الشعب وابن عبد
البر في الاستيعاب من حديث ابي هريرة ان رجلا من المسلمين لم يسمه وقال اظنه ابا ضمضم وتقدم في آفات
اللسان حديث ايعجز احدكم ان يكون كابي ضمضم قالوا وما ابو ضمضم قال رجل فيمن كان قبلكم اذا اصبح قال
اللهم اني تصدقت اليوم بعرضي على من ظلمني والمعنى انه اتى بهذه الخصلة لمحمدة فانكم ضرامة وقيل في قوله
تعالى ربانيين اي علما حلما وعن الحسن في قوله تعالى واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما قال حلماء ان
جهل عليهم لم يجهلوا الذين يجيبونهم يقولون يسلمون فيه عليهم وقال عطا بن ابي رباح يمشون على الارض هونا
اي حلما وقال ابن ابي حبيب في قوله وكهلا قال الكهل منتهى الحلم وقال مجاهد واذا مروا باللغو مروا كراما
اي اذا اوذوا صفحوا وروي ان ابن مسعود مر بلغو معرضا فقال عليه السلام اصبح ابن مسعود وامسى
كريما ثم تلا ابراهيم بن ميسرة وهو الراوي قوله تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما ابن مبارك في البر والصلة
وللحاكم من حديث سهل بن سعد اللهم لا يدركني ولا ادركه زمان لا يتبعون فيه العليم ولا يستحيون
فيه من الحليم قلوبهم قلوب العجم والسنتهم السنة العرب وعن علي كرم الله وجهه ليس الخير ان يكثر مالك وولدك
ولكن الخير ان يكثر علمك ويعظم حلمك وان لا تباهي الناس بعبادة ربك فاذا احسنت حمدت الله واذا اسأت
استغفرت الله تعالى وعن الحسن اطلبوا العلم وزينوه بالحلم وقال بعضهم ما احسن الايمان بزينة العلم وما احسن
العلم بزينة العمل وما احسن العمل بزينة الرفق وما اضيف شي الى شي مثل حلم الى علم وعن انس بن مالك في قوله تعالى
فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم الى قوله عظيم هو الرجل يشتمه اخوه فيقول ان كنت كاذبا فيغفر الله لك وان

كنت صادقا فيغفر الله لي وعن بعضهم قال شتمت فلانا من اهل البصرة فحلم عني فاستعبدني بها زمانا وسب
رجل ابن عباس فلما فرغ قال يا عكرمة هل للرجل حاجة فنقضيها فنكس الرجل راسه واستحيى وعن علي بن
الحسين انه سبه رجل فرمى اليه خميصة كانت عليه وامر له بالف درهم ومر المسيح بن مريم عليهما السلام
بقوم من اليهود فقالوا له شرا فقال لهم خيرا فقيل له انهم يقولون شرا وانت تقول خيرا فقال كل واحد ينفق مما
عنده ولاحمد من حديث جابر بن سمرة ان امرؤ عيرك بما فيك فلا تعيره بما فيه ولابي داود من حديث ابي
هريرة شتم رجل ابا بكر وهو ساكت فلما ابتدا لينتصر منه قام عليه السلام فقال انك كنت ساكتا لما شتمني
فلما تكلمت قمت قال ان الملك كان يجيب عنك فلما تكلمت ذهب الملك وجاء الشيطان فلم اكن لاجلس
في مجلس فيه الشيطان وما اربك اي وذكرنا في الكتب الحقود فمن مكروه كثرة الدعاء له في الخاصة وقد قال تعالى
وتعاونوا على البر والتقوى والدعاء اي وكثرة الدعاء له في الغيبة فان الدعاء يستجاب في غيبة المؤمن ويكون
للداعي مثله والوعظ اي النصيحة وترك النصيحة فقد ورد ان الدين النصيحة قيل لمن يا رسول الله قال
لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم والرفق اي بالنية الصحيحة فورد ان الله يحب الرفق اي اللطف
وهو ضد العنف وقد تقدم مخرجه ومن حرام كالشماتة وهي الفرح ببلية العدو والاعراض عند المواجهة بترك
السلام والكلام والاهانة بترك القيام والتوسيع في المقام والغيبة اي ذكر ما يكرهه في الغيبة وترك صلة الرحم
ان كان من ذوي القرابة وقضاء الحق اي وتركه من حقوق المسلمين من رد السلام وتشميت العاطس وعيادة
المريض وامثالها والنصيحة وتركها وهي ارادة بقاء النعمة على المسلم مما اي من شيء له اي للمسلم فيه اي في ذلك
الشيء صلاح دنيوي او اخروي عرف كونه صلاحا بغلبة الظن او قيد بشرطه اي او قيد البقاء بشرط الصلاح
بان يقول ان كان له فيها صلاح وضدها اي النصيحة الحسد وهو ارادة زوالها عنه مطلقا من غير ان
يباشر سببا فان جاز زوالها فغيره وكل مذموم وان اراد مثلها لنفسه دون الزوال عنه فغبطة ومنافسة
وهي خصلة محمودة ومنه قوله تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون وحديث الصحيحين عن ابن عمر لا حسد الا
في اثنين رجل آتاه الله علما فهو يعمل به ويعلمه الناس ورجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق والحسد
اي المذموم حرام لقوله تعالى ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وعن الفضيل المؤمن يغبط والمنافق
يحسد ولقوله عليه السلام الحسد ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب ابو داود وعن حديث ابي هريرة وابن ماجه
من حديث انس وفي الصحيحين لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله اخوانا وللبيهقي
في الشعب كاد الفقر ان يكون كفرا وكاد الحسد ان يغلب القدر فانه سخط لقسمة الله تعالى فللطبراني من
حديث معاذ استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود وللطبراني في الاوسط من حديث
ابن عباس ان لاهل النعم حسادا فاحذروهم وفي قضائه عن زكريا عليه السلام قال الله تعالى الحاسد
عدو لنعمتي متسخط لقضائي غير راض بقسمتي التي قسمت بين عبادي وقد يؤخذ هذا المعنى من قوله تعالى
ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسالوا
الله من فضله ان الله كان بكل شيء عليما وقد قال تعالى لكل الاجابات وكل شيء عنده بمقدار وقد شكى نبي من الانبياء

اي النعمة عنه اي عن المسلم مما له فيه صلاح فان انتفى الصلاح وقد اراد زوالها صح

ان بنا منه امراة ظالمة مستولية على الخلق فاوحى الله اليه فر من قدامها حتى تنقضي ايامها ورداءة المسلم
اي ذكر ابتليه وهو من خصال المنافقين كما قال تعالى في حقهم ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا
بها وقال معاوية كل الناس اقدر على رضاه الا حاسد نعمة فانه لا يرضيه الا زوالها ولذا قيل
كل العداوة قد ترجى اماتتها * الا عداوة من عاداك من حسد * ومن هنا قال تعالى قل موتوا بغيظكم
ان الله عليم بذات الصدور وقال اعرابي ما رايت ظالما اشبه بمظلوم من حاسد انه يرى النعمة عليك نقمة
عليه وقال الحسن يا ابن آدم لم تحسد اخاك فان كان الذي اعطاه الله اياه لكرامته عليه فلم تحسد من اكرمه الله
وان كان غير ذلك فلم تحسد من مصيره الى النار وفعل المعاصي بالرفق اي فيه اهانة كالتملق في الحضرة والتملق للمحسود
على المحسود ليطلع على ارادته الباطنة اذا الخاين يخاف من الفضيحة وهو من صفات المنافقين وقد سبق
ان المؤمن ليس تملق الا في طلب العلم والغيبة اي غيبة المحسود في الغيبة والشماتة وهي الفرح ببلية المحسود
فللترمذي من حديث واثلة بن الاسقع لا تظهر الشماتة لاخيك فيعافيه الله ويبتليك وفي رواية ابن ابي
... رحمه الله فمورد في التنزيل ومن شر حاسد اذا حسد اي اذا اظهر الحسد والا فلا يخلو الجسد من الحسد وعن الحسن
انه سئل عن الحسد فقال غمه فانه لا يضرك ما لم تبده والتعب في الدنيا فان الحسود لا يسود ولعدم خلو الدنيا نا
من ذي نعمة والعقاب في الآخرة بل لا نفع للحاسد بل ينتفع المحسود في الدنيا بمضرة العدو وهو الحاسد وفي
الآخرة لطلب المكافاة اي المجازاة على عمله الحاسد وعمى القلب الناشئ من عدم الرضا بقضاء الرب
والخذلان اي عدم النصرة في الدنيا والآخرة ففيه الا ترى المروي عن بعض السلف ان الحاسد لا ينال
من المجالس الا مذمة وذلا ولا ينال من الملائكة الا لعنة وبغضا ولا ينال من الخلق الا جزعا وغما ولا ينال
عند النزع الا شدة وهولا ولا ينال عند الموقف الا فضيحة ونكالا الا في نعمة الكافر مستثنى من قوله الحسد
حرام والفاسق المستعين بها على الفسق والظالم المتقوي بها على الظلم والمبتدع الذي يستند بها على البدعة
دون النعمة اي اصلها بخلاف الغيرة فانها غير حرام فورد اتعجبون من غيرة سعد وهو ابن ابي وقاص
والله ان سعدا لغيور وانا اغير منه والله اغير مني ومن غيرة الله ان ياتي المؤمن ما حرم الله عليه والغبطة
اي وبخلاف الغبطة فانها ليست بحرام فورد اي في التنزيل وفي ذلك فليتنافس المتنافسون اي ليرغب
الراغبون ويطلب الطالبون المنازل العالية والمحافل الغالية وورد في الحديث تمنى الاجر فاستويا فمن قال
لو ان لي مال فلان لكنت اعمل فيه بمثل عمله اي من الخيرات والمبرات فلابن ماجه والترمذي وقال
حسن صحيح مثل هذه الامة مثل اربعة رجال رجل آتاه الله مالا وعلما فهو يعمل بعلمه في ماله ورجل آتاه
الله علما ولم يؤته مالا فيقول رب العلم لو ان لي مال فلان لكنت اعمل فيه بمثل عمله فهما في الاجر سواء
ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه في معاصي الله ورجل آتاه الله مالا فيقول لو ان لي مثل مال فلان لكنت
اعمل بمثل عمله فهما في الوزر سواء فعلم اي الغبطة تتبع ما غبط فيه بصيغة المجهول حرمة كالمعاصي واباحة
كالمباحات من الثياب الفاخرة وسائر النعم الظاهرة لكن الغبطة في المباحات تنقص علو الحال
والمقامات كالزهد والرضا والتوكل والقناعة والتسليم وتحجب عن المقامات الرفيعة من غرائب قواعد الشر يعه

وهو بكم حيث الثيه اي الا ما ذكر منه الكفر والفسق والظلم والبدعة صح

ووجوبها كالايمان والصلاة والزكاة وسائر الاعمال ونديها كالتأنى الا موال فى تحسين الاحوال
والسبب اى الحسد مسببه خبث النفس وهو داء مزمن اى لازم لانه جبلى لا علاج له فقد يوصف عنك
حسن حال رجل من عباد الله فيما انعم به عليه مولاه فيشق ذلك عليه ويحب زوال نعمة الله عنه وليس بينه
وبينه عداوة خفية ولا جنسه جلية ولا شئ مما ذكر من اسباب الحسد بل انما هو بخبث فى نفسه ورذالة فى
طبعه لا يزول الا بموته كما تقدم فى ذمه والرغبة فى نعمة الغير كالرياسة فى مقام الجاه والسياسة فانه
يحب ان يكون فريد دهره ووحيد عصره مخوف فوت المقاصد كما فى الخوف على توهم الفرح ومن هذا
القبيل الحسد عند الارباب والشك منه عند العلماء والزهاد عند ان ما يأول من ذلك حسد العالم للعالم
دون العابد وحسد العابد للعابد دون العالم وقس على هذا والعداوة الكامنة فى القلب والتعزز بكراهة
ترفع الغير عليه فى انه زاد المبتلى فلم يتمالك اهل الفضائل ومنه قوله تعالى اهؤلاء من الله عليهم من بيننا
والتكبر بهوان دلب الرذايل والتعجب برجحان من ساواه اى نسبا وحسبا ومنه قوله تعالى ولئن اطعتم
بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون تعجبوا منه ان يكون الرسول بشرا وجوزوا ان يكون الاله حجرا ومنه الجهة
قوله تعالى وقالوا لولا انزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وقوله أأنزل عليه الذكر من بيننا وقوله تعالى
او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم فمن ثم كثر الحسد بين الاقارب وقل بين الاجانب
لكثرة تحقق اى المساواة فى ذوى القرابات دون علماء الاخرة فانه لا يكثر فيهم بل لا يوجد عندهم اذ
مقصودهم معرفة الله تعالى وهى بحر واسع لا ضيق فيه وغرضهم المنزلة عند الله وليس فيه مما فهموا من
مزاحمة بل يزيد الانس بسبب الكثرة فورد فى التنزيل ونزعنا اى فى الدنيا والاخرى ما فى صدورهم
من غل اى حقد وحسد اخوانا على سرر متقابلين وعلاج كل اى كل واحد من اسباب الحسد ضده فعلاج
خبث النفس سلامته وطيبه وعلاج الرغبة التنفر وعلاج الخوف الامن لعدم خلاف المقدور وعلاج العداوة
المحبة والتعزز التذلل والتكبر التواضع والتعجب الاطمينان بالتفكر فى قدرته وقضائه وارادته فى خليقته
وذكره الآفات المذكورة اى من جملة علاج الحسد وما ورد فيه اى وذكر ما ورد فى ذم الحسد ووجوب اى
وذكر وجوب موالاة المؤمن ورعاية حقوقه وعظم قدره من الفوائد اى وذكر الفوائد الواصلة من المؤمن
اليه اى الى الحاسد كالتعاون على البر والتقوى والتساعد على العلم والعمل والفتوى وبركة الجماعة لا سيما
فى الجمعة والجنائز والتساعد العظام من الاجتماع بالعلماء الكرام والمشايخ الفخام وقد قال تعالى ود
كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم وقال ودوا لو تكفرون كما كفروا
فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم اولياء وقال بئسما اشتروا به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله بغيا اى حسدا
ولله در القائل من ذوى الفضائل

لا مات اعداؤك بل خلدوا ، حتى يروا فيك الذى يكمد ،
لا زلت محسودا على نعمة ، فانما الكامل من يحسد ،

ونعم المقال من بعض اهل الحال حسد حاسدة وصغر حاسدين

الباب الحادى عشر

فى العزلة والخمول وحب الاسم وبعض المدح العزلة ضد الخلطة والخمول ضد الشهرة فذهب الى اختيار العزلة

العزلة وتفضيلها على الخلطة سفيان الثورى وابن ادهم وداود الطائى والفضيل بن عياض
وبشر الحافى وطائفة وقال اكثر التابعين باستحباب المخالطة وتعاونا على البر والتقوى ومال الى هذا
سعيد بن المسيب والشعبى وابن عيينة وابو حنيفة وابن المبارك والشافعى واحمد بن حنبل وجماعة
من الفضيل كفى بالله محبا وبالقرآن مؤنسا وبالموت واعظا اتخذ الله صاحبا ودع الناس جانبا
وقال الثورى هذا زمان السكوت ولزوم البيوت وقيل كان مالك بن انس يشهد الجنائز ويعود المرضى
ويعطى الاخوان حقوقهم فترك ذلك كله واحدا واحدا حتى تركها كلها وكان يقول لا يتهيأ للمرء ان يخبر بكل
عذر له وقال الفضيل انى لاجد للرجل عندى يدا اذا لقينى ان لا يسلم على واذا مرضت ان لا يعودنى
وقال ابو سليمان الدارانى بينما الربيع بن خثيم جالس على باب داره اذ جاءه حجر فصكه فى الجبهة فشجه فجعل
يمسح الدم ويقول لقد وعظت يا ربيع فقام ودخل داره فما جلس بعد ذلك حتى اخرجت جنازته وكان
سعد بن ابى وقاص وسعيد بن زيد لزما بيوتهما بالعقيق فلم يكونا يأتيان المدينة لجمعة ولا غيرها
حتى ماتا بالعقيق ودخل بعض الامراء على حاتم الاصم فقال له الك حاجة قال نعم قال ما هى قال ان لا ترانى
ولا اراك وقيل للفضيل ان ابنك عليا يقول لوددت انى فى مكان ارى الناس ولا يرونى فبكى الفضيل وقال
ويح على افلا اتمها فقال لا اراهم ولا يرونى وعن ابن عباس افضل المجالس مجلس فى قعر بيتك لا ترى
ولا ترى لبسم الله الرحمن الرحيم الذى به يأنس ارباب الخلوة ويستأنس به اصحاب
الخلوة فى العزلة فوائد لتيسر مركن الفراغ للعبادة فالخلق شاغلون بل مانعون الا اهل الارادة
ورفق العادة فانهم كما قال تعالى اقترب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون فعن حاتم الاصم طلبت من
هذا الخلق خمسة اشياء فلم اجد منهم الواحد طلبت منهم الطاعة والزهادة فلم يفعلوا فقلت اعينونى عليهما
ان لم تفعلوا فلم يفعلوا فقلت ارضوا عنى ان فعلت فلم يفعلوا فقلت لا تمنعونى عنهما اذا فعلت فمنعونى
فقلت لا تدعونى الى ما لا يرضى الله ولا تعادونى عليها ان لم اتابعكم فلم يفعلوا فتركتهم واشتغلت بمخاصمة
نفسى فانها اولى منهم بها وكان من حكمة التسليم يعتزل فى جبل حراء اى فى اوائل امره كما فى الصحيحين عن حديث
عائشة كان يخلو بغار حراء يتحنث فيه اى يتعبد الليالى المتتابعة حتى قوى فيه انوار النبوة وظهر منه
اسرار الرسالة والجمع اى بين الفراغ والخلطة متعذر فتتعين الخلوة الا لمن استغرق باطنه به تعالى
بحيث لا يمنعه الوحدة عن الكثرة ولا الحجبة الكثرة عن الوحدة وهو مقام جمع الجمع للصوفية المعبر عنها
بالكائن البائن والقريب الغريب والعرشى الفرشى فغائب عنهم قلبا اى حقيقة ومشهود بهم لسانا اى
حضرهم بيانا وبرهانا وهذا انما يتصور لمن ارادها سبحانه تبيانا فقد نقل عن الجنيد انه قال انا اكلم الله منذ
ثلاثين سنة والناس يظنون انى اكلمهم وقال بعضهم لا يتمكن احدهم من الخلوة الا بالتمسك بكتاب الله
والمتمسكون بكتاب الله استراحوا من الدنيا بذكر الله عاشوا وبذكر الله ماتوا وبذكر الله يلقون الله وقيل لبعضهم
ما اصبرك على العزلة فقال لا انا وحدى انا جليس الله تعالى ان شئت ان يناجينى قرأت كتابه واذا شئت
ان اناجيه صليت وقيل للاستئناس بالناس من علامة الافلاس وقيل بينما اويس القرنى جالس اذ اتاه

هرم بن حيان فقال له اويس ما جاء بك قال جئت لآنس بك فقال اويس ما كنت ارى احدا يعرف ربه
فيأنس بغيره وقال بعض الحكماء انما يستوحش الانسان من نفسه لخلو ذاته عن الفضيلة التي بسبب
انسه وقال الفضيل اذا اقبل الليل فرحت به وقلت اخلو بربي واذا اصبحت استرجعت كراهية لقاء
الناس وان يجيء من يشغلني عن ربي وعن بعضهم انى اصبح وامسى بين نعمة وخطيئة فاشغل
نفسي بشكر الله على النعمة وبالاستغفار من الخطيئة والخلاص عن المعاصي التي يتعرض لها الانسان
غالبا بالمخالطة ويسلم منها بالخلوة كالرياء والسمعة اذ كثر من خالطهم داراهم ومن داراهم راياهم وقد
صدق يحيى بن معاذ في قوله رؤية الناس بساط الرياء والغيبة والسكوت عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
ومسارقة الطبع منهم الاخلاق الردية والاعمال الدنية والبدع في الاقوال المتعارفة مثل كيف اصبحت
فانه ان لم يكن على قصد الاعانة فهو نفاق وليس من اخلاق اهل الديانة فقد كان السلف يتلاقون
ويحترزون في قولهم كيف اصبحت وكيف حالك وفي الجواب عنه وكان سؤالهم عن احوال الدين لا احوال
الدنيا قال حاتم الاصم لحامد اللفاف كيف انت في نفسك قال سالم معافى فكره حاتم جوابه فقال يا ابا حامد
السلامة من وراء الصراط والعافية في الجنة اي على بساط النشاط وحال الانبساط وقد ورد اللهم لا عيش
الا عيش الاخرة وكان اذا قيل لعيسى عليه السلام كيف اصبحت قال اصبحت لا املك نفع ما ارجو ولا
استطيع دفع ما احذر اصبحت مرتهنا بعملي والخير كله بيد غيري فلا فقير افقر مني وكان الربيع بن خثيم
اذا قيل له كيف اصبحت قال اصبحنا ضعفاء مذنبين نستوفي ارزاقنا وننتظر آجالنا وكان ابو الدرداء
اذا قيل له كيف اصبحت قال اصبحت بخير ان نجوت من النار وكان سفيان الثوري اذا قيل له كيف اصبحت
يقول اصبحت اشكو ذا الى ذا واذم ذا الى ذا وافر من ذا الى ذا وقيل لاويس القرني كيف اصبحت قال كيف
يصبح رجل اذا امسى لا يدري انه يصبح واذا اصبح لا يدري انه يمسي وقيل لمالك بن دينار كيف اصبحت
قال اصبحت في عمر ينقص وذنب يزيد وقيل لبعض الحكماء كيف اصبحت قال اصبحت لا ارضى حياتي لمماتي
ولا نفسي لربي وقيل لحكيم كيف اصبحت قال اصبحت آكل رزق ربي واطيع عدوه ابليس وقيل لمحمد بن
واسع كيف اصبحت قال ما ظنك برجل يرتحل كل يوم الى الآخرة مرحلة قلت وعن علي كل نفس خطوة الى
اجلكم وقيل لحامد اللفاف كيف اصبحت قال اصبحت اشتهي عافية يوم الى الليل فقيل له الست في عافية
كل الايام فقال العافية يوم لا اعصي الله فيه وقيل لرجل وهو يجود بنفسه ما حالك فقال وما حال من يريد
سفرا بعيدا بلا زاد ويدخل قبرا موحشا بلا مونس وينطلق الى ملك عدل بلا حجة وقيل لبعضهم
ما حالك فقال ما حال من يموت ثم يبعث ثم يحاسب على قال الله اي اذا كان قبل السلام ولم يكن في
الحمام وعن الحسن انهم كانوا يقولون السلام عليك اذ اسلمت والله المحمود فاما الان كيف اصبح
على قال الله كيف انت اصلحك الله فان اخذنا بقولهم كانت بدعة ولا كرامة فان شاوا غضبوا علينا
وان شاوا لا في ان حياوا انما ذكر ان البداية بقوله كيف اصبح بدعة ومنشاها انها اي ورود
المعاصي فهو يورث الاستحقار لها بل رويتها ارباب الدنيا فانه يورث الاستعظام لها ومن الها قال

قال تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم وذلك
لان مسارقة الطبع لما يشاهده من اخلاق الناس واعمالهم وساير احوالهم داء دفين قل ما يتنبه
له العقلاء فضلا عن الغافلين فلا يجالس الانسان فاسقا او مبتدعا مدة مع كونه منكرا عليه في
باطنه الا ولو قاس نفسه الى ما قبل مجالسته لادرك فيها تفرقة في النفور عن الفساد اذ يصير الفساد
بكثرة المشاهدة من المعتاد هينا على الطبع ويسقط عنه وقعه واستعظامه له في الشرع ومهما طالت
مشاهدته للكباير من غيره استصغر الصغاير من نفسه ولذا يزدري الناظر الى الاغنياء نعمة الله عليه
فيؤثر مجالستهم في ان يستصغر ما عنده ويؤثر مجالسة الفقراء في استعظام ما قدر له من النعماء فكذا
النظر الى المطيعين والعصاة فمن يقصر نظره على من ضبط احوال الصحابة والتابعين في عبادة
المولى والتنزه عن الدنيا فلا يزال ينظر الى نفسه بعين الاستصغار والى عبادته بعين الاستحقار
وما دام يرى نفسه مقصرا فلا يخلو عن داعية الاجتهاد رغبة في الاجتهاد ورغبة الاستكمال والتتميم
بل قعد ومن نظر الى الاحوال الغالبة على اهل الزمان واعراضهم عن الله واقبالهم على الدنيا واعتياد بهم
للمعاصي استعظم امر نفسه بادنى رغبة في الخير يصادفه في قلبه وذلك هو الهلاك لتنقيصه ومما يدل على
سقوط وقع الشيء عن القلب بسبب تكرره ومشاهدته ان اكثر الناس اذا راوا مسلما افطر في نهار
رمضان استبعدوه استبعادا يكاد يفضي الى اعتقادهم كفره وهم يشاهدون من يخرج الصلوات
عن اوقاتها ولا تنفر طباعهم عنه كنفرتهم عن تاخير الصوم مع ان صلاة واحدة يقتضي تركها
الى الكفر عند قوم وحز الرقبة عند قوم وترك صوم رمضان كله لا يقتضيه وكذا
لو لبس الفقيه ثوبا من حرير او خاتما من ذهب استبعدته النفوس وقد يشاهد في مجلس طويل
لا يتكلم فيه الا بما هو اغتياب الناس ولا يستبعد منه والغيبة اشد من الزنا فكيف لا يكون اشد من
لبس الحرير ولكن كثرة سماع الغيبة ومشاهدة المغتابين اسقط عن القلوب وقعها وهون
على النفوس امرها وقيل لبعضهم ما حملك على العزلة قال خشيت ان اسلب ديني ولا اشعر به فتفطن
لهذا القول ان سدد وفر من الناس فرارك من الاسد لانك لا تشاهد منهم الا ما يزيد على حرصك
في الدنيا وغفلتك عن العقبى ويهون عليك المعصية ويضعف رغبتك في الطاعة فان وجدت
جليسا يذكرك بالله صورته والسنة تعلمك الله سيرته فالزمه واغتنمه فان الجليس الصالح خير من الوحدة
وان الوحدة خير من جليس السوء لكن الجليس الصالح عزيز الشهود في صحن الوجود كما قال عليه السلام اخبر
تقله والناس كابل مائة لا تجد فيها راحلة وكما قيل النبي على الزمان محال ان ترى مقلتاي
طلعة حر فان الحر لا يشتغل بهواه ولا بسرقة دنياه بل يستغرقه خدمة مولاه وهذا معنى قوله
والجليس السوء بفتح السين وضمها اي ومشاهدته والخلاص عنه لما تقل الصحبة اي حرا ومثل الحب اوح
الرتبة منوردا فمثل الجليس السوء مثل القين اي الحداد تماما ان لم يحرق ثوبك اصابك ريحه ومثل الجليس الصالح
مثل العطار ان لم يعطك من عطره اصابك من ريحه وفي البخاري من حديث ابي موسى مثل الجليس الصالح والجليس

السوء كمثل صاحب المسك وكير الحداد ان تعدمك من صاحب المسك اما تشتريه او تجد ريحه وكير الحداد
يحرق بيتك او ثوبك او تجد منه ريحا خبيثة والفتن اى والخلاص منها من انواع الفتن وقد
ما تخلو البلاد عن تعصبات وخصومات فورد اى عن عبد الله بن عمرو بن العاص لما ذكر
عليه السلام الفتن ووصفها وقال اذا رايت الناس مرجت عهودهم وخفت اماناتهم وكانوا
هكذا وشبك بين اصابعه قلت فما تامرني فقال الزم بيتك اى الزم سكونه واملك عليك لسانك
اى التزم سكوته وخذ ما تعرف واعمل به ودع ما تنكر اى اتركه وعليك بامر الخاصة اى والزم خاصة
نفسك ودع عنك امر العامة اى لم يتعلق بك حين قيل طرف لورده اذا تامرني في زمان الفتن والحديث
رواه ابو داود والنسائي في اليوم والليلة باسناد حسن وفي البخاري من حديث ابى سعيد الخدري يوشك
ان يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن وللخطابي
من حديث ابن مسعود وللبيهقي من حديث ابى هريرة سياتى على الناس زمان لا يسلم لذي
دين دينه الا من فر بدينه من قرية الى قرية ومن شاهق الى شاهق ومن حجر الى حجر كالثعلب
الذى يروغ قيل له ومتى ذلك يا رسول الله قال اذا لم تنل المعيشة الا بمعاصي الله تعالى فاذا كان
ذلك الزمان حلت العزوبة قالوا وكيف ذلك يا رسول الله وقد امرتنا بالتزويج قال اذا كان ذلك الزمان
كان هلاك الرجل على يد ابويه فان لم يكن ابوان فعلى يدى زوجته وولده فان لم يكن فعلى يدى
قرابته قالوا وكيف ذلك يا رسول الله قال يعيرونه بضيق اليد فيتكلف ما لا يطيق حتى يورده ذلك موارد
الهلكة وفي الاحياء هذا الحديث وان كان في العزوبة فالعزلة مفهومة منها اذ لا يستغنى المتاهل
عن المعيشة والمخالطة ثم لا ينال المعيشة الا بالمعصية ومن جملة قال سفيان الثوري والله لقد حلت
العزلة اقول وفي زماننا وجبت وعن سفيان بن عيينة لقيت ابراهيم بن ادهم في بلاد الشام فقلت
له يا ابراهيم تركت خراسان فقال ما تهنات بالعيش الا هاهنا افر بديني من شاهق الى شاهق فمن
رانى يقول موسوس او حمال او ملاح وعن ابن عمر انه لما بلغه توجه الحسين الى العراق لحقه على مسيرة
ثلاثة ايام فقال له اين تريد فقال العراق فاذا معه طوامير وكتب فقال هذه كتبهم وبيعتهم فقال لا تنظر
الى كتبهم ولا تاتهم فابى فقال ابن عمر انى محدثك حديثا ان جبريل اتى النبي عليه السلام فخيره بين
الدنيا والاخرة فاختار الاخرة على الدنيا وانك بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا يليها احد
منكم ابدا وما صرفها عنكم الا للذى هو خير لكم فابى ان يرجع فاعتنقه ابن عمر وبكى وقال استودعك الله
من قتيل رواه الطبراني في الاوسط والبزار بنحوه واسنادهما حسن وكان في الصحابة اكثر من عشرة الاف
فما خف ايام الفتنة اكثر من اربعين رجلا ولما بنى عروة قصره بالعقيق ولزمه قيل له لزمت القصر
وتركت مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رايت مساجدكم لاهية واسواقكم لاغية والفاحشة
في فجاجكم عالية وفيما هنالك عما انتم فيه عافية والله اعلم اى والخلاص من ايذاء الخلق فانهم يؤذونك ١٦٨
تارة بنحو الغيبة والنميمة واخرى بسوء الظن والتهمة والاقوال الذميمة ومرة بالاطماع الكاذبة التى يعسر الوفاء بها

بها فيشتد الخفا بسببها وقد قيل معاشرة الاشرار تورث سوء الظن بالاخيار وقيل لعبد الله بن الزبير
الا تاتى المدينة قال ما بقى فيها الا حاسد نعمة او فرح بنقمة وقيل كان الناس دواء يتداوى بهم فصاروا
داء لا دواء لهم وعن ابى الدرداء كان الناس ورقا لا شوك فيه فصاروا شوكا لا ورق فيه وقال رجل
س لابراهيم بن ادهم اوصنى فقال اياك والناس وعليك بالناس ولا بد من الناس فان الناس هم الناس
وليس كل الناس بالناس ذهب الناس وبقى النسناس وانشد بعضهم ذهب الناس فليس الناس ناسا
وقيل الزم الدفاتر والمقابر وقال الحسن اردت الحج فسمع ثابت البناني وكان ايضا من اولياء الله فقال
للحسن بلغنى انك تريد الحج فاحببت ان نصطحب فقال الحسن ويحك دعنا نتعاشر بستر الله علينا انى
اخاف ان نصطحب فيرى بعضنا من بعض ما نتماقت عليه اى ما لا يحب وهذه اشارة الى فائدة اخرى
في العزلة وهى بقاء الستر على الدين والمروة ولقد قال ثابت عن انس عن مالك انا ان ترى المرء نعمة ولكن
ان يزول التجمل وقال ابو الدرداء اتقوا الله واحذروا الناس فانهم ما ركبوا ظهر بعير الا ادبروه ولا ظهر
جواد الا عقروه ولا قلب مؤمن الا خربوه وطمعهم من اضافة المصدر الى الفاعل اى والخلاص من طمع
الناس عنك فان رضا الناس غاية لا تدرك فرعاية الحقوق تنتدب وهى انواع الحقوق والبر كحضور
الجنائز وعيادة المريض وحضور الولائم وما هل كان ومنها اى في رعاية الحقوق ضياع الاوقات
وتفويت المهمات والتعرض لكل الافات ثم قد يعوق عن بعضها عائق ويستقبل بعض القادرين لما اظهار
تلك الاعذار يقولون قام بحق فلان وقصر في حقى ويصير ذلك سبب عداوة وقد عمم الناس بالحرمان
رضوا عنه كلهم وعن عمرو بن العاص كثرة الاصدقاء كثرة الغرماء والطمع عنهم وفي نسخة فيهم اى والخلاص
من ان يطمع هو فيهم فالنظر الى زهرات الدنيا اى انواع زينتها واصناف بهجتها يحرك الحرص وانبعث
بقوة الحرص طمعه ثم لا يرى الا الخيبة في اكثر الاطماع فيتاذى بذلك ومهما اعتزل لم يشاهد واذا لم يشاهد
لم يشتهه ولم يطمع ولذلك قال الله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا
لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى وامر اهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسئلك رزقا نحن نرزقك
والعاقبة للتقوى وقال عليه السلام فيما رواه مسلم من حديث ابى هريرة انظروا الى من هو دونكم ولا تنظروا
ط الى من هو فوقكم فانه اجدر ان لا تزدروا نعمة الله عليكم وحكى ان المزنى خرج من باب جامع الفسطاط
وقد اقبل ابن عبد الحكم في موكبه فبهره ما راى من حسن حاله وهيئته فتلا قوله تعالى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة
اتصبرون ثم قال اصبر وارضى يعنى كما قيل رضينا قسمة الجبار فينا لنا علم وللجهال مال
قاه فان المال يفنى عن قريب وان العلم يبقى لا يزال ولقاء الثقيل والاحمق اى والخلاص عن رؤية
الثقلاء والحمقى ومقاساة اخلاقهم ومعاشرة اطوارهم فهو اشد البلايا المصيبة فان رؤية الثقيل
هو العمى الاصغر قيل للاعمش بم عمشت عيناك قال من النظر الى الثقلاء ويحكى انه دخل عليه ابو حنيفة قال له في
الخبر ان من سلب الله كريمتيه عوضه عنهما ما هو خير منهما فما الذى عوضك فقال فى معرض المطايبة عوضنى عنهما انه
كفانى رؤية الثقلاء وانت منهم ويبل النظر الى الاحمق حمى باطن وافات اى في العزلة والكل عشرة فوائد التعلم

فهو مقدم على العزلة ان نفذ العبادة العلمية والتقوى العملية اليه ولذا قال النخعي رحمه الله تفقه ثم اعتزل
وفي لطايف المعارف الجامي قدس الله سره السامي ان العزلة بغير عين العلم زلة كما انها بغير زاي
الزهد علة والتعليم اي وفوائد مخالطتها التعلم اي مثل العزلة ايضا ان كان التعلم ان كان التعليم في علم الآخرة اي
علم ينفع في العقبى وراعى حقه تعالى بان خلص من ابتغاء وجه ربه عن الاعلام وكذا بان احترز عن الآفات كالريا
وحب الجاه من الاستكثار بالاصحاب والاتباع وما يتبعه من حب المال وسائر الاخلاق الذميمة
في ان صار فحكم العالم في هذا الزمان ان يعتزل ان اراد سلامة دينه فانه لا يرى مستفيدا يطلب
فائدة لدينه بل يستعمله في معرض المناقشة والمباهاة بعلمه وتشنيعه ولا يطلبه غالبا الا للتوصل الى
التقدم على الامثال وتولي الولايات واجتلاب الاموال واستغوار الالفاظ على الجهال فان
صودف طالب لله ومتقرب بالعلم الى رضا مولاه فلا عزل عنه وكتمان العلم منه من اكبر الكباير
نورداذ ظهرت الفتنة وسكت العالم فعليه لعنة الله لم يجد له اصلا وقد قال تعالى ان الذين يكتمون ما انزلنا
من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون وقد قيل ما فسد ن
الرعية الا بفساد الامراء وما فسدت الامراء الا بفساد العلماء ومن ثمة قيل فساد العالم فساد العالم
فنعوذ بالله من الغرور والعمى فانه الداء الدفين الذي ليس له دواء الا الى وان لم يكن تعليمه وتعلمه في علم الآخرة
فالعزلة متعينة بل واجبة كما في زماننا لذهاب علم الآخرة من التفسير والحديث والفقه المتعلق بالعبادة
في اكثر البلدان والعمل عليه اي والاكتساب العمل على طبق العلم في عامة اهل الزمان ولا ينبغي ان يغتر
الانسان بقول سفيان تعلمنا العلم لغير الله فابى ان يكون الا لله وان الفقهاء يتعلمون لغير الله ثم
يرجعون الى الله وانظر الى اواخر اعمار الاكثرين منهم واعتبر بهم انهم ماتوا وهم هلكى على طلب الدنيا
ومتكالبين عليها اوراغبين عنها وزاهدين فيها وليس الخبر كالمعاينة واما العلم الذي اشار اليه
سفيان فهو علم الحديث وتفسير القران ومعرفة سير الانبياء والصحابة فان فيه التخويف والتحذير فان
لم يؤثر في الحال فلا يؤثر في المآل فاما الكلام وجدال الخصام والفقه المجرد الذي يتعلق بفتاوي المعاملات
وفصل الخصومات فلن يرد الراغب فيه للدنيا الى الله بل لا يزال متماديا في حرصه الى اخر عمره ونهاية
امره ومنها اي الفوائد ان لا يشترى اي في جذبتنا بابا من ابواب الدنيا ونفوذ رعاية الحقوق اي وتعذرها او
تعسرها من حقوق الاستاذة والشكر منه فعن ابي سليمان الخطابي ويح الراغبين في صحبتك والتعلم
منك فليس لك منهم الا حمال اخوان العلانية اعداء السر اذا لقوك تملقوك واذا غبت عنهم سلقوك
من اتاك منهم كان عليك رقيبا واذا خرج كان عليك خطيبا اهل نفاق ونميمة وغل وخديعة فلا
تغتر باجتماعهم عليك فما غرضهم العلم وحسن الحال في المآل بل الجاه وكثرة المال وان يتخذوك
سلما الى اوطارهم وحمارا في حاجاتهم وازارهم ان قصرت في غرض من اغراضهم كانوا اشد اعدائك
ثم يعدون ترددهم عليك دالة عليك ويرونه حقا واجبا لديك ويفرضون عليك ان تبذل عرضك
وجاهك ودينك لهم فتعادي عدوهم وتنصر قريبهم وخادمهم ووليهم وتنتهض لهم سفيها وقد كنت فقيها

فقيها وتكون لهم تابعا خسيسا بعد ان كنت متبوعا رئيسا ومع الفتن اي وعلية الفتن وما
يترتب عليه من انواع المحن ما ظهر منها وما بطن فانك ترى المدرس في رق دائم وتحت حق لازم ومنة
ثقيلة ممن يتردد اليه فكانه يهدي تحفة اليه فيرى حقه واجبا عليه فلا يزال يتردد الى ابواب السلاطين
ويقاسي الذل والشدائد مقاساة الذليل المهين حتى يكتب له على بعض وجوه السحت من مال السلاطين
من اليتامى والمساكين ثم لا يزال العامل يسترقه ويستخدمه ويمتهنه ويستذله الى ان يسلم اليه ما اخذه ه
من عنده صح نعمة بعد مبالغة عليه ثم يبقى في مقاساة القسمة على اصحابه ان سوى بينهم مقته المبرزون ونسبوه الى
الجنون وقلة التمييز والمعرفة في الفنون وان فاوت بينهم سلطة السفهاء بالسنة حداد وثاروا عليه ثوران
الاسود والاساد فلا يزال في مقاساتهم في الدنيا وفي مظالمهم ما يأخذه ويفرقه في العقبى ومن انتفاع
ده اي وفوائده من الخير وكذا النفع الغير بالكسب للكفاية اي لكفاية نفسه عن الناس او الصدقة على غيره بالزائد
على قدر الكفاية بطريق القناعة فهو اي الكسب وفي نسخة فهي اي الصدقة اولى من عمل الظاهر كالصلاة
والصوم وتلاوة القران وتوضيحه ان حالك لا يخلو من ان تكون محتاجا الى القوت اولا فان كنت
محتاجا اليه فاشتغالك بالكسب اولى بل فرض كما لا يخفى وان كنت مستغنيا عنه فلا يخلو اما ان تكون
في خلوتك مشغولا باعمال الظاهر فالكسب للصدقة افضل من العزلة لتعدي المنفعة واما ان تكون
مشتغلا باعمال الباطنة من الانس بالله والحضور مع الله والتفكر في صفات الله والتذكر الاحوال
الاخرة في عقباه والشوق الى لقاء ربه والذوق الى مقام رضاه فالعزلة اولى من الكسب لبقاء المنفعة
بهدق ودوامها وتمامها مع الدنيا والاخرى والتأدب اي فوائد كسب الادب وتحصيله بالارتياض الى المجا
وقبول رياضة النفس والمعاودة في البداية والتأديب اي وفوائد تعليم الادب بالارتياض في النهاية وهو
كالتعليم في مقام الهداية وفي الاحياء ويعني بالتأدب الارتياض بمقاساة الناس والمجاهدة في
تحمل اذاهم كسرا للنفس وقهرا للشهوات وهي من الفوائد التي تستفاد بالمخالطة وهو افضل من العزلة في حق
من لم تتهذب بعد اخلاقه ولم يذعن لحدود الشرع شهواته واما التأديب فيعني به ان يروض غيره وهو
حال مشايخ الصوفية معهم فانه لا يقدر على تهذيبهم الا بمخالطتهم لطفهم والترمذي وابن ماجه من
حديث ابن عمر الذي يخالط الناس ويصبر على اذاهم خير من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على اذاهم
والموانسة اي وفوائد الاستيناس والايناس بالناس في المصاحبة والملابسة كالانس بمن يحل زمنه
عج ارباب التقوى من الاولياء ومواظبة اصحاب الفتوى من العلماء وكما سمي الانسان بالانس لما فيه
من الانس اي انهم والمؤمنون اخوة وبينهم زيادة الالفة لقوله تعالى والف بين قلوبهم لو انفقت ما في الارض
جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم ولقوله عليه السلام المؤمن مالف ولا خير فيمن لا يالف
بهوم ولا يؤلف رواه احمد عن سهل بن سعد وقيل اي الموانسة مستحبة لقطع الملل المانع للعبادة اي لكمال
العبادة والرفق في العبادة من حزم الاحوال وادة فورد ان الله لا يمل حتى تملوا وقد تقدم ومن يشاد
هذا الدين يغلبه فان الدين متين ولا يفعل به برفق داب المستغرين ولذا قال ابن عباس

لون مخافة الوسواس لم اجالس الناس وقال مرة لدخلت بلدا لا انيس لها وهل يفسد الناس
الا الناس فان يستغني المعتزل عن رفيق يبث اليه همه ويستلذ بمحادثته في اليوم
والليلة ساعة فيجتهد في طلب من لا يفسد في ساعته تلك شيئا من طاعته فقد قال عليه السلام المرء
على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل وقد تقدم وليحرص ان يكون حديثه عند اللقاء في امور الدين وحكايات
المشايخ والصالحين والعلماء المجتهدين فهذا النوع من الجلوة في بعض الاوقات قد يكون افضل من
الخلوة في تحسين المقامات فقد ورد نوم العالم عبادة ومنه كلميني يا حميراء وثواب اقامة الجمعة والجماعة
اي وفوات اقامتهما وادراكهما ونحوهما من حضور الجنازة وصلاة العيدين ومجلس العلم وثبوت عرفة
وامثالها وحقوقهم اي وفوات حقوقهم كالعيادة للمرضى والتشييع للجنازة ومنها اجابة الدعوة كالوليمة
وقد حكي عن جماعة من السلف تنكرها لكن وعن ترك اجابة الدعوة وعيادة المرضى وحضور الجنازة
بل كانوا احلاس بيوتهم لا يخرجون الا الى الجمعة او زيارة القبور وبعضهم فارق الامصار وانحاز
الى قلل الجبال ميلا الى الفراغ تفرغا للعبادة وحذرا عن الشواغل في الارادة والتواضع اي ومن فوائده
فانه من اداب المخالطة ولا يقدر عليه في الوحدة فقد يحمل التكبر على اختيار العزلة فيجب زيارتهم تبركا
اي على سبيل التبرك والمعنى انه قد يكون الكبر سببا للعزلة وعلى مقتداه يجب ان يزار ولا يجب ان يزور
ولو كان له اشتغال بذكر واستغراق في فكر لبعض زيارة الناس اليه ومرقوفهم عليه يشغلهم
عن المقصود لديه ثم اعلم ان التواضع في المخالطة لا ينقص عن منصب من هو كبير بعلمه او دينه فقد
كان علي يحمل التمر والملح في ثوبه وبيده ويقول لا ينقص الكامل من كماله ما جر من نفع الى عياله
وكان ابو هريرة وحذيفة وابي وابن مسعود يحملون حزمة الحطب وجراب الدقيق وغيره على اكتافهم
وكان ابو هريرة يقول وهو والي على المدينة والحطب على راسه طرقوا الامير لكم وكان عليه السلام
يشتري الشيء فيحمله الى بيته بنفسه فيقول له صاحبه اعطني احمله فيقول صاحب المتاع احق بحمله رواه ابو
يعلى من حديث ابي هريرة في حمله سراويله الذي اشتراه ثم اعلم ان من حبس نفسه في بيته لتحسين
اعتقاد الناس في حقه فهو في عناء حاضر في الدنيا والعذاب الاخرة اشد وابقى فلا تستحب العزلة
الا لمستغرق الاوقات بربه ذكرا وفكرا وعلما ومعبادة واشتغالا بامر نجاة او زيادة عبادة بحيث
لو خالط الناس لضاعت اوقاته او كثرت افاته او تشوشت عليه عباداته فمن يشتغل نفسه لطلب
رضى الناس فهو مغرور لانه لو عرف حق المعرفة لعلم ان الخلق لا يغنون عنه من الله شيئا وان
ضره ونفعه بيد الله فلا نافع ولا ضار سواه وان من طلب رضى الناس بسخط الله سخط الله عليه
الخلق واسخط عليه الخلق بل رضا الناس غاية لا تدرك ولذا قيل شعر من راقب الناس مات غما
وفاز باللذة الجسور وقيل للحسن يا ابا سعيد ان قوما يحضرون مجلسك ليس بغيتهم الا تتبع سقطات
كلامك وتعنتك بالسؤال فتبسم وقال للقائل هون على نفسك فاني حدثت نفسي بسكنى الجنان ومجاورة
الرحمن فطمعت وما حدثت نفسي بالسلامة من الناس لاني قد علمت ان خالقهم ورازقهم ومحييهم ومميتهم

ومنهم لم يسلم منهم وقال موسى يا رب احبس عني السنة الناس فقال يا موسى هذا شيء لم اصنعه
لنفسي فكيف افعله لك واوحى الله سبحانه الى عزير ان لم تطب نفسا بان اجعلك علكا في افواه الماضغين
لم اكتبك عندي من المتواضعين وفي الحديث النبوي اذكروا الله حتى يقولوا مجنون وقد قالوا في حق اعقل
الخلائق مجنون وساحر ومسحور وكذاب وشاعر ومغرور والتجارب اي ومن فوائده انها تستفاد من
المخالطة ولا توجد في العزلة فالغالب منها ينخدعون بالحقد والبخل والحسد والغضب وسائر الاخلاق
الذميمة لانها تنفجر وتظهر اثارها من القلوب السقيمة اذا حركها دواعي الحركة المسقمة كما يشير اليه
خبر اخبر تقله وقولهم حرك تدري ما تجري فيتعلق بها اي بالتجارب مصالح الدارين من المناقب والمراتب
لا سيما الرياضة في ترك المناصب وعند حصول المصايب فمن كان كالتجربون انفسهم فمنهم من كان يحمل
قربة ماء او نحوه بين الناس على ظهره او حزمة حطب على راسه ويتردد في الاسواق لتجربة نفسه
اذ الاستشعار كبرا في باطنه فان غوائل النفس ومكايدها قل من يتفطن بها فقد حكي عن واحد انه
قال تخلفت يوما بعذر فما وجدت موضعا في الصف الاول فوقفت في الصف الثاني فوجدت لنفسي
تشويرا بخجلة من نظر الناس الي وقد سبقت الصف الاول فعلمت ان جميع صلاتي كانت مشوبة
بالرياء فالمخالطة لها فائدة عظيمة في استخراج القبايح واظهارها ولذا قيل السفر يسفر عن الاخلاق
فانها نوع من المخالطة مع الخلق واذا عرفت هذا فان تحققت الفوائد وانتفت الافات فاخر العز
والا فالخلطة وان تقابلت فخذ بالارجح في المسئلة والاصل الا سلامة فان القلب اذا كان مشحونا
بذكر الرب والافضل هو الجمع بين الخلوة والجلوة كما يشير اليه قول الشافعي الانقباض عن الناس
مكسبة للعداوة والانبساط اليهم مجلبة لقرناء السوء فكن بين المنقبض والمنبسط لا
تبكرين وسطا وامش جانبا ويومي اليه قوله تعالى هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها
وكلوا من رزقه واليه النشور وحيث اي العزلة الاحتراز اي الاحتراس عن شر النفس وكذا فيها من الوسوا
والغير اي وغيرها من الجنة والناس فينبغي للمعتزل ان ينوي بعزلته كف شر نفسه عن الابرار ثم طلب
السلامة منه شر الاشرار والتقصير في رعاية الحقوق اي ثم الخلاص عن افة التعدي عن القيام بحقوق
الانام والتجرد للعبادة اي ثم العزيمة بكنه الهمة للعبادة والفراغ للطاعة وتهذيب الاخلاق بان
يكون في خلوته مواظبا على العلم والعمل والذكر والفكر ودفع الملل وانتظار الاحلاد السلوك في طريقه تعالى
يمنع الناس عن زيارته لئلا يكون مشوشا في وقته وحالته وعدم السؤال عن اخبار الناس وافعالهم
والاصغاء في احوالهم والقناعة بالتيسير المعيشة والصبر على ما يلقاه من اذى الجيران وغيرهم وعدم الاصغاء
الى ما يقال في حقه من مدح فيه بالعزلة او قدح فيه بترك الخلطة وينبغي ان يكون له اهل صالح او جليس
يعتمد عليه يستريح نفسه اليه في اليوم ساعة عن كد المواظبة في الطاعة ثم لا يتم له الصبر في العزلة الا بقطع
الطمع عن الدنيا وما الناس ينهمكون فيه مما يوافقه او ينافيه ولا ينقطع طمعه الا بقصر الامل وتقريب
الاجل والحضور نحو الجمعة فانه فرض والجماعة فانه واجب او فرض كفاية او سنة مؤكدة والعيد فانه واجب

او سنة من سنن الهدى وشعار اهل التقى والحج فانه طريق اهل السلوك ومجلس العلم فانه لا يستغني
عنه الصعلوك ولا الملوك ولا المملوك ويجوز الترك اي ترك الحضور في تلك الامور عند معارضة
منكر الفحش منه اي من ترك الحضور وان احب حينئذ ان يسكن موضعا بعيدا من العمارات يستقصي
اي المذكورات من الجمعة والجماعات ونحوها من المامورات والسكون في رباط السالكين اي خانقاه
الصالحين فيفيد سكن من العزلة عن افات الخلط وبركة الجمعة والجماعة والتعاون على البر
والتقوى والتادب باداب اهل الشرع والفتوى فلسان الحال افصح من بيان القال وورد في
التنزيل اتقوا الله وكونوا مع الصادقين والطريق الى الموصل للعزلة ان تستغرق بالعبادة ذكرا او فكرا
وعلما وعملا وصبرا او شكرا او صحوا او محوا وسكرا او فنا وبقا وقبضا وبسطا فان استيناس بالناس
من علامة الافلاس اي من علامة ان تفلس عن مقام الايناس فاذا رايت نفسك تتطلع الى سلمهم
وكلامهم وميلك ما تهم في جفاهم فاعلم ان ذلك فضول ساعة الفراغ وفي الحديث نعمتان مغبون فيهما
اكثر الناس الصحة والفراغ وغنيمة ان الشباب والفراغ والجدة مفسدة للمرء اي مفسدة ومتى
عانقت العبادة ولازمتها فاتى الملل ومنه وجدت حلاوة المناجاة مع الحضرة واستانست بكتاب
الله واياته واخبار رسوله واثار صحابته استوحشت عن الاغيار وصل الله ليس في الدار غيره ديار وفي
نظر الابرار وفي بعض الاخبار ان موسى عليه السلام كان اذا رجع من المناجات يستوحش
من كلام الناس ويجعل صبعيه في اذنيه كيلا يسمع كلامهم ولا يغنيهم مرامهم فعليك بما قال بعضهم
لعبد الله صاحبا ودع الناس جانبا ثنا بهذا كنت فيه او كان بها قلب الناس كيف شئت تجد بهم عقاربا
وقطع الطمع عن الخلق بل عن الحق ايضا بان يعطيك غير ما قسم لك فينهون عليك امر الخلق والنظر
البهائم والطمع فيهم فان من لا ترجو نفعه ولا تخاف ضره فوجوده وعدمه سواء عليك ويتولد ويرده
مستولدا بكرة وبهذا انتبذه من توحيد الافعال حيث قال تعالى خبرا عن الهتهم الاقوال واتخذوا من دونه
الهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا
حياة ولا نشورا او ذكر الافات اي افات الخلط وفوائد العزلة واتيان الخمول فانه الراحة وضده
الشهرة فيمنعه الا منه وهي اي صفة الخمول فضيلة عظيمة ومنقبة جسيمة وقيل في تعريفه هو اسقاط النفس قدمه
عن نظر الخلق فورد رب اشعث اي متفرق الشعر اغبر متغير الوجه ذي طمرين اي كساءين اسودين
او ازارين خلقين لا يوبه له اي لا يعتبر عند اكثر الخلق لو اقسم على الله في شي نفيا او اثباتا
لابره اي لجعله الحق بارا في قسمه ذلك بان يجعله مطابقا لما اراده هكذا ذكر والحديث رواه مسلم من حديث
ابي هريرة بلفظ رب اشعث مدفوع بالابواب لو اقسم على الله لابره والحاكم رب اشعث اغبر
ذي طمرين ينبو عنه اعين الناس لو اقسم على الله لابره وقال صحيح الاسناد وابن ابي الدنيا من
طريق الديلمي من حديث ابن مسعود رب ذي طمرين لا يوبه له لو اقسم على الله لابره لو قال اللهم اني اسالك
الجنة لاعطاه الجنة ولم يعطه من الدنيا شيئا وفي الاحياء عن ابي هريرة مرفوعا ان اهل الجنة كل اشعث

اشعث اغبر ذي طمرين لا يوبه له الذين اذا استاذنوا على الامرا لم يوذن لهم واذا خطبوا النسا
لم ينكحوا واذا قالوا لم ينصت لهم حوائج احدهم تتجلجل في صدره لو قسم نوره يوم القيامة على الناس
لوسعهم وسكت عليه مخرجه من رواية ان من امتي لو اتى احدكم فساله دينارا لم يعطه اياه ولو ساله
درهما لم يعطه اياه ولو ساله فلسا لم يعطه اياه ولو سال الله الجنة لاعطاه اياها الطبراني في الاوسط
من حديث ثوبان باسناد صحيح وزاد في الاحياء ولو ساله الدنيا لم يعطه اياها وما منعها اياه لهوانه عليه بل
لكرامته لديه قال مخرجه وروي مرسلا وكونه طالب فغير مذموم كالانبياء والمرسلين والخلفاء الراشدين
والايمة المجتهدين من العلما والصلحا المعتمدين الا ان فيه اي في اتساع الجاه فتنة للضعفا ابتلا
ومحنة لغير الاقويا حيث لم يتلذذوا بحال الفقرا ولم تطب نفوسهم ميلا الى مقام الاغنيا وذهلوا عما ورد من
ان سليمان يدخل الجنة بعد سائر الانبيا بخمسمائة وكذا ابن عوف من العشرة المبشرة يدخل الجنة بعد
فقرا المهاجرين بخمسمائة عام بل من الحب ان عذاب الكافر الفقير اخف من الغني في دار البقا فورد من
حديث انس عند البيهقي حسب امرئ من الشر الا من عصمه الله ان يشير الناس اليه بالاصابع في دينه
اي بالعلم والعمل اي مخافة تعجبه وغروره ودنياه اي بالمال والجاه اي خشية كبره وبطره وفسر الحسن دينه
بالبدعة ودنياه بالفسق وانما المذموم حب الجاه اي وجوده وشهوده فورد في التنزيل تلك
الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض اي لا يحبون اعتلا بالجاه والمال اذ
لا يريدون الشغل بغير الحق ولا فسادا بحال الخلق بل يريدون صلاح حال اهل الحق لكن كما قيل
اخر ما يخرج من قلوب الصديقين حب الرياسة ولو كان من حيث المشيخة وباب السياسة والحاصل ان
الله سبحانه علق جعل الدار الاخرة بنفي ارادة العلو المستلزم لحب الجاه دون نفس الجاه فعلم ان المذموم
حب الجاه دون نفس الجاه من غير حب له واصله اي الجاه انتشار الصيت والاشتهار السمت فالخمول محمود
الا من شهره الله لنشر دينه من غير تكلف طلب الشهرة منه لقوة يقينه وحقيقته اي الجاه ملك القلوب
المطلوب منها تعظيمها وطاعتها الموصل الى المقاصد الدنيوية وقد يكون الدينية والاخروية قال ابن
ادهم ما صدق الله من احب الشهرة وقال ايوب السختياني ما صدق الله عبد الا سره ان لا يشعر بمكانه
وعن خالد بن معدان انه كان اذا كثرت حلقته قام مخافة الشهرة وعن ابي العالية انه كان اذا
جلس اليه اكثر من ثلثة قام وقال بشر لا يجد حلاوة الاخرة رجل يحب ان يعرفه الناس وعن معاذ
بن جبل ان اليسير من الريا شرك وان الله يحب الاتقيا الاخفيا الذين اذا غابوا لم يفتقدوا واذا حضروا
لم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى ينجون من كل غبرا مظلمة الطبراني والحاكم وصححه وقال الفضيل بلغني ان الله عز
وجل يقول في بعض ما يمن به على عبده الم استر عليك الم اخمل ذكرك وكان الخليل بن احمد يقول اللهم اجعلني
عندك من ارفع خلقك واجعلني في نفسي من اوضع خلقك واجعلني عند الناس من اوسط خلقك وقال الثوري
وجدت قلبي بمكة والمدينة مع قوم غربا اصحاب خوف وعبا وهواي الجاه اشهى الى الانسان من المال ولذا
يبذل المال لتحصيل الجاه ولانه يحصل به المال ولو قل لمال لتحصيل الغرض من حظ النفس واتباع الهوى

اتسع الجاه بل صح

قف

به اي بالجاه ايسر اي اهون منه تحصيله بالمال مع انه اي الجاه مصون عن نحو السرقة والغصب
بخلاف المال وتام اي منتشر في العالم دون النعت ببذل المال وبيان الحال ومطاع بالطوع
اي بلا عنف في خدمة ارباب الكمال واصحاب الجمال محرام الى الجاه ان كان بارتكاب ذنب كالكذب
بكونه علويا في النسب او منه نسل الملوك والعلماء والمشايخ في الحسب والخداع باظهار انه عالم او ورع
او شريف وهو بخلافه فهو جاهل او فاسق او وضيع ومنه الضامنين ادعى الشيخة فان كان صادقا
فهو افضل الخلق وان كان كاذبا فهو شر الخلائق وقد ورد ما ذئبان ضاريان في زريبة غنم
باكثر فسادا منه حب الشرف والمال في دين الرجل المسلم رواه النسائي والترمذي وقال حسن صحيح من حديث
كعب بن مالك وبيع العبادة اي وحرام ان كان يبيعها وهي منه امور الدين بشئ منه امور الدنيا كالمال
او الجاه لجعلها اي العبادة الشاخصة في العقبى وسيلة للذات الدنية الفانية جناية وعلى نفسه ضاية
ومباح اي وان لم يكن حب الجاه بارتكاب ذنب ولا بيع عبادة فمباح وبنضم نية نفع مسلم او دفع
ظالم يصير مندوبا وقد يكون مطلوبا فقد ورد في يوسف قال اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم
حيث طلب لملك مصر فانه طلب منزلة في قلبه بكونه حفيظا عليها وكان محتاجا الى طلبه وكان صادقا في قوله
ونافعا لغيره في امره والاولى لغير الاقوياء الاحتراز عنه اي عن طلب الجاه فانه لا يخلو عن خطر لحظ
نفسه وما هواه منه آفات اربعة وهي النفاق لان صاحب الجاه لا يستغني عن المداهنة في الاخلاق
وهي مخالفة الظاهر الباطن قولا او فعلا واضطراب القلب اي تزلزله عند ظهور العيوب لشغله
برعاية القلوب وحفظ الجاه اي تمامه بين العباد ومداواة البلاء ودفع الحساد اي ضررهم وشرهم
المعتاد الا قدر الاستطاعة منه الاحتراز اي الا قدرا يسيرا منه الجاه يعين على الطاعة ويكون سببا للراحة
بقدر الاستطاعة كاستمالة قلب خادم يتعهد امورا ضرورية للمخدوم او رفيق يعاون في السفر او الحضر
على البر والتقوى ومحافظة امور العقبى او سلطان يدفع الشر والبلوى والسبب اي سبب حب الجاه
ثلاثة طول الامل اي استبعاد الاجل وخوف الافة اي توهم المحنة التي تكون منشأ للملامة وتوضيحه ان
الشفيق بسوء الظن مولع وان الانسان وان كان مكتفيا في الحال فانه طويل الامل فيخطر بباله ان
المال الذي فيه كفايته قد يتلف فيحتاج الى غيره واذا خطر ذلك بباله هاج الخوف منه قلبه فلا يدفع الم
خوفه الا الامن الحاصل بوجود مال اخر فيفرح به ان اصاب بهذا المال جاها به فهو ابدا لشفقته
على نفسه وحبه للحياة يقدر طول الحياة ويقدر هجوم الحاجات ويقدر امكان تطرق الافات
ويهدد خوف ان موقف له عند مقدار مخصوص منه المال والجاه ومنه لهذا ورد منهومان لا يشبعان
منهوم العلم ومنهوم المال الطبراني وغيره ولو كان لابن ادم واديان من ذهب لابتغى ثالثا ولا
يملا جوف ابن ادم الا التراب ويتوب الله على من تاب واستلذاذ الطبع اي اشتهاء الكمال
الحقيقي او الوهمي لتحقق الطبع اي الخلق الربوبي في الانسان فمنه الاستعلاء والاستيلاء والتكبر والتجبر
والعظمة والكبرياء اذ معنى الربوبية التوحد بالكمال والتفرد بالوجود على سبيل الاستقلال وكان الانسان
ان

الانسان بطبعه محب لان يكون منفردا بالكمال في الجمال والجلال ولذا قال بعض الصوفية ما من انسان
الا وفي باطنه ما صرح به فرعون من قوله انا ربكم الاعلى ولكنه ليس له مجال وفي الاحياء ما معناه قال
فان العبودية قهر على النفس والربوبية محبوبة بالطبع ولكن لما عجزت النفس عن درك منتهى الكمال لم تسقط
شهوتها للكمال في جميع الاحوال كالسبعي منه القتل والجرح والضرب والايذاء والشيطاني كالمكر
والخديعة والاغواء والبهيمي منه الاكل والشرب والوقاع مع النساء فيحب الانسان بالطبع
الربوبي الاستعلاء بان يسترق اي استرقاق العبيد على وجه الاكراه والتصرف في اجسادهم ان
امكن الاسترقاق ولو بالقهر والغلبة حتى يتصرف فيهم بان يستخدمهم في الاجساد والارضية من نحو الكلا
والاغراس والاشجار بالقلع والاتفاق والابداء والافناء كالادامة والاتناب والاستبقاء فيحب ان
يكون قادرا عليها يفعل فيها ما يشاء من الرفع والوضع والعطاء والمنع فان ذلك فيه من القدرة كمال والكمال
من صفات الربوبية والربوبية محبوبة بالطبع والجبلة الخلقية ولذا يحب الاموال وان كان لا يحتاج اليها
في ماكله ومشربه وملبسه وشهوات نفسه ثم بان يستميله اي يطلب ميل الخلق اليه ظاهرا وعلانية او باطنا
ورغبة كما في القلوب طوعا وكرها ثم بان يطلع اي الاشراف كما في السموات وفي نسخة السماويات اي
اخبارهم وامورهم واسرارهم وعالم الملكوت منه العرش والكرسي وصولهما من الملائكة وانوارها او
المراد بالملكوت عالم الباطن بما يخطر منه الخطرات والعزائم في الحركات والسكنات والحاصل ان مطلوب
القلب الكمال والكمال بالعلم والقدرة وتفاوت الدرجات فيه غير محصور فسرور كل انسان ولذته
بقدر ما يدركه منه الكمال فهذا هو السبب في كون العلم والمال والجاه منه المحبوبات وهو امر وراء كونه محبوبا
لاجل التوصل به الى قضاء الشهوات فان هذه العلة قد تبقى مع سقوط الشهوات واللهوات بل يحب
الانسان منه العلوم ما لا يصلح للتوصل به الى قضاء الاغراض بل ربما يفوت عليه جملة منه الاغراض
والاعواض ولكن الطبع يتقاضى العلم في جميع العجائب والمشكلات لان في العلم استيلاء على المعلوم
وهو نوع منه الكمال الذي هو منه الصفات الربوبية فكان محبوبا بالطبع ولو كان صاحبه في مقام العبودية
والعلاج اي علاج حب رفع الجاه ومنه اشياء العلم بانه اي الجاه الدنيوي كمال وهمي ليس في الواقع
كمال حقيقي لزواله بالموت انتهاء ولحدوثه ابتداء وان القدرة الحقيقية له تعالى ازلا وابدا وفيه اي في
الجاه الوهمي الصوري التشبه بالسباع والشياطين والبهائم كما تقدم والحقيقي الكمال له بمعرفته تعالى
ومحبته وما يعين عليه اي على كماله منه العلم والعمل كما حكم به شريعته وانما يكون هذا الكمال حقيقيا لبقائه بعد
الموت فالكمال الحقيقي ما ينتقل معه من حبه ولا ينفك عن جانبه وفيه اي وفي هذا الكمال التشبه
بالانبياء والملائكة الموصوفين بكمال المعرفة والمحبة الدائمة الباقية فانظر كيف انقلب الجاهلون وانكبوا على
وجوههم انكباب العميان وهم غافلون واقبلوا على طلب الكمال بالجاه والمال وهو الكمال الذي
لا يسلم منه الزوال وان سلم في الحال فلم يتعالى في المال واعرضوا عن كمال الحرية والمعرفة المسمى علما
لدنيا واذا حصل كان ابديا لا انقطاع له لكونه سرمديا فاولئك هم الذين اشتروا الحياة الدنيا بالاخرة

اي مع
ل
ت

بل جرم لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون وهم الذين لم يعملوا قوله تع المال والبنون زينة
الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير املا فالعلم والقربة هي الباقيات
الصالحات التي تبقى كمالا في النفس واما المال والجاه فيفنى في الحال او المآل كما قال الله تعالى
انما مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض الاية واوقات الدنيا اي والعلم
بها وحسا سيتحقا اي ذاتا لقصرها من كثرة عنائها ومحنة غنائها وخسة شركائها وسرعة فنائها
فلله در القائل اشد الغم عندي في سرور * تيقن عنه صاحبه انتقالا * ومن خزنه اهل الفضائل
اضغاث احلام وظل زائل * ان اللبيب بمثلها لا يخدع * واما ورد في العلم مما جاء من السنة في ذم
الجاه ومدح الخمول على ما تقدم واحوال السلف في ايثار العقبى على مناصب الدنيا ومعاونة بعضهم
لبعض في البر والتقوى فقد كتب الحسن البصري الى عمر بن عبد العزيز اما بعد فكانك باخر من كتب عليه الموت
قد مات فانظر كيف مدة نظره نحو المستقبل وقدامه كما ترى وكتب عمر بن عبد العزيز في جوابه اما بعد فكانك
بالدنيا لم تكن وبالآخرة لم تزل فيها وآخر كان التفاتهم الى العاقبة فكان علمهم بها بالتقوى اذ علموا
ان العاقبة للمتقين والتعمق والجاه والمال في الدنيا وبصائر اكثر الخلق ضعيفة مقصورة على العاجلة
لا يمتد نورها الى مشاهدة العواقب الآجلة كما قال تعالى بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وابقى
وقال تعالى كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة ومباشرة امر بالرفع عطف على العلم اي العلاج
العملي وهو مباشرة فعل يسقطه اي جاهه وقدره عن قلوب الخلق واعينهم ويفارقه لذة القبول
ويأنس بالخمول ويقنع بنظر الخالق وقبوله وهذا طريق الملامتية الطالبين للخلاص السالكين منه
كشرب الحلال في قدح يشبه الخمر لونا اي يشبه لونه لون الخمر حتى يظن به انه يشرب الخمر فيسقط من
الاعين وهذا في جوازه نظر من حيث الفقه الا ان ارباب الاحوال ربما يعالجون انفسهم بما لا يفتي
به الفقيه مهما راوا اصلاح قلوبهم فيه ثم يتداركون ما فرط منهم فيه من صورة التقصير كما فعل بعضهم
فانه عرف بالزهد واقبل الناس عليه فدخل حماما ولبس ثوب غيره وخرج ووقف في الطريق حتى عرفوه
واخذوه وضربوه واستردوا منه الثياب وسموه لص الحمام الا ان يكون متبوعا اي مما يقتدى به
حيث لا يجوز ان يفعل ما لا يكون بذلك مشروعا فانه يوهن الدين في قلوب المسلمين واما الذي
لا يقتدى به فلا ينبغي له ايضا ان يقدم على محظور لاجل ذلك فيباشر ما يرى مباحا مما يسقط قدره عند
الناس كاظهار الشره بفتحتين اي الحرص في الطعام كما روي ان بعض الملوك قصد بعض الزهاد
فلما علم بقربه منه استدعى طعاما وبقلا واخذ ياكل بشره ويعظم اللقم فلما نظر اليه الملك سقط من
عينه وانصرف فقال الزاهد الحمد لله الذي صرفك عني وهذا بالنسبة الى المتقدمين واما في زماننا في
عملا بالكتاب والسنة في امر لم يلق صديقا في دين مثل عمر وان قوي اي في المعالجة القناعة بلزوم
القناعة عدم الطمع من اهل الاستطاعة ومن الانتفاع بما لا بد منه لا لحيا كالمه بشدة جوعة وخرقة
تستر عورته وبيت يرفع عنه حرا وبرده وان عز اب اي وطلب الغربة والهجرة الى موضع الخمول وعدم

وعدم الشهرة واما الاعتزال في الوطن فلا يخلو عنه اي عن نوع من الجاه لمعرفة الناس به فان المعتزل
في البلد التي هو فيها مشهور لا يخلو باطنه عن حب المنزلة التي ترشح له في القلوب بسبب عزلته
فربما يظن انه ليس محبا لذلك الجاه وهو مغرور به وانما سكنت نفسه لانها قد ظفرت بمقصودها ولو
تغير الناس عليه عما اعتقدوا فيه وذموه جزعت نفسه وتألمت ثم لا يمكنه ان لا يحب المنزلة في قلوب
الناس ما دام يطمع فيهم فاذا احرز قوته من كسبه او من جهة اخرى وقطع الطمع عنهم اصبح الناس عنده
كلهم كالارذل فلا يبالي اكان له منزلة في قلوبهم كما لا يبالي بما في قلوب الذين هم منه في اقصى المشرق
او المغرب لانه لا يراهم ولا يطمع فيهم ثم لا ينقطع الطمع عنهم الا بالقناعة فمن قنع شبع واستغنى عن غيره
ومن هنا ورد لا يكمل ايمان احدكم حتى يكون الخلق عنده كالاباعر ثم الاولى في باب العلاج كراهية
المدح وحب الذم فان معالجة الفساد انما يكون بالاضداد نور ودر ويل للصالحين ثم ويل للقالبين ويل لصاحب
الصوف الا من ترك نفسه عن الدنيا وابغض المدحة واستحب المذمة كذا في الاحياء وقال مخرجه لم
اجده هكذا وذكر صاحب الفردوس من حديث انس ويل لمن لبس الصوف فخالف فعله قوله ثم مخرجه
ولده في مسنده ثم التسوية اي تسوية المدح والذم بان لا تغمه الذمة ولا تسره المدحة قال بعض السلف
اذا قيل لك نعم الرجل انت فكان احب اليك ان يقال بئس الرجل انت فانت والله بئس الرجل وهذا قد
يظن بعض العباد بنفسه ويكون مغرورا به ان لم يمتحن نفسه في حال النية ويعرف اي استواء المدح والذم
بتسوية المادح والذام في اشتغال جلوسهما عنده والفرح بسرورهما والغم بمصيبتهما وحزنهما ونحوه
من المنع والعطاء في فعلهما والسعي في قضاء حاجتهما وما ابعد ذلك عن قلوب اكثر العباد من العلماء والعباد
والزهاد فان وجد فهو الكبريت الاحمر يتحدث به ولا يرى ومنهم من اذا سمع المدح لم يسر به ولم يغتم ولكن
لم يؤثر فيه فهذا على خير كثير وان كان قد بقي عليه بقية من الخلوص الذي هو سبب الخلاص المنافي
ثم عكس الاولى الذي ذكر في المرتبة الاولى وهي ان يحب المدح ويكره الذم في الضمير دون اظهار قول
وفعل في وجههما بضرب وشتم او ثناء وعطاء ثم اظهارهما اي اظهار القول والفعل في مقابلة المدح والذم
مقابلة الذام بالشتم والضرب والمادح بالثناء والعطاء وهو حال اكثر الخلق وحب المدح لحب الجاه حرمة
ان كان بارتكاب ذنب وارباء ان كان بامر مباح وخفة ان كان لدفع شره ومعدوح ان كان لجلب
نفع محرم كما سبق مفصلا والسبب لحب المدح ثلاثة الشعور بكمال النفس اي استشعار الكمال بسبب
قول المادح فطريقه تتفكر فيه ان ترجع الى عقلك الراجح وتقول لنفسك هذه الصفة التي يمدحك بها انت
متصف بها ام لا فان كنت متصفا بها فهي اما ان تكون صفة يستحق بها المدح كالعلم والورع فينبغي ان
لا يفرح بها لان الخاتمة غير معلومة واما صفة لا تستحق المدح كالمال والجاه فالفرح بها كالفرح
بنبات الارض مما تذروه الرياح ولا ينبغي ان يفرح الانسان بعروض الدنيا وان فرح فلا ينبغي
ان يفرح بمدح المادح بها بل بوجودها فالمدح ليس هو سبب وجودها ومشهودها فلا يجب ان يفرح به
بل بسبب وجودها هو الله تع فهو المستحق للحمد والثناء تبارك وتعالى ومنه قوله عز وعلا قل بفضل الله وبرحمته

نبذ لك فليفرحوا بما هو خير مما يجمعون وان كانت الصفة التي مدحت بها وفرحت بسببها انت خال عنها
ففرحك بمدحه غاية الجنون عند اهل العقول اذ مثال ذلك مثال من يهزأ به انسان ويقول سبحان
الله ما اكثر العطر الذي في احشائك وما اطيب المسك الذي في اعضائك وانت تعرف نفسك بكثرة الاقذار
والنتن في احشائك واجزائك وان تشتمل على المادح فان المدح يدل على تسخير قلب المادح والسماله
قلوب السامعين فهذا يرجع الى حب الجاه وعلاجه بقطع الطمع وطلب المنزلة عند الله فيتقوى اي حب
المدح اذا حصل منه المعتبر اكثر واظهر علما وعملا من غيره فلم ينفع قدره في الجاه والمال وفي نسخة
المرتفع اي منه اهل التصدر في المجالس والمعالي فان لم يكن منه ذوي الفضايل ومن الملك اقوى من الخلا
وفيه خطر للممادح ولذا قال عليه السلام للمادح ويحك قطعت ظهره لو سمعك ما افلح الى يوم القيامة
والعلاج اي علاج حب المدح شان علاج الجاه اي حبه وقد تقدم حكمه وعلمه اي الممدوح
ان الصفة الممدوح بها ان صدقت بان يكون كذبا فاستهزأ وهذا كثير في قصايد الشعرا للاغنيا
والامرا وقد ورد اذا رايتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب وهو كناية عن الخيبة اعطاء اي دفع
شريهم بما فيه اي جواب وسبب منه الاسباب من اعطا الدراهم والدنانير والنبات فقد ورد ما وقي به
العرض فهو صدقة وان وجدت اي تلك الصفة بان يكون صادقا في قوله فالدنيوية من المال والجاه كمال
وهمي والدينية منه العلم والعمل موقوفة على الخاتمة اي حسنها وهي غير معلومة فالكمال بالخواتيم كما ورد
والاولى في علاج حب الجاه اظهار البغض للمادح قطعا للفتنة ومن ثم كان الصحابة على وجل
عظيم منه المدح وفتنته وما يدخل على القلب منه السرور بمدحته وما يتفرع عليه من محبته حتى ان بعض
الخلفا الراشدين سال رجل عن شيء فقال يا امير المؤمنين انت خير مني واعلم فغضب وقال اني لم امرك
ان تزكيني وقيل لبعض الصحابة لن يزال الناس بخير ما ابقاك الله فيهم فغضب وقال اني لاحسبك عراقيا وقال
بعضهم لما مدح اللهم ان عبدك تقرب الي بمقتك فاشهدك على مقته وانما كرهوا المدح خيفة ان يفرحوا بمدح
الخلق وهم ممقوتون عند الخالق فكان اشتغال قلوبهم باحوالهم عند الله تعالى والمذموم على الحقيقة
هو المبعد عن الله الملقى في النار مع الاشرار في دار البوار فهذا الممدوح ان كان عند الله من اهل النار
فما اعظم جهله اذا فرح بمدح غيره وان كان من اهل الجنة فلا ينبغي ان يفرح الا بفضل الله وبرحمته وليس
امره بيد الخلق وذم من سواه وسقطه في قلبه حب مذموم واشتغل بما يهمه من امر دينه وحب ربه وسبب
كراهة الذم النقايص المذكورة اي الاسباب المسطورة في حب المدح منه الشعور بكمال النفس والنيل المدح
واستمالة قلوب السامعين والعلاج لكراهة الذم علم ان الصفة المذموم بها ان وجدت فيك شتوا فقد
القايل به النصيحة والتعنت والغضب بتبصير العيوب وهو مطلوب اهل القلوب وفيه الفرح بالاطلاع
على الصفة الذميمة والتشغل بازالته اي بازالة الصفة المذمومة عن نفسك ان قدرت عليها وليس للكراهة
محال اليها فعن عمر رضي الله عنه رحم الله من اهدى الي بعيوب نفسي وان فقدت تلك الصفة بان يكون
القايل كاذبا في المذمة فلعلها اي الذنوب اي بعقبة مساويك فكانه يدك بعيب انت بري منه وطهرك

وطهرك عن عيب انت ملوث به وفيه الشكر له تعالى اذ لم يطلعه على عيوبك ودفعه عنك بذكر ما انت
بري منه وما ستر الله من عيوبك اكثر فتذكر والترحم عليه اي على الذام حيث اهلك نفسه بذمك فكان كمن جني
جنى على دينه حتى سقط من عين ربه واهلك نفسه بافترائه وتعرض لعقابه الاليم يوم جزائه فلا ينبغي
ان يغضب عليه مع غضب الله لديه وتقول اللهم اهلكه ودعوه فتشمت الشيطان بك وبه بل ينبغي لك ان تقول
رغما للشيطان وخزيه اللهم اصلحه اللهم تب عليه اللهم ارحمه اللهم اهدهم ورد في دلايل النبوة للبيهقي اللهم
اهد قومي فانهم لا يعلمون دعا اي النبي عليه السلام بقوم من كفار قريش كسروا رباعيته عليه السلام وهم
اي رباعيته وشجوا راسه ورد ذلك بالحد ودعا ابراهيم بن ادهم لمن شج راسه بالمغفرة فقيل له في ذلك
فقال اعلم اني ماجور بسببه فلم ارض ان يكون هو معاقبا بسببي ومما يهون عليك كراهة المذمة قطع
الطمع فان من استغنيت عنه مهما ذمك لم يعظم اثر ذلك في قلبك واصل الدين القناعة بما اعطاه الله
من الحال وبها ينقطع الطمع عن الجاه والمال واما دام الطمع باقيا فكان حب المدح والجاه يغلب في
قلب من طمعت فيه داينا **الباب الثاني عشر** في التواضع وذكر المنة اي في مدحهما وذم
ضدهما وهما الكبر والعجب بسم الله الرحمن الرحيم الذي يتواضع له العرش الكريم ورد في الحلية
لابي نعيم عن ابي هريرة من تواضع لله رفعه الله ومن يتكبر على الله وضعه وللبيهقي في الشعب
عن ابن عباس ما من اذا تواضع العبد رفعه الى السماء السابعة وللاصفهاني في الترغيب والترهيب من
حديث انس ان التواضع لا يزيد العبد الا رفعة ولمسلم في اثنا حديث لابي هريرة وما تواضع
احد لله الا رفعه الله ولاحمد والبيهقي في الشعب باسناد صحيح من حديث عبد الله بن عمر من كان
في قلبه مثقال حبة من كبر اكبه الله في النار على وجهه وللترمذي وحسنه من حديث سلمة بن الاكوع لا يزال
الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين فيصيبه ما اصابهم وللترمذي من حديث اسماء بنت عميس
بئس العبد عبد تجبر واعتدى ونسي الجبار الاعلى بئس العبد عبد تجبر واختال ونسي الكبير المتعال بئس
العبد عبد سها ولها ونسي المقابر والبلى بئس العبد عبد عتا وبغى ونسي المبدا والمنتهى رواه الحاكم
في مستدركه وصححه الشرف التواضع قال ابن ابي الدنيا الكرم التقوى والشرف التواضع واليقين الغنا
وعن عروة بن الورد التواضع احد مصايد الشرف وكل نعمة محسود عليها صاحبها الا التواضع وقال
الفضيل التواضع ان تخضع للحق وتنقاد له ولو سمعته من صبي قبلته منه ولو سمعته من اجهل الناس قبلته وعن
ابن المبارك التواضع ان تضع نفسك عند من دونك في نعمة الدنيا حتى تعلمه انه ليس لك عليه بدنياك فضل وان
ترفع نفسك على من هو فوقك في الدنيا حتى تعلمه انه ليس له بدنياه عليك فضل وقال قتادة من اعطي مالا
او جمالا او ثيابا او علما ثم لم يتواضع فيه كان عليه يوم القيامة وبالا وضده التكبر وهو اتباع الكبر
واظهاره كما ان التواضع اتباع الضعة واظهار المسكنة بان يرى نفسه دون غيره في صفة الكمال فمن
تكبر على امثاله فهو متكبر في حاله ومن تاخر عنهم فهو متواضع في مقام كماله وهو اي الكبر ان يرى
نفسه فوق غيره في صفة الكمال فيحصل به نفخة اي انتفاخ الكبر في نفسه وعن ابن عباس في قوله تعالى ان

في صدره وبهم الى كبر ما هم ببالغيه فقال عظمة لم تبلغوها وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود لا يدخل الجنة
من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر وعن ثابت بلغنا انه قيل يا رسول الله ما اعظم كبر فلان
فقال اليس بعده الموت البيهقي في الشعب هكذا مرسلا وروي انه خرج يونس وايوب والحسن يتذاكرون
التواضع فقال لهم الحسن التواضع ان تخرج من منزلك فلا تلقى مسلما الا رايت له عليك فضلا وقال
الجنيد التواضع عند اهل التوحيد تكبر ولعل مراده ان المتواضع يثبت لنفسه ثم يضعها والموحد
لا يثبت نفسه ولا يراها شيئا حتى يضعها او يرفعها وورد اعوذ بك من نفخة الكبر روى ابو داود وابن
ماجه من حديث جبير بن مطعم مرفوعا اعوذ بالله من الشيطان من نفخه ونفثه وهمزه فنفخه الكبر ونفثه
الشعر والسحر وهمزه الوسوسة في السر وآثاره اي علامات الكبر بل نتيجته الترفع في المجلس على الاقران ن
الى منه غير استحقاق له والتقدم في الطرق على الاخوان مع استخفافهم به قال ابو الدرداء لا يزال العبد
يزداد من الله بعدا ما مشى خلفه وكان عبد الرحمن بن عوف لا يعرف من عبيده اذ كان لا يتميز عنهم
في صورة ظاهرة ومشى قوم خلف الحسن البصري فمنعهم وقال ما يبقى هذا من قلب العبد وكان عليه
السلام في بعض الاوقات يمشي مع الاصحاب فيامرهم بالتقدم ويمشي في الغمار لتعليم غيره ولانه
لنفي وسواس الشيطان بالكبر والعجب كما انتزع الثوب الجديد في الصلاة ولبس الخليع لاحد هذين
المعنيين كذا في الاحياء والمعروف نزع الشراك الجديد ورد الشراك الخلق ونزع الخميصة ولبس الانبجانية
كما تقدم والله اعلم وللديلمي في مسند الفردوس من حديث ابي امامة بسند ضعيف جدا انه خرج
يمشي الى البقيع فتبعه اصحابه فوقف وامرهم ان يتقدموا ومشى خلفهم فسئل عن ذلك فقال اني
سمعت خفق نعالكم فاشفقت ان يقع في قلبي شيء من الكبر والنظر الى الغير بالماق اي بطرف العين
تكبرا وتجبرا قال تعالى يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور وعين الاستحقار بان يستنكف عن جلوس
غيره بالقرب منه الا ان يجلس بين يديه فعن ابن وهب جلست الى عبد العزيز بن ابي داود فمس
فخذي فخذه فنحيت نفسي عنه فاخذ بثوبي فجرني الى نفسه وقال لم تفعلون بي ما تفعلون بالجبابرة
اني لا اعرف منكم رجلا شرا مني وقال انس كانت الوليدة من ولائد المدينة تاخذ بيد رسول الله صلى
الله عليه وسلم فلا ينزع يده من يدها حتى تذهب به حيث شاءت وقد تقدم مخرجه ومن ذلك ان يتوقى
مجالسة المرضى والمعلولين ويتحاشى عنهم فكان ابن عمر لا يحبس عن طعامه مجذوما ولا ابرص
ولا مبتلى الا اقعدهم على مائدته وقد ثبت اكله صلى الله عليه وسلم مع مجذوم وقال له كل بسم الله
ثقة بالله رواه ابو داود والترمذي وابن ماجه من حديث جابر وتعويج العنق مع تحريك الاطراف
واطراق الراس فروي ان عمر بن عبد العزيز حج قبل ان يستخلف فنظر اليه طاوس وهو يختال في
مشيته فغمز جنبه باصبعه ثم قال ليست هذه مشية من في بطنه خرا فقال عمر كالمعتذر يا عم لقد ضرب كل
عضو مني على هذه المشية حتى تعلمتها وعن الحسن ان في كل عضو الا غضا نعمة لله وللشيطان به لعنة
وراى محمد بن واسع ولده يمشي يختال فدعاه فقال اتدري من انت اما امك فاشتريتها بمائتي درهم واما

وراى ابو بكر نيل اكثر الله في المسلمين مثله ولاحمد والطبراني والحاكم وصححه والبيهقي في الشعب من حديث
ابن عمر من تعظم في نفسه واختال في مشيته لقي الله وهو عليه غضبان ولعله مقتبس من قوله تعالى ان الله
لا يحب من كان مختالا فخورا ومن قوله ولا تمش في الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال
طولا وفي الصحيحين من حديث ابي هريرة لا ينظر الله الى من جر ازاره بطرا وفي لفظ مسلم خيلاء والميل نكا
اي الميل الى احد جانبيه بحضور الاكابر ولا ينبغي من غير ضرورة وعارضة في بابه وكذا الحكم التي يقع التبختر
الى الترفع وقيام الناس بين يديه مجيء اي في الجزء الاول نبذ ان من قعد والناس بين يديه واقفون
بامره فهو من اهل النار والحديث معروف بلفظ من احب ان يتمثل له الرجال قياما فليتبوا مقعده من النار
رواه احمد وابو داود والترمذي عن معاوية وفي الشمائل للترمذي عن انس لم يكن شخص احب اليهم من رسول
الله صلى الله عليه وسلم وكانوا اذا راوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهيته لذلك وقال الفضيل من احب
الرياسة لم يفلح ابدا وقال الشبلي من راى لنفسه قيمة فليس له من التواضع حظ والتحقيق ان من راى انه
خير من اخيه واحتقر اخاه وازدراه ونظر اليه بعين الاستصغار ورد الحق وهو يعرفه فقد تكبر فيما بينه
وبين الخلق ومن انفه ان يخضع لله ويتواضع له بطاعته واتباع رسله فقد بينه وبين الحق والمشي
اي الخروج راكبا مع المشاة بين يديه وترك الخروج من منزله ولو الى المسجد للجمعة والجماعة الا ان يمشي
او انثى من عقيبه وكان عليه السلام يمشي بين الجمع غير متقدم كما تقدم وعمل البيت اي وتركه
وهو خلاف التواضع ومخالف لفعله عليه السلام ففي مسند احمد عن عائشة رضي الله عنها انه عليه
السلام كان يخيط ثوبه ويخصف نعله ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم وللبيهقي في الشعب من حديث
ابي هريرة من اعتقل البعير ولبس الصوف فقد برئ من الكبر وبالجملة فجميع محاسن الاخلاق يوخذ من سيرته
عليه السلام واربابه منها احيي به الكرام ولما عوتب عمر في بذاذة هيئته قال انا قوم اعزنا الله بالاسلام
فلن نطلب العز من غيره وحمل السلعة اي وتركه فورده حملها اي سلعته وفي رواية بضاعته فقد برئ
من الكبر البيهقي عن ابي امامة ولابي يعلى الموصلي عن ابي هريرة انه عليه السلام حمل سراويل اشتراه اه
لنفسه وابى ان يحمله غيره وقال صاحب المتاع احق بحمله وعن علي كرم الله وجهه لا ينقص الكامل من كماله
ما جر من شيء الى عياله وكان ابو عبيدة بن الجراح وهو امير يحمل سطلا له من خشب الى الحمام وقال ثابت
بن مالك رايت ابا هريرة اقبل من السوق يحمل حزمة من حطب وهو يومئذ خليفة لمروان فقال اوسعوا الطريق
للامير يا ابن مالك وعن الاصبغ بن ابي نباتة قال كاني انظر الى عمر معلقا لحما في يده اليسرى وفي يده
اليمنى الدرة يدور في الاسواق حتى دخل رحله وقال بعضهم رايت عليا يشتري لحما بدرهم فحمله في
ملحفته فقلت احمل عنك يا امير المومنين فقال لا ابو العيال احق ان يحمل وروي ان عبد الله بن سلام م
حمل حزمة حطب فقيل له يا ابا يوسف قد كان في غلمانك وبنيك ما يكفونك قال اجل ولكني اردت ان اجرب
نفسي هل تنكر ذلك علي فلم يقنع منها بما اعطته من العزم على ترك الانفة حتى يجربها اصادقة ام
كاذبة وروي ان عمر بن الخطاب حمل قربة على عنقه فقال له اصحابه يا امير المومنين ما حملك على هذا فقال

ان نفسي اعجبتني فاردت ان اذلها وروي ان ابا موسى قيل له ان اقواما يتخلفون عن الجمعة
بسبب ثيابهم فلبس عباءة وصلى فيها بالناس واحتمال الاذى اي وتركه فهو اي احتمال الاذى من
السب ونحوه هو الاصل الذي عليه مدار حسن الخلق والتواضع للحق اي تواضع المروي عن السلف والخلف
خلف قال كانه الحنيشي والعلف والله قد مناها نقل عنهم في ذم الغضب وما يتعلق به من الادب ولباس
الدون اي وترك اللباس الحسن او الخلق او المرقع فورد من ترك زينة لله ووضع ثيابا حسنة اي
دفعها مع القدرة عليها تواضعا لله وابتغاء وجهه لا لاجل الرياء والسمعة في حقه كان على الله اي واجبا
بمقتضى وعده ان يدخله عبقري الجنة اي ديباجها من سندسها واستبرقها ابو سعد الماليني في
مسند الصوفية وابو نعيم في الحلية من حديث ابن عباس من ترك زينة الدنيا لله الحديث وقد ورد البذاذة
من الايمان ابو داود وابن ماجه من حديث ابي امامة بن ثعلبة وقال هارون سالت عن معنى البذاذة
فقيل هو الدون من اللباس وقال زيد بن وهب رايت عمر بن الخطاب خرج الى السوق وبيده الدرة وعليه
ازار مرقوع فقال يقتدي بي المؤمن ويخشع له القلب وقال عيسى عليه السلام جودة اللباس خيلاء فيه اربعة عشر رقعة بعضها من ادم اي جلد وعوتب على في ازاره
القلب وقال طاوس اني لاغسل ثوبي هذين فانكر قلبي ما داما نقيين وقيل لسلمان الا تلبس
ثوبا جيدا فقال انما انا عبد فاذا اعتقت يوما لبست اشار به الى العتق في الاخرة وما علا الله لعبيد
فسه الثياب الفاخرة ونزع عليه السلام الجديدة اي من الشراك والخميصة ولبس العتيق منهما للتعلم اي لتعليم
يعني والتبعد عن الوسوسة في نفسه على ما تقدم الى النظافة اي لتعدادها فانه لا يخرج الا باس بترك الدون
من اللباس ولبس الثوب الفاخر كسائر الناس فورد نفي الكبر في حسن الثياب لمعرفة كمال السائل
اي لمعرفته عليه السلام كمال السائل ومقامه المرام في الطبراني من حديث ثابت بن قيس بن شماس
انه سال النبي عليه السلام وقال اني امرؤ قد حبب الي من الجمال ما ترى فهل من الكبر فقال لا ولكن من سفه
الحق اي جهله وانكره وغمص الناس اي حقرهم رواه احمد من حديث عقبة بن عامر وفي رواية مسلم عن
ابن مسعود الكبر بطر الحق وغمص الناس وفي رواية الترمذي من بطر الحق وغمص الناس وقال حسن صحيح
وفي رواية ابن بكار عن ابن مسعود قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انه يعجبني ان يكون
ثوبي غسيلا وراسي دهينا وشراك نعلي جديدا وذكر اشياء حتى ذكر علاقة سوطه افمن الكبر هذا فقال عليه
السلام لا هذا من الجمال والله يحب الجمال لكن الكبر من سفه الحق وظلم الناس وبعرفة اي كان يلبس
للنظافة او كونه مظهر الغنى شكرا لله تعالى للنعمة او كونه فقيرا يرى نفسه غنيا للعفة بتسوية الخلاء والملا
عنده في لباسه للنظافة ونحوها بان يلبس في الخلوة للصلاة وغيرها كما يلبس في الملا عند حضور الجماعة
ونحوه ثم المحبوب الوسط المطلوب فللنسائي وابن ماجه من رواية عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده كلوا
واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير اسراف ولا مخيلة والغضب بالرفع عطفا على الترفع اي ومن اثار الكبر
الغضب على من لم يبدأ بالسلام او لم يبادر بالقيام ونحوه من انواع الاكرام ثم الاهتمام بالرفع الى ان عنى م
بالمعاملة الخصم المناظر الى المجادل في معقوله ومثال انكاره عليه اي المجادل في معقوله وبانكار الخصم عليه في معقوله

معقوله وتوضيحه ان يناظر في مسئلة مع واحد من اقرانه فان ظهر شيء من الحق على لسان صاحبه ثقل عليه
قبوله والانقياد له والاعتراف به والشكر له على تنبيهه وتعريفه واخراجه الحق فذلك يدل على ان فيه كبرا
دفينا فليتق الله وليشتغل بعلاجه اما من جهة العلم فبان يذكر نفسه خسة نفسه وخطر عاقبته وان
الكبر لا يليق الا بالله تعالى واما بالعمل فبان يكلف نفسه ما ثقل عليه من الاعتراف بالحق فيطلق لسانه
دة بالحمد والثناء ويقر على نفسه بالعجز ويشكره على الاستفادة ويقول ما احسن ما فطنت له وانا
وقد كنت غافلا عنه فجزاك الله خيرا على ما نبهتني له فالحكمة ضالة المؤمن فاذا وجدها ينبغي ان يشكر
من دله عليها وآفاته اي الكبر ستة منازعته تعالى اي مشاركته سبحانه في بعض صفاته فورد في صحيح مسلم
وغيره الكبرياء ردائي اي بمنزلته في اظهار ملكي وجبروتي والعظمة ازاري اي بمنزلته في اسرار ملكوتي والمعنى
انهما صفتان مختصتان بي كما ان الرداء والازار مختصان به ولا يشاركه احد في لبسه فمن
نازعني فيهما اي واحدا منهما كما في رواية قصمته اي اهلكته وفي رواية عذبته وفي اخرى القيته في جهنم
وفي اخرى قذفته اي في النار وبغضه تعالى اي له في الدنيا والاخرة فورد في التنزيل انه لا يحب المستكبرين
ومفهومه انه يحب المتواضعين وعمى القلب عن معرفة الرب فورد في التنزيل ساصرف عن آياتي اي المنصوبة
في الافاق والانفس من مصنوعاتي وقيل في التفسير سادفع فهم القران عن قلوبهم الذين يتكبرون
في الارض بغير الحق وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل
ب الغي يتخذوه سبيلا وفي بعض التفاسير ساحجب قلوبهم عن مشاهدة ملكي وملكوتي وعجائب قدرتي وعز
ع جبروتي وقال ابن جريج ساصرفهم عن ان يتفكروا فيها ويعتبروا بها ولذا قال عيسى عليه السلام ان الزرع
ينبت في السهل ولا ينبت في الوعر وكذلك الحكمة تعمر في قلب المتواضع دون المتكبر الا ترى انه من يشمخ براسه الى
السقف شجه ومن يطاطئ اظله واكنه ويطبع الله على كل قلب متكبر بان ضاعفه ودونه جبار مبالغ في
الفساد من قهر العباد وكسر البال والاذلة اي الذلة في العاقبة والمهانة في الاخرة فللترمذي وحسنه
من رواية عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده يحشر المتكبرون يوم القيامة في صور الذر يطؤهم الناس
لهوانهم على الله وعن حاتم الاصم اجتنب ثلاث على ثلاث على الكبر والحرص والبخل فان المتكبر لا يخرجه الله تعالى
من الدنيا حتى يريه الهوان من اراذل اهله وخدمه والحريص لا يخرجه الله تعالى من الدنيا حتى يحوجه الى
كسرة او شربة وان بخيلا ساعاد المحتال لا يخرجه الله تعالى من الدنيا حتى يمرغه ببوله وقذاه والبعث
اي البحث بمعنى والحث على الذمايم من صفات البهايم كتغير الخلق من اثر سوء الخلق كالبشاشة اي العبوسة
والجحد عن الحق اي بانكاره وعدم اقراره وقد سبق في الحديث تفسير الكبر المذموم به وحسنه البعد عن الحق
الحق فقد قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف نجلس اليك وعندك مثل هؤلاء الفقراء فنزل قوله
تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم رواه مسلم وابن ماجه والحجب اي والمنع عن الفضائل وحجره عن حسن
الشمائل كالتواضع للحق والحلم عن الخلق والنصح للعامة من غير الفضيحة والامر بالمعروف وكذا النهي عن
المنكر ولا يستلزمه الا الامر بالمعروف التكبر فالعبد الرقيب بامر الكبيب ليضرب ولذا لو قيل عندان ساة

وبتواضع له مع ذلك بعد تلك الحالة ثم التخامس اى طلب الخسة المسمى بالضعة وهو ان فرط في
التواضع كرضاء العالم عن الخصاف ونحوه من الاذراف والعلاف في المجلس او الطريق مذموم ايضا
كعكسه وللبغوي وابن قانع والطبراني والبزار من حديث انس طوبى لمن تواضع في غير مسكنة وانفق
مالا جمعه في غير معصية ورحم اهل الذل والمسكنة وخالط اهل الفقه والحكمة ومن ذلك حديث من تواضع
لغني لغناه ذهب ثلثا دينه البيهقي في الشعب عن ابن مسعود من تواضع لغني ووضع له
نفسه اعظاما له وطمعا فيما قبله ذهب ثلثا دينه وذلك لان الة العبادة قلب ولسان واركان
وفي تعظيم الغني لا بد من استعمال اللسان والجوارح وله عن انس بلفظ من اصبح حزينا على الدنيا
اصبح ساخطا على ربه ومن اصبح يشكو مصيبة فانما يشكو ربه ومن دخل على غني فتضعضع له
ذهب ثلثا دينه واخرج الديلمي في حديث ابي ذر لعن الله فقيرا تواضع لغني من اجل ماله من فعل
ذلك منهم ذهب ثلثا دينه وكذا ابو داود ولم يصب ابن الجوزي في ذكره في الموضوعات كما قاله
السيوطي ومن التخامس بل اضر ان يمشي العالم خلف الظالم ولذا قيل بئس الفقير على باب الامير
ونعم الامير على باب الفقير وعن يحيى بن معاذ التكبر على ذي التكبر عليك بماله تواضع وتذلل التواضع ضع
في الخلق كلهم حسن وفي الاغنياء احسن والتكبر في الخلق كلهم قبيح وفي الفقراء اقبح وكان بشر الحافي
يقول سلموا على ابناء الدنيا بترك السلام فالتواضع معه بعدم الاستحقار ومن الصديق ان لا يحقرن احدكم
احدا من المسلمين فان صغير المسلمين عند الله كبير ولمسلم من حديث ابي هريرة بحسب امرء من الشر
ان يحقر اخاه المسلم واظهار البشر وفوق مراحه والرفق بحسب مقامه واجابة الدعوة فكان عليه
السلام يجيب دعوة المملوك ونحوه والسعي في الحاجة لقوله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وحديث
من كان في عون اخيه المؤمن كان الله في عونه فالعدل ان يعطي كل ذي حق حقه تود اذا اتاكم كريم قوم
فاكرموه لكن التكبر المحض من التخامس اذ ورد عن بعض المشايخ ما تعارفه وكانه كان في مقام المعالجة
والسبب اى سبب الكبر الحقيقي العجب فقط اى العجب سبب الكبر والكبر سبب التكبر فسبب سبب الشيء
سبب لذلك الشيء وهو مذموم قال تعالى ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم ذكر ذلك الاخبار في معرض
الانكار ولابي داود والترمذي وحسنه وابن ماجه اذا رايت شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب
كل ذي راي برايه فعليك بنفسك وللبزار والبيهقي في الشعب من حديث انس لو لم تذنبوا لخشيت عليكم
ما هو اكبر من ذلك العجب العجب وعن مطرف لان ابيت نائما واصبح نادما احب الي من ان ابيت قائما
واصبح معجبا وكان بشر بن منصور من الذين اذا رءوا ذكر الله فاطال الصلاة يوما ورجل جالس
خلفه ينظر ففطن له بشر فلما انصرف من الصلاة قال لا يعجبك ما رايت مني فان ابليس قد عبد مع
الملائكة مدة طويلة ثم صار الى ما صار اليه وقيل لعائشة متى يكون الرجل مسيئا قالت اذا ظن انه
محسن وكانه مقتبس من قوله تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وفي الصحيحين بينما رجل يتبختر في بردة
قد اعجبته نفسه خسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة ويطلق اى الكبر مجازا اى بطريق

الى وجود اثاره اى اثار الكبر فيه اى الى عكس المنبعث من غيره اى على الكبر المنبعث من غير العجب
كالحقد الباطن والحسد اعم والرياء في الظاهر ويختص بهذا الاخير وهو الكبر المنبعث من غير العجب
بالملا دون الخلا والمعنى ان الرياء يختص بالملا دون الحقد والحسد والعجب فان الذي يتكبر بعجب
يستوي عنده الخلا والملا والحاصل ان اثار الكبر اذا ظهرت من الكبر يسمى تكبرا حقيقة واذا ظهرت
من غير التكبر كالحقد والحسد والرياء يسمى تكبرا مجازا لا حقيقة لانها ليست من نتايج الكبر لكن لما
كانت صورتها صورة التكبر الحقيقي سميت تكبرا مجازا ثم اعلم ان العجب انما هو بالاسباب التي بها
يتكبر وقد يعجب بما لا يتكبر به كعجبه بالراي الخطا الذي تزين له بجهله وثمرته الاستبداد بالراي وترك
المشورة واستجهال الناس المخالفين لرايه والعلاج اى علاج الكبر خمسة اشياء ذكرها ومعرفته
اى في ذم الكبر من الاخبار واحوال السلف الاخيار وما صدر عنهم من الاثار في ترك الكبر واختيار
التواضع ومواظبة اخلاق المتواضعين من العلماء الابرار والمشايخ الكبار والتكلف فيه اى في
رفع العجب بدفع العجب او التكلف في تحصيل اخلاق المتواضعين بالتشبه في افعالهم والتزين باحوالهم
والتصنع باعمالهم فان المرء في قنطرة الحقيقة والرياء قنطرة الاخلاص ويشير اليه حديث ان لم تبكوا
فتباكوا والعلم بالتعلم والحلم بالتحلم وقلع العجب اى استيصاله من اصله وقطع مادة فرعه وفرعه من
وصله ولا يحصل اصل قلعه الا بقلع الحقد والرياء والحسد من قلبه وهو اى العجب استعظام النفس الا عدها
عظيمة برتبة قدرهم فوق قدر غيرهم وخصالها التي هي النعم فيها حميدة وسيمة مع الركون اليها اي
الى النفس وما صدر منها او ظهر عليها ونسيان اضافة اى نسبة النعم اليه تعالى وهو المنعم بجميع
النعم على جميع الامم والامن من الزوال لتوهمه انه من اهل الكمال فمن راى النعمة منه تعالى ابتداء وفرح بها
من حيث انها منه اى من الله تعالى وبهو يجب عليه حمدا وثناء وخاف على الزوال اى زوال تلك النعمة انتفى
ان يكون معجبا وان كان مستعظما لها وهو اى العجب غير الادلال فهو اى الادلال عجب مع رؤية
حق النفس عند الله تعالى على منظنة ان لها الكمال فكل مدل وهو معجب ورب معجب لا يكون مدلا
اذ العجب يحصل بالاستعظام ونسيان النعمة دون توقع جزاء والادلال لا يتم الا مع توقع جزاء
نورد ان صلاة المدل لا ترتفع فوق راسه وهو كناية عن عدم قبولها والحديث كذا في الاحياء وقال
مخرجه لم اجد له اصلا وقال قتادة في قوله ولا تمنن تستكثر اى لا تدل بعملك فيبطل ولان تضحك وانت
معترف بذنبك خير من ان تبكي وانت مدل بعملك او علمك ويعرف اى الادلال او المدل بالتعجب اى بتعجبه عن
رد دعائه حال استدعائه في كشف بلائه او استجلاب عطائه بناء على ظن انه من اهل ولائه واستقامة مة
حال مؤذيه اى ويعرف المدل بتعجبه عن استقامة اهل ايذائه وعن الكبر اى والعجب ليس عين الكبر
بل غيره لكونه اى الكبر اثره اى العجب والاثر غير المؤثر واستدعائه اى واستدعاء الكبر المتكبر عليه
بخلاف العجب فانه يتصور بغيره حيث لا يستدعي غير المعجب به وهو اى العجب مذموم لما تقدم وافاته اى
العجب ثمانية الهلاك فهو اى العجب عد من المهلكات فقد ورد ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع

راعجب المرء بنفسه البزار والبيهقي والطبراني في الاوسط عن ابن عمر ونسيان الذنوب فانه لو
ذكرها لما اعجب مع وجود العيوب وعن عيسى عليه السلام كم من سراج قد اطفاه نسيان الذنب
وكم من عمل قد افسده العجب واستحقارها اي استصغار الذنوب وهو قد علا منه كبارها وترك التدارك
اي لما فات منه الطاعات والعبادات وحقوق الادميين والحيوانات وتفقد افات العمل اي
وترك تفقدها وتعهدها على زعم انه مغفور اي بناء على توهم انه بجرها خود بنقصها والامن من
مكر الله تعالى ولو بالكرامات وخوارق العادات فانه لا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون والاستنكاف
من التعلم اي العار منه التعلم عن الابرار وهذا من كمال جهله والتعاظم بغيره وقد ورد كفى بالموت
واعظا والسعيد من وعظ بغيره والشقي من وعظ به غيره وتزكية النفس اي ومن افات العجب
ثناءها ومدحها وورد في التنزيل لا تزكوا انفسكم تمامه هو اعلم بمن اتقى وقال تعالى ونفس وما
سواها فالهمها فجورها وتقواها قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها وقال عليه السلام اللهم ات
نفسي تقواها وزكها انت خير من زكاها انت وليها ومولاها قال ابن جريج معنى قوله لا تزكوا انفسكم اذا
عملت خيرا فلا تقل عملت وقال زيد بن اسلم لا تبروها اي لا تعتقدوا انها بارة وهو معنى العجب
وضده مبتدا اي ضد العجب وهو ذكر توفيقه تعالى جملة معترضة مفسرة للمنة التي هي ضد العجب فرض اي حتم
لازم ان حدث داعية العجب في خاطره وان فعل في امر باطنه وظاهره والسبب اي سبب العجب
خبث الطبع وهو اي خبث الطبع داء موذي معضل اي مشكل دواه الجهل بالحقايق اي بحقايق
النفس ودقايقها وهو الكامن اي شي خلقت ابتدا وما تكون في عاقبة امرها انتهاء فانه مهما عرف نفسه
حق المعرفة علم انه اذل من كل ذليل واقل من كل قليل وانه لا يليق به الا التواضع والمسكنة واذا
عرف ربه علم انه لا يليق العظمة والكبرياء الا لله عز وجل ثم معرفة ربه وعظمته ومجده فالقول فيه يطول وهو
الى علم المكاشفة يؤول واما معرفة نفسه فيكفيه ان يعرف معنى اية واحدة في كتاب ربه ففيه علم الاولين
والاخرين لمن فتح عين بصيرته ورفع حجاب قلبه فقد قال تعالى قتل الانسان ما اكفره من اي
شي خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره وفي الاحيا هنا كلام
طويل فيه تنبيه جزيل والعلاج للعجب قلع السبب له بالنظر اي بالتامل في حقايق النفس وخساستها
فاولها النطفة اي المذرة كما قال تعالى فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين
الصلب والترائب واخرها الجيفة اي القذرة وهو فيما بينهما يحمل العذرة وعن الحسن العجب لابن ادم
يغسل الخرا بيده كل يوم مرتين ثم يتكبر يعارض جبار السموات وكان الاحنف بن قيس يجلس مع
مصعب بن الزبير على سريره فجاء يوما ومصعب ماد رجليه فلم يقبضهما وقعد الاحنف فزحمه بعض الزحمة
فراى اثر ذلك في وجهه فقال عجبا لابن ادم يتكبر وقد خرج من مجرى البول مرتين وقيل في قوله تعالى
وفي انفسكم افلا تبصرون هو سبيل الغايط والبول وفي قوله تعالى كانا ياكلان الطعام ايماء الى انهما
يبولان ويتغوطان انظر كيف نبين لهم الايات ثم انظر انى يوفكون اي يصرفون عن الحق ولا يعرفون

يعرفون ان الكمال يستحق الربوبية مع ما ظهر فيهما من اثار العبودية ولابن ماجه والحاكم وصحح
اسناده من حديث بسر بن جحاش ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق يوما على كفه ووضع اصبعه
عليها وقال يقول الله ابن ادم انى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه حتى اذا سويتك وعدلتك مشيت
بين بردين وللارض منك وئيد اي رزانة وثقال فجمعت ومنعت حتى اذا بلغت التراقي قلت اتصدق
وانى اوان الصدقة منك ويروى ان مطرف بن عبد الله بن الشخير راى المهلب بن ابي صفرة وهو
يتبختر في جبة خز فقال يا ابا عبد الله هذه مشية يبغضها الله ورسوله فقال له المهلب اما تعرفني
فقال بلى اعرفك اولك نطفة مذرة واخرك جيفة قذرة وتحمل بين ذلك عذرة فمضى المهلب وترك
مشيته وقال مجاهد في قوله تعالى ثم ذهب الى اهله يتمطى اي يتبختر ثم قال عز وعلا ايحسب الانسان
ان يترك سدى الم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى وانه ادرى وبالنظر في انه لو استاذن
للدخول على امير البلدة ربما لا ياذن له اي لحقارته عنده فاي فائدة في عجبه بنفسه والا هو منه
اذل الخدام على باب الملك العلام وقد اذل الله سبحانه حتى يعبده لديه ويثني عليه ويتوجه اليه ويرضى
بركعتيه مع معايبهما وعدم الثواب الجزيل على ادائهما في اقل مراتبهما واحوالهما اي وبالنظر في احوال
النفس الكاملة اي الاتية بغتة بالورود عكسها والوجود لديها كالمحن والشدايد المتوجهة اليها من الفقر
والمرض وساير المصايب فربما يتعجب من تفاوت المراتب اذ رزقه الله عقلا وافقره وافاض على غيره المال
مع كونه جاهلا واقدره فيقول مثلي من قوت يومي وانا الفاضل العاقل وافاض على غيري وهو الجاهل
الغافل حتى كاد يرى هذا ظلما كما يشير اليه قوله عليه السلام كاد الفقر ان يكون كفرا ولا يدري المغرور
بعلمه المغرور في جهله بانه لو جمع له بين العقل والمال جميعا لكان ذلك بالظلم اشبه في ظاهر الحال اذ يقول
الجاهل الفقير يا رب لم جمعت له بين العقل والغنا وحرمتني منهما فهلا جمعتهما لي او هلا رزقتني
احدهما واليه اشار علي كرم الله وجهه حيث قيل له ما بال العقلاء فقراء فقال ان عقل الرجل محسوب
عليه من رزقه والعجب ان العاقل الفقير ربما راى الجاهل الغني احسن حالا من نفسه ولو قيل له هل تؤثر
جهله وغناه عوضا من عقلك وفقرك لامتنع من ذلكم فهذا قال تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم في
الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات الايات وقال عز وعلا كل حزب بما لديهم فرحون
وفي الحديث اللهم قنعني بما رزقتني ولله در القائل رضينا قسمة الجبار فينا لنا علم وللاعدا مال
فان المال يفنى عن قريب وان العلم يبقى لا يزال وقال عز وعلا كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطا
ربك وما كان عطا ربك محظورا اي ممنوعا عن احد من خلقه وقال ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر
انه كان بعباده خبيرا بصيرا فيعلم من يصلح للفقر ومن يصلح للغنا ومن يصلح للجمع بينهما وقد راى النبي
صلى الله عليه وسلم رجلا غنيا جلس بجنبه فقير فانقبض منه وجمع اليه ثيابه فقال عليه السلام اخشيت
ان يعدو عليك فقره رواه احمد وقال ابو ذر كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فقال لي
يا ابا ذر ارفع راسك فرفعت راسي فاذا رجل عليه حلة خلقان فقال يا ابا ذر هذا خير عند الله من قراب

ان يعرض شكر هذا رواه ابن حبان في صحيحه واعمالها اي وبالنظر في اعمال النفس اي من اعمالها
ورايها فتاجر اجير يعمل طول النهار او يحرس ذلك الاجر طول الليل دريهمان اي لو كان الاجر
او لكل منهما فيعلم به ان اعمال العباد انما صارت ذات قيمة لما وقع من الله في موقع الرضا والقبو
ل ان تاجر اجرا اجر المعمول وبه يعرف نقصان كمالها فيضعف حتى يعرف ذلك لها وانما يعطي المال
الخسيس بان يستخدم على الدوام في العمل الشاق من الاعمال في الاخطار كالغوص في البحار وتعليق البنا
من جانب الهوى في جو السماء وانت تصلي ركعتين في غمضة العين بغفوة ما اعطاك الله من النعم الظاهرة
والباطنة وتطمع وعلا كرمه الدرجات الاخرة في الدار الاخرة فتعجب منهما وتستعظمهما وليس هذا
شان العاقل وكرمه تعالى اي وبالنظر الى كرمه ولطفه بالتوفيق اي الاعانة على الطاعة والعبادة
وعلى اي وبو على سبحانه الثواب المخلد اي المؤبد مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر كما ورد في الخبر على بياعة من العمل المعيوب في حد ذاته المخلوط بسائر سيئاته والنظر اي وكرمه
بنظره اليه واقباله عليه وهو غير ذليل فيه مقدار مع جلال اي عظمة الله في جماله الذي عجز العالمون
في ان نبيا ولا وليا عن ادراكه اي ادراك كنه كماله ومعرفته عطف على بالنظر اي ويعلم ان الكمال الدنيوي
من النسب والجمال والقوة والمال وكثرة الانصار من الرجال وكلها لزواله بالموت في ماله كما سبق في حب
الجاه والديني من العلم النافع والعمل الصالح ينافيه اي العجب فالعلم النافع في الدنيا والاخرة ما يزيد
خوفا منه تعالى كما قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وورد انا اعلمكم بالله واخشاكم منه ومن لم يزدد
من العلم نهاية لم يزدد من الله الا بعدا وان عجز غيره اي بغير العلم النافع فقد تعوذ منه عليه السلام
حيث قال اسالك علما نافعا واعوذ بك من علم لا ينفع واعلم ان العلم هو معرفة العبودية فاما ما وراء
ذلك كعلم الطب والحساب واللغة والنحو والشعر وفصل الخطاب وطريق المجادلات فاذا تجرد الانسان
لها حتى امتلا بها كبرا ونفاقا وبهذه العلوم بان تسمى صناعات
اولى من ان تسمى علوما ولا عمل موجود دونه اي بدون العلم فهو اي العلم شرطه اي العمل صحة وكمالا
فلا يستقيم لغيره في جميع امره هذا الكلام منه واحفظ هذا ولا يصلح النسب اي المجرد عن الحسب
للتعويل اي الاعتماد عليه والاستناد اليه فهو تعزز بالغير اي بغيره سبحانه وقد ورد من تعزز بالعبيد
اذله الله ولابي داود والترمذي وحسنه وابن حبان من حديث ابي هريرة ليدعن قوم الفخر باباهم
وقد صاروا فحما في جهنم او ليكونن اهون على الله من الجعلان الذي يدهده بانفه العذرة وفخر
قريش عند سلمان يوما فقال لكني خلقت من نطفة قذرة ثم اعود جيفة منتنة ثم اتي الى الميزان
فان ثقل فانا كريم وان خف فانا لئيم وروى ابن المبارك عن ابي ذر قال قاولت رجلا عند النبي صلى
الله عليه وسلم فقلت له يا ابن السوداء فقال عليه السلام يا ابا ذر طف الصاع اعيرته بامه ليس لابن
بيضاء على ابن سوداء فضل قال ابو ذر فاضطجعت وقلت للرجل قم فطأ على خدي ولله در القائل
شعر لئن فخرت باباء ذوي شرف ... لقد صدقت ولكن بئس ما ولدوا ... وورد في التنزيل قل

فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فمن ثقلت موازينه الآيات يا فاطمة بنت محمد ويا صفية
بنت عبد المطلب اعملا لانفسكما فاني لا اغني اي لا ادفع عنكما شيئا اي من العذاب خاطبهما اي
فاطمة حين نزل قوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين ففي الصحيحين من حديث ابي هريرة وفي
مسلم من حديث عائشة لما نزل قوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين ناداهم بطنا بعد بطن حتى قال
يا فاطمة الحديث وفيه الا ان لكما رحما سابلها ببلالها وللطبراني من حديث عمران بن حصين يا معشر
بني هاشم لا ياتي الناس بالاعمال يوم القيامة وتاتون بالدنيا تحملونها على رقابكم وقال اترجو بهم
شفاعتي ولا يرجوها بنو عبد المطلب الطبراني في الاوسط من حديث عبد الله بن جعفر ولا الجمال اي
ولا يصلح للتعويل الجمال الظاهر المتغير في المال فان عيب ذلك باطن والغلبة من الكمال وكما علمت بالاقذار
الكسبية والرذائل المعنوية وخاليا عن الفضائل العلمية والفواضل العملية وللديلمي والقضاعي عن علي
مرفوعا افة الحلم النسيان وافة الجمال الخيلاء ولا المال لانه سريع الزوال ولا القوة اذ لا حول ولا قوة
الا بالله ثم لو سلبه الذباب شيئا لا يستنقذوه منه وان بقة لو دخلت انفه او نملة دخلت اذنه لقتلته
وان شوكة لو دخلت رجله لاعجزته وان حمى يوم تاخذ من قوته عدة لا ينجبر في مدة مديدة ثم ان
اقوى انسان لا يكون اقوى من حيوان فاي افتخار يرى ارباب العظائم بما يبقى به البهائم وقد حكى الله
عن قوم عاد اذ قالوا من اشد منا قوة اولم يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة وكما اتكل عوج على قوته
واعجب بها فاقتلع جبلا ليطبقه على عسكر موسى عليه السلام فثقب الله تلك القطعة من الجبل حتى صارت
في عنقه كالخرزة وقد ورد ليس الشديد بالصرعة انما الشديد من يملك نفسه عند الغضب ولا كان الا القوة
المحمودة لكن التي تصرف في العبادة التي هي وسيلة للسعادة ولا الاتباع اي الاشياع الملتزمين للاتباع
فقد ورد في التنزيل حتى اذا فرحوا اي فرح بطر بما اوتوا اي من كثرة المال وقوة الحال وغلبة الرجال اخذنا
هم بغتة اي فجاة الاية فاذا هم مبلسون اي ايسون متحيرون وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما
نحن بمعذبين فقال لصاحبه وهو يحاوره اي يخاطبه ويناظره الاية اي انا اكثر منك مالا واعز نفرا حتى
اجابه صاحبه بقوله ان ترن انا اقل منك مالا وولدا فعسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها
حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا او يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا ومن ذلك تكبر قارون وتجبره
كما اخبر سبحانه عنه بقوله فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما اوتي
قارون الايات يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه الاية اي وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شان
يغنيه ولا العمل اي المجرد عن القبول فقد ورد في التنزيل وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وافمن زين له سوء عمله
فراه حسنا وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وبدا لهم سيئات ما عملوا وبالجملة من جوز ان يكون شقيا عند الله
فما له سبيل ان يتكبر على من سواه وبتيسير الله قوله تعالى والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون
اي يؤتون الطاعات ويخافون من عدم قبولها فالكبر دليل الامن والامن مبعد والتواضع دليل الخوف
وهو مسعد ولا العلم اي المجرد عن العمل الظاهر والباطن فان طالع على الذنوب الباطنة صعب والخلاص عنها

بعد ان طلع عليها لا يمكن ان اذا كان لهنا كسب ووهب ومن هنا ورد اشد الناس عذابا يوم
القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه وقد تقدم في الصحيحين يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق
اقتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى فيطيف به اهل النار فيقولون ما لك فيقول كنت امر بالخير ولا اتيه
وانهى عن الشر واتيه وقد مثل الله معلم لا يعمل بالحمار والكلب فقال مثل الذين حملوا التوراة ثم لم
يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا وقال في بلعام بن باعورا واتل عليهم نبا الذي اتيناه اياتنا الى قوله
فمثله كمثل الكلب قال ابن عباس اوتي بلعام كتابا فاخلد الى شهوات الارض اي سكن حبه اليها فمثله
بالكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث اي سوا اتيته الحكمة او لم اوته فلا يدع شهوته وفيه كما كان
بعض الصحابة يقول يا ليتني لم تلدني امي ويا خذ الاخر تبنة من الارض ويقول يا ليتني كنت هذه التبنة
ويقول الاخر يا ليتني كنت طيرا كل ذلك خوفا من خطر العاقبة كما اشار اليه المص بقوله والخاتمة مع هذا مستورة
والروايات بان المدار على الخاتمة مشهورة فينبغي للعالم ان يعلم ان التكبر لا يليق الا بالله وحده وانه
اذا تكبر صار ممقوتا عند الله بغيضا وقد احب الله منه ان يتواضع وقال له ان لك عندي قدرا ما لم تر لنفسك
قدرا واذا نظر الى العاصي فتيسر له ان يتواضع للفسقة والمبتدعة بل للكفرة فكم من مسلم نظر الى عمر بن الخطاب
قبل اسلامه فاستحقره للكفر وقد رزقه الله الايمان وفاق اكثر اهل الاسلام فاذا حق العبد ان يتكبر على
احد بل ان نظر الى جاهل قال انه قد عصى الله بجهل وانا عصيت الله بعلم فهو اعذر مني وان نظر الى عالم
قال قد علم ما لم اعلم وان نظر الى كبير قال قد اطاع الله قبلي وان نظر الى صغير قال قد عصيت الله قبله وان نظر
الى مبتدع او كافر قال ما يدريني لعله يختم له بالاسلام ويختم لي بما هو عليه الآن من سوء الختام فليس دوام
الهداية الي كما لم يكن ابتداؤها الي ومكث ذلك بان يعلم ان الكمال في سعادة الآخرة والقرب من الله في المرتبة الفاخرة
لا فيما يظهر للناس في الدنيا من الامور الفانية والمعصية المستعقبة ندما اي ندامة وحسرة خير من الطاعة
المستعقبة عجبا اي غرورا وغفلة لان ضحك الالهي اي لذات المعصية مع حصول الندامة وبقاء العجب بالطاعة
من غير الملك منه وهو اكبر من كل سيئة في الحكم معصية اورثت ذلا واستصغارا خير من طاعة اورثت عزا واستكبارا دا
وورد ما منكم من احد ينجيه عمله اي من غير قبوله بفضله ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته
متفق عليه من حديث ابي هريرة بهذا وفي الاحيا قد صلى حذيفة بقوم فلما سلم قال لتلتمسن اماما غيري
او لتصلن وحدانا اني رايت في نفسي انه ليس في القوم افضل مني فاذا كان مثل حذيفة لا يسلم من هذا
فكيف يسلم الضعفا من متاخري هذه الامة فما اعز على بسيط الارض عالما يستحق ان يسمى عالما
ثم انه لا يحركه عز العلم وخيلاؤه فان وجد ذلك فهو صديق زمانه فلا ينبغي ان يفارقه بل يكون النظر اليه
من العبادة فضلا عن الاستفادة من انفاسه واحواله ولو عرفنا ذلك ولو في اقصى الصين لسعينا اليه
رجاء ان تشملنا بركته وتسري الينا سيرته وسجيته وهيهات اني يسمح اخر الزمان بمثلهم فهم ارباب الاقبال
واصحاب الدول وقد انقرضوا في القرن الاول ومن يليه من اهل العلم والعمل بل يعز في زماننا عالم يختلج في
نفسه الاسف والحزن والحسرة على فوات هذه الخصلة فذلك ايضا اما معدوم او عزيز ولولا بشارة رسول

الله صلى الله عليه وسلم بقوله ياتي على الناس زمان من تمسك بعشر ما انتم عليه نجا كما رواه الترمذي
من حديث ابي هريرة واحمد عن ابي ذر لكان جديرا بان نقتحم والعياذ بالله ورطة الياس والقنوط
مع ما نحن عليه من سوء اعمالنا ومن لنا بالتمسك بعشر ما كانوا عليه وليتنا تمسكنا بعشر عشره ونسال الله تعالى
ان يعاملنا بما هو اهله وان يستر علينا قبائح اعمالنا كما يقتضيه كرمه وفضله الباب
الثالث عشر في الاخلاص والنية والصدق اي الصدق في الاخلاص الذي هو تصحيح النية وتخليصها
عن الريا والسمعة بسم الله الرحمن الرحيم الذي به يحصل المناص في الدنيا والخلاص في العقبى الاخلاص ص
تجريد النية وهي الارادة المتوسطة بين العلم والعمل ويطلق عليها القصد عن الشوب الذي خلطه
الريا والسمعة او عن شائبة من حظ النفس كلها ومن شوائبها ومحاسبها ان تدعي ترك الدعوى على
التواضع مع ادعائها انها قد بلغت رتبتهم او تتعجب بكمالها حيث تركت جميع الدعوى بالاشتغال
وله مراتب عند اهل المناقب والاعلى اي اعلى مراتب الاخلاص للمولى ارادة وجهه تعالى اي قصد
رضاه في الدنيا والاخرى دون جلب الثواب وخوف العقاب كما قال تعالى يدعون ربهم بالغداة والعشي
يريدون وجهه وقال عز وعلا وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى وقال انما نطعمكم لوجه
الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا وقال فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه
احدا نزلت فيمن يعمل لله ويحب ان يحمد عليه الحاكم من حديث طاوس مرسلا قال [illegible] رجل اني اقف
الموقف ابتغاء وجه الله واحب ان يرى موطني فلم يرد عليه حتى نزلت هذه الاية وللبزار من حديث معاذ
من صام رياء فقد اشرك وفيه انه عليه السلام تلا هذه الاية يعني الرابعة وحقك ما عبدتك خوفا من نارك ولا
طمعا في جنتك الا ابتغاء وجهك ويعرف الاخلاص الاعلى بالتفكر في صفاته وافعاله اي في مصنوعاته والمناجاة ة
مع ربه في جميع اوقاته وقد قال بعضهم في الاخلاص ساعة نجاة الابد ولكن الاخلاص عزيز قال عز وجل
الا لله الدين الخالص وللديلمي حديث معاذ اخلص العمل يجزك منه القليل ولابن عدي من حديث ابي
موسى ما من عبد يخلص لله اربعين يوما الا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وكان معروف الكرخي
يضرب نفسه ويقول يا نفس اخلصي تخلصي وقال يعقوب المكفوف المخلص من يكتم حسناته كما يكتم سيئاته
وقال ابو سليمان طوبى لمن صحت له خطوة واحدة لا يريد بها الا الله تعالى وبشر اليه قوله تعالى وان تك حسنة
يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما ثم ارادة نفع الخلق سوا اراد النجاة من النار او درجات الابرار
فهو حظ النفس اي في الجملة فهو حط عن مرتبة الاحرار ورد في حقيقته اي حقيقة الاخلاص او في تحقيقه في
الاشخاص ان تقول ربي الله ثم تستقيم كما امرت اي ان لا تعبد هواك ونفسك ولا تعبد الا ربك وتستقيم
في عبادته كما امرت باستقامة منه في الاحيا سئل عليه السلام عن الاخلاص فقال ان تقول ربي الله ثم
تستقيم كما امرت قال مخرجه لم اجد بهذا اللفظ وللترمذي وصححه وابن ماجه من حديث سفيان بن عبد الله الثقفي
قلت يا رسول الله حدثني بامر اعتصم به قال قل ربي الله ثم استقم وهو عند مسلم بلفظ قل لي في الاسلام
قولا لا اسال عنه احدا بعدك قال قل امنت بالله ثم استقم والكل مقتبس من قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم

رسخنا مو الايمين ومنه قوله عز وعلا في ستقم كما امرت خالصا الاعمال اي وورد فالحق الاعمال
اي العمل الخالص هو الذي يعمله لله لا يجب ان يحمد عليه ولم اعرف له اصلا في المرفوع نعم ورد عن
عيسى عليه السلام انه قال الحواريون ما الخالص من الاعمال قال الذي يعمل العمل لله لا يحب ان يحمده عليه
احد وهذا المعنى هو سبب نزول الاية السابقة فلا تقدم ولا يبعد ان تكون الجملة من مبتدا وخبر في تعريف
الاخلاص ويكون معترضة وقد قال بعضهم كنت تصدقت بصدقة بين الناس فما يعجبني نظرهم الى فوجدته
لا على ولا لي قال سفيان لما سمع هذا ما احسن حاله لديه اذ لم يكن عليه فقد احسن اليه وقال يحيى بن معاذ
الاخلاص تمييز العمل من العيوب كتمييز اللبن من الفرث والدم وقال سهل الاخلاص ان يكون سكون العبد
وحركته لله خاصة قال السوسي الاخلاص فقد رؤية الاخلاص لا ان من يشاهد في اخلاصه الاخلاص
فقد احتاج في اخلاصه الى اخلاص والمتاخرين يشير قوله تعالى الا عبادك منهم المخلصين بكسر اللام وفتحها
وقال رويم الاخلاص في العمل هو ان لا يريد صاحبه عليه عوضا في الدارين وقيل لسهل اي شيء اشد على
النفس فقال الاخلاص اذ ليس لها فيه نصيب وقال ابو عثمان الاخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر
الى الحق وقيل الاخلاص ما استتر عن الخلائق وصفا عن العلائق وقال الجنيد الاخلاص تصفية الاعمال
من كدورات الاحوال وقال الفضيل ترك العمل لاجل الناس رياء والعمل لاجل الناس شرك والاخلاص ان
يعافيك الله عنهما وهذا افضل ما قيل في هذا الباب وفي فضله اي وورد في فضل الاخلاص في التنزيل وما
امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين فتقييد العبادة بالاخلاص يشير الى فضله الخاص من الاخلاص ومنه
وورد في الحديث القدسي والكلام الانسي الاخلاص سر من سري استودعه قلب من احببت من عبادي رواه
القشيري في رسالته من حديث علي كرم الله وجهه واصله اي اصل الاخلاص النية اي تصحيحها وتحسينها
وهي اي النية الارادة الباعثة اي الداعية للاعمال المنبعثة اي تلك النية عن المعرفة بالاحوال فمعنى الارادة
انبعاث القلب الى ما تراه موافقا لغرضه المعروف بعوضه اما في الحال واما في المال كشهوة الطعام الى صلته
من المعرفة بتحققه اي الطعام ودفعه اي دفع المعرفة برفع الطعام الجوع الباعثة بالجرعة بعد صفة للشهوة
اي الداعية لامتداد اليد اليه فان امتداد اليد الى الطعام انما يكون بعد المعرفة بتحقق الطعام وبانه دافع
للجوع عن الانام فلا تدخل اي النية تحت الاختيار لانها الارادة انزوال فقد لا يدخل تحت الاختيار
بل الداخل تحت الاختيار انما هو الموثر وتوضيحه ان كل عمل اختياري فانه لا يتم الا بثلاثة امور علم
وارادة وقدرة لانه لا يريد الانسان ما لا يعلمه فلا بد ان يعلم ولا يعمل ما لم يرد فلا بد من الارادة بعد ضعف
الانسان بحيث يوافقه بعض الامور يلائم غرضه ويخالفه بعض الامور وينافيه فاحتاج الى جلب الملائم
الموافق لغلبة الهيم فمن وطئ المراة لغلبة الشهوة عليه في تلك الحالة اي ينفعه قوله الحسي اي اللساني او
النفسي اي الجناني نويت به اي بالوطء اقامة السنة وتكثير الامة ومن هنا ورد الشرك اخفى في قلب ابن ادم من
دبيب النملة السوداء في الظلمة الظلماء على الصخرة الصماء رواه احمد وغيره ولهذا امتنع جماعة من السلف من جملة
الطاعات اذا لم يحضرهم تصحيح النيات لعلمهم بان النية روح العمل وان العمل بغير نية صادقة ريا وتكلف

وتكلف وهو سبب مقت لا باعث قرب حتى ان ابن سيرين لم يصل على جنازة الحسن البصري وقال
ليس تحضرني نية ومات حماد بن ابي سليمان وكان من اكابر علماء الكوفة وشيخ ابي حنيفة فقيل للثوري
الا تشهد جنازته فقال لو كان لي نية لفعلت وكانوا اذا سئلوا عملا من اعمال البر قالوا ان رزقنا الله
تعالى نية فعلنا ذلك وحكي ان داود بن المحبر صنف كتاب العقل فجاءه احمد بن حنبل فطلبه منه فنظر فيه احمد
صفحة فرده فقال له ما لك قال فيه اسانيد ضعاف فقال داود انا لم اخرجه على الاسانيد فانظر فيه بعين
الخبير انما نظرت فيه بعين العمل فانتفعت قال احمد فرده علي حتى انظر فيه بالعين التي نظرت بها اليه
فاخذه ومكث عنده طويلا ثم قال جزاك الله خيرا فقد انتفعت به وقال بعضهم انا في طلب لعيادة رجل منذ شهر
ما صحت لي بعد وقال عيسى بن كثير مشيت مع ميمون بن مهران فلما انتهى الى باب داره انصرفت
فقال له ابنه الا تعرض عليه العشاء فقال ليس من نيتي ومحل اي النية احد جزئي العبادة اي ركنيها النية
والعمل فهي اي العبادة تتوقف عليها اي على النية توقفها اي مثل توقف النية على العمل لان العبادة بدون
النية لا تسمى عبادة وورد اي في الصحيحين من الروايات الاعمال بالنيات اي معتبرة بها في جميع الحالات
ولكل امرئ ما نوى اي من الخير والشر في الباحات وتمامه فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله
ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها او امراة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه وخيرهما اي والنية افضل
جزئي العبادة لورود نية المؤمن خير من عمله رواه البيهقي في الشعب عن انس به مرفوعا وذلك لان النية
عمل السر ولا رياء فيها والعمل يخالطه الرياء ولانها تمتد الى ما لا نهاية له والعمل محصور في محصوله ولانها
بانفرادها قد تصير عبادة يترتب عليها الثواب بخلاف اعمال الجوارح فانها انما تكون عبادة اذا صاحبته
النية لحديث من هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة متفق عليه ولانها تبقى بخلاف العمل ولذا
قيل الخلود في الجنة والنار بحسب النية ولان مكانها مكان المعرفة اعني قلب المؤمن قال سهل ما خلق الله تعالى
مكانا اعز واشرف عنده من قلب عبده المؤمن وما اعطى كرامة للخلق اعز عنده من معرفته بمحل الاعز في
الاعز فيما نشاهده ان اعز الامكنة يكون اعزها منشا من غيره قال سهل قدس سره فنفس عبد اشتغل بالمكان
الذي هو اعز الامكنة عنده تعالى بغير معرفته سبحانه وفي خبر انا عند المنكسرة قلوبهم والمندرسة قبورهم وما
وسعني ارضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن اشعار بذلك وقيل نية المؤمن خير من عمله وعمل المنافق
خير من نيته ومعنى نية المؤمن خير من عمله بغير نية ثم قيل للقلب عمل لان النية والندامة فالنية تجعل المعدوم موجودا
والندم يجعل العصيان الموجود معدوما وبما ورد في نفع النية بدون العمل حديث انس ان بالمدينة اقواما
ما قطعنا واديا ولا وطئنا موطئا يغيظ الكفار ولا انفقنا نفقة ولا اصابتنا مخمصة الا شركونا في ذلك
وهم بالمدينة قالوا وكيف ذلك يا رسول الله وليسوا معنا قال حبسهم العذر فشركونا بحسن النية البخاري مختصرا
وابو داود وبتوقف اي ولتوقف نفع العمل اي تاثيره طاعة او معصية عليها اي النية دون العكس اذ لا يتوقف
نفع النية على وجود عمل مورد في المقاتلين اي في حقهما ان القاتل والمقتول في النار وبين اي النبي عليه السلام
علة المقتول اي في دخول النار انه قصد الريا كذا في النسخ والظاهر انه قصد قتل اخيه ان دفعه عن نفسه واراد

بيته م

بالقاتل الكافر وبالمقتول المسلم المرائي ويؤيد ما ذكرناه حديث الصنف عن ابي بكرة اذا التقى المسلمان
بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قالوا يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال انه اراد قتل
صاحبه متفق عليه ولابن ابي الدنيا من حديث عمر انما يبعث المقتتلون على النيات ولمسلم من حديث
جابر يبعث كل عبد على ما مات عليه ويؤيد ما في الاصل حديث اكثر شهداء امتي اصحاب الفرش ورب قتيل
بين الصفين الله اعلم بنيته احمد من حديث ابن مسعود ورفيق اي وورد فيمن تمنى ان لو اصاب
مالا ينفق في المعصية اي معتقد انه شريك المنفق فيها اي في المعصية صفيقة في الوزر اي فهما في الوزر
سوا ومفهومه ان لو اصاب مالا ينفق في الطاعة انه شريك المنفق فيها فهما في الاجر سوا فقد ورد
الناس اربعة رجل اتاه الله علما ومالا فهو يعمل بعلمه فيقول رجل لو اتاني الله كما اتاه لعملت كما يعمل
فهما في الاجر سوا ورجل اتاه الله مالا ولم يؤته علما فهو يخبط بجهله في ماله فيقول رجل لو اتاني الله مثل
ما اتاه لفعلت كما يعمل فهما في الوزر سوا ابن ماجه والترمذي وكون الشراب اي وكلما شرب المعجون
لعلاج المعدة انفع من الطلا على الصدر لسرعة تاثير الاول وبطوء الثاني في العمل وجه كونه علة تمثيل
الشراب الداخل في المعدة بالنية الداخلة في القلب من حيث انهما من الامور الباطنة ولمشابهة الطلا الظاهر
على الصدر بالعمل الظاهر على الجوارح من حيث انهما من الامور الظاهرة بل اضراب عن قوله وجريها كلي
اي النية هو ان حكمها سواء في الفريح لكون المقصود من العمل تاثر القلب بالميل الى الله تعالى عن الفراق عما
سوى الرب وذلك التاثر بالميل الى الله تعالى حاصل بالنية دون مجرد العمل فهي الاصل فورد في التنزيل لن
ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم والتقوى انما تكون في القلب كما قال عليه السلام التقوى
هاهنا واشار الى صدره وفي البخاري ان الله لا ينظر الى صوركم ولا اعمالكم ولكن ينظر الى قلوبكم
ونياتكم وو وقع ان جامع على ظنه الحي مع امراته على قصد انها غيرها اي غير امراته بخلاف الحي مع غيرها
اي غير امراته على قصد انها هي اي امراته ولاحمد من حديث صهيب من تزوج امراة على صداق وهو لا ينوي ب
اداه فهو زان وانه المصلي وان جامع على ظنه المصلي المتوضي على ظن انه محدث بخلاف المحدث
اي المصلي على ظن انه متوضي وهي اي النية التي هي من القصد اما واحد وهو الخالص عن المشاركة كالقيام م
لله كرامه اكرام المسلم حال السلام من غير نظر الى ساير اوصافه التي مر واما متعدد كالتصدق للفقر
والقرابة ونحوهما من استحقاق الصدقة فاما اي ثم المتعدد اما ان يستقل كل شي الى من المقصود بنفسه عند انفراده
مر باعث العطاء ويعرف بعدم ان يستقل المذكور بان متابع اي بامتنع النية من القصد عند انفراد احد من
المقاصد اي عن ان يخرج لو لم يعطي الغني القريب لمجرد قرابته وان الفقير الاجنبي لمجرد فقره وعند الاجتماع
لا يمتنع عن العمل فيعطي الفقير القريب او يستقل كل من المقصود متساويا بان يكون كل واحد على التقدير
او متفاوتا في مراتب او مناقب الاستقلال فيكون بعضها مستقلا وبعضها لا يكون مستقل القصد كقوة
فرضه المصلي عند حضور الناس اي لمجرد باعث الرياء وهو الغرض في قول الصم مع انه لو لم يرج الثواب لما صلى
وتوضيحه ان يكون للانسان ورد في الصلوات وعادة في الصدقات فاتفق ان حضر في وقتها جماعة من الناس فصار

الفعل احق عليه بسبب مشاهدتهم وعلم من نفسه انه لو كان منفردا لم يفتر عن الصلاة وعلم ان
عمله لو لم يكن طاعة لم يكن مجرد الريا يحمله فهو مشوب بطرق الى النية ويشوش في تحسين الطوية
ويتعدد الجزا اي الثواب بتعددها اي بمقدار تعدد النية خيرا كان المتعدد في النية كالدخول في المسجد
اي مسجد كان للزيارة اي لزيارة بيت الله اذ اضافه الله فيه نفسه عليه السلام من قعد في المسجد فقد
زار الله تعالى وحق على المزور اكرام زايره ابن حبان من حديث سلمان وفي الصحيحين من حديث ابي
هريرة من غدا الى المسجد او راح اعد الله له الجنة نزلا كلما غدا او راح والتنظار الصلاة اي انتظارها
بالجماعة في وقتها وقد عد من الرباط في قوله تعالى ورابطوا وفي الخبر انتظار الصلاة صلاة والاعتكاف
وهو من جملة العبادات الفاضلة وتسكن مستحبة نافلة واخرى سنة مؤكدة كاملة وان كان بمكة فزيادة الطواف
وان كان بالمدينة فزيادة الزيارة للنبوية بلا خلاف والانزواء اي الاعتزال عن الاشتغال بالسوي
والتجرد للذكر من التهليل والتمجيد والتحميد والثنا وترك الذنوب ولو كان من باب الحيا فان من العصمة
ان لا تقدر على الجفا او ترك اي او كان المتعدد شرا كالقعود فيه اي في المسجد للتحدث بالباطل من كلام
الدنيا في المسجد يبطل الحسنات في العقبى ومن حفظ الناس ومطالعة المرد ان يعين الاشتياق والمناظرة للمباهات ه
اي المفاخرة والمراياة اي الميل للسمعة والريا وكذا القصد للتنزه في لطيف القرآن وسماع ما فيه من الذكر والشعر
المشابه بمجلس السمرا وكذلك ضربها اي نيته الخير المباح عبادة كالتطيب الذي في اصله مباح بوقوعه يوم
الجمعة اقامة للسنة وتعظيم المسجد فقد قال تعالى وطهر بيتي فيكر معناه نحو واليوم اي تعظيمه فانه افضل
ايام الاسبوع بلا خلاف وقيل افضل الايام مطلقا وهو عيد المومنين وحج المساكين ودفع الاذية
بالنتن اي الريح الخبيثة عن نفسه ويحترز عن ايذا الملائكة والحاضرين في وقته والاستدراك بالعرق بفتح
اي وتعزيز من يجنبه بالريح الطيبة وسد باب الغيبة بالروائح الكريهة وربما نقصه اي النية المباح من
نقصها اي نيته المباح بالنية افضل من العبادة المحضة كالترفه اي التنعم والاستراحة بنومه قليله نحو قيلوله له
او دعابة اي مزاح ومطايبة مباحة لترد نشاط الصلاة افضل منها اي من الصلاة في الملل الماني حال
الكسالة فعن ابي الدردا اني لاستجم نفسي باللهو ليكون ذلك عونا على الحق وتويد قول ابي مدين رحمه الله
لا تنكر الباطل في طوره فانه بعض ظهوراته وقال علي رضي الله عنه روحوا القلوب ساعة فساعة
فانها اذا كرهت عميت ومن كما صوم الصوم في بعض الاوقات وكذا الصلوات في الازمنة المكروهات
وشرها اي يجعل شر النية المباح معصية كالتطيب المباح في اصله للتفاخر بالتظاهر اي التزوج الى الغنا والنعمة
على وجه الكبر فانه يصير معصية ففي الخبر من تطيب لله جا يوم القيامة وريحه اطيب من المسك ومن تطيب لغير الله
جا يوم القيامة وريحه انتن من الجيفة ابو الوليد الصفار مرسلا والتزين اي وكالتزين المباح في اصله
للريا فانه معصية كما انه للعبادة طاعة لقوله تعالى يا بني ادم خذوا زينتكم عند كل مسجد وللطالب المباح
جيد من حديث ابن مسعود من هاجر يبتغي شيئا فهو له فهاجر رجل فتزوج امراة منا فكان يسمى مهاجر ام قيس
للنسائي من حديث عبادة بن الصامت من غزا وهو لا ينوي الا عقالا فله ما نوى ولابي داود باسناد جيد

من حديث يعلى بن امية انه استاجر اجيرا للغزو وسمى له ثلثة دنانير فقال عليه السلام ما اجد له في غزوته
هذه في الدنيا والآخرة الا دنانيره التي سمى وقال بعض السلف رب عمل صغير تعظمه النية ورب عمل كبير
تصغره النية وقال داود الطائي من كان اكثر همته التقوى فلو تعلقت جميع جوارحه بالدنيا لردته نيته يوما
الى نية صالحة وكذا الجاهل بعكس ذلك وقال ابو هريرة مكتوب في التوراة ما اريد به وجهي فقليله كثير وما
اريد به غير وجهي فكثيره قليل وكان الفضيل بن عياض اذا قرأ ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم
والصابرين ونبلوا اخباركم يبكي ويردده ويقول انك ان بلوتنا فضحتنا وهتكت استارنا ولا تؤثر
النية في الحرام فلا يباح شرب الخمر لموافقة الاخوان ولا لموافقة حكام الزمان فقد ورد لا طاعة لمخلوق
في معصية الخالق وكالذي يغتاب انسانا مراعاة لقلب غيره او يطعم فقيرا من مال ظلمه او يبني مسجدا
او مدرسة او رباطا ونحوه بمال حرام وقصد الخير به ومن هنا قال سهل ما عصي الله بمعصية اعظم من الجهل
قيل يا ابا محمد هل تعرف شيئا اشد من الجهل قال نعم الجهل بالجهل ويسمى هذا الجهل المركب وكذا القصد بطلب
الله به العلم ومدارس العلم العلم بالعلم فان منه ان يعلم العلم النافع من العلم الضار ان يشتغل بما اكب عليه الناس
من العلوم المزخرفة التي هي شبكة يكبهم الى الدنيا وذلك هو مادة الجهل ومنبع فساد العلم والمقصود ان من
قصد الخير بمعصية عن جهل فهو غير معذور قال الله تعالى فسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وقال عليه السلام
لا يعذر الجاهل على الجهل ولا يحل للجاهل ان يسكت على جهله ولا للعالم ان يسكت على علمه كما رواه
الطبراني في الاوسط من حديث جابر ثم لا يجوز امداد المتعلم بنوع علم يتمكن به من الوصول الى شهواته
والحصول في مقام رياسته فلم يزل اهل السلف يتفقدون احوال من يتردد اليهم فاذا رأوا منه تقصيرا
في نفل من النوافل انكروه ولم يكرموه واذا رأوا منه فجورا هجروه ونفوه عن مجالستهم وتركوا تكليمه
فضلا عن تعليمه لعلمهم ان من يعلم مسئلة ولم يعمل بها فليس يطلب الا آلة الشر وقد تعوذ جميع السلف
بالله من الفاجر العليم باللسان وكانوا يتعوذون من الفاجر الجاهل وقد هجر احمد بعض اصحابه الملازم له سنين
بان طين حائطه من الماء من الطريق قدر سمك الطين ولا تحذر ان الشيطان لا يسلم منه احد الا
من دق في نظره وسعد بعصمة الله وقدرته وتحفظ من خطرته والا فالعدو ملازم للمشتغلين بعبادة الله
لا يغفل عنهم لحظة حتى يحملهم على الرياء في سكون او حركة حتى في كحل العين وقص الشارب ونحوهما مما هو عون
العبادة ولذا قال تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير
وقال عز وعلا حكاية عنه انه قال فبما اغويتني لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن
خلفهم اي من امور الدنيا والآخرة وعن ايمانهم وعن شمائلهم اي من طرق الحسنات والسيئات ولا تجد اكثرهم
شاكرين ولهذا قيل ركعتان من عالم افضل من عبادة الفاسق من جاهل وقال في الخبر لفقيه واحد اشد على
الشيطان من الف عابد وكماله اي كمال الاخلاص حصول الصدق في نيته وقوله وعمله فمن جمع له هذا يكون
صديقا مبالغة الصادق ومراتب فهو صادق اضافي عند ذوي الحقائق والدقائق ويدل عليه حديث ان الرجل
ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا متفق عليه فورد في التنزيل واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا اي

اي قبل النبوة نبيا اي مخبرا عن الله حال الرسالة ثم الصدق لا ينافي المعاريض العادلة عن المخبر عنه
ثلث كذبات بجواز فقال ان الجرة بمعانيها لا بمبانيها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا توجه
في سفر ورى بغيره كما في الصحيحين من حديث كعب بن مالك وذلك كيلا ينتهي الخبر الى العدو وقد ورد في
الصحيحين ايضا من حديث ام كلثوم ليس بكذاب من اصلح بين اثنين فقال خيرا او نمى خيرا ورخص في النطق
على وفق المصلحة في ثلثة مواضع من اصلح بين اثنين ومن كان له زوجتان ومن كان في مصالح الحرب
فالصدق كما هنا يتحول من القول الى النية فلا يراعى فيه الا صدق الطوية فمهما صدقت نيته وتجردت
للخير ارادته كان صادقا وصديقا كيف ما كان لفظه توفيقا الا ان الرجل اي ورد في الحديث ان الرجل
ليصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا وادنى رتبة اي اقل مراتب الصدق في القول مع الخالق
في كل حال من الامن والخوف والنفع والضر والرضا والغضب والكمال ايه وكمال الصدق في القول ترك
المعاريض حذرا عن تفهيم غير الحق وكسب القلب صورة كاذبة الا ان الضرورات تبيح المحظورات
وقد ورد ان في المعاريض لمندوحة عن الكذب وقد حكي عن بعضهم انه كان يطلبه بعض الظلمة وهو في
داره فقال لزوجته خطي باصبعك دائرة وضعي الاصبع في الدائرة وقولي ليس هو هاهنا ورعاية اي مراعاة
العبد الصدق معه اي مع الحق تعالى في قال وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وكان
في قلبه سواه واياك نعبد اي نخصك بالعبادة ومن هو عبد الدنيا فهو كاذب في دعواه اختصاص عبادة
مولاه فان قلبه اذا كان منصرفا عن الله مشغولا باماني الدنيا وشهواتها فهو كاذب في دعواه وعين
كاذب بين يدي مولاه ان بهذه الآية اي اياك نعبد واياك نستعين امر من الله لما قرأها لعدم صدق فيه
وروي ان العبد اذا قرأ هذه الآية يقول الله له كذبت لو كنت اياي تعبد لم تطع غيري ولم تلتفت الى سواي
ولو كنت بي تستعين لم ترفع حوائجك الى ذليل مثلك ولم تكن الى كد كسبك وكقوله انا عبد الله ان اتصف
بحقيقة العبودية ومن كان له مطلب سوى الله لم يكن كلامه صادقا ولو طولب يوم القيامة بالصدق في قوله
انا عبد الله لعجز عن تحقيقه لانه ان كان عبد النفسه او عبدا للدنيا او عبد الشهوات لم يكن صادقا
في قوله وكل ما تقيد العبد به فهو عبد له كما قال عيسى عليه السلام يا عبيد الدنيا وقال نبينا صلى الله عليه وسلم
تعس عبد الدينار وتعس عبد الدرهم وتعس عبد الخميصة رواه البخاري وانما العبد الحق لله من اعتق اولا نفسه
عن غير الله فصار حرا مطلقا فاذا تقدمت هذه الحرية صار القلب فارغا فحلت فيه العبودية لله فيشغله
بالله وبمحبته ويقيد ظاهره وباطنه بطاعته وعبادته فلا يكون له مراد الا الله تعالى ثم تجاوز هذا الى
مقام اسنى منه يسمى الحرية وهو ان يعتق ايضا عن ارادته لله من حيث هو هو بل يقنع بما يريد الله له من تقريب
او تبعيد كما قال اريد وصاله ويريد هجري فاترك ما اريد لما يريد وهذا عبد عتق عن غير الله فصار حرا
ثم عاد وعتق عن نفسه وصار حرا عن نفسه وصار مفقودا لنفسه موجودا لسيده ومولاه ان حركه تحرك وان
سكنه سكن وان ابتلاه رضي ولم يبق فيه متسع لطلب والتماس واغراض واعواض بل هو بين يدي الله
كالميت بين يدي الغاسل وهذا منتهى الصدق في العبودية وحق ما تقتضيه الربوبية وهذا عزيز الوجود في

منن دائرة الشهود فقد مثل التمني على الزمان محال ٭ ان ترى مقلتاي طلعة حر ٭ ثم في النية اي ثم
اعلى منه الصدق في القول الصدق في النية بتخليصها اي تخليصها لله تعالى فلا تشوب اي الخلط بغيره في
النية بنيته بهذا المقام من الاخلاص او الصدق يقال هذا صادق الحلاوة اي محضها يعني خالصها
ثم في العزم اي ثم الصدق في العزم اعلى مما ذكر وهو جزم قوي على الخير اي فعله وجزم على ترك الشر كالتصد قا
عن العدل ان قال كان او ولاية وتوضيحه ان الانسان قد يعزم على العمل فيقول في نفسه ان رزقني
الله مالا تصدقت بجميعه او بشطره وان اعطاني الله ولاية عدلت فيها ولم اعص الله بظلم وميل
عن الحق الى الخلق وهو قد يكون صادقا وقد يكون كاذبا في جزمه ومن الاول قول عمر رضي الله عنه في عزمه صح
لان اقدم فيضرب عنقي في غير حد احب الي من ان اتأمر على قوم فيهم ابو بكر اللهم الا ان تسول لي نفسي
عند القتل شيئا لا اجده الآن لانه لم يامن ان يشتغل عليها ذلك فتتغير عن عزمها اشار بذلك الى شدة
الوفا بالعزم ومن الثاني قول من بعد رجال ان خرجا على ملأ من الناس متودعين فقال ان لئن رزقنا الله
مالا لنصدقن فرزقهما الله فبخلا به فنزلت ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن ولنكونن ن
من الصالحين الآية ثم في الوفا اي ثم الصدق في الوفا اقوى مما ذكر فالنفس قد تسخو اي تسخي بالعزم
عند البيان وتتوانى اي تتأخر وتتباعد بالوفا عند الامتحان وورد في التنزيل رجال صدقوا ما عاهدوا
الله عليه وقد وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على مصعب بن عمير وقد سقط على وجهه يوم احد شهيدا
وكان صاحب لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام من رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه رواه
ابو نعيم في الحلية وفي البخاري مجملا ان هذه الآية نزلت في انس بن النضر وفي الترمذي وقال حسن صحيح عن
انس ان عمه انس بن النضر لم يشهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فشق ذلك على قلبه وقال اول
مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لئن اراني الله مشهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليرين الله ما اصنع فشهد احدا من العام القابل فاستقبله سعد بن معاذ فقال يا ابا عمرو الى اين فقال واها
لريح الجنة اني اجدها دون احد فقاتل حتى قتل فوجد في جسده بضع وثمانون ما بين ضربة ورمية وطعنة
فقالت بنت النضر اخته ما عرفته الا ببنانه ونزلت هذه الآية رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم
من قضى نحبه اي نذره ثم في العمل اي ثم الصدق في العمل اعلى وهو اي الصدق في العمل تسوية السر والعلانية
بان يكون باطنه مثل ظاهره وظاهره مثل باطنه ولذا قال عيسى عليه السلام اللهم اجعل سريرتي
خيرا من علانيتي واجعل علانيتي صالحة وقال يزيد بن الحارث اذا استوت سريرة العبد وعلانيته
فذلك النصف اي العدل وان كانت سريرته افضل من علانيته فذلك الفضل وان كانت علانيته
افضل من سريرته فذلك الجور والخطل وانشدوا اذا السر والاعلان في المؤمن استوى ٭ فقد عز في الدارين
واستوجب الثنا ٭ فان خالف الاعلان سرا فما له ٭ على سعيه فضل سوى الكد والعنا ٭
٭ كما خالص الدينار في السوق نافق ٭ ومغشوشه المردود لا يقتضي المنى ٭
وقال معاوية بن قرة من يدلني على بكاء بالليل بسام بالنهار وكان ابو عبد الرحمن الزاهد يقول

يقول اللهم عاملت الناس فيما بيني وبينهم بالامانة وعاملتك فيما بيني وبينك بالخيانة ثم يبكي على هذه
بخمسين سنة وقد يدغم وفي نسخة على هدء بفتح فسكون ومعناهما على سكون في الظاهر ان خلا ان ظن
انها باطل الا شيء عن الوقار اي السكون والثبوت غير صادق فيما بينه من الاطمئنان ومر فيها اي في
حق الصادق في العمل ان يكون سريرته خيرا من العلانية اي علانيته واوحى الله تعالى الى داود عليه السلام
من صدقني في سريرته صدقته عند المخلوقين في علانيته ثم اي ثم الصدق في مقامات الدين من احوال اهل
اليقين اعلى من الخوف اي صدقه فيه بتحقق بصفرة الوجه وقلق الباطن اي اضطرابه في الحالات
وترك المعاصي والملذات اي الماكل والشهوات التي فيها الشبهات وراتبة الطاعات في انواع العبادات
وعلى هذا القياس الى غيره اي غير الخوف من سائر المقامات كالرضا فهو بعدم الحزن لفوت شيء من
الجاه والمال والنفس والاولاد والاخوان ونحوها من الرجال وعدم الشكاية الى المخلوقين في جميع الاحوال ل
فالصديق المطلق هو المتصف بالجميع اي بجميع انواع الصدق عند الكل الخلق وقال بشر بن الحارث
من عامل الله بالصدق استوحش من الخلق وقال ابو سليمان اجعل الصدق مطيتك والحق سيفك والله
غاية طلبك وقال رجل لحكيم ما رأيت صادقا فقال لو كنت صادقا لعرفت الصادقين وروي في قوله تعالى
اتقوا الله وكونوا مع الصادقين وقال الثوري في قوله تعالى ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم
مسودة قال هم الذين ادعوا محبة الله تعالى ولم يكونوا فيها صادقين وقال محمد بن سعيد المروزي اذا
طلبت الله تعالى بالصدق اتاك الله تعالى مرآة بيدك حتى تبصر كل شيء من عجائب الدنيا والآخرة وقال
ابو بكر الوراق احفظ الصدق فيما بينك وبين الحق والرفق فيما بينك وبين الخلق وقيل لذي النون
هل للعبد الى صلاح اموره سبيل فقال ٭ قد بقينا مذبذبين حيارى ٭ نطلب الصدق ما اليه سبيل ٭
٭ فدعاوى الهوى تخف علينا ٭ وخلاف الهوى علينا ثقيل ٭
وعن الجنيد في قوله تعالى ليسأل الصادقين عن صدقهم قال يسأل الصادقين عند انفسهم عن صدقهم
عند ربهم وهذا امر على خطر عظيم وضده صفتهم وضده اي الاخلاص الريا اي رؤية الخلق وفي معناه السمعة
وان كان في اصل المادة فرقا بينهما فان الريا مشتق من الرؤية والسمعة من السماع في الصحيحين من حديث
جندب بن عبد الله من رآى رآى الله به ومن سمع سمع الله به وللطبراني من حديث ابن عمر بلفظ من سمع الناس
سمع الله به مسامع خلقه وصغره وكذا لاحمد وابن المبارك وابن منيع من حديث ابن عمر وهو اي الريا
طلب المنزلة اي الوجاهة والمرتبة بالرؤية او السمعة عند غيره تعالى بالعبادة اي الاعمال والامور المباحة
على وفق العادة وهو حرام لقوله تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤون
وقوله والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد قال مجاهد هم اهل الريا وروى احمد والبيهقي في الشعب من
حديث محمود بن لبيد عن رافع بن خديج ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر
يا رسول الله قال الريا يقول الله عز وجل يوم القيامة اذا جازى العباد باعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراؤون
في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء فيختص الريا بعمل الظاهر اي بما يتعلق به الرؤية او السماع وذكر

لا مكان نظر الخلق اليه واطلاعهم عليه دون عمل الباطن فانه لا رياء فيه قال عكرمة ان الله يعطي
العبد على نيته ما لا يعطيه على عمله لان النية لا رياء فيها اما نحو قصد الحمية اي الاحتماء بترك ما يضر من
الاكل في الصوم مع قصد التقرب والتبرد اي وقصد تبرد الاعضاء في الوضوء وكذا قصد النظافة فيه وفي
الغسل مع التقرب والتفرج اي وقصد طلب الفرج والخلاص من الهم والغم بالتنزه والتوحش اي الملالة
عن الاهل اي القرابة او الاهل القريبة صداقة او عداوة وكذا قصد صحة المزاج في السفر والتجارة اي وقصد
في الحج اي اداءه مع التقرب والخلاص من اليه مقرون عن المؤنة اي مؤنة نفقة المملوك وسوء الخلق من المالك او
المملوك من جهة التزين في العتق اي عتق عبد او جارية فغيره اي فغير الرياء بالعلم بتعلق نظر الخلق اليه
ويفوت به اي بقصد المذكورات الاخلاص من تلك العبادات لان فيه شوب نفع نفسه وحظ النفس والاخلاص
تجريد النية عن شوب الارادة النفسية ويكون الرياء بالبدن اي من جهة البدن باظهار الخشوع والاثار
الحزن والهيئة اي السمت الصالح والزي اي لبس الصلحاء والقول اي نقل كلام الاولياء والعمل اي واعمال
الصلحاء وغيرها كالمال والاتباع والثوب وانواع الاستمتاع كاظهار النحول بهذا وما بعده نشر لف
المتقدم مرتبا والمراد بالنحول ضعف البدن في مشيه وصوته ونظره ليوهم بذلك شدة الاجتهاد في العبادة
وكثرة الحزن على امر الدين وغلبة خوف الاخرة وليدل بالنحول على قلة الاكل وبالصفار على سهر الليل
وكذا بتشعث الشعر ليشعر على استغراقه في الامر ولذا قال عيسى عليه السلام اذا صام احدكم فليدهن
راسه ولحيته ويمسح شفته ويرجل شعره ويكحل عينه وكذا روي عن ابي هريرة وكذا قال ابن مسعود اصبحوا
صياما مدهنين والابقاء اثر السجود على الجبهة واطراق الراس في المشية والهدو في الحركة ولبس الصوف
وغلظ الثياب وتشميرها الى قريب الساق وقصر الاكمام وترك تنظيف الثوب وتركه مخرقا من غير
ترقيع ومنه التقنع بالازار فوق العمامة ونحوها وقد يلبس الاصواف الرفيعة في الاصناف المنيعة اذ لا يمكن
يدخل عند الاغنياء او على الامراء فيه ثوبه قيمة ثوب الاغنياء ولونه وهيئته لون ثياب الصلحاء
فيلتمس القبول عند الفريقين في مقام الرياء ولو كلف ان يلبس ثوبا وسطا نظيفا مما كان السلف
يلبسه لكان عنده بمنزلة الذبح والوعظ اي التذكير والنصح والنطق بالنوائح الحكمة وحفظ الاخبار
والاثار لاجل المجادلة وتحريك الشفتين بمحضر الناس وامثالها وتطويل الصلاة بطول القيام والركوع
والسجود واطراق الراس وترك الالتفات وتسوية القدمين واليدين وكذا في الصوم والزكاة والحج
وساير العبادات وبقية المعاملات وكثرة التلامذة للعلماء والمريدين للصلحاء وكثرة الزائرين من
الاجانب والاقرباء وما يشبهها اي والرياء الذي طلب بغير العبادة ككثرة الاموال والنصاب من الرجال
وحفظ الاشعار مخارج عن حد الرياء كالاستقبال تعريفه فمع ان يحرم طلب تلك المنزلة اذا لم يؤد الى رذيلة
اي خصلة مذمومة كالتكبر على الناس كما سبق في الجاه اي في فصل وهو قوله لمن لا يكن حراما اي فلا يجاهر اقسام
ان كان بارتكاب ذنب كالكذب وكما ايضه كذلك وكذا التزين الاستمالة قلوب الاخوان حال
ملاقاتهم والنبي عليه السلام منه عن ميل منهم والمعنى ان تحسين الثوب الذي يلبسه الانسان عند الخروج

الخروج الى الناس مراياة ليس بحرام لانه ليس رياء بالعبادة بل بالدنيا وعلى هذا فقس كل تجمل للناس س
وتزين لهم والمروي لابن عدي في الكامل عن عايشة من تزينه عليه السلام اي حين اراد ان يخرج
الى اصحابه الكرام فكان ينظر في جب الماء ويسوي عمامته وشعره فقالت او تفعل ذلك يا رسول الله
قال نعم ان الله يحب من العبد ان يتزين لاخوانه اذا خرج اليهم فهذا كان منه عليه السلام عبادة
لانه ج مامور بالدعوة اي بدعوة الخلق وترغيبهم في اتباع الحق واستمالة قلوبهم بالرفق فلو اسقط نفسه
عن قلوبهم بسقوطها عن اعينهم لترك تزينه لهم لما حصل المقصود ولم يرغبوا الى اتباعه المطلوب من المعبود
وهو اجابة الحق من الخلق فكان يجب عليه ان يظهر لهم محاسن احواله كيلا تزدريه اعينهم فلا اقباله فان
اعين الخلق تمتد الى الظواهر دون السرائر وآفاته اي الرياء التلبيس اي المكر والتدليس الحاصل من
وسوسة ابليس بارادة ما ليس فيه متحقق في الخارج موجود في الواقع لانه خيل اليهم انه مخلص مطيع لله وانه
من اهل الدين وليس كذلك فهو اي التلبيس بالامر الديني حرام ايضا حتى لو قصد دين جماعة وخيل
للناس انه متورع عليهم ليعتقدوا انه سخي ولانه لا تلو ابدا لكن لما فيه من التلبيس وتملك القلوب بالمكر والخديعة
بخلاف ما اذا انفق الرجل ماله على جماعة من الاغنياء في معرض العبادة والصدقة ولكن ليعتقد الناس
انه سخي فهذا مراياة وليس بحرام وكذا امثاله فالتلبيس بالامر الديني اولى اي فالتلبيس بالامر الديني اولى ان يكون
هذا لانه محض العبادة والاستهزاء عليه تعالى ومن افاته الاستخفاف بالنسبة اليه سبحانه وهو بايثار
رضا غيره اي الاختيار على رضاه اي على ايثار رضاه سبحانه وتعالى والمعنى انه فيما قصد بعبادة الله رضا
ما سواه فهو مستهزئ بالله ولذا قال قتادة اذا راى العبد قال الله لملائكته انظروا اليه كيف يستهزئ بي ومثاله
ان يمثل بين يدي ملك من الملوك طول النهار كما جرت عادته ويكون وقوفه لملاحظة جارية من
جواري الملك او غلام من غلمانه فان هذا استهزاء بالملك اذ لم يقصد التقرب الى الملك بخدمته بل قصد عبدا من
عبيده فاي استخفاف يزيد على ان يقصد العبد بطاعة الله مراعاة عبد ضعيف لا يملك له ضرا ولا نفعا وهل
ذلك الا انه ظن ان ذلك العبد اقدر على تحصيل اغراضه من الله وانه اولى بالتقرب اليه من الله اذ اثره على
ملك الملوك فجعله مقصود عبادته واي استهزاء يزيد على رفع العبد فوق المولى وتعظيم نفسه اي وبايثار
تعظيمها في القلوب على تعظيمه اي تعظيم علام الغيوب وتوضيحه ان الرياء لو لم يكن فيه الا انه يركع ويسجد
لغير الله لكان فيه كفاية فانه اذا لم يقصد التقرب الى الله تعالى فقد قصد غير الله ولعمري لو عظم غير الله بالسجود د
لكفر كفرا جليا الا ان الرياء هو الكفر الخفي لان المرائي عظم في قلبه الناس فاقتضت تلك العظمة ان يركع
ويسجد فكان الناس هم المعظمون بالسجود من وجه فمهما زال قصد تعظيم الله بالسجود وبقي تعظيم الخلق
في الشهود كان ذلك قريبا من الشرك المعهود الا انه ان قصد تعظيم نفسه في قلب من عظم عنده باظهاره
من نفسه صورة التعظيم لله فمن هذا كان شركا خفيا لا شركا جليا وذلك غاية الجهل والنقصان ولا
يقدم عليه الا من خدعه الشيطان واوهمه ان العباد يملكون من ضره ونفعه ورزقه واجله ومصالح
حاله ومنافع ماله اكثر مما يملكه الله تعالى فلذلك عدل بوجهه عن الله تعالى اليهم فاقبل بقلبه عليهم ليستميل بذلك

قلوبهم اليه ولو وكله الله سبحانه اليهم في الدنيا على الاخرة لكان ذلك اقل مكافاة له على صنعه فان العباد
كلهم عاجزون عن انفسهم لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا
فكيف لغيرهم و هذا في الدنيا فكيف في العقبى يوم لا تجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده
شيا بل تقول الانبيا فيه نفسي نفسي فكيف يستبدل الجاهل عن ثواب الاخرة ونيل القرب عند الله بالذي
الفاخر ما يرتقبه بطمعه الكاذب في الدنيا من الناس فلا ينبغي ان يشك في ان المرائي بطاعة الله
في سخط الله من حيث النقل والعقل و هذا معنى قوله والاحراز اي وبايثار المرائي الاحراز عن موت
عوض سبحانه عليه اي على الاحراز من مغفرته تعالى فقد سال رجل سعيد بن المسيب فقال احدنا يصطنع
المعروف ويحب ان يحمد ويوجر قال له اتحب ان تمقت قال لا قال اذا عملت لله عملا فاخلصه ورد
العمل اي ومن افاته عدم القبول فورد اي في الحديث القدسي اي لا اقبل الا ما كان خالصا لي لم اجد هذا
اللفظ ولكن ورد معناه وهو ما رواه مالك من حديث ابي هريرة يقول الله من عمل عملا اشرك فيه غيري فهو له
كله وانا اغنى الاغنياء عن الشرك ويؤيده قوله تعالى انما يتقبل الله من المتقين واللوم اي ومن افاته الملامة
بين الملائكة فورد في الحديث ان الملائكة عند صعودهم بالعمل المخلوط بالريا ردوه الى سجين لقوله
تعالى ان كتاب الفجار لفي سجين وهو موضع في اسفل سافلين مكان الشياطين وقيل هو كتاب
اعمال المشركين فانه لم يرد في ان بعمله خالصا له الذين رواه ابن المبارك في الزهد ومن طريقه ابن ابي الدنيا
وابو الشيخ في حديث طويل ان الله تعالى يقول للملائكة ان هذا لم يردني بعمله فاجعلوه في سجين والتوبيخ
اي ومن افاته الملامة والندامة يوم القيامة فورد في ندائه ايها المرائي فيه اي في القيامة يا كافر
اي حقيقة او حكما بكفران النعمة يا فاجر اي يا فاسق بترك الاخلاص في الطاعة يا غادر اي يا ماكر للخلق
او للحق اليه على زعمه الباطل يا خاسر اي الذي خسر الدنيا والاخرة والحديث رواه ابن ابي الدنيا
من رواية جبلة اليحصبي عن صحابي لم يسم ان المرائي ينادى يوم القيامة باربعة اسماء يا كافر يا فاجر يا غادر
يا خاسر ضل عملك وحبط اجرك اذهب فخذ اجرك ممن عملت له فلا اجر لك عندنا والحرمان عن الاجر
اي ومن افاته حرمان ثواب العمل فورد يقال اي للمرائي يوم القيامة التمس الاجر اي اطلب الثواب
ممن كنت تعمل له من الخلق كما تقدم الم يوسع عليكم في المجالس الم تكن رئيس الدنيا الم يرخص بيعكم الم
تكرم اي بالقيام والسلام وانواع من الاكرام وقد روي عن علي ان الله عز وجل يقول للقراء يوم القيامة
الم يكن يرخص عليكم السعر الم تكونوا تبتدؤن بالسلام الم تقض لكم الحوائج وفي الحديث لا اجر لكم قد
استوفيتم اجوركم والمعنى كان هذه الاشياء قصدكم من اظهار الطاعة فقد جوزيت بها في الدنيا فلم
يبق لك اجر في العقبى كما قال تعالى من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها
لا يبخسون اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون
والعذاب اي ومن افاته عذاب الاخرة فورد اهل الريا يعذبون في النار ثم ان بهذا اللفظ والترمذي
وابن ماجه من حديث ابي هريرة استعيذوا بالله من جب الحزن قيل وما هو قال واد في جهنم اعد للقراء المرائين

المرائين والمحض مبتدا اي الغليظ وان شئت قل الريا باعتبار نفسه اي نفس الريا واجله واغلظه الريا
اربع درجات ان لا يريد الثواب اصلا اي لا يكون مراده الثواب مطلقا كالذي يصلي بين الناس
ولو انفرد لكان لا يصلي بل ربما يصلي من غير طهارة مع الناس فهذا جرد قصده للريا وهو اي المرائي به
في غاية المقت من الله وغضبه وكذا من يخرج الصدقة خوفا من مذمة الناس وهو لا يقصد الثواب ولو خلى
بنفسه لما اداها وهذا الغالب لا يتصور الا من المنافق فالنفاق يبطل العمل من اصله والريا يوجب رده
والمن والاذى يحبطان الصدقة اصلا وعند بعض المشايخ يبطلان اضعافها واما الندامة فتحبط العمل
في قولهم جميعا والعجب يذهب اضعافه والبخل ومن يخفف العمل فيذهب بركته ثم ما فيه اراده كان اراده
الاجر والريا غالب وقصد الاجر ضعيف بحيث لو كان في الخلوة لكان لا يفعله ولا يحمله ذلك
القصد على العمل ولو لم يكن قصد الاجر لكان قصد الريا يحمله على العمل كمن يريد الصلاة لوجه الله ارادة
ضعيفة لا تنهض عليها فاتفق مجي جماعة عنده فظهر داعية الريا في قلبه مع بقا ارادة وجه الله فالمقصد
عليها ولو لم يكن الريا ما كان ينهض بمجرد الارادة وجه الله ولو لم يكن ارادة وجه الله لكان ارادة الريا
تنهضه وهو يقرب اي هذا النوع من الريا يقرب الى المحض وهو الذي ليس فيه ارادة الثواب اصلا
فهذا يقرب مما قبله في المقت لكن لما فيه من شائبة قصد الثواب لا يستقل بحمله على العمل ولا ينفي عنه المقت
والاثم ثم ما استويا اي ثم الا يكون الريا باعتبار نفس الريا قصد استوى الارادتين او القصدين فيه اي في
ذلك العمل بحيث لو كان كل واحد منهما خاليا عن الاخر لم يبعثه على العمل فلما اجتمعا انبعثت الرغبة او
كان كل واحد منهما لو انفرد لاستقل بحمله على العمل فهذا الله افسد مثل ما اصلح فالمرجو اي المامول من فضل
الله وكرمه ان لا يكون له اي لصاحب الارادتين المستويتين نفع وثواب ولا عليه ضر وعقاب
بل يسلم راسا براس او يكون له من الثواب مثل ما عليه من العقاب ويؤيده ما روي عن معاذ قال لما نزل رسول
الله صلى الله عليه وسلم فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا شق على القوم واشتد عليهم فقال افلا
افرجها عنكم قالوا بلى يا رسول الله قال هي مثل الاية التي في الروم وما اتيتم من ربا ليربو في اموال الناس
فلا يربو عند الله فمن عمل رياء لم يكتب له ولا عليه كذا في الجامع الكبير للسيوطي لكن الاخلاف
الاخذ في الادلة يشمله اي ظواهر الاخبار في ادلة ذم الريا يشمل هذا النوع فيحصل له الاثم ويدل على انه
لا يسلم ثم اي الا المحض باعتبار قصد نفس الريا ما ترجح فيه قصد الثواب بان يكون طلب الاجر غالبا
ويكون اطلاع الناس مقويا ومرجحا لنشاطه ولو لم يكن له لكان لا يترك العبادة ولو قصد الريا وحده لما اقدم
فالمظنون اي الذي نظنه والعلم عند الله سبحانه فيه اي في هذا النوع النقصان اي نقصان الثواب لا البطلان
ابدا لا نحكم على العمل ببطلانه بالكلية لان العبرة بالغلبة في الاحكام الجزئية او الثواب على قدر الاخلاص
من نيته والعقاب على قدر الريا بحسب القصدين اي المتعاديين والاصل ان القرب منه تعالى بالميل اليه
اي بسبب الاقبال عليه والحضور لديه والبعد عنه تعالى بالذهول اي الغفلة منه لقوله تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه
عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا وما ورد اي في حديث انا اغنى الاغنياء عن الشرك وفي نسخة عن الشركاء

ونحوه ايه مما يدل على البطلان محمول على الاول اي بما لا يريد الثواب اصلا او على ما اذا استوى القصدان
اركان مقصد الرياء ارجح فان لفظ الشركة مطلقة للتسوية وباعتبار ما به اي والمحض من الرياء باعتبار
ما يقع به الرياء من العبادات سواء الرياء باصل الايمان وهو بدل من متعلق به باعادة الجار وما قدرناه
اولى بالاعتبار وذلك بان يظهر كلمتي الشهادة باللسان من غير تصديق بالجنان لكنه يرائي احيانا
لتظاهر الى من في بعض الاركان وهو اغلظ ابواب الرياء كما يشير اليه قوله تعالى يراءون الناس ولا يذكرون
الله الا قليلا مذبذبين بين ذلك اي متحيرين لا الى هؤلاء المسلمين ولا الى هؤلاء المشركين
ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا اي مخلصا او دليلا فلم يكن مخلصا بل يكون دائما صغرا ذليلا وفيه
الخلود في النار في دار البوار بل كما قال تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وذلك لانهم
جمعوا بين كفر الباطن ونفاق الظاهر فحالهم اشد من حال الكفار المجاهرين ولان خزيهم
للمسلمين اكثر من ضرر المشركين وكان النفاق في بدء الاسلام يكثر من يدخل في ظاهر الاسلام ويعمل
بعض الاحكام لغرض دنيوي او عوض كاسد وذلك مما يكثر في زماننا حيث لا باعث عليه ههنا لكن
يكثر نفاق من ينسلخ عن الدين باطنا فيجحد الجنة والنار والدار الاخرة ميلا الى قول الملحد او يعتقد
بسقوط الشرع والاحكام ميلا الى اهل الاباحة او يعتقد كفرا او بدعة وهو يظهر خلافه فهؤلاء من
المنافقين المرائين المخلدين في النار وليس وراء هذا الرياء رياء ثم اي ثم الادنى من المحض بعده الرياء باصل
فرائض سواء اي غير الايمان وذلك بان يكون مال الرجل في يد غيره فيامره باخراج الزكاة خوفا من
المذمة والله يعلم باطنه انه لو كان في يده لما اخرجها او يدخل وقت الصلاة وهو في جمع فيصلي وعادته
ترك الصلاة في الخلوة وكذا الحج الجمعة لولا خوف المذمة لكان لا يحضرها وكذلك يصوم رمضان وهو يشتهي
خلوة من الخلق ليفطر او يصل رحمه او يبر والديه لا عن رغبة ولكن خوفا من الملامة او يغزو ويحج كذلك
وفيه المقت اي اشد الغضب من جانب الرب الا انه ليس بكافر عند اهل السنة والجماعة وذلك لانه مراء
في الاركان ومعه اصل الايمان فيعتقد ان الله معبود سواه ولو كلف ان يعبد غير الله او يسجد
لما عداه لم يفعل ولكنه يترك العبادات للكسل الطارئ في الاوقات وينشط عند اطلاع الناس فوق
العادات فتكون منزلته عند الخلق احب اليه من منزلته عند الخالق وخوفه من مذمة الناس اعظم من
خوفه من عقوبة الله ورغبته في محمدتهم اشد من رغبته في مثوبة الله وهذا غاية الجهل بالرب وما احرى
صاحب هذا بالمقت الذي هو اشد الغضب ثم اي ثم المحض بعده الرياء باصل السنن المؤكدة والنوافل
المستحبة التي لو تركها لم يعص ولكنه يكسل عنها في الخلوة لفتور رغبته في ثوابها ولايثار لذة الكسل
على ما يرجى من ثواب العمل ثم يبعثه الرياء على فعلها وذلك كحضور الجماعة في الصلاة وعيادة المريض واتباع
الجنائز وغسل الميت وكالتهجد بالليل وصيام يوم عاشوراء وكذا فقد يفعل المرائي هذه الجملة خوفا
من المذمة او طلبا للمحمدة ويعلم الله تعالى من ضميره انه لو خلا بنفسه لما زاد على اداء الفرائض فهذا ايضا عظيم
في نفسه لكن كما قال وفيه اي وفي هذا النوع من الرياء نقصان اي نصف المقت او بعضه باختلاف تفاوت احواله

احواله في الرغبة باعماله وذلك لانه اي لا ايثار رضا غيره تعالى على رضاه سبحانه دون ايثار الاضرار عن مقت
غيره سبحانه عليه اي على المرائي من مقته تعالى فان الذي قبله اثر حمد الخلق على حمد الخالق وهذا ايضا
قد فعل ذلك واتقى ذم الخلق دون ذم الخالق فكان ذم الخلق اعظم عنده من عقاب الخالق الا ان هذا
لما لم يفعل ذلك لانه لم يخف عقاب الله على ترك النافلة لو تركها ولكنه على الشطر الاول فلذا اعطى به
نصف عقابه فتامل ثم بالاوصاف اي ثم المحض بعده الرياء باوصاف العبادات لا باصولها
من الفرائض المهمات فبالواجب كتعديل الاركان من الركوع والسجود والقومة بتسكين الجوارح والاطمئنان
فيها حتى يطمئن فانه يرائي بفعلها في تركه نقصان العبادة كالذي عرضه ان يخفف الركوع والسجود
والقومة فاذا رآه الناس احسن افعالها ومد القعود بين السجدتين واتمالها فقد قال ابن مسعود
من فعل ذلك فهي استهانة يستهين بها ربه بمعنى انه ليس يبالي باطلاع الله عليه في الخلوة كما في
الجلوة فاذا اطلع ادمي عليه احسن الصلاة ومن جلس بين يدي انسان متربعا او متكئا فدخل غلامه
فاستوى في الجلسة واحسنها كان ذلك تقديما للغلام على السيد واستهانة بالسيد لا محالة وهذا حال
المرائي بتحسين الصلاة في الملأ دون الخلأ وكذا الذي يعتاد اخراج الزكاة من الدنانير الرديئة فاذا
اطلع عليه غيره اخرجها من الجيد خوفا من المذمة وكذا الصائم يصون صومه عن الغيبة لكمال عبادة الصوم
خوفا من المذمة فهذا ايضا من الرياء المحظور لان فيه تقديم الخلق على الحق لكنه دون الرياء باصول
التطوعات كذا في الاحياء والظاهر انه دون الرياء باصول العبادات من الفرائض لا لان اصول التطوعات
دون اصول الواجبات ولذا يجوز ترك التطوعات راسا ولا يجوز ترك الواجبات اصلا نعم بترك الفرائض
تبطل العبادات بخلاف ترك الواجبات فانه لا يوجب الا الاثم والنقصان في وصف العبادات ثم المكمل اي ثم
المحض بعده الرياء بفعل ما لا نقصان في تركه ولكن فعله في حكم التكملة والتتمة لعبادته فهو كان وجوده
خيرا من عدمه كتطويلها اي الصلاة بتطويل الركوع والسجود ومد القيام واطالة القراءة وتحسين الهيئة
في رفع اليدين ووضعهما مع الطهارة وترتيب التنبيه المشعر بتحسين الطوية وحفظ العين عن الالتفات
واطراق الراس في الحالات فيستدل بذلك على غاية خشوعه ونهاية خضوعه وكذا ذلك مما لو خلى ونفسه
لكان لا يقدم عليه بمقتضى طبعه ومراعاة شرعه ثم الزائد اي بعده الرياء بزيادة خارجة عن نفس النوافل
ايضا كالتبكير في المسجد اي لحضور الجماعة قبل القوم وقصد الصف الاول والتوجه الى يمين الامام وما يجري
مجراه من الاحكام وكذلك مما يراه به الامام ويعلمه المالك الملك العلام انه لو خلي بنفسه لكان لا يبالي اين وقف
ومتى حضر وباعتبار ما له اي والمحض باعتبار ما يقع الرياء لاجله ما له فيه قصد المعصية وقيل انه بدل من ضمير
ما له والاولى ما قدرناه تحسين حاله وذلك بان يكون مقصوده التمكن من معصية كتقلد الوقف للحاجة
كالذي يرائي بالعبادات ويظهر التقوى والورع بكثرة النوافل والطاعات والامتناع عن اكل الشبهات
وغرضه ان يعرف بالديانة والامانة فيولى تولية القضاء او الاوقاف او الوصايا او مال الايتام فياخذها
او يسلم اليه تفرقة الزكوات والصدقات ليستاثر بما يقدر عليه منها في الحاجات او يودع الودائع فياخذها

وبجد بما في بعض الكتاب وبما ورد ان ابغض القراء الى الله الذين جعلوا طاعة ربهم سلما الى معصية واتخذوه
الة ومتجرا او يجاء عذرهم في نسقهم ثم المباح المقصد بالرياء كنكاح الشريفة او المرأة الجميلة فيكون غرضه
بالرياء نيل حظ من حظوظ الدنيا فيها او اجمال فيظهر الحزن بالبكاء ويشتغل بالوعظ في الصباح والمساء
ليبذل له الاموال ويرغب في نكاحه النساء فهذا ريا محظور لانه طلب بطاعة الله متاع الحياة الدنيا ولكنه
دون الاول فان المطلوب بهذا مباح في نفسه ثم التميز عن العامة بالمشي والزي وترك الكلام
ونحوه كي يعتقد انه من زمرة العباد فيما بين العباد من اهل البلاد ويشتهر بالعبادة لا للقصد نيل حظ
دنيوي من مال او نكاح بل حيث خاف ان ينظر اليه بعين النقص ويعتقد انه من جملة العامة كالذي يمشي مستعجلا
في طريق فيطلع عليه الناس فيحسن المشي ويترك العجلة كيلا يقال انه من اهل اللهو والسهو لا من اهل الوقار
والسكون وكذلك الذي يسبق اليه الضحك او يبدو منه المزح فيخاف ان ينظر اليه بعين الاحتقار لا بعين
الوقار فيتبع ذلك بالاستغفار وتنفس الصعداء واظهار الحزن والبكا ويقول ما اعظم غفلة الادمي عن
نفسه والله يعلم انه لو كان في خلوة لما كان يثقل عليه ذلك وقد يخفى اي الرياء فانه كما تقدم اخفى من
دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء كما لو عجز باطلاع الغير على طاعته سرت عنه بخلص
في عمله وان لم يعتقد الرياء بل يكرهه ويرده عن نفسه ويتمم العمل كذلك ولكن اذا اطلع عليه الناس سره ذلك
وارتاح له وروح ذلك عن قلبه شدة العبادة وهذا السرور يدل على رياء خفي فيه منه يتبع السرور منه والتوبيخ
لن ظهاره يعني ثم اذا استشعر لذة السرور بالاطلاع ولم يقابل ذلك بكراهية فيصير ذلك قوتا وغذاء
للعرق الخفي من الرياء فيتقاضى تقاضيا خفيا ان يتكلف سببا يطلع عليه بالتعريض والقاء الكلام عرضا
بان يظهره وقد حكي ان رجلا اضاف الثوري واصحابه فقال لاهله هات الطبق الذي حججت به في الحجة الاولى
فنظر اليه سفيان وقال مسكين قد افسد عليه هذا حجته وتحسين الاداء في الخلوة وصلة عادة ليتكلف
في الملا ظن منه انه يتخلص بهذا عن الرياء ولم يعرف انه يستتر منه الرياء في الخلوة والملا معا ويتزين كذا في
النسخ والظاهر ان يقول والتزين في الاعين اي اعين اهل الملا ليظهر الخشوع في الاعضا
كاظهار النحول والصفار وخفض الصوت ويبس الشفتين واثار الدمع وغلبة النعاس الدال على
طول التهجد واخفى منه انه مهما ادركت النفس تفرقة بين ان يطلع على عبادته انسان او بهيمة
ففيه شعبة من الرياء وقد روي لن يكمل ايمان احدكم حتى يكون الخلق عنده كالاباعر فتاثيره اي الرياء
في العمل بالاحباط والاثابة انه اذا التجم اي غلب الرياء بعد التمام اي تمام العمل الخالص بالفرح متعلق
بالتجم اي بغرضه على الظهور من غير قصد او الاظهار بقوله لا يبطل ثواب العمل المؤدي بالاخلاص لتقدم
بطلان ثواب المتقدم بالعمل الطاري اي الحادث بعده وفيه الثواب على عمله الذي مضى والعقاب
على مراياته بطاعة الله بعد الفراغ منها وعملها ورد اي في الحديث من نفي العمل تغليظا كما صمت ولا افطر
فيمن قال صمت اي في حق من قال صمت دائما والمحفوظ صمت الدهر يا رسول الله ثم المعروف في مسلم من حديث
ابي قتادة قال عمر يا رسول الله كيف بمن يصوم الدهر قال لا صام ولا افطر فهذا حمل على كراهية صوم الدهر

الدهر اي انه على الجهالة بالرياء اظهارا لعماله وانه يكون في قوله نوع كذب لدخول العيدين اي عيد
الفطر والاضحى وايام التشريق فيه اي في قوله صمت الدهر وصوم هذه الايام الخمسة حرام باتفاق الائمة
الاربعة واخرج ابن جرير كما في الجامع الكبير عن ام كلثوم قالت قيل لعائشة تنهوين الدهر وقد نهى عليه
السلام عن صيام الدهر قالت نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن صيام الدهر ولكن من افطر يوم
الفطر ويوم النحر فلم يصم الدهر وقال بعضهم انما قال عليه السلام ما زجر الرجل عن الاظهار ركاه اي عمله وورد عن
ابن مسعود ذلك اي الاظهار ركاه حفظه وسقط الاجر [illegible] منهما اي القراءة فيمن قال قرأت البارحة اي الليلة
المتقدمة سورة البقرة على اي حمل على عدم خلو القلب عنه اي عن الرياء حالة القران لانه بحجم بعد تمامها بدلالة
الاظهار وكيفما كان فيحتمل ان يكون ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ابن مسعود الاشتداد على
ان قلبه عند العبادة لم يخل عن عقد الرياء وقصده لما ان ظهر منه التحدث به اذ بعيد ان يكون خاطر العبد
العمل مبطل الثواب العمل بالكلية بل يبطل كمال ثوابه في القصة واذا هجم اي غلب الرياء في اثناء اي اثناء
العبادة متجرد عن الخلوص في قصد الثواب وبعثه على العمل اي على اتمامه وختم العمل به اي بالرياء المتجرد عن قصد
الثواب كما لو تذكر ضالة في اثناء الصلاة او حدث نظارة اي فرجة ونزهة في اثنائها فاتم العمل لحضور
الغير عنده لولاه وفي نسخة لولا هو اي ذلك الغير لقطع ذلك العمل وطلب الضالة او تفرج على النظارة يبطل ثواب
اذا هجم اي يبطل بهذا الرياء ثواب العمل لكن في عمل ذي اركان اي اجزاء يتعلق صلاح بعضها ببعض كالصلاة والصوم
والحج والنكاح ان الغزو وكذا لكن قال الطبري اذا كان الباعث اولا اعلاء كلمة الله لا يضر ما عرض
له بعد ذلك على ما نقله عنه السيوطي في حاشية البخاري فمورد العمل كالوعاء اذا طاب اخره طاب اوله هكذا في
الاحياء ورواه ابن ماجه بحديث معاوية بلفظ اذا طاب اسفله طاب اعلاه وعلى كل تقدير فظاهر لا يوافق
المدعى الا ان يراد مفهوم الحديث كما لا يخفى ثم راى بعمله [illegible] حبط عمله الذي كان قبله كذا في الاحياء
بلا تخريج ولم اجده بهذا اللفظ وللشيخين من حديث جندب من سمع سمع الله به ومن رايا رايا الله به
دون غيره اي تحمل فعمل ليس بذي اركان يتعلق صلاح بعضها ببعض كالصدقة والتلاوة واتمامه يبطل
بهذا النوع من العمل كله بالرياء اذ كل جزء منه مفرد اي منفرد عن جزء آخر حيث انه مستقل بنفسه لا تعلق له
بغيره فعن بعض الصالحين قال كنت ليلة وقت السحر في غرفة لي اقرأ سورة طه فلما ختمتها غفوت غفوة فرأيت
شخصا نزل من السماء بيده صحيفة فنشرها بين يدي فاذا فيها سورة طه واذا تحت كل كلمة عشر حسنات مثبتة
الا كلمة واحدة فاني رايت مكانها محوا ولم ار تحتها شيئا فقلت والله لقد قرأت هذه الكلمة ولم ار لها ثوابا
ولم اراكم اثبتم فقال الشخص صدقت قد قرأتها وكتبناها الا انا سمعنا مناديا ينادي من قبل العرش امحوها
واسقطوا ثوابها فمحوناها قال فبكيت في منامي بكاء شديدا وقلت لم فعلتم ذلك قالوا مر رجل فرفعت لها صوتك
لاجله فذهب ثوابها وهذا يدل على ان الرياء في الوصف مبطل لثواب العمل ابتداء والطاري اي الحادث
من الرياء لا يبطل الماضي من العمل بل يبطل الباقي وفيه مخالفة لما ورد من ان الشخص اذا ذكر العمل السري مرة
ينتقل الى العلانية واذا ذكره ثانيا ينتقل الى الرياء واذا لم يتجرد الرياء عن الاخلاص وقصد الثواب بل غلب الرياء

عليه كغلبة الفرح باطلاع الغير اى بشأنه بهذه غيره اليه فالغالب فيه اى الظن الغالب فى هذا
النوع من العمل الفساد ان انتقض على حالة الرياء ركن من اركان ذلك العمل مع غلبة قصد الرياء ولم
يعاوده اى العامل الركن او المصلى الباعث الى صلى للصلاة وهو الاخلاص لان ما تستصحب نية
الابتداء اى معطى النية السابقة التى كانت خالصة لعقد المثوبة حكم استصحاب الحال والمعنى يحكم عليها
بالاخلاص الى تمام العمل فى المآل بشرط ان لا يطرأ اى لا يحدث بعد النية السابقة فى اثناء العمل فيه الرياء
الا حقه ما اى رياء لو قارن ابتداء النية الباعث الى صلى الذى هو الاخلاص وان احتمل اى وهو احتمل
الجواز اى صحة العمل بقاء قصد الثواب الموجود حال العقد من التحريمة المقرونة بالنية وتوضيحه لما فى الاحياء اذا
كان وارد الرياء بحيث لا يمنعه من قصد الاستتمام لاجل الثواب كما لو حضر جماعة فى اثناء صلاته ففرح بحضورهم
فانعقد الرياء وقصد تحسين الصلاة لاجل نظرهم وكان لولا حضورهم لكان يتمها ايضا فهذا رياء قد اثر
فى العمل وانتقض باعثا على الحركات فان غلب عليه حتى انمحق معه الاحساس بقصد العبادة والثواب وصار
قصد العبادة مغمورا فهذا ايضا ينبغى ان يفسد العبادة مهما مضى ركن من اركانها على هذا الوجه لانا نكتفى
بالنية السابقة عند الاحرام بشرط ان لا يطرأ ما يغلبها ويغمرها ويحتمل ان يقال لا تحبط العبادة نظرا
الى حالة العقد والى بقاء اصل الثواب وان ضعف بهجوم قصد هو اغلب منه والله اعلم بالصواب وذهب الحارث
المحاسبى الى الاحباط فى امر اهون منه قال اذا لم يرد الا مجرد السرور باطلاع الناس يعنى سرورا هو حب
المنزلة والجاه قال وقد اختلف الناس فى هذا فصارت فرقة الى انه محبط لانه قد نقض العزم الاول
وركن الى حمد المخلوقين ولم يختم عمله بالاخلاص وانما يتم العمل بخاتمته ثم قال ولا اقطع عليه بالحبط
وان لم يتزيد فى العمل ولا آمن عليه وقد كنت اقف فيه لاختلاف الناس فان غلب على قلبى انه يحبط
اذا ختم عمله بالرياء ثم قال فان قيل فقد قال الحسن البصرى انما هو صورتان فان كانت الاولى لله لم
يضره الثانية وقد روى ان رجلا قال يا رسول الله اسر عملى لا احب ان يطلع عليه فيطلع عليه فيسرنى
قال لك اجران اجر السر واجر العلانية رواه البيهقى والترمذى وابن حبان من حديث ابى هريرة ثم
تكلم المحاسبى على الاثر والخبر فقال اما الحسن فانه اراد بقوله لا يضره اى لا يدع العمل ولا يضره
الخطرة وهو يريد الله ولم يقل اذا اعتقد الرياء بعد عقد الاخلاص لم يضره واما الحديث فتكلم عليه
بكلام طويل يرجع حاصله الى ثلثة اوجه احدها انه يحتمل انه اراد بظهور عمله بعد الفراغ وليس فى الحديث
انه قبل الفراغ وثانيها انه اراد ان يسره لا تقتدى الناس به ونحوه من سرور محمود لا سرور الحب
حب المحمدة والمنزلة بدليل انه جعل له به اجرا ولا ذاهب من الامة الى ان للسرور بالمحمدة اجرا
وغايته انه يعفى عنه فكيف يكون للمخلص اجر وللمرائى اجران وثالثها انه قال اكثر من يروى هذا الحديث
يرويه غير متصل الى ابى هريرة بل اكثرهم يوقفه على ابى صالح السمان ومنهم من يرفعه فالحكم بالعمومات
الواردة اولى وان اتصل الرياء بالعقد اى بالتحريمة وابتداء النية متجردا من قصد الثواب واتم العمل
حتى سلم عليه اى على الرياء المتجرد عن قصد الثواب بعد ذلك العمل اتفاقا اى وهو تم اجماعا وان رجع

رجع المصلى عن الرياء الى الاخلاص ولزمه على كل تجديده قبل التمام اى تمام العمل فكذلك لا يعيد ذلك
العمل اتفاقا لانعقاد الانعقاد على الاخلاص وضعف القول اى ولضعف قول القائل بوجوب
اعادة الافعال الصادرة عن الرياء بعد العقد اى لبطلان تلك الاعمال دون التحريمة اى من غير
وجوب اعادتها فهى اى التحريمة عقد له ثبوت واستقرار والرياء خطرة لا تخرجها اى التحريمة عن الانعقاد د
والمعنى ان قول المصلى اصلى لله تعالى عقد بنية على الاخلاص لله كالاقرار باللسان عقد ثابت
والرياء خطرة لا تبطل العقد كما ان اقرار المنافق باللسان لا يبطل نفاقه بالجنان بل يثبت حكمه فى
الدنيا فكذا هنا فقوله فهى عقد الخ دليل وجوب الاعادة واما دليل القول الاول المضعف للثانى
فقوله لان الافعال الفاسدة من الركوع والسجود اذا لم تصح فهى زيادات فيه اى فى الصلاة فتبطلها
اى تلك الافعال الصلاة وهو وجوب الاستغفار اى ولضعف القول بوجوب الاستغفار فقط والاتمام
اى وهو وجوب اتمام العمل مخلصا اى متجردا عن الرياء لاعتبار الختم تعليل لوجوب الاستغفار والاتمام
مخلصا اى لاعتبار خاتمة العمل كما لو ختم بالرياء وابتدأ بالاخلاص لكان يفسد عمله وكون العمل
اى وبكون العمل او ولاعتبار كون العمل لا يتعلق لغيره وان اى ولو لم يكن العمل ذا تعلق بان صلى
لغيره لكفر كما كفر من يسجد للصنم ونحوه وزوال عارض الرياء اى وبزواله اى ولاعتبار زواله بالتوبة
لانه دليل لضعف وجوب الاستغفار والمعنى ان الرياء قادح فى النية وحالة البداءة اى الاولى اولى
بالرعاية فى الاخلاص من الحالة الثانية لان المدار عليها فى الافعال الباقية فقد فات ذلك فيبطل
العمل وتجب الاعادة وتوضيحه كما فى الاحياء من ان الرياء الذى يقارن حال العقد بان يبتدى الصلاة ه
على قصد الرياء فان تم عليه حتى سلم فلا خلاف فى انه يقضى ولا يعتد بصلاته وان ندم عليه فى اثناء
صلاته واستغفر ورجع قبل التمام ففيما يلزمه ثلثة اوجه قالت فرقة لم تنعقد صلاته مع قصد الرياء
فليستأنف وقالت فرقة يلزمه اعادة الافعال كالركوع والسجود وتفسد افعاله دون تحريم الصلاة لان
التحريم عقد والرياء خاطر فى قلبه لا يخرج التحريم عن كونه عقدا وقالت فرقة لا يلزمه اعادة شئ بل
يستغفر الله بقلبه ويتم العبادة على الاخلاص والنظر الى خاتمة العبادة كما لو ابتدأ بالاخلاص وختم
بالرياء لكان يفسد عمله وقالوا ان الصلاة والركوع والسجود لا يكون الا لله ولو سجد لغير الله
لكان كفرا ولكن اقترن به عارض الرياء ثم زال بالندم والتوبة وصار الى حالة لا يبالى بحمد الناس وذمهم
فتصح صلاته قال ومذهب الفريقين الاخيرين خارج عن قياس الفقه جدا خصوصا من قال يلزمه اعادة ة
الركوع والسجود دون الافتتاح لان الركوع والسجود اذا لم يصحا فهما افعال زائدة فى الصلاة فتبطل
الصلاة وكذا قول من يقول لو ختم بالاخلاص صح نظرا الى الآخر فهو ايضا ضعيف لان الرياء يقدح
فى النية واولى الاوقات بمراعاة احكام النية حال الافتتاح فالذى يستقيم على قياس الفقه هو ان
يقال ان كان باعثه مجرد الرياء فى ابتداء العقد دون طلب الثواب وامتثال الامر لم ينعقد افتتاحه
ولم يصح ما بعده وذلك فيمن اذا خلا بنفسه لم يصل فهذه الصلاة لا نية فيها اذ النية عبارة عن اجابة

باعث الدين وهنالك باعث واحد اجابة ولا اذا كان بحيث لولا الناس ايضا لكان يصلي الا انه
ظهر له الرغبة في الجمع ايضا فاجتمع الباعثان وهذا معنى قوله وان لم يتجرد الريا من قصد الثواب
فعند ان يقبل الفساد وهو العمل الذي ليس بذي اركان كالصدقة والقراءة والصوم والحج يثاب على
مقصد الخلوص من حيث اطاع باجابة باعث الثواب ويعاقب على قصد الريا حيث عصى باجابة
باعث الريا وعدل عن طريق الصواب كما ورد في التنزيل فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره اي جزاءه
في الدنيا والاخرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فله ثواب بقدر قصده الصحيح وعليه عقاب
بقدر قصده الفاسد ولا يحبط احدهما الاخر ومن غيره اي لا يقبل الفساد وهو ما يقبل
الفساد وهو عمل ذو اركان كالصلاة فانها تقبل الفساد بتطرق خلل الى النية فرق بين الفرض
والنفل حيث قيل لا يبطل النفل حتى يصح الاقتداء والمعنى ان حكمه ايضا حكم الصدقة فقد عصى من وجه
واطاع من وجه اذا اجتمع في قلبه الباعثان ولا يمكن ان يقال صلاته فاسدة وان اقتداءه باطل حتى
ان من صلى التراويح وتبين من قرائن حاله ان قصده الريا باظهار حسن القراءة ولولا اجتماع الناس
خلفه وخلا في البيت وحده لما صلى لا يصح الاقتداء فان المصير الى هذا بعيد جدا بل يظن بالمسلم انه يقصد
الثواب ايضا بتطوعه فيصح باعتبار ذلك العقد صلاته ويصح الاقتداء به ولا يسقط الفرض ان لم يستقل
قصد الثواب بان اقترن به قصد اخر هو عاص به فاجتمع الباعثان وكان كل واحد لا يستقل وانما
يحصل الانبعاث بمجموعهما فحينئذ لا يسقط الواجب عنه لان الواجب لم ينتهض باعثا في حقه بمجرده واستقلاله
وان استقل اي قصد الثواب لمقتضى ظاهر كلام المصنف والظاهر ان يستقل كل منهما القصد بين الباعثين حتى لو
لم يكن باعث الريا لادى الفرض ولو لم يكن باعث الفرض لانشا صلاة التطوع لاجل الريا فيحتمل ان اي معنيه
احتمالين احدهما السقوط اي سقوط الفرض باعتبار الامتثال بالنية المستقلة واقترانها بغيره لا يمنع
سقوط الفرض عنه كما لو صلى في دار مغصوبة فانه وان كان عاصيا بايقاع الصلاة في الدار المغصوبة فانه
مطيع بامتثاله الصلاة ومسقط للفرض عن نفسه وعدمه اي وثانيهما نفي سقوط الفرض لان الواجب في
تادية الفرض هو الخالص من الريا بقوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وقد فات ذلك باتصال
الريا وان كان باعث الخلوص مستقلا ثم تعارض الاحتمالان في تعارض البواعث انما هو في اصل الصلاة وان
كان اتصال الريا في المبادرة نحو ان ... اصل الصلاة شرعا بادر بالصلاة في اول الوقت لحضور الجماعة بحيث لولا
انه يبادر الى الخيرات ومسارع الى الطاعات والبركات ولو خلا لاخر الى وسط الوقت او اخره ولولا الفرض لكان
لا يبتدئ صلاة لاجل الريا فهذا مما يقطع بصحة صلاته وسقوط الفرض عن ذمته ففيه فوت الفضيلة وحكي
تصحيح النية في المبادرة والمعصية لقصد الريا في المبادرة اي المطلوب من الريا الغير الموثر اي اذا لم يبلغ اثره الى
حيث يوثره في العمل كالذي لم يحمله على تطويل الصلاة مثلا كجودة القراءة باطلاع الغير فالغالب فيه جهة الظن فيه
اسمي في ذكر الريا المغلوب الغير الموثر الجواز اي صحة العمل لعدم اعتبار غير الموثر دفعا للحرج واصلها ان الواجب على
العبد هو الخالص من الريا والمنحط بالريا بغير مودي حق الاداء ومن ثم توقف الحارث المحاسبي ما لا

سابطال الفساد اي فساد العمل بالريا الغير المغلوب كما قدمناه ويقبل بالفساد باقل خطرة فيما كان من
اركان العمل مطلقا اي تسوى ابلغ اثره الى حيث يوثره في العمل ام لا وقيل مطلقا اي ريا كان او غيره حرجا
لطلب الرب في تصفية القلب عما علاه سبحانه سيما كان العبادة وهو مذهب الثوري والجنيد والمحاسبي اي مسئلة
الريا غامضة اي مشكلة من حيث ان الفقهاء لم يتعرضوا لها في فن الفقه والذين خاضوا فيها وتعرضوا من ارباب
التصوف لم يلاحظوا قوانين الفقه من صحة الصلاة وفسادها بل حملهم الحرص على تصفية القلوب ومراداتها
وطلب الخلاص على افساد العبادات بادنى الخواطر والارادات والعلم عنده تعالى في جميع الحالات
والمقامات ومما يويد القول بابطال الريا جميع الطاعات اطلاق قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم
بالمن والاذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس الاية وما رواه ابو داود من حديث ابي هريرة ان رجلا قال يا رسول
الله رجل يبتغي الجهاد في سبيل الله وهو يبتغي عرضا من عرض الدنيا فقال عليه السلام لا اجر له وللنسائي
من حديث ابي امامة باسناد حسن ارايت رجلا غزا يلتمس الاجر والذكر ما له فقال لا شيء له فاعادها ثلاث
مرات يقول لا شيء له ثم قال ان الله لا يقبل من العمل الا ما كان خالصا وابتغي به وجهه نعم قد يقال الحكم للاغلب
والله تعالى اعلم والعلاج اي دواء الريا اربعة قلع حب الجاه والمدح الذين هما سببه وكراهة الذم
والطمع مما في ايدي الناس اي وقلع كراهتهما لما سبق ذكره من انها منشا ومما يشهد للريا يعني الاسباب
وانشعاب عنه للمراياة ما روى ابو موسى ان اعرابيا سال النبي عليه السلام فقال يا رسول الله الرجل يقاتل
حمية ومعناه انه يانف ان يقهر او يذم بانه مقهور مغلوب والرجل يقاتل ليرى مكانه وهذا هو طلب لذة
الجاه والرجل يقاتل للذكر وهذا هو طلب الحمد باللسان فقال عليه السلام من قاتل لتكون كلمة الله ٣ بحذف الاصل
هي العليا متفق عليه وعنه عليه السلام من غزا لا يبغي الا عقالا فله ما نوى رواه النسائي وبهذا اشار
الى الطمع واخفاء العمل متكلفا اي مجتهدا مبالغا فيه بان يعود نفسه اخفاء العبادات كما يخفي السيئات وذكر
فوائد الاخلاص وافات الريا على ما تقدم والى هذا ان قوة المعرفة بحسب قوة الايمان ونور الايقان
وضعف المعرفة بسبب حب الدنيا وحب الغفلة ونسيان العقبى وقلة التفكر فيما عند المولى من الدرجات وعدم
التامل في افات الدنيا وعظيم نعيم الاخرة واصل ذلك كله حب الدنيا وغلبة الشهوات فهو راس كل خطيئة ومنبع
السيئات فان حلاوة حب الجاه والمنزلة ونعيم الدنيا الفانية هي التي تغمر القلب وتميله عن الرب وتحول بينه
وبين التفكر في العاقبة الباقية والاستبصار بنور الكتاب والسنة الثابتة وانوار العلوم النافعة واسرار الاعمال
الرافعة فما اقبح من ان يكتفي بنظره تعالى على ساعة العمل المعيوب عنه وهو تعالى مع جلاله اي جلالة قدره
وعظمة شانه يكتفي بنظره اي بنظر عبده وتامله في خلق سماواته وارضه وتنزل امره كما ورد في التنزيل الله الذي
خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير الاية اي وان الله قد احاط
بكل شيء علما ومن اي وما اقبح من باع عمله بخسيس فان واعرض عن بيعه بثواب الدارين من نفيس باق ليس
له ثان كما ورد في التنزيل من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والاخرة اي فليطلبهما من عنده فانه
قادر ان يوجد واحدا منهما عند غرضه وذكره وردفه اي الاخلاص مع الفضيلة في ذم الريا من الادلة ويكفي في

ذلك قوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا وان جاز في هذا الباب
كثيرة والحق ما رسمته ويجد الفرصة بالظهور اي بسبب الظهور الطاعة من غير قصد في اظهارها على حسن
نيته تعالى اي شكرا لما ستر الذنوب اي ستر السيئات واظهار الطاعات فورد في الكتاب التنزيل قل بفضل
الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا اي ان يفرحوا ماذكر هو خير مما يجمعون من حطام الدنيا الفانية
وفي الدعاء يا من اظهر الجميل وستر القبيح او دلالة اي او يجد الفرصة بالظهور على دلالة على انه
تعالى يفعل كذلك من اظهار الحسنات وستر السيئات في الاخرة اي الاخرى ان شاء فورد في صحيح مسلم
من حديث ابي هريرة لا يستر الله على عبد في الدنيا ذنبا الا ستره عليه في الاخرة وفي معناه انشدوا
لقد احسن الله فيما مضى كذلك يحسن فيما بقي فيكون الاول فرحا بالقبول في الحال من غير ملاحظة
الاستقبال والثاني التفات اي حال المآل وحسن المنال او انه اي او يجد بالفرحة بالظهور على ان من
ظهر عمله يقتدي به فيضاعف الاجر بسبب ظهوره او اي يجد الفرصة على ان المطلعين على عمله يثابون
بمحبته لله اي بمحبة صاحب العمل لله والثناء عليه في مقام رضاه ففي الخبر افضل الاعمال الحب في الله ويعرف
الاخير بصدق دعوى فرحه بانه لو اثاب الناس او فرحه بانه نيته الى ثم في عمله بثبوته مدحه ومدح صالح غيره
فانه حينئذ دل على ان فرحه محمود وان مذموم مردود ومنه اي ومن الفرح المحمود ما ورد كذا اجران اجر السر
واجر العلانية يعني قال على طريق السؤال اخفي العمل خوفا من الرياء فاذا ظهر افرح بظهوره الشك فليس حتى
في شعب الايمان عن ابن مسعود ان رجلا قال اسر العمل احب ان يطلع عليه فيطلع عليه فيسرني فقال
عليه السلام لك اجران اجر السر واجر العلانية ورواه الترمذي وابن حبان من رواية ابي هريرة ولفظه قال
قلت يا رسول الله بينا انا في بيتي في مصلاي اذ دخل علي رجل فاعجبني الحال التي رآني عليها فقال عليه السلام
رحمك الله يا ابا هريرة لك اجران اجر السر واجر العلانية والحديث في المشكاة والاظهار اي قصد اظهار العمل
للترغيب اي ترغيب غيره فيه فورد في صحيح مسلم عن جرير بن عبد الله البجلي من سن سنة حسنة اي فعمل بها كان في
روايته فله اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيامة وسبب وروده ان انصاريا جاء بصرة فتتابع الناس بالعطية
لما رآه وللبيهقي من حديث ابن عمر عمل السر افضل من عمل العلانية والعلانية افضل لمن اراد الاقتداء وله من
حديث ابي الدرداء ان عمل السر يضاعف على عمل العلانية سبعين ضعفا وله من حديث عائشة يفضل او يضاعف
الذكر الخفي الذي لا يسمعه الحفظة على الذي يسمعه سبعين ضعفا وبه اي وبان الاظهار مراد انبيا عليهم السلام
ويعلم منه انه يحسن الاظهار بشرط ان يكون المظهر ممن يقتدي به من العلماء والصلحاء ليتم فايدة الاظهار
الذي دون ان سار قال الحسن قد علم المسلمون ان السر احرز العملين ولكن في الاظهار فايدة قد يكون
فايدة فلذا اثنى الله على السر والعلانية فقال تعالى ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقرا
فهو خير لكم ثم قال ايضا الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم الآية
فالاعلى التصدق به رئيهم في سرا واخفى في نهار واخفوا سرا واخرى علانية عملا بالآيتين وما فيهما على نيته ويتبالغ اي
وبشرط ان يبالغ في الاحتراز عن الرياء ليصل الى مقام اهل الاخلاص من الخلاص فربما يكون فيه رياء في غاية

غاية خفية فيدعوه الى الاظهار ويعذر انه اقتدى انهم كمال لكن ويهون بشعر بذلك ويعرف احترازه او يعرف المظهر
للترغيب دون الرياء بانه لو قدر اي فرض انه اقتدى الناس بغيره من العلماء في عمله كان ظهوره وعرفانه اي وتقدر
معرفته بهذا المظهر باستواء اجر السر والعلانية فيه فضلا عن كون عمل السر افضل لما رغب المظهر فيه اي في الاظهار
عمله او ان غرضه حصل من عمل غيره فيهما وجد الثقل في نفسه او رغب في اظهار العمل مع وجود الاظهار من
الغير فهو كاذب في دعواه طالب لمقتضى هواه ومالا اي ويجد ذكر الذكر ذكر العمل بعده اي بعد فراغ العمل
ليقتدى به كقول عثمان ما تغنيت ولا تمنيت ولا مسست ذكري بيميني منذ بايعت بها رسول الله صلى الله
عليه وسلم كذا في الاحياء ولابي يعلى الموصلي في معجمه رواية انس عنه في اثنا حديث وان عثمان قال يا رسول
الله فذكره بلفظ منذ بايعتك قال هو ذاك يا عثمان او تحدثا بنعمة ربه وهو اي الذكر اما جائز لمن قوى باطنه
في المعرفة بعدم الالتفات الى ما سوى الله او تم اخلاصه عن الرياء وخطره اي خطر الذكر بعد العمل اعظم من
خطر الظهور لخفة المؤنة اي الكلفة في ذكره ببعض الكلمة وزيادة المبالغة اي والزيادة في ذكر العمل بان يقول
ما نمت البارحة مع انه لا يخلو من نوع من النوم ولو بالنعاس ولذة النفس في اظهار الدعوى واخف
اي اهون على المظهر في التاثير ان يطرق في الذكر بعد العمل اي ان الاحق من ذكر العمل ان يبطل السابق والكتمان
المعاصي اي ويجد كتمان الذنوب وكراهته اطلاع الناس على العيوب اي ايا يجد ان يعتقد فيه
اي في الكاتم الورع رياء بل يجد الكتمانية ارشاد للشيخ من الهتك اي اللهي فظه على كاتم ستره وظهره
اي من ذنبه خوفا من سقوط موقع المعاصي في النفس وجرأتها عليها فان النفس متى الفت ظهور
الذنوب زاد التمادي والاسترسلت في شهواتها بارتكابها وما بالت بعدم اجتنابها فيه اي في الهتك
في الدنيا خوفه اي خوف العبد او خوف الهتك في الآخرة اي في القيامة بالكرم الاحق عكس لتقدم في قوله
لقد احسن الله فيما مضى كذلك يحسن فيما بقي او ان الستر اي كتمان المعاصي كاموربه اي في باب
المستحب به فورد في حديث من ستر الله عليه في الدنيا ستر الله عليه في الاخرة باعتبار مفهومه وكذا من ارتكب
شيئا من هذه القاذورات اي السيئات فليستتر بستر الله تعالى عليه رواه الحاكم ويعرف صحة هذا المقام
بكراهة ظهوره اي المعاصي من الغير فعن الخبر لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه او كان تباعه
بالذم اي بذم الناس فان الذم مولم للقلب وتالم القلب بالذم ليس بحرام وان الانسان بطبعه يهوى
التألم مباح لكونه جبليا كما ان الضرب يولم الجوارح بالطبع فاذا تالم القلب بالذم ربما يصير مانعا من
الخشوع والخضوع في العبادة لفوات عقله بسبب الغضب الناشئ عن تالمه والتركي اي ترك التالم لكمال
فان كمال الصدق في ان يزول عنه رؤية الخلق فيستوي عنده ذامه ومادحه لعلمه ان الضار والنافع هو الله
وان العباد كلهم عاجزون مقهورون تحت قدرته وقضائه فللترمذي من حديث البراء وحسنه بلفظ قام
رجل فقال ان حمدي زين وان ذمي شين فقال كذبت ان ذاك الله ولاحمد من حديث الاقرع بن حابس
وهو قائل ذلك دون قوله كذبت ورجاله ثقات او لان الناس شهداء الله اي يشهد الله تعالى كما قيل السنة
الخلق اقلام الحق فورد في مسند احمد والصحيحين والنسائي عن انس من اثنيتم عليه خيرا وجبت له الجنة الخ

خيرا وجبت له الجنة ومن اثنيتم عليه شرا وجبت له النار انتم شهداء الله في الارض ثلثا اي قاله ثلاث
مرات وهو المستفاد من قوله سبحانه وكذلك جعلناكم امة وسطا اي عدلا لتكونوا شهداء على الناس
ويكون الرسول عليكم شهيدا او ان الذام يصير عاصيا اي بسببه ذمه ولو بالمعاصي او يتبجح ومن عين الحد
في الذم فيذم بما ليس فيه ويعرف تفصيح بهذا المقام او يعرف بهذا الكتمان بتشوقه ذمه وذم غيره يعني كما
تيا لم يذمه تيا لم يذم غيره والفرق بين هذا التالم والذي قبله ان هذا يوجد في الانسان اذا ظهرت
المعصية عن غيره ايضا كما يوجد اذا ظهرت منه والذي قبله انما يوجد في الشخص اذا ظهرت منه المعصية دون
غيره او لخوف ان يقصد بسوء من محتسب وغيره وهذا وان الم الذم فان الذم مذموم من حيث يشوش القلب
ويتقص به وان كان ممن يؤمن شره وهذا انخاف شرحه ويطلع على ذنبه فيتغير عليه من جهة قلبه اوليلحى
فهو من كرم الطبع ولا يلزم منه الرياء وورد الحياء خير كله مسلم من حديث عمران بن حصين الحياء شعبة من الايمان ن
متفق عليه من حديث ابي هريرة وفي الحياء لا ياتي الا بخير متفق عليه من حديث عمران بن حصين ويعرف
الكتمان اللوح بعدم الكتمان يعني لا يستحي منه كان جانب بخلاف باقي الاسباب فان صاحبها يحب الكتمان
في الجانب والمقارب اولا ان لا يقتدى به الغير في معصية فينبغي ان يخفي العاصي معصية من ولي وعدو
ايضا ورحب اي ويحمد حب محبة الناس كان الكلام ان يقال محبة الناس ليكون اضافة المصدر الى فاعله
والمفعول محذوف اي اياه لكنه قلب الكلام وقال محبة الناس باضافة الى المفعول والناس فاعله لان
يعلم منه اي من حب الناس له محبته تعالى اياه فمن احبه تعالى جعله محبوبا في قلوبهم اي في قلوب الخلق اجمعهم
لقوله تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا ولقوله عليه السلام اذا احب الله عبدا دعا
جبريل فقال اني احب فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء فيقول ان الله يحب فلانا فاحبوه فيحبه
اهل السماء ثم يوضع له القبول في الارض الحديث رواه مسلم عن ابي هريرة ثم الطاعة التي لا يلتذ بها العامة
كالصلاة والصوم والصدقة ترك المحض العزان يهجم الرياء متجردا عن باعث اخر وعن الاخلاص في الشروع ع
اي في ابتداء شروعه في العمل حتى اندفع الرياء اي الا ان يندفع الرياء ويظهر باعث الاخلاص ويشرع في العمل
مجاهدا النفس في دفع الرياء وتحصيل الاخلاص بالمعالجة والدواء ان يهجما باعثان في وقت الشروع ويتم اي
مجاهدا كذلك اي كما انه في هجوم باعثين ان يهجم باعث الرياء بعده اي بعد الشروع ولا يترك اي الشروع
في العمل مع هجوم الرياء وكذلك لانه موافقة الشيطان فانه يحب ترك العمل في ذا لم تجبه واشتغلت بالعمل
يدعوك الى الرياء فان لم تجبه ودفعته بقي يقول لك هذا العمل ليس بخالص وانت مراء وتعبك ضايع فاي فائدة
لك في العمل الذي لا اخلاص فيه حتى يدلك على ترك العمل لخوفه فاذا تركته فقد حصلت غرضه بل يجب عليه حينئذ
ان يتم العمل ويطلب الاخلاص من الله تعالى لان الرياء قنطرة الاخلاص ولان الاشتهار باضافتها اي ك
الطاعة ليعلمها الخلق منه رياء ولان الاحتراز اي ولان الاحتراز عن النسبة الى الرياء رياء كما قال الفضيل العمل لغير الله شرك
وترك العمل لاجل الخلق رياء والاخلاص ان يخلصك الله منهما وترك النخع الشك وقع لدخول مختص لم يكن لمجرد اخفا
الطاعة بل لما علم انه يحتاج اليه بالاشتغال به فبادر الى ترك الصلاة ثم بادر دخوله لكونه اي التبادر ابعد من الرياء

من اصله فانه يدعوك اولا الى ترك العمل صح

الرياء فراي ان عدم رؤيته في القراءة العبدية الرياء وهو عازم على الترك لكن لم تشتغل به حتى يعود اليها بعد ذلك
والى ما ان تركه لم يكن لهجوم الباعثين عند الشروع او بهجوم باعث الرياء بعد الشروع وان زاد اي
المصلي مثلا على المعتاد في ورده كمية او كيفية لحدوث النشاط في العبادة عند رؤية متعبد اي عند رؤيته
لمتعبد اخر فان للصحبة تاثيرا بليغا ولذا شرع الجمعة والجماعة فان كان انما زاد على المعتاد غبطة في العبادة
ونزوا الى الغفلة والكسل المتصلين بعد كثرة اي المتعبد فيفعل الزيادة على العادة وان ظن انه رياء فاعل سوء نيته
انه رياء بحذف فانه اذا كان لنشاط من شماتة قلبه اي قلب المتعبد الاخر فلا يفعل الزيادة لانه رياء محض لا ثواب
له بل عقاب عليه ويعرف بهذا المقام هو النشاط لاجل الغبطة بانه اي بان العابد الذي يزيد على المعتاد
غبطة لو راي المنشط المتعبد بحيث لم يره المتعبد المنشط رغب العابد فيه اي في العمل الزائد فانه حينئذ يصدق
انه مخلص وباعث الزيادة حصول الغبطة الا ما يلتذ به العامة من الطاعة قال على الخلافة اي الامامة
الكبرى مؤدي في الطبراني والبيهقي من حديث ابن عباس ليوم من امام عادل خير من عبادة الرجل وحده ستين
سنة وفي رواية عاما وللاصبهاني في الترغيب والترهيب من حديث ابي سعيد الخدري اقرب الناس مني
مجلسا يوم القيامة امام عادل وخطرها اي افة الخلافة اعظم التحركها اي الخلافة الباطن في محبة الجاه
وهو اعظم لذات الدنيا فلاحمد والبزار وابي يعلى والطبراني من حديث ابي هريرة ما من والي عشرة الا جاء
يوم القيامة يداه مغلولة الى عنقه لا يفكها الا اذا عدله وفي الصحيحين من حديث معقل بن يسار ما من عبد
يسترعيه الله رعية لم يحطها بنصيحة الا لم يرح رائحة الجنة وعن الحسن ان رجلا ولاه النبي عليه السلام
فقال خر لي يا رسول الله فقال اجلس رواه الطبراني ورواه ايضا من حديث ابن عمر بلفظ الزم بيتك وفي الصحيحين
من حديث عبد الرحمن بن سمرة لا تسال الامارة وللبخاري من حديث ابي هريرة انكم تحرصون على الامارة
وانها حسرة يوم القيامة وندامة فنعمت المرضعة وبئست الفاطمة ورواه ابن حبان فبئست المرضعة وبئست
الفاطمة وفيهما من حديث ابي موسى انا لا نولي امرنا من سالنا ولا قضاء اي ولا يصال الخلافة والجرا ره
الى ارتكاب الذنب لمنعه اي لزيادة الجاه فان كل ما جاه وغلب على النفس حبه صارت الولاية محبوبة
عنه فيحتاج الى حفظها ويوشك ان يتبع هواه فيمتنع منه كل ما يقدح في جاهه وان كان حقا ومن تم
احترز عنها اي عن الخلافة الا تقياء من الاكابر الامة لكن لا يدل حذان يقوم بامرها فيحترز عنها الضعيف
اي العاجز عن السياسة دون القوي القادر على الرياسة لعدم تاثرها اي تاثر الخلافة او محبة الجاه
فيه اي في القوي الا اذا علم القوي اي خاف الانقلاب عن حالة القوة الى حالة الضعف عند التقليد اي
عند قبول الخلافة فيما قدمنا من الخطر والافة فالصحيح الاحوط فيه اي في هذا الحال من خوف الانقلاب
الاحتراز اذ النفس خداعة يخاف عليها عند الكرم اي عند عزمها وجزمها بالثبات فيفيد الخوف من عدم
الثبات اولى ان يخاف عليها ولا تتنازع عن المنصب اهون من العزل كما هو المشاهد في اهل العدل ويشير
اليه ما في حديث البخاري نعمت المرضعة وبئست الفاطمة ثم القضاء وخطره ايضا ادنى من خطر الخلافة ولمسلم من
حديث ابي ذر لا تامرن على اثنين ولا تلين مال يتيم ولاصحاب السنن من حديث بريدة القضاة ثلاثة

اثنان في النار وواحد في الجنة رجل علم الحق فقضى به فهو في الجنة ورجل قضى للناس على جهل فهو في
النار ورجل عرف الحق فجار في الحكم فهو في النار رواه في حديث ابي هريرة من جعل قاضيا فقد ذبح بغير
سكين وفي رواية من ولي القضاء واسناده صحيح ثم الوعظ للناس والدرس للطلبة والفتوى لارباب
الحاجة في الفضل لانها عبادات متعدية والخطر لانسانه اي فيها وعظم القدر لها لخطرها فيها
عظيم بقدرها واشتراط القوة بان يجوز التعليم خالصا لوجه الله الكريم ومدافعة السلف مبتدا فيها
اي في المذكورات مشهورة قال بعضهم كان السلف يتدافعون اربعة اشياء الامامة والوديعة والوصية
والفتوى ويعرف القوة في كل منهم بعدم كراهته ظهور احسن منه علما وعملا فيتقلد اي بالقيام
ثم ان كان عدم القوي في مقام التقوى الكامل في العلم بالفتوى يتعين اقوى الناس مجتهدا اي حال
كونه مبالغا في الاحتراز عن افاته اي افات ما ذكر من الخلل فيه وغيرها في جميع حالاته ومقاماته وبالجملة
ما يتعلق بالخلق من الطاعة وللنفس فيه لذة محفوفة بالافات ومنبع البليات فان احب للقوي
ان يعمل ويدفع الافة بالعلم فان عجز فلينظر وليجتهد وليستفت قلبه وليستخر ربه وليزن ما فيه من
الخير بما فيه من الشر وليعمل بما دل عليه نور العلم بالشرع دون الميل اليه بالطبع ثم ما يجد اخف على قلبه
واهون اليه يكون في الاكثر اضر عليه لان النفس لا تشير الا بالشر وقلما تشير بمحض الخير ولهذا امور
لا يمكن الحكم على تفاصيلها بنفي واثبات نظرا الى تفاصيلها بل كلي موكول الى اجتهاد القلب المتشوق لذكر
الرب لينظر فيه لدينه ويحقق يقينه ويدع ما يريبه الى ما لا يريبه ومن جرب افات مناصب العلم وما يترتب
عليها من الحرام والشبه علم انها بالواجبات والمكروهات اشبه وان الحذر منها في حق الضعيف اسلم والله
سبحانه اعلم

الباب الرابع عشر في التفويض وفقر الصلاة وذكر الموت والانتباه

اي التيقظ من نوم الغفلة بالتوبة والاستقامة بسم الله الرحمن الرحيم وافوض امري الى ربي
الكريم الخطر هو الاشراف على الهلاك ان لم يكن مقرونا بالحذر وفق القدر خطران اي نوعان
احدهما خطر الفساد بان لا يستيقن فيه الصلاح ويحتاج فيه الى التفويض اي التسليم الى امر الله وما قدره
وقضاه فيما اراد من الصلاح والفساد فان المراد للعباد ثلثة مراد يعلم يقينا انه شر وفساد كالنار
والعذاب والحجاب وفي الافعال كالكفر والبدعة والمعصية فلا سبيل لك الى ارادة ذلك ومراد يعلم
قطعا انه خير وصلاح كالجنة والايمان والطاعة والسنة فلك ارادتها بالحكم لا موضع للتفويض فيه اذ
لا خطر فيه ومراد لا يعلم يقينا ان لك فيه صلاحا ام فسادا فهذا موضع التفويض فليس لك ان تريده
قطعا الا بالاستثناء او شرط الخير والصلاح فان قيدت ارادتك بالاستثناء فهو تفويض وان اردت
دون الاستثناء فهو مذموم ومنهي عنه فموضع التفويض اذا كل مراد فيه الخطر وهو ان لا تستيقن
صلاحك فيه وهو اي التفويض ارادة حفظ الله تعالى للمفوض فيما اي في عمل لا امن فيه عن الفساد وقال
بعض المشايخ هو ترك الاختيار فيه مخاطرة الى المختار المدبر العالم بمصالح العباد من الصلاح والفساد
وعبارة الشيخ النسفي هو ترك اختيار المخاطرة على المختار ليختار لك ما هو خير لك ويؤيده كلام الامام

الامام الشاذلي لا تختر فان اخترت فاختر ان لا تختار فربك يخلق ما يشاء ويختار ومن كمالها قيل لابي
يزيد ما تريد قال اريد ان لا اريد وقال الشيخ ابو عمر هو ترك الطمع اي من الخلق والطمع ارادة الشيء
الى ظن بالحكم وعن الشاذلي اقطع طمعك عن الله ان يعطيك غير ما قسم لك فهذه عبارات القوم وما ذكره
هو اختيار الامام الغزالي بعينه وهو ان التفويض الارادة ان يحفظ الله عليك مصالحك فيما لا تامن الخطر
فيه لا حظك فيك هو اي العمل لا امن فيه من الفساد كما يكون دونه نجاة فان ما ليس بغيره نجاة وكذا الاولى
والمحرمات ويمكن ان يجامعه ذنب فان الاستقامة التي هي حمل النفس على طريق السلامة من ادخل في القران
والسنة من غوائل الشك والشبهة لا يجامعها ذنب او السنة لا يجامعها بدعة لان البدعة الذميمة هي التي
تزاحم السنة الكريمة فيختص التفويض بالنوافل والمباحات دون الواجبات والمحرمات والمكروهات وقيل
المراد بالعمل الذي لا امن فيه من الفساد ما اي عمل يمكن ان يعرض عليه اي يطرا ويحدث على شروعه
ما يكون الاشتغال به اولى فيعم الفرض اي ونحوه واكثر المشايخ واختيار الامام في منهاج العابدين
ان الفرض ليس موضع التفويض وبه قال القشيري حيث قال في هذه المسئلة ان الذي افترض الله
على عبده من الصلاة والصيام والحج ونحوها ففيه صلاح العبد لا محالة وصحت ارادتها بالحكم البتة
انتهى وقال بعضهم ان الله عز وجل لا يامر العبد بشيء الا وفيه صلاح له اذا تجرد عن العوارض ولا يتفق
عليه فعل فرضا يخشى ان يعدل عن ذلك الا وفيه صلاح له وانما ربما يسبب عذرا لاجله يكون العبد مامورا عن
اداء الفرائض اولى فيه الاشتغال بالاخر فيكون العبد في ذلك معذورا بل ماجورا لكن لا يترك هذا الفرض
بل يفعل الفرض الذي هو اولى اولا اذ من قصد اداء الصلاة ضاق وقتها مع غريق او حريق او اعمى
او صغير يريد ان يرمي في بئر يمكن انقاذه اي تخليصه بترك اداء الصلاة او بقطعها وتاخيرها فهو اولى من
ادائها واتمامها لان ذاك هو فرض الوقت الذي يوجب ترك المقت ولا بد منه اي من التفويض لامرين
لاطمئنان القلب في الحال فان الامر اذا كانت خطرة مبهمة لا يدري صلاحها من فسادها فيكون مضطرب
القلب متردد النفس في مراد لا يدري يقع في صلاح او فساد فاذا فوضت الامر الى الله وما قدره وقضاه
علمت انك لا تقع الا في خير وصلاح ونفع وفلاح فتكون آمنا من الخطر الان فانه والمنى فانه مطمئن
البال في الحال وبهذه الطمانينة والاستراحة في القلب غنيمة عظيمة في المال فكان يقول بعض المشايخ
في مجالسه كثيرا دع التدبير الى من خلقك تسترح وحصول الصلاح اي الخير والنفع في الاستقبال وذلك
لان الامور العواقب مبهمة فكم من شر في صورة خير وكم من نفع في حلية ضر وكم من سم في طية شهد وانت
جاهل بالعواقب واسرار الرب ولاذا فوضت الامر اليه وتوكلت عليه وسلمت نفسك اليه وسالته ان
يختار لك ما هو صلاح حكمه بتعريف رب العباد في المفوض اي في امر المفوض للمراد الفساد بل لم يتق الا الخير
والرشاد ولا يقع الا الصلاح والسداد نوود في التنزيل حكاية عن مومن ال فرعون وافوض امري
الى الله اي فوقاه الله سيات الى به اي ان الله بصير بالعباد فوقاه الله سيات ما مكروا وحاق بال فرعون سوء
العذاب فالرجوع هو المتيقن الصلاح وان الصلح للعبد فيما لا يفعل الله في المفوض حتى قام عليه السلام

مع اصحابه الكرام عن صلاة الفجر حين عرس عليه السلام وقت سحر في حال سفر والحديث في الصحيحين
بطوله وله ابواب وللمفوض اختيار الافضل اي في طلبه من الله بغير التشهي منه و هو لا يقدح في تفويضه
الذي هو كمال تسليمه كقول المريض المفوض للطبيب الذي بمنزلة الحبيب اجعل دوائي كالسكر لا كالشبر
اذا كان الصلاح فيهما بحسب التدبير مع الرضا بالمفضول وهو كالشعير ان اختير اي اختاره الطبيب
المفضول له للمريض بحسب التقدير وانما قيد بكونه مع الرضا لانه لو لم يرض به لكان المفضول مكروها
وكان الافضل حينئذ هو الفاضل بحكم فالاصلح فهو مجهول اي لا يعرف احد من العباد جهة
الصلاح وجهة الفساد حتى يختار الاصلح فيما اراد وتوضيحه ان الحيا فان قيل فلم يجب ان يفعل
بالمفوض ما هو الافضل فاعلم ان الايجاب مستحيل في حق الله ولا يجب لعباده عليه شيء وقد يفعل
بالعبد الاصلح دون الافضل لحكمة في فعله الا ترى انه قدر للنبي واصحابه ان ناموا طول الليل في
بعض الاسفار حتى فاتتهم صلاة الفجر والصلاة افضل من النوم وربما يقدر للعبد الغنا والنعمة في الدنيا وان
كان الفقر افضل باعتبار العقبى ويقدر له الاشتغال بالاولاد والازواج وان كان التجرد لعبادة الله
افضل فانه بعباده خبير بصير فالمقصود للعبد النجاة من الهلاك الفضل والترقي مع الغنا والا فلا كل
فان قيل فلما اذا كان للعبد ان يختار الافضل وليس له ان يختار الاصلح فاعلم ان الفرق بينهما ان
العبد يعرف الافضل من المفضول ولا يعرف الصلاح من الفساد لا يدري بالحكم ثم معنى اختيار
الافضل ان يريد من الله ان يجعل صلاحه فيما هو الافضل ويختار له ذلك ويقدر لما ليس الامر
للعبد بحكم في شيء لقوله تعالى ليس لك من الامر شيء فهذه جملة من دقايق هذا العلم واسراره وحقايقه
والنوال ولولا ان الحاجة مست اليه لما تعرضنا بالايراد بعضه لانه يليق بعلم بحار علوم المكاشفة ونحن في
سواحل علوم المعاملة وضده اي ضد التفويض الطمع الحق بمعنى الرجا وهو الطمع محمود ان قيد بشرط
الصلاح فيما امن فيه عن الفساد او باين اي فارق المطموع الخطر اي خطر الفساد فورد في التنزيل
حكاية عن ابراهيم والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين وعن السحرة انا نطمع ان يغفر لنا خطايانا
ان كنا اول المؤمنين وكذا قوله تعالى حكاية عن المؤمنين وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع
ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين فالطمع الوارد في هذه الايات مثلا باين الخطر والا فمذموم
اي وان لم يقيد بشرط الصلاح او لم يباين الخطر فالطمع مذموم ففي الخبر اياكم والطمع فانه فقر حاضر
ورب صلاح الدين الورع وفساده الطمع فهو الطمع المذموم سكون القلب الى منفعة مشكوكة وينكر
هو الارادة الشيء الخطر بالحكم وهذه الارادة تقابل التفويض الا غير فاعلم ذلك واما حصن التفويض
فهو ذكر خطر الامور وامكان الهلاك والفساد فيها وحصن حصنه ذكر عجزك عن الاعتصام عن خروب
الخطر والامتناع من الوقوع فيها بجهلك وغفلتك وضعفك فالمواظبة على هذين الذكرين تحملك على
تفويض الامور كلها الى الله تعالى والتحفظ عن الحكم فيها والامتناع عن ارادتها الا بشرط صلاح فهو
وهذا غاية التحقيق والله ولي التوفيق وضده عدم الكون اي عدم وجود الامر ويحتاج فيه اي في خطر علم

عدم الكون الى قصر الامل اي وتقريب الاجل وتكثير العمل وهو اي قصر الامل ان لا يراد امر
يشك في كونه اي وجوده الا بالاستثنا بذكر المشية اي بقيد ان شاء الله كما قال تعالى ولا تقولن لشيء
اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله واذكر ربك اذا نسيت اي او يذكر علم الله فيقول ان علم الله اني افعل ذلك الفعل فعلت
قلبا اي يكفي في الذكر بالعلم خطور القلب وحضور الجنان ولا يلزم فيهما النطق باللسان اي علم الايمان
فورد في قصر الامل خطابا لابن عمر اذا اصبحت فلا تحدث نفسك بالمسا اي بادراكه واذا امسيت
فلا تحدث نفسك بالصباح وتمامه وخذ من حياتك لموتك ومن صحتك لسقمك فانك يا عبد الله لا تدري ما اسمك
غدا وصدر الحديث كن في الدنيا كانك غريب او عابر سبيل وعد نفسك من اصحاب القبور رواه ابن حبان
ورواه البخاري من قول ابن عمر وابن ابي الدنيا من حديث علي مرفوعا قال ان اشد ما اخاف عليكم خصلتين
اتباع الهوى وطول الامل فاما اتباع الهوى فانه يعدل عن الحق واما طول الامل فانه يورث الحب للدنيا
ثم قال الا ان الله يعطي الدنيا من يحب ويبغض واذا احب عبدا اعطاه الايمان الا ان للدنيا ابناء وللدين
ابناء فكونوا ابناء الدين ولا تكونوا ابناء الدنيا الا ان الدنيا قد ارتحلت مولية الا ان الاخرة قد اطلت مقبلة
الا وانكم في يوم عمل ليس فيه حساب الا وانكم توشكون ان تكونوا في يوم حساب ليس فيه عمل وطول الامل
الى وصف التفويض الامل ايضا هو الارادة اي ارادة امر يشك في كونه بالحكم اي بالقطع الا بالاستثنا
وتقييد المشيئة وفيه اي وفي الامل التفاوت من اهل الشقا ابدا كما للكفار في الذكرية والى الالف كما في التعليم
ومن الذين اشركوا يود احدهم لو يعمر الف سنة وفي الصحيحين من حديث ابي هريرة قلب الشيخ شاب على حب
اثنين طول الحياة وحب المال وكحال الهرم اي الكبر وهو كالاكثر السنة وهو قريب الى السنة فانه عليه
السلام كان يدخر لعياله قوت سنة لكفاية حالهم من ماله والقصر من الفصول الاربعة والشهر فلابن ابي
الدنيا والطبراني وابي نعيم والبيهقي عن ابي سعيد اشترى اسامة بن زيد من زيد بن ثابت وليدة بمائة
دينار الى شهر فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الا تعجبون من اسامة اشترى الى شهر ان اسامة
لطويل الامل والذي نفسي بيده ما طرفت عيناي الا ظننت ان جفني لا يلتقيان حتى يقبض الله روحي
ولا رفعت طرفي وظننت اني واضعه حتى اقبض ولا لقمت لقمة الا ظننت اني لا اسيغها حتى اغص
بها من الموت ثم قال يا بني ادم ان كنتم تعقلون فعدوا انفسكم من الموتى والذي نفسي بيده انما توعدون
لات وما انتم بمعجزين ولابن المبارك وابن ابي الدنيا والبزار من حديث ابن عباس كان يخرج عليه
السلام من يريق الما فيتيمم بالتراب فاقول الما منك قريب فيقول ما يدريني لعلي لا ابلغه وكان عليه السلام
يقول في دعائه اللهم اني اعوذ بك من دنيا تمنع خير الاخرة واعوذ بك من حياة تمنع خير الممات واعوذ بك من امل
يمنع خير العمل لابن ابي الدنيا من رواية حوشب وقال مطرف بن عبد الله لو علمت متى اجلي لخشيت على ذهاب
عقلي ولكن الله تعالى من على عباده بالغفلة عن الموت ولولا الغفلة لما تهنوا بالعيش ولا قامت بينهم الاسواق
وقال بعضهم طول الامل يخرب الدنيا وقال الثوري الزهد في الدنيا قصر الامل ليس باكل الغليظ ولبس العبا
وقيل للحسن الا تغسل قميصك فقال الامر اعجل من ذلك وقال وهب بن منبه في حجر مكتوب ابن ادم انك لو رايت

ما بقي من أجلك لشاهدت من طول أملك ولرغبت في زيادة عملك ولقصرت عن حرصك وحيلك إنما يلقاك
غدا ندمك لو قد زلت قدمك وأسلمك أهلك وحشمك وفارقك الولد والقريب ورفضك الولد والنسيب فلا أنت
إلى دنياك عائد ولا في حسناتك زائد فاعمل ليوم القيامة قبل الحسرة والندامة وعن داود الطائي من خاف
الوعيد قصر عليه البعيد ومن طال أمله ضعف عمله وكل ما هو آت قريب وكل ما يشغلك عن ربك فهو
مشؤوم وإن أهل الدنيا جميعا من أهل القبور إنما يندمون على ما يخلفون ويفرحون بما يقدمون فما
ندم عليه أهل القبور أهل الدنيا عليه يقتتلون وفيه يتنافسون وعليه عند القضاة يختصمون وروي أن
معروف الكرخي أقام الصلاة فقال لمحمد بن أبي توبة تقدم فقال إن صليت لكم هذه الصلاة لم
أصل لكم غيرها فقال معروف وأنت تحدث نفسك أن تصلي صلاة أخرى أعوذ بالله من طول الأمل فإنه
يمنع خير العمل وكان الحسن يقول في موعظته المبادرة فإنما هي الأنفاس لو حبست انقطعت عنكم أعمالكم
التي تتقربون إلى الله عز وجل رحم الله عبدا نظر لنفسه وبكى بعد ذنوبه ثم قرأ هذه الآية إنما نعد لهم عدا
يعني الأنفاس آخر العدد خروج نفسك عن نفسك واجتهد أبو موسى الأشعري قبل موته اجتهادا
شديدا فقيل له لو أمسكت ورفقت بنفسك بعض الرفق فقال الخيل إذا أرسلت فقاربت رأس
مجراها أخرجت جميع ما عندها والذي بقي من عمري أقل من ذلك فلم يزل على ذلك حتى مات وكان
يقول لامرأته شدي رحلك فليس على جهنم معبر وقال ابن عمر خرج عليه السلام والشمس على أطراف السعف
فقال ما بقي من الدنيا إلا مثل ما بقي من يومنا هذا إلا كما مضى منه ابن أبي الدنيا والترمذي وحسنه
وعن أنس قال عليه السلام مثل الدنيا مثل ثوب شق من أوله إلى آخره فبقي معلقا بخيط في آخره فيوشك
ذلك الخيط أن ينقطع رواه ابن أبي الدنيا ومر داود الطائي فسأله رجل عن حديث فقال دعني إنما
أبادر خروج روحي وقال بعض المفسرين في قوله تعالى ولكنكم فتنتم أنفسكم أي بالشهوات واللذات وتر بصتم وارتبتم
أي بالتوبة قال شككتم حتى جاء أمر الله قال الموت وغركم بالله الغرور واليوم فعن عيسى عليه السلام
لا تهتموا برزق غد فإن يكن غدا من آجالكم فستأتي فيه أرزاقكم مع آجالكم وإن لم يكن من آجالكم
فلا تهتموا لآجال غيركم وهو يؤخذ من قوله تعالى وما تدري نفس ماذا تكسب غدا أو الساعة النجو مية
أو اللغوية الشاملة للخطاب العصر ويؤخذ هذا من قوله تعالى إذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة
ومن قوله ولن يؤخر الله نفسا أي ولو نفسا إذا جاء أجلها وفي الإحياء ومنهم من يكون الموت نصب عينيه
كأنه واقع به فهو ينتظره وهذا الإنسان هو الذي يصلي صلاة مودع وفيه ورد ما نقل عن معاذ
لما سأله عليه السلام عن حقيقة إيمانه فقال ما خطوت خطوة إلا ظننت أني لا أتبعها أخرى رواه
أبو نعيم في الحلية وكما نقل عن الأسود وهو الحبشي أنه كان يصلي ليلا ويلتفت يمينا وشمالا فقال
قائل ما هذا فقال أنتظر ملك الموت من أي جهة يأتيني وفي أي صفة يحضر وهل أكون من أصحاب
اليمين أو أصحاب الشمال لخوف الرجال في هذا الحال لا من اشتغال الآجال وفي منهاج العابدين
ما الاشتغال أن الأمل إرادة الحياة للوقت المتراخي بالحكم ومقصر الأمل ترك الحكم فيه بأن تعبد

تقييده بإن شاء الله وعلمه في الذكر أو بشرط الصلاح في الإرادة فإذن إن ذكرت حياتك
بأني أعيش بعد نفسي ثان أو ساعة ثانية أو يوم ثان بالحكم والقطع فأنت آمل وذلك معصية إذ
هو حكم على الغيب وإن قيدته بالمشيئة والعلم من الله فقلت أعيش إن شاء الله أو إن علم الله أني
أعيش فقد خرجت عن حكم الأمل وكذا لو أردت حياتك للوقت الثاني قطعا فأنت آمل وإن
قدرت الإرادة بشرط الصلاح خرجت عن حكم الأمل ووصفت بقصر الأمل حيث تركت الحكم في ذكر
البقاء وإرادته والمراد بالذكر ذكر القلب ثم الإدامة التوطين على ذكر وتثبيت القلب على ما كان لك ويظهر
ق هذا التفاوت بالادخار أي بوضع ذخيرة الأرزاق والتأهب أي التهيئ لأسباب المعاش والارفا
ما فاته أي آفات الأمل ومضراته ستة ترك الطاعة رأسا والكسل في العبادة والملل والتسويف أي تأخير
العمل بأن يقول سوف أعمل والحرص على الدنيا ونسيان الآخرة وما فيها من لقاء المولى والقسوة أي
قساوة القلب ومنه قوله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة وقوله سبحانه فويل
للقاسية قلوبهم من ذكر الله ومنه علم القساوة عدم الرقة وقلة البكاء على الغفلة فورد في التنزيل ألم
يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل
فطال عليهم الأمد أي زمان الأجل فقست قلوبهم بسبب طول الأمل وفي آية أخرى ذرهم يأكلوا ويتمتعوا
ويلههم الأمل أي يشغلهم الأمل عما خلقوا له من العمل فسوف يعلمون غاية خطئهم في طول أملهم وقصر عملهم
وتوبيخهم تأخير أجلهم والسبب أي سبب الأمل شيئان حب الدنيا فإنه يوجب كراهة مجيء الأجل والجهل
بالحقائق أي حقائق ما يرد على الإنسان من موت الفجاءة وقبل البغتة ومن مقدمات الموت كالحمى والصداع
ونحوهما فإنه لا يكون إلا عن غفلة قال تعالى وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون أو هم
قائلون أي مستريحون بالقيلولة وعلاج كل من سببيه ما عرف في موضعه وذكر مجاهدة الموت أي ومن
علاجه تصوره في الجنان وتقريره باللسان فذكره أي الموت مطلقا يوجب التأهب له أي يقتضي التهيؤ
والاستعداد للموت قبل مجيئه والتجافي أي التباعد عن دار الغرور وهي الدنيا فإنها غدارة مكارة كما قال
تعالى ولا يغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور أي الشيطان المانع عن سلوك سبيل العقبى نور
في الحديث نعم من يذكر الموت في اليوم والليلة عشرين مرة والظاهر أن يكون في كل ساعة اللهم بارك لي في
الموت وفيما بعد الموت ويحتمل أن يذكره في اليوم عشرين وفي الليل عشرين أو في اليوم عشرة وفي الليل عشرة
سؤاله أو متفرقة والمقصود منه الكثرة حين قيل هل يحشر مع الشهداء أحد والحديث تقدم وقال المخرج
لم أقف له على إسناد قلت روى الطبراني في الأوسط عن عائشة قالت قلت يا رسول الله ليس الشهداء إلا
من قتل في سبيل الله قال يا عائشة إن شهداء أمتي إذن لقليل من قال في يوم خمسا وعشرين مرة اللهم بارك
لي في الموت وفيما بعد الموت ثم مات على فراشه أعطاه الله أجر شهيد وفي السنن الأربعة عن أبي هريرة
أكثروا ذكر هادم اللذات الموت وفي رواية أكثر ذكر الموت يسليك عما سواه وفي رواية أكثروا ذكر هادم اللذات فإنه
لا يكون في كثير إلا قلله ولا في قليل إلا أجزله وفي رواية فإنه لم يذكره أحد في ضيق من العيش إلا وسعه عليه

وان ذكر اي سمع ان ضيقها عليه وفي رواية اكثروا ذكر الموت فانه يمحص الذنوب ويزهد في الدنيا فان ذكرتموه ه
عند الغنا هدمه وان ذكرتموه عند الفقر ارضاكم بعيشكم وللبيهقي في الشعب من حديث ام حبيبة الجهنية
لو يعلم البهايم من الموت ما يعلم ابن ادم ما اكلتم منها سمينا ولابن ابي الدنيا عن عطا الخراساني مر رسول
الله عليه السلام بمجلس قد استعلاه الضحك فقال شوبوا مجلسكم بذكر مكدر اللذات قالوا وما
مكدر اللذات قال الموت وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسجد فاذا قوم يتحدثون ويضحكون
فقال اكثروا من ذكر هادم اللذات فو الذي نفسي بيده لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا رواه
ابن ابي الدنيا من حديث ابن عمر وفيه ايما الى قوله تعالى فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا وللطبراني والبيهقي
في الشعب من حديث عمار بن ياسر كفى بالموت واعظا وفي رواية موقظا وقال ابن عمر اتيت النبي صلى
الله عليه وسلم عاشر عشرة فقال رجل منا من اكيس الناس واكرم الناس يا رسول الله قال
اكثرهم ذكرا للموت واشدهم استعدادا له اولئك هم الاكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الاخرة
ابن ابي الدنيا باسناد جيد وعكرمة في تفسير قوله تعالى ايكم احسن عملا ايكم اكثر ذكرا للموت واشدهم استعدادا دا
قبل الفوت وقال بعضهم احذر الموت في هذه الدار قبل ان تصير الى دار تتمنى فيها الموت ولا تجده وقال
كعب من عرف الموت هانت عليه مصايب الدنيا وهمومها وقالت صفية ان امراة تشكت الى عايشة
قساوة قلبها فقالت اكثري ذكر الموت يرق قلبك ففعلت فرق قلبها فجاءت تشكر عايشة رضي
الله عنها وقال عبد الله بن ثعلبة تضحك ولعل اكفانك خرجت من عند القصار وحقه اي وحق ذكر الموت
ان يذكر رغبة اي ميلان ومحبة الى لقاءه تعالى في الجنة وبعثا اي وتحريضا وحثا للخوف الموجب لسرعة
التدارك اي تلافي ما فات منه من الطاعات دون التاسف اي الحسرة على فوات الدنيا اي من لذاتها
وشهواتها لحظوظها فهو اي التاسف المذكور مبعد عنه تعالى لقوله عليه السلام من اصبح على دنيا فاتته اقترب
من النار مسيرة الف سنة اخرجه الرازي في مشيخته عن ابن عمر فورد في الحديث من احب لقاء الله احب
الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه رواه الشيخان وغيرهما وفي رواية زيادة والموت دون
لقاء الله والمراد بلقاء الله المصير الى دار الاخرة وطلب ما عند الله من المراتب العلية وليس الغرض به
الموت لان كلا يكرهه فمن ترك الدنيا وابغضها احب لقاء الله ومن اثرها وركن اليها
كره لقاء الله لانه يصل اليه بالموت وقوله والموت دون لقاءه تبين ان الموت غير اللقاء ولكنه معترض
دون الغرض المطلوب وهو الوصول الى قرب المحبوب فيجب ان يصبر عليه ويتحمل مشاقه لديه حتى يصل
الى الفوز باللقاء كذا في النهاية وفي شرح مسلم للنووي ليس معنى الحديث ان حبهم لقاء الله حبب لهم
الله لقاءهم ولا ان كراهتهم سبب لكراهته بل الغرض بيان وصفهم بانهم يحبون لقاء الله حين احب
الله لقاءهم انتهى وتوضيح ان المحبة لله ومحبة العبد لربه تابعة لها ومنعكسة منها ومتفرعة عليها
كظهور عكس الما على الجدار ويؤيده ما روي انه عليه السلام قال اذا احب الله عبدا عشقه عليه وفي تقديم م
يحبهم على يحبونه في القران اشارة اليه ودلالة عليه فمعنى الحديث من احب لقاء الله فهو سبب للاخبار بان

بان الله يحب لقاءه اذ اتانا الوصل ومحبته راقتنا بمزيد عنايته كذا في شرح المشارق قال ولا
صفة المحبين وان خوصه من يخاف عتاب الله على ذنوبه من المومنين او صفة الكافرين والمقوم
منهما ما ذكر في المصابيح ان الخصوصية الكره فقط حيث قال عليه السلام بهذا الحديث فقالت
عايشة انا لنكره الموت قال عليه السلام ليس كذلك ولكن المومن اذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته منه
فليس شي احب اليه مما امامه فاحب لقاء الله واحب الله لقاءه وان الكافر اذا حضره الموت بشر بعذاب
الله وعقوبته فليس شي اكره اليه مما امامه فكره لقاء الله وكره الله لقاءه وفي القران بشرى المحبين
حيث قال تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملايكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا
بالجنة التي كنتم توعدون الايات وقال عز وعلا يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم ويقول
ذوقوا ما كنتم تعملون والمراد بالحب اي لقاء الله في الحديث انما هو العارف بذات الله وصفاته وبدايع مصنوعاته منه
المشتاق اليه لزيادة ما لديه فالموت موعد اذ لا يتصور لقاءه دونه كما في حديث مسلم انكم لن تروه حتى
تموتوا وبهذا المحمل جوابه تعالى لموسى عليه السلام لن تراني اي في الدنيا بالعين الفانية وانما تراني في
العقبى بالعين الباقية وبهذا المحمل قوله عليه السلام تحفة المومن الموت ابن ابي الدنيا والطبراني والحاكم
من حديث عبد الله بن عمر باسناد حسن وعلامة المحب العارف ان لا يسخط موعد لقاء الحبيب بل يستبطي
مجي الموت ويحب محبته ليتخلص من دار العاصين وينتقل الى جوار رب العالمين كما روي عن حذيفة انه
لما حضرته الوفاة قال حبيب جاء على فاقة لا افلح من ندم اللهم ان كنت تعلم ان الفقر احب الي من الغنا
والسقم احب الي من الصحة والموت احب الي من العيش فسهل علي الموت حتى القاك فاذا الراغب معذور في الرهبة
للموت وهذا الحب مشكور في حب الموت واعلى منهما رتبة من فوض امره الى الله فصار لا يختار لنفسه موتا ولا
حياة بل يكون احب الاشيا اليه احبها الى مولاه فهذا قد انتهى بفرط الحب والولا الى مقام التسليم والرضا
وهو غاية والمنتهى وهو معنى قول المص وبالكل اي والمراد بالكل لقاء الله الراغب الى الدنيا كالحريص والجاهل
والمسالك كما قدمناه يخاف اي الخايف يحق اي بهجوم الموت وما تاه البغتة قبل تمام التوبة وتدارك اوقات ت
الغفلة في الحوبة واصلاح الزاد ليوم المعاد فهو انما يكره فوت اللقاء اي لا نفس اللقاء وعلامة صدق
هذا ان يكون دايم الاستعداد لا يشتغل بسوى اعداد الزاد للمعاد وقال القعقاع بن حكيم قد استعددت دت
للموت منذ ثلاثين سنة فلو اتاني ما احببت تاخير شي منه وقال الثوري رايت شيخا في مسجد الكوفة
يقول انا في هذا المسجد منذ ثلاثين سنة انتظر الموت ان ينزل بي لو اتاني ما امرته بشي ولا نهيته عن
شي ولا لي على احد شي ولا لاحد عندي شي والكل على اي اعلى المراتب بالنسبة الى ما ذكر في ذكر الموت وساير
المناقب ترك الاختيار الى غيره اي فيما اراد الله منه ان يختار والتفويض بالرضا اي وتفويض امره
وتسليمه الى المدبر المختار لقوله تعالى وربك يخلق ما يشا ويختار وفي الاخبار عن سيد الانبياء وسند الابرار
لا يتمنى احدكم الموت فان فعل ذلك فليقل اللهم احيني ما كانت الحياة خيرا لي وتوفني اذا كانت الوفاة ه
خيرا لي واجعل الحياة زيادة لي في كل خير واجعل الموت راحة لي من كل شر وانما ذكر بعض الادب والاداب للموت

فان الدنيا مزرعة الآخرة وطول الهم العبادة من كمال السعادة ويفرغ القلب اي وان يفرغ قلبه
عن غير الموت اي الاستعداد قبل الموت ويتفكر دائما تفكر المسافر على السفر مائتا من خوف البحر والبر
واوضح طريق فيه ان يذكر موت اخوانه واقرانه الذين مضوا قبله ويتذكر مصرعهم تحت التراب ويتفكر
صورهم في مناصبهم ومقام حضورهم وكيف تبددت الآن اجزاءهم في قبورهم وكيف ارملوا نساءهم
وايتموا ابناءهم واتلفوا وضيعوا اموالهم ونقصوا احوالهم وخلت منهم مجالسهم واقفارهم ومجالسهم
وآثارهم ومعها كان لهم من طول املهم للعيش والبقاء ونسيانهم للموت والفنا وانخداعهم بمواتاة الاسباب
وركونهم الى القوة والشباب وميلهم الى الغفلة عما يراد بهم من الموت الذريع والهلاك السريع وانه كيف كان
يتردد الآن قد تهدمت رجلاه ومفاصله وعظامه وكيف كان ينطق وقد اكل الدود لسانه وكيف
كان يضحك وقد اكل التراب اسنانه وانه كيف كان يدبر لنفسه ما لا يحتاج اليه الى عشر سنين ولعله
من الاحوال ان هو الا فعند ذلك ينظر في نفسه انه مثلهم في عاقبة امره قال ابو الدرداء اذا ذكرت الموتى
فعد نفسك كاحدهم وقال ابن مسعود السعيد من وعظ بغيره وقال عمر بن عبد العزيز الا ترون انكم
تجهزون غاديا ورائحا الى الله عز وجل تضعونه وقد توسد التراب وخلف الاحباب وقطع الاسباب
وواجه الحساب ونظر ابن مطيع ذات يوم الى داره فاعجبه حسنها ثم بكى ثم قال والله لولا الموت لكنت
بك مسرورا والانتباه فيه اي في ذكر الموت الانتباه اي استيقاظ القلب من نوم الغفلة وهو اي الانتباه
خلاف الغرور اي ضده ولذا قيل الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وهو اي الغرور سكون النفس وطمأنينتها
وهي قوة في الانسان مائلة الى الشر والفساد كما قال تعالى ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي فمن
الغرور ميلها الى ما يوافق الهوى والشبهة ويخالف الهدى والسنة بان يكون الداعي لها موافقة الطبع من
غير داعية الشرع واما اذا اجتمع الهوى والهدى فهو نور على نور وسرور على سرور ولذا قال تعالى ومن
اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله فورد في التنزيل لا تغرنكم الحياة الدنيا فانها غدارة مكارة
غرارة ولا يغرنكم بالله الغرور اي الشيطان ان المغرور في
الترتيب تنبيه على ان من احب الدنيا يضله الشيطان ومن تركها لم يقدر عليه الا بلطف من اراد
الدنيا لم يقدر على هدايته جميع الانبياء ومن ترك الدنيا لم يقدر على اضلاله جميع الشياطين والاكثر
الى عنوا وغرتكم الاماني حتى جاء امر الله وغركم بالله الغرور وفي الحديث حبذا نوم الاكياس
وفطرهم كيف يغبنون سهر الحمقى واجتهادهم ولمثقال ذرة من صاحب تقوى ويقين افضل من
ملء الارض من المغترين كذا في الاحياء وهو من قول ابي الدرداء بنحوه كما رواه ابن ابي الدنيا وللترمذي وحسنه
وابن ماجه من حديث شداد بن اوس الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه
هواها وتمنى على الله وانواعه اي وانواع الغرور كثيرة ان الغرور عبارة عن بعض انواع الجهل اذ الجهل هو
ان يعتقد الشيء ويراه على خلاف ما هو به فالغرور هو الجهل الا ان كل جهل ليس بغرور بل يستدعي الغرور
مغرورا فيه مخصوصا ومغرورا به وهو الذي يغر فمهما اعتقد انه على خير اما في العاجل او في الآجل عن شهوة فاسدة

او شبهة كما سبق فهو مغرور واكثر الناس يظنون بانفسهم الخير الا ان غرور بعضهم اظهر واشد
غرور الكفار وغرور العصاة والفجار كايثار الدنيا اي اختيارها فانه من اقبح انواع الغرور ثم ان اقتناء
الدنيا واغترارهم بها لكونها نقدا حاضرة على الآخرة لكونها نسيئة اي متأخرة غائبة وذلك جهل وغرور
لان النسيئة الكثيرة راجح على النقد القليل وان شك فيه اي في حصول النسيئة الكثيرة وانما يترجح مع وجود
الشك فيه اذ المريض يترك اللذات التي هي نقد الحال ليصح زمانا طويلا في المستقبل والوقت
والتاجر يخاطر الاموال الى ان يوقعها في الخطر من الاموال كركوبه في البحر وسفره في البر وتحمله شدائد الاحوال
ليربح فيه اي في زمان الاستقبال فان الآخرة اولى بان تختار من الدنيا المتيقن حقا اي بان الآخرة بعد ما
نسبة الدنيا الزائلة الى العقبى نسبة وردها الى كمية وكيفية ونقطة كما قال تعالى والآخرة خير وابقى بل فلو
كانت الدنيا ذهبا فانيا والآخرة خزفا باقيا لكان العاقل اختار الآخرة فكيف والامر بالعكس ومن
غرته الحياة الدنيا فان اليقين خير من الشك ولذات الدنيا يقين ولذات الآخرة شك فلا يترك اليقين بالشك
وهذا ونحوه اقيسة فاسدة تشبه قياس ابليس حيث قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين والى ما
الى الشارع بقوله تعالى اولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون
وعلاج هذا الغرور اما بتصديق الايمان واما بتحقيق البرهان اما الاول فهو ان يصدق الله في قوله ما عندكم
ينفد وما عند الله باق وقوله وما عند الله خير وابقى وقوله والآخرة خير وابقى وقوله وما الحياة الدنيا الا متاع
الغرور واما الثاني فيعلم مما تقدم والله اعلم وفي هذا المقام قال علي كرم الله وجهه لبعض الملحدين ان كان
ما قلته حقا فقد تخلصت وتخلصنا وان كان ما قلناه حقا فقد تخلصنا وهلكت وما قال علي هذا عن شك منه
في الآخرة ولكن كلم الملحد على قدر عقله فمن تشكك في الآخرة يجب عليه بحكم الحزم ان يقول الصبر ايام قلائل ومدى
منتهى العمر قريب بالاضافة الى ما يقال من امر الآخرة فان كان ما قيل فيه كذبا فما يفوتني الا التنعم ايام
حياتي وقد كنت في العدم من الازل الى الآن لا اتنعم فاحسب اني بقيت في العدم وان كان ما قيل صادقا
فابقى في النار ابد الآباد وهذا لا يطاق فيه العباد ولذا قال ابو العلاء المعري قال المنجم والطبيب كلاهما
لا تحشر الاموات قلت اليكما ، ان صح قولكما فلست بخاسر ، او صح قولي فالخسار عليكما ، ومن جملة
غرور الكفار قول بعضهم في انفسهم وبالسنتهم ان كان لله من معاد فنحن به احق من غيرنا ونحن اوفر حظا منه
واسعد حالا كما اخبر الله عن حال الرجلين المتحاورين اذ قال وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي
لاجدن خيرا منها منقلبا وجملة امرهما كما نقل في التفسير ان الكافر منهما بنى قصرا بالف دينار واشترى
بستانا بالف دينار وخدما بالف دينار وزوجة بالف دينار وفي كل ذلك يعظه المؤمن ويقول اشتريت قصرا
وبستانا يخرب ويفنى الا اشتريت قصرا وبستانا في الجنة لا يفنى واشتريت خدما بالف دينار وزوجة
بالف دينار الا اشتريت خدما لا يموتون وازواجا من الحور العين لا يفنون وفي كل ذلك يرد عليه
الكافر ويقول ما هناك شيء وما قيل من ذلك فهو اكاذيب وان كان فيكون لي في الآخرة خير من هذا وكذا
وصف الله قول العاص بن وائل ويقول لاوتين مالا وولدا ورد عليه بقوله اطلع الغيب ام اتخذ عند الرحمن

عهدا وروى عن الخباب بن الارت انه قال كان لي على العاص بن وائل دين فجئت اتقاضاه فلم
يقضني فقلت لا اقضيه فى الاخرة فقال اذا صرت الى الاخرة فان لى هناك مالا وولدا فاقضيك منه
فانزل الله تعالى افرايت الذي كفر باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا رواه الشيخان وقال عز وجل ولئن
اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي وما اظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده
للحسنى الاية وذلك انهم ينظرون تارة الى نعيم الله عليهم فى الدنيا فيقيسون عليها نعيم الاخرة وتارة
الى تاخير العذاب عنهم فيقيسون عليه عذاب الاخرة ويقولون كما اخبر الله عن بعضهم لولا يعذبنا الله
بما نقول الاية واخرى ينظرون الى المؤمنين وهم فقراء شعث غبر فيزدرونهم ويستحقرونهم ويقولون اهؤلاء
من الله عليهم من بيننا ويقولون لو كان خيرا ما سبقونا اليه ولم يعرف هذا المغرور ان الله يحمي عبده المؤمن
من الدنيا وهو يحبه كما يحمي احدكم مريضه الطعام والشراب وهو يحبه كما رواه الترمذي وحسنه والحاكم وصححه
حديث قتادة بن النعمان وكان ارباب البصائر اذا اقبلت عليهم الدنيا حزنوا وقالوا ذنب عجلت
عقوبته واذا راوا الفقر قالوا مرحبا بشعار الصالحين والمغرورون اذا اقبلت عليهم الدنيا ظنوا انها
كرامة عند الله واذا صرفت عنهم ظنوا انها هوان كما اخبر الله تعالى عنهم بقوله فاما الانسان اذا ما ابتلاه
ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربي اكرمني واما اذا ما ابتلاه ربه فقدر عليه رزقه فيقول ربي اهانني كلا بين ان
ذلك غرور فى كل منهما فقد قال الحسن كذبهما جميعا بقوله كلا يقول ليس هذا باكرامي ولا هذا بهواني ولكن
الكريم من اكرمته بطاعتي غنيا كان او فقيرا والمهان من اهنته بمعصيتي غنيا كان او فقيرا والاعتماد
الى وكان اعتماده على مجرد الايمان مع ترك العبادات وارتكاب المحظورات فانه من اعظم الغرور فى
الحالات قد ورد فى التنزيل واني لغفار لمن تاب عن الشرك والكفران وامن بالقلب واللسان وعمل
صالحا بين ان عفوه انما كان من ارتكاب الحسنات واجتناب السيئات ثم اهتدى اى دام على الاستقامة
فى الحالات الى الممات فالمغفرة مقيدة بهذه الحالات وكقوله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين فى
العبادات وقيل للحسن قوم يقولون نحن نرجو الله ويضيعون العمل فقال هيهات هيهات تلك امانيهم
من رجا شيئا طلبه ومن خاف شيئا هرب منه والعصر اي اقسم بصلاة العصر التي هي الصلاة الوسطى او بعصر
المصطفى او بالدهر الذي هو منبع الخير والشر ومعدن النفع والضرر ان الانسان اي الجميع افراده لفي
خسر اي خسارة فيما عندهم من تجارة السوق الا الذين امنوا كالصديق وعملوا الصالحات كالفاروق
وتواصوا بالحق كذي النورين وتواصوا بالصبر كالمرتضى وعلى اي وكان اعتماده على انه تعالى كريم مع ترك الطاعات
وارتكاب المنهيات وطلب الدنيا والشهوات فيغفر لي فى الاخرة بكرمه وفضله ويدخلني فى الجنات
ومنشا هذا قوله تعالى يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم حيث لقنه بان يقول غرني كرمك وقد قيل انه تعالى
كما انه كريم رحيم متفضل بالثواب شديد العقاب فقد قال تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ياخذون
عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وقال تعالى وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى
تلك امانيهم فورد فى التنزيل ما يدل على ذم الغرور بارتكاب المحذور وان ليس للانسان نفع فى العقبى الا

ما سعى من خير فى الدنيا وان سعيه سوف يرى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال
ذرة شرا يره وفيه العكس اى ومن هذا الاعتماد وعكسه ما يسبق فى الاعتقاد بترك المشغول الى ان اعتماد
على المولى فى الدنيا اى فى امورها ومهماتها مع وروده من وفى نسخة وروده ومن يتوكل على الله فهو حسبه وحاصله
ان المغرور لم يعتمد على كونه سبحانه فى امر الدنيا مع وروده وعده فى باب التوكل من غير قيد مباشرة سبب
من اسباب السعي وهو يعتمد فى باب الاخرة على كرمه مع ان وعده مقيد بالسعي والعمل وتوضيحه انه يجتهد فى
امور الدنيا ويعتمد فى امور الاخرة على كرم المولى مع انه كريم فى الدنيا والاخرة فماله لم يعتمد على المولى فى الدنيا
من غير السعي مع انه سبحانه ما كلفه بكسبه وترك العمل للاخرة مع انه عز وجل كلفه به ولم يرض عنه بتركه والعلاج
اي علاج الغرور العلم بالكتاب والسنة وما يقرب من الله وما يبعد عنه وتوضيحه ما فى الاحياء من ان
الغرور يعالج بمعرفة دليل الكراهة وان الكرامة اما بالبصيرة واما بالتقليد اما البصيرة فبان يعرف وجه
كون الاشتياق الى شهوات الدنيا مبعدا عن الله ووجه كون الاعراض عنها مقربا الى الله ويدرك ذلك بالالهام
فى منازل العارفين والاولياء وهو من جملة علوم المكاشفة ولا يليق بعلوم المعاملة واما معرفته
بطريق التقليد والتصديق فهو ان يؤمن بكتاب الله وتصديق رسوله وقد قال تعالى ايحسبون انما نمدهم
به من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات بل لا يشعرون وقال سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وقال فى تفسيره
انهم كلما احدثوا ذنبا احدثنا لهم نعمة ليزيد غرورهم وقال تعالى فتحنا عليهم ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما او توا
اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون وقال تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثما وقال ولا تحسبن الله غافلا عما
يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار الى غير ذلك مما ورد فيه الكتاب والاخبار والتفكر
فى احوال الماضين من الامم والمراد بالتفكر هنا احضار القلب المعارف فاذا اجتمعت فيه وازدوجت
على ترتيب مخصوص انتج ذلك العلم ضروريا وصورته كمن يعلم مثلا ان الباقي بالبقاء اولى ثم يعلم ان
الاخرة خير وابقى فينتج ان اختيار الاخرة اولى بلغنا الله المقام الاسنى الباب

الخامس عشر فى نفي الخواطر والرياضة

اى نفي الخواطر الدنية وتحصيل رياضة النفس الدنية لتهذب بالاخلاق
بالاخلاق البهية العلية والاحوال السنية ويندرج فيه عجائب القلب من غرائب خلق الرب
بسم الله الرحمن الرحيم استعين به على كل خلق كريم ان اهم فى امر الدين الاهتمام باصلاح القلب
وحفظه عما يفسده لانه محل نظره تعالى اليه واقباله عليه كما انه يصلح بدنه وثوبه ليحسن نظر الخلق
اليه فورد فى الحديث كما تقدم ان الله لا ينظر اي نظر عناية ورعاية الى صوركم واموالكم ولكن ينظر
الى قلوبكم ونياتكم وفى رواية اعمالكم وفى اخرى واحوالكم ويشير اليه قوله تعالى انه عليم بذات الصدور فاذا
كان القلب موضع نظر الرب كما يشير اليه حديث لا يسعني ارضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن
فواعجبا بمن يهتم بتنظيف وجهه الذي هو منظر الخلق ولا يهتم بتطهير قلبه الذي هو منظر ربه وتعلق
صلاح الجسد بصلاحه اي لتوقفه ظاهرا على تحققه باطنا وكذا تعلق فساد الجسد بفساده فورد فى
الحديث كما تقدم ان فى الجسد لمضغة اي قطعة لحم مجوفة كانها ممضوغة اذا صلحت بضم اللام وبفتح صلح

الجسد كله مما هو اذا فسدت فسد الجسد كله الا للتنبيه وهي اي تلك المضغة هو القلب اي محل تعلقه
ومعرفته ملكه فان القلب ملك مطاع ورئيس متبع والاعضاء كلها له تبع فاذا صلح المتبوع صلح التبع
واذا استقام الملك استقام الرعية ولذا قيل الناس على دين ملوكهم وسعادة الابد اي وسيادة
السرمد بسلامته اي بسلامة القلب من نحو الكفر والغل والحقد والحسد فورد في التنزيل يوم لا ينفع
مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم اي من كل خلق سقيم كالشرك والنفاق والشقاق والاغراض
الدنيوية والاعراض الدنية فقيل هو الذي لا يخطر فيه الا شهود الرب وكونه اي ويكون القلب معدن
النفايس ومنبع الفواضل المستودعة فيه العلم والمعرفة اي علم الكتاب والسنة ومعرفة الرب التي هي اجل انواع
النعمة وساير الفضايل المكتسبة من تحسين الاخلاق وتزيين الشمايل والحاصل ان القلب
خزينة نعم الرب فحق لها ان تحفظ وتحرس عن الافات وتكرم وتبجل بضروب الاكرامات ثم اعلم ان شرف
الانسان وفضله الذي فضله الله على ساير خلقه باستعداده من بين عباده لمعرفة ربه التي هي في الدنيا
جماله ومخره وفي الاخرة كماله وعدته وذخره وانما استعد للمعرفة بقلبه وجنانه لا بعضو اخر من اركانه
فالقلب هو العالم بالله وهو العامل لله وهو الساعي الى التقرب الى الله وهو المقرب اليه وهو المشهود عليه لما يكشف
بما عند الله ولديه وانما الجوارح اتباع وخدم والات كالجوارح يستخدمها القلب في خدمة الرب استخدام
الملك للعبيد واستعمال الراعي للرعية والصانع للالة والقلب هو المقبول عند الله اذا سلم من غير الله
وهو المحجوب عن الله اذا صار مستغرقا بغير الله وهو المطالب وهو المخاطب وهو المعاتب وهو الذي
وهو الذي يسعد بالقرب من الله تعالى فيفلح اذا زكاه وهو الذي يخيب ويشقى اذا دنسه ودساه وهو المطيع
بالحقيقة لله تعالى وانما الساري الذي ينتشر على الجوارح منه العبادات انواره وهو العاصي المتمرد على الله
سبحانه وانما الساري الى الاعضاء الفواحش اثاره وباظلامه واستنارته يظهر محاسن الظاهر ومساويه
اذ كل اناء يترشح بما فيه وهو الذي اذا عرفه الانسان فقد عرف نفسه واذا عرف نفسه فقد عرف ربه وهو الذي
اذا جهله الانسان فقد جهل نفسه واذا جهل نفسه فقد جهل ربه ومن جهل قلبه فهو بغيره اجهل فمعرفة القلب
وحقيقة اوصافه التي هي مفتاح معرفة الرب اصل الدين واساس طرق المجتهدين وقصد العدو اليه اي وقصد
الشيطان الذي هو اكبر اعدائه اياه لاغوائه كما ورد به اي بقصد العدو الى القلب الخبر وهو قوله عليه السلام
ان الشيطان يجاثم وفي رواية واضع خطمه على قلب ابن ادم فاذا ذكر الله تعالى خنس اي تاخر وخلى واذا
غفل التقم قلبه مخرجه وغيره ابن ابي الدنيا وابو يعلى وابن عدي وكثرة شغله اي وكثرة اشتغال القلب
واحواله وتقلبه بما عليه من اقوال الانسان وافعاله فهو اي القلب معترك العقل والهوى اي موضع
عراكهما وقتالهما وميدان كرهما فاذا برز خاطر الهوى داعيا الى الشر قابله خاطر العقل ودافعه داعيا
الى الخير فتارة يغلب العقل ويعلو علم الهدى واخرى يغلب الجهل فيرتفع راية النفس والهوى فالحرب
سجال وقد قال الحكيم المتعال وتلك الايام نداولها بين الناس وقد قيل فيوم علينا ويوم لنا ويوم
نساء ويوم نسر وفي الحديث رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر ومنه قوله تعالى والذين جاهدوا فينا

لنهدينهم سبلنا وكثرة العوارض اي وكثرة الامور الحادثة والاشغال السادة وورود الخواطر
الدنية في القلوب الفواتر الردية من حب الدنيا والرياسات وحصول اللذات والشهوات والملهيات
مع العجز عن المنع اي مع عجز السالك عن دفع وقوعها كما ذكر فان الخواطر كالسهام لا تزال تقع في
القلب وكالمطر لا يزال ينزل عليه ليلا ونهارا لا يستطيع وان انت تقدر على منعها فتمتنع وليس بمنزلة
العين التي هي بين الجفنين حتى تغمض وتستريح او اللسان الذي هو وراء الشفتين حتى تطبق وتصمت
والحاصل ان الخواطر لا يقدر احد على منعها ولا على التحفظ عنها مع ان النفس مايلة اليها وهي محبوبة
لديها وسرعة التقلب اي وبسرعة تقلب القلب في الطاعة والمعصية للرب وسمي بالقلب لتقلبه في
احواله ولذا كان عليه السلام يكثر في دعائه يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك رواه الترمذي
من حديث انس والحاكم من حديث جابر وقال صحيح على شرط فورد من حديث ابي عبيدة بن الجراح كما رواه الحاكم
في المستدرك وقال صحيح على شرط مسلم والبيهقي في الشعب انه اي القلب مثل العصفور وهو الطير الصغير
المشهور بالتقلب الكثير يتقلب في كل ساعة اي الى جهة فكذا القلب تارة يميل الى الطاعة والعبادة
واخرى الى معصية وعصيان ولذا الحاكم وقال صحيح على شرط البخاري من حديث المقداد بن الاسود
مثل القلب في تقلبه كالقدر اذا استجمعت غليانا وفي رواية لهي اشد تقلبا من القدر في
غليانها والطبراني والبيهقي من حديث ابي موسى الاشعري باسناد حسن مثل القلب كمثل ريشة
بارض فلاة تقلبها الرياح ظهرا لبطن وفيه عطف بالمعنى على قوله لنهدينهم انه في قوة ثوران وبلا فيه
اي في القلب ومحله الصدر الانشراح اي الانبساط والنشاط الموجب للصلاح والفلاح والانقباض
اي الانقباض وعدم الانفساح عند عدم النقصان اي نقصان القلب بارتكاب المنهي لعدم تكونه
عند كماله في الكتاب الموافقة فلكم الحاكم في مستدركه من حديث ابن مسعود انه عليه السلام سئل عن قوله تعالى
افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه ما هذا الشرح فقال هو التوسعة ان النور اذا
قذف به في القلب اتسع له الصدر وانشرح والمعنى اتسع القلب لتجلي الرب وحفظ السر الذي شاهده في
القلب ولذا قيل صدور الاحرار قبور الاسرار ونعم ما قال بعض الابرار من اطلعوه على سر فنم به
لم يامنوه على الاسرار ما عاشا والحجاب اي عن رب الارباب وهو اشد العذاب او الحجاب
عن الاكتساب فهو بالجر عطف على النقصان اي عند عدم حجاب الملك وتفاوت المسالك ويجوز
رفعه عطفا على الانفساح اي وفي القلب حجاب المعاصي والشهوات المتراكمة الواردة على وجه القلب
المانعة اياه عن مشاهدة تجليات الرب فان ذلك يمنع صفاء القلب وجلاءه فيمتنع ظهور الحق بقدر
ظلمة وكثافته وقد قال ابو سليمان الداراني اذا اعتادت النفوس ترك الاثام جالت في
الملكوت ورجعت الى صاحبها بطرايف الحكمة ويؤيده حديث لولا ان الشياطين يحومون على قلوب
بني ادم لنظروا الى ملكوت السماء رواه احمد من حديث ابي هريرة والمهلكات التي هي ضد المنجيات والانغرار
بما عند الله تعالى والاعتراف بالعلم اي علم الشريعة والطريقة ليعمل به ليصل الى مراتب الحقيقة او المراد

بالعلم هو علم التوحيد المقرون بوصف التفريد من معرفة ذات الحق وصفاته وقدرته في مصنوعاته والتوجه
اليه وترك كل ما يشغل لديه مما يرد عليه وانما زاد الانصراف الى العلم التوحيدي لحصول الانشراح والانفتاح
ولم يكتف في ذلك بعدم النقصان والحجاب والمهلكات لان الطبع الغالب لشهواته المائل الى التقاعد
حال انه منشرح لطاعاته وعباداته وان كان قلبه صافيا عن لهواته وغفلاته فانه لا يحصل له الانشراح
والانفساح بل ينكشف له ما هو متفكر فيه من دقايق الآيات الا بما ان كان تفكر فيها او من
مصالح المعيشة والا سواء الا ان كان تفكر فيها واما الانشراح والانفساح فلا يحصل الا اذا انصرف القلب
الى العلم التوحيدي المتعلق بالذات والصفات بشرط عدم النقصان والحجاب والمهلكات وهو اي
العلم المترتب عليه العمل المراد بالامانة التي حملها الانسان اي قبلها بقابليته لتحمل التكاليف الشرعية
من تصحيح العقايد الدينية الاصلية وارتكاب الفرايض الفرعية واجتناب الامور المنهية وفي الامانة فيه
اشارة الى ان للقلب خاصية تميز بها عن السموات والارضين والجبال وتلك الامانة هي المعرفة والتوحيد
وقلب كل آدمي مستعد لحمل الامانة ومطيق لها في الاصل انتهى ولا يخفى ان لجميع الاجزاء من الارض والسما
له قابلية ذلك بل الواقع كذلك عند العارفين بالمدارك كما حقق في قوله سبحانه وان من شيء الا يسبح بحمده
وغير ذلك من الآيات والاحاديث الثابتات ان الاشيا كلها موقنة بصانعها وكذا الكل السموات والارض
والجبال منه الانس والرجال والاظهر ان يقال ان الملك لكونه مظاهر الجمال لا يتاتى منهم المعصية وما يقتضيه
من العقوبة والشياطين مظاهر الجلال اذ لا يتصور منهم الطاعة وما يترتب عليها من الرحمة فاراد الله سبحانه
جمعا يكون لهم مرتبة الكمال بان يكون فيهم نصيب من صفة الجمال والجلال ويتبع فيهم قابلية الطاعة
والرحمة والمعصية والعقوبة ولذا ورد لو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم وفي قوله تعالى
نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم ايما الى ذلك وفي قوله غافر الذنب
وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول كذلك ثم من افراد هذا الانسان من يكون على الشان بحيث انه
مع انه خلق فيه داعية العصيان جاهد نفسه واطاع ربه وقام بحق الامانة في ميدان التبيان ومنهم من
ترك الطاعة وضيع الامانة بالخيانة من غاية الطغيان فهذا المؤمن الكامل من الانسان اعلى مرتبة من
ملائكة الرحمن والكافر منهم اخفض منزلة من جنس الشيطان كما يشير اليه قوله سبحانه ان المنافقين في الدرك الاسفل
من النار ونعوذ بالله من دار البوار وجاء قريبا فيما حررنا انكشف وصح قوله سبحانه انا عرضنا الامانة اي حملها
من غير الخيانة على السموات والارض والجبال اي ذواتها وما فيها من سكانها ومتصرفاتها فابين ان يحملنها
لعدم الاستعداد لكن لهن ولكونهن ما خلقن لاجلها وحملها الانسان مع كونه ضعيف البنيان فكل ميسر
لما خلق له انه كان ظلوما على نفسه جهولا بعاقبة امره في تحمله وهذا الحكم عليه باعتبار اغلب افراده
ممن لم يميز بين صلاح حاله وفساده في ماله كما اشار اليه بقوله ليعذب الله المنافقين الآية وزيادة
اليقين اي وفي القلب مزية الايقان في امر الدين والايمان الى وفيه الايمان الذي سبب الامن والامان
وباعثه على الاسلام والاحسان فلهما مراتب ودرجات فيها مناقب ادناها التقليد كالعوام المؤمنين

المؤمنين واوسطها الخروج عن التقليد بنوع من الاستدلال بالتوحيد كما للمتكلمين واعلاها التنبيه
والمكاشفة كما للعارفين ومثاله كمن اخبره صادق بوجود زيد في الدار فصدقه من غير شهوده ثم
سمع صوته فاستدل به على وجوده ثم رآه وشاهده فالمشاهدة نتيجة المجاهدة ثم المشاهدة ايضا على
مراتب كمن يشاهد السلطان في السماء سرير منصوبا الى ان نظر او حجاب ستره ثم ممن يشاهد
داخل داره ثم من قرب في فرانه ثم من هو جالس في مجلسه ثم من هو جالس قريبا منه بحيث يلاحظ
صفحة وجهه وجميع ما صدر عنه وقس على هذا التفاوت درجات المشاهدة في الامور الالهية الغيبية منه
والعلوم التوحيدية الربانية كما يشير اليه قوله تعالى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى ثم اكثر العوام
ايمانهم تقليد تبع لآبائهم فانهم اذا بلغوا من التمييز سمعوا وجود الله وعلمه وارادته وقدرته وبعثة
الرسول وصدقه فيما جاء به وكما سمعوه قبلوه وثبتوا عليه واطمأنوا اليه وهذا الايمان سبب النجاة
في الآخرة عند جمهور المتكلمين وهاهنا اوايل رتب اصحاب اليمين وليسوا من المقربين لانه ليس
فيه كشف وبصيرة وانشراح صدر بنور اليقين وقلوب اليهود والنصارى ايضا مطمئنة لما سمعوا من
آبائهم الا انهم اعتقدوا ما اعتقدوه خطأ لانه القي اليهم الخطا والمسلمون اعتقدوا الحق لا لاطلاعهم
عليه ولكن لما القي اليهم كلمة الحق درجات العلم اي وفيه مراتب العلم من علم اليقين وعين اليقين وحق
ق اليقين او المراد بها علم الشريعة التي هي متعلقة بالاعمال الظواهر وعلم الطريقة التي هي مطلوبة في الاصلاح
السراير وعلم الحقيقة التي هي المواهب بعد تحصيل المكاسب من شرايف المناقب ولطايف المراتب والنور
اي وفيه النور المسئول في الدعا اي نور اللهم اجعل في قلبي نورا رواه مسلم وغيره والرين اي وفيه السواد
الذي يعم الفؤاد عند الاتصاف بالرذايل والتخلي عن الفضايل وتراكم الظلم اي وتكاثف الظلمات الناشئ
عن الظلم وساير السيئات والاحتجاب منه تعالى بعدم توفيق الحسنات وهو ماخوذ من قوله تعالى كلا بل ران
اي غلب وعلا على قلوبهم ما كانوا يكسبون كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون اي عن رحمته ورؤيته وفي
الحديث ان المؤمن اذا اذنب كانت نكتة سودا في قلبه فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه منها واذا زاد
زادت حتى تعلو قلبه فذلكم الران الذي ذكر الله في كتابه كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون اخرجه
البغوي في تفسيره باسناده والتحقيق عند اهل التوفيق انه اي القلب هو ذلك الانسان العارف اي
المدرك للجزئيات العالم بالكليات الذي طلب بالامر والنهي المطالب باكتساب المامورات واجتناب
ب المنهيات ليترتب عليها الثواب باكتساب المامورات واجتناب المنهيات والعقاب في دار الجزاء والحساب
فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم في جهنم خالدون
يطلق عليه اي على الانسان اسم القلب اي مجازا لتعلقه اي الانسان به اي بالقلب بلا واسطة
اي من غير واسطة بشيء آخر وساير الحواس اي ومتعلقة باقيها بواسطته اي القلب لا يطلق اي القلب
على المضغة المكيفة وهي قطعة لحم الصنوبري الشكل المودع في الجانب الايسر من الصدر وهو لحم مخصوص
في باطنه تجويف وفي ذلك التجويف دم اسود هو منبع الروح ومعدنه كذا في الاحيا فتعالى وهذا القلب

والطبع اي وفيه الختم قال تعالى وطبع على قلوبهم وختم الله على قلوبهم صح

موجود للصبي بل هو موجود للميت المقابر واما قول سهل التستري القلب هو العرش والصدر هو الكرسي
فمراده تشبيه القلب بالعرش والصدر بالكرسي وعن كعب الاحبار قال دخلت على عايشة فقلت ان الانسان
عيناه هاديتان واذناه قمع اي واعي ولسانه ترجمان ويداه جناحان ورجلاه بريد والقلب ملك فاذا
طاب الملك طابت جنوده فقالت هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وقال علي رضي الله عنه في تمثيل
القلوب ان الله تعالى في ارضه انية وهي القلوب فاحبها اليه ارقها واصفاها واصلبها ثم فسره فقال اصلبها
في الدين واصفاها في اليقين وارقها على الاخوان يعني المرافقين وهو اشارات الى قوله تعالى اشداء على
الكفار رحماء بينهم وقوله تعالى مثل نوره كمشكاة فيها مصباح قال ابي بن كعب مثل نور المومن وقلبه وقوله
او كظلمات في بحر لجي مثل قلب المنافق الفاسق وقال زيد بن اسلم في قوله تعالى لوح محفوظ هو قلب
المومن وفي الحديث اذا اراد الله بعبد خيرا جعل له واعظا من قلبه الديلمي من حديث ابي سعيد القلوب اربعة
قلب اجرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المومن وقلب منكوس فذلك قلب الكافر وقلب اغلف مربوط على
غلافه فذلك قلب المنافق وقلب مصفح فيه ايمان ونفاق فمثل الايمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء
الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد فاي المادتين غلبت عليه حكم له بها وفي
رواية ذهبت به وفي الحديث القدسي والكلام مع النبي لم يسعني ارضي وسمائي ووسعني قلب عبدي
المومن اللين الوادع كذا في الاحياء وقال مخرجه لم ار له اصلا وتعقبه بعض الحفاظ بانه رواه عبد
الله بن احمد في الزهد عن وهب بن منبه بلفظ ان الله فتح السموات لحزقيل حتى نظر الى العرش فقال حزقيل
سبحانك ما اعظم شانك يا رب قال الله تعالى ان السموات والارض ضعفن ان يسعني ووسعني قلب عبدي
المومن الوادع اللين انتهى ولا يخفى ان هذا من الاثار فذلك ينافي نفاه المخرج من الاخبار وفي الخبر
قيل من خير الناس فقال كل مومن مخموم القلب فقيل وما مخموم القلب فقال هو التقي النقي الذي لا غش فيه
ولا بغي ولا غدر ولا حسد رواه ابن ماجه من حديث عبد الله بن عمرو باسناد صحيح وفي الاحياء عن عمر
رضي الله عنه راى قلبي ربي اذ كان قد رفع الحجاب بالتقوى ومن ارتفع الحجاب بينه وبين قلبه تجلى
صورة الملك والملكوت في قلبه فيرى جنة عرض بعضها السموات والارض اما جملتها فاكثر سعة من السموات
والارض عبارة عن عالم الملك والشهادة وهو وان كان واسع الاطراف متباعد الاكناف فهو
متناه على الجملة واما عالم الملكوت وهو الاسرار الغايبة عن مشاهدة الابصار المخصوص بادراكه
البصاير فلا نهاية له نعم الذي يلوح للقلب منه مقدار متناه ولكنه في نفسه وبالاضافة الى علم
الله لا نهاية له وجملة عالم الملك والملكوت اذا اخذت دفعة واحدة تسمى الحضرة الربوبية محيطة بكل
الموجودات اذ ليس في الوجود شي سوى الله تعالى وافعاله ومملكته وعبيده من افعاله فما يتجلى من ذلك
للقلب هو الجنة بعينها عند قوم وهو سبب استحقاق الجنة عند اهل الحق ويكون سعة ملكه في الجنة
بحسب سعة معرفته وبمقدار ما تجلى له من الله تعالى وصفاته وافعاله من مصنوعاته وانما مراد الطاعات
واعمال الجوارح كلها تصفية القلب وتزكيته وجلاوه وقد افلح من زكاه ومراده بتزكيته حصول نور

اخرجه باسناد جيد وابن حمد والطبراني في الصغير من حديث صح

نور الايمان فيه اعني اشراق نور المعرفة وفي الاحياء ان القلب لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب
الجسماني تعلق عجيب وتلك اللطيفة هي حقيقة الانسان وهي المدركة العالمة العارفة من الانسان
وهو المخاطب والمعاقب والمعاتب والمطالب ولها علاقة مع القلب الجسماني وقد تحيرت عقول اكثر
الخلق في ادراك وجه علاقتها وان تعلقها به يضاهي تعلق الاعراض بالاجسام والاوصاف بالموصوفات
انتهى ومن هنا قيل معنى قوله من عرف نفسه فقد عرف ربه تعجيز وفيه تنبيه انه ليس لاحد من الانسان
ان يعرف حقيقة نفسه مع انه كمال انسه بهذا ومن اطلاق القلب على الانسان لم يظهر وجه في ميدان
البيان بالمقابلة بينهما كما هو مقتضى عند الاعيان لقوله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب الاية
فالصحيح ان القلب الة لمعرفة الرب كما يشير اليه قوله سبحانه افلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب
يفقهون بها او اذان يسمعون بها والفرق بين القلب والنفس والعقل ان القلب يفرق بين الحق
والباطل ثم يتقلب في قبول احدهما ويتردد في خاطرهما ويترتب عليه صلاح الجسد وفساده والنفس
غالب مايلها الى الشهوات واللذات كما يشير اليه قوله سبحانه وفيها ما تشتهي الانفس من الماكولات والمشروبات
والمشمومات والمسموعات وساير الملذوذات ثم النفس المذمومة هي التي لا تفرق بين المباحات والمحظورات
ومنه قوله سبحانه واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى واما من طغى واثر
الحياة الدنيا فان الجحيم هي الماوى والعقل الجزي مشترك بين الحيوان والصبيان وساير الانسان
والعقل الكلي وهو المميز بين الخير والشر في العاقبة دنيويا او اخرويا ومميز بين خير الخيرين وشر الشرين
فهذا العقل المطبوع وهو لا ينفع بدون العقل المشروع ولذا ترى الحكماء حجبوا بعقولهم الناقصة وان
ادعوا الكمال عن متابعة الانبياء زعما منهم ان الرسل ارسلوا للعامة وانهم من الخاصة فصاروا اجهل
من كل جاهل فان المقلد ببركة ايمانه فاز بتقليده درجات جنانه والحكيم بعقله تنزل في دركات نيرانه
والاسم النفس اي ويطلق على الانسان اسم النفس كقوله تعالى خلقكم من نفس واحدة فالنفس جسم كثيف
والروح جسم لطيف له سريان شريف في ساير الاعضاء لطيف كلطافة سريان الهوى في البدن وما
يتعلق به من الاجزاء وكالزبد في اللبن والدهن في الجوز واللوز وكالورد في الورد والقلب داخل
النفس وهو الطف واصفى من النفس والسر نور رباني اله للنفس فانها تعجز عن العمل بدونه ولا تفيد فان
لم يكن السر عنه واليه صار ان النفس هنا عبارة عن الهيكل الانساني المركب من الجسد الجسماني والروح
الرباني اذ المراد من نفس واحدة ادم عليه السلام ثم فسره اي النفس التنزيل اي القران بعد اطلاقه
النفس على ادم ونحوه من قوله كل نفس ذايقة الموت وعلمت نفس ما قدمت واخرت وعلمت نفس ما احضرت
الى مطمينة حيث قال تعالى يا ايتها النفس المطمينة اي بذكر الله سبحانه وهي النفس المومنة ارجعي الى ربك
راضية مرضية الاية ويحتمل ان يراد به الهيكل المركب الانساني فالمراد بقوله فادخلي في عبادي وادخلي
جنتي اي مع عبادي الصالحين كقوله تعالى حكاية عن الانبياء والمرسلين توفنا مسلمين والحقنا بالصالحين
وادخلنا الجنة امنين ويشير اليه قوله سبحانه الذين امنوا وتطمين قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمين القلوب

ويحتمل ان يراد بها الروح المجرد عن الجسد فالمراد بقوله فادخلي في عبادي اي في اجسادهم وعلى كل
تقدير اريد بالنفس الجنس ولوامة حيث قال ولا اقسم بالنفس اللوامة اي كثيرة اللوم لنفسها كانها
يوم القيامة ان كانت عملت خيرا قالت هلا زدت وان عملت شرا قالت ليتني لم افعل وهو قول الفرا
فهي شاملة للنفس البر والفاجر وقيل تلوم على الخير والشر والنفع والضر وهو قول سعيد بن جبير وعكرمة
وقال الحسن هي النفس المومنة فان المومن والله ما تراه الا يلوم نفسه ما اردت بكلامي ما اردت باكلي
وان الفاجر يمضي قدما لا يحاسب نفسه ولا يعاتبها وقال مقاتل هي النفس الكافرة يلوم
نفسه في العقبى على ما فرط في امر الله في الدنيا وهي تحتمل الاصناف السابقين واما ما(?) حيث قال تع
ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي اي الا من رحمه ربي او الا من رحم ربي به ولا يخفى انه لا يصح
اطلاق النفس بهذا الوصف على الانسان المعروف وفي بعض النسخ هنا زيادة ملحقة وهي في نسخة مهملة
اذ لم يعرف في اية منزلة كما يطلق اي النفس على ما يجمع الرذائل من صور الشيء بل سماه الشارع اعدى
الاعداء كما اخرجه البيهقي عن ابن عباس بسند ضعيف اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك وهذا
الاستعمال هو الغالب على الصوفية فهم يريدون بالنفس الجامع للصفات المذمومة من الانسان
فيقولون لا بد من مجاهدة النفس وكسرها واسم الروح اي ويطلق عليه اسم الروح ايضا بانفراده
وفيه البحث الذي تقدم والله اعلم فان الارواح ضد الاشباح والانسان عبارة عن المركب منهما
والاستدلال بقوله فيما ورد في التنزيل قل الروح من امر ربي ليس فيه دلالة على انه مطلق الروح ويراد به
الانسان فان كل موجود ذات كمية ومقدار فهو من عالم الخلق وكل موجود منزه عن الكمية والمقدار
فهو من عالم الامر كذا قيل والصواب ان كل ما خلق الله بالتدريج فهو من عالم الخلق وكل ما خلقه
مجردا من مرهو متعلق الارادة او بلفظ كن على اختلاف فيه فهو من عالم الامر كما قال تع اذا قضى
امرا فانما يقول له كن فيكون وقال عز وعلا ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام
الى ان قال الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ثم ان سلطة(?) اي الروح الاطباء من الحكماء على
الجسم المكيف والصواب التوقف في سر الروح وامره اذ لم يتكلم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما قاله
ابن مسعود كما في الصحيحين وما لم يتكلم فيه فليس لغيره ان يتكلم فيه وقد قال تع وما اوتيتم من العلم
الا قليلا وبعض الاقليل(?) ان علم جميع الخلق بالاضافة الى علم الحق كقطرة من البحر والمراد به العلم
بانها موجودة الحياة وبفقدها الممات والاقرب في تعريفها ما قيل من انه جسم لطيف روحاني منبعه
تجويف قلب جسماني وينتشر بواسطة العروق الضوارب الى اجزاء البدن ثم جريانه في البدن وفيضان
انوار الحياة والحس والسمع والبصر والشم منه على اعضائه يضاهي فيضان النور من السراج الذي يدار
في زوايا البيت فانه لا ينتهي الى جزء من البيت الا ويستنير به فالحياة مثالها النور الحاصل في الحيطان
والروح مثاله السراج وسريان الروح وحركاته في الباطن مثاله مثال حركات السراج في جوانب البيت
بتحريك محركه واما قوله تع فنفخت فيه من روحي فالمراد به اضافة تشريفا لا ان الروح جملة مخلوقة وقد

وقد ثبت ان الارواح خلقت قبل الاجساد بالفي عام وان الارواح روح خاتم الانبياء وكذا قوله يلقي الروح
منه اي من عنده او من امره وانما اطلق الروح على جبريل الامين لتجرد روحه فان الملائكة كلهم ارواح
مجردة او لتخصصه بنزول القران المسمى بالروح فانه سبب احياء الروح وروحه كما قال تع يلقي الروح من امره
على من يشاء من عباده وقال او من كان ميتا فاحييناه وسمي جبريل ايضا بالروح القدس اي المنزه عن النقصان
في تبليغ امر الحق الى رسل الانسان والله المستعان واسم العقل اي ويطلق عليه اسم العقل وفيه النظر
السابق وما ذكره من الاستدلال غير المطابق حيث قال لورود اول ما خلق الله العقل وقال له اقبل الحديث اي
فاقبل وقال ادبر فادبر ثم قال الله عز وجل وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا اكرم علي منك بك اخذ وبك اعطي
وبك اثيب وبك اعاقب الحديث كذا في الاحياء وقال مخرجه رواه الطبراني في الكبير والاوسط من حديث
ابي امامة وابو نعيم من حديث عائشة باسنادين ضعيفين انتهى وقال ابن تيمية وتبعه الزركشي انه كذب
موضوع باتفاق اهل العلم وتعقبه الحافظ السيوطي بما رواه عبد الله بن الامام احمد في زوائد الزهد عن
الحسن مرفوعا مرسلا بسند جيد بلفظ لما خلق الله العقل الخ مع ان الحديث دليل على ان العقل عرض العلم
فان العلم عرض لا يتصور ان يكون اول مخلوق بل لا بد ان يكون المحل مخلوقا قبله او معه ولانه لا يمكن
الخطاب معه كما يطلق اي العقل على الصفة الملكية اي الوصف الذي يتميز الانسان به عن سائر البهائم
من جنس الحيوان وهو الذي استعد به لقبول العلوم النظرية وتدبير الصناعات الخفية الفكرية وهو الذي
اراده الحارث بن اسد المحاسبي حيث قال في حد العقل انه غريزة يتهيأ بها درك العلوم النظرية وكانه
نور يقذف في القلب يستعد به لادراك الاشياء وهذا هو الصواب في تعريفه ونظيره ان الحياة غريزة بها
يتهيأ الجسم للحركات الاختيارية والادراكات الحسية ثم العقل كالمراة التي تفارق غيرها من الاجسام
والاكوان في حكاية الصور والالوان بصفة اختصت بها في تلك الحالة وهي الصقالة وبها التصقت(?)
بالحالة فعن ابن عباس مرفوعا لكل شيء الة وعدة وان الة المومن العقل رواه ابن المحبر وكذلك العين
تفارق الجبهة في صفات وهيئات بها استعدت للرؤية فنسبة هذه الغريزة التي هي العقل الى العلوم
كنسبة العين الى الرؤية ونسبة القران والشرع الى هذه الغريزة في سياقها الى انكشاف العلوم بها
كنسبة نور الشمس الى البصر وعن علي رضي الله عنه رايت العقل عقلين فمطبوع ومسموع ولا ينفع
مسموع اذا لم يك مطبوع كما لا ينفع الشمس وضوء العين ممنوع فالاول هو المراد بقوله عليه السلام
ما خلق الله خلقا هو اكرم عليه من العقل كما اخرجه الترمذي الحكيم في النوادر من رواية الحسن عن عدة من الصحابة
والاخير هو المراد بقوله عليه السلام لعلي اذا اكتسب الناس من انواع البر ليتقربوا بها الى ربهم عز وجل
فاكتسب انت انواع العقل تسبقهم بالزلفى والقربة رواه ابو نعيم في الحلية وهو المراد ايضا بقوله عليه السلام
لابي الدرداء ازدد عقلا تزدد من ربك قربا فقال بابي انت وامي وكيف لي بذلك فقال اجتنب محا رم
الله وادّ فرائض الله تكن عاقلا واعمل بالصالحات من الاعمال تزدد في عاجل الدنيا رفعة وكرامة وتنل
بها من ربك القرب والعز رواه الترمذي الحكيم وغيره وقال ابن المسيب ان عمر وابي بن كعب وابا هريرة دخلوا

على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله من اعلم الناس فقال العاقل قالوا من اعبد الناس
فقال العاقل قالوا فمن افضل الناس قال العاقل قالوا اليس العاقل من تمت مروته وظهرت فصاحته
وجادت كفه وعظمت منزلته فقال عليه السلام وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والاخرة
عند ربك للمتقين ان العاقل هو المتقي وان كان في الدنيا خسيسا دنيا رواه ابن المحبر وله من حديث
انس فيه حديث ابن سلام مسائل النبي عليه السلام في حديث طويل في اخره وصف عظم العرش وان
الملائكة قالت يا ربنا هل خلقت خلقا اعظم من العرش قال نعم العقل قالوا وما بلغ من قدره قال
هيهات لا يحاط بعلمه هل لكم علم بعدد الرمل قالوا لا قال فاني خلقت العقل اصنافا شتى
كعدد الرمل فمن الناس من اعطي حبة ومنهم من اعطي حبتين ومنهم من اعطي الثلاث ومنهم الاربع ومنهم من اعطي فرقا
ومنهم من اعطي وسقا ومنهم من اعطي اكثر من ذلك ورواه الترمذي الحكيم في نوادره مختصرا ولهذا انقسم الناس
الى بليد لا يفهم بالتفهيم الا بعد تعب طويل من التعليم والى ذكي يفهم بالرمز والى تنبه من غير حاجة الى
العبارات والى كامل ينبعث من نفسه حقائق الامور ودقايقها بدون التعلم يكاد زيتها يضيء ولو
لم تمسسه نار وذلك مثل الانبياء عليهم السلام وبعض اتباعهم من الاولياء الكرام ويعبر عن الاول
بالوحي وعن الثاني بالالهام ولهذا او قد قال عليه السلام يا ايها الناس اعقلوا عن ربكم وتواصوا بالعقل
تعرفوا ما امرتم به وما نهيتم عنه واعلموا انه [illegible] عند ربكم واعلموا ان العاقل من اطاع الله وان كان
ذميم المنظر حقير الخطر دني المنزلة رث الهيئة وان الجاهل من عصى الله وان كان جميل المنظر عظيم الخطر
شريف المنزلة حسن الهيئة فصيحا نطوقا فالقردة والخنازير اعقل عند الله ممن عصاه ولا تغتروا بتعظيم
اهل الدنيا اياكم فانهم من الخاسرين رواه داود بن المحبر احد الضعفاء في كتاب العقل من حديث
ابي هريرة وهو في مسند الحارث بن ابي اسامة عن داود وعن انس قال اثنى قوم على رجل عند رسول
الله صلى الله عليه وسلم حتى بالغوا فقال عليه السلام كيف عقل الرجل قالوا نخبرك عن اجتهاده في العبادة
واصناف الخير وتسالنا عن عقله فقال عليه السلام ان الاحمق يصيب بحمقه اكثر من فجور الفاجر وانما يرتفع
العباد غدا في الدرجات وينالون الزلفى من ربهم على قدر عقولهم رواه ابن المحبر بتمامه والحكيم الترمذي مختصرا وعن عمر
مرفوعا ما اكتسب رجل مثل فضل عقل يهدي صاحبه الى هدى او يرده عن ردى وما تم ايمان عبد ولا استقام
دينه حتى يكمل عقله ابن المحبر وعنه الحارث بن ابي اسامة وعن ابي سعيد مرفوعا لكل شيء دعامة ودعامة
المؤمن عقله فبقدر عقله تكون عبادته اما سمعتم قول الفجار في النار لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في
اصحاب السعير ابن المحبر وعنه الحارث وقال عليه السلام ان الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم
ولا يتم لرجل حسن خلقه حتى يتم له عقله فعند ذلك تم له ايمانه واطاع ربه وعصى عدوه ابليس ابن المحبر
من رواية عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده به والحديث رواه عند الترمذي مختصرا دون قوله ولا يتم من
حديث عايشة قالت قلت يا رسول الله باي شيء يتفاضل الناس في الدنيا فقال بالعقل قلت فبالاخرة
قال بالعقل قلت اليس انما يجزون باعمالهم فقال هل عملوا الا بقدر ما اعطاهم الله من العقل فبقدر ما اعطوا

ما اعطوا من العقل كانت اعمالهم وبقدر ما عملوا يجزون ابن المحبر والحكيم الترمذي نحوه وقال عليه السلام
اتمكم عقلا اشدكم لله خوفا واحسنكم فيما امر به ونهى عنه نظرا وان كان اقلكم تطوعا ابن المحبر من
حديث ابي قتادة وفي الاحياء العلوم الدينية هي الماخوذة من الانبياء عليهم السلام بطريق التقليد
وذلك يحصل بالتعلم لكتاب الله وسنة رسوله وفهم معانيهما بعد سماع مبانيهما وبه كمال صفة القلب
في معرفة الرب وبه سلامته عن الاعراض والامراض والادواء فالعلوم العقلية غير كافية
في سلامة القلب وان كان محتاجا اليها في معرفة الرب فالداعي الى محض التقليد مع عزل العقل بالكلية
جاهل والمكتفي بمجرد العقل عن انوار القران والسنة مغرور فاياك ان تكون من احد الفريقين وكن
جامعا بين الاصلين فان العلوم العقلية كالاغذية والعلوم الشرعية كالادوية والشخص المريض
يستضر بالغذاء مهما فاته الدواء فكذلك امراض القلب لا يمكن علاجها الا بالادوية المستفادة من
الشريعة المصطفوية وهي وظايف العبادات والاعمال التي ركبها الانبياء عليهم السلام لاصلاح
القلوب فمن لا يداوي قلبه المريض بمعالجة العبادات الشرعية واكتفى بالعلوم العقلية استضر بها كما
يستضر المريض بالغذاء ثم قال والعلوم العقلية تنقسم الى دنيوية واخروية فالدنيوية كعلم الطب والحساب
والهندسة والنجوم وساير الحرف والصناعات والاخروية كعلم احوال القلب وافات الاعمال والعلم
بالله وصفاته وافعاله وهما علمان متنافيان يعني ان من صرف عنايته الى احدهما حتى تعمق فيه قصرت
بصيرته عن الاخر في الاكثر ولذا ترى الاكياس في علوم الدنيا جهالا في امور الاخرة
والاكياس في دقايق علوم الاخرة جهالا في اكثر علوم الدنيا لان قوة العاقل لا تفي بالامرين
جميعا في الغالب فيكون احدهما مانعا من الكمال في الثاني ولذا قال عليه السلام ان اكثر اهل الجنة البله رواه
البزار من حديث انس وقال الحسن ادركنا اقواما لو رايتموهم لقلتم مجانين ولو راوكم لقالوا شياطين
رجال يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون فالدنيا والاخرة لا يجتمعان
لانهما ضرتان اذا ارضيت احديهما اسخطت الاخرى ومن هنا قال عليه السلام من احب اخرته اضر بدنياه
ومن احب دنياه اضر باخرته فاثروا ما يبقى على ما يفنى ثم الخواطر اثار تحدث في القلب وهي التي تعرض فيه
من الافكار والاذكار وينبعث على الافعال اي تارة والتروك اخرى وعليها تارة فان الخواطر هي المحركات
للارادات فمبدا الافعال الخاطر يحرك الرغبة والرغبة تحرك العزم والعزم يحرك النية والنية تحرك الاعضاء
والخواطر المحركة تنقسم الى قسمين فان نفع اي الخاطر او ما يخطر منه او الفعل او الترك في الاخرة فخير محض
وان عاقبته عليه بتوفيق الى لطف وهداية من الله سبحانه وان ضر ذلك في الاخرة فشر وان عاقبته اي
عليه كامنة نسخة خذلان اي ترك نصرة منه واغواء فان عاقبته اشتبه وقعت بطريق المشاكلة والفارق
بين الخير والشر الشرع وان عزم بالطبع ثم الفارق عمل العملي اي من العلماء فالموافق خير والمخالف شر
ولو كان المخالف برخصة او شبهة لانه لا ينفع في الاخرة اذ التقدير ولو كان ذلك الموافق برخصة والمخالف
بشبهة والرخصة ما يباح لعذر مع قيام دليل الحرمة كتناول المضطر الميتة والعز وترك الخايف على نفسه الامر

بالموت وحكمه ان الاخذ بالعزيمة اولى ثم الفارق النفس لما تنفرت عنه نفرة طبع الا الخشية
اي مخافة من مخالفة الله عز وجل خير ويكون نفرة الطبع كنفرة الشخص عن البزاق والمخاط ونحو
ونفرة الخشية كنفرته عن الحيوانات المؤذية فاذا خطر له ان يطوي مثلا الى ثلاثة ايام في الصوم
ولكن يجد في نفسه نفرة كراهته منه بهذا العمل بهذا الخاطر خيرا لا فان يهلك بجوع ثلاثة ايام غالبا
وما مالت اليه ميل طبع الا رجاء من الله سبحانه شر مثلا خطر الخاطر ان يخرج من البيت ويتفرج المكان
الفلاني ولا يخطر معه نية خير حتى ثوابه مثلا زيارة اخ في الله او عيادة مريض بل خرج لمجرد الخاطر
فهو شر لما ورد من حديث من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه ثم الخاطر الصادر من الملك الهام وليس
ذلك الخاطر سوى الخير لانه مرشد ناصح لما لكريم لم يرسل الا لذلك ومن الشيطان وسواس وهو شر محض
غالبا وقد يكون الوسواس خيرا في الصورة وفي الحاصل شرا منه كما يدعوه الى المفضول بالاشتغال اي بسبب
الاشتغال بالمفضول ممتنعا عن الفاضل كان يلقي في قلبه خاطر العبادة من النفل ليشغله عن العلم الذي
هو افضل منها مع الجهل والجهل عظيم الشغل الا وكما يدعوه الى خير بسبب جر الى ذنب لا يفي خيره
اي لا يعدل نفعه بشره وضره كالعجب ابرعض من طلب جاه ونحوه فورود القلب معنون اي ممتحن
بملك وشيطان يدعوانه الى الخير والشر والحديث لم احدا ارصلا فالملك عبارة عن خلق خلقه الله تعالى شانه
ذلك افاضة الخير وافادة العلم والشيطان عبارة عن خلق شانه ضد ذلك وهو الوعد بالشر والامر
بالفحشاء والتخويف عند الهم بالخير بالفقر كما قال تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء والله يعدكم
مغفرة منه وفضلا فنسبة فعل الملك الى نفسه تعالى او نظر الى الحقيقة من غير الواسطة فان رؤية الاسباب
نوع من الحجاب ومن هذا الباب قوله تعالى ونقلب افئدتهم وابصارهم وقوله تعالى واعلموا ان الله يحول بين
المرء وقلبه وورد القلب بين اصبعين من اصابع الرحمن ان شاء ان يقيمه اقامه وان شاء ان يزيغه ازاغه
قال تعالى حكاية عن الراسخين في العلم حيث يقولون ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا الاية وقال عليه
السلام في القلب لمتان لمة من الملك ايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم انه من الله سبحانه
وتعالى فليحمد الله ولمة من العدو ايعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهي عن الخير فمن وجد ذلك فليتعوذ بالله
من الشيطان الرجيم ثم تلا الشيطان يعدكم الفقر الاية رواه الترمذي وحسنه من حديث ابي سعيد وقال
الحسن انما هما همان يجولان في القلب هم من الله سبحانه وهم من العدو فرحم الله عبدا وقف عند همه فما
كان لله امضاه وما كان من عدوه جاهده ولتجاذب القلب بين هذين المسلطين ورد
قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن اي بين صفتي الجمال والجلال او هو تمثيل لسرعة تقلب
وتردده بالشيء الماخوذ بين الاصبعين المتحركين ولما كان قلب لا يخلو عن شهوة وغضب وحرص وطمع
وطول امال وغير ذلك من الصفات البشرية المتشعبة عن الهوى النفسية لا جرم لا يخلو قلب عن ان يكون
للشيطان فيه جولان بالوسوسة ولذا قال عليه السلام ما منكم احد الا وله شيطان قالوا وانت يا رسول
الله قال وانا الا ان الله اعانني عليه فاسلم فلا يامرني الا بالخير رواه مسلم عن ابن مسعود ثم القلب

القلب الخالي عن الهوى لا يدخله الشيطان ولذا قال سبحانه ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وكل من
اتبع هواه فهو عبد الهوى لا عبد الله قال تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه وقال جرير بن عبد الله شكوت
الى العلاء بن زياد ما اجد في قلبي من الوسواس فقال انما مثل ذلك البيت الذي يمر به اللصوص فان
كان فيه شيء عالجوه والا مضوا وتركوه وعند ما تبين المخلص ما قال الله وقال عثمان بن ابي العاص
يا رسول الله ان الشيطان حال بيني وبين صلاتي وقراءتي فقال ذلك شيطان يقال له خنزب فاذا احسسته
به فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثا قال ففعلت ذلك فاذهبه الله عني رواه مسلم وابن ماجه
والترمذي من حديث ابي بن كعب ان للوضوء شيطانا يقال له الولهان فاستعيذوا بالله منه واي حصن
اعدل على من الشيطان الا باب التجاء الى الرحمن والتبري من الحول والقوة لان نسيان واظهار العجز في مبدا
البيان والاشتغال بذكر الله فانه هو المستعان وذلك لا يقدر عليه الا المتقون كما يشير اليه قوله
سبحانه ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون ومنه اي من الواهب ومنه
عز وجل تعالى ابتدا الخاطر مطلقا وانما قال ابتدا لان حدوث الخواطر جميعها في قلب العبد من الله حقيقة
لكن اذا احدثت عقيب دعوة الملك تنسب اليه وتسمى الهاما واذا احدثت عقيب دعوة الشيطان تنسب اليه
وتسمى وسوسة واذا احدثت موافقا للطبع يقال له هوى النفس وينسب اليه واذا احدثت من الله في
القلب ابتداء بلا واسطة الملك والشيطان ولا موافق الطبع الانساني يسمى خاطرا مطلقا غير مقيد
بالواسطة والرابطة وهو اما خير اعتنى اي عناية ورعاية للعبد واما شر ابتلاء اي امتحانا للعبد ومنه
النفس هوى اي والوارد منها يسمى هوى وهو ضد الهدى وليس الهوى سوى الشر كما ان الهدى ليس
سوى الخير وقيل كالوسوسة من الشيطان اي يدعو الى الشر غالبا وقد يدعو الى الخير اليسير ليجره به الى الشر الكثير
وذلك كما قال احمد بن ادهم البلخي نازعتني نفسي بالخروج الى الغزو فقلت سبحان الله ان الله تعالى يقول
ان النفس لامارة بالسوء وهذه تامرني بالخير لا يكون هذا ابدا ولكنها استوحشت فتريد لقاء الناس
لتتروح اليهم وتتسامع الناس فيستقبلونها بالتعظيم والتكريم فقلت لها لا انزلك العمران ولا انزلك على
ذي معرفة فاجابت فاساءت الظن بها فقلت الله اصدق فجعلت اقاتل العدو حاسرا اي بلا سلاح فتكون
اول قتيل فاجابت فاساءت الظن بها فعددت اشياء مما اراده فاجابت الى كل ذلك فقلت يا رب نبهني لها
فاني متهم لها ومصدق لك فكوشفت كانها تقول يا احمد تقتلني كل يوم بمنعك اياي من شهواتي مرات ولا
يشعر بي احد اذا قتلت في الغزو كانت قتلة واحدة فنجوت منك ويتسامع فيقال استشهد
احمد فيكون لي شرف وذكر فقعدت ولم اخرج الى الغزو في ذلك العام فانظر الى خداع النفس وغرورها تراءى
الناس بعد الموت بعمل لم يكن بعد ولقد صدق القائل ع توق نفسك لا تامن غوائلها فالنفس
شر من سبعين شيطانا وقيل الا اذا كانت النفس مطمئنة بذكر الله فليس خاطرها سوى الخير وهذا هو الذي سمي
من الخواطر المسمى بخاطر القلب بقوله تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب يعني ولا تميل ابدا الى الذنوب والعيوب
فورود استفت قلبك تمامه وان افتاك المفتون فالخطاب للمتقي فان قلبه لا يخطي ومن هنا قيل حكي قلبي

عن ربي اي الفرق بين الخواطر والخير والشر ففي الخير يعرف الخاطر المطلق الذي يرد من الله بكونه مصمما
اي ثابتا على حالته واحدة دائما ومحدثا اي وبكونه واقعا عقيب الطاعة اثابة اي جزاء واكراما فورد
في التنزيل والذين جاهدوا فينا بالطاعة لنهدينهم سبلنا الباقية الموصلة الى قربنا ووصلنا وفي الخبر
من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وهو معنى قوله سبحانه والذين اهتدوا زادهم هدى واتاهم تقواهم
وقوله واما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى اي الطريقة الموصلة السهلة الى الحالة الاخرى ي
في الدنيا والعقبى وطارئا عطف على مصمما اي عارضا في الاصول الى الاعتقادات والاعمال اي
العبادات الباطنة فلا سبيل لغيره تعالى اليها فهو عليم بذات الصدور وخفايا الامور وتنبيها عطف على
اثابة اي وللتنبيه عن نوم الغفلة في مقام الانابة على فعل الطاعة والا يبعدان يعطف على مصمما بذكر
المصدر وارادة الفاعل اي منبها عن الغفلات على عمل الخيرات فورد في الدعاء اللهم نبهنا عن نومة
الغافلين لم اره اصلا والالهام الملكي يعرف بكونه اي الخاطر مترددا بين الفعل وتركه غير قوي في
حكمه وقيل مترددا اي يجيء مرة ويذهب اخرى ومبتديا اي لا محدثا بعد عمل عبادة ونحوه وطارئا
اي عارضا في الفروع العلمية والعملية الى الاعمال الظاهرة الاخروية وقيد الاعمال بالظاهرة لان الملك
لا سبيل له الى معرفة باطن العبد في قول الاكثر بهم وحثا على الطاعة في الامور الدينية فورد في التنزيل
لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون اي الملائكة ما يؤمرون الا انهم جبلوا على الطاعة والوسوسة
من الخواطر تعرف بكونها مع عجلة لا مع تان لقوله تعالى وكان الانسان عجولا وفي الحديث العجلة من
الشيطان والاناة من الله رواه الترمذي وحسنه من حديث سهل بن سعد وقال عز وجل ولا تعجل بالقران
من قبل ان يقضى اليك وحيه ونشاطا اي فرح وانبساط وهو خفة تحصل في الانسان للاقدام على العمل من
غير بصيرة وتصور مثوبة دون خشية اي من غير مخافة على اتمامه اي اتمام العمل انتهاء وادامه على وجهه
اي وجه حقه ابتداء وقبوله تعالى اياه اي العمل او صاحبه اذ لا عبرة لما سواه وبصيرة اي ودون بصيرة
انه اي ذلك العمل خير يرجى عليه الثواب او شر يخاف عليه العقاب وقيل المراد بالبصيرة لتحقق العاقبة
بان يبصر ويحقق ويتيقن انه خير ورشد ويجب لزومه مع قطع النظر عن قصد الثواب والله اعلم بالصواب ب
والحاصل انك ان وجدت نفسك في ذلك الفعل الذي خطر بقلبك مع نشاط لا مع خشية ومع عجلة
لا مع تان ومع امن لا مع خوف ومع عمى عن العاقبة لا مع بصيرة فاعلم انه من الشيطان وان وجدت
نفسك مع ضد ذلك بان يكون مع خشية لا مع نشاط ومع تان لا مع عجلة ومع خوف لا امن ومع
بصيرة لا مع عمى فاعلم انه من الله تعالى او من الملك هذا الفرق في الخواطر في الخير كله وفي الشر يعرف
الخاطر المطلق الذي هو من الله سبحانه بكونه مصمما اي قويا ومحدثا واقعا عقيب الذنب عقوبة اي
للعقوبة على المعصية فورد في التنزيل بل ران اي غلب وغطى على قلوبهم ما كانوا يكسبون من السيئات
الواقع بعضها عقيب بعض عقوبة لهم حتى اسودت قلوبهم حيث تراكمت ذنوبهم ومنه قوله تعالى واما من
بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى اي الطريقة العسرة الموصلة الى مثلها في الدنيا والاخرى

والاخرى والهوى اي ويعرف خاطر هوى النفس بكونها مطالبة للشهوة اي للذة التي فيها اللهوة فورد
في التنزيل ما تشتهي انفسكم حيث نسب الاشتهاء الى النفس التي منبع الهوى ومصرة على معين اي ويكون نها
مصمما على شهوة معينة على وجه معين وطريق معين لا تعدل عنه بوجه اصلا وقطعا فالنفس
لا تسكن دون قضاء الشهوة اي من غير غرضها التي تريدها كما قيل تريد النفس ان تلق مناها
ويابى الله الا ما يريد والوسوسة تعرف بكونها مبتداة اي ليست عقب طاعة ولا معصية في الاكثر
اي اكثر الاحوال او اكثر الوساوس ومترددة فمرة تدعو الى معصية واخرى الى اخرى فهي غير
مصممة على حالة واحدة فان الشيطان كلب او ذئب اذا طرد من جانب دخل من اخر الى جانب اخر كما يشير
اليه قوله فبما اغويتني لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم
وعن شمائلهم والمراد طرق المعاصي جميعها فعن ابن مسعود خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمين الخط وشماله وقال هذه سبل الشيطان على كل سبيل
منها شيطان يدعو اليه ثم تلا وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله
ومباعثة اي ويكونها محرضة على غير معين من انواع المعاصي مفرضة نفس الا عواقبها الى جهة كان
من الاعمال والاحوال ومسولة اي ويكونها مزينة ومسهلة للمعصية من المعاصي غير متعينة فورد في التنزيل
الشيطان سول لهم اي زين لهم سوء اعمالهم واملى لهم اي امهلهم ببطء اجالهم او التي في قلوبهم ما يبد مو
عليه في املهم قال الحسن بلغنا ان ابليس قال سولت لامة محمد المعاصي فقطعوا ظهري بالاستغفار
فسولت اليهم ذنوبا لا يستغفرون الله عز وجل منها وهي الاهواء وقد صدق الملعون فانهم
لا يعلمون ان ذلك من الاسباب التي تجر الى المعاصي فكيف يستغفرون منها ومن عظيم حيل الشيطان ن
انه يشغل الانسان عن نفسه بالاختلافات الواقعة بين الناس في المذاهب الاصولية والفروعية
والخصومات الدنيوية قال عبد الله بن مسعود قعد قوم يذكرون الله عز وجل فاتاهم الشيطان ليقيمهم من
مجلسهم فيفرق بينهم فلم يستطع فاتى رفقة اخرى يتحدثون بحديث الدنيا فافسد بينهم فقاموا يقتتلون
وليس اياهم يريد فقام الذين يذكرون الله واشتغلوا بهم يفصلون بينهم فتفرقوا عن مجلسهم وذلك مراد
الشيطان منهم ومنافعة اي ويكونها مرتفعة بذكره تعالى وبذكر صفته فورد في الحديث فيه اي في حق
الشيطان اذا ذكر العبد الله خنس اي تاخر الشيطان واذا غفل وسوس قال مجاهد في معنى قوله تعالى
من شر الوسواس الخناس قال هو منبسط على قلب الانسان فاذا ذكر الله خنس وانقبض واذا غفل
انبسط على قلبه فالتطارد بين ذكر الله ووسوسة الشيطان كالتطارد بين النور والظلام وبين الليل
والنهار ولتطاردهما قال تعالى استحوذ عليهم الشيطان فانساهم ذكر الله وعن انس قال عليه السلام ان
الشيطان واضع خطمه على قلب ابن ادم فاذا ذكر الله خنس وان نسي الله التقم قلبه ابن ابي الدنيا وابو
يعلى وابن عدي بهذا وكما ان الشهوات ممتزجة بلحم الادمي ودمه فسلطنة الشيطان ايضا سارية
في لحمه ودمه ولذا قال عليه السلام ان الشيطان ليجري من ابن ادم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع

وذلك لان الجوع يكسر الشهوة ومجرى الشيطان الشهوات المانعة عن الطاعات وفيه تنبيه على انه
لا يتخلص احد من الشيطان ما دام حيا فغرضه تسبيل دفعه وتضعيف قوته كما قال عليه السلام ان المؤمن
لينضي شيطانه كما ينضي احدكم بعيره في السفر اي يهزله ويضعفه رواه احمد من حديث ابي هريرة وقال ابن
مسعود شيطان المؤمن مهزول وقال قيس قال لي شيطان دخلت فيك وانا مثل الجزور وانا الان مثل
العصفور قلت ولم ذلك قال تذيبني بكتاب الله عز وجل وقال ابو هريرة التقى شيطان المؤمن وشيطان
الكافر فاذا شيطان الكافر سمين دهين كاس واذا شيطان المؤمن مهزول اشعث عار فقال
شيطان الكافر لشيطان المؤمن ما لك فقال انا مع رجل اذا اكل سمى الله فاظل جائعا واذا شرب
سمى الله فاظل عطشانا واذا ادهن سمى الله فاظل شعثا واذا لبس سمى الله فاظل عريانا فقال
شيطان الكافر لكني مع رجل لا يفعل شيئا مما ذكرت فانا اشاركه في طعامه وشرابه ودهنه ولباسه
وفي النسائي من حديث سبرة باسناد صحيح ان الشيطان قعد لابن ادم في طريقه فقعد له في طريق الاسلام م
فقال اتسلم وتذر دينك ودين ابائك فعصاه واسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال اتهاجر وتذر ارضك
وسماءك فعصاه وهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد فقال له اتجاهد وهو جهد النفس والمال فتقاتل فتقتل
وتنكح المرأة ويقسم المال فعصاه فجاهد قال عليه السلام من فعل ذلك ومات كان حقا على الله ان يدخله الجنة واذا
عرفت هذا فينبغي للعبد ان يشتغل بدفع العدو عن نفسه لا بالبحث عن اصله ونسله ومحله فقد قال
تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير وقال عز وعلا
الم اعهد اليكم يا بني ادم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وان اعبدوني هذا صراط مستقيم
وقيل يتعذر التمييز بين الخواطر بشيء من الاشياء الا بنور التقوى والمعرفة بصفات المولى كما قال تعالى ان
الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا اي رجعوا الى نور العلم فاذا هم مبصرون اي انكشف
لهم الاشكال وانحل عنهم العقال وتبين لهم غامض الاحوال واما من لم يرض نفسه بالتقوى فيميل طبعه
الى الاذعان للهوى لتلبيسه بمتابعة الهدى ويكثر فيه غلطه ويتعجل هلاكه وهو لا يشعر به وفي مثلهم
قال تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون قيل هي اعمال ظنوها حسنات فاذا هي سيئات ومن الواجب
ينبغي ان يعلم ان الخواطر تنقسم الى ما يعلم قطعا انه داع الى الشر فلا يخفى كونه وسوسة والى ما يعلم انه
داع الى الخير فلا شك في كونه الهاما والى ما يتردد فيه ولا يدري انه من لمة الملك او من لمة الشيطان فان من
مكايد الشيطان ان يعرض الشر في معرض الخير والتمييز في ذلك غامض واكثر العباد به يهلكون فان
الشيطان لا يقدر على دعائهم الى الشر الصريح فيصور الشر لهم بصورة الخير ولذا روي ان ابليس تمثل
لعيسى عليه السلام فقال له قل لا اله الا الله فقال كلمة حق ولا اقولها بقولك وعن النبي صلى الله عليه
وسلم كان راهب في بني اسرائيل فاخذ الشيطان جارية فخنقها والقى في قلوب اهلها ان دواءها
عند الراهب فاتى بها الى الراهب فابى ان يقبلها فلم يزالوا به حتى قبلها فكانت عنده ليعالجها
فاتاه الشيطان فوسوس اليه وزين له مقاربتها فلم يزل حتى وقع عليها فحبلت منه فوسوس

فوسوس اليه وقال الان تفتضح يأتيك اهلها فاقتلها فان اتوك فقل ماتت فقتلها ودفنها فاتى
الشيطان اهلها فوسوس اليهم والقى في قلوبهم انه احبلها ثم قتلها ودفنها فاتاه اهلها فسألوه
٥ فقال ماتت فاتى اليهم الشيطان الخناس فوسوس عنده فمشوا عليه فوجدوها مقتولة فاخذوه فاتاه
الشيطان فقال انا الذي اخذتها وانا الذي القيت في قلوب اهلها فاطعني انجك منهم قال بماذا
قال اسجد لي سجدتين فسجد له سجدتين فقال له الشيطان اني بريء منك فهو الذي قال الله تعالى
كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك الاية والحديث رواه ابن ابي الدنيا
في مكايد الشيطان وابن مردويه في تفسيره من حديث عبيد بن رفاعة مرسلا والحاكم نحوه موقوفا
على علي بن ابي طالب وقال صحيح الاسناد ووصله مطين في مسنده من حديث علي وذكره البغوي في
تفسيره عن ابن عباس وذكر ان الراهب اسمه برصيصا وتعلل بعد قتلها بان جنيها قتلها وراح بها
ولم يقدر على دفعه عنها العقبة بطولها فانظر الان الى حيل الشيطان واضطرار الراهب الى
الكبائر وكل ذلك لطاعته له في قبول الجارية للمعالجة وهو امر هين في المخالطة وربما يظن صاحبه انه
خير وحسنة وصل لطف المرافقة وحسن عشرة في المخالطة فيحسن ذلك في قلبه ويخفى الهوى في نفسه فيتقدم
اليه كالراغب في الخير لديه فيخرج الامر بعد ذلك عن اختياره هنالك ويجر البعض الى البعض بحيث لا يجد
محيصا من الخلاص عن الامر المذكور فنعوذ بالله من تضييع اوائل الامور والى الشيطان يتوله عليه
٥ السلام من حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه متفق عليه من حديث النعمان واختلف في الاخذ اي المؤاخذة
بالخواطر فبعضهم قال بعدم الاخذ مطلقا واستدل عليه بقوله عليه السلام يقول الله تعالى اذا هم عبدي
بسيئة فلا تكتبوها وبعضهم بالاخذ مطلقا واستدل بقوله تعالى ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والتحقيق
التفصيل فان اوله يرد على القلب الخاطر كما لو خطر له مثلا صورة امرأة وانها وراء ظهره في الطريق
بحيث لو التفت اليها لرآها ويسمى حديث النفس والثاني هيجان النفس في الرغبة الى النظر وهو حركة الشهوة
التي في الطبع وهذا يتولد من الاول ويسمى ميل الطبع والثالث حكم القلب بان هذا ينبغي ان
ينظر اليها فان الطبع اذا مال لم تنبعث الهمة والنية ما لم تندفع الصوارف فانه قد يمنعه حياء او خوف من الله
تعالى عن الالتفات وعدم هذه الصوارف ربما يكون بتأمل وهو على كل حال حكم من جهة العقل ويسمى هذا
ب اعتقادا وهو يتبع الخواطر والميل والرابع تصميم العزم وجزم النية ويسمى الارادة ميل الباطن نحو المطلوب
والقصد قرارا في القلب على نجح المرغوب والعزم بحيث لا يمكن زواله والجزم بحيث يوجب العمل ومالسه
فاذا عرفت هذا فالتحقيق عند اهل التدقيق وارباب التوفيق عدمه اي عدم الاخذ بمعنى المؤاخذة فيما
ا لا اختيار له كحديث النفس مما يخطر بالبال ويذهب بسرعة زواله وميل الطبع اي الجبلي الذي لا اختيار
لصاحبه في الميل اليه وانت عرفت ان حديث النفس وميل الطبع متغايران وميل عطف تفسيري وهو خاطر
فعل الذي لا يخرج الى العزم والهم لا فيما يتابع التكليف فيه اي فيما للاختيار فيه فانه تكليف بما لا يطاق
وقد قال تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها وورد عفي عما حدثت به نفوسنا وهو معنى حديث الصحيح الميت

عن ابي هريرة ان الله تجاوز لامتي عما حدثت به انفسها ما لم تتكلم به او تعمل به وعن ابي هريرة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى اذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه فان عملها فاكتبوها
عليه سيئة فان تركها فمن اجلي فاكتبوها حسنة واذا هم بحسنة ولم يعملها فاكتبوها حسنة فان عملها فاكتبوها
عشرا رواه الشيخان وانما هو اي الخطور والمواخذة في العزم اي حكم القلب بان هذا ينبغي ان يفعل والهم
اي المصمم فهو عطف تفسيري وهو قصد الفعل بعد الخطور وتمكن ما انتفى الى مباشرة الفعل المانع من الشرع
او العقل او غيرهما فانه قد يكون الفاسق محموا وفسقه مجردا ما اراد الثاني اخص من الاول وقد اشكل مورد
في التنزيل وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله اي ان تظهروا ما فيها من العزم والهم على
المعصية او تخفوه يجازيكم به كما قال فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء فلما نزلت الاية جاء ناس من
الصحابة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا كلفنا ما لا نطيق ان احدنا ليحدث نفسه بما لا يحب
ان يثبت في قلبه ثم يحاسب بذلك فقال عليه السلام لعلكم تقولون كما قالت بنو اسرائيل سمعنا وعصينا
قولوا سمعنا واطعنا فانزل الله الفرج بقوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها رواه مسلم من حديث ابي
ابي هريرة وابن عباس وظاهره ان كل ما لا يدخل تحت الوسع من اعمال القلوب هو الذي لا يؤاخذ
به ان السمع والبصر الاية اي والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا وقد قال تعالى ولا تكتموا الشهادة
ومن يكتمها فانه اثم قلبه وقال لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم انما
يحشر الناس على نياتهم رواه ابن ماجه من حديث جابر دون قوله انما وله من حديث ابي هريرة
انما يبعث الناس على نياتهم واسنادهما حسن عن الاحياء ونحن نعلم ان من عزم ليلا على ان يصبح
ويقتل مسلما فمات تلك الليلة مات مصرا ويحشر على نيته والدليل القاطع فيه حديث اذا التقى المسلمان
بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار فقالوا يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال لانه اراد قتل
صاحبه رواه الشيخان ووقع الاجماع على المواخذة اي المؤاخذة بالكبر والعجب والرياء وحصر الثلاثة بالذكر
لكونها من اعمال الباطن ولما شبهها بالخواطر الا ان يمتنع عن العمل السوء بعد العزم اي القصد
الجزم على الفعل له اي يكون امتناعه لاجله تعالى رجاء او خوفا فيمحوه اي فيمحه الله سبحانه الا يجزى بها
والعقوبة عليها ارجى ان تاثير الامتناع عن العمل لاجله تعالى في تنوير الباطن لانه اي الامتناع
يخالف الطبع ويوافق الشرع فيرجح على تاثير القصد على تاثير العقد اي قصد المعصية والعزم عليها
فيكون موثرا في تسويده اي تسويد الباطن وتغيره لانه يوافقه اي لان قصد المعصية يوافق
الطبع ولا يلائم الشرع وحاصله ان الامتناع من حيث انه يخالف الطبع يحتاج الى جد شديد
وسعي اكيد وربما كان جده اشد وسعيه اهم كان تاثيره اكمل واتم فعلمت بهذا ان تاثير الامتناع
في تنوير الباطن اشد من تاثير قصد المعصية في تسويد الباطن لانه يحتاج الى سعي بليغ وما كان جده
واجتهاده اكمل كان التاثير انقص فتامل وفي الخبر افضل الطاعات احمزها اي اشقها واصعبها
مورود في الخبر فيه اي الامتناع ان تركها العبد اي السيئة فاكتبوها حسنة وقد تقدم قول ابن ابي

ابي الدنيا في مكايد الشيطان هكذا مرسلا قال ثابت لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم قال ابليس
لشياطينه لقد حدث امر فانظروا ما هو فانطلقوا ثم جاءوه فقالوا ما ندري قال ابليس انا اتيكم بالخبر
فذهب ثم جاء فقال قد بعث محمد صلى الله عليه وسلم قال فجعل يرسل شياطينه الى اصحاب النبي عليه السلام فـ
ينصرفون خائبين فيقولون ما صحبنا قوم قط مثل هؤلاء نصيب منهم ثم يقومون الى صلاتهم فيمحى اثر ذلك
فقال ابليس رويدا بهم عسى الله ان يفتح لهم الدنيا فهناك تصيبون حاجتكم منهم ومما يدل على ان
حديث النفس لا يؤاخذ به ما روي عن عثمان بن مظعون حيث قال يا رسول الله ان نفسي تحدثني
ان اطلق خولة قال مهلا ان من سنتي النكاح قال نفسي تحدثني ان اجب نفسي قال مهلا خصاء امتي
دؤوب الصيام قال نفسي تحدثني ان اترهب قال مهلا رهبانية امتي الجهاد والحج قال نفسي
تحدثني ان اترك اللحم قال مهلا فاني احبه ولو اصبته لاكلته ولو سالت الله لاطعمنيه رواه الترمذي
الحكيم في نوادر الاصول عن سعيد بن المسيب مرسلا ثم الواجب الحذر اي الاحتراز عن الشيطان
وما فيه من الوسواس لانه عدو كما نطق به القران حيث قال ان الشيطان لكم عدو وقال ان الشيطان لكم عدو مبين صح
فاتخذوه عدوا الاية ولان العابد العالم يغاظه اي يغالبه في غيظه لاجل كونه في سبيل الله فتشتد
معاداته اي الشيطان اياه اي ذلك العابد ولذا ورد لفقيه واحد اشد على الشيطان من الف عابد ثم من
عداوته لكل انام امره لهم بالاثام ووعده على الاثام من عذاب الله وعدم حسابه والياس من ثوابه من
غير شبهة فضلا عن حجة ويخوفهم بالفقر في اعطاء الزكوات ويحثهم على الانفاق في المحرمات ويخيل لهم
اللذات في الشهوات واللهوات ويدعو له ازواج وجوار ذات جمال ومزينة ومطرح في غاية كمال الى زنا
من ليس لها ذلك في الاموال ويامر الامرا بالظلم في اموال الاغنيا وارفاق الايتام والفقرا مع وفورها
لهم ويقتل النفس بادنى خيال مع تمكنهم من الدفع في حال الاستقبال وله ابواب يضيق الاطناب والطريق
اي طريق الاحتراز منه الاستعاذة منه به تعالى لانه اي العبد او الاستعاذة مامور بها في قوله تعالى
واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله الاية وسائر الايات والاخبار الواردات وكان محمد بن وا سع
يقول كل يوم بعد صلاة الصبح اللهم انك سلطت علينا عدوا من غير الغيب بصيرا بعيوبنا مطلعا على عورا تنا
يرانا هو وقبيله من حيث لا نراهم اللهم فايسه منا كما ايسته من رحمتك وقنطه منا كما قنطته من عفوك وباعد
بيننا وبينه كما باعدت بينه وبين جنتك انك على كل شيء قدير وعن عبد الرحمن بن ابي ليلى قال كان شيطا ن
ياتي النبي صلى الله عليه وسلم بيده شعلة من نار فيقوم بين يديه وهو يصلي فيقرا ويتعوذ فلا يذهب
فاتاه جبريل عليه السلام فقال قل اعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من
شر ما ذرا وبرا في الارض ومن شر ما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ومن فتن الليل والنهار
وطوارق الليل والنهار الا طارقا يطرق بخير يا رحمن فقال ذلك فطفئت شعلته وخر على وجهه رواه
ابن ابي الدنيا في مكايد الشيطان هكذا مرسلا ورواه مالك في الموطا نحوه عن يحيى بن سعيد مرسلا ووصله
ابن عبد البر في التمهيد من رواية يحيى عن محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة عن عياش الشامي

عن ابن مسعود ورواه احمد والبزار من حديث عبد الرحمن بن حبش ولان الكلب ان طاردته
تعبت وربما غلبت فالرجوع الى ربه اولى في الخلاص عن البلوى ومثل الشيطان بالكلب الجايع
يقرب منك فاذا لم تكن بين يديك لحم او خبز فانه ينزجر بان تقول له اخس لمجرد الصوت يدفعه
وان كان بين يديك شي من ذلك وهو جايع فانه يهجم عليك ولا يندفع بمجرد الكلام فالقلب
الخالي عن قوت الشيطان يندفع عنه بمجرد الذكر فاما الشهوة اذا غلبت على القلب دفعت حقيقة
الذكر الى حواشي القلب فلم يتمكن الذكر من سويدائه فيستقر الشيطان في سويداء القلب وقيل بعضهم
الشيطان بالكلب التركي فانه لا مخلص الا ما منه الا بالسيف ولا بالنوادر ولا باعطاء اللحم وغيره
وانما يخفيه منه كلمة من صحبه داخل خيمته فيعتبر عضب كلبه ونعمته والملجا هنا مع الشيطان بالرد
اي برد الوسوسة ودفعها في الحالة الاولى وقلع المهلكات اي ازالتها من اصلها وهي
الحسد والحرص والغضب والشهوة وحب التزيين في الثياب والاثاث والدار والشبع من الطعام
ولو لم يكن من الحرام والطمع في الانام واخذ كل ما يزيد على قدر القوت والحاجة من الدراهم والدنانير
وساير اصناف الاموال وخوف الفقر والبخل والتعصب للمذاهب والرصد للمناصب والتفكر في ذات
الله وسوء الظن بالمسلمين ونحو ذلك من الحالات الكاسدة والمقالات الفاسدة فهو اي الشيطان
انما مسلط على الانسان لكن متجان في ميدان الطاعة والعصيان فحي بكرم المرء وبهان واذا منه
ذكر تعالى لسانا خفية او جهرا وقلبا فهو افضل واكثر تاثيرا والجمع بينهما اكمل لما سبق من ان العبد
اذا ذكر الله خنس الشيطان وتاخر في الحجر ما سلك عمر فجا اي طريقا الا سلك الشيطان فجا غير فجه
رواه الشيخان من حديث سعد بن ابي وقاص قال في الاحيا وهذا لان قلبه هذا كان مطهرا عن
مرعى الشيطان وقوته وهي الشهوات فمهما طمعت في ان يندفع الشيطان عنك بمجرد الذكر كما اندفع
عن عمر كان محالا كمن طمع في ان يشرب الدوا قبل الاحتماء والمعدة مشغولة بغليظ الاطعمة ويطمع
ويطمع في ان ينفعه الدوا كما ينفع الذي شربه بعد الاحتماء وتخلية المعدة فالذكر دوا والتقوى احتماء فاذا نزل تخليته صح
الذكر قلبا فارغا عن غير الذكر اندفع الشيطان عنه كما يندفع العلة بنزول الدوا في معدة خالية عن الاطعمة
فان قلت الحديث قدور مطلقا بان الذكر ميطرد الشيطان ولم يفهم ان عمومات الشرع مخصوصة
بشروط يعرفها علما الدين فانظر الى نفسك فليس الخبر كالمعاينة وتامل ان منتهى ذكرك وعبادتك
صلاتك فيه فراقب قلبك اذا كنت في صلاتك كيف يجاذبه الشيطان الى الاسواق وحساب العاملين
وجواب المعاندين وكيف يمر بك في اودية الدنيا ومهالكها حتى انك لا تذكر ما نسيته من فضول
الدنيا الا في صلاتك فلا يزدحم الشيطان على قلبك الا اذا صليت والصلاة محك للقلوب
فيها مساويها ومحاسنها فالصلاة لا تقبل من القلوب المشحونة بشهوات الدنيا فلا جرم لا تطرد
عنك الشيطان بل ربما يزيد عليك الوسواس في ذلك الزمان كما ان الدوا قبل الاحتماء ربما يزيد عليك
الضرر في الدوا فان شئت الخلاص من الشيطان فقدم الاحتماء بالتقوى ثم اردفه بدوا الذكر كما يشير اليه

اليه قوله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون فانه شرط في الذكر
تقدم التقوى او كمال الحضور في ذكر المولى ومن ثمه ورد من صلى ركعتين لم يحدث فيهما بشي من الدنيا
غفر له ما تقدم من ذنبه وقد قال وهب بن منبه اتق الله ولا تسب الشيطان في العلانية وانت صديقه بغيه
في السر اي مطيع له في الباطن وقال بعضهم يا عجبا لمن يعصي المحسن بعد معرفته باحسانه ويطيع اللعين
بعد معرفته بطغيانه وعن بعض الحكما الشيطان ياتي ابن ادم من قبل المعاصي فان امتنع اتاه من
قبل النصيحة حتى يلقيه في البدعة فان ابى امره بالتحرج والشدة حتى يحرم ما ليس بحرام فان
ابى شككه في وضوئه وصلاته حتى يخرجه من العلم فان ابى خفف عليه اعمال البر حتى يراه
الناس صابرا عفيفا فيميل قلبه اليهم ويعجب بنفسه وبه يهلكه ومن ثمه يشتد الحاجة الى اخر درجة
ويعلم انه لو جاوز مرتبة منه الى الجنة والاستخفاف بدعوته اي الاستحقار وعدم الالتفات بدعوة
الشيطان فالكلب ان اعرضت عنه سكت وان اشتغلت معه بالدفع اتعبك بالعوا ومعرفة مكايده
التي يباينها فاللص ان علم احساس صاحب الدار فر اي تردد واضطرب الفرار ولم يتمكن من القرار
وهي اي المكايد سبعة كالمنع عن العمل فيه اصلا والتسويف اي التاخير عن محله والعجلة في فعله والريا
في وقوعه والعجب بعد فراغه وردها الاظهار منه تعالى الخلق بعدم الاكتفا بنظر الحق وبوحدة الربا الخفي
نشان وعدم الحاجة الى العمل بنا على قسمة الازلي من السعادة والشقاوة وهذا الغفي العبارة وتفسيرها
في قوله والرد اي رد المكايد المذكورة بالحاجة الى العمل للتزود اي لزاد المعاد في يوم التناد فقد قال
تعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى وبهجوم الاجل اي مجيه بغتة قبل حصول العمل ورجحان العلم من
العمل التام اي الكامل بالثاني على الكثير من العمل الناقص بالعجلة وكفاية رؤيته تعالى لقوله سبحانه
الم يعلم بان الله يرى وقوله عز وجل اليس الله بكاف عبده وذكر منته والتفويض اليه اي التسليم بان
يديه من الاظهار والاخفا ولا في العبادة بل ينبغي ان يميل الى الاخفا لانه ابعد من الريا في الخبر
افضل امتي الاتقيا الاخفيا وفرضيته امتثاله اي امتثال امره على عبده ثم ان كنت شقيا فانا
محتاج الى العمل لكيلا الوم نفسي يوم القيامة متى اني لو ادخلت النار وانا مطيع احب الي من ان
ى ادخلها وانا عاص لخفة العذاب وان كنت سعيدا فانا محتاج الى زيادة الثواب وحقيقة وعلو الدرجات
اي الى قرب بالاثابة على الطاعة والاجابة ثم الافضل الاقتصار على التكذيب اي تكذيب
الشيطان فيما يوسوس وترك الجدال فانه يرد قلب العبد ويشوشه ولان الملجى دله شاغل عن
العبادة الكاملة ثم الاستمرار على ما كان عليه من العبادة والاستغراق من غير تكذيب ولا جدال
لان التكذيب ايضا شاغل كالجدال وان كان قليلا فان المقصود الاعلى هو الحضور مع المولى
ثم الزيادة اي زيادة الاجتهاد في ضده اي اضداد ما ذكر من المكايد او في ضد كيد الشيطان فنغيه د
اغضابه وان اغضاب الشيطان وارضا الرحمن كما حكي عن ابن ادهم انه لما اراد ان يدخل البادية
اتاه الشيطان فخوفه ان هذه البادية مهلكة لا ماء فيها ولا زاد معك ولا سبب ولا راحلة فعزم على نفسه

ركعة تحت كل صخر

ان يقطع البادية على تجرده فذكر ان لا يقطعها حتى يصلي الف ميل من اميالها هنالك وقام
بما عزم عليه من الهمة وبقي عليه في البادية اثنتي عشرة سنة ويروى عن الفضيل بن غزوان انه قيل
له ان فلانا يذكرك بسوء فقال والله لاغيظن من امره قال الشيطان ثم قال اللهم اغفر له
اي لاغيظنه بان اطيع الله فيه ومما يعرف الشيطان من عند هذه العادة كف عنه خيفة ان يزيد في
حسناته وهو ضد ما له من الارادة واختلف اي اختلف العلماء امن الاقوياء كان بينه وان صبيا
من الاولياء منه اي من الشيطان فقال قوم هم معصومون محفوظون عنه لقوله ان عبادي ليس لك
عليهم سلطان ولقوله الا عبادك منهم المخلصين والحق منه الاقوال عدمه اي عدم امنهم من الشيطان
في جميع الاحوال لقصة ادم عليه السلام في اكل الشجرة فانه صريح في الملام ونص في الكلام حيث قال
وعصى ادم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى ولقوله تعالى واما ينزغنك من الشيطان
نزغ فاستعذ بالله والخطاب لنبينا عليه السلام وقد روي انه عليه السلام نظر الى علم ثوبه في الصلاة
فلما سلم رمى ذلك الثوب وقال شغلني عن الصلاة ولقوله سبحانه وما ارسلنا من قبلك من رسول
ولا نبي الا اذا تمنى اي قرا القى الشيطان في امنيته اي قراءته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله
اياته وورد في صحيح مسلم وغيره انه اي الشان ليغان اي ليحجب على قلبي فيمنعني عن ذكر ربي مع
ان شيطانه اسلم فلا يامر الا بخير وتمام الحديث واني لاستغفر الله في اليوم مائة مرة وفيه انه ليس
في هذا الحديث ما يدل على مدعى المدعي من اغواء الشيطان له فان المراد بالغين حجاب يقع من كثرة
مشاهدة غبار الغين في مقام البين فيمنع عن مشاهدة العين فيستغفر ربه منه ذنبه اللائق
به فان سيئات المقربين الاحرار حسنات المطيعين الابرار وما دمت في هذه الدار لا تستغرب
وقوع الاكدار وفي اي وكذا اختلف في منافات الرصد اي التحفظ للحذر من الشيطان التوكل بالنصب
مفعول منافاة فالحق من الاقوال المختلفة عدمها اي عدم المنافاة فاخذ السلاح من الدرع والمغفر
وسائر الاسلحة وجمع العسكر للمقاتلة وحفر الخندق في المقابلة ما قدحت في توكله اي ما طعنت في توكله
عليه السلام واصحابه الكرام بل ورد الامر من الله سبحانه باخذ السلاح في قوله تعالى وليأخذوا حذرهم
واسلحتهم وقال واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل وفي الحديث الا ان القوة الرمي وفي اي
وكذا اختلف في كيفية الحذر عن الشيطان فقوم قالوا اذا حذرنا الله تعالى عن العدو فينبغي لنا ان
نستغرق في رصده ولا يكون شيء اغلب على قلوبنا من ذكره وفكره وقال قوم لا ينبغي لنا ان نجمع
بين ذكر الله سبحانه وبين ذكر عدوه فضلا ان يكون ذكره غالبا فهو الجزم احسن يا اكثر ذكره وقال
قوم غلط الفريقان لان كلا من القولين لا يخلو عن نوع من النقصان كما ياتي له البيان فالاولى
تقرير عداوته اي احكام عداوة الشيطان واثباته على القلب اذا تقرر عداوته في القلب لزم ترك
الالتفات اليه والاستغراق في ذكره تعالى اي تمام التوجه الى ذكر الرب بجمع الهمة من غير التفات الى
٥ ذكر الشيطان وفكره بسبب حضور القلب في طاعة ربه والاشتغال بالدفع اي بدفع الشيطان عند الانتبا

ان نتباه بوروده اي بدخول الشيطان في القلب بالوسواس ونحوه لدخوله في الانسان مجرى
الدم في لحمه اذ الاستغراق في الرصد اي في التحفظ عن الشيطان للحذر عنه في الذكر المطلوب لذاته
وهو اي الاستغراق المذكور دفع الذكر اسرار اي اتباع الشيطان في السرور واذا كان له مراده
في مقام الاختيار والجمع اي دينا في جمع الهمة او مقام الجمع او جمع الجمع وهو ان يمنع الكثرة عن الوحدة
ولا يحجب الكثرة او الجمع بين ذكر الرحمن وبين رصد الشيطان ينتقض الحضور في ميدان المشاهدة والعيان
على قدر اشتغال القلب بذكر الشيطان فان الله سبحانه امر الخلق بذكره ونهاهم عن غيره وورد في التنزيل
ذكر الله اي ولا سواه ولا تعبدوا ولا تشتغلوا الا اياه ثم ذرهم اي اترك الخلق من الشيطان وغيره في
خوضهم اي اباطيلهم من الاشتغال بغير الحق يلعبون كالبهائم والاطفال الذين كانوا في موضع
اخر ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون اي جزاء اعمالهم مضمون قوله سبحانه وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون اي ليوحدون اولا ثم يطيعون ثانيا ثم يذكرون على الدوام ثالثا ثم
يعرفون حق المعرفة رابعا وعن النفس عطف على قوله عن الشيطان اي ثم الواجب الاحتراز عن النفس
الامارة بالسوء لانها اشد الاعداء ولانها اصعب البلايا فعلاجها اعسر من علاج الشيطان والاشياء
الاشياء ودواؤها اعضل الداء ودواؤها اشكل الدواء ولانها امور لها محبوبة كما قيل انها اعدى
عدوه والحب يعمي العين عن رؤية العيب في محبوبه ويصم الاذن عن سماع الملامة في مطلوبه ففي الخبر
حبك الشيء يعمي ويصم رواه احمد وغيره عن ابي الدرداء فالحاصل ان الانسان يعمى عن عيب محبوبه ولا يكاد
يبصر عيبا في مطلوبه كما قال قائل في شعره وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا
فاذا استحسن الانسان من نفسه كل قبيح ولا يكاد يطلع على عيب لها الا ويقول انه مليح وهي في عداوته
مستقرة وعداوتها مستمرة في او تسكن ان توقعه في الهلاك وفضيحة ويتوهم انه خالص ونصيحة وهو لا يشعر
به الا اذا حفظ الله سبحانه بفضله وكرمه وعدو اي ولانها عدو داخل اي باطني فلص البيت اي ممن
يدخل فيه ويخرج منه تعرف فيه الحيلة اي تعسر في دفعه الخلاص من المكيدة ولذا قال تعالى لا تتخذوا
بطانة من دونكم لا يالونكم خبالا ولا تنفك اي النفس عن الانسان الا بالموت بخلاف الشيطان
فانه ينفك بالاستعاذة والالتجاء بهذه ولا تندفع النفس وشرها بالذكر اي بذكر الله بخلاف الشيطان
فانه يندفع بالذكر لما سبق من حديث اذا ذكر الله خنس ويشكو النفس يوم القيامة عن رافقها في الدنيا
فللحكيم عن انس مرفوعا عجبت من مجادلة العبد ربه يوم القيامة يقول يارب اليس وعدتني ان لا
تظلمني قال بلى قال فاني لا اقبل علي شاهدا الا من نفسي فيقول اوليس كفى بي شهيدا
وبالملائكة الكرام الكاتبين فيردد هذا مرارا فيختم على فيه وتتكلم اركانه بما كان يعمل فيقول لهن بعدا لكن
وسحقا عنكن كنت اجادل وانا قال الاحيا من انه عليه السلام قال كف اذاك عن نفسك ولا تتابع
هواها في معصية الله تعالى اذن تخاصمك يوم القيامة فيلعن بعضك بعضا الا ان يعفو الله ويستر فقال
مخرجه لم اجده لهذا السياق ومنها اي من النفس نشا ذنب ابليس بالكبر والحسد حيث قال انا خير منه

واستنع عن حكم ربه فكفر بسببه بعد قضآء الله السابق في حقه فغرق في بحر الضلال بعد عباده ثمانين
الف سنة في بعض الاقوال ولم يكن هناك دنيا ولا خلق ولا شيطان اخر بل كانت النفس وحدها
فعملت ما عملت من جهلها وربما يبلى بالشح اي بسبب بخله على اخيه في اختها فانكر على ابيه فوقع في الكفر
بسببه اي بسبب قتل اخيه وبمرورت وصاحبه ماروت وقصاياهما وقعا من البلية بالشهوة التي ادت
الى الزنا ونحوه من المعصية ثم ان ادم وحوا بالحرص على الدوام والبقاء حتى اغترا بقول ابليس هل
ادلكما على شجرة الخلد وملك لا يبلى فسقطا بذلك من جوار المولى الى هذه الدنيا الدنية الحقيرة الفانية
النكدة وبقي اولاده من الامور المهلكة ثم تكلم جرا الى يوم القيامة ما ان يجد في الخلق فتنة ولا فضيحة
ولا محنة ولا ضلالا ولا معصية الا واصلها النفس وهواها والكان الخلق في سلامة وخير من مبداء
الامور ومنتهاها واذا كان العدو بهذا الضرر كله فحق على العاقل ان يهتم بامرها في حقه فان
قيل بين لنا طريق دفع هذه النفس فيقال والطريق اي طريق تذلل النفس وتكسر هواها او طريق
الاحتراز عن النفس ومشتهاها ثلاثة منع الشهوات ودفع اللهوات ودفع اللذات عنها فان الحرون
اي الصعب من الدواب يلين بنقص العلف عن عادته مع حبسه في مربطه وحمل اعباء العبادة اي اثقالها
واشتغالها فالحمار الجموح ينقاد بزيادة الحمل على ظهره والاستعانة به تعالى والتضرع اليه ليهون
امرها عليه والا فلا مخلص لديه ثم وقع التنزيل ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي اي من رحمه
اوملك رحمته والاصل فيه اي في طريق الاحتراز او في طريقة تذلل النفس الرياضة اي وفق الشريعة
المرضية بشق تخمة الملوك لا تحل الرياضة بتقليل الاكل الى ان يضعف عن اداء العبادة ولو واصل
اربعين يوما فمات مات عاصيا ولو مرض وترك المعالجة توكلا على الله فمات لم يمت عاصيا والتنعم
بانواع الفاكهة يباح وتركه افضل والجمع بين الاطعمة حرام اي ممنوع ومكروه كراهة تنزيهية او حرام
في طريق الصوفية ثم الاصل المهم في المجاهدة الوفاء بالعزم على المعاقل فاذا عزم على ترك شهوة
ويسرت اسباب ابتلاه الله فينبغي ان يصبر عنها ويستمر عليها فانه ان عود نفسه ترك العزم الفت
بعد ذلك عدم الحزم وفسدت بفقد الجزم واذا اتفق منه نقض العزم فينبغي ان يلزم نفسه عقوبة عليه
وجزاء لديه وهي اي الرياضة اي المقصود من الرياضة المستحبة بالاتفاق تهذيب الاخلاق فورد
في الحديث اني رايت البارحة عجبا اي امرا غريبا رايت رجلا من امتي جاثيا اي جالسا على ركبتيه
وبينه وبين الله حجاب فجا حسن الخلق فاخذ بيده فادخله على الله تعالى من غير حساب ولا عتاب
والحديث رواه الخرائطي في مكارم الاخلاق من حديث عبد الرحمن بن سمرة اثقل ما يوضع في الميزان
حسن الخلق رواه ابو داود والترمذي وصححه من حديث ابي الدرداء ولابي داود والترمذي من حديث
ابي الدرداء ما من شيء في الميزان اثقل من حسن الخلق وللطبراني في الاوسط من حديث عمار بن ياسر
حسن الخلق خلق الله الاعظم ولاحمد والحاكم والبيهقي من حديث ابي هريرة بعثت لاتمم مكارم
الاخلاق ولاحمد من حديث عائشة الشوم سوء الخلق ولابن حبان وغيره سوء الخلق يفسد العمل

اي العمل كما يفسد الخل العسل وللخرائطي في مكارم الاخلاق من حديث عائشة البر حسن الخلق وللطبراني
في الصغير من حديث عائشة ما من شيء الا وله توبة الا صاحب سوء الخلق فانه لا يتوب من ذنب الا
عاد في شر منه وذكر شيخ مشايخنا الجلال السيوطي حديث احسن الحسن الخلق الحسن رواه الحسن عن
الحسن عن ابي الحسن عن جد الحسن بسند حسن وهو اي حسن الخلق ضبطها اي حفظها وربطها تحت الشرع
والعقل في قضية الطبع وهو اي تحسين الاخلاق ممكن بالاتفاق لصيرورة الصيد الوحشي الطائر
كالظبي والحمام والجموح منقادا كالفرس والبعير والكلب معلما وكذا سائر الجوارح من الصيود حتى
يصير الة للصيد في مقام التقييد وورد في الحديث حسنوا اخلاقكم رواه ابن لال في مكارم الاخلاق
من حديث معاذ يا معاذ حسن خلقك للناس ولابن حبان من حديث عائشة اللهم حسنت خلقي فحسن خلقي
وللطبراني من حديث جابر ان اقربكم مني مجلسا يوم القيامة احاسنكم اخلاقا ثم هذا والخلق عبارة
عن هيئة للنفس راسخة يصدر عنها الافعال بسهولة ويسر من غير حاجة الى روية وفكر ثم ان كان
الهيئة بحيث يصدر منها الافعال الجميلة شرعا وعقلا سميت الهيئة التي هي المصدر خلقا حسنا
وان كان الصادر منها الافعال القبيحة بسهولة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقا سيئا
وكما ان حسن الصورة الظاهرة لا يتم الا بحسن جميع اعضائه فكذا في الباطن اربعة اركان لا بد من الحسن
في جميعها وهي قوة العلم وقوة الغضب وقوة الشهوة وقوة العدل بين هذه الثلاثة وتعبر عن قوة
حسن الغضب بالشجاعة وعن حسن قوة الشهوة بالعفة والمراد بالعدل هو اعتدال القوتين بين الافراط
والتفريط فان الامر المحمود في كل شيء هو التوسط فالجبن والتهور مذمومان كما ان البخل والاسراف
مذمومان والشره والجوع مشغلان وقد ورد خير الامور اوساطها رواه البيهقي في شعبه وقال تعالى
في ذم التبذير والتقتير والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وقال ولا تجعل يدك
مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر
انه كان بعباده خبيرا بصيرا وقال كلوا واشربوا ولا تسرفوا وقال اشداء على الكفار رحماء بينهم وقال
اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين فالاعتدال مطلوب في جميع الاحوال فان العقيدة الحميدة
هي المتوسطة بين التشبيه والتعطيل وبين القدر والجبر وبين النصب والرفض وهو الصراط المستقيم
والدين القويم الذي لا عوج له ولا ميل الى احد الجانبين الزائغ عن الجادة قال تعالى وان هذا صراطي
مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله وقال واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا
ولما كان الوسط الحقيق بين الطرفين في غاية الغموض بل هو ادق من الشعر واحد من السيف فلا جرم
من استوى على هذا الصراط المستقيم في الدنيا جاز على مثل هذا الصراط في العقبى وقلما ينفك العبد
عن ميل عن الصراط المستقيم اعني الوسط حتى يميل الى احد الجانبين فيكون قلبه متعلقا بالجانب
الذي مال اليه فلذا لا ينفك عن عذاب ما واجتياز على النار وان كان مثل البرق قال تعالى وان منكم
الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ولاجل عسر الاستقامة وجب على كل عبد ان يدعو الله في كل يوم

سبعة عشر مرة بقوله اهدنا الصراط المستقيم ومن هنا قال عليه السلام استقيموا ولن تحصوا اي
لن تطيقوا ان تستقيموا حق الاستقامة وهي الموصوفة بنعت الاستدامة فينبغي للعبد ان يجتهد
ان يصل الى القرب من الاستقامة ان لم يقدر على حقيقتها فان ما لا يدرك كله لا يترك كله والمقصود
عجز الانسان كما يشير اليه قوله تعالى كلا لما يقض ما امره هذا وقال يحيى بن معاذ في سعة الاخلاق
كنوز الارزاق وعن الحسن من ساء خلقه عذب نفسه وقال الكتاني التصوف خلق فمن زاد عليك
في الخلق زاد عليك في التصوف وقال يحيى بن معاذ سوء الخلق سيئة لا ينفع معها كثرة الحسنات وحسن
الخلق حسنة لا يضر معها كثرة السيئات ثم قال الحسن حسن الخلق بسط المحيا وبذل الندا وتحمل الاذى
وقال الواسطي هو ان لا تخاصم ولا يخاصم من شدة معرفته بالمولى وقال الحسين بن منصور هو ان
لا يؤثر فيك جفا الخلق بعد مطالعتك للحق قال سرع على جاي الالوان مداواة من عارض
اعتقاد وتمييز من جهة اعتياد كالجبان والنسوان والبله من الانسان وجماعة الرهبان ومن هنا
ورد اكثر اهل الجنة البله ثم من عرف القبيح اي واعتقد سيا فانه قابل للعلاج في تركه ثم من اعتقد
اي القبيح حسنا وذلك كالمبتدعة ونحوهم قال تعالى افمن زين له سوء عمله فراه حسنا فان الله يضل من
يشاء ويهدي من يشاء وهو اصعب الا ان على صاحبه اخراجه عن اعتقاده وفيه غاية من التعب ولي
شك وميل من التعذيب كتهذيب الذئب والطريق مبتدا اي طريق تهذيب الاخلاق عند فقد الكمال
الفطري اي الجبلي الذي لا يحتاج الى التكلف الطبيعي كما للانبيا عليهم السلام وكذا لبعض الاصفيا
والاوليا من اتباعهم الكرام والجذبة اي وعند فقد الجذبة الالهية كما للسحرة اي سحرة فرعون وعمر رضي
الله عنه فانه امن بغتة التكلف خبر المبتدا اي تكلف السالك في اعتياد الاضداد اي تعود اضداد
الاخلاق السيئة بالتدريج اي بالتاني في المعالجة والمي لهذه بالرفع عطف على التكلف ويجوز جره
عطفا على التدريج اي الى لعفي المعالجة فيه اي في الاعتياد حتى يعتاد السالك الطاعة بوصف
الدوام ويلتذ بها اي بالطاعة التذاذ المريض بالطعام بعد العلاج اي بعد علاج المريض والمتعلم
اي والتذاذه بالعلم على الدوام متعلق بالتكلف كذا اعتبر والاظهر انه متعلق بيلتذ الا احيانا اي
متفاوتة نعم قد تفيد المجاهدة اذا كان في اكثر الاحوال الواردة وقد مثل عدم افادة بعض الاوقات
مع الذكر والفكر والطاعات بايقاد النار تحت البرمة فانها لا تفور ابدا اذا كان الامر مترددا بين
الحالات وقد توهم عبارة المصنف ان صاحب الجذبة لا يحتاج الى السلوك المجاهدة وليس كذلك فان الجهاد
لا بد لجميع العباد غايته في الباب ان ارباب السلوك على نوعين منهم سالك مجذوب وهو اغلب
احوال المريدين ومنهم مجذوب سالك وهو قليل فيما بين المرادين ويشير الى الطائفتين قوله تعالى الله
يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب واختلفوا في ايهما افضل والجمهور على ان السالك المجذوب بمنزلة
هذا والانبيا عليهم السلام ايضا في مقام الترقي لا يستغنون عن زيادة المجاهدة لكمال المثا
فقد قال تعالى واقترب وقل رب زدني علما ومن دعائه عليه السلام اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي اي زدني

زدني تحسين خلقي وان كان عليه السلام فائقا على خلق عظيم ثم كان خلقه القرآن وقد قال له
خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين وفسر العفو بان تصل من قطعك وتعطي من حرمك
وتعفو عمن ظلمك وكان من دعائه عليه السلام اللهم اهدني لاحسن الاخلاق لا يهدي لاحسنها
الا انت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها الا انت رواه مسلم من حديث علي فالمقصود منه اي من
حسن الخلق او من رياضة الخلق رسوخ حبه تعالى اي ثبوته في القلب وقلع حب الدنيا عنه اي عن القلب
فانهما لا يجتمعان كما يشير اليه قوله تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وورد من احب اخرته اضر
بدنياه ومن احب دنياه اضر باخرته فاثروا ما يبقى على ما يفنى وقد مثل علي كرم الله وجهه الدنيا والاخرة
بالضرتين اذا ارضيت واحدة اسخطت الاخرى وبكفتي الميزان اذا اثقلت واحدة خفت الاخرى وبالمشرق
والمغرب فمهما توجهت الى المشرق بعدت عن المغرب وكذا بالعكس فكل قلب مال الى حب شيء سوى الله تعالى
لا ينفك عن مرض بقدر ميله الا اذا احب الشيء لكونه معينا له على حب الله ودينه قال تعالى في قلوبهم مرض
فزادهم الله مرضا وقال علي رضي الله عنه الايمان يبدو لمعة في القلب بيضا وكلما ازداد الايمان ازداد
ذلك البياض فاذا استكمل العبد الايمان ابيض القلب كله وان النفاق ليبدو في القلب نكتة سودا فكلما
ازداد النفاق ازداد ذلك السواد فاذا استكمل النفاق اسود القلب كله وفيه تنبيه على ان الخلق الحسن
من نتيجة الايمان والعرفان والسيئ من ثمرة النفاق والكفران ثم اعلم ان لا صل الاشيا وموجدها ومخترعها
الذي جعلها اشيا هو الله تعالى فلو عرف كل شيء ولم يعرف الله سبحانه فكانه لم يعرف شيئا وعلامة المعرفة المحبة
فمن عرف الله احبه ومن احبه لا يوثر عليه الدنيا ولا غيرها من المحبوبات كما قال تعالى قل ان كان اباؤكم وابناؤكم
الى قوله احب اليكم من الله ورسوله الاية فمن كان عنده شيء احب اليه من الله ورسوله فقلبه مريض كما ان كل
معدة صار الطين احب اليها من الخبز والما او سقطت شهوتها عن الخبز والما فهي مريضة محتاجة الى الدوا
وهو اي الطريق الذي يتعرف به الانسان عيوب نفسه او التكلف باعتياد الاضداد دائما يحصل بخمسة
اشيا بالاستفادة من شيخ اي ولو شابا تائب من الذنوب بصير بالعيوب اي الظاهرة والباطنة مطلع
على الخفايا من احوال المريد كالعجب والريا وهو عزيز الوجود في ميدان الشهود كما يشير اليه قوله تعالى الا الذين
امنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وقوله وقليل من عبادي الشكور وورد الناس كابل مائة لا تجد
فيها راحلة واخر تقله وقال الشاعر المتنبي على الزمان محال ان ترى مقلتاي طلعة حر والمراد
بالحر من لا يستعبده هواه ولا يسترقه دنياه فان طلابهم العلماء وقد استولى المرض عليهم وغلب حب
الدنيا لديهم فلا يفيد للسالك التردد اليهم بل اندرس هذا العلم وهو معرفة احوال القلوب الخفية وانكر وجوده
بالكلية واقبل الخلق على اعمال ظاهرها عبادات وباطنها مرايات وعادات نعم كان يكثر وجودهم في الصحابة
والتابعين وبعض المتاخرين كالسري والجنيد رضي الله عنهم اجمعين وقد قال الشبلي للحصري ان كان
يخطر بقلبك من الجمعة الى الجمعة التي تاتي شيء غير الله عز وجل فحرام عليك ان تاتيني او صديق اي صاحب صديق
ينبه صديقه عليها اي على عيوبه كما روي عن السلف ومنهم عمر رضي الله عنه حيث قال رحم الله من اهدى الي

بعيوبي وكان يسال سلمان عن عيوبه فلما قدم عليه قال له ما الذي بلغك عني مما كرهته فاستعفى فالح
عليه فقال سمعت انك جمعت بين ادامين على مائدة وان لك حلتين حلة بالنهار وحلة بالليل فقال
هل بلغك غير هذا فقال لا فقال اما هذان فقد كفيتهما وكان يسال حذيفة ويقول انت صاحب سر رسول الله
صلى الله عليه وسلم في المنافقين فهل ترى علي شيئا من النفاق وقد قال تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا [illegible]
الله وكونوا مع الصادقين قال بعضهم كن مع الله فان لم تطق فكن مع من يكون مع الله وهذا ايضا
عزيز فقل في الاصدقاء من يترك المداهنة فيخبر بالعيب او يترك الحسد فلا يزيد على قدر الواجب ولذا كان
داود الطائي اعتزل عن الناس فقيل له لم لا تخالط الناس فقال ما اصنع باقوام يخفون عني عيوبي
فكانت شهوة ذوي الدين من السلف المجتهدين ان يتنبهوا على عيوبهم بتنبيه غيرهم وقد ال الامر الى امثالنا ان
ابغض الخلق الينا من ينصحنا ويعرفنا بعيوبنا احوال ويشبه ان يكون هذا من قساوة القلب التي
ثمرتها كثرة العصيان واصل ذلك كله ضعف الايمان او عدو حاذق عاقل فعين السخط بفتحتين
وبضم فسكون اي عدم الرضا تبديها اي تظهر العيوب وتكشف الذنوب كما تقدم في قول الشاعر
فعين الرضا عن كل عيب كليلة ، ولكن عين السخط تبدي المساويا ، فلعل انتفاع الانسان بعدو
مشاحن يذكر عيوب نفسه اكثر من انتفاعه بصديق مداهن يثني عليه ويمدحه ويخفي عليه عيوبه
او يخالط الناس اماما او ماموما وترك ما راى مذموما لئلا يكون مذموما وما يراه محمودا يطالب
نفسه به ليصير مسعودا فان المؤمن مراة المؤمن فيرى من عيوب غيره عيوب نفسه فلو ترك الناس كلهم
ما يكرهونه من غيرهم لاستغنوا عن مؤدب لانفسهم وقيل لعيسى عليه السلام من ادبك فقال ما ادبني
احد رايت جهل الجاهل فجانبته او الكتاب والسنة اي العمل بهما وهو اي الاعتصام بهما الانفع بل
هو النافع ويوميء قوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وحديث من عمل بما علم ورثه الله علم
ما لم يعلم والاصل في تهذيب الاخلاق واوفى رسوخ حبه سبحانه ترك التمتع بما لا يناله اي لا يحصل
نفعه في القبر الذي هو البرزخ بين الدنيا والاخرى فينبغي ان لا يتمتع الا بقدر الضرورة في معيشة
الدنيا من اللقمة والخرقة ونحوهما ويتعين ترك التمتع باللذات والشهوات من غير الضرورات فقد قال
وهب بن منبه ما زيد على الخبز فهو شهوة وقال يزيد الرقاشي السلام على الماء البارد ما دمت في الدنيا
لعلي لا احرمه في الاخرة وقال بشر منذ اربعين سنة تطالبني نفسي ان اغمس جزرة في دبس فما
اطعمتها لئلا يحصل الانس بالدنيا المؤدي الى الجهل والى نسيان الاخرة وذلك لانه اذا تمتع بشيء
انس به والفه واذا مات تمنى الرجوع الى الدنيا بسببه ولا يتمنى الرجوع الى الدنيا الا من لا حظ له في الاخرة
فهو اي حب الدنيا راس كل خطيئة كما رواه البيهقي عن الحسن البصري مرسلا وقال تعالى اولئك الذين امتحن
الله قلوبهم للتقوى قيل نزع منهم محبة شهوات الدنيا وقال عليه السلام المؤمن بين خمس شدايد مؤمن
يحسده ومنافق يبغضه وكافر يقتله وشيطان يضله ونفس تنازعه رواه ابو بكر بن لال من حديث انس
وقال عليه السلام لقوم قدموا من الجهاد مرحبا بكم قدمتم من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر فقالوا وما

الجهاد الاكبر يا رسول الله قال جهاد النفس رواه البيهقي في الزهد وللترمذي في اثنا حديث
وصححه وابن ماجه من حديث فضالة بن عبيد من جاهد نفسه وقال سفيان الثوري ما عالجت شيئا اشد
علي من نفسي مرة لي ومرة علي وكان ابو العباس الموصلي يقول يا نفس لا في الدنيا مع ابناء الملوك تتنعمين
ولا في طلب الاخرة مع العباد تجتهدين كانك بين الجنة والنار تحبسين الا يا نفس اما تستحيين وقال
يحيى بن معاذ الرازي جاهد النفس باسياف الرياضة والرياضة على اربعة اوجه القوت من الطعام والغمض
من المنام والحاجة من الكلام واحتمال الاذى من الانام فيتولد من قلة الطعام موت الشهوات ومن
قلة المنام صفوة الارادات ومن قلة الكلام السلامة من الافات ومن احتمال الاذى البلوغ
الى اعلى الدرجات وليس على العبد اشد من الحلم عند الجفا والصبر عند الاذى فاذا تحركت من النفس
ارادة الشهوات والاثام وهاجت منها حلاوة فضول الكلام جردت عليها سيف قلة الطعام
من غمد التهجد وقلة المنام وضربتها بايدي الخمول وقلة الكلام حتى تنقطع من الظلم والانتقام
فتامن من بوائقها في ساير الايام وتصفيها من ظلمة شهواتها فتنجو من غوائل افاتها فتصير عند
ذلك روحانية لطيفة ونورانية خفيفة فتجول في ميدان الخيرات وتسير في مسالك الطاعات والمبرات
كالفارس الفارة في الميدان وكالملك المتنزه في البستان وقال ايضا اعداء الانسان ثلثة دنياه
ح وشيطانه ونفسه فاحترس من الدنيا بالزهد فيها ومن الشيطان بمخالفته ومن النفس بترك الشهوات
وقال جعفر بن حميد اجمعت العلماء والحكماء ان النعيم لا يدرك الا بترك النعيم وقال ابو يحيى الوراق من
ارضى الجوارح بالشهوات فقد غرس في قلبه شجر الندامات وقال وهيب بن الورد من اراد شهوات
الدنيا فليتهيا للذل في العقبى وقال الجنيد ارقت ليلة فقمت الى وردي فلم اجد الحلاوة التي اجدها
فاردت ان انام فلم اقدر فقعدت فلم اطق القعود فخرجت فاذا رجل ملتف في عباءة مطروح على
الطريق فلما احس بي فقال يا ابا القاسم الى الساعة فقلت يا سيدي من غير موعد قال بلى سالت
محرك القلوب ان يحرك الي قلبك قلت قد فعل فما حاجتك قال متى يصير داء النفس دواءها فقلت اذا خالفت
النفس هواها صار داؤها دواءها فاقبل على نفسه فقال اسمعي قد اجبتك بهذا سبع مرات فابيت ان
تسمعيه الا من الجنيد ها قد سمعتيه وما عرفته وكان مالك بن دينار يطوف في السوق فاذا راى الشيء
يشتهيه قال لنفسه اصبري فوالله ما امنعك الا من كرامتك علي وقال ابراهيم الخواص كنت في جبل
لكام فرايت رمانا فاشتهيته فاخذت منه واحدة فشققتها فوجدتها حامضة فمضيت وتركت
م الرمان فرايت رجلا مطروحا قد اجتمع عليه الزنابير فقلت السلام عليك فقال وعليك السلام
يا ابراهيم فقلت كيف عرفتني قال من عرف الله لا يخفى عليه شيء فقلت له ارى لك حالا مع الله فلو
سالته ان يحميك من هذه الزنابير فقال ارى لك حالا مع الله فلو سالته ان يحميك من شهوة
الرمان فان لدغ شهوة الرمان يجد الانسان المه في الدنيا فان قيل التنعم بالمباح مباح فكيف
يكون سببا للبعد من الله فيقال هذا خيال ضعيف اذ المباح الخارج عن الحاجة من الدنيا وحب الدنيا

المه في الاخرة ولدغ
الزنابير يجد الانسان
صح

راس كل خطيئة كما ورد وموته حديث الشبع في الدنيا اجوعكم في العقبى وللطبراني في الكبير
وابي نعيم في الحلية من حديث ابن عباس ان اهل الجوع في الدنيا هم اهل الشبع في الآخرة وللديلمي
من حديث ابي هريرة مرفوعا نور الحكمة الجوع والتباعد من الله عز وجل الشبع ولاحمد والحاكم والبيهقي
باسناد جيد انه عليه السلام نظر الى رجل سمين البطن فاوما الى بطنه باصبعه وقال لو كان هذا
في غير هذا المكان لكان خيرا لك وللبيهقي في الشعب من حديث عايشة رضي الله عنها انه عليه السلام
قال لها اياك والاسراف فان اكلتين في يوم من السرف ولابي الشيخ عن ابن عمر مرفوعا ايما امرئ
اشتهى شهوة فرد شهوته واثرها على نفسه غفر الله له ثم اعلم ان الدنيا حلالها حساب وحرامها
عقاب ومشتبهها عتاب وورد من نوقش في الحساب عذب كما في الصحيحين فعند الصباح
يحمد القوم السرى فترك الشهوة يثقل على المريد في البداية ثم يتنعم في النهاية ونظيره الطفل في الفطام
عند الرعاية وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن علامة المومن والمنافق فقال ان المومن همته في الصلاة
والصيام والعبادة والمنافق همته في الطعام والشراب كالبهيمة وقال حاتم الاصم المومن مشغول
بالفكر والعبر والمنافق مشغول بالحرص والامل والمومن ايس من كل احد الا من الله والمنافق راج كل احد
الا الله والمومن آمن من كل احد الا من الله والمنافق خائف من كل احد الا من الله والمومن يقدم
ماله دون دينه والمنافق يقدم دينه دون ماله والمومن يحسن ويبكي والمنافق يسيء ويضحك والمومن
يحب الخلوة والوحدة والمنافق يحب الخلطة والجلوة والمومن يزرع ويخشى الفساد والمنافق يقلع
ويرجو الحصاد والمومن يامر وينهى للسياسة والمنافق يامر وينهى للرياسة واول ما يمتحن به حسن
الخلق الصبر على الاذى واحتمال البلوى ومن شكا من سوء خلق غيره فذلك على سوء خلقه اذ حسن
الخلق احتمال اذى الخلق وقال عيسى عليه السلام جوعوا بطونكم لعل قلوبكم ترى ربكم وقال سهل ما صار
الابدال ابدالا الا باربع خصال اخماص البطون والسهر والصمت والاعتزال عن الناس وقد قيل في
صفة الابدال ان اكلهم فاقة ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة الباب السادس عشر
في التوبة والمرابطة والتقوى وقد ورد التوبة ندم رواه ابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه من حديث ابن
مسعود وقال تعالى يا ايها الذين امنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ومعنى التوبة ندم
اي معظم اركان التوبة الندامة كما ورد الحج عرفة والا فمن اركانها ترك المعصية مباشرة والعزم على
ان لا يعود اليها ابدا والتدارك لما امكنه من حقوق الله وحقوق العباد بسم الله الرحمن الرحيم
المستعان به في امر الدنيا والاخرى التوبة في اللغة الرجعة وفي الشرع الرجوع من المعصية الى الطاعة ومن
الغفلة الى الحضور وقال بعضهم هي تنزيه القلب عن الذنب اي عن اجتنابه فقيل الرجوع من البعد
اي من كل ما يبعد العبد من المولى الى القرب اي الى قرب الرب في الدنيا والاخرى فيختص بتحصيل كل فضيلة
جليلة تقربه الى الله وبالرجوع عن كل خصلة رذيلة تبعده عن الله في دنياه واخراه فتعم الذنوب الظاهرة
والعيوب الباطنة والاخلاق الذميمة والغفلة عن الاذكار الكريمة وقيل في حد التوبة ذوبان الحشا

لما سبق من الخطا وقيل هي نار في القلب تلتهب وصدع في الكبد لا ينشعب وقيل هو خلع لباس
الجفا ونشر بساط الوفا وقال سهل التستري التوبة تبديل الحركات المذمومة بالحركات المحمودة
وكانه اخذه من قوله تعالى الا من تاب وامن وعمل صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات على
ما ذهب اليه بعض المفسرين ومن معانيها ترك المعاصي في الحال والعزم على تركها في الاستقبال
وتدارك ما سبق من التقصير في ماضي الاحوال وهي اي التوبة واجبة اي فريضة لازمة لكل المكلفين
لورود قوله تعالى توبوا الى الله جميعا ايها المومنون لعلكم تفلحون وفي نسخة توبة نصوحا اي خالصة
لله من دون رياء وسمعة واغراض فاسدة والامر يقتضي الوجوب بناء على اصله ودلالة الاجماع
المنعقد من الامة على ان التوبة من المعصية فريضة والعقل اي ودلالة العقل فالواجب من طريق
العقل مع قطع النظر عن ورود النقل كالمتعلق بفعله السعادة العظمى وبتركه الشقاوة الكبرى
اذ بها الوصول الى سعادة الابد من قرب المولى والنجاة من الوصول الى المرصد الذي هو الحجاب عن
اللقاء في العقبى وهو اي التعلق بهما متحقق فيها اي ثابت في التوبة بلا خلاف عند العقل وجدوا ما
اي فائدة التوبة ومنفعتها وثمرتها ونتيجتها اربعة اشياء محبة تعالى اياه مورد في التنزيل ان الله
يحب التوابين وفي الحديث التائب حبيب الله رواه ابن ابي الدنيا وابو الشيخ من حديث انس بلفظ
ان الله يحب الشاب التائب ولعبد الله بن احمد في زوائد المسند من حديث علي ان الله يحب العبد
المومن المفتن التواب ولاحمد والطبراني من حديث عقبة بن عامر يعجب ربك من الشاب ليست
له صبوة وللشيخين من حديث ابن مسعود وانس لله افرح بتوبة عبده المومن من رجل نزل في ارض
دوية مهلكة فقد راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع راسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت
راحلته فطلبها حتى اذا اشتد عليه الحر والعطش او ما شاء الله قال ارجع الى مكاني الذي كنت فيه فانام
حتى اموت فوضع راسه على ساعده ليموت فاستيقظ فاذا راحلته عنده عليها زاده وشرابه فالله
اشد فرحا بتوبة العبد من هذا براحلته زاد مسلم في حديث انس ثم قال من شدة الفرح اللهم انت
عبدي وانا ربك اخطا من شدة الفرح هذا وايضا من علامة حب العبد لله ان يتوب عما يشغله عن
مولاه ويطيعه فيما يامره وينهاه كما قيل تعصي الاله وانت تظهر حبه ، هذا لعمري في القياس بديع
، لو كان حبك صادقا لاطعته ، ان المحب لمن يحب مطيع
ويشير اليه قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويفيد ايضا الملازمة بين المحبين كما
يومي اليه قوله سبحانه يحبهم ويحبونه ولولا محبته السابقة لما وجدت محبتنا اللاحقة والتوفيق اي جعله
تعالى اسبابا موافقة لاعانته على الطاعة في كل وقت وساعة تبعيد الذنوب التي بمنزلة القيود والاغلال
من العيوب يمنع عنها اي عن الطاعة وتوفيقها والا فان الاصرار اي الاقامة على المعاصي من غير
تخلل التوبة بالرجوع الى الرب يقسي القلب اي يسوده ويشدده ويجر الى الشقاوة الكبرى فان المعصية
بريد الكفر وقد قال تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن

يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون وان المتلطخ بالنجاسة اي المتلوث بنجاسة المعصية لا يقرب الى بساط الرب بل يبعد ويحجب فورد اذا كذب العبد وهو من اهون اسباب البعد تنحى الملكان اي تبعد اللذان معه من الكرام الكاتبين من عنده ميلا لنتن الكذب وجمال طهارتهما عن نتن ما يخرج منه فيه اي من فمه وهو الكذب والحديث رواه الترمذي وحسنه وابو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر ولفظه اذا كذب العبد كذبة تباعد عنه الملك ميلا من نتن ما جاء به وحلاوة اي لذة الطاعة التي لو لم يكن للمطيع جزاء العمل الا ما يجده من حلاوة الطاعة وروح الانس بمناجاة ربه لكان ذلك كافيا فكيف بما ينضاف اليه من نعيم الاخرة كما يشير اليه قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون الاية وفي الخبر القدسي اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر نعم هذه اللذة لا تكون في ابتداء التوبة بل التوبة في اوائلها مرة كالفطام للصبي ثم تتغير حلاوة بعدما صبر على مرارة ترك العادة مدة مديدة ومجاهدة شديدة والنفس مائلة الى عودها تتعود فالم لا يجد لها اي تلك اللذة اذ من لم يذق لم يعرف ان ترك اللذة الفانية هي اللذة الباقية وقبولها اي قبول الطاعة قال تعالى انما يتقبل الله من المتقين قرب الدين لا يتقبل هدية المديون الممطل اي الممتنع من اداء الدين فمن الفضول تضييع الاصول وان الغضب المترتب على معصية ما بالعقاب الصادر عن تجلي صفة الجلال ينافي القبول اي قبول ما عدا المترتب عليه بالثواب الوارد عن تجلي نعت الجمال وهي اي التوبة واجبة على الكل من الانبياء والاولياء فلا تظن ان التوبة اختصت بآدم عليه السلام حيث قال وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى بل هو حكم ازلي مكتوب على جنس البشر لا يمكن فرض خلو منه فلم تبدل السنة الالهية التي لا مطمع في تبديلها فالرجوع حق كل انسان يكون نبيا كان او غبيا وليا او غويا فلا تحسبن هذا اهل الغدر وحدهم سجية لنفس كل غانية هند ويشير اليه حديث كلكم خطاؤن وخير الخطائين التوابون كما رواه احمد وغيره عن انس في كل حال اي على الدوام لعموم الادلة الواردة في التوبة كقوله تعالى وتوبوا الى الله جميعا وذلك لان كل بشر لا يخلو عن معصية بجوارحه اذ لم يخلو عنه الانبياء الاخيار كما ورد في القران والاخبار من خطاياهم وتوبتهم وبكائهم فان خلا احد في بعض الاحوال عن معصية الجوارح فلا يخلو عن الهم بالذنوب في القلب فان خلا عن الهم فلا يخلو عن وسواس الشيطان بايراد الخواطر المتفرقة المذهلة عن ذكر الله فان خلا عنه فلا يخلو عن غفلة وقصور في العلم بالله وبصفاته وافعاله وكل ذلك نقص وله اسباب وترك اسبابه بالتشاغل باضدادها رجوع عن الطريق الى ضده وانما يتفاوتون في مقادير النقصان لا في اصله وعلى الفور واجبة من غير تراخ ومهلة لوجوب الاتقاء اي الامتناع عن المعاصي كذلك اي على الفور من غير التراخي وحرمة التسويف اي مكرمة تأخير التوبة فورد في التنزيل وليست التوبة الاية اي للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن اكثر صياح اهل النار من التسويف

التسويف كذا في الاحياء وقال مخرجه لم اجد له اصلا وقال لقمان لابنه يا بني لا تؤخر التوبة فان الموت يأتي بغتة فكل ايمان لم يثبت في اليقين اصله ولم تنتشر في الاعمال فرعه لم يثبت على عواصف الاهوال عند ظهور ناصية ملك الموت وما يتراءى من الاهوال وخيف عليه سوء الخاتمة الا ما يسقى بالطاعات على توالي الايام والساعات وما مثل العاصي للمطيع الا مؤمن كما انكم مؤمن فهو كقول شجر القرع لشجر الصنوبر اني شجرة وانت شجرة وما احسن جواب الصنوبر ستعرف من اغتر بشمول الاسم اذا عصفت رياح الخريف فعند ذلك ينقطع اصولك وتتناثر اوراقك وينكشف غرورك بالمشاركة في اسم الشجر مع الغفلة عن اسباب ثبات الاشجار وسوف ترى اذا انجلى الغبار افرس تحتك ام حمار وهذا امر يظهر عند الخاتمة نسأل الله العافية ولقد صدق ابو سليمان الداراني في قوله لو لم يبك العاقل فيما بقي من عمره الا على فوت ما مضى منه في غير طاعة الله لكان خليقا ان يحزنه ذلك الى الممات فكيف من يستقبل ما بقي من عمره بمثل ما مضى من جهله فيما سبق من الحياة وقال بعض العارفين ان ملك الموت اذا ظهر للعبد اعلمه انه قد بقي من عمرك ساعة وانك لا تستأخر عنها طرفة عين فيبدو للعبد من الحزن والاسف ما لو كانت له الدنيا بحذافيرها لخرج منها على ان يضم الى تلك الساعة ساعة اخرى ليستعتب فيها ويتدارك تفريطه فلا يجد اليه سبيلا وهو اول ما يظهر من معاني قوله تعالى وحيل بينهم وبين ما يشتهون واليه الاشارة بقوله سبحانه وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتي احدكم الموت فيقول رب لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها اي ولن نفسا هذا وما مثال المسوف الا مثال من احتاج الى قلع شجرة فرآها قوية لا تنقلع الا بمشقة شديدة فقال اؤخرها سنة ثم اعود اليها وهو يعلم ان الشجرة كلما بقيت ازداد رسوخها وهو كلما طال عمره ازداد ضعفه فلا حماقة في الدنيا اعظم من حماقته اذ عجز مع قوته عن مقاومة ضعيف فاخذ ينتظر الغلبة عليه اذا ضعف هو في نفسه وقوي الضعيف وهي اي التوبة اذا استجمعت شرائطها مقبولة لا محالة فورد في التنزيل وهو الذي يقبل التوبة الاية اي عن عباده فوعده حق وقوله صدق لا يجوز خلفه ولا يتصور تبديله قابل التوب ممحوة صفاته كقوله تعالى غافر الذنب ان الله يبسط يده بالتوبة حتى تطلع الشمس من مغربها وفي الاحياء ان الله عز وجل يبسط يده بالتوبة لمسيء الليل الى النهار ولمسيء النهار الى الليل حتى تطلع الشمس من مغربها قال مخرجه رواه مسلم من حديث ابي موسى بلفظ يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار الحديث وفي رواية الطبراني لمسيء الليل ان يتوب بالنهار وبسط اليد كناية عن طلب التوبة والمبالغة في قبولها اذ الطالب ابلغ من القابل فرب قابل ليس بطالب وكل طالب قابل وهو في بلاغه ولابن ماجه من حديث ابي هريرة لو اخطأتم حتى تبلغ خطاياكم السماء ثم تبتم لتاب الله عليكم اي قبل توبتكم او رجع عليكم بالرحمة والمغفرة ولابن المبارك في الزهد عن الحسن مرسلا ان العبد ليذنب الذنب فيدخل به الجنة فقيل كيف ذلك يا رسول الله قال يكون نصب عينيه تائبا منه فارا حتى يدخل الجنة ولابي نعيم في الحلية من حديث ابي هريرة ان العبد ليذنب الذنب فاذا ذكره احزنه فاذا نظر الله اليه انه احزنه غفر له

الحديث ولاحمد وابي يعلى والحاكم وصححه من حديث ابي سعيد ان الشيطان قال وعزتك وجلالك
يا رب لا ازال اغوي عبادك ما دامت ارواحهم في اجسادهم فقال وعزتي وجلالي لا ازال اغفر
لهم ما استغفروني وقال سعيد بن المسيب نزل قوله تعالى انه كان للاوابين غفورا في الرجل يذنب
ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب وقال طلق بن حبيب ان حقوق الله اعظم من ان يقوم بها العبد ولكن
اصبحوا تائبين وامسوا تائبين ويروى ان نبيا من انبياء بني اسرائيل اذنب ذنبا فاوحى الله
اليه وعزتي وجلالي لئن عدت لاعذبنك فقال يا رب انت انت وانا انا وعزتك لئن لم تعصمني
لاعودن فعصمه الله وقال بعضهم ان العبد ليذنب الذنب فلا يزال نادما تائبا حتى يدخل الجنة فيقول
ابليس يا ليتني لم اوقعه في الذنب يعني لا اهلكه بالعجب ويروى انه كان في بني اسرائيل شاب
عبد الله عشرين سنة ثم نظر في المراة فراى الشيب في لحيته فساءه ذلك ثم قال الهي اطعتك عشرين
سنة ثم عصيتك عشرين سنة فان رجعت اليك اتقبلني فسمع قائلا يقول ولا يرى الشخص احببتنا
فاحببناك وتركتنا فتركناك وعصيتنا فامهلناك فان رجعت الينا قبلناك ومن قال تعالى وان عدتم
عدنا وورد ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة ورابعها اي فرع العقل ايضا دال على
ان التوبة مقبولة لا محالة فانها تزيل ظلمة الذنب وبخارها عند سطوع نور التوبة واثارها كازالة
الدنس اي كزوال الوسخ والدرن من الثوب والبدن بالصابون ونحوه من الاشنان والصدا
اي وكزوال صدا الحديد من المراة ونحوها بالصقيل وتوضيحه ان نار الندم تحرق غرة الذنب ونور
الحسنة يمحو عن وجه القلب ظلمة السيئة وانه لا طاقة لظلام السيئات مع نور الحسنات كما لا طاقة
لظلام الليل مع نور النهار وكما لا طاقة لكدورة الوسخ مع بياض الصابون فكما ان الثوب
الوسخ لا يقبله الملك لان يكون لباسه فالقلب المظلم لا يقبله الله لان يكون في جواره وكما ان
استعمال الثوب في الاعمال الخسيسة يوسخ الثوب وغسله بالصابون والماء الحار ينظفه لا محالة
فاستعمال القلب في الشهوات يوسخ القلب وغسله بماء الدموع وحرقة الندم ينظفه ويطهره فكل
قلب زكي طاهر فهو مقبول كما ان كل ثوب نظيف فهو مقبول والقبول له بحسب قضاء السابق الازلي
مبذول ولا محالة فمن توهم ان التوبة تصح ولا تقبل فهو كمن يتوهم ان الشمس تطلع والظلام لا يقلع
وان الثوب يغسل والوسخ لا يزول نعم اذا غاص الوسخ لطول تراكمه في تجاويف الثوب وخلله فلا
يقوى الصابون على قلعه اصلا ومثاله ان تتراكم الذنوب حتى تصير طبعا ورينا على القلب فمثل هذا
القلب لا يتوب ولا يرجع الى الرب وربما يقول باللسان قد تبت من العصيان فيكون ذلك كقول
القصار قد غسلت الثوب بهذا وهو لا يزداد وان للقلوب صدا كصدا الحديد وجلاؤها الاستغفار
رواه الحكيم الترمذي وابن عدي عن انس ثم لما كان المحل انشاء سوال وهو ان يقال ينبغي ان يجوز
الشك في القبول لان هذا خلاف اخبار الله والرسول اجاب بقوله وانما يشك التائب في قبول توبته وحصول
اوبته لشكه في تحقق الشروط المعتبرة في باب التوبة من الاركان اللازمة في حصول الاوبة كما سياتي

سياتي بيانها في محلها التي هي بها ومحلها الندم والقلع والعزم والتدارك بالجزم فهي اي الشروط
والاركان دقيقة ادراكها فلا يجزم بكونها حقيقة تشكك اي مثل شك شارب المسهل في حصول
شروط الاسهال في الدواء باعتبار الوقت والحال وكيفية خلط الدواء وطبخه وجودة عقاقيره وادويته
ولا يشك في تاثيره وخاصيته بحصول النظافة اذ شروطه الماء والصابون والدلك جلية وليست
في نظرها خفية ثم اعلم ان التوبة ترك الذنوب ولا يمكن ترك الشيء الا بعد معرفته واذا كانت
التوبة واجبة كان ما لا يتوصل اليها الا به واجبا فمعرفة الذنوب اذا واجب ولذا قال المص والذنب
ما يخالف امره تعالى من فعل الطاعات وترك السيئات وينقسم على صفة تعالى وهو اقرب الى العفو كترك
الصلاة والصوم ونحوهما وحق العباد اي وعلى صفة كترك الزكاة وقتل النفس واشباههما وهو اي حق العبد
اغلظ اي اشد وعن العفو ابعد فورد في الحديث انه اي حق العبد لا يترك اي لا يعفى الا ان العبد
يرضى ولذا قيل حق الكافر اشد من حق المسلم واقوى وحق الحيوان اشد من الكافر كما لا يخفى ولاحمد
والحاكم وصححه من حديث عائشة الدواوين ثلاثة ديوان لا يغفر وديوان لا يعبا وديوان لا يترك
فالديوان الذي يغفر ذنوب العباد بينهم وبين الله تعالى واما الديوان الذي لا يغفر فالشرك
واما الديوان الذي لا يترك فمظالم العباد اي لا بد ان يطالب بها حتى يتخلص عنها ورابعها ينقسم
الى معصية كبيرة وصغيرة كما جاء في القران ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وورد في
البعض من المعاصي انه اي ذلك البعض من الكبائر ففي البخاري من حديث عبد الله بن عمر مرفوعا الكبائر
الاشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس وفي الصحيحين من حديث ابي هريرة
اجتنبوا السبع الموبقات قالوا يا رسول الله وما هي قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا
بالحق واكل الربا واكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات ولهما
من حديث ابي بكرة الا انبئكم باكبر الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين وشهادة الزور
او قول الزور ولهما من حديث ابن مسعود سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الذنب اعظم
قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم اي قال ان تقتل ولدك مخافة ان يطعم معك قلت ثم اي
قال ان تزاني حليلة جارك وللطبراني من حديث سلمة بن قيس انما هي اربع لا تشركوا بالله شيئا
ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تزنوا ولا تسرقوا وفي الاوسط للطبراني من حديث
ابن عباس الخمر ام الفواحش واكبر الكبائر وللبزار من حديث ابن عباس باسناد حسن ان رجلا
قال يا رسول الله ما الكبائر قال الاشراك بالله والياس من روح الله والقنوط من رحمة الله وللحاكم
من حديث عبيد بن عمير عن ابيه الكبائر تسع فذكر منها استحلال البيت الحرام وللطبراني من حديث
واثلة ان من اكبر الكبائر ان يقول الرجل علي ما لم اقل وله ايضا من حديثه ان من اكبر الكبائر ان
ينتفي الرجل من ولده ولمسلم من حديث جابر بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة ولمسلم من
حديث عبد الله بن عمرو من الكبائر شتم الرجل والديه ولابي داود من حديث سعيد بن زيد ان من

ادى الربا الاستطالة في عرض المسلم بغير حق وفي الصحيحين من حديث ابن عباس انه عليه السلام
مر على قبرين فقال انهما ليعذبان وما يعذبان في كبير وانه لكبير اما احدهما فكان يمشي بالنميمة واما
الآخر فكان لا يستتره من بوله الحديث ولاحمد في هذه القصة من حديث ابي بكرة اما احدهما
فكان يأكل لحوم الناس الحديث ولابي داود والترمذي من حديث انس عرضت علي ذنوب امتي فلم
ار ذنبا اعظم من سورة من القرآن او آية اوتيها رجل ثم نسيها وللديلمي من الكبائر النسيان
بالسنة وقد اختلف الصحابة والتابعون في عدد الكبائر من اربع الى سبع الى تسع الى احدى عشرة فما
فوق ذلك قال ابن مسعود هي اربع وقال ابن عمر هي سبع وقال ابن عمرو هي تسع وكان ابن عباس
اذا بلغه قول ابن عمر الكبائر سبع يقول هي الى السبعين اقرب منها الى سبع واختلف منها على اقوال
في حصرها اي الكبائر على ما نهي اي على ذنب ورد عنه نهي نهيا مخصوصا فالتخصيص بالذكر في القرآن
للتعظيم اي لتعظيم العصيان وقد قال ابن عباس كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة ويشير اليه قوله تعالى
ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه اذا كانت الاضافة بيانية وما اي وعلى ذنب اوعد اي ورد
الوعيد عليه بالنار لعظم العقوبة فقد قال جماعة من الصحابة كل ما توعد عليه الله بالنار فهو من
الكبائر وما اي وعلى ذنب وجب عليه حد من رجم وجلد وقتل وقطع فالتعجيل لعقوبة المذنب للتغليظ
في حق ذنبه فقد قال بعض السلف كل ما اوجب الحد في الدنيا فهو كبيرة وما اي وعلى ذنب التصغير اي استحقر
وعد صغيرا او حقيرا لان الصغيرة ما استعظم اي عد عظيما وكبيرا فلا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة
مع الاستغفار رواه الديلمي عن ابن عباس مرفوعا وعن انس موقوفا وعن ابي سعيد الخدري وغيره
من الصحابة رضي الله عنهم انكم لتعملون اعمالا هي ادق في اعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم من الكبائر رواه احمد والبزار بسند صحيح وقال ابن مسعود لما سئل عن الكبائر فقال
اقرأوا اول سورة النساء الى راس ثلاث وثلاثين آية منها عند قوله ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر
عنكم سيئاتكم فكل ما نهى الله عنه في هذه السورة الى هنا كبيرة وقال لا تكون الصغيرة بل كل مخالفة
لله فهي كبيرة وضعف هذا القول بقوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه وقوله الذين يجتنبون كبائر
الاثم والفواحش الا اللمم اي الصغائر وفي الحديث ان تغفر اللهم فاغفر جما واي عبد لك لا الما وقيل
لا يصح الا في الكبيرة مبهمة اذ ربما قصد الشارع بابهامها كون العباد على وجل منها كليلة
القدر وساعة الجمعة وكذا الصلاة الوسطى ليعظم جد الناس في طلبها وعدم الاكتفاء بها عن
غيرها لا بكفاية والدليل على كون الكبيرة مبهمة ان المراد بها ما اي ذنب لا يكفره الصلوات
الخمس اي ونحوها من المكفرات للسيئات فورد في الحديث الصلوات الخمس تكفر ما بينهن اي من الصغا بر
ولم يبق عليه شيء من الذنوب حينئذ ان اجتنبت الكبائر وليس المعنى ان اجتناب الكبائر شرط لكون
الصلاة ونحوها تكفر الصغائر بل ان كان عنده الصغائر والكبائر تكفر الصغائر وان تخفف
الكبائر وان كان محفوظا من الكبائر والصغائر فيكون سببا لرفع الدرجات العالية والزلفات

والزلفات العالية او ان الكبائر تستكشف من الزواجر او ما فيه من الروايات قال في رواية مسلم والحاكم
من حديث ابي هريرة وصحح الصلاة الى الصلاة كفارة ورمضان الى رمضان كفارة الا من ثلاث
اشراك بالله وترك السنة ونكث الصفقة قيل وما ترك السنة قال الخروج من الجماعة ونكث الصفقة
ان يبايع رجلا ثم يخرج عليه بالسيف يقاتله وهو اي حكم الكبيرة او التكفير وهو ان ظهر يتعلق بالاخرة
فالكلام اولى تحذيرا عن الكل اي كل المعاصي لئلا يتبع احد في مخالفة المولى لاحتمال ان يكون
كل ذنب اقدم عليه بارتكابه كبيرة فيتخلص من الكبائر والصغائر جميعها وهو مطلوب الرب من العبد
ان لا يقع في مطلق الذنب فيحصل له كمال القرب وتوضيحه ان كل ما لا يتعلق به حكم في الدنيا فيجوز
ان يتطرق اليه الابهام ولا تكليف فيها اي لا تكليف بما لا يطاق في معرفة الكبائر للاجتناب
عينها فان دار التكليف هي دار الدنيا والكبيرة على الخصوص لا حكم لها في الدنيا من حيث انها كبيرة
بل انما تتعلق في حكم العقبى موجبات الحدود معلومة باسمائها كالسرقة والزنا والقتل وغيرها
وفي الاحيا وكذلك اجتناب الكبائر يكفر الصغائر بموجب قوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه
نكفر عنكم سيئاتكم ولكن اجتناب الكبيرة انما يكفر الصغيرة اذا اجتنبها مع القدرة والارادة كمن
يتمكن من امراة ومن مواقعتها فيكف نفسه عن الوقاع بحيث يقتصر على نظر ولمس فيها فان مجاهدة ة
نفسه في الكف عن الوقاع اشد تأثيرا في تنوير قلبه من اقدامه على النظر من اظلامه فهذا معنى
تكفيره فان كان عنينا او لم يكن امتناعه الا بالضرورة للعجز او كان قادرا ولكن امتنع لخوف
امر اخر فهذا لا يصلح للتكفير اصلا فكل من لا يشتهي الخمر بطبعه ولو ابيح له لما شربها فاجتنابه
لا يكفر عنه الصغائر التي هي من مقدماته كسماع الملاهي والاوتار نعم من يشتهي الخمر وسماع
الاوتار فيمسك نفسه عن الخمر ويطلقها في السماع فمجاهدة النفس بالكف ربما يمحو عن قلبه الظلمة التي
ارتفعت اليه من معصية السماع ورد الشهادة هي الحكومة لا تختص بها اي بالكبيرة بل ورد بالصغيرة ة
فان اكل في الطريق من السوق ونحوه يوجب اي رد الشهادة مع كونه مباحا وفي الاحياء خلاف
في ان من يسمع الملاهي ويلبس الديباج ويتختم بخاتم الذهب ويشرب من اواني الذهب والفضة
لا تقبل شهادته ولم يذهب احد الى ان هذه الامور من الكبائر فكل الذنوب تقدح في العدالة
الا ما لا يخلو الانسان عنه غالبا لضرورة مجاري العادات كالغيبة والتجسس وسوء الظن والكذب
في بعض الاحوال وسماع الغيبة وترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واكل الشبهات وسب الولد والغلام م
وضربهما بحكم الغضب زائدا على حكم المصلحة واكرام السلاطين الظلمة ومصادقة الفجرة والتكاسل
عن تعليم الاهل والولد جميع ما يحتاجون اليه من امر الدين فهذه ذنوب لا ينفك الشاهد عن قليلها
او كثيرها الا بان يعتزل الناس وينجرد لامر الاخرة ويجاهد نفسه مدة بحيث يبقى على سمته مع المخالطة
بعد ذلك ولو لم يقبل الا قول مثله لعز وجوده وبطلت الاحكام والشهادات وليس لبس الحرير ونحوه من
قبيل هذه المذكورات وقيل لا يصح ابهامها اي الكبيرة اصلا فانما ان الزنا كبيرة بالنسبة الى المعانقة مع التجريد

من الشباب في اي منين والمعانقة كبيرة بالنسبة الى اللمس واللمس كبيرة بالنسبة الى النظر بالشهوة والنظر
صغيرة بالنسبة الى الضم والعزيمة وقطع يد المسلم كبيرة بالاضافة الى ضربه وصغيرة بالاضافة الى قتله
والمطلق اي الفرد الذي اذا اطلق الكبيرة هو الكفر اذ لا كبيرة فوقه وقد قال تعالى ان الشرك لظلم عظيم
ولهذا لا يغفر بالاجماع او الذنب المطلق هو الكفر وباقي الذنوب مقيد بالاضافة ولما كان هذا
القول يفيد انه لا كبيرة الا الكفر وهو مفرد وقد جاء في القران بلفظ الجمع قال في دفع هذا الاشكال
والجمع مبتدا اي ووقوع لفظ الكبيرة جمعا فيما ورد في التنزيل ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه وقد قرئ
كبير ما تنهون عنه فيكون المراد به الكفر اذا اريد به الجنس والذين يجتنبون كبائر الاثم لتنوعه خبر المبتدا
اي هو لتنوع افراد الكفر انواعا كعبادة الصنم والشمس والقمر وكفر اليهود والنصارى والمجوس وامثالها
او لتعداد المخاطب فوقع مقابلة الجمع او لان كفر زيد غير كفر عمرو والمغفرة للصغيرة والكبيرة ولكن العفو
منه غير التوبة تتعلق بالمشية الا غيرا اي الا غيرها من اشيا المغفرة فورد في التنزيل ويغفر ما دون ذلك
اي غير الشرك والكفر بجميع انواعه لمن يشاء اي لمن تعلقت مشية الله بمغفرته ولو كان مطرف بن عبد
الله يقول اللهم ارض عنا فان لم ترض عنا فاعف عنا فان المولى قد يعفو عن عبده وهو غير راض
عن فعله واى حاصل ان الرضا يتعلق بالطاعة والعفو والمغفرة بالمعصية ثم هو اي الذنب ولو صغيرة
يعظم في الكيفية حتى يصير كبيرة بسبب اربعة اشيا بالاصرار وهو الاستمرار على الذنب والاستواء لانه اي
الاصرار سبب تراكم الظلم اي ظلمات الاثام في قلوب الانام وورد لا صغيرة مع الاصرار تمامه ولا
كبيرة مع الاستغفار وقد تقدم ان كبيرة واحدة تنصرم ولا يتبعها مثلها لو تصور وجودهم لكان العفو عنها
ارجى من صغيرة يواظب العبد عليها الا ان الكبيرة نادرا ما يتصور الهجوم عليها بغتة من غير سوابق ولواحق من
جملة الصغاير فقلما يزني الزاني بغتة من غير مراودة ومطالبة ومطالعة وقلما يقتل القاتل بغتة من
غير مشاحنة سابقة ومعاداة سالفة فكل كبيرة تتبعها صغاير سابقة ولاحقة والمباهاة اي
والمباهاة والمفاخرة والاستحقار بعدم المبالاة فهما لغتان ونشرهما مرتبا بسبب الالف
اي تالف الذنب والانفة شايق الى اثر في القلب والقلب هو المطلوب تنويره بالطاعات والمحذور
تسويده بالسيئات فكلما غلبت حلاوة الصغيرة عند العبد كبرت الصغيرة عند الرب وعظم اثرها
في تسويد القلب وورد المنافق يرى ذنبه كذباب مر على انفه فاطاره اي عن نفسه وتمامه والمؤمن
يرى ذنبه كالجبل فوقه يخاف ان يقع عليه رواه البخاري من رواية الحارث ابن سويد عن ابن مسعود
مرفوعا وموقوفا ولا يخفى ان هذا الحديث يصلح ان يكون شاهدا لعدم المبالاة الا لوجود ابيا ماه
فكان حقه ان يؤخر عن قوله ونسيان حلمه هو بالجر عطف على التالف اي وبسبب نسيان حلمه
وكرمه تعالى وستره وعدم كشف حاله فهو اي ذكر النسيان سبب الامن عن المكر الالهي من
استدراج العبد بالنعمة واخذه بالبغتة للنقمة وورد في التنزيل انما نملي لهم اي نمهلهم ليزدادوا دوا
اثما اي اثاما وقال بعضهم الذنب الذي لا يغفر قول العبد ليت كل شي عملته مثل هذا فانما يعظم الذنب

في القلب لعلمه بعظمة الرب فاذا نظر الى جلال من عصى راى الصغيرة كبيرة وقد اوحى الله تعالى
الى بعض الانبيا لا تنظر الى قلة الهدية وانظر الى عظم مهديها ولا تنظر الى صغر الخطيئة وانظر الى
كبريا من واجهته بها ومن هذا قال عباس وقال بعض العارفين لا ترى الا صغيرة بل كل مخالفة فهي
كبيرة وهذا السبب يعظم من العالم لانه يعظم من اي الجاهل ويتجاوز عن العامي في امور لا يتجاوز في
امثالها عن العارف لان المخالفة تكبر بمعرفة قدر المخالف كما يشير اليه قوله سبحانه يا نسا النبي من
يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا ومن يقنت منكن
لله ورسوله وتعمل صالحا نوتها اجرها مرتين واعتدنا لها رزقا كريما فوزر الكل مضاعف كما ان اجر من
ومنه هاهنا قال تعالى خطابا لعلما اهل الكتاب يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وامنوا برسوله يوتكم كفلين
من رحمته وقال الذين اوتوا الكتاب من قبله هم به يومنون واذا يتلى عليهم الى ان قال اولئك يوتون
اجرهم مرتين بما صبروا الا نية والاظهار اي وبالاظهار العاصي للمعصية وهو اي الاظهار يودي
اي ذنوب اخر كهتك الستر لنفسه والله سبحانه هو الستار وتحريك رغبة الغير اي مثل فعله فيكون عليه
ذنب السبب في عمله فهو حديث مسلم من حديث جرير بن عبد الله من سن سنة سيئة فعليه وزرها
ووزر من عمل بها الحديث وورد كل الناس معافون لضم الميم وفتح الفا اي يقربون الى العفو الا المجاهرين ط
بالذنب فانه يعيد عن العفو وتمامه يبيت احدهم على ذنب قد ستره الله عليه فيصبح ويكشف ستر الله
فيحدث بذنبه والحديث في الصحيحين من حديث ابي هريرة بلفظ كل امتي وقال بعضهم لا تذنب فان كان
ولا بد فلا ترغب فيه غيرك فتذنب ذنبين ولذا قال تعالى والمنافقون والمنافقات بعضهم من بعض
يامرون بالمنكر وينهون عن المعروف وقال بعض السلف ما انتهك المرء من اخيه حرمة اعظم من ان يعينه ٥
على معصية ثم يهونها عليه فسبحان من يظهر الجميل ويستر القبيح وقال تعالى ونكتب ما قدموا واثارهم
والاثار ما يكتب بعد انقضا العمر والعاملين فاذا كان المذنب المظهر عالما يقتدى به وهو يلبس الحرير
ويركب مراكب الذهب وياخذ مال الحرام ويبسط على الظلمة بين الانام طمعا في المناصب العظام كثر
له الاثام فطوبى لمن اذا مات ماتت ذنوبه معه ولم تتجاوز عنه وعن ابن عباس ويل للعالم من الاتباع ع
يزل زلة فيرجع عنها ويحملها الناس فيذهبون بها في الافاق وقال بعضهم مثل زلة العالم
مثل انكسار السفينة تغرق وتغرق اهلها وفي الاسرائيليات ان عالما كان يضل الناس بالبدعة
ثم ادركته التوبة فعمل في الاصلاح دهرا فاوحى الله الى نبيهم ان قل له ان ذنبك لو كان فيما بيني وبينك
لغفرته لك ولكن كيف بمن اضللت من عبادي فادخلتهم النار وحقيقتها اي وحقيقة التوبة على ما حب المعصية
ان يتندم اي يظهر الندامة في القلب فورد في الحديث الندم توبة وهو توجع القلب لمخالفة الرب
توبة اي معظم اركانها هو الندامة على فعل المعصية من حيث انها معصية ويكون خالصة لله من الريا والسمعة
ويتبعها قلع المعصية في الحال والعزم على تركها في الاستقبال وفي الاسرائيليات ان الله سبحانه قال
لبعض انبيائه وقد ساله النبي قبول توبة عبد بعد ان اجتهد سنين في العبادة ولم ير اثر قبول توبته

في مقام السعادة فان وعزتي لو شفع فيه اهل السموات والارض ما قبلت توبته وحلاوة ذلك الذنب الذي
تاب منه في قلبه فلابد في التوبة من مرارة المعصية بدلا عن حلاوتها فليلتذ بترك اللذة ويشير اليه قوله
عليه السلام ذاق طعم الايمان من رضي بالله ربا الحديث وينبغي ان يجد مثل هذه المرارة في جميع الذنوب ب
وان لم يرتكبها بعد فيكون مرارة المعصية وحلاوة الطاعة بالطبع الموافق للشرع فتكون المعصية عنده
كالسم والطاعة كالعسل بهذا او في حديث الندم توبة ايماء الى انه مقدور مرغوب فيه وكذا في قوله تعالى
توبوا والا فيكون الامر بما لا يطاق وهو ما وقع في الشرع بالاتفاق على خلاف في جوازه وعدمه
ويشكل بان الندم غير مقدور للبشر في الاحياء فان قلت تالم القلب امر ضروري لا يدخل تحت الاختيار د
فكيف يوصف بالوجوب قلنا علم ان سببه تحقيق العلم بفوات المحبوب وله سبيل الى تحصيل سببه وبمثل
هذا المعنى دخل العلم تحت الوجوب لا بمعنى ان العلم يخلقه العبد ويحدثه في نفسه فان ذلك محال
بل العلم والندم والفعل والارادة والقدرة والقادر والكل من خلق الله وفعله والله خلقكم وما تعملون
هذا هو الحق عند ذوي البصائر وما سوى هذا ضلال وتدارك اي ومن التوبة ان يتدارك ويتلافى
ما فاته من الطاعة وما سبق له من المعصية وهو اي التدارك في حقه تعالى القضاء بدل الاداء والكفارة بدل
المعصية والقصد دوام الطاعة ودوام ترك المعصية الى الموت مع استدراك الفوت محتاج اليها حال كونه
بحثا اي امرا مرادا له الى اخر برد فكره الى اول يوم بلغ فيه بالسن او الاحتلام فيفتش عما مضى
من عمره سنة سنة وشهرا شهرا ويوما يوما ونفسا نفسا وينظر الى الطاعات ما الذي قصر عليه فيها
والى المعاصي ما الذي قارفه منها فان كان قد ترك صلاة او صلاها مع ثوب نجس او صلاها بنية
غير صحيحة او ترك فيها شيئا من الواجبات كتعديل الاركان ونحوها فيقضيها من اخرها فان شك في
عدد ما فاته منها حسب من مدة بلوغه وترك القدر الذي يستيقن انه اداه ويقضي الباقي وله ان
ياخذ فيه بغالب الظن ويصل اليه على حسب التحري والاجتهاد وكذا امر الصوم والحج والزكاة وسائر
فرايض الاسلام وشرايع الاحكام فهذا طريق تفتيشه عن الطاعات واما تجسسه على السيئات
فيتفكر من اول بلوغه الى الاخر عن سمعه وبصره ولسانه وبطنه وساعاته وينشد عند نفسه
ديوان كرياته حتى يطلع على جميعها قليلها وكثيرها وصغيرها وكبيرها ثم ينظر فيها فما كان من ذلك
بينه وبين الله من حيث لا يتعلق بمظالم العباد كنظر الى غير محرم وقعود في المسجد مع الجنابة ومس
المصحف من غير طهارة واعتقاد بدعة وشرب خمر وسماع الة فالتوبة عنها بالندم والتحسر عليها
ثم اعلم ان حب الدنيا راس كل خطيئة واتباع الدنيا في القلب السرور بها والاسف لها والحنين اليها
فلا جرم ان كل اذى يصيب المسلم ثم ينبو بسببه قلبه عن الدنيا يكون ذلك كفارة له اذ القلب يتجافى بالهموم م
عن دار الهموم فورد في الاخبار ذنوب لا يكفرها الا الهموم وفي لفظ الا الهم في طلب المعيشة رواه الطبراني
في الاوسط وابو نعيم في الحلية من حديث ابي هريرة ولاحمد من حديث عائشة اذا كثرت ذنوب العبد ولم
يكن له اعمال يكفرها ابتلاه الله بالحزن فيكون كفارة لذنوبه ويقال الهم الذي يدخل على القلب والعبد

لا يعرفه هو ظلمة الذنوب والهم بها وروي ان جبريل عليه السلام دخل على يوسف عليه
السلام في السجن فقال له يوسف كيف تركت الشيخ الكئيب فقال قد حزن عليك حزن مائة ثكلى قال
فما له عند الله قال اجر مائة شهيد وللطبراني والحاكم عن ابي الدرداء مرفوعا ان الله يحب كل قلب حزين
وفي حق العبد اي والتدارك في حق العباد ثلاثة اشياء رد المال محتاطا اي في قدره الى المالك ان كان حيا
او الوارث ان كان ميتا مبالغا اي غاية الاجتهاد في التبليغ اي ايصال حق العباد بالتطوف اي السير
والتردد في البلاد وعجز ان يلقى المالك لكثرته او صعوبته ويستحل منه ان امكن له السفر والا فالتصدق على
مبين الفقراء والمساكين او الصرف الى مصالح المسلمين من بناء مسجد وعمارة جسر ومدرسة او التسليم الى القاضي الذي
يصرفه في امور الدين والدية عطف على رد المال اي وفي حق العبد اداء الدية الى مستحقها اذا وقع القتل او القطع
خطا والقصاص اذا وقع عمدا في النفس وكذا في الاطراف فيجب عليه ان يعترف عند ولي الدم ويحكمه في روحه
فان شاء عفا عنه وان شاء قتله ولا يسقط عهدته الا بهذا ولا يجوز له الاخفاء وليس هذا كما لو زنى او شرب
او سرق او قطع طريقا او باشر ما يجب فيه الحد لله فانه لا يلزمه في التوبة ان يفضح نفسه ويهتك ستره ويلتمس
من الوالي استيفاء حق الله بل عليه ان يستتر بستر الله ويقيم حد الله على نفسه بانواع المجاهدة فان
رفع امره الى الوالي حتى اقام عليه الحد وقع في موقعه وتكون توبته صحيحة مقبولة عند الله او الاستغفار
اي طلب العفو والاستحلال عند العجز عن رد المال او الدية والقصاص نفسا كان حق العبد او مالا وعند
العجز اي عدم القدرة على الاستغفار فتكثير الحسنات متعين بحسب المظالم اي مراتبها في معاصي السيئات
وذلك بان يحسب مقدارها من حيث الكثرة ومن حيث المدة ويحاسب نفسه على الساعات والذرات من
اول يوم حياته الى يوم توبته قبل ان يحاسب يوم القيامة وليناقش نفسه قبل ان يناقش وهذه
التوبة يشق على الظلمة وعلى التجار فانهم لا يقدرون على طلب المعاملين كلهم ولا على طلب ورثتهم
ولكن على كل منهم ان يفعل منه ما يقدر عليه فان عجز فلا يبقى له طريق الا ان يكثر من الحسنات حتى
يفيض منه يوم القيامة فيؤخذ حسناته وتوضع في موازين ارباب المظالم وليكن كثرة حسناته بقدر
كثرة مظالمه فانه ان لم يف بها حسناته حمل من سيئات ارباب المظالم على سيئاته فيهلك بسيئات غيره
وفي اي والتدارك في نحو الغيبة وكذا النميمة والسب اي الشتم واللعن والايذاء باللسان او باليد كان
ومنه الزنا بحليلة المسلم او جاريته او بقرابته فالاستغفار متعين لعدم وجوب المال وجواز القصاص
في امثالها والذكر المفصل بفتح الصاد وكسرها بان يذكر الغيبة ونحوها مبينة بعينه الا ان يزداد التاذي
لصاحب الحق بالاظهار فالمبهم اي فالاستغفار المبهم متعين تحاميا عن ذنب اخر فان مثل هذا الاعتذار ار
استيفاء الذنب عند الكل الاعتبار لانه يصير سببا لعدم عفو الذنب الاول والجبر اي جبر نقصان الاستغفار
المبهم بالحسنات ولو كان حيا موجودا حاضرا لما لو كان صاحب الحق ميتا او غائبا لم يمكن الاجتماع به
والمبالغة اي الجهد في الاستغفار بالتلطف في طريق المحو والتودد اي الاظهار المحبة بالقيام والاكرام والاحسان ن
بالهدية والضيافة والانعام لا بالاكرام والابرام فانه غير مفيد عند الله فان عفا اي صاحب الحق

وفى نسخة فان عفا اى عن المذنب بان يتسعف فيها وان يحاسب فى القيامة بجناياته فى مقابلته اى مقابلة
سياته كما قدمنا فالكل كالنور وعن السلف مذكور والى هذا اشار عبد الرحمن وكلام نور
قلبه بشية مال بحسنة فاذا طاب قلبه بكثرة تودده وتلطفه سمحت نفسه بان حل له عن فعله فان ابى
الا الاصرار فليكن تلطفه واعتذاره اليه من جملة حسناته التى يمكن ان يجبر بها يوم القيامة جنايته
وليكن قدر سعيه فى فرحه وسرور قلبه بتودده وتلطفه كقدر سعيه فى ايذائه حتى اذا قاوم احدهما الاخر
او زاد عليه اخذ ذلك عوضا منه يوم القيامة بحكم الله عليه كمن اتلف فى الدنيا مالا فجا بمثله من بهوله
عن القبول وعن الابراء فان الحاكم يحكم عليه بالقبض منه ان ابرا عنه شاء ام ابى فكذلك يحكم الله فى صعيد
القيامة احكم الحاكمين واعدل المقسطين ويتبع اى ومن التوبة ان يتبع الحسنة بحسب السيئة اى بمقدار
كمية وكيفية سماع عن وهو مرفوع وقيل منصوب الملاهى من انواع الاوتار المناهى بسماع
القران ومجالس الذكر الالهى ونحوها من الابداء والقعود فى المعصية كقعوده فى المسجد جنبا بان يعتكف فيه
مع الاشتغال بالعبادة وكذا امس المصحف محدثا باكرام المصحف وكثرة تقبيله وبان يكتب مصحفا ويجعله
وقفا وشرب الخمر بالتصدق بشراب حلال لذيذ اى حلو بارد والعمل بان عقافا اى وقتل النفس عمدا
او خطا باعتاق رقبة لان ذلك نوع احياء اذ العبد مفقود لنفسه موجود لسيده فان اعتاق ايجاد
لا يقدر الانسان على اكثر منه فيقابل الاعدام بالايجاد والغيبة ونحوها من الايذاء بالثناء على صاحب
الحق فى الحضور او الغيبة والغصب بالصدقة ونحوها عطف على سماع الملاهى اى وكذا نحو المذكورات
من جميع المعاصى غير ممكن فى العبادات والاقتصار بالاشارة بعض الاشارات والمقصود سلوك طريق المضادة
فان المرض يعالج بضده فكل ظلمة ارتفعت الى القلب بمعصية فلا يمحوها الا نور يرتفع اليها بحسنة تضادها
والمتضادات هى المتناسبات فلذا ينبغى ان يمحو كل سيئة بحسنة من جنسها لكن تضادها فان البياض يزال
بالسواد لا بالحرارة والبرودة وهذا التدريج والتحقيق من التلطف فى طريق المحو فالرجا فيه اصدق والثقة
به اكثر من ان يواظب على نوع واحد من العبادات وان كان ذلك ايضا موثرا فى المحو فهذا سلوك طريق
المضادة فى التكفير والمحو مشهود له فى الشرع حيث كفر القتل باعتاق الرقبة ثم ورد فى التنزيل ان الحسنات
اى جميع الطاعات يذهبن السيئات اى تمحوها اتبع السيئة اى وورد اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة
من باب الافعال اى اعقب السيئة الحسنة تمحها رواه الترمذى من حديث ابى ذر وصححه وللبيهقى فى الشعب
من حديث معاذ اذا عملت سيئة فاتبعها حسنة يكون السر بالسر والعلانية بالعلانية ويستغفر اى ومن التوبة
ان يستغفر مورد ما امر بالاستغفار ان عاد فى اليوم سبعين مرة رواه ابو داود والترمذى عن ابى بكر والستر
احب اى منه الاظهار فى حق الله ولو اقر ان فانه الحد اى فى حقوق الله الخالصة فان قدح اى ان ذم وان منع
كما تقدم مورد فى ماعز رضى الله عنه حيث اعترف بالزنا ورجم لقد تاب توبة لو قسمت بين امة لوسعتهم — وفى رواية بين اهل [illegible]
اى لكفتهم وهو عبارة عن كثرة ثوابها والحديث رواه مسلم من حديث بريدة بن الحصيب وكذا حديث
الغامدية مع اعترافها بالزنا ورجمها وقوله عليه السلام لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له ويؤكد العزم

العزم اى ومن التوبة ان يشدد العزم ويقوى الجزم على ان لا يعود بمثل الذنب الذى تاب منه
ابدا اتى بعضهم صدق فى ترك شهوة وجاهد نفسه لله سبع مرات لم يبتل بها وقال اخر من تاب من
ذنب فاستقام عليه سبع سنين لم يعد اليه ابدا ويخلص النية اى ومن التوبة ان يصحح النية ويخلص الطوية فى
ترك المعصية الجلية والخفية لمن ترك المعصية لذهاب مال كما فى القمار ونحوه او جاه سقوط اعتبار عند الخلق
او عدم اسباب معينة له على المعصية لا يكون تائبا وان ترك المعصية ان تقدر ثم اى بعد ذلك فى التوبة
على التائب ان يغسل الثياب التى عصى الله فيها ويغتسل فان طهارة الظاهر عنوان طهارة الباطن
وفى رواية ويتوضا واحتياط الغسل اشعار بالتوبة عن الكل ويصلى اربع ركعات تنبيها على جهات اربع
تشهد له يوم القيامة كما قال تعالى يومئذ تحدث اخبارها بان ربك اوحى لها فى موضع خال عن الاشتغال
وعن توهم الريا والسمعة فى بال ويضع الوجه اى وان يضع جبينه على الارض تواضعا لله والتراب
لزيادة الخشوع عند رب الارباب وللتذكر الى اصله ومرجعه فى هذا الباب كما يشير اليه قوله منها خلقناكم
وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى بدمع جار اى مع بكا فى الندامة فان دمع الندامة والخوف حار
ودمع الفرح والسرور بارد ولذا ورد قرة عين وقرى عينا وقلب حزين على ما سبق له من المعصية وصوت
عال اى رفيع بالبكاء والدعاء ان ذكر اوالى ان يكون بالاخفا ويذكر الذنوب اى وان يتذكر ذنوبه
واحدا واحدا اجمالا وفرادى ويلوم النفس اى وان يعيبها ويذمها ويوبخها اى يزجرها ويعيرها ويرفع
يديه اى كفيه او اذنيه حتى يرى بياض ابطيه مبالغة فى التضرع الى الله وان لا ملجا اليه ويحمد الله على
الاء الله ونعمائه الظاهرة والباطنة عليه ويقول الحمد لله على كل حال ونعوذ بالله من حال اهل النار ويصلى على
النبى صلى الله عليه وسلم لانه شفيع المذنبين ويدعو لنفسه بقبول التوبة وحصول المغفرة والرحمة ولوالديه فيقول
رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا وللمسلمين فيقول رب اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب ويكثر
الاستغفار ايما ورد عن سيد الابرار نحو قوله رب ظلمت نفسى وعملت سوءا فاغفر لى ذنوبى وكذا
يكثر من سيد الاستغفار وجامع الاذكار اتبع الذنب بعزم التوبة اى بالتوبة على وجه العزم والجزم وخوف
العقاب عند مناقشة الحساب ورجاء العفو من رب الارباب وادا ركعتين فى المسجد فانه افضل الاماكن
واشرفها يشهد له بما عرفها والاستغفار سبعين مرة لما ورد فى بعض طرق الاحاديث ولو زاد حتى
صار كانه مرة فهو افضل والكلم والتسبيح والتحميد مائة اى لكل واحد منهما او يقول سبحان الله العظيم وبحمده
مائة مرة وينبغى ان يكون التكبير والتهليل كذلك لتجتمع الباقيات الصالحات بل وينضم اليها لا حول ولا قوة
الا بالله كذلك والتصدق سرا او علانية وكذا ابوها وليدخل فى قوله تعالى الذين ينفقون اموالهم
بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم وليكون بصدقته مكفرا لجميع انواع معاصيه من السيئات
السرية والعلانية والليلية والنهارية وصوم يوم فانه من جملة الحسنات المكفرات للسيئات فالعفو عن
الذنب حينئذ ارجى اى اكثر رجاء وفى الاحياء ان ما ذكر يدل على ان الذنب بما فيه اعمال كان العفو
عنه مرجوا ادمنه اعمال القلب وهى التوبة او العزم على التوبة وحب الاقلاع عن الذنوب وخوف العقاب

عليه ورتب المغفرة له واربعة من اعمال الجوارح وهو ان يصلي عقيب الذنب ركعتين ثم يستغفر الله بعدهما
سبعين مرة ويقول سبحان الله العظيم وبحمده مائة مرة ثم يتصدق بصدقة ثم يصوم يوما وفي بعض الاثار
يصلي ركعات قال مخرجه اثر ان من مكفرات الذنب ان يسبغ الوضوء ويدخل المسجد ويصلي ركعتين رواه
اصحاب السنن من حديث ابي بكر الصديق ما من عبد يذنب ذنبا فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلي ثم يستغفر
الله الا غفر الله له بهذا اللفظ ابي داود وهو في الكبرى للنسائي مرفوعا وموقوفا وحديث التكفير
بصلاة اربع ركعات ذكره ابن مردويه في التفسير والبيهقي في الشعب من حديث ابن عباس قال كان
رجل يهوى امراة الحديث وفيه فلما راها جلس منها مجلس الرجل من امراته وحرك ذكره فاذا هو مثل
الهدبة فقام نادما فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فقال له عليه السلام صل اربع ركعات
فانزل الله عز وجل اقم الصلاة طرفي النهار الاية واسناده جيد وفي هذا الحديث دلالة على ان توبة
العنين صحيحة وفي الصحيحين ان رجلا قال يا رسول الله اني عالجت امراة فاصبت منها كل شيء الا المسيس
فاقض علي بحكم الله فقال عليه السلام اوما صليت معنا صلاة الغداة فقال بلى فقال عليه السلام
ان الحسنات يذهبن السيئات وهذا يدل على ان ما دون الزنا من معالجة النساء صغيرة اذ جعل الصلاة
كفارة له لتقتضي قوله عليه السلام الصلوات الخمس كفارات لما بينهن ان اجتنب الكبائر قال مخرجه
حديث الرجل متفق عليه من حديث ابن مسعود دون قوله اوما صليت معنا صلاة الغداة ورواه مسلم
من حديث انس وفيه هل حضرت معنا الصلاة قال نعم ومن حديث ابي امامة وفيه ثم شهدت الصلاة معنا
قال نعم الحديث والطريق الموصل الى التوبة عشرة اشياء ذكر ما ورد فيها اي من الكتاب والسنة في فضل التوبة كقوله
تعالى ان الله يحب التوابين وكقوله عليه السلام ليتمنين اقوام لو اكثروا من السيئات الذين بدل الله عز وجل
سيئاتهم حسنات رواه الحاكم في مستدركه عن ابي هريرة وهو مقتبس من قوله تعالى الا من تاب وامن وعمل صالحا
فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وقبح الذنب فعن ابن مسعود ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا اية فنسوا
حظا مما ذكروا به ورد به نهي لغة الرب وقد يجر الى الكفر كقصة ابليس اوله ذنب واخره كفر وكذا قصة
قابيل وبلعم بن باعوراء اوله شهوة واخره شقوة وشدة العقوبة اي فذكر شدتها الناشئة من غضب
الله والاليم سخطه الذي لا طاقة لاحد بها وضعف النفس عن الاحتمال اي تحمل الاهوال يوم القيامة
فقد قال تعالى فما اصبرهم على النار فان من لا يحتمل حر شمس ولطمة شرطي كيف يحتمل غدا حر نار جهنم وضرب
مقامع الزبانية ولسع حيات اعناقها كاعناق البخت وعقارب كالبغال خلقت من النار في دار الغضب
والبوار نعوذ بالله ثم نعوذ بالله من سخط الواحد القهار وقصر الامل اي وذكر شر فيها فانها خير وابقى لمن
اتقى رضا منه الدنيا من سرعة فنائها وقلة بقائها وكثرة عنائها وخسة شركائها وقرب الموت كما قيل
كل امرء مصبح في اهله ٭ والموت ادنى من شراك نعله ٭ ولذة المعرفة فانها لا تجامع المعصية فقد اجمع السلف
على ان كل من عصى الله فهو جاهل ولذة المناجاة لانها تختص باهل العبادات والمناداة وخوف الاجل
بالرفع عطف على ذكر اي وخوف الاهمال بعدم الانتفاع الى تبتدي الى نسبة الى الحال اي الماضي والاستقبال

وان تستقبل فقال تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثما وان تستدرج اي وخوف ان تستدرج بالاحسان اي
بالاحسان الرب بعد الاصرار وارتكاب اي ارتكاب الذنب وذلك بمزيد العطية وقت صدور الخطيئة وقلع اسبابه
عطف على ذكر ما ورد اي وقطع اسباب الذنب وهي اي اسبابه ثلاثة الغرور قال تعالى وما الحياة الدنيا الا متاع
الغرور فلا تغرنكم الحياة الدنيا وهو سكون النفس الى دليل فيه شك وشبهة كمن يذنب ويسكن نفسه الى ان
الله تعالى غفور فهذا تمني وغرور يخاف منه من يطمعه رجوته ابن القيم الخصور اي الجنة والحور والقصور
وحب الدنيا فانه راس كل خطيئة كما ورد وطول الامل فانه مانع العمل ومسوفه الى الاجل فليقلع اسبابه
بما مر موضحا من علاج هذه من اشياء بتمامها والتحقيق في وجوب التوبة عن كل معصية بلا مهلة اولى
لقلع الاسباب علمك ان ترادف المعاصي اي توارده وتتابعها باصرارها من غير تخلل توبة في اثنائها سبب
تراكم الظلمة في القلب اي تكاثف ظلمته وبه يحصل الرين في قوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون
والطبع اي الختم في قوله سبحانه ولو نشاء اصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون وقال مجاهد
القلب مثل الكف المفتوحة كلما اذنب ذنبا انقبضت اصبع حتى تنقبض الاصابع كلها فيشد عليه القفل
فذلك هو القفل يعني فيما قال تعالى افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها وقال بعض السلف ليست
اللعنة سواد في الوجه انما اللعنة ان لا يخرج من ذنب الا وقع في مثله او اشر منه وقال ابو سليمان الداراني
لا يفوت احدا صلاة جماعة الا بذنب يذنبه وفي الخبر انكم تمرضون زمانكم فيما تركتم من اعمالكم رواه البيهقي
في الزهد من حديث ابي الدرداء وهو اي ترادفها داء عضال اي صعب في غاية الاشكال يعجز عنه اطباء القلوب
الا ان يريد دواءه علام الغيوب واختلف في صحتها اي التوبة عن بعض الذنوب فقيل لا يصح وهي من مهمات
التائب اذا لم يكن عالما ان يتعلم ما يجب عليه في المستقبل ولا يجزم على جميع حتى يمكنه الاستقامة ثم ان لم يوثر
العزلة لم يتم له الاستقامة المطلقة الا ان يتوب عن بعض الذنوب كالذي يتوب عن الشرب والزنا واللواط
والغصب فيقال دون غيره وليست هذه توبة مطلقة وقد قال بعض الناس ان هذه التوبة لا تصح وقال قائلون
تصح ولكن لفظ الصحة في هذا المقام مجمل والحق الذي لا محيص عنه ان في التوبة عن بعض المعاصي افادة
نقصان العقوبة لا لها اي العقوبة بحسب الذنب كثرة وقلة دون النجاة اي دون افادة النجاة من النار
لان لها اي النجاة انما تحصل بترك الكل اي جميع المعاصي وتوضيحه ان يقال لمن قال لا يصح ان عنيت به ان
ترك بعض الذنوب لا يفيد اصلا بل وجوده كعدمه فما اعظم خطاك فانا نعلم ان كثرة الذنوب سبب لكثرة
العقاب وقلته سبب لقلته ويقال لمن قال يصح ان اردت ان التوبة عن بعض الذنوب توجب قبول
يوصل الى النجاة او الفوز فهذا ايضا خطا بل النجاة والفوز بترك الجميع هذا حكم الظاهر ولسنا نتكلم في خفايا
اسرار عفو الله فهو اعلم بالسرائر ان قلت انما الترك اي مراد القائل ان لا يعلم الصحة عن البعض الا
ترك بعض الذنب وهو شرب الخمر مثلا لكونه اي ذلك البعض الذي تاب منه وهو الشرب ذنبا لا لعينه اي
لا لكون شرب الخمر بذاته وهو اي كونه ذنبا او علة تركه مشترك فيه اي يشترك في هذا المعنى جميع الذنوب شامل
بين جميع المعاصي الا ان من ترك الخمر لكونها معصية ويوقعه في عقوبة وجب عليه ان يترك سائر المعاصي لكو
نها

معصية وموقعه في العقوبة فكيف يتصور التوبة عن البعض دون البعض فاذا ثبت انه لا تصح عن
البعض بهذا المعنى فوجب ان يتوب عن الجميع دون البعض قلت التوبة عن بعض الذنوب لا يخلو
اما ان يكون من الكباير دون الصغاير او بالعكس او عن كبيرة دون كبيرة اما الاول فانه ممكن ويقال
يجوز الترك لبعض الذنوب لكونه اي ذلك البعض افحش اي اغلظ واعظم واجلب لسخط الله وغضبه
والعقاب عليه اصعب اي اشد واقوى وابقى والصغيرة اقرب الى تطرق العفو اليه فلا يستحيل ترك
الكبيرة لهذه العلة ومثاله كمثل عبد يترك ضرب ولد السيد لعظم العقوبة ويضرب دابته يظن ان السيد
ربما يسامحه في ذلك وكالمريض يحذره الطبيب عن اكل الحلو تحذيرا شديدا فيتوب المريض عن العسل
دون السكر واما الثالث وهو ان يتوب عن بعض الكباير دون بعض وهذا ايضا ممكن لاعتقاده ان
بعض الكباير اشد عند الله من بعض كمن ترك شرب الخمر مثلا لكونه مفتاح الشر وانه اذا زال عقله
ارتكب ساير المعاصي فيجتنبه دون الزنا او التدارك اي او لكون تدارك ذلك البعض اشق اي اتعب
كالذي يترك القتل او النهب ومظالم العباد لعلمه ان التدارك فيه اصعب وان ديوان العباد لا يترك
يوم المعاد ويرتكب ما بينه وبين الله كترك الصلاة فانه يتسارع العفو اليه واما الثاني وهو ان يتوب
عن الصغاير وهو مصر على كبيرة يعلم انها كبيرة وهذا ايضا ممكن كالذي يترك الغيبة او النظر الى غير
المحرم وما يجري مجراه وهو مصر على شرب الخمر لان ميل النفس اليها اكثر او ميل النفس اليه اي الى
ما ترك من الصغاير اقل فيكون تركه اهون واسهل ووجه امكان ذلك انه ما من مؤمن الا وهو خائف
على المعاصي نادم على فعله ندما ضعيفا او قويا ولكن ميل نفسه في تلك المعصية اقوى من الم قلبه في
الخوف عنها لاسباب توجب الخوف من الجهل والغفلة ولاسباب توجب قلة الشهوة فيكون الخوف موجودا
لكن ان يحمله على ترك الذنب فان سلم عن شهوة هو اقوى منه بل لم يعارضه الا ما هو اضعف منه فهو
ذلك الخوف الضعيف ملك الشهوة التي هي اضعف منه ودفعها وان سلم عن شهوة هي اقوى منه كشرب
الخمر لم يقدر على الدفع فمثاله كمثل رجل له عدوان احدهما ضعيف والاخر قوي فاذا واجهه الضعيف
غلب عليه واذا واجهه القوي صرعه القوي ولان التوبة على حسب المعصية وتوبة ذنب لا تتوقف على
توبة ذنب اخر وهذا لان توبة ذنب احسان في العبودية وتوبة ذنب اخر احسان اخر وصحة احسان
لا تتوقف على صحة احسان اخر هذا هو التحقيق اوخذ هذا على طريق التوفيق ولم يشترط الكل اي لم
يشترط التوبة عن جميع المعاصي فيما ورد من الكتاب والسنة في التوبة كقوله تعالى ان الله يحب التوابين
حيث لم يقل عن جميع الذنوب وكقوله عليه السلام التائب من الذنب كمن لا ذنب له لم يقل من جميع
الذنوب وقوله الندم توبة ولم يقل عن جميع المعاصي وايضا يقاس على الطاعات من نحو الصوم والصلاة
والزكاة حيث لا يتوقف صحة طاعة على وجود اخرى اجماعا وفي تحققها اي وكذا اختلف في صحة التوبة
عن العاجز الذي لم يقدر على المعصية كالعنين بوزن سكين وهو من لم يقدر على الجماع عما زنى اي
كتوبته عما قارفه قبل العنة اي صدقها والاقرب اي الاولى الاقرب الى الصحة والصواب العدم اي عدم

عدم صحة لامتناع الترك في غير المقدور لان التوبة عبارة عن ندم يبعث العزم على الترك فيما يقدر على
فعله وما لا يقدر على فعله فقد انعدم بنفسه لا بتركه اياه لكن قد يقال لو تندم العنين وتألم
لتعلقه بالزنا بحيث لو فرضت الشهوة اي قدرت شهوة الزنا لقهرها اي لغلبها وتركها فالرجا
اي المأمول من كرمه سبحانه القبول اي قبول توبته على حسب الحال عنه تعالى على الكمال اي لا يخفى عليه
شيء منه السراير كما لو تاب العنين عن الزنا قبل طريان العنة اي طروها ومات قبل هيجان الشهوة
اي شهوة الزنا او الجماع وتيسر اسباب قضائها اي قضاء الشهوة ومباشرتها لكان من التائبين
النصاحية لا فرق بينهما وفي اي واختلف ايضا في ان الافضل من يجاهد شهوته ويمنع معصيته
او من انقطعت شهوته وسكنت نفسه عن الميل الى معصيته فقال احمد بن ابي الحواري واصحاب ابي
سليمان الداراني ان المجاهد افضل لان له مع التوبة فضل المجاهدة ويقبل كما اخرجه الامام احمد
في الزهد عن مجاهد انه قال كتب الى عمر يا امير المؤمنين رجل لا يشتهي المعصية ولا يعمل بها افضل
ام رجل يشتهي المعصية ولا يعمل بها فكتب عمر ان الذين يشتهون المعصية ولا يعملون بها اولئك
الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم ويقويه ان جنس البشر افضل من جنس الملك
كما تقدم والله اعلم وقال علما البصرة ذلك الاخر افضل لانه لو فتر في توبته كان اقرب الى السلامة
من المجاهد الذي في عرضة القصور عن المجاهدة فالحق ان الثاني اسلم مطلقا سواء كان انقطاع شهوته
من المجاهدة او ضعف البنية والافضل اي الثاني في مقابلة الاقيد وهو انه ان كان انقطاعها اي الشهوة لقوة
اليقين في مقام المشاهدة وسبق المجاهدة مع النفس في دفع الشهوة على سبيل المعصية فالظفر اي
المنصور على العدو اولى من المجاهد المشغول في صفة القتال ولا يدري كيف يسلم في الاستقبال
وان كان انقطاعها لضعفها اي لفتور الشهوة في نفسها اي في اصل خلقتها فالاول وهو الذي يجاهد
شهوته افضل لان الترك بالمجاهدة من قوة اليقين ومتانة الدين ولقد زل في هذا البحث فريق فظنوا
ان الجهاد هو المقصود الاقصى ولم يعلموا ان ذلك طلب للخلاص من عوايق الطريق [illegible]
عن المولى وظن اخرون ان قمع الشهوات واماطتها بالكلية مقصود بالذات حتى جرب بعضهم ذلك
فعجز عنه فقال هذا امر محال وكذب بالشرع وسلك سبيل الاباحة واسترسل في اتباع الشهوات وكل
ذلك جهالة وضلال انتفى اي وكذا اختلف في نفع الاستغفار باللسان مع الاصرار على الذنوب
الكباير والصغاير والحق النفع لكنه ادونه لما سبق من الاخبار في فضل الاستغفار من غير قيد بعدم
الاصرار وكونه اي ويكون الاستغفار باللسان حسنة يصلح للتلافي اي لتلافي العصيان وعدم ضياع
الاجر اي ولعدم ضياع اجر عامله عنده سبحانه لوروده في التنزيل ان الله لا يضيع اجر المحسنين وانا لا نضيع
اجر من احسن عملا وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما وقال فمن يعمل مثقال ذرة
خيرا يره وما ورد مبتدا اي وما جاء في حديث ان المستغفر بلسانه المصر على ذنبه اي بجنانه المستهزي بربه
روى ابن ابي الدنيا بلفظ المستغفر من الذنب وهو مصر كالمستهزي بايات الله قال مخرجه هو حديث ابن عباس عند

ابن ابي الدنيا ومن طريقه البيهقي في الشعب ولفظه المستغفر من الذنب وهو مصر عليه كالمستهزئ بربه
محمول عليه خبر المبتدا اي حمله العلماء على الاستغفار بحكم العادة من الغفلة عن الارادة دون الابتهال
اي التضرع في الحال والصدق في السؤال اي سوال المغفرة مع الاستقبال فهذا حسنة تصلح ان يدفع
بها السيئة وكذا ما نقل عن بعضهم انه كان يقول استغفر الله من قولي استغفر الله وقيل الاستغفار باللسان
توبة الكذابين وهو محمول على الاستغفار لمجرد القول من غير ان يكون للقلب فيه مشاركة العمل وقالت
رابعة العدوية استغفارنا يحتاج الى استغفار كثير فلا يظنن انه تذم حركة اللسان من حيث انه ذكر الله
بل تذم غفلة القلب فهو يحتاج الى الاستغفار من غفلة جنانه لا من حركة لسانه فانه من سكت عن
الاستغفار باللسان ايضا يحتاج الى استغفارين لا الى استغفار واحد فهكذا ينبغي ان يفهم حمدا يا محمد
ومذم ما يذم والا جهلت معنى قول القائل الصادق حسنات الابرار سيات المقربين فان هذه
امور تثبت بالاضافة فلا ينبغي ان يوخذ من غير اضافة بل ينبغي ان لا يستحقر ذرات الطاعات
والسيات ولذا قال الامام جعفر الصادق ان الله تعالى خبا ثلثا في ثلث رضاه في طاعته فلا
تحقروا منها شيئا فلعل رضاه فيه وسخطه في معاصيه فلا تحقروا منها شيئا فلعل غضبه فيه وخبا وليه
في عباده فلا تحقروا من عباد الله احدا فلعله ولي الله وزاد واجابته في دعائه واسمائه
فلا تتركوا شيئا منها فربما كانت الاجابة فيه وقال سهل لا بد للعبد في كل حال من مولاه فاحسن
احواله ان يرجع اليه في كل شي مما قدر وقضاه فان عصاه قال يا رب استر علي فاذا فرغ من المعصية قال يا رب تب علي فاذا تاب قال يا رب ارزقني العصمة واذا عمل
الطاعة قال يا رب تقبل مني وسئل ايضا عن الاستغفار الذي يكفر الذنوب فقال اول الاستغفار
الاستجابة ثم الانابة ثم التوبة فالاستجابة اعمال الجوارح والانابة اعمال القلوب والتوبة اقباله
على مولاه بان يترك الخلق ثم يستغفر الله من تقصيره الذي هو فيه ومن الجهل بالنعمة وترك الشكر
فعند ذلك يغفر له ويكون عنده ماواه ثم التنقل الى الانفراد ثم الثبات ثم البيان ثم القرب ثم المعرفة ثم
المناجاة ثم المصافاة ثم الموالاة ثم محادثة السر وهو الخلة ولا يستقر هذا في قلب عبد حتى يكون
العلم غذاءه والذكر قوامه والرضا زاده والتوكل صاحبه ثم ينظر الله اليه فيرفعه الى العرش فيكون مقامه
مقام حملة العرش وسئل عن معنى قوله عليه الصلاة والسلام التائب حبيب الله فقال انما يكون حبيب
الله اذا كان فيه جميع ما ذكر الله في قوله تعالى التائبون العابدون الاية وقال الحبيب هو الذي لا يدخل
فيما يكره حبيبه ومن الاجتناب ان لا تستحقر ذرات الطاعات فلا تاتيها وذرات المعاصي فلا تتقيها
كالمراة الخرقاء تكسل عن الغزل تعللا بانها لا تقدر في كل ساعة الا على خيط واحد فتقول واي غنا
يحصل في خيط واحد وما وقع ذلك في الثياب ولا تدري المعتوهة ان ثياب الدنيا اجتمعت خيطا خيطا
وان اجسام العالم مع اتساع اقطاره اجتمعت ذرة ذرة فاذا التضرع والاستغفار بالقلب حسنة
لا تضيع عند الله اصلا بل اقول الاستغفار باللسان ايضا حسنة اذ حركة اللسان بها عن غفلة خير من
حركة اللسان في تلك الحالة بغيبة او فضول كلام بل هو خير من السكوت عنه فيظهر فضله بالاضافة الى السكوت

السكوت عنه وانما يكون نقصانا بالاضافة الى عمل القلب ولذا قال بعضهم لشيخه ابي عثمان المغربي
ان لساني في بعض الاحوال يجري بالذكر والقران وقلبي غافل فقال اشكر الله اذ استعمل جارحة من
جوارحك في خير وعوده الذكر ولم يستعمله في الشر ولم يعوده الفضول انتهى فاياك ان تلمح في الطاعات مجرد
الافات فتفتر رغبتك في العبادات فهذه مكيدة روجها الشيطان بلعنه على المغرورين وخيل اليهم انهم
ارباب البصاير واهل التفطن في الخبايا والسرائر فاي خير في ذكر اللسان مع غفلة الجنان والله
المستعان وقيل اي وكذا الاستغفار يعني نسيان الذنب وذكر بعد التوبة انما اول وانما قيد بما بعد التوبة
فان النسيان قبلها مذموم اجماعا قال تعالى ونسي ما قدمت يداه تعالى قوم حقيقة التوبة ان تنسى
ذنبك بن عيينة وقال اخرون حقيقة التوبة ان تنسى ذنبك وهو اي نسيان الذنب الاولى للمبتدي
تحاميا عن تحريك الميل اي احترازا عن تحريك ميل قلبه الى المعصية ان نشا عن الشهوة عند ذكر ما دار فيه
اذ النسيان لم يكثر احتراقه ولم تقوى ارادته وانبعاثه لسلوك الطريق لان ذلك يستخرج منه الحزن والخوف
الوازع عن الرجوع الى مثله فهو بالاضافة الى الغافل كمال ولكنه بالاضافة الى سالك الطريق نقصان
فانه سبيل مانع عن سلوك الطريق وما روي مبتدا اي وما نقل من كثرة نوح المنتهين من الانبياء والمرسلين
والاولياء والصالحين وبكائهم حال كثرة دعائهم والحزن فلا يقاس اي سلوك طريق الذين الكمال بكه بالمبتدين
فان صدور البكاء وطلب الذنوب بالاستغفار والدعاء انما كان لتعليمه امتهم حتى لا يفعلوا من حال
الجفوة ووقت الوفاة هذا وقد اخرج ابن المبارك وابن ابي حاتم عن المغيرة ان عيسى بن مريم كان يقول يا ابن
ادم اذا عملت حسنة فاله عنها فانها عند من لا يضيعها واذا عملت سيئة فاجعلها نصب عينيك وافضل
التائبين المستقيم على اكتساب الطاعات واجتناب السيات الى الموت اي انقضاء الحياة من غير نقصان
الفوت مباشرة لاجتناب غير الزلات التي لا ينفك البشر عنها في الحالات بحسب العادات من المعاصي
والمنهيات وانما الاكمل منه مطلوبة في اجتناب المحظورات لما ورد اذا امرتكم بشي فاتوا منه ما استطعتم واذا
نهيتكم عن شي فاجتنبوه فهو اي المستقيم سابق بالخيرات ومسارع الى المبرات مستبدل السيات بالحسنات
وفي الكلام ايماء الى قوله تعالى ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد
ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير والنفس اي نفس هذا التائب الموصوف بهذه
الصفات مطمئنة راضية مرضية في رياض التوبة واهل هذه الرتبة يتفاوت حالهم في القوة فمنهم من سكنت
شهوته تحت قهر المعرفة ففترت نزاعها ولم تشغله عن السلوك صراعها ومنهم من لا ينفك عن منازعة النفس
ل شهوتها ولكن تغلب بالمجاهدة وردعها ومنهم من يقل صراع النزاع ومنهم من يكثر ومنهم من يطول عمره ويطيل
اجتهاده في امره ويكثر حسناته ويستمر استقامته ومنهم من ينقص عمره فينقطع بالموت عن مراده
امره وعن فنون الطاعات وقصوره وهذا معنى قوله ويزداد الفضل اي فضل التائب بطول العمر الى
ان طال عمره في مكابدة الطاعة والمجاهدة مع النفس في العبادة فورد افضل السعادات طول العمر في
طاعة الله اي في العبادات والحديث المعروف وقد ورد طوبى لمن طال عمره وحسن عمله رواه الطبراني وابو

نهيه عن عبد الله بن بسر والسالم منه عطف على الغفل اي ويحصل بزيادة السن منه عن الوقوع في
المعصية والعمل منه بقرب الموت وقصر العمر بتمام الامر ونقصان الاجر وقد طلب بعض الاكابر
طول العمر لكثرة العبادة وبعضهم الموت خوفا من الفتنة والتسليم اسلم فنعم الدعاء اللهم ثم اللهم
احيني ما كانت الحياة خيرا لي وتوفني اذا كانت الوفاة خيرا لي واجعل الموت راحة لي من كل شر واجعل
الحياة زيادة لي في كل خير ثم المعاود عطف على المستقيم اي ثم الافضل المعاود في بعض الذنب المجدد
للتوبة رجوعا الى الرب مبالغة في تجديد التوبة وهو اي كثير الابتلاء بالمعصية والتوبة المفتن التواب
اي كثير التوبة والرجعة وعند البيهقي عن علي مرفوعا خياركم كل مفتن تواب والنفس اي نفس هذا
التائب المعاود في بعض الذنوب لوامة تلوم صاحبها بعد المعصية وترجع الى الطاعة التي فيها سلامة
وهو المتقدم وهذه ايضا رتبة عالية وان كانت عن الطبقة الاولى ناقصة نازلة فهي اغلب احوال
التائبين لان الشر معجون في طينة البشر وانما غاية سعيه ان يغلب خيره شره حتى يثقل ميزانه
فيترجح كفة الحسنات واما ان يخلو عنه بالكلية كفة السيئات فذلك في غاية البعد حيث العادات
نعم اولا مع هذا الا بنكال لهم حسن الوعد من الله تعالى اذ قال سبحانه الذين يجتنبون كبائر الاثم
والفواحش الا اللمم اي الصغائر ان ربك واسع المغفرة وفي الخبر ان تغفر اللهم فاغفر جما واي عبد لك لا الما
وقد قال عز وعلا في مقام المدح والثناء والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله الاية
فاثنى عليهم مع ظلمهم انفسهم لتندمهم وتحسرهم ثم التائب عطف على المعاود او المستقيم اي الافضل
بعدهما التائب عن البعض اي بعض الذنوب المسوف اي المؤخر بالتوبة في الاخر اي في البعض الاخر
من الذنوب المتندم اي مظهر الندامة بعد الارتكاب اي اكتساب المعصية القاصد الناوي للتوبة
فهو المخلط الداخل فيمن قال الله في حقه واخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا واخر سيئا عسى
الله ان يتوب عليهم وهو ظالم لنفسه والنفس اي نفس هذا الغافل مسولة اي مزينة للمعصية ومهملة
لتاخير التوبة وقد قال تعالى اولئك هم الغافلون لا جرم انهم في الاخرة هم الخاسرون فالخسارة
مترتبة على الغفلة وهو على الخطر في الخاتمة فان مات تائبا فاز بالجنة وظفر بالمثوبة وان لم
يتب ومات فهو في مشيئة الله تعالى ان شاء عفا عنه بلطفه وكرمه وان شاء عذبه بقدر ذنبه ثم الكل فالاولين
اي صاحب النفس المطمئنة وصاحب النفس اللوامة فهما فائزان بالجنة والسلامة من العافية الا المرتكب
للمعصية المصر عليها من غير التوبة الناسي للتوبة اي التارك لها نفسها وعزمها اي والعزم عليها
فهو الذي اسمه الغافل عن حكم ربه الجاهل عما خلق لاجله فقد ورد من حديث ابن عمر عند الديلمي
ان لله ملكا ينادي في كل يوم وليلة ابناء الاربعين زرع قد دنا حصاده الحديث وفيه ليت الخلق لم
لم يخلقوا وليتهم اذ خلقوا علموا لماذا خلقوا فتلاقوا بسوا بينهم فتذاكروا الحديث والنفس اي نفسه امارة
اي كثيرة الامر بالسوء اي بالمعصية تخشى عليه سوء الخاتمة بالموت على الفسق او الكفر هنا لك نعوذ بالله من
ذلك ويجوز شمول العفو من الله اياه اي الغافل ولكنه نادر لا يتعلق الاغلب بل بسبب كمال الكرم اي كوصو

له

كوصوله بالكنز بلا طلب وكمن يحصل له العلم اللدني بمجرد الجذب الالهي لكن التوقع للعفو مع الاصرار
على المعصية وعدم اتيان الطاعة حماقة اي غرور وجهالة لما ورد في التنزيل وان ليس للانسان
الا ما سعى ونقل ما قدر الله له وقضى فلا بد من فعل الطاعة وترك المعصية او الرجوع عنها بالتوبة
وان فعلت مخطرة فربما يختطف قبل التوبة ويقع امره في المشيئة فان تداركه الله بالرحمة وامتن
عليه بالتوبة التحق بالسابقين وان غلبته شقوته فيخشى عليه ان يختم عليه في الخاتمة ما سبق عليه
القول الاول في قضاء الازل لانه مهما تعذر على المتفقه مثلا الاحتراز عن شواغل التعلم دل بعدمه
على انه سبق له في الازل ان يكون من الجاهلين فيضعف الرجاء في حقه في ذلك الحين واذا تيسرت له
اسباب المواظبة على التحصيل دل على انه سبق له في الازل ان يكون من جملة العالمين فكذا ارتباط
سعادات الاخرة ودركاتها بالحسنات والسيئات بحكم تقدير مسبب الاسباب كارتباط المرض والصحة
بتناول الاغذية والادوية وارتباط حصول فقه النفس الذي يستحق به المناصب العلية في الدنيا بترك
الكسل في طلب مراتب العلياء والمواظبة على طلب العلم فكما لا يصلح لمنصب الرياسة والتقدم بالعلم
في مقام السياسة الا نفس صارت فقيهة بطول التفقه فلا يصلح لملك الاخرة ونعيمها والقرب
من رب العالمين الا قلب سليم صار طاهرا بطول التزكية والتطهير هكذا سبق في الازل بتقدير رب
الارباب ومسبب الاسباب فانها وتغييرها سواها فالهمها فجورها وتقواها قد افلح من زكاها وقد
خاب من دساها فالحق فتح الخاتمة وقبل التوبة هو كل نفس خاتمة ما قبله اذ يمكن ان يكون الموت متصلا
فليراقب الانفاس والا وقع في المحذور ودامت الحسرة الى ان يخرج من دار الغرور فالناس كلهم
محرومون الا العاملون والعاملون كلهم محرومون الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم ولا
يتركها اي التوبة لخوف العود اي لمخافة الرجعة الى المعصية لجواز الموت قبله اي قبل عوده الى ذنبه وغفران
السالفة اي السابقة ان عاد الى ذنبه ولم يتب الى ربه فهذا الترك من خداع الشيطان فانه من اين له
هذا العلم فعسى ان يموت تائبا عن الذنب ويصير حبيب الرب والخوف من العود لا حرز فيه بل فيه منفعة
فعلى العبد العزم والصدق في الجزم وعلى الله الاتمام من باب الفضل والكرم فان اتم فهو المطلوب
الاعلى وان لم يتم فقد غفرت ذنوبه السالفة كلها فهذا هو الربح العظيم والغائض الكبرى فالعبد من
التوبة ابدا بين احدى الحسنيين فورد عن علي مرفوعا خياركم المفتن بصيغة المجهول وفي رواية
المفتن بال وعام التواب رواه البيهقي في شعبه اي كثير الابتلاء بالذنب وكثير التوبة منه الى طاعة
الرب ومن خرج الموت كالسنبلة تقوم احيانا وتميل احيانا رواه ابو يعلى وابن حبان من حديث النبي
وللبيهقي والطبراني من حديث ابن عباس باسناد حسن لا بد للمؤمن من ذنب ياتيه الفينة بعد الفينة
اي الحين بعد الحين فالفقه في الدين هو الذي لا يؤيس الخلق عن درجات السعادات بما يتفق
لهم من الفترات ومقارفة السيئات المختطفات تا للترمذي والحاكم وصححه من حديث انس كل بني ادم
خطاؤون وخير الخطائين التوابون وللطبراني والبيهقي من حديث جابر المؤمن واه راقع فسعيد من

بات على رفضه اي واه بالمعصية واقع بالتوبة والندامة وسبب الاستقامة الرياضة وهي تهذيب
الاخلاق والمرابطة وهي الاقامة بالمحل ومن الاستدامة فورد في التنزيل يا ايها الذين
امنوا اصبروا على الطاعات وعن السيئات وفي المصيبات وصابروا اي وغالبوا الاعداء الظاهرة
والباطنة بشدة الصبر وحلق الامور ورابطوا انفسكم بالمشارطة اي مع النفس بالمداومة على الطاعة
والمواظبة على العبادة في كل يوم وساعة خوفا عليها من ضياع بضاعة والتحقيق ان المرابطة
ربط النفس على الارتحال والقفا والقلب على اغتنام العبادات والتاهب ليوم الجزاء وهو معنى
قوله وهو اي ربطها بالمشارطة ثلاثة اشياء منها وصية النفس اي وصيتها في اول النهار بل في كل
نفس من الاعمار نحو ان لا بضاعة لك اي ليس لك راس مال سوى العمر وهو ايام غير معدودة والانفاس
اي والحال ان الانفاس معدودة لا تزيد ولا تنقص والماضي لا يعود في الوجود والوقت ضيق
في ميدان الشهود والتمني بان يرجع الى الدنيا يوما واحدا ليعمل عملا صالحا او يرقى المراتب العلية
بدون المكاسب العلمية والعملية غير نافع بعد الورود ومنها توظيف العمل بان يجعل في كل وقت
عملا ينفع في العقبى او يعينه على الطاعة في الدنيا ومنها شرط الشروط عليها اي على نفسه فحذف
لفظ النفس فاتى الجار على ضميره فصار عليه ولا يبعد ان يكون الضمير راجعا الى العمل والمعنى يقول
لها ان كذبت فعليك صوم ثلاثة ايام وان اغتبت فعليك صدقة درهمين ونحو ذلك ثم المرابطة بالمراقبة
وهي مشاهدة كونه سبحانه رقيبا بحاله عالما بافعاله في الحركات والسكنات فلا يتحرك ولا يسكن
الا بما يرضاه الحق في تلك السكنات من العبادات والطاعات ثم اعلم اي اعلى انواع المراقبة ان
يصير العبد مغلوبا بالاستغراق به من ذكره وفكره تعالى وعدم الالتفات الى ما سواه اي بما سوى الله وما
عداه وهذه مراقبة المقربين من الصديقين وهو مراقبة التعظيم والاجلال بان يصير القلب في
جميع الاحوال مستغرقا بملاحظة ذلك الجلال ومطالعة تجليات ذلك الجمال على وجه الكمال ومنكسرا
تحت الهيبة والعظمة في المشاهدة فلا يبقى فيه متسع للالتفات الى الغير حتى يحتاج الى المجاهدة وهذا
الذي صار همه واحدا وكفاه الله سائر همومه ابدا ومن نال بهذه الدرجة مع الحق فقد غفل عن مراقبة
الخلق فلا يبصر من يحضر لديه وهو فاتح عينيه ولا يسمع ما يقال له مع انه لا صمم في اذنيه ثم الاعلى
من انواع المراقبة ان يكون تحت حكم الشرع خارجا عن تحكم الهوى والطبع وهذه مراقبة الورعين
من اصحاب اليمين فينظر ويتامل ويتفكر قبل العمل في اول خاطر يخطر فيتم ما هو له تعالى فيه رضاه ويترك
ما سواه وينظر اليه عينه اي عند الشروع في العمل طاعة او غيرها ففي الطاعة بخلوص النية وبصفي
الطوية بان يجعلها لله تعالى من غير الرياء والسمعة ويحضر القلب لمشاهدة الرب كما ورد الاحسان
ان تعبد الله كانك تراه ويراعي الادب في حضرة الرب ويحفظ نفسه عن النشاط في بساط الانبساط
وفي المعصية يستحي من الرب ويتوب منه الذنب ويكفر بما سببه ان صدرت عنه وفي المباح يراعي النيات
فان المباحات بتحسين النيات تصير عبادات ولا داب بان لا يتجاوز عن الضرورات ثم مرابطة النفس

النفس بالمحاسبة في اخر النهار او في اخر كل نفس وساعة وهو النظر بعد العمل في الحسنات والسيئات
فورد حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وهو اثر عن عمر كما تقدم وقد قال تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا
الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله للعاقل اربع ساعات ساعة يحاسب نفسه فيها اي وساعة
يناجي فيها ربه وساعة يفضي فيها الى بعض اخوانه الذين يبصرونه بعيوبه وساعة يخلو فيها بينه
وبين شهواته وقد تقدم ثم مرابطة النفس بالمعاقبة لها في الجوع يعاقبها ان اكل حراما والسهر اي
ويعاقبها بالسهر ان نظر حراما ونحوه بان رقد عن التهجد فلو ساهل التائب في هذه المعاقبة سهل
عليه الرجوع الى المراجعة الى المعصية وما يتبعها من الغفلة فقد عاقب عمر رضي الله عنه نفسه حين فاتته
صلاة العصر في جماعة بان تصدق بارض كانت له قيمتها مائتا الف درهم وكان ابن عمر اذا فاتته صلاة
في جماعة احيا تلك الليلة واخر ليلة صلاة المغرب حتى طلع كوكبان فاعتق رقبتين ثم المرابطة بالمجاهدة
وهي مخالفة النفس باداء الورد من انواع الطاعات والعبادات عند استثقال النفس عن بعض
الماثورات بل بالزيادة عن الوظائف كاحياء ليلة في عبادة عند التواني الى التساهل والتكاسل عن
حفظ جماعة كان يحفظها او اداء نافلة كان يفعلها ثم المرابطة بالمعاتبة بمثل يا نفس بالضم او
الكسر اي يا نفسي الا تستحين منه تعالى في ترك طاعة او فعل معصية الى طاقة بعد ابداء النعيم الى المولم من
نار الجحيم ومن المجهم والنكال اي جميع ما ذكر من انواع المرابطات ما تورع عن السلف والخلف القائمين بمجاهدة
النفس والرياضات في مقام الطاعات والاصل المعتبر في تحصيل الاستقامة الاستعانة به تعالى
والاستعانة بكرمه بحيث انه مستحضرا بين يديه تعالى اي حال عبادته وطاعته متبريا عن الحول والقوة
من جهته ورؤية العمل منه طاقته كما يشير اليه قوله تعالى اياك نعبد واياك نستعين فاياك نعبد تفرقة
واياك نستعين جمع وفي الجملة الاولى دفع الجبرية وفي الثانية ضلال القدرية فيكرر اي في باب الاستقامة
من جاهد في ترك المعصية سبع مرات لا يبتلى بالذنب فانه اي مرتبة منه وبه تحصيل الاستدامة
ومتيقن في استقامته على التوبة سبع سنين لا يعود الى المعصية في جميع عمره وهو قول فرقد السبخي ثم
التوبة في عرف المحققين من الذنب وهي من المؤمنين خاصة حيث قال تعالى يا ايها الذين امنوا توبوا
الى الله توبة نصوحا او عامة فورد في التنزيل توبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون والانابة
من الغفلة الى الحضور وهي للمقربين فورد في التنزيل من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب
ومنه قوله تعالى الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب وقوله خر راكعا واناب والاوبة من
رؤية النفس في الطاعة وهي للمرسلين فورد في التنزيل ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه
اواب وكذا في حق ايوب انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب وقد يستعمل في حق المؤمنين التوابين
كقوله تعالى ان تكونوا صالحين فانه كان للاوابين غفورا ثم التقوى اعم منها اي من التوبة وهي اخص
من التقوى فكل تائب متق وليس كل متق تائبا فالممتنع عن ذنب لم يرتكبه قبل الى الان وقته متق
لا تائب والممتنع بعد ارتكابه تائب ومتق اما كونه تائبا فظاهر واما كونه متقيا فلانه لم يرتكب الذنب

مع انه عدم من هنا يصح ان يقال للنبي انه متق ولا يجوز ان يقال انه تائب والله سبحانه اعلم
واما ما في الاحياء منه انه يجب على كل عالم بالاقليم او بلدة او محلة او مسجد او مشهد ان يعلم اهله دينهم
ويميز ما يضرهم عما ينفعهم وما يشقيهم عما يسعدهم ولا ينبغي ان يصبر الى ان يسأل عنه بل ينبغي ان يتصدى
لدعوة الناس الى نفسه فان العلماء ورثة الانبياء والانبياء ما تركوا الناس على جهلهم بل كانوا ينادونهم
في مجامعهم ويدورون على ابوابهم ويرفقون في الابتداء يطلبون واحدا بعد واحد فيرشدونهم فان مرضى
القلوب لا يعرفون مرضهم كما ان الذي ظهر على وجهه برص ولا مرآة معه لا يعرف مرضه ما لم يعرفه
غيره وهذا فرض عين على العلماء كافة ففيه ان هذا غير معروف في الكتاب والسنة انه فرض عين بل وان
فرض كفاية وانما الواجب على العلماء ان لا يكتموا العلم ويبينوه لاهله وعلى الجهال ان يسألوهم كما قال
تعالى فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وقال واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس
ولا تكتمونه واما معنى قوله عليه السلام العلماء ورثة الانبياء انهم لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما
ورثوا العلم فمن اخذه اخذه بحظ وافر وهم مختلفون في مراتب الوراثة كتفاوت مناصب العلوم
من التفسير والحديث والفقه والقراءة هذا والعلماء الذين هم بمنزلة الاطباء في زماننا صاروا مرضى
بالداء الذي ليس له دواء وهو حب الدنيا فبهذا السبب عم الداء وعظم الوباء وانقطع الدواء ومع هذا غلب
عليهم الرجاء وهي المعضلة الدهياء والعلماء العاملون منهم الاولياء والاصفياء احق واجدر ان يكونوا من
الاتقياء الاخفياء نسأل الله الهداية منه الى الابتداء الى الانتهاء ثم اعلم ان من ابتلي بحب الدنيا فداؤه
عضال ليس له الدواء فقد قال رجل لمحمد بن واسع اوصني فقال انا اوصيك بان تكون ملكا في الدنيا
والاخرة فقال كيف لي بذلك فقال ازهد في الدنيا وكتب معاوية الى عائشة بالسلام ان اكتبي
لي كتابا توصيني فيه ولا تكثري فكتبت اليه من عائشة الى معاوية سلام عليك اما بعد فاني سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول من التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله الى الناس ومن التمس رضا الله
بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس والسلام عليك والحديث رواه الترمذي والحاكم وكتبت اليه مرة اخرى
اما بعد فاتق الله فانك ان اتقيت الله كفاك الناس واذا اتقيت الناس لم يغنوا عنك من الله شيئا
والسلام وهو مقتبس من قوله تعالى ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله ومن
قوله سبحانه انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وقال لقمان لابنه يا بني زاحم العلماء بركبتيك ولا تجادلهم
فيمقتوك وخذ من الدنيا بلاغك وانفق فضول كسبك لاخرتك ولا ترفض الدنيا كل الرفض فتكون
عيالا على اعناق الرجال وصم صوما يكسر شهوتك ولا تصم صوما يضر بصلاتك فان الصلاة افضل من
الصوم وقال ايضا يا بني لا تضحك من غير عجب ولا تمش في غير ارب ولا تسأل عما لا يعنيك ولا تضيع
مالك وتصلح مال غيرك فان مالك ما قدمت ومال غيرك ما خلفت يا بني من يرحم يرحم ومن يصمت يسلم ومن يفعل الخير
يغنم ومن يفعل الشر يأثم ومن لم يملك لسانه يندم وقال رجل لابي حازم اوصني فقال كلما لو جاءك الموت
عليه فرأيته غنيمة فالزمه وكلما لو جاءك الموت عليه فرأيته مصيبة فاجتنبه وقال رجل لحامد اللفاف اوصني

فقال اجعل لدينك غلافا كغلاف المصحف لئلا تدنسه الآفات قال وما غلاف الدين قال ترك
طلب الدنيا الا ما لا بد منه وترك كثرة الكلام الا فيما لا بد منه وترك مخالطة الناس الا فيما لا
بد منه وكتب الحسن الى عمر بن عبد العزيز اما بعد فخف ما خوفك الله واحذر ما حذرك الله وخذ مما في يديك
لما بين يديك فعند الموت يأتيك الخبر اليقين والسلام وكتب مطرف بن عبد الله الى عمر بن عبد العزيز
اما بعد فان الدنيا دار عقوبة ولها يجمع من لا عقل له وبها يغتر من لا علم عنده فكن فيها يا امير المؤمنين
كالمداوي جرحه يصبر على شدة الدواء لما يخاف من عاقبة الداء وكتب عمر بن عبد العزيز الى عدي بن ارطاة
اما بعد فان الدنيا عدوة اولياء الله تعالى وعدوة اعداء الله اما اولياء الله فغمتهم واما اعداؤه فغرتهم ومجمل
الكلام في هذا المقام منه المرام ان من اعطى قلبه حسن الاصغاء واستشعر الخوف واتقى وانتظر المثوبة
الحسنى وصدق بالحسنى فسييسره الله تعالى للطريقة اليسرى واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسييسره
الله تعالى للعسرى ثم لا يغني عنه ما استغرق به من ملاذ الدنيا اذا هلك وتردى وما علينا الا شرح طريق
الهدى وان لنا للاخرة والاولى

الباب السابع عشر في الصبر والرضا والشكر

بسم الله الرحمن الرحيم الذي نستعين لذاته وصفاته على توفيق الصبر على بلائه
والرضا بحكمه وقضائه والشكر على نعمائه والائه وقد اجتمع الثلاثة في حديث عطاء عن ابن عباس
لما دخل عليه السلام على الانصار فقال امؤمنون انتم فسكتوا فقال عمر نعم يا رسول الله قال وما علامة
ايمانكم فقالوا نشكر على الرخاء ونصبر على البلاء ونرضى بالقضاء فقال عليه السلام مؤمنون ورب الكعبة
رواه الطبراني في الاوسط الصبر وهو حبس النفس عن الامر ثبات باعث الدين من قصد الاشتغال
ثم خوف النار ثم طمع الجنة ثم رجاء اللقاء وهذه اكمل طرق اهل الهدى في مقابلة باعث الهوى من الاغراض
الفاسدة والاعواض الكاسدة فالهوى هو ميل النفس الى الشيء من غير داعية الشرع بل بمجرد هوى النفس
والطبع ويتنوع الصبر على ثلاثة انواع صبر العوام وهو حبس النفس على ما تكره وصبر الخواص وهو تجرع المرارات
من غير تعبس وصبر اخص الخواص وهو التلذذ بالبلاء كالتلذذ بالالاء فانه علامة اهل الولاء من
الانبياء والاولياء وقيل الصبر هو الوقوف مع البلاء بحسن الادب في الثبات على الولاء وتلقي مراقضيته بالرحب
والسعة على احكام الكتاب والسنة وينقسم اقساما صبر لله وهو الثبات على اداء اوامره وانتهاء زواجره
وصبر مع الله وهو السكون تحت جريان قضائه من مرارة وحلاوة وصبر على الله وهو الركون الى الفعل في
كل شيء من امر حلو ومر وصبر عن الله وهو مذموم وصاحبه ملوم مذمم كما قيل الصبر يحمد في المواطن كلها
الا عليك فانه مذموم ، اي الا عنك وقد يحمد اذا وصل الى مقام الرضا في جميع ابواب القضاء كما قيل
اريد وصاله ويريد هجري ، فاترك ما اريد لما يريد ، وقال الجنيد المسير من الدنيا الى الاخرة سهل على المؤمن وهجران
الخلق في جنب الحق شديد والمسير من النفس الى الله تعالى صعب شديد والصبر مع الله اشد وحكي عن بعض العارفين
انه سأل الشبلي عن الصبر ايه اشد فقال الصبر في الله فقال لا فقال الصبر لله فقال لا قال الصبر مع الله قال لا قال فاي شيء
قال الصبر عن الله قال فصرخ الشبلي صرخة كادت روحه تتلف وقد قيل في معنى قوله تعالى اصبروا وصابروا ورابطوا

اصبر اى الله وصابروا بالله ورابطوا مع الله وقيل الصبر لله عنا والصبر بالله تقى والصبر مع الله وفا
والصبر عن الله جفا وانشد الصبر عنك فمذموم عواقبه والصبر في ساير الاشيا محمود فاما ان يكون
الصبر بالجسم عن الم الشاق على البدن كالعبادة او عن المصايب البدنية واما ان يكون الصبر بالنفس
طلبا للثواب او هربا عن العقاب عن الشهوة اى شهوة البطن وشهوة الفرج وغيرهما فعن الشهوتين
المذكورتين يقال له عفة وعن احتمال المكروه كموت الاقارب ونحوه يقال له صبر مطلقا اى وهو الفرد
الكامل في هذا الباب كما اطلق في منزل الكتاب وبشر الصابرين الاية فا تقتصر حينئذ على اسم الصبر
بلا اختلاف اسم خاص وضده اى نقيض الصبر الجزع وهو حركة الفزع والهلع بفتحتين الفحش من الجزع
كرفع الصوت بالبكا وضرب الخدود وشق الجيوب ونحوها ومنه قوله تعالى ان الانسان خلق هلوعا اذا
مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا وظاهر الاية ان الهلع ضد الجزع والمنع كليهما وفي الغنا اى
وبقال في احتمال الغنا وتحمله من البلوى ضبط النفس تحت الشرع والعقل والهدى وحفظها عن متابعة
الطبع والهوى وضده البطر بفتحتين وهو الطغيان بالنعمة ومنه قوله تعالى كلا ان الانسان ليطغى ان
راه استغنى وفي الحرب اى والصبر في مواطن الحرب يقال له شجاعة وهي قوة القلب وثباته في المقاتلة
وضده الجبن وهو ضعف القلب وخوفه عن رؤية العدو في المعركة حين المقابلة وفي كظم الغيظ اى تحمل
الغضب حلم وعفو وضده التهور وصوابه كما في الاحيا من جعل ضد شجاعة التهور فهو التي ورعما يقتضيه
العقل في الشجاعة وهو مذموم في الشريعة قال تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة فان الخلق الحسن هو
المتوسط بين طرفي الافراط والتفريط والتدمر المرتب على التهور وهو قبول الدمار وهو الهلاك
كما لتدمير ومنه قوله عز وجل تدمر كل شيء بامر ربها وفي نوايب الزمان اى حوادث الدهر وافات الدوران
فسحة الصدر وهو كناية عن كمال التحمل في الامور ويقال له شرح الصدر ومنه قوله تعالى الم نشرح لك صدرك
وضده ضجر اى ضيق الصدر ومنه قوله تعالى ولا تك في ضيق مما يمكرون قرئ بالتخفيف والتشديد والتضجر
والتبرم فانهما الفاظ مترادفة او متقاربة وفي اخفاء الامر كتمان وضده الاظهار والافشا وفي فضول
العيش زهد وهو عدم الرغبة وقلة المحبة وضده الحرص على الزيادة وفي اليسير منه الدنيا اى القليل من فضول
الدنيا قناعة وضده الشره بفتحتين وهو الحرص على طلب الكثير وورد في التنزيل انما يوفى الصابرون
اجرهم بغير حساب وقال واصبروا ان الله مع الصابرين وقال وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا
انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون وكان عمر رضي الله عنه
يقول نعم العدلان ونعم العلاوة للصابرين يعني بالعدلين الصلاة والرحمة وبالعلاوة الهدى والعلاوة
ما يحمل فوق العدلين على البعير وقد وجد في رسالة عمر بن الخطاب الى ابي موسى الاشعري عليك بالصبر واعلم
ان الصبر صبران احدهما افضل من الاخر الصبر في المصيبات حسن وافضل منه الصبر عما حرم الله وكان حبيب
بن ابي حبيب اذا قرا هذه الاية انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب بكى وقال واعجباه اعطى واثنى
اى هو المعطي للصبر وهو المثني عليه كما يشير اليه قوله تعالى واصبر وما صبرك الا بالله الايمان اى معظم خصال

فخصال الايمان هو الصبر لما عرفه وفي رواية الديلمي عن انس مرفوعا الصبر من الايمان بمنزلة الراس
من الجسد وزاد البيهقي عن علي موقوفا ولا جسد لمن لا راس له ولا ايمان لمن لا صبر له وهو اي
كون الايمان هو الصبر لدخول اكثر اخلاقه اى اخلاق الايمان من فعل الطاعة وترك المعصية وعدم
الجزع في المصيبة فيه اى في الصبر ولذلك اى لحكم الكلام معتبر وقد جمع الله سبحانه اقسامه ذلك وسمى الكل
صبرا فقال والصابرين في الباساء اى المصيبة والضراء اى الفاقة وحين الباس اي الحرب الصبر نصف
الايمان رواه ابو نعيم والخطيب من حديث ابن مسعود وللديلمي والبيهقي في الشعب عن انس الايمان
نصفان نصف صبر ونصف شكر وفي النهاية اراد بالصبر الورع لان العبادة قسمان نسك وورع
فالنسك ما امرت به الشريعة والورع ما نهت عنه انتهى والحديث مقتبس من قوله تعالى ان في ذلك لايات لكل
صبار شكور اى لكل مؤمن وفي تقديم الصبر على الشكر ايماء بان الاحتياج اليه اكثر واتم وانه افضل كما تقدم
والله اعلم وهو اي وكون الصبر نصف الايمان له اطلاقان اى الايمان على المعارف اليقينيات في
الاعتقادات والاعمال الصالحات من العبادات ولا يتم الاعمال للمجتهدين الا بثبات باعث الدين
في الهدى في مقابلة باعث الهوى فقوى الصبر نصف الايمان بهذا الاعتبار والرتبة بين النصف
الاول والثاني وفق كالاقتضاء الشرع والطبع وايضا له اطلاق اي الايمان على الاحوال من اسيلا
تلك المعارف وعلى الرضا والمحبة والانس والشوق المثمرة للاعمال على المعارف والعوارف من مقامات
الرجال وفي الاحيا ان جميع مقامات الدين ومنازل السالكين انما ينتظم من ثلاثة امور معارف
واحوال واعمال فالمعارف هي الاصول تحيي تورث الاحوال والاحوال تثمر الاعمال فالمعارف كالاشجار
والاحوال كالاغصان والاعمال كالثمار وهو اى وان لم يكن ما اصابه السالك النعم الدنيوية اما نافع
في الدنيا وان ضر كالطاعات والمباحات واما ضار فيهما كالمصايب والسيئات وفيهما اى النافع والضار
الشكر للعبد بان ضافه الى المنعم والصبر بالنسبة الى ما يضر وبهما يحصلان الاشتمال الاحوال لهما لضعفا
لشمول الاحوال باعتبار ما ذكر من الاقوال ولا بد للعبد منه اي من الصبر لابتنا العبادة عليه اى على الصبر من
الصلاة والصوم وساير اسباب السعادة في الدخول فيها اى في العبادة بقمع النفس لتكميلها وتضعف
الاتمام اى اتمام العبادة بعد الدخول فيها اشتد في دخولها في باب الارادة والتمع والاتمام انما
يتاتى بالصبر في المقام ولان الدنيا دار محنة فمن كان في الدنيا فلا بد له من الابتلا بشدايدها ومصايبها
والصبر على جميع مراتبها لتحصيل العبادة ومنافيها والجزع اشتغال عن العبادة التي هي غاية المحبة ولان
طالب الحق اشد ابتلا فورد اشد الناس بلا الانبيا ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل كما قال في مثل كما يصلي
رواه الترمذي وقال حسن صحيح وصححه ابن حبان والحاكم لكنه بدون لفظ الاوليا وقد قسم عليه السلام مرة
كان فقال بعض الاعراب من المسلمين هذه قسمة ما اريد بها وجه الله فاخبر به عليه السلام فاحمرت وجنتاه
ثم قال عليه السلام رحم الله اخي موسى قد اوذي باكثر من هذا فصبر متفق عليه من حديث ابن مسعود وقال عليه
السلام صل من قطعك واعط من حرمك واعف عمن ظلمك وقد تقدم وقال عيسى عليه السلام لقد قيل لكم من

قبل مبين في التوراة ان السن بالسن والعين بالعين وان الانف بالانف وانا اقول لكم لا تقاوموا الشر
بالشر بل من ضرب خدك الايمن فحول له خدك الايسر ومن اخذ رداءك فاعطه ازارك ومن سخرك لتسير
معه ميلا فسر معه ميلين انتهى ولا يخفى ان عيسى عليه السلام كان مظهر الجمال كما ان موسى عليه السلام
كان مظهر الجلال ونبينا عليه السلام كان مظهر الكمال المتضمن للجلال والجمال فاحكامه في نهاية
الاعتدال والله سبحانه اعلم بحقايق الاحوال وهو اي الصبر عن الحرام واجب اي فرض لازم وعن
المكروه اي كراهة تنزيه نفل بل مستحب واما عن المكروه كراهة تحريم فواجب وعن فضول المباح زيادة
فضيلة وحزم وفي الاحيا ان الصبر ينقسم ايضا باعتبار حكمه الى فرض ونفل ومكروه ومحرم فالصبر عن
المحظورات فرض وعن المكاره نفل والصبر على الاذى المحظور محظور كمن يقطع يده او يد ولده وهو يصبر الصبره
عليه ساكتا وكمن يقصد حرمه بشهوة محظورة فيهيج غيرته فيصبر عن اظهار الغيرة ويسكت على ما يجري
على اهله فهذا الصبر محرم والصبر على المكروه هو الصبر على اذى يناله بجهة مكروهة في الشرع فليكن
الشرع محك الصبر الذي هو نصف الايمان ولا ينبغي ان يتخيل الكل ان جميعه محمود بل المراد به انواع الصبر
مخصوصة ثم هو اي الصبر في النعم الدنيوية انما يحصل بترك الميل اليها ويعرف بترك ارتكاب المحرم والمكروه
في تحصيلها ورعاية حقه تعالى فيها بصرفها الى طاعته وعبادته وهو الشكر اي من وصف فلا ينفك الصبر عن الشكر
كما قيل ثم اعلم ان جميع ما يلقى العبد في هذه الحياة الدنيا لا يخلو من نوعين احدهما ما يوافق هواه والاخر
لا يوافقه بل يكرهه وهو محتاج الى الصبر في كل واحد منهما اما النوع الاول اصعبهما فانه يوافق هوى نفسه
من الصحة والسلامة والمال والجاه وكثرة العشيرة واتساع المعيشة وكثرة الاتباع والانصار وجميع ملاذ
الدنيا وما احوج العبد الى الصبر على هذه الامور فانه ان لم يضبط نفسه عن الاسترسال فيها والركون اليها
والانهماك في اللذات المباحة منها اخرجه ذلك الى البطر والطغيان وجره الى انواع من العصيان كما
قال تعالى كلا ان الانسان ليطغى ان راه استغنى وقال بعض العارفين البلاء يصبر عليه المؤمن والعافية
لا يصبر عليها الا صديق ولما فتحت اموال الدنيا على الصحابة قالوا ابتلينا بفتنة الضراء فصبرنا وابتلينا
بفتنة السراء فلم نصبر وقال عليه السلام الولد مجبنة مبخلة محزنة رواه ابو يعلى الموصلي من حديث ابي سعيد
وروى اصحاب السنن من حديث بريدة باسناد حسن انه عليه السلام لما نظر الى ابنه الحسن او الحسين يتعثر
في قميصه نزل عن المنبر فاحتضنه ثم قال صدق الله انما اموالكم واولادكم فتنة اني لما رايت ابني يتعثر لم
املك نفسي ان اخذته ففي ذلك عبرة لاولي الابصار والصبر في الطاعة اي العبادة بصون النية اي بحفظها
عن السمعة والريا في حال الابتداء والدوام اي وبصون اداء العمل عن غوائل الخلل وصراع الغفلة وداعي
الفتور في الاتمام والثواب اي وبصونه عن الافشاء لاستحقاق الثواب لانه مذكور بطريق اللف
ومعادلة مسطورة على وجه النشر حيث قال عن الريا وفي معناه السمعة وعن الكلال والكسل
اي وعن التثاقل في العصا والافشا بان يميل الى الملل ونحوهما من العجب والغرور والندامة عن الطاعة
ورؤية الحول والقوة والامن من مكر الله والاستدراج وعدم خوف الخاتمة ولعل المراد بقوله تعالى نعم اجر

اجر العاملين الذين صبروا اي على تصحيح النية وعلى تمام العمل واخلاصه عن الافات والصبر في المعصية
الشيطانية بالكراهة اي بكراهة النفس في منعها هواها والصبر في مصيبة من شانها انها تمكن
المجازاة اي يمكن فيها المكافاة بالتحمل اي الحلم والعفو بترك المكافاة اي المجازاة ولو بالمماثلة في العاقبة
فهو كمن سبه وفعل كمن ضربه ومنه قوله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم
لهو خير للصابرين وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا واصلح فاجره على الله وقد قال بعض الصحابة ما كنا
نعد ايمان الرجل ايمانا اذا لم يصبر على الاذى وقال تعالى حكاية عن الانبيا ولنصبرن على ما اذيتمونا
وقال تعالى ودع اذاهم وتوكل على الله وقال واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا وقال ولقد نعلم
انك يضيق صدرك بما يقولون وقال ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى
كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور وفي غيرها اي وفي مصيبة غير ممكن المجازاة بترك
الجزع والفزع والشكاية الى الخلق واستمرار العادة اي وباستقرارها على حالها في الطعام واللباس
والكلام مع الناس وقد قيل ان الصبر هو ان لا يعرف من صاحب المصيبة اذ لا يشبه غيره وقال داود
عليه السلام ما جزاء الحزين يصبر على المصائب ابتغاء مرضاتك قال جزاؤه ان البسه لباس الايمان
فلا انزعه عنه ابدا وقال نبينا عليه السلام من اجلال الله ومعرفة حقه ان لا تشكو وجعك ولا تذكر
مصيبتك ذكره في الاحيا وقال مخرجه لم اجده مرفوعا وانما رواه ابن ابي الدنيا من رواية سفيان عن بعض
الفقهاء قال من الصبر ان لا تحدث بمصيبتك ولا بوجعك انتهى وقد قيل من كنوز البر كتمان المصائب
والامراض والصدقة وفي الاثر ان ثواب الصبر على المصيبة اكثر مما فات فاذن مجاري الصبر ثلثة
الطاعة والمعصية والبلية من جهة الخالق او الخلائق اما التالم اي الحزن للقلب وجريان الدمع من العين
فلا ينافيه اي الصبر لعدم الدخول تحت الاختيار بل هما مستحبان لما ورد عن سيد الابرار انه بكى عند موت
ولده وقال القلب يحزن والعين تدمع وانا بفراقك يا ابراهيم لمحزونون رواه الشيخان من حديث انس والكمال
اي كمال الصبر ترك ما يشغل عنه اي عن الله تعالى في احوال الدنيا فمن غفل عن الله ولو في لحظة فليبك على تلك
اللحظة قرين الشيطان قال تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن الاية وعن الحسين بن منصور الحلاج حين
كان يصلب وقد سئل عن التصوف فقال هو قال هي نفسك ان لم تشغلها شغلتك وجاء في الاثر عن ابن
عباس الصبر على الفرايض اي اداها ثلثمائة درجة اي بالنسبة الى الصبر على اداء النوافل وعن المحارم ستمائة
لانه صعب على النفس فان في فعل الطاعة نوعا من اللذة زيادة على لذة ترك المعصية وفي المصيبة عند
الصدمة الاولى اي فورتها وشدتها وحدتها تسعمائة لانه اقوى واشق على النفس قال ابن ابي الدنيا
في كتاب محاسبة النفس عن عمر بن عبد العزيز افضل الاعمال ما اكرهت عليه النفوس والحديث الذي
في المتن رواه ابن ابي الدنيا في الصبر وابو الشيخ في الثواب عن علي مرفوعا بلفظ الصبر ثلثة فصبر على
المصيبة وصبر على الطاعة وصبر عن المعصية فمن صبر على المصيبة حتى يردها بحسن عزائها كتب الله له ثلثمائة درجة
ما بين الدرجتين كما بين تخوم الارض الى منتهى الارضين ومن صبر عن المعصية كتب الله له تسعمائة

ودرجة ما بين الدرجتين كما بين تخوم الارضين الى منتهى العرش فالحديث يدل على ان الصبر عن المعصية
افضل الانواع ويؤيده ما سبق من اثر عمر رضي الله عنه حيث قال الصبر على المصيبة حسن وافضل منه
الصبر عما حرم الله واما الصبر عند الصدمة الاولى فلحديث رواه البزار وابو يعلى عن ابي هريرة مرفوعا
وفي رواية البزار عن ابن عباس الصبر عند اول صدمة وفي رواية البخاري في تاريخه عن انس الصابر
الصابر عند الصدمة الاولى والطريق في تحصيل الصبر بعد التوفيق ثلاثة منها تضعيف باعث
الهوى اي تقليله بالرياضة الكثيرة بان يقوي داعي الهدى ويقهر داعي الهوى فلا يبقى لها قوة
المنازعة في الامتناع عن الطاعة بحسب الاستطاعة وعند هذا الحال من صبر ظفر والواصلون الى هذه
الرتبة هم الاقلون فلا جرم هم الصديقون والمقربون الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فهادوا الى
نحو الطريق المستقيم واستووا على الصراط القويم واما من يغلب عليه دواعي الهوى ويضعف عنده بواعث
الهدى فهاولاء هم الغافلون وهم الاكثرون وهم الذين استرقتهم شهوتهم وغلبت عليهم
شقوتهم وهم الذين اشتروا الحياة الدنيا بالاخرة فخسرت صفقتهم وما ربحت تجارتهم وهذه الحالة
علامتها اليأس والقنوط والغرور بالاماني وهي غاية الحمق كما قال عليه السلام الكيس من دان نفسه
وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله تعالى وفي رواية والعاجز بدل الاحمق كما
رواه احمد والترمذي وابن ماجه والحاكم عن شداد بن اوس ومعنى دان نفسه حاسبها قاله الترمذي
وغيره من العلماء واما من يغلب عليه باعث الهدى تارة وداعي الهوى اخرى فهذا من المجاهدين الذين
فيكون منهم واخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا واخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم ان الله غفور
رحيم واما الراكنون للملاهي فيشبهون بالانعام حيث قال تعالى ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل
فسوف يعلمون وقال بعض الشعراء دع المكارم لا ترحل لبغيتها ۞ واقعد فانك انت الطاعم الكاسي
وقد قال تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل اذ البهيمة لم يخلق لها المعرفة والقدرة التي بها يجاهد مقتضى
الشهوة وهذا قد خلق له وعطله فهو الناقص حقا والمدبر يقينا وصدقا ولذا قيل
ولم ار في عيوب الناس عيبا ۞ كنقص القادرين على التمام ۞ وهو مقتبس من قوله عليه السلام اشد الناس
حسرة يوم القيامة رجل امكنه طلب العلم في الدنيا فلم يطلبه ورجل علم علما فانتفع به دونه رواه ابن عساكر
واما من علم وعمل وعلم فيدعى في الملكوت عظيما كما قاله عيسى عليه السلام ومنها ذكر قلة قدر المشقة
في مخالفة النفس حال الحياة لان شدائد الدنيا واهوالها اسهل بالنسبة الى شدائد الاخرة واهوالها
ووقتها اي وذكر قلة وقت المشقة كما يشير اليه قوله تعالى كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا ساعة من نهار ولذا
قيل الدنيا ساعة فاجعلها طاعة واضرار الجزع اي وذكر اضرار الجزع والفزع من غير حصول الدفع
والنفع ومنها تقوية باعث الدين بذكر فضائل المجاهدين الواردة في الكتاب والسنة في حق المجاهدين والمجتهد ين
من قوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقوله فضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما
درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما وقوله عليه السلام المجاهد من جاهد هواه رواه النسائي

الثاني ورجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر وقد تقدم ثم ان كان الصبر والتحمل في الثبات
والتحمل حاصلا بتعب قوي اي شديد وجهد جهيد فتصبر اي فيقال له تصبر لان صاحبه متكلف
في الصبر كما يقال تزاهد ومتزهد وتصوف ومتصوف وان كان اي ما ذكر واقعا بيسر اي بتعب سهل وغير
عسير فصبر اي فيخص باسم الصبر فاذا دام التقوى وقوي التصديق بما في العاقبة من الحسنى تيسر الصبر
بالوجه الاتم كما قال تعالى فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وان كان الصبر
دون جهد اي من غير تعب فرضا اي فهو رضا بما فعل المولى وورد اعبد الله على الرضا فان الرضا
بالقضاء باب الله الاعظم فان لم تستطع على عبادته في مقام الرضا من غير جهد البلاء ففي الصبر
على ما تكره لمقتضى البشرية خير كثير في امور الدنيوية والاخروية فاعتمد على الصبر فان ما لا يدرك كله
لا يترك كله والحديث رواه الترمذي من حديث ابن عباس وقال ابو سليمان والله ما نصبر على ما نحب
فكيف نصبر على ما نكره وان كان الصبر على البلاء بتلذذ كتلذذ النعم فشكر اي فهو شكر ينشأ عن كمال
المحبة والصدق وغاية الرضا عن الحق فقد قال بعض العارفين اهل الصبر على ثلاث مقامات الاولى
ترك الشكوى وهذه درجة التائبين الثانية الرضا بالمقدور وهذه درجة الزاهدين والثالثة المحبة
لما يصنع به مولاه وهذه درجة الصديقين وهو اي التلذذ بالبلاء انما يكون بسبب اشتغاله بالغيبة
عن حظوظ النفس ولذات الهوى والشهود اي وبالحضور معه تعالى تكميلا وتفكرا كما ورد عنه عليه
السلام انه قال اني ابيت عند ربي اي حاضر لديه كالواقف بين يديه يطعمني هواي ان عنه
ويسقيني اي يغنيني عن الطعام والشراب ويقويني بدلهما بما يلتذ به الاحباب فلم اجد الم الجوع
والعطش لغنا حظوظ نفسي وشهود قلبي مع ربي فبهذا المعنى يصلح ان يكون استينافا علة لمنع الاصحاب
عن الوصال بدون ارتكاب الاسباب واما ما قيل من ان المعنى يطعمني ويسقيني من طعام الجنة وشرابها
فلا يصلح ان يكون علة لمنعهم كما لا يخفى على اولي الالباب وعدم التمييز اي وبعدم الفرق بين الالم
واللذة الطبيعيين ولقد قال بعض المحبين فليس لي في سواك حظ ۞ فكيف ما شئت فاختبرني ۞ لكن لما
كان في هذه اشارة الى الدعوى ابتلي بنوع من البلوى كما في حادثة ما ابالي على اي الحالين
اي المقامين وقعت اي سقطت وثبت على غنا او فقر وكذا صحة او مرض وكذا وصل او هجر وقيل الفقر
بلاء ومحنة والغنا نعمة ومنة وكل ذلك قادح في كمال الرضا والمحبة بل ينبغي ان يفوض التدبير الى الله ويسلم
الامر الى صاحبه وسيده ويقول ما قال عمر رضي الله عنه لا ابالي اصبحت غنيا او فقيرا فاني لا ادري ايهما
خير لي وفيه اشارة الى قوله تعالى ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا والى
الحديث القدسي ان من عبادي من لا يصلحه الا الفقر ومنهم من لا يصلحه الا الغنا الحديث وقد قال عز
وجل عسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون ن
فالتسليم اسلم والله اعلم والى على اي اعلى مراتب الصبر من التلذذ بالبلاء الذي هو الشكر بالنسبة الى
عدم التمييز بين النفع والضر والحلو والمر والاختيار الا لمن في موافقته تعالى حيث جعله مختارا والا لتلذذ

لكمال اهل الشكر التمييز م

بأي باللم نعهد ان ولي فورد عنه عليه السلام انه لما خير بين الدنيا وتركها بان يكون ملكا
نبيا او عبدا نبيا فقال ارضى ان اكون عبدا نبيا وفي رواية زيادة اجوع يوما واشبع
يوما فاشكر ليفوز بالمقامين ويجمع بين الامرين لانه كان في غاية من الكمال فاخذ ما يقتضيه
الجمال ويشيد عليه الجلال ورجاني الخبر ياي يا قوم حبذا المكروهان اي نعم المكروهان في طبع الانسان ن
وهما سببا مزيد الحسنات الموت على الايمان والفقر المقرون برضا الرحمن رواه ابن ابي الدنيا
وغيره واخرج احمد وسعيد بن منصور في سننه بسند صحيح عن محمود بن لبيد ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال اثنان يكرههما ابن ادم يكره الموت والموت خير له من الفتنة ويكره قلة المال وقلة المال اقل للحساب
ثم الرضا ترك الاعتراض بالقلب في جميع انواع القضا فلا يقول لحادث لو لم يحدث لكان اولى او لو
حدث شيء غير هذا الموضع كان احسن واتم اذ ليس في الامكان ابدع مما كان كما في الاحياء واعترض ص
عليه من لم يفهم معناه من العلماء وقيل ترك السخط اي الكراهة وهو ضد الرضا والرضا غاية الغايات
ونهاية النهايات ففي الحديث ان الله يتجلى للمؤمنين فيقول سلوني فيقولون رضاك ويؤيد قوله
تعالى ورضوان من الله اكبر اي من النعيم الذي هم فيه فهذا افضل رضا الله وهو ثمرة رضا العبد كما
يشير اليه قوله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه اخر وان لابد للعبد منه اي من الرضا عن الله تعالى ان يعطيه
ارثي للفراغ اي فراغ الخاطر للعبادة وقد ورد نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ
والتخلي اي والتخلي فطاعن هموم الدنيا بالقلب والتعب عن عموم النصب بالبدن والقالب
فيها اي في الدنيا وقد ورد من جعل الهموم هما واحدا هم الاخرة كفاه الله هم الدنيا وان خرى وغضبه
اي والتي مما عن غضبه تعالى فورد في الحديث القدسي والكلام الانسي من لم يرض بقضائي واحكام
ارض وسماي ولم يصبر على بلائي اي ابتلائي في سرائي وضرائي وفي رواية زيادة ولم يشكر على نعمائي فليطلب
ربا سوائي اي غيري من اعدائي وروي انه عليه السلام سال طائفة من اصحابه الكرام فقال
ما انتم فقالوا مومنون فقال ما علامة ايمانكم قالوا نصبر على البلاء ونشكر عند الرخاء ونرضى بمواقع القضا
فقال مومنون ورب الكعبة وفي لفظ اخر انه قال حكماء علماء كادوا من فقههم ان يكونوا انبياء وفي
مناجاة موسى عليه السلام قال يا رب اي خلقك احب اليك قال من اذا اخذت اخذت عنه محبوبه
سالمني قال فاي خلقك انت ساخط عليه قال من يستخيرني في الامر فاذا قضيته له سخط قضائي
وفي الخبر قدرت المقادير ودبرت التدابير من رضي فله الرضا مني حتى يرضاني ومن سخط فله السخط مني
حتى يلقاني وفي الخبر المشهور يقول الله تعالى خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقته للخير واجريت الخير على
يديه وويل لمن خلقته للشر واجريت الشر على يديه وويل ثم ويل لمن قال لم وكيف وفي الاخبار
السالفة ان نبيا من الانبيا شكا الى الله تعالى الجوع والفقر والقمل عشرين سنة فما اجيب الى ما اراد
ثم اوحى الله اليه كم تشكوا هكذا كان بدوك عندي في ام الكتاب قبل ان اخلق السموات والارض
وهكذا سبق لك مني وهكذا قضيت عليك قبل ان اخلق الدنيا افتريد ان اعيد خلق الدنيا من اجلك

وجبلك ام تريد ان ابدل ما قدرت عليك فيكون ما تحب فوق ما احب ويكون ما تريد فوق ما اريد
وعزتي وجلالي لئن تلجلج هذا في صدرك مرة اخرى لامحونك من ديوان النبوة ويروى ان الله
تعالى اوحى الى داود عليه السلام يا داود تريد واريد وانما يكون ما اريد فان سلمت لما اريد كفيتك
ما تريد وان لم تسلم لما اريد اتعبتك فيما تريد ثم لا يكون الا ما اريد وبعده ونشر قال في الجامع الصغير
زيد النفس ان تلقى منا مالا ورآني الله الا ما يريد وتحصيل رضوانه اي وتحصيل رضا الله عنه او بالعكس
فورد في التنزيل رضي الله عنهم ورضوا عنه فقيل مقدم رضا العبد عن الله رضا الله عنه او بالعكس وهو
الاولى لذكر رضا الله في المرتبة الاولى ولسبق رضاه في الازل الا على وقد سئل الفضيل عن الصبر فقال هو
الرضا بقضاء الله قيل وكيف ذلك قال الراضي لا يتمنى فوق منزلته ومن ال داود وسليمان عليهما السلام
يستدل على تقوى المؤمن بثلاث حسن التوكل فيما لم ينل وحسن الرضا فيما قد نال وحسن الصبر فيما قد فات
وروي عن بعضهم قال مررت على سالم مولى ابي حذيفة في القتلى وبه رمق فقلت له اسقيك ماء فقال
جرني قليلا الى العدو واجعل الماء في الترس فاني صائم فان عشت الى الليل شربته وفي الخبر طوبى لمن
هدي للاسلام وكان رزقه كفافا ورضي به وفي خبر اخر من رضي من الله بالقليل من الرزق رضي الله منه
بالقليل من العمل وللترمذي من سعادة ابن ادم رضاه بما قسم الله وفي خبر اخر ارض بما قسم الله لك تكن
اغنى الناس وفي اخبار موسى عليه السلام ان بني اسرائيل قالوا له سل لنا ربك امرا اذا نحن فعلناه
يرضى به عنا فقال موسى الهي قد سمعت ما قالوا فقال يا موسى قل لهم يرضون عني حتى ارضى عنهم ويشهد
لهذا ما روي عن نبينا صلى الله عليه وسلم انه قال من احب ان يعلم ما له عند الله فلينظر ما لله عز وجل عنده
فان الله ينزل العبد منه حيث انزله العبد من نفسه وفي اخبار داود عليه السلام ما لاوليائي والهم بالدنيا
ان الهم بالدنيا يذهب حلاوة مناجاتي من قلوبهم يا داود ان محبتي من اوليائي ان يكونوا
روحانيين لا يغتمون وروي ان موسى عليه السلام قال يا رب دلني على امر فيه رضاك حتى اعمله فاوحى
الله اليه ان رضاي في كرهك وانت لا تصبر على ما تكره قال يا رب دلني عليه فقال ان رضاي في رضاك
بقضائي وعن عمر بن عبد العزيز ما بقي لي سرور الا في مواقع القدر وقيل له ما تشتهي قال ما يقضي الله
تعالى والسبب لرضا العبد بما يفعل الرب شيئان احدهما ادهاش غلبة الحب اي اعماؤها واغفالها عن
الاحساس بالالم في المحن والاهوال كما للعاشق بالدنيا والحريص في جمع المال والاموال وكان سهل
به علة يعالج غيره منها ولا يعالج نفسه فقيل له في ذلك فقال يا دوست ضرب الحبيب لا يوجع وقال
الجنيد سالت سريا السقطي هل يجد المحب الم البلاء قال لا قلت وان ضرب بالسيف قال نعم وان ضرب
بالسيف سبعين ضربة على ضربة وقال بعضهم احببت كل شيء تحبه حتى لو احب النار احببت دخولها وقال
بشر ابن الحارث مررت برجل وقد ضرب الف سوط في شرقية بغداد ولم يتكلم ثم حمل الى الحبس فتبعته فقلت
له لم ضربت فقال لاني عاشق فقلت ولم سكت فقال لان معشوقي كان بحذائي ينظر الي قلت ولو نظرت
الى المعشوق الاكبر فزعق زعقة وخر ميتا وقال يحيى بن معاذ الرازي اذا نظر اهل الجنة الى الله سبحانه

ذهبت عيونهم في قلوبهم من لذة النظر الى الله تعالى ثمانمائة سنة لا يرجع اليهم فما ظنك بقلوب وقعت بين جلاله له
وجماله اذا لاحظوا جلاله هابوا واذا لاحظوا جماله تاهوا وقال بشر قصدت عبادان في بدايتي
فاذا انا برجل اعمى مجذوم مجنون قد صرع والنمل يأكل لحمه فرفعت راسه فوضعته في حجري فلما افاق
قال من هذا الفضولي الذي دخل بيني وبين ربي لو قطعني اربا اربا ما ازددت له الا حبا قال بشر فما
رايت بعد ذلك نقمة بين عبد وبين ربه فانكرتها ويروى ان يونس عليه السلام قال لجبريل عليه
السلام دلني على اعبد اهل الارض فدله على رجل قد قطع الجذام يديه ورجليه وذهب سمعه وبصره
وهو يقول الهي متعتني بهما ما شئت وسلبتني ما شئت وابقيت لي فيك الامل يا بر يا وصول ويروى
ان عيسى عليه السلام مر برجل اعمى ابرص مقعد مضروب الجنبين بفالج وقد تناثر لحمه من الجذام
وهو يقول الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به كثيرا من خلقه فقال عليه السلام يا هذا اي شيء من البلاء
اراه مصروفا عنك فقال يا روح الله انا خير ممن لم يجعل الله في قلبه ما جعل في قلبي من معرفته فقال صدقت
هات يدك فناوله يده فاذا هو احسن الناس وجها وافضلهم هيئة وقد اذهب الله عنه ما كان به وصحب
عيسى وتعبد معه وقطع عروة ابن الزبير رجله من ركبته من الاكلة خرجت بها ثم قال الحمد لله الذي
اخذ مني واحدا وابقى واحدا لئن كنت اخذت لقد ابقيت ولئن كنت ابليت لقد عافيت ثم لم يدع
ورده تلك الليلة وقال ابو سليمان الداراني قد نلت من كل مقام حالا الا الرضا فما لي منه الا مشام
الريح ومع ذلك لو ادخل الخلائق كلهم الجنة وادخلني النار كنت راضيا ولما قدم سعد بن ابي
وقاص مكة وكان قد كف بصره جاء الناس يهرعون اليه كل واحد يسأله ان يدعو له فيدعو لهذا
ولهذا وكان مجاب الدعوة قال عبد الله بن السائب فاتيته وانا غلام فتعرفت اليه فعرفني وقال
انت قارئ اهل مكة قلت نعم وذكر قصة قال في اخرها فقلت له يا عم انت تدعو للناس فلو دعوت
لنفسك فرد الله عليك بصرك فتبسم وقال يا بني قضاء الله عندي احسن من بصري وقال بعض السلف
لو قرض جسمي بالمقاريض لكان احب الي من ان اقول لشيء قضاه الله ليته لم يقضه والعلم اي
وثانيهما المعرفة بثبات جزالة الثواب اي عظمته وكثرته يوم الحساب فقد قال تعالى انما يوفى الصابرون
اجرهم بغير حساب وقد ينال الجزاء في الدنيا ايضا قبل العقبى كما روي عن الرميصاء ام سليم انها
قالت توفي ابن لي وكان زوجي ابو طلحة غائبا فقمت فسجيته في ناحية البيت فقدم ابو طلحة
فقمت فهيات له افطاره فجعل ياكل فقال كيف الصبي فقلت في احسن حال بحمد الله ومنه فانه لم يكن منذ
اشتكى اسكن منه الليلة ثم تصنعت له احسن ما كنت اتصنع من قبل ذلك حتى اصاب مني حاجته ثم قلت
الا تعجب من جيراننا فقال وما لهم فقلت اعيروا عارية فلما طلبت منهم واسترجعت جزعوا فقال بئس
ما صنعوا فقلت هذا ابنك كان عارية من الله تعالى فان الله قبضه اليه فحمد الله واثنى عليه واسترجع ثم غدا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال عليه السلام اللهم بارك لهما في ليلتهما قال الراوي فلقد
رايت لهم بعد ذلك في المسجد سبعة كلهم قد قرؤوا القران رواه الطبراني في الكبير من طريق ابي نعيم في الحلية

الحلية والنصف في الصحيحين من حديث انس مع اختلاف والنسائي في الكبرى باسناد صحيح من
حديث جابر دخلت الجنة فاذا انا بالرميصاء امراة ابي طلحة وقد روي ان امراة فتح الموصلي عثرت
فانقطع ظفرها فضحكت فقيل لها اما تجدين الوجع فقالت ان لذة ثوابه ازالت عن قلبي حرارة
وجعه وعذابه وقد ورد في الترمذي وغيره حديث هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت
وقال شقيق من يرى ثواب الشدة لا يشتهي المخرج منها ولله در القائل
ان كان سركم ما قال حاسدنا فما لجرح اذا ارضاكم الم كما للمريض والتاجر المتحملين شدة الحجا المسافر
مة للصحة والسفر اي ومحنته طمعا للزيادة وبان له تعالى في كل صنع حكمة كما قال تعالى صنع الله الذي
اتقن كل شيء وقال صبغة الله ومن احسن من الله صبغة بل حكما كثيرة يتعجب العقل الكامل عن السر اي سر
تلك الحكمة في تلك الصنعة وما يترتب عليها من الحكم كما في قضية موسى والخضر عليهما السلام وما وقع
بينهما من الملام والكلام من تحقيق المقام وتدقيق المرام ولا يرد التناقض بينه اي بين الرضا
بالقضا فقد ورد في الدعاء اللهم اسالك الرضا بالقضا وبين بغض المعصية الواقعة بحكم القضاء لان
الرضا انما هو بالقضا الذي هو فعل الرب وخلقه والمعصية معصية على العبد صادر عن فعله وكسبه
ولو كان بتقدير الرب وحكمه ولان قضاء الشر ليس بشر انما الشر هو المقضي فلا يكون الرضا بالشر
وبهذا يتحقق معنى والخير كله بيديك والشر ليس اليك ولان الرضا بالقضا من حيث انه مقتضى ان يبا في
ايضا البغض للمعصية من حيث انه معصية فالحيثية مختلفة نظير الامور المختلفة كلها في خلقه كالولد اذا كانت
العاق يحب من حيثية الولدية ويبغض من جهة العقوق فيه وهو اي الرضا بالقضا لا يوجب ترك
الاسباب اي اسباب البقا ورفع الاوصاب وتحقيقه اي تحقيق ترك الاسباب يأتي في التوكل
الموضوع لهذا الباب ولا الدعا اي ولا يوجب الرضا ترك الدعا لقوله تعالى ويدعوننا رغبا
ورهبا وثبت انواع من الدعا عن سيد الانبيا مع انه في اعلى مقامات الرضا بشرط الصلاح
نكتة ولو لم يشترطه لساغ نورو اللهم زدنا في اللبن اللهم ارزقنا خيرا منه في غيره والحديث رواه الترمذي
والشمائل عن ابن عباس انه عليه السلام قال من اطعمه الله طعاما فليقل اللهم بارك لنا فيه واطعمنا
خيرا منه ومن سقاه الله لبنا فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه قال وقال عليه السلام ليس شيء يجزي
مكان الطعام والشراب غير اللبن هذا وقد قال ميمون بن مهران من لم يرض بالقضا فليس لحمقه
دوا وقال الفضيل ان لم تصبر على تقدير الله فلم تصبر على تقدير نفسك وقال عبد العزيز بن ابي داود
ليس الشان في اكل خبز الشعير والخل ولا في لبس الصوف والشعر ولكن الشان في الرضا بالقضا
والقدر وقال عبد الله بن مسعود لان الحس جمرة احرقت ما احرقت وابقت ما ابقت احب الي من
ان اقول لشيء كان ليته لم يكن او لشيء لم يكن ليته كان ونظر رجل الى قرحة في رجل محمد بن واسع فقال
اني لارحمك من هذه القرحة فقال اني لاشكرها منذ خرجت اذ لم تخرج في عيني وقال الثوري يوما
عند رابعة العدوية اللهم ارض عنا فقالت اما تستحيي من الله ان تساله الرضا وانت عنه غير راض فقال

استغفر الله فقال جعفر بن سليمان متى يكون العبد راضيا عن الله قالت اذا كان سروره بالمصيبة
مثل سروره بالنعمة وعن الفضيل اذا استوى عنده المنع والعطا فقد رضي عن الله تعالى وعن احمد
بن ابي الحواري قال ابو سليمان الداراني ان الله من كرمه قد رضي من عبيده بما رضي به العبيد من مواليهم
قلت كيف ذلك قال اليس مراد العبد من الخلق ان يرضى عنه مولاه قلت نعم قال فان محبة الله من
عبيده ان يرضوا عنه وقال بعض السلف من حسن الرضا بالقضا ان لا يقول هذا يوم حار او بارد
في معرض الشكاية وقول القايل الفقر بلا ومحنة والعيال الهم وتعب والاحتراف كد ومشقة كل ذلك
قادح في كمال الرضا بالقضا فعن عمر رضي الله عنه لا ان اصبح غنيا او فقيرا ما ابالي لا ادري ايهما خير لي
وعن ابن مسعود انه قال الفقر والغنا مطيتان لا ابالي ايهما اركب ان كان الفقر ففيه الصبر وان
كان الغنا ففيه البذل وانما لم يقل ففيه الشكر ايما الى ان الفقر افضل من الغنا واشارة الى ان الغنا
من غير البذل مذموم عند اهل الفضل والعدل بهذا وقد اختلف العلماء في الافضل على مقامات
ثلث ثم رجل يحب الموت شوقا الى الله تعالى ورجل يحب البقا لخدمة المولى ورجل قال لا اختار شيا
وارضى بما يختار الله لي ورفعت هذه المسئلة الى بعض العارفين فقال صاحب الرضا افضل لانه
اقلهم فضولا واجتمع ذات يوم وهيب بن الورد وسفيان الثوري ويوسف بن اسباط فقال سفيان
الثوري كنت اكره موت الفجاة قبل اليوم واليوم وددت اني مت فقال له يوسف لم قال لما اتخوف من
الفتنة فقال يوسف لكني لا اكره طول البقا فقال سفيان لم قال لعلي اصادف يوما اتوب فيه واعمل
صالحا فقال لوهيب اي شي تقول قال انا لا اختار شيا احب ذلك الى الله احب الي فقبل الثوري
بين عينيه فقال روحانية ورب الكعبة ويوقن الدعا الماثور اللهم احيني ما كانت الحياة خيرا لي وتوفني فني
اذا كانت الوفاة خيرا لي واجعل الحياة زيادة لي في كل خير واجعل الموت راحة لي من كل شر ثم الشكر
مجمع ثلثة اشيا عرفان النعمة من المنعم وبهذا علم لقصور عن اعتقاد ان كل ما في العالم موجود بخلق
الله مشهود كما قال تعالى وما بكم من نعمة فمن الله وفي دعائه عليه السلام اللهم ما اصبح بي من نعمة او باحد
من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر والفرح به اي بالمنعم الحي صار بانعامه
لا بنفس النعمة من حيث ذاتها الا دنى بل من حيث انها وسيلة الى القرب من المولى والنظر الى وجهه
الا على فهذا اعلى مراتبه العلية وعلامته ان لا يفرح من الدنيا الا بما هو مزرعة الاخرة ويحزن
بكل نعمة تلهيه عن طريق الهدى وبهذا اخلال واستعمالها اي صرف النعمة في طاعته اي طاعة دون
معصية للمنعم وبهذا عمل وقال الشبلي الشكر روية المنعم لا روية النعمة وقال الجنيد الشكر ان لا ترى
نفسك اهلا للنعمة وقال الخواص شكر العامة على المطعم والملبس وشكر الخاصة على واردات القلوب
ولكل رتبة لا يدركها كافة الحضرات عند اللذات في البطن والفرج وسائر الشهوات ومدركات
الحواس الالوان والاصوات ويخلو عن لذة القلب وما يرد عليها من الواردات فان القلب
السليم لا يلتذ في حالة من الصحة النعيم الا بذكر الله ومعرفته من حيث الذات والصفات وانما يلتذ

يلتذ بغيره اذا امرض بسوء العادات كما يلتذ بعض الناس باكل الطين ويختار على السكنجبين
وكما يستبشع بعض المرضى الاشيا الحلوة وينبغي الاشيا المرة حتى قيل ومن يك ذا فم مر مريض
يجد مرا به الماء الزلالا ومن لابد للعبد منه اي من الشكر لاستدامة النعمة اي لطلب دوام النعمة
وبقائها فورد في التنزيل وكفرت صوابه فكفرت كما في نسخة وصدر الاية وضرب الله مثلا
قرية اي حكمة كانت امنة مطمئنة ياتيها رزقها رغدا اي واسعا من كل مكان فكفرت اي اهلها
بانعم الله اي بتكذيب رسوله فاذاقها الله لباس الجوع اي القحط سبع سنين والخوف اي الرعب
من المسلمين بما كانوا يصنعون وان اي وورد في الحديث ان النعم اوابد اي وحشيات متنفرات
كذا كصيود شوارد فقيدوها بالشكر رواه وقد قيل الشكر قيد النعمة الموجودة وصيد المنحة المفقودة كما
يشير اليه قوله واستزادتها اي ولطلب زيادة النعمة فورد في التنزيل لئن شكرتم لازيدنكم
وتمامه ولئن كفرتم ان عذابي لشديد والذين اهتدوا بالايمان وترك الكفر زاد الشكر زادهم
و بر هدى اي هداية على هدايتهم وعناية على رعايتهم ثم اعلم ان لكل عضو من القلب واللسان وسائر
الجوارح والاركان شكرا يليق به من عمل الطاعة وترك المعصية واعظمها شكر الجنان والظهرها
شكر الجنان اللسان وقد قال عليه السلام لرجل كيف اصبحت فقال بخير فاعاد عليه السلام السوال
حتى قال في الثالثة بخير احمد الله واشكره فقال عليه السلام هو الذي اردت منك رواه الطبراني
في الدعا من رواية الفضل بن عمر مرفوعا وهذا معضل وفي المعجم الكبير من حديث عبد الله بن عمر
وليس فيه تكرار السوال فقال الحمد لله انك وكان السلف يتساءلون وبينتهم استخراج الشكر لله
ليكون الشاكر لله مطيعا والمستنطق له به مطيعا فكم عبد يسال عن حاله فهو بين ان يشكر
الشكوى وبين ان يشكو وبين ان يسكت فالشكر طاعة صحيحة والشكوى معصية قبيحة وكيف لا يستحيي من
المولى وهو ملك الملوك وبيده كل شي الى عبد مملوك لا يقدر على شي فالاحرى بالعبد ان لم يصبر
على البلوى وغلبه الضعف ان الشكوى ان يكون شكواه الى المولى فهو المبتلي وهو القادر
على ازالة البلا وذل العبد لمولاه عز والشكوى الى غيره ذل واظهار الذل للعبد مع كونه عبدا
مثله ذل قبيح قال الله تعالى ان الذين يعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند
الله الرزق واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون وقد روي ان وفدا قدموا على عمر بن عبد العزيز
فقام شاب ليتكلم فقال عمر الكبر الكبر فقال يا امير المومنين لو كان الامر بالسن لكان في المسلمين
من هو اكبر منك فقال تكلم فقال لسنا وفد الرغبة ولا وفد الرهبة اما الرغبة فقد اوصلها الينا فضلك
واما الرهبة فقد امننا منها عدلك وانما نحن وفد الشكر جئناك نشكرك باللسان وننصرف وانصرف وهذا
ما يدل على تحقيق وجوب الشكر على العبد من جهة العقل مع قطع النظر عن النقل مثاله هو ان
يقال اذا ارسل ملك عظيم فرسا وثوبا وزادا الى عبد بعيد عن قربه ليجئ اليه راكبا لابسا منفقا مستعمل
عليه وينال حظ القربة اي ويلتقي حظ قرب الملك لديه مع استغنا الملك عنه وكمال احتياج العبد منه فاستعمل

العرس والزاد في البعد عنه اي عن حكمه وفي سفر الى الغيبة قربه او اهمل امره ونسي قدره وجلس
في محله ولم يستعمل الذي قربه ولا في بعد او تمكن اي اوانه اقدر عبدا على بساط القرب وامكنه
منه ان انبساط في نشاط عدم الكربة فاشتغل العبد عن خدمته اي خدمة الملك وعن الاتيان
الى حضرته ملتفتا الى خسيس في حرفته من دباغ وكناس وسائس دابة ونحو ذلك اي يطلب
العبد عن ذلك الخسيس كسرة رغيف باظهار رقته وحرفته في حضرة الملك وصحبته فلا شك
ان كل منهما يستحق المقت اي كمال الغضب ويقتضي سلب النعمة وجلب النقمة وادامة العقوبة والطرد
عن الخدمة والبعد عن الحضرة وتوضيح في الايضاح ان الانبياء عليهم السلام بعثوا لدعوة
الخلق الى كمال توحيد الخالق ولكن بينهم وبين الوصول اليه مسافة بعيدة وعقبات شديدة
وانما الشرع كله تعريف طريق سلوك تلك المسافة وقطع تلك العقبات الشاقة ويمكنك ان تفهم
بمثال وهو ان ملكا من الملوك ارسل الى عبد قد بعد عنه مركوبا وملبوسا وزادا لجل زاده
في الطريق حتى يقطع به مسافة البعد فيقرب من حضرة الملك ثم يكون له حالتان احداهما ان
يكون قصده من وصول العبد الى حضرته ان يقوم ببعض مهماته ويكون له عنايا في خدمته والثانية
ان لا يكون للملك حظ في العبد ولا حاجة به اليه بل حضوره لا يزيد في ملكه كما ان غيبته لا
تنقص من ملكه فيكون قصده من الانعام عليه بالمركوب ونحوه ان يحظى العبد بالقرب منه
في مقابلة خدمته وينال سعادة حضرته لينتفع هو في نفسه لا لينتفع الملك به وبانتفاعه فينزل
العباد من الله في المنزلة الثانية لا في المنزلة الاولى فان الاولى محال على الله والثانية غير محال
ثم اعلم ان العبد لا يكون شاكرا في الحالة الاولى بمجرد الركوب والوصول الى حضرته ما لم يقم بخدمة منه
التي اراده الملك منه واما في الحالة الثانية فلا يحتاج الى الخدمة اصلا ومع ذلك يتصور ان يكون
شاكرا او كافرا فيكون شكره بان يستعمل ما انفذه اليه مولاه فيما احب لاجله لا لاجل نفسه
وكفره ان لا يستعمل ذلك فيه بان يعطله او يستعمله فيما يزيد في بعده منه فمهما لبس العبد الثوب وركب
المركوب ولم ينفق الزاد الا في الطريق فقد شكر مولاه اذ استعمل نعمته في سبيل محبته اي فيما احبه
لعبده لا لنفسه وان ركبه واستدبر حضرته واخذ يبعد منه فقد كفر نعمته اي استعملها فيما كرهه مولاه
لعبده لا لنفسه وان جلس ولم يركب لا في طلب القرب ولا في طلب البعد فقد كفر ايضا نعمته
اذ اهملها وعطلها وان كان هذا دون ما لو بعد منه فكذا خلق الله سبحانه الخلق وهم في ابتداء
فطرتهم يحتاجون الى استعمال الشهوات لتكمل ابدانهم بها فيبعدون عن حضرته بسببها وانما سعادتهم دلهم
في القرب منه فاعد لهم من النعم ما يقدرون على استعماله في نيل درجة القرب وعن بعدهم وقربهم
عبر الله فقال لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين امنوا
وعملوا الصالحات فاذا نعم الله الات يترقى بها العبد عن اسفل سافلين خلقها الله لاجل
العبد حتى ينال بها سعادة القرب والله سبحانه وتعالى غني عنه قرب او بعد منه والعبد فيه بين ان

يستعملها في الطاعة فيكون قد شكر لموافقة محبة مولاه وبين ان يستعملها في معصية فقد كفر
لاقتحامه لما يكرهه مولاه ولا يرضاه له فان الله لا يرضى لعباده الكفر والمعصية وان عطلها
فلم يستعملها في طاعة ولا معصية فهو ايضا كفران للنعمة بالتضييع اذ كل ما خلق الله تعالى في
الدنيا انما خلق الة للعبد ليتوصل بها الى سعادة الدنيا الاخرى ونيل القرب من المولى
فكل مطيع فهو بقدر طاعته شاكر لنعمة الله في الاسباب التي استعملها وكل كسلان ترك الاستعمال ل
او عاص استعمل ذلك في طريق البعد فهو كافر جار في غير محبة الله فالمعصية والطاعة تشملهما
المشيئة ولكن لا تشملهما المحبة والكراهة بل رب مراد محبوب ومراد مكروه وورائه بيان لهذه
الدقيقة سر القدر الذي منع افشاءه صونا للحقيقة والفارق بين محبوبه تعالى ومبغوضه
عز وعلا للفعل محبوبا ومبغوضا والترك كذلك العلم بالكتاب والسنة فانهما كفتا ميزان العدالة
وان تستبصر اي بروية كما في نسخة اي وان عنيت بالتفكر فيه العقل ونظر وتامل في التفكر والتامل بط
لما يحبه الله وما يبغضه ان الوصل للعبد الى معرفته اي الله ومحبته محبوب لله فيتبع استعمال النعمة فيه
والشاغل عنه اي والمانع عما ذكر من المعرفة والمحبة مبغوض لله فيجب عدم استعمال النعمة فيه تمم النعمة
اما دنيوية كالخلقة السوية وكمال ذات الشهية من المطالبات النفسية وصرف المفاسد والمضار
البدنية بالات حسية مثل اليد والرجل حيث يدفع الضرر ويهرب منه الشر واما دينية كالتوفيق
على الطاعة والعصمة في حق الانبياء والحفظ في حق الاولياء عن المعصية مع القدرة او عدمها
فان من العصمة ان لا تقدر وهي اي النعمة الدينية اعظم قدرا من النعمة الدنيوية لا يشاكلها
اي لا تشابه النعمة الدينية الى السعادة الابدية التي لا غاية لها ولا تجاري الخلاص عن
الشقاوة السرمدية التي لا نهاية لها واشتراك الكفار مع الابرار في الدنيوية والدنيا مبغوضة
بسرعة فنائها وكثرة عنائها وخسة شركائها واغتنام الابرار زوالها اي فقد النعمة الدنيوية
خوفا من نقصان النعمة الاخروية كما قال بعض المجتهدين ورود الفاقات اعياد المريدين وطلب
الاحصاء لنعم الله وعدها توقع المحال وتمنية لعدم طاقة البشر في ذلك الحال فوردت في التنزيل وان
تعدوا اي تريدوا ان تحصوا نعمة الله لا تحصوها اي لا تطيقوا احصاءها وعدها فضلا عن القيام مطلب
بحقها من شكرها وقد قيل ان انفاس اليوم والليلة اربعة وعشرون الفا في كل نفس نعمتان ان
في حصولها باعتبار طلوعها ونزولها والطريق المفضي الى الشكر تلك المعرفة لنعمه سبحانه فان
ما من عبد الا ولو امعن النظر في احواله لراى من الله نعمة او نعما كثيرة تخصه لا يشاركه فيها جماعة
الناس بل يشاركه عدد يسير منهم ورجال يشاركه فيها احاد والتفكر في صنائعه تعالى من الانفسية
والافاقية ورصد ما منه سبحانه عليه بين البرية والنظر الى ادنى من الرتبة المعيشية والى مورد
الدنيوية فوردت من نظر في الدنيا الى من دونه في الرتبة في الجاه والمال ونظر في الدين الى من فوقه
في العلم والعمل والحال كتبه الله صابرا شاكرا بالنظر الثاني وشاكرا بالنظر الاول وفي تمام الحديث رواه

الترمذي من حديث عبد الله بن عمرو هو في الصحيحين بلفظ انظروا الى من هو اسفل منكم ولا تنظروا
الى من هو فوقكم فهو اجدر ان لا تزدروا نعمة الله عليكم اي لا تحقروها وللعسكري عن انس مرفوعا من نظر
الى ما في ايدي الناس طال حزنه ولم يشف غيظه وحكي عن بعضهم انه كان يحضر كل يوم دار المرضى والمقابر
ومواضع الحدود ليشاهد انواع بلاء الله تعالى عليهم ثم يتامل في صحته وسلامته عما ابتلوا به
فيحمد الله على ما اعطاه من نعمه فاذن كل من اعتبر حال نفسه وفتش عما خص به وجد لله تعالى على
نفسه نعما كثيرة لا سيما من خص بالسنة والايمان والعلم والقران ثم بالفراغ والصحة والامان
ولذا قيل شعر من شاء عيشا رحيبا يستطيب به ، في دينه ثم في دنياه اقبالا ،
فلينظرن الى من فوقه ورعا ، ولينظرن الى من دونه مالا ،
وقال عليه السلام من اتاه الله حفظ كتابه فظن ان احدا اوتي افضل مما اوتي فقد صغر اعظم
النعم رواه البخاري في تاريخه وقال عليه السلام ان القران هو الغنى الذي لا غنى بعده ولا
فقر معه رواه ابو يعلى والطبراني من حديث انس وعن الصديق من اوتي القران فظن ان احدا
اوتي افضل منه فقد حقر عظيما وعظم حقيرا وقال عليه السلام من لم يتغن بالقران فليس منا
اي لم يستغن وقد سبق والكل مقتبس من قوله سبحانه ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقران العظيم
لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم وقال بعض السلف يقول الله ان عبدا اغنيته عن
ثلاثة لقد اتممت عليه نعمتي عن سلطان ياتيه فيه احسان ان وطبيب يداويه وعما في يد اخيه
وعبر الشاعر عن هذا بقوله شعر اذا القوت تاتى لك والصحة والامن ، واصبحت اخا حزن فلا فارقك
الحزن ، بل افصح العبارات واملح الاشارات كلام افصح من نطق بالضاد حيث عبر عن هذا
المراد على وجه الاجمال ورشد للعباد بقوله من اصبح امنا في سربه معافى في بدنه عنده قوت يومه فكانما
حيزت له الدنيا اي جمعت والحديث تقدم قال في الاحياء ومهما تاملت الناس كلهم وجدتهم
يشكون ويتالمون من امور وراء هذه الثلاث مع انها وبال عليهم ولا يشكرون نعمة الله
في هذه الثلاث ولا يحمدون نعمة الله عليهم في الايمان الذي به وصولهم الى النعيم المقيم والملك
العظيم بل البصير ينبغي ان لا يفرح الا بالمعرفة واليقين والايمان بل نحن نعلم من العلماء من لو
سلم اليه جميع ما دخل تحت قدرة ملوك الارض من المشرق الى المغرب من اموال واتباع وانصار
وقيل له خذ هذا عوضا عن علمك بل عن عشر عشير علمك لم ياخذه وذلك لرجائه ان نعمة العلم
تفضي به الى قربه سبحانه في الاخرة بل لو قيل له لك ما ترجوه في الاخرة بكماله فخذ هذه اللذات
في الدنيا بدلا عن التذاذك بالعلم في الدنيا وفرحك به فتترك العقبى لكان لا ياخذه لعلمه بان
لذة العلم دائمة لا تنقطع وثابتة لا تسرق ولا تغصب ولا ينافس فيها ولا تتكدر وانها صافية
لا كدورة فيها ولذات الدنيا كلها ناقصة مكدرة مشوشة لا يفي مرجوها بمخوفها ولا لذاتها
بالمها ولا فرحها بغمها هكذا اجري الى الان وهكذا يكون الى اخر ما بقي من الزمان اذ ما خلقت لذات

لذات الدنيا الا لتخدع بها العقول الناقصة حتى اذا انخدعت وتقيدت بها ابت عليهم وامتنعت
عنهم واستصعبت منهم كالمراة الجميلة الظاهر ما تتزين للشاب الشبق الغني حتى اذا تعلق بها
قلبه احتجبت عنه فلا يزال معها في عناء دائم وتعب قائم وكل ذلك اغترار بلذة النظر اليها
في لحظة ولو عقل وغض البصر واستهان بتلك اللذة سلم في جميع عمره فهكذا وقع ارباب الدنيا
في شباك الدنيا وحبائلها ولا ينبغي ان تقول ان المعرض عن الدنيا متالم بالصبر عنها والمقبل عليها متالم بحفظها
وجمعها ومنعها ودفع اللصوص عنها وتالم المعرض عنها يفضي الى اللذة في الاخرة وتالم المقبل
عليها يفضي الى الالم في العاقبة فليتل المعرض عن الدنيا على نفسه قوله تعالى ان تكونوا تالمون
فانهم يالمون كما تالمون وترجون من الله ما لا يرجون فان قلت كيف يمكن الشكر لله فالعبد
يعجز عنه اي عن شكر الله الا بتوفيقه بشكره وهو اي والحال ان توفيقه بشكره نعمة تستدعي شكرا
اخر اي الى ان يتسلسل فيصير الشكر محالا قلت التحقيق لمن بلغ مقام الفناء عن نفسه والبقاء
بربه ان الشاكر الذي هو الشاكر هو المشكور وان المثني هو المثنى عليه فورد في الحديث المشهور
لا احصي ثناء عليك اي لا اطيق الحمد والشكر على نعمك انت كما اثنيت على نفسك وما احسن ان
الاعتراف بالعجز عن الشكر شكر والاعتراف بالعجز عن درك الادراك ادراك كما حقق في توحيد الذات
حيث قال تعالى ولا يحيطون به علما وليس كمثله شيء وقال علي ما خطر ببالك فالله غير ذلك وقال الملائكة
سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا ويوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا وقيل في
معنى قول بعض السلف من عرف نفسه فقد عرف ربه اي من عرف نفسه بالعجز عرف ربه بالقدرة
ومن عرف نفسه بالفناء عرف ربه بالبقاء وتوضيح السؤال والجواب ولو اوضح الا بعض الاطناب
لانه من فصل الخطاب الذي هو لب لباب هذا الباب من الكتاب عند ارباب الالباب وهو
ان جميع ما نتعاطاه باختيارنا من انواع الشكر على نعم الدنيا والاخرى هي نعمة اخرى من الله تعالى
وما لشكر الا كل اذ جوارحنا وقدرتنا وارادتنا ودواعينا وسائر امورنا التي هي اسباب سكو
وحركتنا ونفس حركتنا من خلق الله تعالى ونعمه فكيف نشكر نعمة بنعمة ولو اعطانا الملك مركوبا فقد
مركوبا اخر له وركبناه او اعطانا مركوبا اخر ثم لم يكن الثاني شكرا للاول بل كان الثاني
يحتاج الى شكر اخر كما يحتاج الاول ثم لا يمكن شكر الشكر الا بنعمة اخرى فيؤدي الى ان يكون
الشكر محالا في حق الله تعالى فبهذين الوجهين نشك في الامرين وقد ورد به الشرع
فكيف السبيل الى الجمع فاعلم ان هذا الخاطر خطر لداود وكذا لموسى عليهما السلام فقال يا رب
كيف اشكرك وانا لا استطيع ان اشكرك الا بنعمة ثانية من نعمك وفي لفظ اخر وشكري لك نعمة اخرى
منك توجب الشكر علي لك فاوحى الله تعالى اليه اذا عرفت هذا فقد شكرتني وفي خبر اخر اذا عرفت
ان النعم مني رضيت بذلك منك شكرا او التحقيق في مقام التوفيق على وجه الدقيق ان لكما نظرين
نظر بعين التوحيد المحض وبهذا النظر يعرفك قطعا انه الشاكر وانه المشكور وانه المحب والمحبوب وهذا

نظر منه عرف انه ليس في الوجود غيره وان كل شيء هالك الا وجهه ومن هنا قول لبيد الا كل شيء ما خلا
الله باطل وقول بعض ارباب الشهود سوى الله والله ما في الوجود وقول بعض الابرار ليس في
الدار غيره ديار وذلك لان الغير هو الذي يتصور ان يكون له بنفسه قوام ومثل هذا الغير
لا وجود له بل هو محال ان يوجد اذ الموجود المحقق هو القائم بنفسه وما ليس له بنفسه قوام فليس
له بنفسه وجود بل هو قائم بغيره فهو موجود بغيره فان اعتبر ذاته ولم يلتفت الى غيره لم يكن
له وجود البتة وانما الموجود هو القائم بنفسه والقائم بنفسه هو الذي اذا قدر عدم غيره
بقي موجودا فان كان مع قيامه بنفسه يقوم بوجوده وجود غيره فهو قيوم ولا قيوم الا واحد
ولا يتصور ان يكون غير ذلك فاذا نظرت في هذا المقام علمت ان الكل منه مصدرها واليه
مرجعه فهو الشاكر وهو المشكور وهو المحب وهو المحبوب ومن هنا نظر حبيب بن ابي حبيب
حيث قرأ انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب فقال واعجباه اعطى واثنى اشار الى انه اذا
اثنى على عطائه فعلى نفسه اثنى فهو المثني وهو المثنى عليه ومن هنا نظر الشيخ ابو سعيد
الميهني حيث قرئ بين يديه يحبهم ويحبونه فقال لعمري يحبهم ودعه يحبهم فبحق يحبهم لانه
انما يحب نفسه اشار به الى انه المحب وهو المحبوب وهذه رتبة عالية ومنزلة عالية لا تفهم الا
بمثال على حد عقلك فيقال ان المصنف اذا احب تصنيفه فقد احب نفسه والصانع اذا احب
صنعته فقد احب نفسه وكل ما في الوجود سوى الله فهو تصنيفه وصنعته فان احبه فما احب
الا نفسه واذا لم يحب الا نفسه فبحق احب كما احب وهذا كله نظر بعين التوحيد وتحقيق التفريد
ويعبر الصوفية عن هذه الحالة بفناء النفس اي فنا عن نفسه وعن غير الله فلم ير في الكون الا الله
وليس المعنى كما تفهمه الوجودية من العينية لبعض المعية كما بينته في رسالة المرتبة الشهودية في المنزلة
الوجودية فهو احد النظرين واما النظر الثاني فنظر من لم يبلغ الى مقام الفناء عن نفسه فظن
لنفسه وجودا مستقلا ولو عرف لعلم انه من حيث هو لا ثبات له ولا وجود له وانما وجوده من
حيث اوجده لا من حيث وجد وفرق بين الموجود وبين الموجد وليس في الوجود الا موجود واحد
وموجد فالموجود حق والموجد من حيث هو هو باطل والموجود قائم وقيوم والموجد هالك وفان
فاذا كان كل من عليها فان فلن يبقى الا وجه ربك ذو الجلال والاكرام ودرجات الموحدين متفاوتة
في مقامات المجتهدين وقد جا جميع الانبيا والمرسلين داعيا الى التوحيد المحض وترجمته قول لا
اله الا الله ومعناه ان لا يرى الا الله الواحد القهار فما لو اصلون الى كمال التوحيد هم الاقلون
والباقون وهم الاكثرون عن هذا المعنى غافلون كما قال تعالى وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم
مشركون اذ عبدوا الاوثان اذ قالوا انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى وكانوا داخلين في اوايل
التوحيد ضعفا والمتوسطون وهم الكثيرون فيهم من تنفتح بصيرته في بعض الاحوال
فيلوح لهم حقايق التوحيد ولكن كالبرق الخاطف لا يثبت ومنهم من يلوح له ذلك ويثبت زمانا ولكن

ولكن لا يدوم والدوام فيه عزيز كما قيل شعر لكل الى شأو العلى حركاته ولكن عزيز في
الرجال ثباته ولما امر عليه السلام بطلب القرب بقوله سبحانه واسجد واقترب قال في
سجوده اعوذ بعفوك من عقابك واعوذ برضاك من سخطك واعوذ بك منك لا احصي ثنا عليك
انت كما اثنيت على نفسك فقوله عليه السلام اعوذ بعفوك من عقابك كلام عن مشاهدة
فعل الله فقط وكأنه لم ير الا الله وافعاله فاستعاذ بفعله من فعله ثم اقترب ففني عن مشاهدة ة
الافعال وترقى الى مصادر الافعال وهي الصفات فقال اعوذ برضاك من سخطك ثم راى ذلك
نقصانا في التوحيد فاقترب وترقى من مقام مشاهدة الصفات الى مشاهدة الذات فقال
اعوذ بك منك فهذا فرار منه اليه من غير رؤية فعل ولا صفة ولكنه راى نفسه فارا منه اليه ومستعيذا
به ومثنيا عليه ففني عن مشاهدة نفسه اذ راى ذلك نقصانا في مقام الانس فاقترب فقال
لا احصي ثنا عليك انت كما اثنيت على نفسك فقوله لا احصي خبر عن فنا نفسه وخروجه عن مشاهدة دها
وقوله انت كما اثنيت على نفسك بيان انه هو المثني وهو المثنى عليه وان الكل منه بدا واليه يعود ولقد
كان عليه السلام لا يرتقي من مرتبة الى اخرى الا ويرى الاولى بعدا بالاضافة الى الثانية فكان
يستغفر الله تعالى من الاولى كما قال انه ليغان على قلبي في اليوم والليلة حتى استغفر الله سبعين مرة
فكان ذلك لترقيه الى سبعين مقاما بعضها فوق بعض في مقام الوحدة ومشاهدة الكثرة هذا
وما من مقبول الا وهو يقود الى الجنة بسلسل الاسباب من تسليط العلم والخوف عليه وما من
مخذول الا وهو يقود الى النار بسلسل تسليط الغفلة والغرور عليه فالمتقون يساقون الى
الجنة قهرا والمجرمون يقادون الى النار قهرا ولا قاهر الا الله الواحد القهار ولا قادر الا الملك
الجبار وهذا معنى قوله خلقت هؤلاء للجنة ولا ابالي وخلقت هؤلاء للنار ولا ابالي والخلف
في وجوبه اي الشكر في المصايب والحق الوجوب بناء على سبعة اشيا على ان لا يجب اكثر منها
اي من تلك المصيبة التي اصابته اذ مقدورات الله لا تتناهى فلو ضعفها الله وزادها ماذا كان
يردهم عما اراده وكان يقول شيخنا العالم التقي علي المتقي اذا اخذ احدهما منك فتصدق بالكل و ة
لسلامة راسك فالمصيبة المالية اهون من المصيبة البدنية وان لا تكون المصيبة في الدين فقد
قال رجل لسهل دخل اللص بيتي واخذ متاعي فقال له اشكر الله تعالى لو دخل الشيطان قلبك
وافسد التوحيد ماذا كنت تصنع وقد ورد في دعائه عليه السلام لا تجعل مصيبتنا في ديننا وقال عمر
رضي الله عنه ما ابتليت ببلاء الا كان لله علي فيه اربع نعم اذ لم يكن في ديني ولم يكن اعظم منه
واذ لم احرم الرضا واذ رجوت الثواب عليه وان معجل عقوبتها بصيغة المجهول اي عقوبة
المعصية في الدنيا ولا تدخر الى الاخرة فلعذاب الاخرة اشد وابقى اذ مصايب الدنيا يتسلى
عنها باسباب اخر يهون المصيبة فيخف وقعها ومصيبة الاخرة تدوم وان لم تدم فلا سبيل الى
تخفيفها بالتسلي اذ اسباب التسلي مقطوعة بالكلية في الاخرة عن المعذبين وايضا ما من عقوبة به

الا وكان يتصور ان يوخر الى الاخرة ومن تعجلت عقوبته في الدنيا فلا يعاقب ثانيه في
العقبى كقوله عليه السلام اذا اذنب ذنبا فاصابته شدة او بلاء في الدنيا فالله اكرم
ان يعذبه ثانيا في العقبى كذا في الاحياء وقال مخرجه رواه الترمذي وابن ماجه من حديث
علي من اصاب في الدنيا ذنبا عوقب به فالله اعدل من ان يثني عقوبته على عبده ولاحمد والطبراني
باسناد صحيح من رواية الحسن البصري عن عبد الله بن مغفل ان رجلا من الصحابة راى امراة
كان يعرفها في الجاهلية فكلمها ثم تركها فجعل الرجل يلتفت اليها وهو يمشي فصدمه حائط
فاثر في وجهه فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال عليه السلام اذا اراد الله بعبد خيرا
عجل له عقوبته في الدنيا وقال علي كرم الله وجهه الا اخبركم بارجى آية في كتاب الله قالوا بلى
فقرا عليهم «ما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير» ولله در القائل
لعمرك ما الشكر داعي زيادة «ولا عوضا كالصبر عند المصائب» ورابعها اي وان المصيبة
الماضية كانت في التقدير اتية لا بد من وصولها اليه وقد وصلت فتفرغ منها وتخلص عنها لانها
نعمة بذاتها كما يشير اليه قوله ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من
قبل ان نبراها وان ثوابها اي المصيبة خير منها اي من عدمها فما من شيء يقع للعبد الا ويتصور
ان يكون له فيه خير ودينه فعليه ان يحسن الظن بالله فيما يعطيه ويبليه فان حكمته تعالى واسعة
وهو بمصالح العباد اعلم من العباد وغدا يشكر العباد على البلاء اذا راوا ثواب البلاء
ويتمنى انه كان يعرض ابدانه في الطرا فقد روى ان رجلا قال له عليه السلام اوصني فقال لا تتهم
الله في شيء قضاه عليك رواه احمد والطبراني من حديث عبادة عجبا للمؤمن ان امره كله خير
وليس ذلك لاحد الا للمؤمن ان اصابته سراء شكر فكان خيرا له وان اصابته ضراء صبر فكان خيرا
له رواه مسلم وخامسها اي وان المصيبة تنقص من القلب حب الدنيا فلم يسكن اليها ولم يانس بها
فتغدو الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر رواه مسلم من حديث ابي هريرة فهو اي المصاب في التحقيق
نعم لاهل التوفيق يجب الشكر عليها اذ لا تخلو المصيبة عن تكفير للخطيئة ان كان من المبتدئين
او رياضة للنفس لما فيها من المحنة والبلية ان كان من المتوسطين او رفع للدرجة ان كان
من المنتهين والاخبار الواردة في الصبر على المصائب كثيرة شهيرة كقوله عليه السلام من
يرد الله به خيرا يصب منه رواه البخاري من حديث ابي هريرة ولابن ابي الدنيا من حديث ابي
سعيد الخدري ان رجلا قال يا رسول الله ذهب مالي وسقم جسدي فقال لا خير في عبد لا يذهب
ماله ولا يسقم جسده ان الله اذا احب عبدا ابتلاه واذا ابتلاه صبره ولابي داود ان الرجل
ليكون له الدرجة عند الله لا يبلغها بعمل حتى يبتلى ببلاء في جسمه فيبلغها بذلك وقراءة سورة
الواقعة مبتدا وايام العسرة ظرفه والخبر لطلب القناعة اي قناعة القلب وهو ان لا يشغله
شاغل عن حضرة الرب وهو جواب سوال مقدر تقديره انكم اوجبتم الشكر على المصيبة واثبتم انها

انها في التحقيق نعمة فقراءة السلف كل ليلة سورة الواقعة في ايام العسرة لاي معنى كانت
فاجاب بما تقدم وقد اخرج ابن عساكر في فضايل القران وابو يعلى وابن مردويه في
تفسيره والبيهقي في شعب الايمان عن ابن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول من قرا سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة واخرج ابن مردويه عن انس عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه قال سورة الواقعة سورة الغنى فاقروها وعلموها اولادكم او القدرة اي الاستعداد
على العبادة دون وسعة الدنيا لان السلف لم يكونوا محبين لوسعتها وانما قرئت السورة لما ورد
فيه اي في فضلها الاخبار والاحاديث كما سبق والا اي وان لم يحمل على ما تقدم فلا مبالاة بحمده تع
للسلف بالشدة اي بالبلاء والمحنة فهم اي السلف كانوا يتمنونها اي الشدة والبلاء اكثر مما
يتمنون الراحة والنعماء واما نداء ايوب عليه السلام ربه اني مسني الضر فلبيان الشكر والاظهار
على نعمة الصبر لقوله تع واما بنعمة ربك فحدث وجزيل جزائه اي على عظيم جزاء الصبر وعطائه لقرينة
وانت ارحم الراحمين وذلك لان الله تع سلط بعض بلائه على خاصة عباده ومحل صحة احبائه
فهو فضل من الله ومن حمد عطائه فشكر عليه وتبجح لديه واثنى اليه بقوله مسني الضر الذي تخفى ابتلائك
واوليائك بل التحقق مني بالتكرم منك فانك ارحم الراحمين او لبلوغ المرض الى العقل اي القلب
واللسان المفوت ذكر المرض للمعرفة بالجنان والذكر باللسان او العجز عن اقامة الصلاة بتمام اركانه
او لانقطاع الوحي اربعين يوما ومقام الفترة في غاية من العسرة حتى كاد نبينا عليه السلام ان
يرمي نفسه عن الصخرة ولذا قيل الحجاب اشد العذاب وانما ورد الامر بسوال العافية في الاحاديث
الثابتة الوافية كما رواه الترمذي من قوله عليه السلام ما سئل الله شيئا احب اليه من ان يسال العافية
ولابن ماجه عن انس مرفوعا سل ربك العافية والمعافاة في الدنيا والاخرة فاذا اعطيت العافية في
الدنيا واعطيتها في الاخرة فقد افلحت ولاحمد والترمذي عن ابي بكر سلوا الله العفو والعافية فان
احدا لم يعط بعد اليقين خيرا من العافية والنهي عن سوال البلية فقد مر عليه السلام بقوم مبتلين
فقال اما كان هولاء يسالون الله العافية رواه الترمذي وقال علي رضي الله عنه اللهم اني اسالك
الصبر فقال عليه السلام لقد سالت الله البلاء فسله العافية رواه الترمذي ولابن ماجه والنسائي
باسناد جيد عن ابي بكر الصديق انه عليه السلام قال سلوا الله العافية فما اعطي عبد افضل من العافية
الا اليقين واشار باليقين الى عافية القلب عن مرض الجهل والشك فعافية القلب اعلى من عافية
القالب لان الاول اي سوال تمام النعمة في الدنيا لان تمامها بعافية البدن فيها وثواب الشكر
اي وسوال ثوابه على نعمة دفع البلاء في الاخرة لقدرته تع على ان يعطي الاجر الجزيل على الشكر على
نعمة دفع البلاء ما يعطي على الصبر على محنة البلاء ومن هنا قال عليه السلام ولكن عافيتك اوسع لي
رواه ابن ابي الدنيا وغيره في اثناء دعائه يوم خرج الى الطائف وقال مطرف بن عبد الله لان
اعافى فاشكر احب الي من ان ابتلى فاصبر واما يرد على قوله النهي عن سوال البلية شكر قول سمنون المحب شعر

فليس لي من سواك حظ * فكيف ما شئت فاختبرني * وقول الاخر اريد وصاله ويريد هجري * فاترك ما اريد لما يريد فكلام العشاق في حالة الغلبة من الاشواق وهو اي مثل هذا الكلام حين يجري يطوى ولا يروى الا ان صاحب الحال لا يقتدى به ومن اللطايف ما حكي ان فاختة كان يراودها زوجها فتمنعه فقال لها الذي يمنعك عني ولو اردت ان اقلب لك ملك سليمان ظهرا لبطن لفعلت لاجلك فسمعه سليمان فاستدعاه وعاتبه على ما جرى فقال يا نبي الله كلام العشاق يسمع ولا يحكى ثم اعلم انه حكي ان سمنون بلي بعد هذا البيت بعلة الحصر فكان بعد ذلك يدور على ابواب الكتاب ويقول للصبيان ادعوا لعمكم الكذاب ومن هذا القبيل ما قال بعضهم اود ان اكون جسرا على النار يعبر على الخلق كلهم فينجون واكون انا في النار لان محبة الانسان ليكون هو في النار دون ساير الخلق غير ممكن ولكن قد تغلب المحبة على القلب حتى يظن بنفسه حبا كذلك فمن شرب كاس المحبة سكر ومن سكر توسع فيما ذكر فلو زايله سكره علم ان ما غلب عليه كان حالة لا حقيقة لها فما ايسر الدعوى وما اعسر المعنى ؎

واما قول الشاعر اريد وصاله البيت فهو ايضا محال اذ معنى اني اريد كل ما يريد الا ان من اراد الوصال ما اراد الهجر فكيف اراد الهجر الذي لم يرده كذا قرره الامام حجة الاسلام ولا يبعد ان يقال في البيت الثاني انه اراد ان لا يكون له ارادة بدون ارادة الله تعالى وان يكون ارادته تابعة لارادته سبحانه سوا يكون وصلا او هجرا قربا او بعدا كما يشير اليه قوله تعالى وما تشاؤن الا ان يشاء الله وقول السلف ما شا الله كان وما لم يشا لم يكن وفي هذا المقام قال ابو يزيد البسطامي لما قيل له ما تريد اريد ان لا اريد غايته انه قال صاحب منازل السايرين هذه ايضا ارادة ونوقش بان هذه ارادة مطلوبة وبانها داخلة في قوله لا اريد والحاصل انه من باب كمال الرضا بالقضا واما البيت الاول فلا يصح ان يصل السالك الى مقام ليس له فيه حظ ولذة سوى ذكر المحبوب وفكره وقربه ولعل وجه الابتلا انه كان فيه بقية حظ او شطحة لذة ولو كان في ضمن الدعوى لهذه الحالة التي اظهرها بتلك المقالة ومما اختلف واما ايضا في ان الشاكر الغني افضل ام الصابر الفقير الشاكر فهو افضل من الغني الشاكر اتفاقا فقد قال قوم الصبر افضل من الشكر وقال اخرون الشكر افضل من الصبر وقال جماعة هما سيان لقوله عليه السلام الصبر نصف الايمان وهو استدلال ضعيف اذ يحتمل ان يكون احدهما افضل من الاخر كما يقال الايمان علم وعمل وهما لا يستويان اذ العلم خير من العمل وقالت طايفة يختلف باختلاف الاحوال وقيل القناعة خير منهما واختار الجلال السيوطي ان الصوفية اجمعوا على ان الفقير الصابر افضل من الغني الشاكر ولما سئل الجنيد عن الصبر والشكر ايهما افضل فقال ليس مدح الغني بالوجود ولا مدح الفقير بالعدم وانما المدح في القيام بشروطهما عليهما فشرط الغني يصحبه فيما عليه اشيا تلايم صفته ويمتعها ويلذذها والفقير يصحبه فيما عليه اشيا تولم صفته وتقبضها وتزعجها فاذا كان الاثنان قايمين لله عز وجل بشروطهما عليهما كان الذي الم صفته وازعجها اتم حالا ممن متع صفته ونعمها ويقال كان ابو العباس بن عطا قد خالف في ذلك فقال الغني الشاكر افضل من الفقير الصابر فدعا عليه الجنيد

فاصابه ما اصابه من البلا من قتل اولاده وتلف امواله وزوال عقله اربع عشرة سنة وكان يقول دعوة الجنيد اصابتني ورجع الى تفضيل الفقير الصابر على الغني الشاكر هذا والشاكر الذي يشكر على الموجود والشكور الذي يشكر على المفقود ومن هنا قوله سبحانه وقليل من عبادي الشكور وانه كان عبدا شكورا وقوله عليه السلام افلا اكون عبدا شكورا واما الشكور من اسمائه عز وجل فهو الذي يعطي الاجر الجزيل على العمل القليل والحق في المسئلة انه اي الشان ان اريد بالصبر ما كان الصبر بتلذذ فلا تفاوت كما سبق بيانه ان الصبر حينئذ هو الشكر وهو اي الصبر المطلق من غير التلذذ الملحق على البلا جزء منه على الرضا كما مر في كلام الجنيد في طريق الايام وهو اي وهذا الصبر هو المراد بما ورد من افضل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر وقد تقدم يوتى يوم القيامة باشكر اهل الارض فيجزيه الله جزاء الشاكرين ويوتى باصبر اهل الارض فيقال له اترضى ان نجزيك كما جزينا هذا الشاكر فيقول نعم يا رب فيقول الله عز وجل كلا انعمت عليه فشكر وابتليتك فصبرت لاضعفن لك الاجر كذا في الاحيا وقال مخرجه لم اجد له اصلا انتهى لكن معناه صحيح مستفاد من قوله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وروي يوتى باهل البلا فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان ويصب عليهم الاجر صبا بغير حساب حتى يتمنى اهل العافية في الدنيا ان اجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به اهل البلا من الفضل كذا في تفسير البغوي قال اي وان لم يرد ما كان الصبر بتلذذ فالشكر الذي يتضمن ركنيه وهما الامتناع عن المعصية وصرف النعمة الى الطاعة افضل من الصبر لا بتلذذ اي الشكر هذا على المحبة وهو اي المحبة اعلى المقامات وحاصله ان لا فرق بين الصبر مع التلذذ والشكر التام ثم الصبر بغير التلذذ خير من الشكر الذي غير تام والشكر التام خير من الصبر بغير التلذذ واما قوله عليه السلام الطاعم الشاكر بمنزلة الصايم الصابر كما ذكره الترمذي وحسنه من حديث ابي هريرة فهو دليل على فضيلة الصبر حيث الحق به الشكر ومن المعلوم ان المشبه به ينبغي ان يكون اعلى مرتبة في القدر ومما يدل على فضيلة الفقر ما رواه الطبراني في الاوسط من حديث معاذ بن جبل يدخل الانبيا كلهم قبل داود وسليمان الجنة باربعين عاما وروى البزار من حديث انس اخر من يدخل الجنة من اغنيا امتي عبد الرحمن بن عوف

الباب الثامن عشر

في الخوف والرجا وهما جناحان للسالك يطير بهما الى مقام محمود ومطيتان بهما يقطع كل عقبة كود فلا يقود الى قرب الرحمن وروح الجنان مع كونه بعيد الارجا الا بازمة الرجا ولا يصد عن نار الجحيم والعذاب الاليم الا بسياط التخويف وسطوات التعنيف وقد دخل عليه السلام على رجل وهو في النزع فقال عليه السلام كيف تجدك فقال اجدني اخاف ذنوبي وارجو رحمة ربي فقال عليه السلام ما اجتمعا في قلب عبد في هذا الموطن الا اعطاه الله ما رجا وامنه مما يخاف رواه الترمذي وغيره باسناد جيد ومن هنا قال نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم ليكونوا بين الرجا والخوف وفي تقديم الرجا ايما الى ان الوصول به ارجى كما لا يخفى وكذا قوله تعالى ان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وان ربك لشديد العقاب فكان حق المصنف ان يقدم

الرجا وانما اضع كما في الاحيا لان الخوف حال اهل الابتدا بخلاف الرجا فانه مقام اهل الانتها
ومما يدل على الاستوا الامرين حديث القلوب بين الاصبعين ومما يدل على ترجيح الرجا حديث غلبت
رحمتي غضبي وفي الجملة لا بد للمومن من اجتماعهما وعدم انفكاك احدهما فلابن حبان في صحيحه
والبيهقي في شعبه وابن المبارك في زهده من رواية الحسن مرسلا لا اجمع على عبدي خوفين ولا اجمع
له امنين بسم الله الرحمن الرحيم رجا كل خائف العذاب الاليم الخوف للسايرين والرجا
للطايرين في منازل السالكين خاطران خاطران وفي اصلهما عارضان وهما من جملة مقامات
المريدين واحوال الطالبين وانما يسمى الوصف مقاما اذا ثبت واقام وانما يسمى حالا اذا كان عارضا يوشك
زواله فالذي هو غير ثابت يسمى حالا لانه يحول عن القلب على القرب وهو جار في كل وصف من اوصاف
القلب لتقلبه بتقليب الرب ثم اعلم ان العمل على الرجا اعلى منه من الخوف لان اقرب العباد الى الله
اجبهم له والحب يغلب بالرجا واعتبر ذلك بملكين له عبدان يخدم احدهما خوفا من عقابه والاخر ٢
رجا ثوابه واذا كان الخوف والرجا خاطرين من غير اختيار فيهما ولا اقتدار عليهما فلا تكليف الا
مع مقدماتهما وهي ذكر الايات والاحاديث التي تبعث الانسان على الخوف والرجا فمحركات الخوف اربع
ذكر الذنوب السابقة وذكر شدة العقوبة التي لا طاقة للانسان بها في العاقبة وذكر ضعف النفس
عن احتمالها وذكر قدرة الله على الانسان متى شا وكيف شا في احواله ومقدمات الرجا اربع ايضا
ذكر سوابق الفضل اليك من غير العمل وذكر ما ورد من جزيل ثوابه وعظيم كرامته في بابه دون استحقاق
ايا ه بالخدمة في جنابه وذكر كثرة نعمه عليك دنيا واخرى وذكر سعة رحمته تعالى وسبقها على غضبه فهو
بالرب اولى ما اجرى ثم بما فيما على انتظار مستقبل من الثواب والعقاب فان الخوف غم يلحق
لتوقع المكروه والرجا فرح يلحق لتوقع المحبوب فالمستغرق بذكر الله تعالى ابن الوقت بل ابو الوقت فانه
الغالب عليه واما غيره فهو ابن الوقت لانه الحاكم لديه والحاصل انه فيشتغل بما هو اولى في الوقت قايم
بما هو مطالب فيه حذرا عن المقت فيعد منهما اي الخوف والرجا وفي نسخة فينعقد كما فالرجا الفرح لانتظار ر
محبوب فلا بد من سبب وباعث لتحقق انتظار مطلوب فان حصل اكثر الاسباب اي اسباب حصوله
لديه فان صدق اسم الرجا وصوله عليه كتوقع الحصاد ممن التقى بذرا جيدا القيا في غير عفن ولا مسوس
في ارض صالحة للزراعة بان تكون غير سبخة يصلها الما على سعة وان فقد اكثر الاسباب فالغرور
والحماقة اصدق عليه من اسم الرجا كصاحب في هذا الباب كما لو القى بذرا تالفا في غير صالحة من ارض
لا يصلها الما الا من ولا مشكوكا فيها اي في كثرة الاسباب للحصاد بان حصل بعضها دون بعضها
فالتمني اصدق عليه من اسم الرجا كما اذا صلحت الارض مع القا البذر الجيد ولكن لا احتمال وصول ما
السما وتوضيحه ان الدنيا مزرعة الاخرة والقلب كالارض والايمان كالبذر والطاعة جارية مجرى
تقلب الارض وتنظيفها وصرف الانهار وتجويفها والقلب المولع بالدنيا ومتاعها المستغرق بحبها وذكرها
كالارض السبخة التي لا ينمو البذر فيها ويوم القيامة يوم الحصاد ولا يحصد احد الا ما زرع ولا ينمو زرع

ان الا من بذر الايمان وقلما ينفع الايمان مع خبث الجنان وسوء الاخلاق ومساوي العيان
فاذن اسم الرجا انما يصدق على انتظار محبوب تمهدت جميع اسبابه الداخلة تحت اختيار العبد ولم يبق
الا ما ليس يدخل تحت اختياره وهو فضل الله بصرف القواطع والمفاسد والموانع فالعبد اذا بث بذر
الايمان وسقاه بما الطاعات وطهر القلب عن شوك الاخلاق الرديه وانتظر من فضل الله تثبيته على
ذلك الى الممات وحسن الخاتمة المفضية الى المغفرة والرحمة الكاملة الشاملة كان انتظاره رجا حقيقيا
وان قطع عن بذر الايمان تعهده بما الطاعات وترك القلب مشحونا باخلاق السيئات وانهمك
في طلب اللذات والشهوات واللهوات ثم انتظر المغفرة وعلو الدرجات فانتظاره حمق وغرور في
الحالات وورد ان الذين امنوا والذين هاجروا السيئات والغفلات وجاهدوا في سبيل الله بتكثير الطاعات
اولئك يرجون رحمة الله اي هم الذين يستحقون ان يرجوا رحمته لهم بخلاف من ينهمك فيما يكرهه الله ولا
يذم نفسه عليه ولا يعزم على التوبة والرجوع اليه فرجاؤه المغفرة حمق وغرور كما قيل الغرة بالله ان
يعمل الرجل بمعصية الله تعالى ويتمنى مغفرته عز وعلا وكما ورد الاحمق من اتبع نفسه هواها وتمناها في طلب
مشتهاها وتمنى على الله ان يدخل الجنة رواه واه والحديث تقدم وقال يحيى بن معاذ الرازي من
اعظم الاغترار عندي التمادي في الذنوب على رجا العفو من غير ندامة وتوقع القرب من الله عز وجل
من غير طاعة وانتظار زرع الجنة ببذر النار وطلب دار المطيعين بالمعاصي وانتظار الجزاء من غير عمل
نسخ والتمني على الله عز وجل مع الافراط في الامل والانشد ما بال دينك ترضى ان تدنسه وثوبك الدهر مغسولا من الدنس
ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ان السفينة لا تجري على اليبس وقد ورد ان زيد الخيل الذي
غير عليه السلام وسماه زيد الخير جاء عليه السلام وقال جئت لاسالك عن علامة الله فيمن يريد
وعلامته فيمن لا يريد فقال كيف اصبحت قال اصبحت احب الخير واهله واذا قدرت على شي منه سارعت اليه
وايقنت بثوابه واذا فاتني شي منه حزنت عليه وحننت اليه قال هذه علامة الله فيمن يريد ولو لك
لا خرة لهياك لها ثم لا يبالي في اي اودية هلكت رواه الطبراني في الكبير من حديث ابن مسعود
فمن ارتجى ان يكون مراد الخير من غير هذه العلامات فهو مغرور في وادي المهلكات وعن علي كرم الله
وجهه من اشتاق الى الجنة تسلى عن الشهوات ومن اشفق من النار رجع عن المحرمات اما حسن الظن بالله
حيث يقول انا عند ظن عبدي بي كما رواه الشيخان وزاد ابن حبان فليظن بي ما شا وعنه عليه
السلام لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله كما رواه مسلم من حديث جابر انما يكون بالحذر عن
المعصية والتحقيق في الطاعة فلا بد للسالك منه اي من حسن الظن وغلبة الرجا فهو يبعث على الطاعة
وترك المعصية ويعين احتمال المشقة في ورود المصيبة والمحنة والقنوط وهو ضد الرجا كفر قال تعالى لا تقنطوا
من رحمة الله وقال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون وهو بمعنى الياس مورد في التنزيل لا ييأس من
روح الله الا القوم الكافرون وورد انه عليه السلام قال لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا
ولخرجتم الى الصعدات تلدمون صدوركم تجارون الى ربكم فهبط جبريل فقال ان ربك عز وجل يقول

لم تقنط عبادي فيخرج اليهم ورجا لهم وشوقهم رواه ابن حبان في صحيحه من حديث ابي هريرة واوله متفق
عليه من حديث انس وقال علي كرم الله وجهه لرجل اخرجه الخوف الى القنوط لكثرة ذنوبه يا هذا يأسك
من رحمة الله اعظم من ذنوبك وعنه رضي الله عنه انما العالم الذي لا يقنط الناس من رحمة الله ولا يؤمنهم
من مكر الله وللبيهقي في الشعب عن زيد بن اسلم ان رجلا من بني اسرائيل كان يقنط الناس ويشدد
عليهم قال فيقول الله تعالى له يوم القيامة اليوم او نشك من رحمتي كما كنت تقنط عبادي منها وفي الخبر ان
الله تعالى اوحى الى داود عليه السلام احبني واحب من يحبني وحببني الى خلقي فقال يا رب كيف احببك الى خلقك
فقال اذكرني بالحسن الجميل واذكر الائي واحساني وذكرهم ذلك فانهم لا يعرفون مني الا الجميل ولابن
ابي الدنيا والبيهقي في شعبه من حديث انس مرفوعا ان رجلا يدخل النار فيمكث فيها الف سنة ينادي يا حنان ن
يا منان فيقول الله لجبريل اذهب فأتني بعبدي قال فيجيء به فيوقفه على ربه فيقول الله له كيف وجدت
مكانك قال فيقول شر مكان فيقول بما قدمت يداك وما انا بظلام للعبيد ردوه الى مكانه قال فيمشي فيلتفت
الى ورائه فيقول الله عز وجل الى اي شيء تلتفت فيقول رجوت ان لا تعيدني اليها بعد ان اخرجتني منها
فيقول الله تعالى اذهبوا به الى الجنة فدل هذا على ان رجاءه انجاه والطريق الموصل الى تحصيل الرجاء ذكر منته
اي ذكر سوابق فضله في ايجاد العبد وامداده من جوده وكرمه دون تشفيع اليه بلا شفيع من عمل
وما وعد الله من جزيل ثوابه في كرمه به دون استحقاق سابق في بابه مع انه لا استحقاق للمملوك على المالك
بشيء من حسابه وما انعم على عبده من الرزق والعافية وتوفيق الطاعة بما يدر نفعه في الدارين من غير
دون سؤال اي من غير مسئلة سابقة من عبده وسعة الرحمة قال تعالى ورحمتي وسعت كل شيء وفي الصحيح
من حديث ابي هريرة لو علم الكافر بسعة رحمة الله ما ايس من جنته احد وسبقها الغضب فورد رحمتي سبقت
غضبي وفي رواية غلبت وفي الصحيحين من حديث ابي هريرة ان الله كتب على نفسه قبل ان يخلق الخلق
ان رحمتي تغلب غضبي وما ورد فيه اي في فضل الرجا من الكتاب والسنة مثل لا تقنطوا من رحمة الله الاية
الى ان الله يغفر الذنوب جميعا وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يبالي كما رواه الترمذي من حديث
اسماء بنت يزيد وحسنه انا عند ظن عبدي بي كما تقدم والله اعلم وكان ابو جعفر محمد بن علي يقول انتم
اهل العراق تقولون ارجى اية في كتاب الله عز وجل قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا
من رحمة الله الاية ونحن اهل البيت نقول ارجى اية في كتاب الله ولسوف يعطيك ربك فترضى انتهى
وذلك لما ذكر في تفسيره انه عليه السلام قال لا يرضى محمد واحد من امته في النار ابدا وكان بعض
العارفين يرى اية المداينة في سورة البقرة من اقوى اسباب الرجا فقيل له وما فيها من الرجا فقال الدنيا
كلها قليل ورزق الانسان فيها قليل والدين من رزقه قليل فانظر كيف انزل الله فيه اطول اية ليهدي يا
بها عبده الى الطريق الاحتياط في حفظ دينه فكيف لا يحفظ دينه الذي لا عوض له منه في دنياه وعقباه
وروي في تفسير قوله تعالى يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا معه ان الله اوحى الى نبيه عليه السلام ان اجعل
حساب امتك اليك فقال لا يا رب انت خير لهم مني فقال اذن لا اخزيك فيهم رواه ابن ابي الدنيا

الدنيا في كتاب حسن الظن بالله تعالى وللبيهقي في شعبه من رواية عتبة بن الوليد ان الخليل قال يوما
يا كريم العفو فقال جبريل تدري ما تفسير يا كريم العفو هو ان يعفو عن السيئات برحمته ثم يبدلها حسنات
بكرمه ولابن ابي الدنيا من حديث حذيفة مرفوعا ليغفرن الله تعالى يوم القيامة مغفرة ما خطرت
قط على قلب احد حتى ان ابليس ليتطاول لها رجاء ان تصيبه وفي الصحيحين من حديث ابي هريرة
ان لله تعالى مائة رحمة ادخر منها عنده تسعة وتسعين رحمة واظهر منها في الدنيا رحمة واحدة يتراحم
الخلق بها فتحن الوالدة الى ولدها وتعطف البهيمة على ولدها فاذا كان يوم القيامة ضم بهذه الرحمة الى
التسعة والتسعين ثم بسطها على جميع خلقه وكل رحمة منها طباق السموات والارضين قال فلا
يهلك على الله يومئذ الا هالك وللترمذي من حديث انس وصححه وابن ماجه من حديث جابر شفاعتي ن
لاهل الكبائر من امتي وقال الثوري ما احب ان يجعل حسابي الى ابوي لاني اعلم ان الله تعالى ارحم
بي منهما وقال ابن ادهم خلا لي المطاف ليلة وكانت ليلة ممطرة مظلمة فوقفت في الملتزم عند الباب
دي فقلت يا رب اعصمني حتى لا اعصيك ابدا فهتف بي هاتف من البيت يا ابراهيم انت تسألني العصمة وكل عبادي
المؤمنين يطلبون ذلك فاذا عصمتهم فعلى من اتفضل ولمن اغفر وفي ذيل حديث لو لم تذنبوا لذهب
الله بكم وجاء بخلق اخر يذنبون فيغفر لهم انه هو الغفور الرحيم رواه مسلم من حديث ابي هريرة
وكان الحسن يقول لو لم يذنب المؤمن لكان يطير في الملكوت ولكن الله قمعه بالذنوب وفي حديث
لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو اشد من الذنوب فقيل ما هو قال العجب رواه البزار وابن حبان والبيهقي
من حديث انس وقال الجنيد ان بدت عين من الكرم الحقت المسيئين بالمحسنين وفي قوله
تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين وقال يحيى بن معاذ في مناجاته يكاد
رجائي لك مع الذنوب يغلب رجائي لك مع الاعمال لاني اعتمد في الاعمال على الاخلاص وكيف
ف احرزها وانا بالافة معروف واجدني في الذنوب اعتمد على عفوك وكيف لا تغفرها وانت بالجود موصوف
قد وكان بعض السلف يقول في دعائه يا رب واي اهل دهر لم يعصوك ثم كانت نعمتك عليهم سابغة وارزاقك
عليهم دارة سبحانك ما احلمك وعزتك انك لتعصى ثم تسبغ النعمة وتدر الرزق حتى لكانك ربنا
انما تطاع وسبحانك ما احلمك تعصى وتدر الرزق وتسبغ النعمة حتى لكانك يا ربنا لا تغضب والخوف
عطف على الرجاء وهو الحزن لانتظار مكروه وهو تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في
بهذا الاستقبال واما من انس بالله في جميع الاحوال وملك الحق قلبه على وجه النظام وصار ابن وقته مشاهدا
لجمال الحق على الدوام ولم يبق له التفات الى المستقبل من الايام فلم يبق له خوف ولا رجاء بل صار
حاله اعلى من الخوف والرجاء فانهما زمامان يمنعان النفس عن الخروج الى رعوناتها وبهذا اشار
الواسطي حيث قال الخوف حجاب بين الله وبين العبد وقال ايضا اذا ظهر الحق على السرائر لا يبقى
فيه فضلة لرجاء ولا خوف في الضمائر ويؤيد ذلك قوله تعالى الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون
وهذا بالنسبة الى الخواص الكرام واما بالنسبة الى الاصلي من العوام فمعناه لا خوف عليهم بالخوف العقاب ولا

بهم يخوفون بفوت الثواب في العقبى وبالجملة فالمحب اذا اشتغل قلبه في مشاهدة محبوبه فخوف فراقه كان
ذلك نقصا في شهوده وانما دوام الشهود غاية المقامات ونهاية الدرجات لكن الكلام الآن
في اوائل الحالات منقول الخوف له اسباب ينشا منها ويصدر عنها كما قال فالاول من العلم بعدم
مبالاته تعالى فانه عز وجل لا يسال عما يفعل ومن عزته في صفاته انه لو اهلك العالمين لم يبال فيه
احدا ولم يمنعه نعم لوحدة ذاته فورد في حديث مشهور ان الله تعالى لما خلق ادم مسح على ظهره
فاستخرج منه ذريته فقبض قبضة فقال هؤلاء في الجنة ولا ابالي وقبض اخرى فقال وهؤلاء في النار
ولا ابالي اي لا ابالي فيه مثل منه احد اذ لا يجب على الله شي لا من اثابة المطيع ولا من تعذيب
العاصي اذ فيه الطاعة والمعصية اي والمعنى لا ابالي من طاعة مطيع ومن معصية عاص فانه كما ورد
لو عذب اهل سمواته وارضه لكان عادلا في حكمه غير ظالم في امره او لا ابالي لعدم تاثر الاثابة
والتعذيب في زيادة ملكي ونقصانه كما في حديث مسلم عن ابي ذر مرفوعا حكاية عن الله سبحانه يا عبادي
انكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني يا عبادي لو ان اولكم واخركم وانسكم
وجنكم كانوا على اتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيا يا عبادي لو ان اولكم واخركم
وانسكم وجنكم كانوا على افجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيا او لا ابالي لاني متصرف
في ملكي افعل ما اشاء واحكم ما اريد بالعدل او لاني متفضل غير مايل في ادخال الجنة عادل غير جاير في
ادخال النار لما تقدم او الجهل اي او الخوف هو الحزن للجهل بالخاتمة وهو اي خوف الخاتمة للمتقي اغلب
لانه بحسب معرفته بعيوب نفسه وبعظمة جلال الله وقدسه فاخوف الناس لربه اعرفهم بنفسه وبربه
ولذا قال عليه السلام والله اني لاخشاكم لله واتقاكم له رواه البخاري من حديث انس وللشيخين
من حديث عائشة والله اني لاعلمهم بالله واشدهم له خشية وقد قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء
والاعلى من انواع المخاوف فيما دلها على كمال المعرفة ان يكون الخوف من سابقة الازل لان الخاتمة
الا حقه تتبع المقدمة السابقة فالخاتمة في هذا الباب تظهر ما سبق به القضاء في ام الكتاب فان لله تعالى
الحب العقاب الازلي الذي جرى بتوقيعه القلم اعلاما من الله تعالى الى ما يظهر في الابد بعدما كان في
حيز العدم واليه اشار صلى الله عليه وسلم حيث كان على المنبر فقبض كفه اليمنى ثم قال هذا كتاب
الله كتب فيه اهل الجنة باسمائهم واسماء ابائهم لا يزاد فيهم ولا ينقص وليعملن اهل السعادة بعمل اهل
الشقاوة حتى يقال كانهم منهم بل هم هم ثم يستنقذهم الله قبل الموت ولو بفواق ناقة وليعملن اهل
الشقاوة بعمل اهل السعادة حتى يقال كانهم منهم بل هم هم ثم يستخرجهم الله قبل الموت ولو بفواق
ناقة السعيد من سعد بقضاء الله والشقي من شقي بقضاء الله والاعمال بالخواتيم رواه الترمذي من
حديث عبد الله بن عمرو بن العاص وقال حسن صحيح غريب وفي رواية السعيد من سعد في بطن امه
والشقي من شقي في بطن امه رواه البزار وغيره باسناد حسن ومن هنا خوف الكاملين حيث لم يعرفوا انهم
من اي القبضتين ومن اي الفريقين المذكورتين في قوله تعالى فريق في الجنة وفريق في السعير وفي قوله عز

وعلا فمنهم شقي وسعيد وقوله عز وجل فمنكم كافر ومنكم مؤمن وقوله سبحانه اما شاكرا واما كفورا
واما بالكسر عطف على قوله اما من العلم الخ والمعنى ان الخوف ان انتظار مكروه اما من جهة المعرفة بصفة
الله تعالى وعزته وجلاله في مرتبة عظمته واما من المعاصي اي من جهة كثرة المعصية الصادرة عن العبد في
حال غفلته وغرته ويختص الخوف من المعصية بوضع الغرور عند المواظبة على الطاعة بخلاف الاول اي
يختص بهذا الخوف ويتميز عن الخوف الاول هو عدم المبالاة فانه يغفل المواظبة على الطاعة فيعلم ان هذا
كان من المعاصي لا من عدم المبالاة فان خوف عدم المبالاة لا يزول قط وخوف الثاني يزول عند
المواظبة على الطاعة وتوضيحه ان هذا انقسام الخائفين الى من يخاف من معصيته وجنايته والى من يخاف الله
تعالى بنفسه لعظمته وجلاله لته فهذا اعلى رتبة واعلى منزلة ولذا يبقى خوفه وان كان في طاعة الصديقين
واما الاخر فهو في عرضة الغرور الا من وان واظب على الطاعات وداوم على العبادات فالخوف من
المعصية خوف الصالحين والخوف من الله خوف الموحدين والصديقين وهو ثمرة المعرفة بالله فمن عرفه وعرف
صفاته يعلم من صفاته ما هو جدير بان يخاف من غير جنايته بل العاصي لو عرف الله حق معرفته لخاف
الله ولم يخف من معصيته اذ لولا انه مخوف في نفسه لما تخرج للمعصية ولم يسر له سبيل بها وهيا له تمام
اسبابها فان تيسير اسباب المعصية ابعاد ولم يسبق منه قبل المعصية معصية استحق بها ان يسنح للمعصية
ويجري عليه اسبابها وان سبق قبل الطاعة وسيلة يتوسل بها من يسرت له الطاعات ومهدت له سبل
القربات فالعاصي قد قضي عليه بالمعصية شاء او ابى فكذا المطيع حسب ما قدر الله وقضى فالذي
رفع محمدا صلى الله عليه وسلم الى اعلى عليين من غير وسيلة سبقت منه وجوده ووضع ابا جهل في اسفل
سافلين من غير جناية سبقت منه قبل شهوده جدير بان يخاف منه لصفة جلاله فان من اطاع الله
اطاع بان سلط عليه ارادة الطاعة واعطاه القدرة وبعد خلق الارادة الجازمة والقدرة التامة يصير
الفعل ضروريا والذي عصى عصى لانه سلط عليه ارادة قوية جازمة واعطاه الاسباب والقدرة فكان
الفعل بعد الارادة والقدرة ضروريا فليت شعري ما الذي اوجب اكرام هذا وتخصيصه بتسليط ارادة
الطاعات عليه وما الذي اوجب اهانة الاخر وتعيين بتسليط دواعي المعصية لديه وكيف يحال ذلك
على العبد وينسب اليه واذا انتهت الحوالة الى القضاء الازلي من غير جناية ولا وسيلة فالخوف من يقضي
بما شاء ويحكم بما يريد جزم عند كل مريد طالب للمزيد ثم الخوف من سكرات الموت وشدته وما بعده اما من
السؤال في القبر من منكر ونكير او عند الموقف من نقير وقطمير او العذاب في القبر او من هول المطلع او هيبة
الموقف والحيا من كشف الستر او من مزلة الصراط وحدته وكيفية العبور عليه باختلاف الاحوال او العذاب
في النار وما فيها من الاغلال والانكال والاهوال او فوت الجنة دار النعيم والملك المقيم وخوفا من نقصان
الدرجات وخوف حجاب الذات واعلاها رتبة هو خوف الفراق والحجاب فانه اشد العذاب عند ارباب
الالباب وهو خوف العارفين وما قبل ذلك هو خوف العابدين والصالحين والزاهدين وكافة العاملين
ومن لم يكمل معرفته ولم ينفتح بصيرته لم يشعر بلذة الوصال ولا تالم البعد والفراق فاذا ذكر له ان العارف

لا يخاف النار وانما يخاف الحجاب في دار القرار وجد ذلك منكرا في باطنه وتعجب منه في نفسه قال ذو النون
خوف النار عند خوف الفراق كقطرة قطرت في بحر لجي ويختلف الاثار للخوف بحسب اختلاف انواعه
ثم ان مراده فمن خاف الشيك العادة في اتباع الشهوات المالوفة بالارادة واطبع على تركها وداوم
على ذلك فيها ومن خاف اطلاع الله تعالى على السراير اشتغل بتنقية السر وتطهير القلب من الوساوس
في الضماير فاعتبر وقس على هذا مخاوف اخر ومنهم من خاف اغترار بزخارف الدنيا زهد
فيها ومن خاف بهجوم الموت ترك التوبة بادر اليها ويوثر الخوف في البدن بالهزال اي النحول باذابة
اللحم والشحم والصفرة باللون المصحوب بالكدرة والضعف في القوى والبكا الصادر عن الخشية واذا
كمل الخوف يؤدي الى الخفقان بان يصعد الى الدماغ فيفسد العقل او يقوى فيورث القنوط والياس ويفضي
الى الموت بان ينشق به المرارة وهو اي الموت من خوف الله شهادة لكن الافضل من عاش وجاهد
لقوله عليه السلام طوبى لمن طال عمره وحسن عمله وقد تقدم واعلم ان معنى كونه شهيدا ان له رتبة
بسبب موته من الخوف كان لا ينالها لو مات في ذلك الوقت لا بسبب الخوف فهو بالاضافة اليه فضيلة
فاما بالاضافة الى بقائه وطول عمره في طاعة الله وسلوك سبيل امره فليس بفضيلة بل السالك
لطريق الفكر والمشاهدة والترقي في درجات المعالي له في كل لحظة رتبة شهيد وشهدا ولذا ورد يوزن
مداد العلما بدما الشهدا فيرجح مداد العلما ولولا هذا لكان رتبة صبي يعقل او مجنون يفترسه سبع
اعلى من رتبة نبي او منزلة ولي حتف انفه وهو محال والحاصل ان اقصى درجات الخوف ان يسلب الموت صح
الظاهر والباطن عما سوى الله حتى لا يبقى فيه متسع لغير الله وذلك مع بقا الصحة والعقل فان جاوز
هذا الى ازالة العقل والصحة فهو مرض يجب علاجه علاجا ان كان له قدرة عليه لا مدحه ولذا كان سهل
يقول للمريد بن الملك زمين الجوع اياما كثيرة اعطوا عقولكم فانه لم يكن لله ولي ناقص العقل ويو بد
ما اشتهر في لسان العامة ما اتخذ الله وليا جاهلا ولو اتخذه لعلمه وكذا يوثر الخوف في الجوارح فيكفها
عن السيآت ويقيدها بالطاعات تلافيا لما فرط في الماضي واستعدادا للمستقبل ولذا قيل ليس الخايف
من يبكي ويمسح عينيه بل الخايف من يترك ما يخاف ان يعاقب عليه وقال ابو القاسم الحكيم من خاف شيئا
هرب منه ومن خاف الله هرب اليه وقيل لذي النون متى يكون العبد خايفا قال اذا انزل نفسه منزلة
السقيم الذي يحتمي مخافة طول السقام ومن غلب عليه خوف الله خافه كل شي مما سواه وروى الشيخ
ابن حبان وابن ابي الدنيا حديثا من خاف الله خافه كل شي كما كان هذا المقام لعمر رضي الله عنه
وورد ان الشيطان ليفر من ظل عمر كما مر وكذا يوثر في الصفات بان يقمع الشهوات ويكدر اللذات فتصير المعاصي
المحبوبة عنده مكروهة كما يصير العسل مكروها عند من يشتهيه اذا عرف سما فيه وان على مراتب الخوف
ان يدهشه الخوف ويذهله عن الاشيا اي رؤيتها ويغفله حتى عما يجري على الاعضا من حركتها فلم
تؤثر الاشيا فيه اي في الخايف للغيبة عنها اي لغيبة الخايف عن الاشيا والغفلة عنها كما كان له عليه
السلام حيث تصدع الشيطان بوسوسه في الصلاة فاحرق الشيطان فاذا كان الامر كذلك فلا بد

فلا بد للسالك منه اي من الخوف لما ذكر فهو اي الخوف يزجر النفس ويمنعها عن المعصية والارتكاب
ويمنع العجب ويدفعه عن الطاعة واكتسابها فاقل درجات الخوف مما يظهر اثره في الاعمال الورع واعلاه
ان يمتنع عن المحظورات ويسمى الكف اي عن عنفا ورعا فان زادت قوته كف عما يتطرق اليه
امكان التحريم فيكف عما لا يتيقن اباحته ويسمى ذلك تقوى اذ التقوى ان يترك ما يريبه الى ما لا
يريبه وقد يحمله على ان يترك ما لا باس به مخافة ما به باس وهو الصدق في التقوى فان انضم اليه التجرد
للخدمة فصار لا يبني ما لا يسكنه ولا يجمع ما لا ياكله ولا يصرف الى غير الله نفسا من انفاسه فهو الصدق
وصاحبه جدير بان يسمى صديقا واما الخوف الذي يجري مجرى رقة النسا كما يخطر بالبال عند سماع اية من
القران فيورث البكا وكذا عند مشاهدة سبب هايل فاذا غاب ذلك السبب عن الحس رجع القلب الى
الغفلة عن خوف الرب فهذا ضعيف قاصر قليل الجدوى وهذا حال الناس كلهم الا العارفين والعلما
الراسخين ولست اعني بالعلما المترسمين برسومهم والمتسمين باسمائهم فانهم ابعد الناس عن
الخوف لما فيهم من العجب والغرور بل العلما بالله وصفاته وافعاله في مصنوعاته وذلك مما قد عز وجوده
الان كالكبريت الاحمر في سالف الزمان ولذا قال الفضيل اذا قيل لك هل تخاف الله فاسكت فانك
ان قلت لا كفرت وان قلت نعم كذبت واما الخوف المفرط وهو الذي يجاوز حد الاعتدال حتى يخرج الى
الياس والقنوط فهو مذموم ايضا لانه يمنع العمل والمراد من الخوف هو الحمل على العمل واذا تحقق
الياس له فهو كفر منه لانه اعتقد عدم قدرته سبحانه على عفوه في زلته والامن وهو ضد الخوف كفر
ايضا لانه يدل على اعتقاد عدم قدرته او فقد ارادته على عقوبته على ذنوبه مع وجود طاعته
وعبادته فورد في التنزيل فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون اي الذين خسروا انفسهم
واهليهم يوم القيامة بالكفر والمعصية والطريق الموصل الى تحصيل الخوف شيئان النظر في صفاته تعالى
الجلالية كالقهار والمنتقم والجبار وافعاله في مصنوعاته من معاملته مع طوايف الكفار ومن عرف
الله حق معرفته حمله معرفته على خشيته لمشاهدته عظمة الله وعزته فورد في التنزيل انما يخشى الله من
عباده العلماء لانهم العارفون بصفاته الخايفون منه بحسب ذاته انا اعلمكم بالله واخشاكم له وحديث
متفق عليه وذكر الذنوب السابقة والخصوم المتعلقين به يوم القيامة لا من سوال الله تعالى وتشديد
العذاب بعد مناقشة الحساب وضعف النفس عن العقاب والحجاب وما ورد فيه الاي في فضل الخوف
من الكتاب والسنة واقوال السلف واحوالهم في هذا الباب اما الكتاب فقوله تعالى هدى ورحمة للذين
هم لربهم يرهبون رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه ولمن خاف مقام ربه جنتان وخافون
ان كنتم مومنين سيذكر من يخشى وهم من خشيته مشفقون واما السنة فقوله عليه السلام راس الحكمة مخافة
الله رواه البيهقي في شعبه من حديث ابن مسعود وقوله لعايشة لما قالت يا رسول الله الذين يؤتون ما اتوا
وقلوبهم وجلة هو الرجل يسرق ويزني قال لا بل هو الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف ان لا يقبل
منه رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم وقوله عليه السلام ما من مومن يخرج من عينيه دمعة وان كانت مثل

راس الاثابة من خشية الله ثم يصيب شيئا من حر وجهه الا حرمه الله على النار رواه الطبراني والبيهقي
في الشعب من حديث ابن مسعود وقوله اذا اقشعر قلب المؤمن من خشية الله تحاتت عنه خطاياه
كما يتحات عن الشجرة ورقها رواه الطبراني والبيهقي في شعبه من حديث العباس وقوله لا يلج النار
احد بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع رواه الترمذي وقال حسن صحيح وقوله لعقبة ابن
عامر حيث سأل ما النجاة يا رسول الله قال امسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك
وقد تقدم وقوله ما من قطرة احب الى الله من قطرة دمع جرت من خشية الله او قطرة دم اهريقت
في سبيل الله رواه الترمذي من حديث ابي امامة وحسنه وقوله اللهم ارزقني عينين هطالتين تسقيان
بذروف الدمع قبل ان يصير الدموع دما والاضراس جمرا رواه ابو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر باسناد
حسن وقوله سبعة يظلهم الله يوم لا ظل الا ظله وذكر منهم رجلا ذكر الله في خلوة ففاضت عيناه
رواه الشيخان وعن حنظلة قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فوعظنا موعظة رقت منها
القلوب وذرفت منها العيون وعرفنا انفسنا فرجعت الى اهلي فدنت مني المراة وجرى بيننا من حديث
الدنيا فنسيت ما كنا عليه عنده عليه السلام واخذنا في الدنيا ثم تذكرت ما كنت فيه فقلت في نفسي
قد نافقت حين تحول عني ما كنت فيه من الخوف والرقة فخرجت وجعلت انادي نافق حنظلة فاستقبلني
ابو بكر فقال كلا لم تنافق فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا اقول نافق حنظلة نافق
حنظلة فقال عليه السلام كلا لم ينافق حنظلة فقلت يا رسول الله كنا عندك فوعظتنا موعظة رقت
منها القلوب وذرفت منها العيون وعرفنا انفسنا فرجعت الى اهلي فاخذنا في حديث الدنيا ونسيت
ما كنا عليه عندك فقال يا حنظلة لو كنتم ابدا على تلك الحالة لصافحتكم الملائكة في الطرق وعلى فرشكم ولكن
يا حنظلة ساعة فساعة رواه مسلم والاثار فقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه من استطاع ان
يبكي فليبك ومن لم يستطع فليتباك وكانه اخذ من قوله تعالى فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا ومن قوله
يبكون ويزيدهم خشوعا ومن قوله افمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون ومن قوله خروا
سجدا وبكيا وكان محمد بن المنكدر اذا بكى مسح وجهه ولحيته من دموعه ويقول بلغني ان النار لا تاكل
موضعا مسته الدموع وقد تقدم في الحديث ما يشعر به وقال عبد الله بن عمر ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا
فوالذي نفسي بيده لو يعلم احدكم ما وراءه لصرخ حتى ينقطع صوته وصلى حتى ينكسر صلبه وقال ابو
سليمان الداراني ما تغرغرت عين بمائها من خشية الله الا لم يرهق وجه صاحبها قتر ولا ذلة
يوم القيامة فان سالت دموعه اطفا باول قطرة منها بحارا من النيران ولو ان رجلا بكى في امة
ما عذب تلك الامة وقال كعب الاحبار والذي نفسي بيده لان ابكي من خشية الله حتى تسيل دموعي
على وجنتي احب الي من ان اتصدق بالف دينار وقال الفضيل من خاف الله تعالى دله الخوف على كل خير
اي وحفظه عن كل شر وقال الشبلي ما خفت الله يوما الا رايت له بابا من الحكمة والعبرة ما رايته قط
وقال ذو النون ينبغي ان يكون الخوف ابلغ من الرجاء فاذا غلب الرجاء تشوش القلب وكان ابو الحسن

ابو الحسن الخزرجي يقول على منبر السعادة خوف الشقاوة لان الخوف زمام بين الله وبين عبده
فاذا انقطع زمامه هلك مع الهالكين وقيل ليحيى بن معاذ من امن الناس غدا فقال اشدهم
خوفا اليوم وقال سهل لا تجد الخوف حتى تاكل الحلال وقال ابو سليمان الداراني ما فارق الخوف
قلبا الا خرب واختلف في ان الرجاء للعبد افضل ام الخوف افضل له والرجاء والحق من القول
عدم الانفكاك لاحدهما عن الاخر اذ لو عدم احدهما لصار امنا عند عدم الخوف او قنوطا عند
عدم الرجاء فان الرجاء بلا خوف امن والخوف بلا رجاء ياس وكلاهما ممنوعان بنص القران فالحق
الاعتدال في غالب الاحوال ما لم يغلبهما مثل زمان الانكسار رجاء محبوبا فلا بد ان تخاف فوته
كما يشير اليه قوله تعالى يدعوننا رغبا ورهبا ويدعون ربهم خوفا وطمعا نعم يجوز ان يغلب احدهما
على الاخر وهما مجتمعان ويجوز ان يشتغل القلب باحدهما ولا يلتفت الى الاخر في الحال لغفلة عنه
فشرطهما اي شرط وجودهما عدم القطع في كليهما فالامن والقنوط ينافي عدم القطع فلا يقال
مثلا يقال ارجو طلوع الشمس واخاف طلوع الحجر الا ان امرهما مقطوع فيه عادة بل يقال
انتظر لفوت الشرط وهو عدم القطع نعم يقال ارجو نزول المطر واخاف انقطاعه فلا يطلق اسم
الرجاء والخوف الا على مشكوك يتردد فيه اذ المعلوم لا يرجى ولا يخاف فان المحبوب الذي يجوز وجوده
يجوز عدمه لا محالة فتقدير وجوده يروح القلب وهو الرجاء وتقدير عدمه يوجع القلب وهو الخوف
فالتقديران لا محالة يتقابلان نعم احد طرفي الشك قد يترجح بحصول بعض الاسباب ويسمى ذلك
ظنا فيكون ذلك بسبب غلبة احدهما على الاخر فاذا غلب على الظن وجود المحبوب قوي الرجاء وخفي الخوف
بالاضافة وكذا بالعكس والرجاء افضل من حيث هو هو الا مع قطع النظر عن صاحبه انه في المقام هو من
مقامات المبتدين او المنتهين من المريدين في طريق المجتهدين او المرادين في امر الدين فهو اي الرجاء
طريق المحبة وسبيل المحبين وهي افضل المقامات واكمل الحالات وورد سبقت رحمتي غضبي وقد تقدم
وفيه تنبيه على انه ينبغي ان يكون الرجاء اغلب على الخوف وتوضيحه ان الخوف والرجاء دواآن يداوي
بهما القلوب ففضلهما بحسب الداء الموجود فان كان الغالب على القلب داء الامن من مكر الله والاغترار
به فالخوف افضل وان كان الاغلب على العبد هو الياس والقنوط من رحمة الله فالرجاء افضل فبهذا الاعتبار
غلبة الخوف افضل لان الاغترار على الخلق اغلب وان نظر الى مطلع الخوف والرجاء فالرجاء افضل لانه
مستقى من بحر الرحمة ومستقى الخوف من بحر الغضب ومن لاحظ من صفات الله ما يقتضي اللطف والرحمة كانت المحبة
عليه اغلب وليس وراء المحبة مقام في طلب الرب واما الخوف فمستنده الالتفات الى الصفات التي تقتضي العنف
والنقمة فلا تمازجه المحبة ممازجة الرجاء وهو اي الرجاء افضل من الخوف والمفهوم من الحب انه الاصلح كما في
بعض النسخ لنا ولعله الاصلح وانما يكون الرجاء اولى من الخوف ان امتنعت النفس عن التوبة لكثرة المعاصي
الموجبة للياس والقنوط من الرحمة او انفردت النفس على الفرائض دون الواجبات والسنن المؤكدات
او ضعف بالمرض والكبر واشرف على الموت اي قاربه الفوت فان الافضل حينئذ هو الرجاء لوقوف بزيادة وصف

الرجا على المحبة ان نشأة من كثرة الرجا والخوف افضل واصلح واولى من الرجا في مقام الدواء
ان غلب التمني واعتاد صاحبه المعاصي لعلة خوفه والاعتدال بين الخوف والرجا انسب
واقرب الى التقوى لكمال الايمان وباطنه اي صلبه وضعفه لذا قيل لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا
وروي ان عليا كرم الله وجهه قال لبعض ولده يا بني خف الله خوفا ترى انك لو اتيت بحسنات
اهل الارض لم يتقبلها منك وارج الله رجاء ترى انك لو اتيته بسيئات اهل الارض غفرها لك
ولا يعرض منه الاعتراض اي ولا يعدل المتقي المذكور لمعارضة كثرة اسباب الرجا من الاعمال
فكان عمر رضي الله عنه مع كمال التقوى وكثرة اعماله لله يقول لو لم يدخل الجنة الا واحد من المؤمنين
لرجوت ان اكون اياه اي ذلك الرجل ولو لم يدخل النار الا واحد من الخلق لخفت ان اكون اياه
وهذا عبارة عن غاية الخوف والرجا واعتدالهما مع الغلبة والاستيلاء ولكن على سبيل التقاوم
والتساوي فمثل عمر رضي الله عنه ينبغي ان يساوي خوفه رجاءه فاما العاصي اذا ظن انه ذلك الرجل
المستثنى في دخول النار كان ذلك دليلا على ما فيه من الاغترار وتفسير التحرز عطف بالمعنى لان
الفاء في قوله فكان عمر لتعليل المنفي فالتقدير لانه كان عمر ولتفسير الاحتراز عن المعاصي الباطنة
ويجوز عطفه على قوله لمعارضة فيكون ما بينهما جملة معترضة وفيه جواب لسؤال مقدر وهو ان مثل عمر
لم ينبغ ان يساوي خوفه رجاءه بل ينبغي ان يغلب رجاؤه خوفه فاشار الى ان شروط صحة الايمان
على وجه الحقيقة من الامور الدقيقة فلا بد للعاقل ان يكون نظيفا من الشرك الخفي والنفاق
والريا وخبايا الاخلاق الخبيثة فيه غامضة والافات من الشهوات وزخارف الدنيا وما يتعلق
بها فيه اللذات واللهوات كثيرة وان سلم القلب في الحال عن هذه الاحوال ربما يلتفت اليها
في الاستقبال فان كان ضعيف القلب جبانا في نفسه غلب خوفه على رجائه لا محالة كما يحكى في احوال
الخائفين من الصحابة والتابعين وان كان قوي القلب ثابت الجأش تام المعرفة استوى خوفه
ورجاؤه فما كان يغلب رجاؤه فلهذا وقد كان عمر يبالغ في تفتيش قلبه وتقلب حاله من المعاصي حتى
كان يقول رحم الله امرأ اهدى الي عيوب نفسي وكذا كان يخاف من النفاق وخصال اهله حتى بلغ غاية
التفتيش الى ان كان عمر يسأل حذيفة بن اليمان عن وجود اثر النفاق فيه اي في عمر اذ كان
حذيفة قد خصه عليه السلام بعلم المنافقين وكان يسمى صاحب سر النبي عليه السلام واحتمال
زوال الاسباب ابه ولاحتمال زوال اسباب الرجا في المستقبل من الزمان فورد ان الرجل ليعمل عمل اهل
الجنة وفي الاحياء زيادة خمسين سنة حتى لا يبقى بينه وبين الجنة الا شبر قال في الاحياء وفي رواية الا
قدر فواق ناقة وسبق عليه الكتاب اي مكتوب الازل في علم الله او المكتوب في اللوح المحفوظ او عند
تولده في صحائف الملائكة الموكلة على حفظه فيختم له بعمل اهل النار فيدخل النار وكذا ان يعمل عمل اهل النار
والحديث رواه مسلم من حديث ابي هريرة ان الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل اهل الجنة ثم يختم له عمله بعمل اهل
النار وللبزار والطبراني في الاوسط بسبعين سنة واسناده حسن وللشيخين في اثنا حديث ابن مسعود

مسعود ان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع الحديث وليس فيه تقييد
زمن العمل بخمسين سنة ولا ذكر شبر ولا فواق ناقة ثم سوء الخاتمة نعوذ بالله منه اي من سوء الخاتمة
وتغير الايمان فمن ذا يقدر على تطهير قلبه من خفايا النفاق والشرك الخفي والريا في زوايا القلب وان
اعتقد نقاء قلبه وصفائه عن مثله فمن يأمن مكر الله بتلبيس حاله عليه واخفاء عيبه عنه وان
وثق به فمن اين يثق ببقائه على ذلك الى تمام حسن الخاتمة التي عليها مدار سعادة العاقبة فاذن
اقصى غاية المؤمن ان يعتدل خوفه ورجاؤه اما غلبة الرجا في اكثر الناس فتكون مستندة
الى الاغترار وقلة المعرفة وان مثل عمر رضي الله حتى يعتدل خوفه ورجاؤه كما مر فالخلق الموجودون في
هذا الزمان كلهم الاصلح لهم غلبة الخوف بشرط ان لا يخرجهم الى اليأس وترك العمل وقطع الطمع
عن المغفرة فيكون ذلك سببا للتكاسل عن العمل وداعيا الى الانهماك في المعاصي وطول الامل فان
ذلك قنوط وليس بخوف انما الخوف هو الذي يحث الطاعات ويكدر جميع الشهوات ويزعج القلب
عن الركون الى الدنيا وزخارف اللذات ويدعوه الى التجافي عن دار الغرور والامنيات فهو الخوف
المحمود دون حديث النفس الذي لا يؤثر في الكف عن السيئات والحث على العبادات ودون اليأس
الموجب للقنوط من رحمة الله تعالى فقد قال يحيى بن معاذ من عبد الله بمحض الخوف غرق
في بحار الافكار ومن عبده بمحض الرجا تاه في مفاوز الاغترار ومن عبده بالخوف والرجا استقام
في محجة الاستقامة وقال مكحول النسفي من عبد الله بالخوف فهو حروري ومن عبده بالرجا
فهو مرجئ ومن عبده بمحض المحبة فهو زنديق ومن عبده بالخوف والرجا والمحبة فهو موحد صديق
ثم سوء الخاتمة اما بالشك والتردد في قبول الايمان او الجحود اي الانكار بان حل الايمان ومحى
الكفران عند النزع اي نزع الروح وحال سكرات الموت وظهور اهواله الموجبة لتغير احواله فيقبض
روحه في حال شك القلب او جحود الرب وذلك يقتضي البعد الابدي والعذاب المخلد وذلك الشك او
الجحود انما يقع لظهور بطلان بدعة يعتقدها في ذاته سبحانه او صفاته او افعاله في مصنوعاته
او نبوته او في امر من امور اخرى كان يعتقدها اي البدعة تقليدا من هذا قاله او تعويلا اي اعتمادا
على نتائج دلالة الكلام اي نتائج ادلة الخصام مما يعول عليه اصول علم الكلام ويغتر به مما بين
الانام فهوائي وقت النزع حالة الانكشاف اي انكشاف كل شيء على ما هو عليه كما قال تعالى فكشفنا
عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد فقوله فهو علة لظهور بطلان البدعة واما قوله او اعتقاد بطلان
كل ما اعتقده تمهيدا او قوله او شكه بالجر عطف على بطلان الثاني وقوله لهذا خبر المبتدأ اي واعتقاد
بطلان كل المعتقدات الصحيحة او اعتقاد شك كلها لهذا السبب وهو ظهور النزع اي صار هذا الظهور
سببا لاعتقاد شك الجميع ويجوز كون قوله او شكه مرفوعا عطفا على قوله واعتقاد دقيق وهو
الارجح يعني اعتقاد بطلان الجميع لهذا السبب قوله او شك الجميع لهذا الباعث والظهور
عندي انه فعل ماض عطف على اعتقد فتأمل ثم حاصله انه جواب سؤال مقدر يترتب على

قوله لظهور بطلان بدعته وتقرير السؤال ان قلت ظهور بطلانها انما يوجب الشك او الجحود
في نفسها فقط دون بقية الاعتقادات الصحيحة او الشك فيها كلها فكيف يتصور سوء الخاتمة
بها اي ببدعة واحدة فاجيب بما توضيحه ان المبتدع مهما كان بطل عنده ما كان اعتقده
وقد كان قاطعا به مستيقنا له عند نفسه ثم يظن بنفسه انه اخطأ في هذا الاعتقاد خاصة اذ ليس
فيه اي في اعتقاده الكاسد وعقله الفاسد بل ظن ان كل ما اعتقده لا اصل له اذا لم يكن عنده فرق
بين ايمانه بالله ورسوله وسائر اعتقاداته الصحيحة وبين اعتقاداته الفاسدة الصريحة فيكون
انكشاف بعض اعتقاداته عن الجهل سببا لبطلان بقية اعتقاداته او باعثا للشك فيها
فاذا اتفق زهوق روحه في هذه الخطرة قبل ان تثبت وتعود الى اصل الايمان فقد ختم له بالسوء
وخرجت روحه على الشرك والعياذ بالله منه فهؤلاء هم المرادون بقوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم
يكونوا يحتسبون مورده في التنزيل قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في
الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا والمعاملة اي يحسبون ان منافية الى ان تعارض بسوء
الخاتمة واراد بالمعاملة الورع والزهد وسائر الاعمال الصالحة فانها لا تكفي لدفع هذا الخطر
بل لا ينجي منه الا الاعتقاد الحق والبله جمع الابله بغير اعتقاد اي عن خطر سوء الخاتمة فانهم هم الذين
امنوا بالله ورسوله واليوم الاخر ايمانا مجملا راسخا كالاعراب والعجائز وسائر العوام الذين
لم يخوضوا في البحث والنظر العقلي اشتغالا ولم يشرعوا في الكلام اشتغالا ولم اصغوا الى
اصناف اهل الكلام في تقليد ارائهم المختلفة التي تعتقد ضلالا واضلالا ومنه ثم ورد اكثر اهل
الجنة البله رواه البزار من حديث انس ولذا منع السلف الكرام من البحث والنظر والخوض في الكلام
والتفتيش عن هذه الامور باتمام وامروا الخلق ان يقتصروا على ان يؤمنوا بما انزل الله جميعه
وبكل ما جاء من الظواهر عنده مع اعتقاد نفي التشبيه ومنعوهم عن الخوض في التأويل لان الخطر في
البحث عن الصفات عظيم وعقباته كؤودة ومسالكه وعرة والعقول عن درك جلال الله قاصرة وهداية
الله بنور اليقين عن القلوب بما جبلت عليه من حب الدنيا محجوبة وما ذكره الباحثون ببضاعة عقلهم
مضطربة ومتعارضة والقلوب لما القي اليها في ابتداء النشوء الخ وبه متعلقة والتعصبات ثائرة بين
الخلق مسامير مؤكدة للعقائد الموروثة والماخوذة بحسن الظن من المعلمين في اول الامر ثم
الطباع بحب الدنيا مشغوفة وعليها مقبلة وبشهوات الدنيا بمخنق اخذه وعن تمام الفكر صارفة
فاذا فتح باب الكلام بالله وبصفاته بالرأي والمعقول مع تفاوت الناس في قرائحهم واختلافهم في
طباعهم وحرص كل جاهل منهم على ان يدعي الكمال والاحاطة بكنه ذي الجلال انطلقت السنتهم
بما يقع لكل واحد منهم وتعلق ذلك بقلوب المصغين اليهم وتأكد ذلك بطول الالف فيهم وانسد بالكلية
طريق الخلاص عليهم فكانت سلامة الخلق في ان يشتغلوا بالاعمال الصالحة ولا يتعرضوا لما هو
خارج عن حد طاقتهم ولكن الان قد استرخى العنان وفشا الهذيان ونزل كل جاهل على ما وافق

وافق طبعه بظن وحسبان وهو يعتقد ان ذلك علم واستيقان وانه صفو الايمان وعرفان وظن
ان ما تنبع به من حدس وتخمين علم يقين بل عين يقين ولتعلمن نبأه بعد حين كما قيل
سوف ترى اذا انجلى الغبار • افرس تحتك ام حمار • ويتبين في حق من وان عند كشف الغطاء •
احسنت ظنك بالايام اذ حسنت • ولم تخف سوء ما يأتي به القدر • وسالمتك الليالي فاغتررت بها
وعند صفو الليالي يحدث الكدر • واعلم يقينا ان كل من فارق الايمان الساذج بالله وبرسوله وكتبه وخاض
في البحث فقد تعرض لخطر سوء الخاتمة بهذا المثل كما في الاحياء او سوء الخاتمة تقع بمعاداته تعالى وهو من
اضافة المصدر الى مفعوله لغلبة اي لمعرفة العبد بتفريطه تعالى اياه اي للعبد بالدنيا وتألم العبد اي وتوجه
بعد الحنا اي بشهوات الدنيا ولذاتها فكان يستولي حبها على صيغته اي على قلبه ويضعف ايمانه بالله وبجلاله
وان يكون من ذلك تعالى فيه الا لذات النفس المخطر اليه من هواه والحال ان قلبه اسود منتن تراكم ظلام الرذائل
من سوء الاخلاق والشمائل فان اتفق زهوق روحه في تلك اللحظة التي خطرت فيها بهذه الخطرة
فقد ختم له بالسوء سرمدا والهلاك به كما هو ابدا ولا يظلم ربك احدا فورد في التنزيل قل ان كان اباؤكم وابناؤكم
واخوانكم الى قوله اي وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها
احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بامره والله لا يهدي القوم الفاسقين
او سوء الخاتمة تحصل بامور بيانه كان يحبه العبد فاحتجب عنه تعالى شغلا لذلك العبد به اي بالامر الدنيوي
فما اعتاده وترسخ اي ثبت في القلب انه يتمثل في النوم ويعرف هذا المثال وهو لا يخفى عليك ان
الانسان يرى في منامه جملة من الاحوال التي عهدها طول عمره حتى انه لا يرى الا ما يماثل مشاهداته
في اليقظة فان المراهق الذي لم يحتلم لا يرى صورة الوقاع اذ لم يكن قد واقع في اليقظة ولو بقي
كذلك مدة لما رأى عند الاحتلام صورة الوقاع ثم لا يخفى ان الذي قضى عمره في الفقه يرى من الاحوال
المتعلقة بالعلم والعلماء ما لا يراه النبي الذي قضى عمره في التجارة والتاجر يرى من الاحوال المتعلقة (التاجر)
باسباب التجارة اكثر مما يراه الطبيب والفقيه لانه انما يظهر له في حالة النوم ما حصل له مناسبة مع
القلب بطول الالف والموت يشبه النوم ولذا قيل الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا ولكن الموت فوق النوم
والاسكرات الموت وغشيانه فقريب من النوم فيقتضي ذلك تذكر المألوفات من الطاعات او السيئات
او اللذات والشهوات ومن هنا تخالف منامات الصالحين والطالحين وقد قيل كما تعيشون تموتون
وكما تموتون تحشرون ويشير اليه قوله تعالى كما بدأكم تعودون وطول المواظبة على الخير وتخلية الفكر عن الشر
علة وذريعة لحالة سكرات الموت وساعات الفوت فانه يموت المرء على ما عاش عليه ويحشر على ما مات عليه
ولذا قيل عن بقال كان يلقن عند الموت كلمة الشهادة وهو يقول خمسة ستة اربعة زيادة وهو اي الاحوال
المذكور وسائر الامور لكثرة المعاصي مع قوة الايمان او قلتها مع ضعفه اي كثرة المعاصي مع ضعف
الايمان وهذا الحب المذكور او القسم المسطور من اقسام سوء الخاتمة لا يوجب الخلود في النار ويدخل فيه اي ولكن
من اقسام سوء الخاتمة فانهما لا يوجبان الخلود في دار البوار ومنه ثم اي ومن اجل ان سوء الخاتمة يتحقق

عند النزع يكره المجاهدة من الموت والبغتة المقتضية لبعض الفوت لجواز النفاق اي النفاق ووقوع
المجاهدة على خاطر سوء يكون سببا لسوء الخاتمة ويغبط الشهادة اي يحب ويتمنى ان يستأهل صحبه
تعالى حينئذ على القلب والاعراض عن الدنيا واقباله بكليته على الرب وهو اي هذا المقام لمن يخلص في
النية ولا يقصد العقبة من اخذ السلاح وقهر العباد والغنيمة من اموال القبيلة والخدام الا بنية
والصيت والجاه والرياء والسمعة والعلاج لتخلص من سوء الخاتمة المعرفة التامة من العلم النافع
ولزوم الطاعة من العمل الصالح وتعجيل التوبة عن المعصية والنوم على الطهارة ظاهرا وهو
ظاهر وباطنا بان لا يكون في قلبه غل وغش لاحد من خلق الله فورد من بات على طهارة
ثم مات من ليلته مات شهيدا رواه ابن السني عن انس وتنقية القلب اي تصفيته وتخليته عن حب
غير الرب وتلاوة القرآن غيبا ونظرا مع مراعاة المباني وملاحظة المعاني وطلب العلم النافع
من التفسير والحديث والفقه والتصوف قال امرك امر سوء الخاتمة صعب اي شديد ولذا ورد من تمرد
عن السلف من الصحابة والتابعين كثرة النوح والبكاء مع زيادة التضرع والالحاح في السراء والضراء
فقد قال الحسن البصري يخرج رجل من النار بعد الف عام يا ليتني كنت ذلك الرجل وانما قال ذلك لخوف
سوء الخاتمة وقال محمد بن الحنفية والله لو ان ركبا حلفا على غير رسول الله وابي الذي ولدني فنادت
الشيعة عليه لجعل لذكر فضائل علي ومناقبه وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم وجبريل عليه السلام
يبكيان خوفا من الله عز وجل فاوحى الله اليهما لم تبكيان وقد امنتكما فقالا ومن يامن مكرك رواه
الطبراني وغيره وكانهما اذ علما ان الله علام الغيوب وانه لا وقوف لهما على غاية الامور لم يامنا ان
يكون قوله قد امنتكما ابتلاء لهما وامتحانا ومكرا بهما حتى ان سكن خوفهما ظهر انهما قد امنا من المكر
وما وفيا بقولهما هذا ولولا ان الله لطيف بعباده العارفين اذ روح قلوبهم بروح الرجاء لاحترقت
قلوبهم بنار الخوف ففتح باب الرجاء للعارفين رحمة من الله واسبل الغفلة رحمة على عموم الخلق
من وجه وكان ابو الدرداء يحلف بالله ما احد امن على ايمانه ان يسلب عند الموت الا سلبه وكان سهل
يقول خوف الصديقين من سوء الخاتمة عند كل خطرة وكل حركة وهم الذين وصفهم الله اذ قال وقلوبهم
وجلة ولما احتضر سفيان جعل يبكي فقيل يا ابا عبد الله عليك بالرجاء فان عفو الله اعظم من ذنوبك
فقال او على ذنوبي ابكي لو علمت اني اموت على التوحيد لم ابال ان القى الله بامثال الجبال من الخطايا
وفي رواية عنه انه قال انما نبكي على الذنوب زمانا فالان نبكي على الاسلام وكان سهل يقول
المريد يخاف ان يبتلى بالمعاصي والعارف يخاف ان يبتلى بالكفر ويروى عن عيسى عليه السلام
انه قال يا معشر الحواريين انتم تخافون المعاصي ونحن معاشر الانبياء نخاف الكفر وفيه تنبيه على
ان الخوف من الانبياء اقوى وبه اشار حديث انا اعرفكم بالله والمعتقد ان الانبياء معصومون من الكفر
اجماعا بحسب النقل لكنهم كانوا خائفين من جهة تجويز العقل اذ لا يجب شيء على الله وان فعله الا بالعدل
واما الفضل وقد قيل كان الخليل عليه السلام اذا ذكر خطيئته يغشى عليه ويسمع اضطراب قلبه ميلين في

ميل فيأتيه جبريل فيقول له الجبار يقرئك السلام ويقول هل رأيت خليلا يخاف خليله فيقول
يا جبريل اني اذا ذكرت خطيئتي نسيت خلتي وعن الحسن لو اعلم اني بريء من النفاق كان احب الي
مما طلعت عليه الشمس وقد قال الحسن ان من النفاق اختلاف السر والعلن فيه واختلاف اللسان والقلب
والمدخل والمخرج ومن الذي يخلص من هذه الطوائف بل صارت هذه الامور مالوفة بين الناس معتادة
ونسي كونها منكرا بالكلية بل جرى ذلك على قرب عهد بزمانه عليه السلام فكيف الظن بزماننا هذا حتى
قال حذيفة ان كان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهده عليه السلام فيصير بها منافقا اني لاسمعها
من احدكم اليوم عشر مرات رواه احمد وكان الصحابة يقولون انكم لتعملون اعمالا هي ادق في اعينكم
من الشعر كنا نعدها على عهده عليه السلام من الكبائر رواه البخاري وغيره وقال بعضهم علامة
النفاق ان تكره من الناس ما تأتي مثله وان تحب على شيء من الجور وان تبغض على شيء من الحق وقيل من
النفاق انه اذا مدح بشيء ليس فيه اعجبه ذلك وقال رجل لابن عمر انا ندخل على هؤلاء الامراء فنصدقهم
بما يقولون فاذا خرجنا تكلمنا فيهم فقال كنا نعد هذا النفاق على عهده عليه السلام رواه احمد وسمع رجلا
يذم الحجاج ويقع فيه فقال ارايت لو كان الحجاج حاضرا اكنت تتكلم بما تكلمت به قال لا قال كنا
نعد هذا النفاق على عهده عليه السلام واشد من ذلك ما روي ان نفرا قعدوا على باب حذيفة ينتظرونه
فكانوا يتكلمون في شيء من شانه فلما خرج سكتوا استحياء منه فقال تكلموا فيما كنتم تقولون فسكتوا فقال كنا
نعد هذا النفاق على عهده عليه السلام وكان حذيفة يقول انه ياتي على القلب ساعة يمتلئ بالايمان
حتى لا يكون للنفاق فيه مغرز ابرة ويأتي عليه ساعة يمتلئ بالنفاق حتى لا يكون للايمان فيه
مغرز ابرة وتعلم بهذا ان النفاق الذي هو ضد الايمان بل المراد به ما يجتمع مع اصل الايمان من بعض
العصيان والحاصل ان العارف بين المخافتين اي السابقة والخاتمة الا ان خوفه من الخاتمة اكثر ولذا
قال عليه السلام العبد المؤمن بين مخافتين بين اجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين اجل
قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه فوالذي نفسي بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا من دار
الا الجنة او النار ذكره البيهقي وغيره وقال عيسى عليه السلام يا معشر الحواريين خشية الله وحب الفردوس
يورثان الصبر على المشقة ويباعدان من الدنيا وبحق اقول لكم ان اكل الشعير والنوم على المزابل مع الكلاب
في طلب الفردوس قليل ويروى عن الصديق انه قال للطائر ليتني مثلك يا طائر ولم اخلق بشرا وقال ابو ذر
وددت لو اني شجرة تعضد وكذا قال طلحة وقال عثمان وددت اني اذا مت لم ابعث وقالت عائشة
وددت اني كنت حيضة ونسيا منسيا وروي ان عمر كان يسقط من الخوف اذا سمع اية من القرآن فغشي
عليه وكان يعاد اياما واخذ يوما تبنة من الارض وقال ليتني كنت مثل هذه التبنة يا ليتني لم اك شيئا مذكورا
يا ليتني كنت نسيا منسيا يا ليت امي لم تلدني وكان في وجه عمر خطان اسودان من الدموع وقد قرأ
عمر اذا الشمس كورت فانتهى الى قوله واذا الصحف نشرت خر مغشيا عليه ومر يوما بدار انسان وهو يصلي
ويقرأ سورة والطور فوقف يستمع فلما بلغ قوله تعالى ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع نزل عن حماره واستند

الى حائط فمكث زمانا ورجع الى منزله فمرض شهرا يعوده الناس ولا يدرون مرضه وقال علي كرم
الله وجهه وقد سلم من صلاة الصبح وقد علاه كآبة وهو يقلب يده لقد رأيت اصحاب محمد عليه السلام
فلم ار اليوم شيئا يشبههم لقد كانوا يصبحون شعثا غبرا بين اعينهم امثال ركب المعزى قد باتوا سجدا
وقياما يتلون كتاب الله يراوحون بين جباههم واقدامهم فاذا اصبحوا فذكروا الله مادوا كما تميد الشجرة
في يوم الريح وهملت اعينهم بالدموع حتى تبل ثيابهم والله كأني بالقوم باتوا غافلين يعني من
حوله ثم قام فما رأي بعد ذلك ضاحكا حتى ضربه ابن ملجم وقال عمران بن حصين لوددت اني كنت
رمادا تسفيني الرياح في يوم عاصف وقال ابو عبيدة بن الجراح وددت اني كبش فيذبحني اهلي فيأ [كلون]
كلون لحمي ويحسون مرقي وكان علي بن الحسين اذا توضأ اصفر لونه فيقول له اهله ما هذا الذي يعتادك
عند الوضوء فيقول اتدرون بين يدي من اريد ان اقوم وقرأ مضر القاري يوما هذا كتابنا ينطق
عليكم بالحق الآية فبكى عبد الواحد بن زيد حتى غشي عليه وقال وعزتك وجلالك لا عصيتك جهدي ابدا
فاعني بتوفيقك على طاعتك وكان المسور بن مخرمة لا يقوى على ان يسمع القرآن من شدة خوفه
ولقد كان يقرأ عنده الحرف والآية فيصيح الصيحة فما يعقل اياما حتى اتى عليه رجل من خثعم فقرأ عليه يوم
نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا فقال انا من المجرمين ولست من المتقين
اعد على القول ايها القاري فاعاد عليه فشهق شهقة فلحق بالآخرة وروي ان زرارة بن اوفى
صلى بالناس صلاة الغدوة فلما قرأ فاذا نقر في الناقور خر مغشيا عليه فحمل ميتا وسئل ابن عباس
عن الخائفين فقال قلوبهم بالخوف قرحة واعينهم باكية يقولون كيف نفرح والموت وراءنا والقبر امامنا
والقيامة موعدنا وعلى جهنم طريقنا وبين يدي ربنا موقفنا وقال عمر بن عبد العزيز انما جعل الله
الغفلة في قلوب العباد رحمة كيلا يموتوا من خشية الله وقال الفضيل اني لا اغبط نبيا مرسلا ولا
ملكا مقربا اليس لهم آخر يعاينون يوم القيامة انما اغبط من لم يخلق وروي ان فتى من الانصار دخلته
خشية النار فكان يبكي حتى حبسه ذلك في البيت فجاء عليه السلام ودخل البيت واعتنقه فخر ميتا فقال
عليه السلام جهزوا ميتكم فان الفرق من النار فتت كبده رواه ابن ابي الدنيا والبيهقي في الشعب
من حديث سهل بن سعد وقال العنبري اجتمع اصحاب الحديث على باب الفضيل بن عياض فاطلع
عليهم من كوة وهو يبكي ولحيته ترجف فقال عليكم بالقرآن عليكم بالصلاة ويحكم ليس هذا زمان حديث
انما هذا زمان بكاء وتضرع ودعاء كدعاء الغريق انما هذا زمان احفظ لسانك واخف مكانك وعالج
قلبك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر وقال رجل للحسن يا ابا سعيد كيف اصبحت فقال بخير فقال كيف حالك
فتبسم الحسن فقال تسألني عن حالي ما ظنك بناس قد ركبوا سفينة حتى توسطوا البحر فانكسرت سفينتهم
فتعلق كل انسان منهم بخشبة على اي حال هم قال الرجل على حالة شديدة قال الحسن حالي اشد من
حالهم وعن ابن السماك لقد قطع قلوب الخائفين طول الخلود اما في الجنة او في النار وقال معاذ
بن جبل ان المؤمن لا يسكن روعته حتى يخلف جسر جهنم وراءه وحاصل الكلام ان غلبة

غلبة الخوف حال الصحة اصلح ليبعثه على ترك الغفلة وغلبة الرجاء في تلك الحالة اصلح لانه اجلب للمحبة
ولذا قال عليه السلام لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بربه رواه مسلم من حديث جابر ومن
هنا لما حضرت الوفاة سليمان التيمي قال لابنه يا بني حدثني بالرخص واذكر لي الرجاء حتى القى الله
حسن الظن به وكذلك لما حضرت الوفاة سفيان الثوري واشتد جزعه جمع العلماء حوله يرجونه وقال
الامام احمد عند الموت لابنه اذكر لي الاخبار التي فيها الرجاء وحسن الظن والمقصود من ذلك ان يحبب
الله الى نفسه وان يموت الا المحبة التي هي مقام انسه رزقنا الله منه فيض قدسه آمين آمين آمين

الباب التاسع عشر

في الفقر والزهد الفقر فخر الانبياء وفخر الاولياء والزهد
زاد الانبياء وقدم الفقر على الزهد بناء على تقدم وجود اصله في كل مخلوق وشكله ويشير اليه قوله تعالى
والله الغني وانتم الفقراء والزهد عارض من جهة عدم ميله الى الغنا المضر لوصوله بنيله بسم الله [الرحمن الرحيم]
افتقر الى غنا ذي الكريم وازهد عن غير لقاء مولاي العظيم الفقر فقد ما يحتاج اليه فمن ظن الفاقد
ما لديه الا فقدان حاجة اليه فلا يسمى فقيرا وان كان المحتاج اليه موجودا مقدورا عليه لم يكن المحتاج [ح]
اليه فقيرا واذا فهمت هذا لم تشكك في ان كل موجود سوى الله سبحانه فهو فقير لانه محتاج الى دوام الوجود
في ثاني الحال ودوام وجوده مستفاد منه فضل الله وجوده وان كان في الوجود موجود ليس وجوده مستفادا [دا]
له من غيره فهو الغني المطلق ولا يتصور ان يكون مثل هذا الموجود الا واحدا فليس في الوجود الا
غني واحد وكل ما عداه محتاج اليه في ايجاده وامداده والى هذا الحصر اشير في قوله تعالى والله الغني
وانتم الفقراء وهذا معنى الفقر مطلقا ولكن المراد ههنا بيان الفقر بالمال على الخصوص والا فقر
العبد بالاضافة الى اصناف حاجاته لا ينحصر فان فرح السالك بالفقد المذكور او بحصول ما يحتاج
اليه وكره الزائد على الضرورة فيما لديه فزاهد اي مخصوص باسم زاهد وهذه الحالة حال العليا وان لم يكره
الزائد على الضرورة كراهة يتأذى بوصوله ولم يرغب في الزائد على الضرورة رغبة يفرح بحصوله
فراض اي فاسمه راض ورب راغب في المال لا يخطر بقلبه انكار على الله ولا كراهة في فعل مولاه
فتلك الكراهة هي التي تحبط ثواب الفقر في عقباه وورد يا معشر الفقراء اي جماعتهم اعطوا الله الرضا
من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم وتتمة الحديث والا فلا رواه الديلمي عن ابي هريرة وربما مفهوم الحديث
يشعر بان الحريص لا ثواب له على فقره لكن العمومات الواردة في فضل الفقر والقناعة والزهد تدل
على ان له ثوابا فلعل المراد بعدم الرضا هو الكراهة بفعله سبحانه في حبس الدنيا عنه وان ترك الطلب
اي طلب الزائد على الضرورة ولكن تركه مع ان الوجود اي وجود المال الزائد عنده احب من عدم
وجوده لرغبة له فيه ولكن لم يبلغ من رغبته ان يكون له طلبه بل ان اتاه عفوا صفوا اخذه وفرح
به وان افتقر الى تعب في طلبه لم يشتغل به فقانع اي فيقال له قانع اذ قنع نفسه بالموجود حتى ترك
طلب المفقود مع ما فيه من الرغبة الضعيفة في الوجود وان رغب في الزائد لو وجد سبيلا الى طلبه ولو
بالتعب لطلبه وتركه للعجز اي وترك الطلب لعجزه عن طلبه او هو مشغول بالطلب وتعبه فحريص

اسمه وان اضطر اليه اي اشتد الى ما يحتاج اليه وفقده ضر به عليه كالجايع الفاقد للخبز
والعاري الفاقد للثوب فمضطر وصفه كيف ما كانت رغبته في الطلب ضعيفة او قوية وقلما ينفك صاحب
هذه الحالة عن الرغبة في الجملة وان علا من الفقر او من الزهد اما على احوال الخمس تستوي الوجود
اي وجود ما يحتاج اليه من المال والعدم اي وفقد ما يحتاج اليه فان وجده لم يفرح من شانه ولم
يتاذ عن اتيانه وان فقده كذلك كحال عايشة رضي الله عنها اذ اتاها مائة الف درهم من العطا
فاخذته وفرقته من يومها فقالت خادمتها لو ابقيت منها درهما نشتري به لنا لحما نفطر فقالت لو
ذكرتيني فعلت فمن هذا حاله لو كانت الدنيا بحذافيرها في يده وخزائنها في تصرفه لم يضره اذ هو يرى
الاموال في خزاين الملك المتعال لا في يد نفسه فلا يفرق بين ان يكون في يده او في يد غيره
وقد حملت خزاين الارض الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى ابي بكر وعمر رضي الله عنهما فاخذوها ووضعو ها
ووضعوها في مواضعها ولم يكن عندهم فرق بين الماء والمال في كل الحال وهو استغنا دون الغنا
المطلق لان الغنا المطلق اي الغنا المطلق به اي بالحق تعالى شانه وينبغي ان يسمى صاحبه المستغني
لانه غني عن فقد المال ووجوده جميعا وقد يقال له غني بغنا مولاه بحكم ليس الغنا عن كثرة العرض انما
الغنا غنا النفس ثم بهذا العبد وان استغنى عن المال وجودا وعدما لم يستغن عن الاشيا اخر سواه ولم
يستغن عن مدد توفيق الله فيبقى استغناه الذي زين الله تعالى به قلبه فان القلب المقيد بحب المال
رقيق والمستغني عنه حر والله تعالى هو الذي اعتقه عن هذا الرق فهو محتاج الى دوام هذا العتق
والقلوب متقلبة بين الرق والحرية في اوقات متقاربة لانها بين اصبعين من اصابع الرحمن فلذا لم
يكن اسم الغنا مطلقا عليه مع هذا الكمال الا مجازا وهو الاستغنا المراد بما ورد منه الكتاب والسنة
في فضل الفقر والفقرا كقوله تعالى للفقرا المهاجرين الاية وللفقرا الذين احصروا الاية سياق الكلام
في معرض المدح ثم قدم وصفهم بالهجرة والاحصار وكقوله عليه السلام اسالك ان القى الله فقيرا ولا تلقه
غنيا رواه الحاكم من حديث بلال والطبراني من حديث ابي سعيد بلفظ مت فقيرا ولا تمت غنيا وقوله يدخل
فقرا امتي الجنة قبل اغنيائهم بخمسمائة عام رواه الترمذي من حديث ابي هريرة وقال حسن صحيح وقوله
الفقر ازين بالمؤمن من العذار الحسن على خد الفرس رواه الطبراني من حديث شداد بن اوس وقوله
اطلعت في الجنة فرايت اكثر اهلها الفقرا واطلعت في النار فرايت اكثر اهلها الاغنيا رواه احمد من
حديث عبد الله بن عمرو باسناد جيد وللشيخين من حديث اسامة بن زيد قمت على باب الجنة فاذا عامة
من دخلها المساكين واذا اصحاب الجد محبوسون وقوله تحفة المؤمن في الدنيا الفقر رواه محمد بن حنيف
الشيرازي في شرف الفقرا والديلمي من حديث معاذ بن جبل بسند لا باس به وقوله اخر الانبيا دخول
الجنة سليمان لمكان ملكه واخر اصحابي دخولا الجنة عبد الرحمن بن عوف لاجل غناه وفي رواية رايته
دخل الجنة زحفا وللديلمي عن ابي الدردا مرفوعا اوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام يا موسى اذا رايت
الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين واذا رايت الغنا مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته وروي ان

ان عيسى عليه السلام مر في سياحته برجل نايم ملتف في عباته فايقظه وقال يا نايم قم فاذكر الله تعالى
فقال ما تريد مني اني قد تركت الدنيا لاهلها فقال له فنم اذن حبيبي نم وقال موسى عليه السلام
يا رب من احبائك من خلقك حتى احبهم فقال كل فقير فقير فيحتمل ان يكون الثاني تاكيدا وان يكون
المراد به شديد الفقر وكان عيسى عليه السلام احب الاسامي اليه ان يقال له يا مسكين ولابي
الشيخ من حديث انس يقول الله عز وجل يوم القيامة ادنوا مني احبائي فتقول الملائكة ومن احباؤك
فيقول فقرا المسلمين فيدنون منه فيقول اما اني لم ازو الدنيا عنكم لهوانكم علي ولكن اردت
بذلك ان اضعف لكم كرامتي فتمنوا علي ما شئتم ولابي نعيم في الحلية من حديث الحسين بن علي اتخذوا
عند الفقرا اياديا فان لهم دولة يوم القيامة وللطبراني من حديث ابي امامة دخلت الجنة فسمعت حركة
امامي فنظرت فاذا بلال فنظرت الى اعلاها فاذا فقرا امتي واولادهم فنظرت في اسفلها فاذا
فيهم الاغنيا والنسا قليل فقلت يا رب ما شانهم فقال اما النسا فاضر بهن الاحمران الذهب والحرير
واما الاغنيا فاشتغلوا بطول الحساب فتفقدت اصحابي فلم ار عبد الرحمن بن عوف ثم جاني بعد ذلك
وهو يبكي فقلت ما خلفك عني فقال اما والله يا رسول الله ما خلصت اليك حتى لقيت المشيبات وظننت اني
لا اراك فقلت لم قال كنت احاسب بمالي ولابن ماجه بسند جيد من حديث معاذ الا اخبركم عن ملوك الجنة
قالوا بلى يا رسول الله فقال كل ضعيف مستضعف ذي طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره وللحاكم والترمذي
من حديث عايشة انه عليه السلام قال لها ان اردت اللحوق بي فعليك بعيش الفقرا واياك ومجالس
الاغنيا ولا تنزعي درعك حتى ترقعيه وعن ابن عباس ملعون من اكرم بالغنى واهان بالفقير
وقال لقمان لابنه لا تحقرن احدا لخلقان ثيابه فان ربك وربه واحد وقال يحيى بن معاذ حبك للفقرا
من اخلاق المرسلين وايثارك مجالستهم من علامات الصالحين وفرارك من صحبتهم من علامة المنافقين
وقال الموصلي ما رايت الغني اذل منه في مجلس الثوري ولا رايت الفقير اعز منه في مجلس الثوري وللدارقطني وغيره
من حديث ابن عمر ان لكل شي مفتاحا ومفتاح الجنة حب المساكين والفقرا الصبر هم جلسا الله يوم القيامة
وفي الصحيحين من حديث ابي هريرة اللهم اجعل رزق ال محمد قوتا وفي رواية لمسلم كفافا ولابن ماجة
من حديث انس ما من احد غني ولا فقير الا ود يوم القيامة انه كان اوتي قوتا في الدنيا وللديلمي يقول الله
تعالى يوم القيامة اين صفوتي من خلقي فيقول الملائكة ومن هم يا ربنا فيقول فقرا المسلمين القانعين
بعطائي الراضين بقضائي ادخلوهم الجنة فيدخلونها ويأكلون ويشربون منها والناس في الحساب
يترددون اما ورد التعوذ بالله من الفقر كما للنسائي من حديث ابي سعيد الخدري انه عليه السلام كان يقول
اعوذ بالله من الكفر والفقر وفي رواية للحاكم من الفقر والكفر ونحوه من حديث كاد الفقر ان يكون كفرا
وقد تقدم فمحمول على الاضطرار بل الضمام زهد في الاختيار وهو ان يضطر اليه الشي ويفقده لان
هذه الحالة لا تسكن الا مشوشا ومحمول على فقر القلب فمن ذي النون اقرب الناس الى الكفر ذو فاقة
لا صبر له وفي الجملة كلما هو ثناء على الولي فهو مشوم في الدنيا وان حرك ومن كلما ورد اعوذ بك من شر

فتنة الفقر وشر فتنة الغنى فان الفقر يكون منسيا كما ان الغنى يكون مطغيا وهذا وسنذكر فضل الزهد في محله
ان شاء الله تعالى واما الآثار في الرضا والقناعة فكثيرة منها قول عمر رضي الله عنه ان الطمع فقر واليأس غنى وانه من
ييئس عما في ايدي الناس وقنع بما في يده استغنى عنهم وفي دعائه عليه السلام اللهم قنعني بما رزقتني
وبارك لي فيه وقد قيل في القناعة شعر اضرع الى الله لا تضرع الى الناس * واقنع بيأس فان العز
في اليأس * واستغن عن كل ذي قربى وذي رحم * ان الغني من استغنى عن الناس * وقال ابن مسعود
ما من يوم الا وملك ينادي من تحت العرش يا ابن ادم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك وقال ابو الدرداء
ما من احد الا وفي عقله نقص وذلك انه اذا اتته الدنيا بالزيادة ظل فرحا مسرورا والليل والنهار دائبين
في هدم عمره لا يحزنه ذلك ويح ابن ادم ما ينفعه مال يزيد وعمر ينقص وقيل لبعض الحكماء ما الغنى فقال قلة
تمنيك ورضاك بما يكفيك ومر رجل بعامر بن عبد القيس وهو يأكل ملحا وبقلا فقال له يا ابا عبد الله
ارضيت من الدنيا بهذا فقال الا ادلك على من رضي بشر من هذا قال بلى قال من رضي بالدنيا عوضا عن
العقبى وروي ان الله عز وجل قال في بعض الكتب المنزلة يا ابن ادم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها
الا القوت فاذا انا اعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فانا محسن اليك واختلفوا ان الفقر
مع الصبر افضل من الغنى مع الشكر ام الغنى مع الشكر افضل من الفقر مع الصبر فذهب الجنيد والخواص والاكثرون
الى تفضيل الفقر وخالفهم ابن عطاء كما تقدم وقد استدل عليه بان الغنى وصف الحق واجيب بان غناه
سبحانه ليس بالاسباب فانقطع ولم ينطق في هذا الباب واجيب ايضا بان التكبر من صفات الحق
فينبغي ان يكون افضل من التواضع ثم قيل بل هذا يدل على ان الفقر افضل لان صفات العبودية افضل
للعبد كالخوف والرجاء وصفات الربوبية لا ينبغي ان ينازع فيها لما ورد الكبرياء ردائي والعظمة ازاري
فمن نازعني فيهما قصمته وقال سهل حب العز والبقاء شرك في الربوبية ومنازعة فيها لانهما من صفات
الله قلت ويشير اليه قوله تعالى والله الغني وانتم الفقراء ثم التحقيق ان الفقر والغنى اذا اخذا مطلقا لم
يشك قراء الاخبار والآثار في تفضيل الفقر وانما يتصور التردد في مقام بين احدهما فقير صابر ليس
بحريص على الطلب بل هو قانع وراض بالاضافة الى غني منفق ماله في الخيرات ليس حريصا على امساك
المال وثانيهما فقير حريص مع غني حريص اذ لا يخفى ان الفقير القانع افضل من الغني الحريص الممسك
وان الغني المنفق ماله في الخير افضل من الفقير الحريص اتفاقا واما الاول فربما يظن ان الغني افضل
من الفقير لانهما تساويا في ضعف الحرص على المال والغني متقرب بالخيرات والفقير عاجز عنه وهذا هو
الذي ظنه ابن عطاء في غالب الظن فاما الغني المتمتع بالمال وان كان في مباح فلا يتصور ان يفضل
على الفقير القانع وقد يشهد له ما يأتي من سؤال الفقراء عن تولهم ترجيح الاغنياء والحق ان الاختلاف
بحسب الاشخاص والاحوال كما يشير اليه قوله تعالى ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه
كان بعباده خبيرا بصيرا وفي الحديث القدسي ان من عبادي من لا يصلحه الا الفقر ولو اغنيته لفسد حاله
وان من عبادي من لا يصلحه الا الغنى ولو افقرته لفسد حاله وفي دعائه عليه السلام اللهم وسع لي

اي في رزقي عند كبر سني ومن جنا قبل التسليم اسلمه مقام الرضا اتم والله اعلم ويؤيده قوله تعالى عسى ان
تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون فالفضل الزيادة
الفضيلة بقدر الفراغ عن الشواغل اي الموانع عن تحصيل الفضائل والدنيا انما حذر عنها اي عن
حبها للشغل عنه تعالى بسببها وتوضيحه ان المال لا يراد لعينه بل يراد لغيره فينبغي ان يضاف المقصود
اذ به يظهر فضله والدنيا ليست محذورة لعينها بل لكونها عائقة عن الوصول الى الله ولا الفقر مطلوب
لعينه ولكن لان فيه فقد العائق عن الله سبحانه وكم من فقير شغلته الدنيا وضيعه وكسبه وصرفه الفقر
عن المقصد كاكثر ابناء الدنيا وكم من غني لم تشغله الدنيا ولو اكثر منها كالانبياء كسليمان عليه السلام
وداود وابراهيم وعبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان وذلك لان غاية المقصد في الدنيا هو حب
الله والانس به ولا يكون ذلك الا بعد معرفته وسلوك سبيل المعرفة مع الشواغل غير ممكن والفقر قد يكون
من الشواغل كما ان الغنى قد يكون من الشواغل كما يشير اليه قوله عليه السلام اعوذ بك من شر فتنة الفقر
وشر فتنة الغنى كما تقدم وانما الشاغل على التحقيق حب الدنيا اذ لا يجتمع معه حب الله في القلب والمحب
للشيء مشغول به سواء كان في فراقه او في وصاله وربما يكون شغله في الفراق اكثر وربما يكون في الوصال
اكثر والدنيا معشوقة للغافلين فالمحروم عنها مشغول بطلبها والقادر عليها مشغول بحفظها والتمتع
بها اما في الاكثر فالفقر افضل اذ هو الابعد عن الخطر في الشغل عن المولى والانس اي وعن الاستئناس
بالدنيا والقدرة اي وعن القوة على الشهوة اذ فتنة السراء اشد من فتنة الضراء ومن العصمة ان
لا تقدر ولذا قالت الصحابة بلينا بفتنة الضراء فصبرنا وبلينا بفتنة السراء فلم نصبر ومن هنا قال
عيسى عليه السلام لا تنظروا الى اموال اهل الدنيا فان بريق اموالهم يذهب بنور ايمانكم وفي الخبر ان
لكل امة عجلا وعجل هذه الامة الدينار والدرهم رواه الديلمي من طريق ابي عبد الرحمن السلمي من
حديث حذيفة وكان اصل عجل قوم موسى عليه السلام من حلية الذهب والفضة ايضا فاستوى المال
والذهب والحجر اي تساويه للانبياء والاولياء ثم يتم لهم ذلك بعد فضل الله بطول المجاهدة كما ذكر
اذ كان عليه السلام يقول للدنيا اليك عني اليك عني اذ كانت تتمثل له بزينتها رواه الحاكم وكان
علي كرم الله وجهه يقول يا صفراء غري غيري ويا بيضاء غري غيري وذلك لاستشعاره في نفسه ظهور
مبادي الاغترار بهما لولا ان راى برهان ربه الا في المضطر فلعله الفقر افضل في حقه لانه اي المضطر
يموت جوعا اي خائفا عن الخير فقيرا وقد يكون ذلك كفرا والواجب بالنصب عطفا على الخبر وبالرفع على انه
مبتدا اخبر تحصيل المعرفة والجملة حال الا من المستثنى اي الا مضطرا لا يتوب عن المعاصي فالموت
خير له اي فالفقر الموجب للموت خير له اذ يقل معاصيه في الدنيا ويتخلص بموته عن الم الاضطرار وكذا في نفس
الامر اي وكما ان الفقر افضل في حق الاكثر فكذا هو افضل في نفس الامر فورد اللهم احيني مسكينا وامتني
مسكينا واحشرني في زمرة المساكين رواه الترمذي من حديث انس وحسنه وابن ماجه والحاكم وصححه من
حديث ابي سعيد وفيه مبالغة عظيمة في مدح المساكين حيث لم يقل واحشرهم في زمرتي وهو انما تواضع منه عليه

السلام والمراد بهم الانبياء والمرسلين لان غالبهم كانوا فقراء ومساكين وفي رواية للترمذي
زيادة يوم القيامة فقالت عائشة لم يا رسول الله قال انهم يدخلون الجنة قبل اغنيائهم باربعين خريفا
بلغ عني خطاب منه عليه السلام لمن جاء برسالة الفقراء من اصحابه الكرام والمعنى اخبر عني الفقراء
تسلية لهم حيث ما جعلوا اغنياء ان لمن صبر على الفقر واحتسب اي طلب منه الله الاجر منكم معشر الفقراء
ثلث خصال مختصة بكم ليست للاغنياء واحدة منها فضلا عن جميعها اما الخصلة الواحدة فان في
الجنة غرفا اي قصورا عالية ينظر اليها اهل الجنة كما ينظر اهل الارض الى نجوم السماء لا يدخلها الا نبي
فقير او شهيد فقير او مؤمن فقير وهو من لا يكون صاحب نصاب والثانية يدخل الفقراء الجنة قبل الاغنياء
بنصف يوم وهو خمسمائة عام وهذه الجملة رواه الترمذي من حديث ابي هريرة وصححه والثالثة اذا قال
الغني سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وقال الفقير مثل ذلك لم يلحق الغني بالفقير وان انفق
معها عشرة الاف درهم وكذلك اعمال البر كلها لمن جاء متعلق ببلغ عني اي قال النبي عليه السلام
لمن جاء برسالة الفقراء ان الاغنياء يجوز فتح ان وكسرها يحجون ويعتمرون ويتصدقون بفضول اموالهم
ونحن عاجزون عن ذلك في تمام احوالهم وفي الاحياء روي ان الفقراء شكوا الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم سبق الاغنياء بالخيرات والصدقات والحج والجهاد فعلمهم كلمات في التسبيح وذكر لهم انهم
ينالون بها فوق ما نال الاغنياء فتعلمه الاغنياء فكانوا يقولونه فعادوا الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاخبروه فقال عليه السلام ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء قال مخرجه متفق عليه من حديث ابي
هريرة نحوه انتهى وقال في الاحياء ايضا وقد استشهد ابن عطا بهذا ايضا قال وفيه نظر لان الخبر
قد ورد مفصلا تفصيلا يدل على خلاف ذلك وهو ان ثواب الفقير في التسبيح يزيد على ثواب الغني
وان فوزهم بذلك الثواب هو فضل الله يؤتيه من يشاء فقد روى زيد بن اسلم عن انس قال
بعث الفقراء رسولا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني رسول الفقراء اليك فقال مرحبا
بك وبمن جئت من عندهم جئت من عند قوم احبهم الله قال قالوا يا رسول الله ان الاغنياء ذهبوا
بالجنة يحجون ولا نقدر عليه ويعتمرون ولا نقدر عليه واذا مرضوا بعثوا بفضل اموالهم ذخيرة
لهم فقال عليه السلام بلغ عني الفقراء الحديث قال مخرجه لم اجده هكذا بهذا السياق والمعروف في هذا
المعنى ما رواه ابن ماجه من حديث ابن عمر اشتكى فقراء المهاجرين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما فضل الله به عليهم اغنياءهم فقال يا معشر الفقراء الا ابشركم ان فقراء المهاجرين يدخلون الجنة
قبل اغنيائهم بنصف يوم وهو خمسمائة عام ولان عطف على ورد فهو دليل ثان على ان الفقر
افضل في نفس الامر وذلك لان الغنى سبب طول الحساب وهو نوع من العذاب ولذا قال ابو
الدرداء ما احب ان لي حانوتا على باب المسجد ولا تخطئني صلاة ولا ذكر واربح كل يوم اربعين دينارا
واتصدق بها في سبيل الله قيل وما تكره قال سوء الحساب ومن ثمه قال شقيق اختار الفقراء ثلثة اشياء
تعب النفس وشغل القلب وشدة الحساب والغرور اي وسبب طول الوقوف في الامور الموجب للحجاب

للحجاب فقد قال بعض السلف مثل من تعبد وهو في طلب الدنيا كمثل من يطفئ النار بالحلفاء ومثل من
يغسل يده من الغمر بالسمك وقال ابو سليمان الداراني تنفس فقير من شهوة لا يقدر عليها افضل من
عبادة غني الف عام وعن الضحاك قال من دخل السوق فرأى شيئا يشتهيه فصبر واحتسب كان خيرا له
من الف دينار ينفقها كلها في سبيل الله عز وجل وقال رجل لبشر بن الحارث ادع الله لي فقد اضر بي العيال
فقال اذا قال لك عيالك ليس عندنا دقيق ولا خبز فادع الله لي في ذلك الوقت فان دعاءك افضل من
دعائي وكان يقول مثل الغني المتعبد مثل روضة على مزبلة ومثل الفقير المتعبد مثل عقد الجوهر على
جيد الحسناء وقد كانوا يكرهون سماع علم المعرفة من الاغنياء فان عورض ما ذكر من ادلة تفضيل الفقر
على الغناء بان الغنى صفة الحق تعالى والتخلق باخلاقه مندوب اليه كما ورد تخلقوا باخلاق الله وبان
الغني قادر على العبادات المالية من الزكاة والحج والعمرة دون الفقير اي يحصل فيه لم يتعرض اي لم يشتغل
اعراضه مع ان ما ذكر فيه ما لا وتشريحهما مرتب قوله ان الغنى بالاسباب والاعراض الواقعة من غير
اكتساب ليس فيه خلقة اي صفة الحق تعالى كالتكبر بهما دون استحقاق للغناء والكبرياء وذلك لان الله تعالى
غني بذاته لا يتصور زواله والتكبر لا يليق بالعبد لانه من خاصة صفات الله تعالى بذاته كما اوضحناه
فيما تقدم والعبادات اي وان العبادات المالية انما توجب الثواب في العقبى لترك الدنيا لا لاشتغال بخدمة
المولى كالتوبة من الذنب توجب المثوبة في الاخرى لترك الذنب اي مخالفة المولى فكيف فضل الغنى على
الفقير بهذا الاعتبار يفضل العاصي على المتقي اي الطائع من الابرار وهو لا يصح عند اولي الالباب
وحقه اي حق الفقير الواجب عليه شرعا ان لا يكرهه اي الفقر من حيث انه فعله تعالى شرعا
وان كان كارها للفقر طبعا كالمحجوم يكون كارها للحجامة ولا يكره فعل الحجام ولا كارها للحجام بل يراه
متفضلا منه بما يتقلد المحجوم اي يتقلد المنة من الحجام ثم عدم الكراهة من هذه الحيثية واجبة ونقيضه
حرام ومحبط ثواب الفقر وهذا معنى قوله والا يأثم اي وان لم يحبه من حيث انه فعله تعالى يأثم لعدم
الرضا بالقضاء وهو واجب على العباد شرعا وان كان الفقر مكروها عنده طبعا وارفع من هذا المقام
ان لا يكون كارها للفقر بل يكون راضيا به وارفع منه ان يكون طالبا له وفرحا به لعلمه بغوائل الغناء
ويكون متوكلا في باطنه على الله تعالى واثقا به في قدر ضرورته انه يأتيه الرزق لا محالة من عند المولى ويكون
كارها للزيادة على الكفاف فقد قال علي كرم الله وجهه ان لله عقوبات بالفقر ومثوبات بالفقر فمن
علامة الفقر اذا كان مثوبة ان يحسن عليه خلقه ويطيع به ربه ولا يشكو حاله ويشكر الله تعالى على
فقره ومن علامته اذا كان عقوبة ان يسوء عليه خلقه ويعصي ربه ويكثر الشكاية والتسخط بالقضاء
وهذا ادب باطنه مع ربه ويستر اي ومن حق الفقير ادبا ظاهرا ان يستر ما ويكتم فقره ويستر ايضا
ستره فقد قال بعضهم ستر الفقر من كنوز البر وروي من كنوز البر كتمان المصائب بالتجمل اي باظهار
الجمال كانه صاحب المال كما قال صاحب هذا الحال واذا تصبك خصاصة فتجمل وقال سفيان افضل
الاعمال التجمل عند شدة الاحوال والتعفف عن السؤال والاظهار الحال وقد وصف الله اصحاب الصفة من

كمل الرجال بقوله يحسبهم اي يظنهم اغنيا من التعفف اي لاظهار العفة حال المحنة فورد ان الله يحب الفقير
المتعفف ابا العيال رواه ابن ماجه من حديث عمران بن حصين ولا يتواضع اي ومن حق الفقراء
ان لا يتواضع لغني لاجل ماله لغناه اي لاجل ما له منه اي المال المستغني عن طلب الكمال من العلوم والاعمال
فورد فيه اي في ذمه من تواضع لغني لاجل غناه ذهب ثلثا دينه رواه البيهقي وغيره وروى الديلمي من
حديث ابي ذر بلفظ لعن الله فقيرا تواضع لغني من اجل ماله من فعل ذلك منهم فقد ذهب ثلثا دينه
انتهى وذلك لان العبادة قلب ولسان وجوارح وفي تعظيم الغني لا بد من استعمال اللسان
والجوارح وفيه تنبيه بنيه على انه لو عظمه بقلبه ذهب كل دينه بل حق الفقراء التكبر على اي على
الغني المستغني بربه الغني المغني فورد انه اي التكبر على الغني المتكبر صدقة اي ثوابه صدقة او صدقة
من صدقات الفقير يدل على صدقته في باب الفقر وفي رواية نية مع التاكيد فانه صدقة وعن علي
كرم الله وجهه ما احسن تواضع الغني للفقير رغبة في ثواب الله واحسن منه تيه الفقير على الغني ثقة بالله
فهذه رتبة واقل منه ان لا يخالط الاغنيا ولا يرغب في مجالستهم لان ذلك مبادي الطمع قال
الثوري اذا خالط الفقير الاغنيا ورغب في مجالستهم فاعلم انه مراي واذا خالط السلطان فاعلم انه
لص وقال بعض العارفين اذا مال الفقير الى الاغنيا انحلت عروته فاذا طمع فيهم انقطعت عصمته
واذا سكن اليهم ضل سعيه ومحنته ولا يتوانى اي وحقه ان لا يفتر عن الطاعة ولا يتكاسل في
العبادة بسبب فقره وقلة صبره ويتصدق بالفاضل اي وحقه ان لا يمنع ما يفضل عنه من حاجته
كطعام يقيم صلبه وثوب يواري عورته ويدفع عنه حره وبرده وبيت يكنه ويستره فان ذلك
جهد المقل وفضله اكثر من اموال كثيرة تبذل عن ظهر غنا فورد فيه اي في حقه ان درهما من الفقير
افضل من مائة الف اي مائة الف درهم من الغني وفي رواية سبق درهم مائة الف درهم وعن ابي
هريرة قال عليه السلام درهم من الصدقة افضل عند الله من مائة الف قيل وكيف يا رسول الله قال
اخرج رجل من عرض ماله مائة الف درهم فتصدق بها واخرج رجل درهما من درهمين لا يملك غيرهما
طيبة به نفسه فصار صاحب الدرهم افضل من صاحب المائة الف رواه النسائي ويستقرض اي وحقه
ان يستقرض تحسينا للظن به تعالى انه يقضيه من خزاين كرمه وجوده لا يتوكل اي اعتمادا على
السلطان الظالم واعوانه وجنوده فيقضي دينه بنفسه ان وجد حلالا بعده ولا اي وان لم يجد
حلالا فلا يأخذ فانه حينئذ يقضيه تعالى في الدنيا ويرضي الخصما في العقبى اما بفضله او بعدله بان
يعطي الخصم منزلة يرضى بها عن حقه ويكشف الحال اي وان يظهره ولا يخفيه عن المقرض لئلا يدخل
تحت وعيد من غشنا فليس منا ولا يخدع اي وان لا يخدع المقرض بالمواعيد الكاذبة ويجب
النفقة اي نفقة دين الفقير حيث صرفه في الطاعات من بيت المال الموضوع لمهمات المسلمين من
الملمات والصدقات اي الزكوات ولا يسأل اي وحقه ان لا يسأل عن الناس اصلا فهو اي السؤال
عن الخلق في الاصل اي اصل وضع الشرع حرام وانما يحل بعوارض فتشرع من ضرورة او حاجة مهمة قريبة

قريبة من الضرورة فان كان عنها بد فهو حرام وانما قلنا ان الاصل فيه التحريم لاشتماله امور محرمة لتضمنه
الشكاية منه تعالى اذ السؤال اظهار الفقر وفقد المال وذكر لقصور نعمة الله عنه في الحال وهو عين الشكو ي
عن المولى وكما ان العبد المملوك اذا سال غير سيده كان سواله تشنيعا على مالكه فكذا سوال العبد تشنيع
على ربه سبحانه وبهذا ينبغي ان يحرم ولا يحل الا لضرورة كما لا تحل الميتة الا لضرورة واذلال النفس
اي ولتضمنه اذلاله النفس المؤمنة لغيره سبحانه وتذلل قبل السؤال ذل ولو اين الطريق ورد لا يحل للمؤمن ان
يذل نفسه يعني لغير الله بل عليه ان يذل نفسه لمولاه فان فيه العزة والجاه فقد قال تعالى ولله العزة ولرسوله
وللمؤمنين فاما سائر الخلق فانهم عباد امثاله فلا ينبغي ان يذل لهم الا لضرورة في سواله فمع السؤال
ذل السائل باب خافه اي المسؤول ومن دعا الامام احمد اللهم كما صنت وجهي عن سجود غيرك فصن
وجهي عن مسالة غيرك والايذا المسؤول اي ولتضمنه ايذاه غالبا اذ ربما لا تسمح نفسه بالبذل عن
طيب قلب منه فربما يعطي حياء من السائل او ريا اذا كان السؤال في الملا فهو حرام على الاخذ وان
منع ربما استحيى وتأذى في نفسه بالمنع اذ يرى نفسه في صورة البخلا ففي البذل نقصان ماله وفي المنع
نقصان جاهه وكلاهما موذيان والسائل هو السبب في الايذا والايذا حرام الا لضرورة فورد
في كون السؤال من الاصل حراما ما احل من الفواحش غير مسالة الناس ولفظ الاحيا مسالة الناس من
الفواحش ما احل من الفواحش غيرها قال مخرجه لم اجد له اصلا انتهى وقد ورد من سال من غنى فانما يستكثر
من جمر جهنم ومن سال وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ووجهه عظم يتقعقع ليس عليه لحم رواه ابو داود وابن
حبان من حديث سهل بن الحنظلية ولمسلم من حديث ابي هريرة من سال الناس اموالهم تكثرا فانما
يسال جمرا وللشيخين من حديث ابن عمر ما يزال الرجل يسال الناس حتى ياتي يوم القيامة وليس في
وجهه مزعة لحم ولاصحاب السنن من حديث ابن مسعود من سال وله ما يغنيه كانت مسالته خدوشا
وكدوحا في وجهه ولمسلم من حديث عوف بن مالك الا تبايعون انه عليه السلام بايع قوما على الاسلام
فاشترط عليهم السمع والطاعة ثم قال كلمة خفية ولا تسألوا الناس شيئا ولقد كان بعضهم يقع السوط
من يده فينزل من فرسه ويتناوله ولا يقول لاحد ناولنيه ولابن ابي الدنيا وغيره من حديث
ابي سعيد الخدري من سال اعطيناه ومن استغنى اغناه الله ومن لم يسالنا احب الينا وللبزار والطبرا ني
من حديث ابن عباس استغنوا عن الناس ولو بشوص السواك واسناده صحيح وفي رواية فتعففوا
ولو بحزم الحطب فهذه الاحاديث صريحة في تحريم السؤال الا للفقير قال في الاحيا وتقديره عسير
اذ ليس الينا موضع التقدير بل يستدرك ذلك بالتوقيف والتقرير وقد ورد في الحديث استغنوا بغنا الله
تعالى عن غيره قالوا وما هو قال غدا اليوم وعشا ليلة كذا في الاحيا قال مخرجه هو من حديث سهل بن
الحنظلية قالوا وما يغنيه قال ما يغديه او يعشيه ولاحمد من حديث علي باسناد حسن قالوا وما ظهر غنا
قال عشا ليلة وهذا هو الحق عند اصحابنا الحنفية وفي حديث اخر من سال وله خمسون درهما او عدلها
من الذهب فقد سال الحافا وفي لفظ اخر اربعون درهما ولعل هذه الاحاديث محمولة على حالة احتياج السائل

ليعرى الا كل منه الثوب او البيت ونحوهما من ضروريات معيشته وقيل يجوز للسائل ان يسأل معيشة
سنة لا سيما اذا كان معيلا ولا يعطي السلطان في وقت واحد والله سبحانه اعلم الا اي وحقه
ان لا يسأل احدا الا لضرورة تميت اي تقتله او تمرض اي تجعله مريضا او تجعله عريانا ونحوهما فالسؤال
حينئذ مرخص فيه لكن لمن يعجز عن الكسب بحرفة ونحوها او استغرق وقته في طلب العلم الشرعي من الامر
الاصلي او الفرعي لا لمن استغرق في طلب العبادة فان نفع هذا قاصر ونفع ذلك متعد ولان
زيادة العبادة نافلة وزيادة العلم فريضة او تعب اي او لمن تعب بسبب الكسب وضعف عن الطاعة
وفيه اي وفي حصول التعب الترك للسؤال اولى مع جواز السؤال وفي الجملة ورد ما يدل على الرخصة في السؤال
حيث قال عليه السلام للسائل حق وان جاء على فرس رواه ابو داود وعن حديث حسين بن علي
داود والترمذي وقال حسن صحيح ردوا السائل ولو بظلف محرق وقد سأل ثلثة من الانبياء بوضع
الضرورة سليمان وموسى والخضر عليهم السلام وروي ان بعضهم رأى ابا الحسين النوري يمد يده
ويسأل الناس في بعض المواطن قال فاستعظمت ذلك واستقبحته له فاتيت الجنيد فاخبرته فقال لا يعظم
هذا عليك فان النوري لم يسأل الناس الا ليعطيهم انما يسأل لهم ليثيبهم في الاخرة فيؤجرون من
حيث لا يضرهم ثم قال الجنيد هات الميزان فوزن مائة درهم ثم قبض قبضة والقاها على المائة ثم قال
احملها اليه فقلت في نفسي انما يوزن الشيء ليعلم مقداره فكيف خلط به مجهولا وهو رجل حكيم
فاستحييت ان اسأله فذهبت بالصرة الى النوري فقال هات الميزان فوزن مائة وقال ردها اليه
وقل له انا لا اقبل منك انت شيئا واخذ ما زاد على المائة قال فزاد تعجبي فسألته فقال الجنيد رجل حكيم
يريد ان يأخذ الحبل بطرفيه وزن المائة لنفسه طلبا لثواب الاخرة وطرح عليها قبضة بلا وزن لله
عز وجل فاخذت ما كان لله ورددت ما جعله لنفسه قال فرددتها الى الجنيد فبكى وقال اخذ ماله ورد ما لنا
الله المستعان فانظر الان كيف صفت قلوبهم واحوالهم وكيف خلصت لله اعمالهم حتى كان يشاهد كل
واحد منهم قلب صاحبه من غير مناطقة باللسان ولكن تتشاهد القلوب وتتناجى الاسرار وذلك نتيجة
اكل الحلال وخلو القلب عن حب الدنيا والاقبال على المولى بكنه الهمة ويحترز اي وحقه ان يحترز عن
الشكاية من الله في سؤاله فيكون كاملا في الحالة اي مستغنيا بالقلب عن السؤال ثقة بالله الملك المتعال
لكن النفس تريد الشهوة فتوقعني في السؤال وعن الاذلال اي ويحترز عن التذلل في السؤال فيجتنب
رجسا ليكون من ارباب الاسوال فيسأل قريبا اي ذا قرابة حميما من اهل الكمال ووصفه انه لا يبغضه ذلك
ذلك في عينه ولا يزدريه بسبب فقره وكذا حكيم صديقه فكان ابراهيم النخعي يسأل اصحابه الدرهم والدرهمين
ويعرض عليه غيرهم الاثنين فلا يأخذه واكثر ما في ذوي الجمال من نعمته انه لا يمن على السائل
بالعطا والنوال بل يحتمل المنة للسائل عليه في اخذ المال ولو بالسؤال فقد قال بشر الحافي ما سألت احدا
قط شيئا الا سريا السقطي لانه قد صح عندي زهده في الدنيا فهو يفرح بخروج الشيء من يده ويتبرم
ببقائه عنده فاكون عونا له على ما يحب وعن الايذاء اي ويحترز عن ايذاء المسؤول فلا يسأل في الجمع

الجمع ولا من يستحي من الرد والمنع وان لم يكن في الجمع فيحرم حينئذ ما اخذ ان اعطى المسؤول حيا منه اي من
السائل او من حاضر اخر كما لو اخذ عنفا اي غصبا اذ لا فصل بين ان يأخذ بضرب العصا او بسوط الحيا
بل ضرب الباطن اشد نكاية عند العقلاء والعارف بربه عطائه الله او حياء من الخلق القرائن الموجودة
في تلك الحال وشوي القلب اي عن الميل الى المال وسبيل الخلاص عن الايذاء ان يلقي الكلام تعريضا
في الصحبة بحيث لا يقوم على البذل الا متبرع بصدق الرغبة وان لا يعين شخصا للسؤال لئلا يستشعر
له الباذل ويشكر اي وحق الفقير ان يشكر الله سبحانه بعد القبض اي اخذ العطا بالثنا ثم ان يشتغل
بالاشتغال بالطاعة قولا وفعلا مثلا ان يقول الحمد لله او يصلي ركعتين لله والانفاق فيها اي
ويصرف العطا في طاعة المولى فهو اي الانفاق في الطاعة الذي جبر الا فضل من غيره المستفاد من قوله
او في المباح فيتنفق مثل فضول الحلال ومعرفة فضل الفقر اي وبمعرفة المنعم لترك التواضع المفرط للمعطي
وتشكر المعطي اي وثنائه بجزائه بكونه سببا في عطائه فورد من لم يشكر الناس لم يشكر الله رواه احمد
والترمذي وحسنه عن ابي سعيد وذلك لا ينافي رؤية النعمة من الله اذا ادعو عن الله في اخذ العطا والثنا
على المخلوق وشكره بالثنا والدعا فلا يكون شكره حينئذ شكر الله ويدعو لهم اي وحقه ان يدعو بالخير
للمعطي فيقول طهر الله قلبك في قلوب الابرار وزكى عملك في عمل الاخيار او يقول بارك الله لك فيما اعطيت
وفيما ابقيت فورد من اسدى اي اوصل اليكم معروفا اي احسانا فكافئوه اي جازوه بمثله لقوله تعالى
هل جزاء الاحسان الا الاحسان فان لم تستطيعوا على المكافاة من العطاف فادعوا له بالظهر الغيب والاسرار
الدعا فالترمذي والنسائي وابن حبان عن اسامة من صنع اليه معروفا فقال الفاعله جزاك الله خيرا فقد
ابلغ في الثنا وللشيرازي عن ابن عباس من اسدى الى قوم نعمة فلم يشكروها له فدعا عليهم استجيب
ولابن عساكر عن علي من صنع الى احد من اهل بيتي يدا كافيته عليها يوم القيامة ولا يستصغر اي وحقه
ان لا يستصغر العطا ولا يترك الدعا والثنا بحديث من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير والتحدث بنعمة الله شكر
وتركها كفر رواه عبد الله بن احمد في زوائده عن عثمان بن بشير ولا يفزع اي وان لا يجزع بالمنع
فان العطا والمنع والضر والنفع بيد الله سبحانه فورد لا مانع لما اعطيت ولا معطي لما منعت وفي الحكم
لابن عطا ربما اعطاك فمنعك وربما منعك فاعطاك وقال تعالى كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء
ربك وما كان عطاء ربك محظورا وما منع عبده عن باب الا وفتح له عن ابواب ويحترز اي وحقه ان
يحترز عن الشبهة اي تناولها فورد في التنزيل ومن يتق الله يجعل له مخرجا اي من الشدائد الدنيوية
والاخروية ويجعل له من كل ضيق فرجا ومن كل عسر يسرا ويرزقه من حيث لا يحتسب رزقا حلالا طيبا
من غير حساب ولا يأخذ اي وان لا يقبل اكثر من قوت يوم وليلته ان كان من الاقويا فهو اي الاخذ
قوت اليوم هو العزيمة التي يأخذها الانبياء والاوليا والرخصة للضعفاء ومن له العيال ومن النسا قوت
سنة لتجدد سبب الادخار وهو ما يدخل على الانسان من ضيعته وزراعته بعد حالها اي بعد عام سنة وكان
عليه السلام لا يأخذ اي لا يدخر للعيال الاكثر منه اي من قوت سنة بل يؤثر شيئا منه اي من قوت سنته

للفقراء حتى ينتهي اي يفرغ ما ادخره قبل مضي السنة وهو اي ادخار قوت السنة الوسط اي الحال
المتوسط بين الحالات المرضية الروايات فروى اربعون يوما او خمسون في مدة جواز الادخار او
للشكر او التنويع ونصاب الزكاة وهو عشرون دينارا او اربعمائة درهم وقيمة الضيعة اي المزرعة
فيستغني بها طول عمره ومن ضياع قيمة البيوت والحوانيت المستغلة لفوائد الغلة او البضاعة اي
قدر راس مال التجارة المحصلة للغنا بسبب الربح الكافي للمعيشة فيتجر بها ويستغني عن غيرها وفي
الاحياء ان في الادخار ثلاث درجات احديها ان لا يدخر الا ليومه وليلته وهي درجة الصديقين
وثانيتها ان يدخر لاربعين يوما فان ما زاد عليه داخل في طول الامل وقد فهم العلماء ذلك من ميعاد
الله لموسى عليه السلام ففهم منه الرخصة في امل الحياة اربعين يوما وهذه درجة المتقين وثالثتها
ان يدخر لسنة وهي اقصى المراتب وهي رتبة الصالحين ومن زاد في الادخار على هذا فهو داخل
في غمار العموم خارج عن حيز الخصوص بالكلية فغنا الصالح الضعيف لطمانينة قلبه في قوت سنة
وغنا الخصوص في اربعين يوما وغنا خصوص الخصوص في يوم وليلة وقد قسم النبي عليه السلام
نساءه على مثل هذه الاقسام فبعضهن كان يعطيها قوت سنة عند حصول ما يحصل
وبعضهن قوت اربعين يوما وبعضهن يوما وليلة منهن عائشة وحفصة وقد سكت عنه مخرجه وليستر
اي وحقه ان يستر السؤال هو واخذ النوال بكتمه فيسال في الخلا دون الملا تحاميا عن هتك
المروة اي تحفظا عن خرق الفتوة فانها تقتضي علام السؤال في حال يوجب الايذا او مروة المسؤل
ان رده السائل مع القدرة والقوة وكشف الحاجة اي وتحاميا عن اظهار الفقر والفاقة وقد
تقدم ان من كنوز البر كتمان الفقر والحسد اي وعن اظهار الحسد الذي لا يخلو منه الجسد والغيبة بالطعن
عليه في الغيبة وسو الظن به في كونه غنيا فيظهر الفقر الذي يقتضي خلقا دنيا وهذه كلها من الكبائر
فصيانتهم عن هذه الجرايم اولى وذا انما يحصل بستر السؤال والا فتكما لا يخفى وعن اعلان عادة
المعطي لان الاخفا افضل من الصدقة ولقوله تعالى ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها
الفقراء فهو خير لكم وفي ستر السؤال واخذ النوال اعانة على اسرار العمل واخفائه الذي هو الاكمل والاعانة
على اتمام المعروف معروف عند الكمل وعن اعلان مذلة النفس المؤمنة فهو حرام من غير ضرورة وبنية
الشركة اي وتحاميا عنها فورد من اهدى اليه هدية وعنده قوم او احد فهم شركاؤه فيها والمراد بهم
الذين يداومون مجلسه يعتكفون بابه ويتفقدون اموره لا كل من كان جالسا في ذلك الوقت
عنده كذا في اصول الترمذي والحديث رواه الطبراني من حديث حسن بن علي بلفظ فجلساؤه شركاؤه
فيها وعلقه البخاري بصيغة تمريض قال السيوطي واخرجه العقيلي من حديث عائشة انتهى واما
حديث الهدايا مشتركة فلا اصل له وكذا الهدية لمن حضر الا من حيث المعنى من غير اعتبار المبنى
ويعرف من ستر سؤاله واخذه تحاميا عن هتك ستر المروة الى اخره بكراهة ظهور اخذ غيره كما حذره
الا كراهة ظهور اخذ نفسه فورد لا يؤمن احدكم حتى يحب لغيره ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لنفسه

لنفسه فيطهره اي وحقه ان يظهر السؤال واخذ النوال قصد الاخلاص في تصحيح الحال والمعنى ان
من ترك السؤال في الملا لئلا يعيب الخلق عليه في الخلا فهذا نوع من الريا فيصح له ان يظهر اخذ
العطا ليتخلص من شائبة الريا واسقاط الجاه اي ولاسقاط المنزلة عند ارباب الدنيا ومحض التقى
اي ولربما ضيقها في طريق المولى الا ما قضى له في العقبى وادا الشكر اي ولادائه لنعمة الفقر فورد في التنزيل
بيان مدح اظهار واما بنعمة ربك فحدث وبيان ذم اسرار ويكتمون ما اتاهم الله من فضله
وهذا انما يصح لمن يتلذذ بالفقر والبلا كما يتلذذ غيره بالسعة والنعما بل يكون ممن يقتدى به ليصلي
ويشفق على فضله العلما فيظهر الشكر على الفقر ليعلم ان موجب فضله الفقرا المقرون بالشكر ويعرف
من يظهر السؤال قصدا لادا الشكر في نعمة الفقر بارادة ظهور عطا الساتر له الا المعطي كعطا المظهر
له بل ربما يرد العطا على وجه الاعزاز وتقبله على طريق الاحتقار وعكس فعل بعض الابرار الا ان
يبلغ حدا يستوي فيه السر والعلانية في صحة فكبريت احمر اي فهو كبريت احمر عزيز الوجود في ارض الشهود
بل كعنقا المغرب يسمع له اسم ولا يرى له جسم ويترك اي وحقه ان يترك اي سوالا او اخذا يدخل فيه
اي عطائه السمعة والريا وكذا المنة ولا يدا الحاميا عن الاعانة على الاثم قال تعالى وتعاونوا على
البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان وكان سفيان الثوري يرده ويعطي ويقول لو علمت
انهم لا يذكرون ذلك افتخارا لما رددت وعوتب بعضهم في رده ما كان يأتيه من صلة فقال انما ارد صلتهم
اشفاقا عليهم ونصحا لهم لانهم يذكرون ذلك ويحبون ان يعلم بهم فتذهب اموالهم وتحبط اجورهم
ونقصد اجورهم والاولى ان لا ياخذ الا ما احتاج اليه فيما لا بد منه وهو معتبر في حديث رواه الترمذي
وصححه عن عثمان مرفوعا ليس لابن ادم الا في ثلاث جلف الخبز والما وثوب يواري عورته
وبيت يسكنه ويكفيه فما زاد فهو حساب فورد ما المعطي من سعة في حالة باعظم اجرا من الاخذ اذا كان الاخذ
محتاجا اليه رواه الطبراني من حديث ابن عمر او التفريق اي او لان ياخذ الا لاجل تفريقه على الفقرا المحرومين
من خيراته الا غنيا فيعجل في التفريق ولا يمسك تحاميا عن الانس بالدنيا فلا يدخر فان امساكه
ولو ليلة واحدة فيه اختبار وفتنة فربما يحلو في قلبه فيمسكه ولاحمد من حديث عائشة بسند حسن انه
قال في مرضه الذي مات فيه يا عائشة ما فعلت الذهب فجاءت ما بين الخمسة الى الثمانية الى التسعة فجعل
يقلبها بيده ويقول ما ظن محمد بربه لو لقي الله وهذه عنده انفقيها وفي رواية سبعة او تسعة دنانير
وله من حديث ام سلمة باسناد صحيح دخل علي عليه السلام وهو ساهم الوجه اي متغيره قالت فحسبت
ذلك من وجع فقلت يا نبي الله ما لك ساهم الوجه فقال من اجل الدنانير السبعة التي اتتنا امس امسينا ولم
نقسمها في خصم الفراش وفي رواية امسينا ولم ننفقها او الاخذ اي او لان ياخذ الا لاجل اخذه في الملا والرد
في الخلا فهو اقرب الى السلامة من السمعة والريا ومن مجالة الاغنيا وما يحصل لهم من الايذا والا ان
اخذ في الملا وفرقه في الخلا فهو مقام الصديقين من الاوليا وهذا امر شاق على النفس لا يطيقه
الا من ارتاضت نفسه بالرياضة وهذا يجوز له ان يترك ولا ياخذ لمعرفة صاحبه الا من هو احوج اليه

منه او يأخذ العطاء ويوصله الى من هو احوج اليه من الفقراء فيفعل كلا منهما في السر او كلاهما في الملاء
ويختار التطوع اي وصفه ان يختار اخذ صدقة التطوع على الواجبة من الزكاة والفطرة ان شك
الفقير في شرائط الواجب اي في وجودها شرائط اخذ الزكاة الواجبة هل هو مستحق للزكاة ام لا فان
اشتبه الامر عليه فهو محل الشبهة او علم الفقير انه اي الغني لا يتصدق بصدقة التطوع على غرض
الا لما يأخذ الفقير بعينه او قصد الفقير التوسيع على الفقراء بايثارهم الزكاة الا غنيا فانه يختار اخذه
فانه محض الخير وقمع العين والواجب اي ويختار اخذ صدقة الواجب ان قصد الاعانة على اداء اي
اداء الواجب وقضائه او قصد موافقة الفقراء ومرافقة الضعفاء او هضم النفس اي رياضتها في بعض
الاحوال فامثاله اي امثال ما ذكر يختلف باختلاف النية اي نيات المصلي وجاء الى فتح الموصلي
صرة فيها خمسون درهما فقال حدثنا عطاء عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من اتاه رزق من
غير مسألة فانما يرده على الله عز وجل ثم فتح الصرة فاخذ منها درهما ورد سائرها وكان الحسن يروي
هذا الحديث ايضا ولكن حمل اليه رجل كيسا ورزمة من دقيق فرد ذلك وقال من جلس مجلسي هذا
وتعرض من الناس مثل هذا لقي الله عز وجل يوم يلقاه وليس له خلاق وهذا يدل على ان امر
العالم والواعظ اشد في قبول العطاء وكان الحسن يقبل من اصحابه كذا في الاحياء وقال مخرجه حديث
عطاء لم اجده مرسلا هكذا ولاحمد وابي يعلى والطبراني باسناد جيد من حديث خالد بن عدي
الجهني من بلغه عن اخيه معروف من غير مسألة ولا اشراف نفس فليقبله ولا يرده فانما هو رزق
ساقه الله عز وجل اليه وجاء خراساني بمال الى الجنيد وسأله ان يأخذه ويأكله فقال افرقه على الفقراء
فقال لا اريد هذا قال ومتى اعيش حتى اكل هذا فقال لا اريد ان تنفقه في الخل والبقل بل في الحلاوى
والطيبات فقبل ذلك منه فقال الخراساني ما اجد ببغداد امن علي منك فقال الجنيد ولا ينبغي ان يقبل الا
من شكله وقيل فرا اعطى ولم يأخذ سال ولم يعط قال السلمي يخاف الردع الى حاجة عقوبته من اشتاق
بطمع او دخول في شبهة او غيره وفي الاحياء قال بعض العلماء الني ورثت بحكمه كانت عندي دراهم
اعددتها للانفاق في سبيل الله فسمعت فقيرا وقد فرغ من طوافه وهو يقول بصوت خفي جائع كما
ترى عريان كما ترى فما ترى فيما ترى يا من يرى ولا يرى فنظرت فاذا عليه خلقان لا تكاد تواريه
فقلت في نفسي لا اجد لدراهمي احسن من هذا فحملتها اليه فنظر اليها ثم اخذ منها خمسة دراهم فقال
اربعة ثمن مئزرين ودرهم انفقه ثلاثا فلا حاجة لي الى الباقي فرده قال فرأيته الليلة الثانية
وعليه مئزران جديدان فهجس في نفسي منه شيء فالتفت الي واخذ بيدي فاطافني معه اسبوعا
كل شوط منها على جوهر من معادن الارض يتخشخش تحت اقدامنا الى الكعبين منها ذهب وفضة
وياقوت ولؤلؤ وجوهر ولم يظهر للناس فقال هذا كله اعطانيه فزهدت فيه واخذ من ايدي الخلق
لان هذه اثقال وفتنة وذلك للعباد فيه رحمة ونعمة والمقصود ان الزيادة على الحاجة انما يأتيك ابتلاء
وفتنة لينظر الله اليك ماذا تعمل فيه وقدر الحاجة يأتيك رفقا بك فلا تغفل عن الفرق بين الرفق وال

والاء تبتلى قال تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وعن موسى عليه
السلام انه قال يا رب جعلت رزقي هكذا على ايدي بني اسرائيل يغديني هذا يوما ويعشيني هذا
ليلة فاوحى الله تعالى اليه هكذا اصنع باوليائي اجري ارزاقهم على ايدي البطالين من عبادي
ليؤجروا فيهم فلا ينبغي ان يرى المعطي الا من حيث انه مسخر ماجور وقيل في تفسير قوله تعالى لينفق ذو سعة
من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما اتاه الله معناه ليبيع احد ثوبيه وقيل ليستقرض بجاهه
فذلك مما اتاه الله وقال بعضهم لله عباد ينفقون على قدر بضاعتهم ولله عباد ينفقون على
قدر حسن ظنهم بربهم ومات بعضهم فاوصى بماله لثلاث طوائف الاقوياء والاسخياء والاغنياء فقيل
من هؤلاء فقال اما الاقوياء فهم اهل التوكل على الله واما الاسخياء فهم اهل حسن الظن بالله واما الاغنياء
فهم اهل الانقطاع الى الله وكان بشر رحمه الله تعالى يقول الفقراء ثلاثة فقير لا يسأل وان اعطي
لا يأخذ فهذا مع الروحانيين في عليين وفقير لا يسأل وان اعطي اخذ فهذا مع المقربين في جنات
الفردوس وفقير يسأل عند الفاقة فهذا مع الصادقين من اصحاب اليمين وقال ابراهيم بن ادهم
لشقيق البلخي حين قدم عليه من خراسان كيف تركت الفقراء من اصحابك قال تركتهم ان اعطوا شكروا
وان منعوا صبروا وظن انه لما وصفهم بترك السؤال فقد اثنى عليهم غاية الثناء فقال ابراهيم هكذا تركت كلاب
بلخ عندنا فقال له شقيق فكيف الفقراء عندكم يا ابا اسحاق فقال الفقراء عندنا ان منعوا شكروا وان
اعطوا اثروا فقبل راسه وقال صدقت يا استاذ ثم الزهد عزوف القلب اي ميله وانصرافه عن الدنيا
الى الاخرة طوعا اي اختيارا وجعله طاعة فالزهد عبارة عن انصراف الرغبة عن الشيء الى ما هو
خير منه ومنه قوله تعالى وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين اي باعوه طمعا ان
يخلو لهم وجه ابيهم وكان ذلك احب عندهم من يوسف فاذن كل من باع الدنيا بالاخرة فهو زاهد في الدنيا
وكل من باع الاخرة بالدنيا فهو ايضا زاهد في الاخرة لكن العادة جارية بتخصيص اسم الزاهد بمن يزهد في
الدنيا كما تخصص اسم الالحاد بمن يميل الى الباطل واسم الحنيف بمن يميل الى الحق وان كان كلاهما بمعنى الميل في وضع
اللسان فالذي يرغب عن كل ما سوى الله حتى الفراديس فهو الزاهد المطلق والذي رغب عن كل حظ ينال
في الدنيا ولم يزهد في مثل تلك الحظوظ في الاخرة بل طمع في الحور والقصور والانهار والثمار فهو
ايضا زاهد لكن دون الاول والذي يترك من حظوظ الدنيا البعض دون البعض كالذي يترك المال دون الجاه
او بالعكس او يترك التوسع في الاكل ولا يترك التجمل في الزينة فلا يستحق اسم الزاهد مطلقا ودرجته في الزاهدين درجة
من يتوب عن بعض المعاصي في التائبين وقد تقدم الكلام في صحة التوبة لكن الاظهر صحة الزهد عن البعض
ثم الزهد عبارة عن ترك المباحات دون ترك المحظورات لا يسمى زاهدا ويشترط في المرغوب عنه ان يكون
مقدورا عليه قيل لابن المبارك يا زاهد فقال الزاهد عمر بن عبد العزيز اذ جاءته الدنيا راغمة فتركها
اما انا ففيم ذا زهدت وقال ابن ابي ليلى لابن شبرمة الا ترى الى هذا ابن الحائك لا نفتي في مسألة
الا رد علينا يعني ابا حنيفة فقال ابن شبرمة لا ادري اهو ابن الحائك ام هو ولكني اعلم ان الدنيا غدت اليه

بحوب منها وجرت منافطبنا لها انتهى فمن عرف ان ما عند الله باق وان الاخرة خير وابقى عرف
قلبه عن الدنيا الى العقبى مع العذرة على تحصيل مراتب الغنا والى هذه الشرطات اشار بقوله طوعا
ولا يعبا بالبدائى ولا يعتبر بتصرف المال وتوسع الجاه وجودا وعدما وقلة وكثرة اذ احصل الزهد
فيهما لوجودهما اى الدنيا بهما ولهذا كان لسليمان عليه السلام مع انه كان زاهدا في الدنيا وراغبا في
العقبى كسا بيرا لنبينا والايا وكون تخسيس اى وكونه عليه السلام اصلها امن نبينا صلى الله عليه
وسلم مع انه اى نبينا افضل وزهد اتم واكمل على انه لا بدع ان يوجد في المفضول بعض ما لا يوجد
في الفاضل فتامل ولعل الحكمة في اختيار عيسى عليه السلام المبالغة في الزهد فانه مسلك اهل الرهب واما
زكافه صح نبينا عليه افضل الصلاة والسلام فلما كان رحمة للانام اختار طريقا يسع جميع امته ان يتبعوه ولانه
صاحب الملة الحنيفية السمحة وليس في دينه من حرج ولكونه مظهر المرتبة الجمع بين الصفات الجمالية
والنعوت الجلالية كما يشير اليه قوله اشبع يوما فاشكر واجوع يوما فاصبر مع ان الزهد عند المحققين
هو تركما يشغلك عن المولى وزاد العقبى ثم كل مومن يعلم ان الاخرة خير وابقى لكن قد لا يقدر
على ترك الدنيا اما لضعف علمه ويقينه بالمال والمال ستيلا الشهوة عليه في الحال واما لاغترار في
الاستقبال بمواعيد الشيطان في التسويف يوما بعد يوم الى ان يختطفه الموت ولا يبقى معه الا حسرة
بعد الفوت والى تعريف خساسة الدنيا اشار بقوله تعالى قل متاع الدنيا قليل والى تعريف نفاسة
الاخرة بقوله وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن امن والى ما قال ابن مسعود ما عرفت ان فينا
من يحب الدنيا حتى نزل قوله تعالى منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الاخرة فرواه البيهقي في دلايل النبوة
باسناد حسن لكن حمل على ان منهم من يريد الدنيا ليصرف في طريق العقبى ومنكم من يريد الاخرة ويترك
الدنيا بالكلية رضى للمولى وعملا بما قال عيسى عليه السلام يا طالب الدنيا ليبر تركك للدنيا ابر وهو اى
الزهد يثمر حسنة اى اليا الملك يشغله صوال الاخرة كما سبق في حديث البخاري مع حارثة رضى الله عنه اى حديث
النبي في فحواه انه سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى الشرح في قوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه
يشرح صدره للاسلام فقيل له ما هذا الشرح فقال ان النور اذا دخل القلب انشرح له الصدر
وانفسح فقيل يا رسول الله هل لذلك من علامة قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود
والاستعداد للموت قبل نزوله رواه الحاكم واما حديث حارثة فحواه انه لما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انا
مومن حقا فما ادرك حقيقة ايمانك قال عرفت نفسي عن الدنيا فاستوى عندي ذهبها ومدرها وكاني بالجنة
عن يميني والنار عن يساري وكاني بعرش ربي بارزا فقال عليه السلام عرفت فالزم عبد نور الله قلبه
بالايمان رواه البزار من حديث انس والطبراني من حديث الحارث ابن مالك والفراغ اى ويثمر الزهد
فراغ خاطر ارباب الارادة للعبادة التي هي سلوك سبيل السعادة فورد من احب اخرته اضر بدنياه تمام
ومن احب دنياه اضر باخرته فاثروا ما يبقى على ما يفنى رواه احمد والطبراني من حديث ابي موسى وتعظيم
قدرها اى ويثمر تعظيم مقدار العبادة فورد ركعتان من عالم زاهد خير من عبادة المتعبدين الى اخر الدهر ابدا

اجدر اصلا بهذا السياق وانما هو عن ابن مسعود موقوفا وللشيرازي في الالقاب من علي
مرفوعا ركعة من عالم بالله خير من الف ركعة من متجاهل بالله وللديلمي عن انس ركعتان من رجل
ورع افضل من الف ركعة من مخلط ولابن النجار عن محمد بن علي مرسلا ركعتان من عالم افضل من
سبعين ركعة من غير عالم وقد صح لفقيه واحد اشد على الشيطان من الف عابد ومحبته تعالى اى ويثمر بها
الزهد فمن الخبر فقد ورد ان اردت ان يحبك الله فازهد في الدنيا رواه ابن ماجه من حديث سهل بن
سعد وقد تقدم وقد تقدم حديث ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما في ايدي الناس يحبك الناس
ومعرفته اى ويثمرها فمن الخبر فقد ورد اذا رايتم العبد قد اعطي صمتا وزهدا في الدنيا فاقربوا منه فانه
يلقى الحكمة رواه ابن ماجه من حديث ابي خالد وقد قال تعالى ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ولذا قيل
من زهد في الدنيا اربعين يوما اجرى الله ينابيع الحكمة في قلبه وانطق بها لسانه كذا في الاحياء وقد
يوخذ معناه من حديث من اخلص لله اربعين يوما ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه رواه ابو نعيم
من حديث ابي ايوب ومن المعلوم انه لا يكون العبد عابدا مخلصا الا اذا كان زاهدا وفي الجامع الصغير
من زهد في الدنيا ادخل الله الحكمة قلبه وانطق بها لسانه وعرفه داء الدنيا ودواءها واخرجه منها سالما
الى دار السلام رواه ابن ابي الدنيا من حديث صفوان بن سليم مرسلا ولابن عدي من حديث ابي
موسى من زهد في الدنيا اربعين يوما واخلص فيها العبادة اجرى الله ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه فهما
اى المحبة والمعرفة اللتان يثمرهما الزهد يحصلان الا بدوام الذكر اى ذكر المولى والفكر في امر العقبى المتنعمين
مع الشغل بالدنيا وقد قيل اتقى اوليكونوا ان اجرهم مرتين بما صبروا اى على الزهد في الدنيا كما جاء في التفسير
وقد قال تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا قيل معناه ايهم ازهد فيها وقال
تعالى من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نوته منها وما له في الاخرة
من نصيب وقال عز وجل ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه
ورزق ربك خير وابقى وللطبراني من حديث ابن مسعود بسند حسن من اشرب قلبه حب الدنيا التاط
منها اى ابتلى بثلاث شغل لا ينفد عناه وحرص لا يبلغ غناه وامل لا يبلغ منتهاه
وللديلمي من رواية علي بن ابي طلحة مرسلا لا يستكمل عبد الايمان حتى يكون قلة الشيء احب اليه من كثرته
وله من حديث انس من زهد في الدنيا بصره بعيوب نفسه وفقهه في الدنيا وعن عيسى عليه السلام
الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها ولابن حبان من حديث علي من اشتاق الى الجنة سارع الى الخيرات
ومن خاف من النار لها عن الشهوات ومن ترقب الموت ترك اللذات ومن زهد في الدنيا هانت عليه
المصيبات وجاء لا تزال لا اله الا الله تدفع عن العباد سخط الله عز وجل ما لم يبالوا ما نقص
من دنياهم وفي لفظ ما لم يوثروا صفقة دنياهم على دينهم فاذا فعلوا ذلك وقالوا لا اله الا الله قال
تعالى كذبتم لستم بها صادقين وعن بعض الصحابة وعن بعض الصحابة قال تابعنا الاعمال كلها فلم
نر في امر الاخرة ابلغ من زهد في الدنيا وقال بعض الصحابة لصدر التابعين انتم اكثر اعمالا واجتهادا ١٥

فمن احب به رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم كانوا خيرا منكم قيل وبم ذلك قال كانوا ازهد في الدنيا منكم
وقال عمر رضي الله عنه الزهادة في الدنيا راحة القلب والجسد وقال ابن مسعود كفى بنا ذنبا ان الله
تعالى زهدنا في الدنيا ونحن نرغب فيها وقال رجل لسفيان اشتهي ان ارى عالما زاهدا فقال
ويحك تلك ضالة لن توجد وقال يوسف بن اسباط اني لاشتهي من الله ثلاث خصال ان اموت حين
اموت وليس في ملكي درهم ولا يكون علي دين ولا يكون على عظمي لحم فاعطي ذلك كله وروي ان
بعض الخلفاء ارسل الى الفقهاء بجوائز فقبلوها وارسل الى الفضيل بعشرة الاف درهم فلم يقبلها
فقال بنوه قد قبل الفقهاء وانت ترد وانت على حالتك هذه فبكى الفضيل وقال اتدرون ما مثلي
ومثلكم كمثل قوم كانت لهم بقرة يحرثون عليها فلما هرمت ذبحوها لكي ينتفعوا بجلدها وكذلك انتم
اردتم ذبحي على كبر سني موتوا يا اهلي جوعا خير لكم من ان تذبحوا فضيلا ثم ان ادنى مراتب الزهد
باعتبار نفسه اي نفس الزهد وذاته مع قطع النظر عن حكمه وما منه وفيه كما سياتي ان يجاهد فيه
اي في تحصيل الزهد لميل النفس الى الدنيا والتفاتها اليها ولكنها يجاهدها ويكفها عنها وهو زهد
من هو مبتدأ الزهد في حقه فيصل الى درجة الزهد بالكسب والجهد ثم ان اعلى منه ان يترك طبعه عنها
اي عن الدنيا لعدم ميل نفسه اليها فهو زهد فالمتزهد في الدنيا يذيب اولا نفسه في الطاعة ثم كيسه
والزاهد يذيب اولا كيسه ثم يذيب نفسه في الطاعة اي في الصبر على ما فارقه والمتزهد على خطر انه
ربما تغلبه نفسه وتجذبه شهوته فيعود الى الدنيا والى الاستراحة بها في قليلها او كثيرها ثم ان اعلى منه
عدم الميل اليها وعدم النفرة عنها وذلك بان يترك الدنيا طوعا ان تحقق انه ايا ما بال خافه الى
ما طمع فيه من عزها خيرا منها ولكن هذا الزاهد يرى لا محالة زهده ويلتفت اليه فيكاد يكون
معجبا بنفسه وبزهده ويظن بنفسه انه ترك شيئا له قدر لما هو اعظم قدرا منه وهذا ايضا نقصان
عند من له عرفان ويعرف صاحب هذا المقام بتسوية سرقة ماله ومال غيره لعدم ميله الى كل منهما ولقوله
عليه السلام لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه ويكره لاخيه ما يكره لنفسه بل ربما يهون
عليه سرقة مال نفسه دون سرقة مال غيره ثم ان اعلى عدم الالتفات لفنائه في الله وبقائه فقد النظر
في تطرق وجود كل شي فضلا عن زهده وهي المرتبة العليا بان يزهد في الدنيا طوعا ويزهد في
زهده ايضا فلا يراه زهدا اصلا اذ لا يرى انه ترك شيئا اذ عرف ان الدنيا لا شي وسببه كمال
المعرفة وصاحب هذا الزهد امن من خطر الالتفات الى الدنيا ومن هنا قال ابو يزيد لابي موسى عبد الرحيم
في اي شي تتكلم قال في الزهد قال في اي شي قال في الدنيا فنفض يده وقال ظننت انك تتكلم في شي
الدنيا لا شي اي شي تزهد فيها فاذن لا يلتفت الزاهد الى زهده الا اذا التفت الى ما زهد فيه ولا
يلتفت الى ما زهد فيه الا انه يراه شيئا معتدا به ولا يراه شيئا معتدا به الا لقصور معرفته فسبب نقصان
الزهد نقصان المعرفة وان ادنى في الزهد باعتبار ما منه اي وان ادنى في الزهد باعتبار ما منه زهده
ان يكون زهده للنجاة من خوف النار وما فيها من انواع العقاب ثم ان اعلى ان يكون زهده من اجل

اجل الرجاء الى الجنة وما فيها من انواع الثواب وانما يكون اعلى مما قبله لان قضائه المحبة اي تهيج
والمحبة على المقامات كما سياتي في خاتمة الكتاب ثم ان اعلى ان يكون زهده من رفع الالتفات
بخواطره الى ما سواه تعالى فلا يكون له رغبة الا في الله وفي لقائه ورضائه ولا يلتفت قلبه الى الالاء
ليقصد الخلاص من الالم ولا الى اللذات ليقصد نيلها والظفر بها بل هو مستغرق الهم بالله تعالى وهو الذي يصبح
وهمه هم واحد وهو الموحد الحقيقي الذي لا يطلب غير الله ومن طلب غير الله فقد عبد شيئا وجعل او
فقعد وهذا زهد المحبين وهم العارفون لانه لا يحب الله تعالى خاصة الا من عرفه ولا يظن ان
اهل الجنة عند النظر الى وجهه الكريم يبقى للذة الحور والقصور وساير النعيم المقيم متسع في قلوبهم بل تلك
اللذة بالاضافة الى نعيم الجنة كلذة ملك الدنيا والاستيلاء على اطراف الارض ورقاب الخلق بالاضافة
الى لذة الاستيلاء على عصفور واللعب به فالطالبون لنعيم الجنة عند اهل المعرفة كالصبي الطالب للعصفور
التارك للذة الملك لقصوره عن ادراك لذة الملك لا لان اللعب بالعصفور في نفسه اعلى والذ من الاستيلاء
بطريق الملك على كافة الخلق ومن هنا روي اكثر اهل الجنة البله وعليون لذوي الالباب وباعتبار ما فيه
ان ادنى الزهد باعتبار ما فيه الزهد ان يكون زهده في بعض الدنيا كالمال دون الجاه او عكسه وهو كالتوبة
عن بعض الذنوب وقد اختلف في صحتها لكن الصحيح اعتبارها في الجملة على ما تقدم بخلاف الزهد فانه
لا خلاف في صحة بعضه ثم ان اعلى ان يكون زهده في كلها اي في جميع الدنيا مالها وجاهها ثم ان اعلى وهي
المرتبة العليا ان يكون زهده فيما سواه تعالى حتى يزهد في نفسه ايضا وقد ذكر الله تعالى في اية واحدة سبعة
مما فيه الزهد فقال زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة
والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن الماب ثم اجمله في اية اخرى ورده
الى خمسة فقال اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد
الى ان قال وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور ثم رده الى اثنين فقال المال والبنون زينة الحياة الدنيا
والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير املا وقال في موضع اخر انما الحياة الدنيا لعب ولهو
ثم رد الكل الى واحد في موضع اخر فقال ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى فالهوى لفظ يجمع
جميع حظوظ النفس في الدنيا والحاصل ان الزهد عبارة عن الرغبة عن حظوظ النفس كلها ومهما رغب عن
حظوظ النفس رغب عن البقاء في الدنيا واذا رغب عنها لم يردها ولذا لما كتب عليهم القتال قالوا ربنا
لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب قل متاع الدنيا قليل والاخرة خير لمن اتقى اي
لستم تريدون البقاء الا لمتاع الدنيا فظهر عند ذلك الزاهدون وافتضح المنافقون اما الزاهدون
المحبون في الله فقاتلوا في سبيل الله كانهم بنيان مرصوص وانتظروا احدى الحسنيين وكانوا اذا دعوا
الى القتال يستنشقون رائحة الجنة ويبادرون اليه مبادرة الظمآن الى الماء البارد حرصا على نصرة دين
الله او نيل رتبة الشهادة وكان من مات منهم على فراشه يتحسر على فوت سعادة الشهادة حتى ان خالد بن الوليد
رضي الله عنه لما احتضر للموت على فراشه كان يقول كم غررت بروحي وهجمت على الصفوف طمعا في الشهادة وانا ان

اموت موت البعير فلما مات عد على جسده ثمانمائة ثقب من اثار الجراحات واما المنافقون ففروا من
الزحف خوفا من الموت فقيل لهم ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم الآية هذا واجمع ما قيل
في حد الزهد قول ابي سليمان الداراني قد سمعنا في الزهد كلاما كثيرا والزهد عندنا ترك كل شيء
يشغلك عن الله عز وجل وقرأ ابو سليمان قوله تعالى الا من اتى الله بقلب سليم فقال هو القلب الذي ليس فيه
غير الله وقال انما زهدوا في الدنيا ليفرغوا قلوبهم من همومها للآخرة وباعتبار الحكم اي والزهد الا
باعتبار حكمه الزهد الفرض اي يجب على السالك ان يزهد فيه وهو اي الزهد الفرض ان يكون زاهدا في
الحرام وهو ان بدونه لكمال الاسلام وجمال الكلام ثم السنة اي الزهد الذي ينبغي للمريد ان يزهد فيه
وهو اي الزهد السنة ان يكون زاهدا في الشبهة ثم الزهد النفل المندوب المستحب وهو اي الزهد النفل
ان يكون زاهدا في المباح وقال قوم الزهد في الحلال لا في الشبهة والحرام فليس فيه كثير درجاته في شيء ثم
زادوا انه لم يبق حلال في اموال الدنيا فلا يتصور الزهد الان ويؤيده قول الحسن رايت سبعين بدريا
كانوا فيما احل الله لهم ازهد منكم فيما حرم الله عليكم وفي خبر آخر كانوا بالبلاء اشد فرحا منكم بالرخاء وكان
احدهم يعرض له المال الحلال فلا ياخذه يقول اخاف ان يفسد علي قلبي فمن كان له قلب فهو لا محالة
يخاف على فساده والذين قد امات حب الدنيا قلوبهم فقد اخبر الله عنهم اذ قال ورضوا بالحياة الدنيا
واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون وقال تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع
هواه وكان امره فرطا وقال عز وعلا فاعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك
مبلغهم من العلم فاحال ذلك كله على الغفلة وعدم المعرفة فان قلت علماؤنا كان الصحيح ان الزهد هو
ترك ما سوى الله فكيف يتصور مع الاكل والشرب واللبس ومخالطة الناس ومكالمتهم وكل ذلك
اشتغال بما سواه قلت معنى الانصراف عن الدنيا الى الله هو الاقبال بالقلب على المولى ذكرا وفكرا
ولا يتصور ذلك الا مع البقاء ولا بقاء الا بضرورات النفس فمهما اقتصرت في الدنيا على دفع المهلكات
عن البدن وكان غرضك الاستعانة بالبدن على العبادة لم تكن مشتغلا بغير الله فان ما لا يتوصل الى
الشيء الا به فهو منه كذا في الاحياء وقد يقال المراد بالاشتغال بالمعاني ان يكون بالقلب دون القالب فان
الواصلين الى مقام الحضور لا يشغلهم شيء من الامور فقلبهم لا يغفل عن الله ولو كانوا في الزراعة والتجارة
كما يشير اليه قوله سبحانه رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله الآية اي ان قلب اهل الدنيا لا يغفل عن
دنياهم ولو كان قالبهم في المسجد والطاعة والقراءة ونحوها بل اهل القلوب كلما ذكرهم وفكرهم لو
ارادوا ان يغفلوا قلبهم ساعة لم يقدروا على ذلك كما ان اهل الغفلة لو اجتهدوا ان يحضروا قلبهم
ساعة عجزوا عما هنالك بل العارفون عدوا الغفلة كفرا وارتدادا كما اشار اليه العارف ابن الفارض بقوله
ولو خطرت لي في سواك ارادة على خاطري سهوا حكمت بردتي فالحاضرون على الدوام هم الانبياء
عليهم السلام والاولياء من اتباعهم الكرام والغافلون الكاملون هم الكافرون المشهودون بالانعام
واما المخلصون فهم في احوالهم مختلفون فتارة يحضرون واخرى يغفلون وهم الذين قال تعالى فيهم واخرون

واخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا واخر سيئا الآية ويخرج السالك عنه اي عن الزهد
ويدخل في حب الدنيا خمسة اشياء القصد الى الكسب ان كان القصد للذة اي لشهوة النفس بالمكسوب
دون الحق اي بخلاف ما اذا كان القصد منه الكسب الاستعداد والاستعانة على العبادة التي هي
المندوب والمطلوب وهذا محمل قول ابي سليمان الداراني من تزوج او سافر في طلب المعيشة او كتب
الحديث فقد ركن الى الدنيا وذكر انه نقل عنه ايضا انه قال كل ما شغلك عن الله من مال او ولد فهو
عليك مشؤم والادخار يخرج السالك عن الزهد ايضا ان زاد الادخار على قوت السنة كما ثبت الرخصة
في السنة الا لمن لا يكسب اي لا يقدر على الكسب لعدم حرفة او لاشتغاله بتحصيل وجود معرفة ولا
يأخذ من الايدي مع هذه الحالة ايضا فانه لا يخرجه الادخار عن الزهد وان كان زائدا على قوت
السنة كداود الطائي وهو ملك عشرين دينارا ورثها من ابيه فقنع بها عشرين سنة ثم اعلم انه قد
يظن ان تارك المال زاهد وليس كذلك فان ترك المال واظهار الخشونة سهل على من احب المدح
بالزهد بل بدونه الزهد في المال والجاه جميعا في الكمال بهذا وقوم يظهرون الزهد بالتقشف
واخرون بالتكلف وعن الخواص قوم ادعوا الزهد ولبسوا الفاخر من اللباس يموهون بذلك على الناس
ليهدى اليهم مثل لباسهم ولئلا ينظر اليهم بالعين التي ينظر بها الى الفقراء فيحتقروا فيعطوا كما يعطى
المساكين ويحتجون لانفسهم باتباع العلم وانهم على السنة وان الاشياء داخلة عليهم وهم خارجون
منها وانما ياخذون بعلة غيرهم هذا اذا طولبوا بالحقائق والجئوا الى المضايق وكل هذا واكل
الدنيا بالدين لم يعتنوا بتصفية اسرارهم ولا بتهذيب اخلاق نفوسهم فظهرت عليهم صفاتهم فغلبتهم
فادعوها حالا لهم فهم ما يلون الدنيا متبعون الهوى فهذا كله كلام الخواص فاذن معرفة الزاهد
مشكل حتى على الزاهد نفسه فينبغي ان يعتقد بلبس خاص موافق للسنة وان يعول في باطنه على ثلاث
علامات الاولى ان لا يفرح بموجود ولا يحزن على مفقود كما قال تعالى لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا
تفرحوا بما آتاكم اي لا تحزنوا حزنا فزعا ولا تفرحوا فرحا بطرا والا فلا يخلو عن التأثر في النفس باعتبار
اصل الطبع ثم الكمال ان يحزن بوجود المال ويفرح بفقده لانه سبب وجود صحة الحال والثانية ان
يستوي عنده ذامه ومادحه بل ينبغي ان يفرح بذمه ويحزن بمدحه والثالثة ان يكون انسه بالله وغنيا به
عما سواه ولذا قيل لبعضهم الى ماذا افضى بهم الزهد فقال الى الانس بالله واما الانس بالدنيا وبالله فلا
يجتمعان كالماء والهوى في القدح فالماء اذا دخل خرج الهوى وقد قال اهل المعرفة اذا تعلق الايمان بظاهر القلب
احب الدنيا والآخرة جميعا وعمل لهما واذا بطن الايمان في سويداء القلب وباشره ابغض الدنيا ولم ينظر اليها ولم
يعمل لها ولهذا ورد في دعاء آدم عليه السلام اللهم اني اسألك ايمانا يباشر قلبي وقال ابو سليمان من شغل
بنفسه شغل عن الناس وهذا مقام العابدين ومن شغل بربه شغل عن نفسه وهذا مقام العارفين وقال
سري لا يطيب عيش الزاهد اذا اشتغل عن نفسه ولا يطيب عيش العارف اذا اشتغل بنفسه وقال النصراباذي
الزاهد غريب في الدنيا والعارف غريب في الآخرة وقال يحيى بن معاذ الزاهد يسعطك الخل والخردل والعارف

يشمه المسك والعنبر ثم لا يستدل بامساكه قليلا من الاول على فقد زكان في مقام الكمال كما اراد داود الطائي
فان مدار الزهد في الدنيا عدم محبتها وقد قال الفضيل جعل الله الشر كله في بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا
وجعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد فيها والتغذي بالخبز المنخل اي الذي كل منه بر اي دقيق حنطة
منخول اي يخرج منه النخالة ايضا والمواظبة على الادام يخرج ايضا منه وكذا اتخاذه بين كقميصين
واثنين اي متاعين من امتعة البيت كصحنين وابريقين احدهما زايد على الشيء اما وجنس رفيع
اي مستحسن ولذيذ منه الادام والثوب والاثاث والاناء في مقام الا على عدم التقييد بالادني والا على
كما كان طريق المصطفى فقد قال يحيى بن معاذ الرازي الزاهد الصادق قوته ما وجد ولبسه ما ستر ومسكنه
حيث ادركه المسا الدنيا سجنه والقبر مضجعه والخلوة مجلسه والاعتبار فكرته والقران حديثه والرب انيسه والذكر
رفيقه والزهد قرينه والحزن شانه والحيا شعاره والجوع ادامه والحكمة كلامه والتراب فراشه والتقوى
زاده والصمت غنيمته والصبر معتمده والتوكل حسبه والعقل دليله والعبادة حرفته والجنة مبلغه ان شا
الله وحده ثم اعلم ان المهمات الضرورية في الامور الدنيوية ستة المطعم والملبس والمسكن والاثاث
والمنكح وما يكون وسيلة الى هذه الخمسة اما المطعم فلا بد للانسان من قوت حلال يقيم صلبه فادناه مقداره
تعيماته ما ورد في حدة واقل جنسه ما يقوته ولو خبز نخاله واوسطه خبز الشعير والذرة واعلاه خبز البر غير منخول
واقل ادامه الملح والبقل او الخل واوسطه الزيت والسمن واللبن واعلاه اللحم وذلك في الاسبوع مرة او
مرتين ووقته الاقل في ثلثة ايام واوسطه في اليوم والليلة مرة واقصاه في اليوم والليلة مرتين ويشير
اليه قوله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وكان يعيش عليه السلام بالاسودين التمر والماء وما شبع
هو واهل بيته من خبز الشعير يومين متتابعين وفي رواية عنه عليه السلام انه من طلب الفردوس فخبز
الشعير له والنوم على المزابل مع الكلاب كثير وكان عيسى عليه السلام يقول يا بني اسرائيل عليكم بالماء القراح
والبقل البري وخبز الشعير واياكم وخبز البر فانكم لن تقوموا بشكره ولما اتى عليه السلام باهل قبا اتوه بشربة
من لبن مشوبة بعسل فوضع القدح من يده وقال اما اني لست احرمه ولكن اتركه تواضعا لله واما
الملبس فاقله وادناه ما يدفع الحر والبرد ويستر العورة وهو كساء يتغطى به واوسطه قميص وقلنسوة
ونعلان واعلاه ان يكون له مع ذلك منديل وسروال واقل جنسه المسوح الخشنة واوسطه الصوف
الخشن واعلاه القطن الغليظ قال ابو بردة اخرجت لنا عايشة كساء ملبدا وازارا غليظا وقالت
قبض عليه السلام في هذين رواه الشيخان ولابن ماجه من حديث ابي ذر باسناد جيد ما من عبد لبس ثوب
شهرة الا اعرض الله عنه حتى ينزعه وقد اشترى عليه السلام سروالا باربعة دراهم كما رواه ابو يعلى من
حديث ابي هريرة وللشيخ من رواية عروة بن الزبير مرسلا كان رداء عليه السلام اربعة اذرع وعرضه
ذراعان ونصف وفي طبقات ابن سعد من حديث ابي هريرة كان له ازار من نسيج عمان طوله اربعة اذرع وشبر
في ذراعين وشبر وعن جابر قال دخل عليه السلام على فاطمة وهي تطحن بالرحى وعليها كساء من اجلة الابل
فلما نظر اليها بكى وقال يا فاطمة تجرعي مرارة الدنيا لنعيم الابد فانزل الله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى وقال

وقال عليه السلام لعايشة ان اردت اللحوق بي فاياك ومجالسة الاغنيا ولا تنزعي ثوبا حتى ترقعيه رواه
الترمذي والحاكم وصححه من حديث عايشة ولابي نعيم والحاكم والبيهقي في شعب الايمان ان من خيار امتي فيما انبا ني
الملا الاعلى قوما يضحكون جهرا من سعة رحمة ربهم ويبكون سرا من خوف عذابه مؤنتهم على الناس خفيفة
وعلى انفسهم ثقيلة يلبسون الخلقان ويتبعون الرهبان اجسامهم في الارض وافئدتهم عند العرش
وعد على قميص عمر اثنا عشر رقعة بعضها من ادم واشترى علي كرم الله وجهه ثوبا بثلثة دراهم ولبسه
وهو في الخلافة وقطع كميه من الرسغين وقال الحمد لله الذي كساني هذا من رياشه وقال بعضهم قومت
ثوبي سفيان ونعليه بدرهم واربعة دوانق ولاحمد من حديث معاذ ان عباد الله ليسوا بالمتنعمين
واما المسكن فاقله على ان يقنع بزاوية من المسجد كاصحاب الصفة واوسطها بيت من سعف ونحوه
وادناها حجرة مبنية اما ابتراء او بكراء وللطبراني من رواية ابي العالية ان العباس بنى غرفة فقال له عليه السلام
اهدمها ولابي داود من حديث انس بسند جيد راى عليه السلام قبة مشرفة فقال لمن هذه قالوا لفلان
فلما جاء الرجل اعرض عنه فلم يكن يقبل عليه كما كان فسال الرجل اصحابه عن تغير وجهه عليه السلام فاخبر
بذلك فذهب فهدمها فمر عليه السلام بالموضع فلم يرها فاستخبر فاخبر بانه هدمها فدعا له بخير ولابن
ابي نعيم حبان في الثقات وفي الحلية عن الحسن مرسلا مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يضع لبنة على لبنة
ولا قصبة على قصبة وقال عبد الله بن عمر مر علينا عليه السلام ونحن نعالج خصا فقال ما هذا فقلنا خص
لنا قد وهي فقال ارى الامر اعجل من ذلك رواه ابو داود والترمذي وصححه وابن ماجه وقال الحسن دخلنا
على صفوان بن محرز وهو في بيت من قصب قد مال عليه فقيل له لو اصلحته فقال كم من رجل قد مات وهذا
قايم على حاله ولابي داود من حديث انس بسند جيد كل بنا وبال على صاحبه الا ما لا الا ما لا بد منه وكان
في السلف من يبني داره مرارا في مدة عمره لضعف بنائه وكان منهم اذا حج او غزا نزع بيته او وهبه
لجيرانه فاذا رجع اعاده قال الحسن كنت اذا دخلت بيوته عليه السلام ضربت بيدي الى السقف وقال عليه
السلام للرجل الذي شكا اليه ضيق منزله اتسع في السماء يعني في الجنة رواه ابو داود في المراسيل ووصله الطبراني
وقال ابن مسعود ياتي قوم يرفعون الطين ويضعون الدين ويستعملون البراذين يصلون الى قبلتكم
ويموتون على غير ملتكم واما اثاث البيت فاعلاه ما حال عيسى عليه السلام اذ كان لا يصحب الا مشطا وكوزا
فراى انسانا يمشط لحيته باصابعه فرمى المشط وراى اخر يشرب من النهر فرمى الكوز ثم الطرف ينبغي
ان يكون من الخزف ولو مكسور الطرف وكان السلف يستحبون استعمال الة واحدة في اشيا متعددة كالذي
معه قصعة ياكل فيها ويشرب منها وقالت عايشة رضي الله عنها كان ضجاعه اي فراشه عليه السلام الذي
ينام عليه وسادة من ادم حشوها ليف رواه ابو داود وابن ماجه والترمذي وقال حسن صحيح وللترمذي في الشمايل
من حديث حفصة ان فراشه عليه السلام كان عباءة مثنية ووسادة من ادم حشوها ليف وراى عليه السلام
على باب منزل عايشة سترا مصنعة وقال كلما رايته ذكرت الدنيا ارسلي به الى فلان رواه الترمذي وحسنه والنسايي
في الكبرى من حديثها وقال الحسن ادركت سبعين من الاخيار ما لاحدهم الا ثوبه وما وضع احدهم بينه وبين

الارض ثوبا قط وكان اذا اراد النوم باشر الارض بجسمه وجعل ثوبه فوقه واما التنكح فقال قائلون
ان الزهد في اصل النكاح وان في كثرته والى هذا ذهب سهل بن عبد الله وقال قد حبب الى سيد الزاهدين
النساء فكيف نزهد فيهن ووافقه ابن عيينة وقال كان علي ازهد الصحابة وله اربع نسوة وبضع عشرة ة
سرية والصحيح ما قاله ابو سليمان الداراني ان كل ما شغلك عن الله من اهل ومال او ولد فهو عليك مشوم وهو
مستفاد من قوله تعالى لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون وقوله
ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم وقال ابو سليمان الزهد في النساء ان يختار المراة العجوزة
الضعيفة على المراة الجميلة الشريفة وقال الجنيد احب للمريد المبتدي ان لا يشغل قلبه بثلاث والا تغير
حاله الكسب وطلب الحديث والتزوج وقال احب للصوفي ان لا يكتب ولا يقرا لانه اجمع لهمه واما ما يكون
الوسيلة الى هذه الخمسة فهو المال والجاه اما الجاه فانه قد يفتقر الى الخادم له فينفعه وقد يحتاج الى دفع
ظلم عن نفسه او غرض والغالب ان من اشتغل بالعلم والعمل نجد له من قلوب الخلق ما يدفع به عنه الاذى
ولو كان بين الكفار فكيف بين الابرار واما المال فقدر الضرورة كاف في المعيشة فاذا كان كاسبا واكتسب
حاجة يومه ينبغي ان يترك الكسب ويشتغل بامر مهمه وقد قال ابو سليمان لا ينبغي للرجل ان يرهق اهله
الى الزهد بل يدعوهم اليه فان اجابوه والا تركهم وفعل بنفسه ما يشاء وروي ان ابراهيم الخليل عليه
السلام اصابته حاجة فذهب الى صديق له يستقرضه شيئا فلم يقرضه فرجع مهموما فاوحى الله اليه لو سالت
خليلك لاعطاك فقال يا رب عرفت مقتك للدنيا فخفت ان اسالك شيئا منها فاوحى الله اليه ليس الحاجة
من الدنيا فتبين من هذا ان تحصيل قدر الحاجة من امر الدين والاولى المبالغة في التشديد اي التضييق على
نفسك ان كنت من المريدين المجتهدين تحاميا اي تحفظا عن ستة اشياء عن الانس بالدنيا ونسيان العقبى
والاشتغال بغير ذكر المولى وعن طول المكث للحساب المتضمن لعذاب الحجاب وعن الحبس والتوقف عن الجنة
وما فيها من الثواب واللوم اي وعن الملامة في اكتساب السيئات والتعيير اي التوبيخ في تقصير الطاعات
والحرمان عن الدرجات العالية والمقامات الغالية وهو اي المبالغة على النهج المذكور كله ورد فيه الماثور من
السلف الصالحين فعن الثوري وكان قد شدد على نفسه فقيل له لو خففت لنلت الجنة ايضا فما هذه الشدة
فقال كيف لا اشدد على نفسي وقد ورد ان جارية تضحك عند زوجها في الجنة فتشرق الجنان الثمان بنور
اسنانها فيظنون ان ذلك نور من جهة الرب سبحانه فيخرون ساجدين فنودوا ان ارفعوا رؤسكم ليس الذي
تظنون انما هو نور جارية تبسمت في وجه زوجها ومما حكي ان داود الطائي كان له حب مكسور فيه ماء ه
فكان لا يرفعه من الشمس يشرب منه الماء الحار ويقول من وجد لذة الماء البارد يشق عليه مفارقة الدنيا
فلعله محمول على وقت رياضته وابتداء مخالفة النفس في شهوته والا فمنتهى الزهد البارد لانه عليه السلام
كان يستعذب الماء ويقول في دعائه اللهم اجعل حبك احب الي من حب الماء البارد وقد دخل بستانا فقال صح
ان كان عندك ماء بات في شن والا كرعنا فاتى به فشرب وكان بعض العارفين يقول اذا شربت الماء البارد
احمد الله من صميم قلبي والنية انما خلق الله اللذاته الدنيوية لتكون انموذجا للذات الاخروية وقد قال الله

تعالى قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق وقال تعالى يا ايها الذين امنوا
كلوا من طيبات ما احل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين اي المتجاوزين عن الحد في امر الدين
كالرهبانيين وورد في الحديث لو كانت الدنيا تعدل اي تساوي وتماثل جناح بعوضة ما سقى كافرا منها
شربة ماء رواه الترمذي من حديث سهل بن سعد ورواه ابن ماجه بلفظ تزن بدل تعدل وقال قطرة ابدال
شربة ماء ورواه الحاكم وصححه الدنيا ملعونة ملعون وفي نسخة وملعون ما فيها الا ما كان لله وهو العبادة
وما يعين عليها وفي رواية الطبراني من حديث ابي الدرداء الا ما ابتغي به وجه الله عز وجل واسناده لا باس
به ورواه الترمذي من حديث ابي هريرة وحسنه ولفظه الا ذكر الله وما والاه وعالما ومتعلما يعني وما يجري
مجراه فانه سبحانه خلق الاشياء كلها لعباده كما يشير اليه قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا وخلق
عباده لعبادته كما قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فشكر نعمته ان يصرفها في طاعته وكفرانها
ان يصرفها في معصية او غفلة ثم الحالات التي قبل الموت خيرا او شرا تسمى دنيا والتي بعده اي بعد الممات ته
تكون اخرى فان من مات فقد قامت قيامته وقد يقال بين الموت والبعث حال يقال له البرزخ فانه
س الواسطة بين الدنيا والاخرى لكن العبادة وما لا بد منه فيها مما يعين عليها كالاكل والشرب واللباس
والنوم والمنى لطه وكونها بقدر الضرورة معدودة من الاخرة وخروجها عما جمع من امورها فيما ورد في التنزيل
انما الحياة الدنيا لعب وهو ما يتعب الشخص فيه نفسه من غير فائدة له وهو فعل الصبيان والمجانين ولهو
ه وهو ما يشغله عن الطاعات وما يلهو عن العبادات وهو فعل اهل الغفلة من الشباب وارباب المال واي
كما يشير اليه قوله تعالى الهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر الاية اي وزينة وهي الغالب على النساء فتنشئة
بمعن من السفهاء وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد وهو حال اكثر اهل الدنيا من الاغنياء والامرا
ففي اي الاشيا التي جمعت في الاية السابقة الدنيا بجمعها اي بتمامها ومتاعها مبتدا خبره بما جمع من
الدواعي فيما ورد في التنزيل زين للناس حب الشهوات اي اللذات الاتية اي من النساء والبنين اي دون
البنات ولذا التكليف قوله تعالى المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات ان الباقيات داخله
في الباقيات الصالحات والقناطير المقنطرة اي الحمول الكثيرة من الذهب والفضة وقد ورد لو كان
ب لابن ادم واديان من ذهب لا يبتغى ثالثا ولن يملا جوف ابن ادم الا التراب ويتوب الله على من تاب
اوالمرسلة صح والخيل المسومة اي المعلمة والانعام من الابل والبقر والغنم والحرث للزراعة والاشجار والثمار والازهار
ذلك متاع الحياة الدنيا وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور والله عنده حسن الماب وجزيل الثواب وما عند الله خير
للابرار والشغل بها حب حظوظها اي لذاتها وشهواتها باطنا وتحصيلها ظاهرا واما الانبياء والاصفياء
فاختار الله لهم الدرجات العليا في العقبى والمحن والبلايا في الدنيا فعن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال ان كان الانبياء قبلي ليبتلى احدهم بالفقر فلا يجد الا العباءة وان كان احدهم ليبتلى بالقمل حتى يقتله
القمل وكان ذلك احب اليهم من العطاء اليكم رواه ابن ماجه باسناد صحيح وعن ابن عباس قال لما ورد موسى ماء
مدين كانت خضرة البقل ترى من بطنه من الهزال وعلاج حبها معرفة الرب فان معرفة الرب موجبة

لحبه وحبه لا يجتمع مع حب غيره كما يشير اليه قوله سبحانه ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ولانه سبحانه يبغضها فلا ينبغي لاحد ان يحبها والنفس اي ومعرفة قدرها حتى لا يضيعها في طلب الدنيه ويمنعها عن تحصيل المنازل السنيه شرف الاخرة ودرجاتها العاليه الباقيه ونفاسة مراتبها الرفيعه المنيعه وخساسة الدنيا من جهة شركائها وسرعة فنائها وكثرة عنائها وقلة غنائها ويكفيك في ذمها ما ورد في حقها من ان الدنيا جيفة وطالبها كلاب فقد روى ابو الشيخ في تفسيره عن علي موقوفا الدنيا جيفة فمن ارادها فليصبر على مخالطة الكلاب واخرج الديلمي عن علي مرفوعا اوحى الله تعالى الى داود يا داود مثل الدنيا كمثل جيفة اجتمعت عليها الكلاب يجرونها افتحب ان تكون كلبا مثلهم فتجر معهم ولاحمد عن عائشة مرفوعا ورجاله ثقات الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له وفي صحيح مسلم والترمذي عن ابي هريرة مرفوعا الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ورواه احمد عن عبد الله بن عمرو بزيادة فاذا فارق الدنيا فارق السجن ثم الدنيا فتنة وبلية كما في صحيح مسلم الدنيا خضرة حلوة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون وفقنا الله سبحانه وتعالى لما يحب ويرضى في الدنيا والاخرة وبلغنا المقام الاسنى مع الذين احسنوا الحسنى

الباب العشرون في التوحيد والتوكل واليقين

بسم الله الرحمن الرحيم

المنفرد بتوحيد الذات وتفريد الصفات عليه يتوكل المتوكلون وبه يتقرب المتقون الموقنون ادنى رتب التوحيد من مراتبه الاربع محض القول بالتفريد بان يقول الانسان بظاهر اللسان لا اله الا الله وقلبه غافل عنه وهو جاهل به او منكر له كتوحيد المنافق وهو اي معه النفاق والعياذ بالله منه اي النفاق وما يترتب عليه من الخلاف والشقاق ولا يفيد ذلك التوحيد في الحال الا عصمة الدم والمال اي حفظ دم الموحد وماله كما ورد في الحديث الصحيح وصدره امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله فاذا قالوها اي كلمة التوحيد عصموا مني دماءهم واموالهم تمام الحديث الا بحقها وحسابهم على الله ثم التصديق معه وهو ان يصدق بمعنى اللفظ قلبه كما صدق به عموم المسلمين ويكون اعتقاده كما للعامي اي كما هو اعتقاد العوام والمتكلم وهو الذي يبحث في علم الكلام فهو اي المتكلم لا يتميز عن العامي في هذا المقام الا بالحيلة اي الصنعة الجدلية الدافعة لتشويش المبتدعة الحافظة من انخرام قواعد اهل السنة والجماعة ولا يفيد التصديق الجناني مع الاقرار اللساني الا النجاة من الخلود في النار ولو كان صاحبه من اهل الفسق والفجور ثم مشاهدة كمال صدور الكل اي ظهور جميع ما يقع في الكون منه تعالى وفي الحقيقة هذا يسمى توحيد الافعال في المصنوعات وهو سبق توحيد الذات والصفات وهذا انما يكون بطريق الكشف بواسطة نور الحق لتنوير الاسرار وهو مقام المقربين الابرار وذلك بان يرى الاشياء كثيرة ظاهرها الاعتبار ولكنه يراها على كثرتها صادرة من الواحد الحق القهار فيقول المشاهد حينئذ ليس في الدار غيره ديار ويفيد هذا التوحيد اعتماد القلب عليه في امور الدنيا والاخرة والانقطاع عما سواه فلا يرى احدا يضر وينفع او يعطي ويمنع الا اياه وهو التوكل اي الاعتماد على الله وعدم الالتفات الى ما عداه وتوضيحه ان ينكشف لك ان لا فاعل الا الله وان كل موجود من خلق ورزق وعطاء ومنع وضر ونفع وحلو ومر وخير وشر وغنى وفقر وحياة

وحياة وممات الى غير ذلك مما ينطلق عليه اسم الوجود في دائرة الشهود فالمنفرد بابداعه وابدائه واختراعه هو الله سبحانه لا شريك له فيه واذا انكشف لك هذا لم تنظر الى غيره بل كان منه خوفك واليه رجاؤك وبه ثقتك وعليه اتكالك فانه الفاعل على الانفراد دون غيره وما سواه مسخرون لا استقلال لهم بتحريك ذرة من ملكوت السموات والارض واذا انفتح لك ابواب المكاشفة اتضح لك هذا اتضاحا اتم من المشاهدة بالبصر وانما يصدك الشيطان عن هذا التوحيد في مقامين ويبتغي به ان يتطرق الى قلبك شائبة الشرك بشيئين احدهما الالتفات الى اختيار الحيوانات والثاني الالتفات الى الجمادات كاعتمادك على المطر في خروج الزرع ونباته ونمائه وعلى الغيم في نزول المطر وعلى البرد في اجتماع الغيم وعلى الريح في استواء السفينة وسيرها وهذا كله شرك في التوحيد وجهل بحقائق امر التفريد ولذا قال واذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون قيل معناه يقولون لولا استواء الريح لما نجونا ومن انكشف له امر العالم كما هو عليه علم ان الريح هو الهواء والهواء لا يتحرك بنفسه ما لم يحرك وكذا محركه وهلم جرا الى ان ينتهي الى المحرك الاول الذي لا محرك له ولا هو متحرك في نفسه ومنه قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى واما الالتفات الى اختيار الحيوانات في الافعال الاختيارية فيقول الشيطان كيف ترى الكل من الله وهذا الانسان يعطيك رزقك باختياره فان شاء اعطاك وان شاء قطع عنك وهذا الشخص هو الذي يحز رقبتك بسيفه وهو قادر عليك ان شاء حز رقبتك وان شاء عفا عنك فكيف لا تخافه ولا ترجوه وامرك بيديه فانت تشاهد ذلك ولا تشك فيه وعند هذا زلت اقدام الاكثرين الا عباد الله المخلصين الذين لا سلطان عليهم للشيطان اللعين فشاهدوا بنور البصائر ان جميع ما في السموات وما في الارض من الشمس والقمر والنجوم والمطر والارض والحجر والمدر والشجر وكل حيوان وملك وبشر مسخرات في قبضة القدرة الالهية الصمدانية والقوة السبحانية الربانية ثم اعلم انه سبحانه قال وما تشاؤن الا ان يشاء الله واجمع السلف على ان ما شاء الله كان وما لم يشا لم يكن فلا يتخير الانسان ولا يمكن الا اذا شاء الله شاء العبد ام لم يشا فكلت المشيئة اليه فمهما وجدت المشيئة التي تصرف القدرة الى مقدورها انصرفت القدرة لا محالة ولم يكن لها سبيل الى المخالفة فالحركة لازمة ضرورة بالقدرة والقدرة محركة ضرورة عند انجزام المشيئة والمشيئة تحدث ضرورة في القلب فهذه ضروريات ترتبط بعضها الى بعض وليس للعبد ان يدفع وجود المشيئة ولا انصراف القدرة الى المقدور بعدها ولا وجود الحركة بعد بعث المشيئة للقدرة فهو مضطر في الجميع قيل فهذا جبر محض والجبر ينافي الاختيار وانت لا تنكر الاختيار فكيف يكون مجبورا مختارا اجيب بانه لو انكشف لك الغطاء لعرفت انه في عين الاختيار مجبور لانه عبد مسخر مقهور ولذا قال بعض العارفين لا تختر فان كنت تختار فاختر ان لا تختار وربك يخلق ما يشاء ويختار والله سبحانه اعلم بحقائق الاسرار ثم رؤية عدم ما سواه اي مشاهدة هلاكه بجنب وجود مولاه فلا يرى في الوجود الا واحدا وهو مشاهدة الصديقين الابرار ويفيد هذا التوحيد الاستغراق به اي بشهوده والغيبة عن الغير اي الغفلة عن وجود غيره وهو عند الصوفية الفناء في التوحيد اي محل من كمال الصفاء وجمال الوفاء

من حيث انه لا يرى الا واحدا فلا يرى نفسه ايضا فاذا لم ير نفسه لكونه مستغرقا بالواحد كان فانيا
عن نفسه في توحيده بمعنى انه فنى عن رؤية نفسه بالكلية وقد يفنى عن رؤيته فنائه ايضا ويسمى الفنا
عن الفنا ويبقى له البقا في مشاهدة اللقا فالاول موحد بمجرد اللسان وذلك يعصم صاحبه عن السيف
والسنان والثاني موحد بجنانه مفهوم لسانه لكن ليس فيه انشراح وانفتاح لشأنه والثالث
موحد بمعنى انه لم يشاهد الا فاعلا واحدا اذ الرابع موحد بمعنى انه لم يظهر في نظر شهوده غير الواحد
الواجب في وجوده ولا يرى الكل من حيث انه كثير بل من حيث انه واحد وهذه هي الغاية القصوى في
التوحيد ويسمى مقام جمع الجمع في حال التوحيد وهو ان لا يحجبه الكثرة عن الوحدة ولا يحجبه الوحدة
عن الكثرة وبهذا تبين لك ان توحيد الفعل معتمد عال للسالكين يمكنه ان يخلو عن مشاهدة
الغير ولا لتفات الى الكثرة بالاضافة اى فيه لا يشاهد سوى الواحد الحق المطلق فان قلت
كيف يتصور ان لا يشاهد الا واحدا وهو يشاهد السما والارض وما بينهما من الطول والعرض وهي
كثيرة فكيف يكون الكثير واحدا اى علمان العارفين قالوا صدور الاحرار قبور الاسرار كما يشير اليه
قوله عليه السلام لو تعلمون ما اعلم وقالوا ايضا افشا سر الربوبية كفر لكن قد يمكن ان تشاهد الى الكشف
ما فيه ستر بان تعال الشي قد يكون كثيرا بنوع مشاهدة واعتبار ويكون واحدا بنوع اخر من ملاحظة
واعتبار وهذا كما ان الانسان كثير اذا التفت الى روحه وجسده واطرافه وعروقه وعظامه
وامعائه واعضائه وهو باعتبار اخر ومشاهدة اخرى واحد وكم من شخص يشاهد انسانا ولا
يخطر بباله كثرة امعائه واجزائه فهو في حال الاستغراق والاستهتار به مستغرق بواحد ليس فيه تفرق
وكانه في عين الجمع والملتفت الى الكثرة في تفرقة فكذا كل ما في الوجود من الخالق والمخلوق له اعتبارات
ومشاهدات كثيرة مختلفة وهو باعتبار واحد من الاعتبارات واحد وباعتبارات اخر سواه كثير ثم هذه
المشاهدة التي لا يظهر فيها الا الواحد الحق تارة تدوم وتارة كالبرق الخاطف وهي الاكثر والدوام
نادر عزيز يغلب في المجذوب والى هذا المقام اشار الحسين بن منصور الحلاج حيث راى الخواص يدور
في الاسفار فقال فيما ذا انت قال ادور في الاسفار لا صحح حالي في التوكل وقد كان من المتوكلين
فقال الحسين قد افنيت عمرك في عمران باطنك فاين الفنا في التوحيد فكان الخواص في تصحيح المقام
الثالث من التوحيد فطالبه بالمقام الرابع من التوحيد فان قلت فكيف الجمع بين التوحيد والشرع
اذ معنى التوحيد ان لا فاعل الا الله ومعنى الشرع اثبات الافعال للعباد فان كان العبد فاعلا
فكيف يكون الله فاعلا وان كان الله فاعلا فكيف يكون العبد فاعلا ومفعول بين فاعلين غير
مفهوم فالجواب نعم ذلك غير مفهوم اذا كان للفاعل معنى واحد وان كان له معنيان ويكون الفاعل
مجملا مرددا بينهما لم يتناقض كما يقال قتل الامير فلانا ويقال قتله الجلاد ولكن الامير قاتل بمعنى اخر
والجلاد قاتل بمعنى اخر فكذلك العبد فاعل بمعنى والله فاعل بمعنى اخر فمعنى كون الله فاعلا انه المخترع ع
الموجد ومعنى كون العبد فاعلا انه المحل الذي خلقت فيه القدرة بعد ان خلق الله فيه الارادة بعد ان

ان خلق فيه العلم ولاجل توافق ذلك وتطابقه نسب الله سبحانه الافعال في القرآن مرة الى الملائكة
واخرى الى العباد ونسبها بعينها مرة الى نفسه فقال تعالى قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم وقال ثم توفته
رسلنا وقال الله يتوفى الانفس حين موتها وقال فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت
ولكن الله رمى وهو جمع بين النفي والاثبات ظاهرا ولكن معناه ما رميت بالمعنى الذي يكون به الرب
راميا اذ رميت بالمعنى الذي يكون العبد به راميا فانهما معنيان مختلفان فالمعنى وما رميت
حقيقة اذ رميت مجازا ولكن الله رمى حيث خلق فيك قوة الرمي او خلق في المرمي الوصول الى اعين
العدو وغيرها ما رميت خلقا اذ رميت كسبا ولكن الله قدر رميك ازلا وكذا ذكر الله تعالى في القرآن ال له
ايات في الارض والسموات ثم قال او لم يكف بربك انه على كل شي شهيد وقال شهد الله انه لا اله الا
هو فبين انه الدليل على نفسه وذلك ليس بمتناقض بل طريق الاستدلال مختلف فكم من طالب عرف
الله بالنظر الى الموجودات كما قال بعضهم ما نظرت شيا الا ورايت الله بعده وهذا طريق المريد السالك لكد
وكم من طالب عرف الموجودات بالله سبحانه كما قال بعضهم ما نظرت شيا الا ورايت الله قبله وهذا
مسلك المراد المجذوب ومن هنا قال من قال عرفت ربي بربي ولولا ربي لما عرفت ربي فالحاصل ان
الفعل يستعمل على وجوه مختلفة فلا تتناقض هذه المعاني اذا فهمت حقايقها ولذا قال عليه
السلام للذي ناوله التمر خذها لو لم تأتها لاتتك كما رواه ابن حبان والطبراني فاضاف الاتيان ن
اليه والى التمرة ومعلوم ان التمرة لا تاتي على الوجه الذي ياتي الانسان به اليها وكذلما قال ذلك
التائب اتوب الى الله ولا اتوب الى محمد قال عليه السلام عرف الحق لاهله وذلك لان من اضاف الكل الى
الله فهو المحقق الذي عرف الحق لاهله ومن اضاف لغيره فهو المتجوز في مرامه المستعير في كلامه ومن
هنا قال عليه السلام اصدق بيت قالته العرب قول لبيد شعر "الا كل شي ما خلا الله باطل"
وكل نعيم لا محالة زايل" متفق عليه من حديث ابي هريرة والمعنى ان ما لا قوام له بنفسه وانما قوامه
بغيره فهو باعتبار نفسه باطل اى حقيقته وحقيقته بغيره لا بنفسه فاذن لا حق بالحقيقة الا الحي
القيوم الذي ليس كمثله شي وهو السميع البصير فانه قايم بذاته وكل ما سواه قايم بقدرته فهو الحق وما
سواه باطل اى مضمحل وزايل كما قال تعالى كل شي هالك الا وجهه ومن هنا قال سهل يا مسكين كان
ولم يكن ويكون ولا يكون فلما كنت اليوم صرت تقول انا وانا كن الان كما لم تكن فانه اليوم كما كان
وهذا التفصيل كالمجمل في قول بعضهم كان الله ولم يكن معه شي وهو الان على ما عليه كان فهذا واذا ثبت رق
في نفسك بكشف او اعتقاد جازم انه لا فاعل الا الله كما سبق واعتقدت مع ذلك ان له تمام العلم والقدرة
على كفاية العباد ثم تمام العطف والرحمة بجملة الاحاد وانه ليس وراء قدرته قدرة ولا وراء منتهى علمه منتهى ص
علم ولا وراء منتهى عنايته بك ورحمته لك عناية ورحمة اتكل لا محالة قلبك عليه وحده ولم يلتفت الى غيره
بوجه ولا الى نفسك وحولك وقوتك فانه لا حول ولا قوة الا بالله فالحول عبارة عن الحركة والقوة عبارة
عن القدرة ولا التفات الى الغير حينئذ الا من ضعف اليقين وذلك لتطرق الشك وخطور ال

امور يجب عليه الالتفات اليها وعدم الاسترسال اى وبعلة غلبة اليقين والتفاته على القلب
ودخول اليقين في سويدائه واما للضعف الجبلي اي الخلق الطبيعي وهو مرض القلب باستيلاء الجبن
عليه وانزعاجه بسبب الاوهام الغالبة لديه فان القلب قد ينزعج تبعا للوهم وطاعة له من غير نقصان
في اليقين فان من كان يتناول عسلا فشبه بين يديه بالعذرة ربما نفر عنه طبعه وامتنع عليه
تناوله كالجبان مطيع الوهم لا يطيق البيتوتة في بيت خال وفيه ميت فلو كلف العاقل ان يبيت
مع الميت في قبر او فراش او بيت نفر عن ذلك طبعه وان كان متيقنا بكونه ميتا وانه جماد في الحال
وان سنة الله مطردة بانه لا يحشره الآن ولا يحييه ولو احياه لعاد كما كان واحبه والقاه وعانقه
وارتضاه كما ان سنته سبحانه مطردة بان القلم الذي في يده لا يقلبه حية وان كان قادرا عليه
ومع انه لا يشك في هذا اليقين فينفر قلبه عن مضاجعة الميت في فراش بل الميت معه في بيت ولا
ينفر عن سائر الجمادات وذلك جبن في القلب وهو نوع ضعف قلما يخلو الانسان عن شيء منه وان
قل وقد يقوى فيصير مرضا حتى يخاف ان يبيت في البيت وحده مع اغلاق الباب واحكامه فاذن
لا يتم التوكل الا بقوة القلب وقوة اليقين جميعا اذ بهما يحصل سكون القلب وطمانينته فالسكون
في القلب شيء واليقين شيء آخر فكم من يقين لا طمانينة معه كما قال تعالى اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن
قلبي فالتمس ان يشاهد احياء الميت بعينه ليترقى من مقام علم اليقين الى عين اليقين هذا وقد قال
تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا فالانسان بطبعه مشغوف
بسماع تخويف الشيطان ولذا قيل الشفيق بسوء الظن مولع واذا انضم اليه الجبن وضعف القلب
ومشاهدة المتكلين على الطلب والكسب غلب سوء ظنه وضعف قوة توكله وعنه عليه السلام ان
الله عز وجل بحكمته وجلاله جعل الروح والفرح في الرضا واليقين وجعل الهم والحزن في الشك والسخط
وادنى رتب التوكل على الله ان تعتمد عليه اعتماد الموكل من المخلوق على الوكيل مثلك للعلم اي بعلم الموكل
بشفقته تعالى وقدرته وعلمه كما قدمناه وهذه الدرجة الاولى ثم التوكل الاعلى منه ان يعتمد عليه
سبحانه اعتماد الطفل على الام فيكون حاله مع الله كحالة الطفل مع امه فانه لا يعرف غيرها ولا يفزع
الى احد سواها ولا يعتمد الا اياها فاذا راها تعلق في كل حال بذيلها ولم يتركها وان نابه امر في غيبتها
كان اول سابق الى لسانه يا اماه يا اماه واول خاطر يخطر على قلبه امه فانها مفزعه وقد وثق بكفالتها
وشفقتها وكفايتها ورعايتها فمن كان تالهه الى الله ونظره الى مولاه واعتماده عليه في دنياه واخراه
كلف به كما يكلف الصبي بامه بل اقوى منه فانه سبحانه ارحم الراحمين فيكون متوكلا حقا كما ان الطفل
متوكل على امه صدقا ويفارق هذه الرتبة الثانية الدرجة الاولى بشيئين تقدم الالتفاف على الاعتماد
استغراقا بالام في باب الاستناد اذ الصبي اذا طولب بتفصيل الكل لا يعرف ان التوكل ما هو فلا يعرف الا
الوكيل وتوضيحه في مقام الفرق بين هذا وبين الاول ان هذا متوكل وقد فني في توكله عن توكله اذ
ليس يلتفت قلبه الى التوكل وحقيقته بل الى المتوكل عليه فقط فلا مجال في قلبه لغير المتوكل عليه والاول

الاول متوكل بالتكلف والكسب وليس فانيا عن توكله حيث له التفات الى توكله وشعور به وذلك شغل
صارف عن ملاحظة المتوكل عليه وحده والى هذه الدرجة اشار سهل حيث سئل عن التوكل ما ادناه
فقال ترك الاماني قيل واوسطه قال ترك الاختيار وهذه اشارة الى الدرجة الثانية وسئل عن اعلاه
فلم يذكره وقال لا يعرفه الا من بلغ اوسطه وترك التدبير اي ويفارق الثانية الاولى بترك تدبير
الامور اذ كان في مقام الخصوص فتلك الرتبة الاولى لا الثانية اي اصل التدبير بالطريق الذي
رسمه اي بينه الوكيل مع وعيه ان يفعله تصريحا او تلويحا ولكن يتاتى بعض التدبيرات التي ما رسمها
ولا كلفه في تحصيلها وذلك كالمتوكل على وكيله في الخصومة فانه يترك تدبيره من جهة غير الوكيل ولكن لا يترك
التدبير الذي اشار اليه وكيله او التدبير الذي عرف من عادته وسنته دون صريح اشارته فاما الذي
يعرفه باشارته فان يقول لست اتكلم الا بحضورك فيشتغل لا محالة بالتدبير للحضور ولا يكون هذا مناقضا
لتوكله عليه اذ ليس هو فرعا منه الى حول نفسه وقوتها في اظهار الحجة والا الى حول غيره بل هو من تمام توكله ان
يفعل ما رسمه له اذ لو لم يكن متوكلا ولا معتمدا له في قوله لما حضر بقوله واما المعلوم بعادته واطراد سنته
فهو ان يعلم من عادته انه لا يحاج الخصم الا من السجل فمن تمام توكله ان كان متوكلا عليه ان يكون
معولا على سنته وعادته ووفايته بمقتضاها وهو ان يحمل السجل مع نفسه اليه عند مخاصمته فاذن لا يستغني
عن التدبير في الحضور وعن التدبير في احضار السجل بكونه الشهود في الامور ثم اعلى رتب التوكل على الله
تعالى ان يكون المتوكل بين يدي الله سبحانه في حركاته وسكناته كالميت بين يدي الغسال غير انه يفارقه
في شيء فانه لا يفارقه الا في انه يرى نفسه ميتا تحركه القدرة الازلية كما تحرك يد الغاسل الميت وهو
الذي قوي يقينه بانه سبحانه مجرى الحركة والقدرة والارادة والعلم وسائر الصفات وان الكل يحدث
جبرا فيكون غائبا عن الانتظار لما يجري عليه ويفارق هذه المنزلة الثالثة الدرجة الثانية بترك
السؤال مطلقا سواء كان السؤال من الله او من غيره في جميع الاحوال كما روي عن الخليل انه لما قال
له جبريل الك حاجة فقال اما اليك فلا واما الى الله فبلى فقال سل ربك فانك في مقام البلاء المورث للولا
فقال حسبي من سؤالي علمه بحالي وحاصله ان صاحب هذا المقام يفارق الصبي في هذا المرام فان
الصبي يفزع الى امه ويصيح وراءها ويتعلق بذيلها ويعدو خلفها بل مثال هذا امثال صبي فرض انه يعلم
انه وان لم يزعق بامه فالام تطلبه انه وان لم يتعلق بذيل امه فالام تحمله وانه وان لم تطلب منها
اللبن فالام تبتدي وترضعه وهذا المقام في التوكل يثمر ترك الدعاء والسؤال منه ثقة بكرمه وعنايته ورحمته
ورعايته وانه يعطي ابتداء افضل ما يسال فكم من نعمة ابتداها قبل الدعاء وبغير الاستحقاق كما يشير اليه قوله
سبحانه واتاكم من كل ما سالتموه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فتلك اي الرتبة الثانية لا تنافيه الا السؤال
من غيره تعالى فقط وهي اي الدرجة الثالثة اندر الاقسام وقوعا واغربها ثم الثانية ثم الاولى لكن
فان انبساط القلب الى ملاحظة الحول والقوة والى الاسباب طبع والانقباض بالكلية عن ملاحظتها نادر الا
عارض لا يدوم فاذن رجع حال التوكل الى التبرئة من الحول والقوة وهذا هو تحقيق معنى لا حول ولا قوة الا

بالله حقا صدق وقد اشكل امر الحول والقوة على المعتزلة والفلاسفة وطوايف كثيرة ممن يدعي انه تدقق
في الراي والمعقول حتى يشق الشعر بحدة نظره فهي مهلكة مخطرة ومزلة قدم عظيمة هلك فيها الهالكون
اذ اثبتوا لانفسهم امرا وهو شرك في التوحيد واثبات خالق سوى الله فمن جاوز هذه العقبة بتوفيق
الله اياه فقد علت رتبته وعظمت نسبته ورفعت درجته وارتفعت همته وهو الذي يصدق معنى قوله
لا حول ولا قوة الا بالله وعن بعض العارفين انه قال معرفة اسات بالذنب واعتذرت منه الى الرب
مع ان اعتذاري عند قلبي اسواه ذنبي لتضمنه دعوى الوجود والقدرة والفعل وهذه كلها مخصوصة بالرب
ولا بد منه اي من التوكل في امر الرزق وغيره لثمانية اشيا تورد في التنزيل وعلى الله اي لا على ماسواه
فتوكلوا ان كنتم مومنين كاملين اذا انتم مومنين والامر للوجوب وفي اية اخرى وعلى الله فليتوكل
المومنون وقال نعم اجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون ومن يتوكل على الله فهو حسبه اي
كافيه فيما تمناه وقال اليس الله بكاف عبده فمن يطلب من غيره الكفاية فهو مكذب لهذه الاية وقال ان
الله يحب المتوكلين وناهيك بخصلة موجبة للمحبة الالهية وقال ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم اي
عزيز لا يذل من التجا اليه ولا يضيع من لاذ بجنابه والتجا الى حماه وذمامه وبابه حكيم لا يقصر عن
تدبير امر من توكل على حسن تدبيره وفق تقديره وقال وتوكل على الحي الذي لا يموت اي الا من يموت
لا اعتماد عليه ولا استناد اليه كما حكي عن الخواص ولو توكلتم وفي رواية لو انكم تتوكلون على الله حق توكله
لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا رواه الترمذي والحاكم وصححاه من حديث عمر
وهو مقتبس من قوله تعالى وكاين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وهو السميع العليم وفي رواية
زيادة ولمشيتم على البحور ولزالت بدعائكم الجبال وفي رواية للبيهقي لو عرفتم الله حق معرفته لزالت
بدعائكم الجبال وعن ابن مسعود مرفوعا اريت الامم بالموسم فرايت امتي قد ملات السهل والجبل
فاعجبني كثرتهم وهيئتهم فقيل لي ارضيت فقلت نعم فقيل ومع هولاء سبعون الفا يدخلون الجنة
بغير حساب قيل من هم يا رسول الله قال الذين لا يكتوون ولا يتطيرون ولا يسترقون وعلى ربهم
يتوكلون فقام عكاشة بن محصن فقال يا رسول الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال اللهم اجعله منهم
فقام اخر فقال ادع الله ان يجعلني منهم فقال عليه السلام سبقك بها عكاشة رواه منيع باسناد
حسن واتفق عليه الشيخان من حديث ابن عباس وللحاكم وغيره من حديث ابن عباس من سره ان يكون
اغنى الناس فليكن بما عند الله اوثق منه بما في يديه وللطبراني وغيره من رواية الحسن عن عمران بن
حصين ولم يسمع منه انه قال عليه السلام من انقطع الى الله كفاه الله كل مونة ورزقه من حيث لا يحتسب
ومن انقطع الى الدنيا وكله الله اليها ويروى انه لما قال جبريل لابراهيم الخليل الك حاجة فقال اما اليك فلا
وما بعد له حسبي الله ونعم الوكيل اثنى الله فيه وابراهيم الذي وفى وقد اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام
ما من عبد يعتصم بي من دون خلقي فتكيده اهل السموات والارض الا جعلت له مخرجا وقال سعيد بن جبير
لدغتني عقرب فاقسمت علي امي لتسترقين فناولت الراقي التي لم تلدغ وقال بعض العلما لا يشغلك

لا يشغلك المضمون لك من الرزق عن المفروض عليك من العمل فتضيع امر اخرتك ولا تنال من الدنيا الا ما كتبه
الله لك وقال هرم بن حيان لاويس القرني اين تامرني ان اكون فاوما الى الشام فقال هرم
كيف المعيشة بها فقال اويس اف لهذه القلوب قد خالطها الشكوك فما تنفعها الموعظة وقال بعضهم متى
رضيت بالله وكيلا وجدت الى كل خير سبيلا وقال ابو موسى الدبيلي قلت لابي يزيد ما التوكل فقال
ما تقول انت فقلت ان اصحابي يقولون لو ان السباع والافاعي عن يمينك ويسارك ما تحرك لذلك سرك
فقال ابو يزيد نعم هذا قريب ولكن لو ان اهل الجنة في الجنة يتنعمون واهل النار في النار يعذبون ثم وقع
لك تمييز بينهما خرجت من جملة التوكل قال في الاحيا ما ذكره موسى خبر عن اعلى احوال التوكل وهو المقام
الثالث وما ذكره ابو يزيد عبارة عن اعز انواع العلم الذي هو من اصول التوكل وهو العلم بالحكمة وان ما فعله
الله تعالى فعله بالواجب فلا تمييز بين اهل النار واهل الجنة بالاضافة الى اصل العدل والحكمة وهذا اغمض
انواع العلم ووراءه سر القدر وابو يزيد قلما يتكلم الا عن اعلى المقامات واقصى الدرجات وليس ترك
الاحتراز عن نحو الحيات شرطا في المقام الاول من التوكل فقد احترز الصديق في الغار اذ سد منافذه الا انه
يقال فعل ذلك برجله ولم يتغير بسببه باطن سره او يقال انما فعل ذلك شفقة على رسوله لا على نفسه وانما
قف يزول التوكل بحركة سره وتغيره الا من يرجع الى نفسه وللنظر في هذا المجال لا ان امثال ذلك واكثر منه انما
احوال التوكل فان حركة السر من الحيات هو الخوف وحق المتوكل ان يخاف مسلط الحيات اذ لا حول للحيات
ولا قوة الا بالله وان احترز لم يكن اتكاله على تدبيره وحوله وقوته في الاحتراز بل على خالق الحول
والقوة والتدبير ويشير الى هذا المقام قوله تعالى يا موسى لا تخف اني لا يخاف لدي المرسلون وقوله فاوجس
في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف انك انت الاعلى ولا تكن في المنظر الا على والتقية اي ما لا بد منه التوكل لوجوبه
لا بد منه ما يحصل فيه التفرغ للعبادة عن الاشتغال الى تحصيل الاقوات مما يمنع عن ارادة طريق السعادة
فقد سئل ذو النون المصري عن التوكل فقال خلع الارباب وقطع الاسباب فخلع الارباب اثبات في
٦٢ علوم التوحيد وقطع الاسباب الاعمال في مقام التفريد فقيل له زدنا فقال القا النفس في العبودية واخراجها
من الربوبية يعني بالتبري من الحول والقوة والتقية لا بد من التوكل فانه كما هو المعلوم لا يتغير المقدر المقسوم قال تعالى
نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا الاية وقد سئل حمدون القصار عن التوكل فقال ان كان لك عشرة
الاف درهم وعليك دانق دين لم تامن ان تموت ويبقى ذلك في عنقك وان كان عليك عشرة الاف درهم
دين من غير ان تترك لها وفاء فلا تياس من الله ان يقضيها عنك ويقرب منه قول صاحب المنازل
ما بيدي لم اعرف نصيب من وما نصيبي لم اعرف بيد من وفي هذا اشارة الى مجرد الايمان بسعة القدرة
وان في المقدورات اسبابا خفية سوى هذه الاسباب الظاهرة تورد الرزق مقسوم مفروغ ليس اصل لهذا
المبنى ولكنه صحيح من حيث المعنى فللبيهقي في الشعب مرفوعا عن ام الدردا ان الرزق ليطلب العبد كما يطلبه اجله
ويشير اليه قوله تعالى الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم الاية فيه تنبيه على ان ما بقي له شي من رزقه لم ياته لم
يطلب اجله وقد قال بعض العلما لو هرب العبد من رزقه لطلبه كما لو هرب من الموت لادركه وانه لو سال الله ان لا يرزقه لما

اللهجب له وكان عاصيا ويقال له يا جاهل كيف اخلقك ولا ارزقك ولذا قال ابن عباس اختلف
الناس في كل شي الا في الرزق والاجل فانهم اجمعوا على ان لا رازق ولا مميت الا الله وقال
عيسى عليه السلام انظروا الى الطير لا تزرع ولا تحصد ولا تدخر والله يرزقها يوما بيوم فان
قلتم نحن اكبر بطونا فانظروا الى الانعام والوحوش كيف قيض الله لها الرزق وقال ابو يعقوب
السوسي المتوكلون تجري ارزاقهم على ايدي العباد بلا تعب منهم وغيرهم مكدودون مشغولون
وقال بعضهم العبيد كلهم في رزق الله لكن بعضهم ياكل بذل كالسؤال وبعضهم بتعب وانتظار كالتجار
وبعضهم بامتهان كالصناع وبعضهم بعز كالصوفية يعبدون فيشهدون العزيز فياخذون ارزاقهم
من يده ولا يرون الواسطة ويشير الى هذا المقام قوله تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين
لا يعلمون الا ان قال ولله خزائن السموات والارض ولكن المنافقين لا يفقهون اربع فرغ منهن الخلق
بالفتح والخلق بالضم والاجل والرزق رواه الطبراني من حديث ابن مسعود ولفظه فرغ الى ابن ادم
من اربع الخلق والخلق والرزق والاجل ورواه احمد والطبراني عن ابي الدردا بلفظ فرغ الله عز وجل
الى كل عبد من خمس من اجله ورزقه واثره اي عمله ومضجعه اي محل موته وشقي او سعيد ولقد احسن من
قال من اهل الفنون

جرى قلم القضا بما يكون ، فسيان التحرك والسكون ،
جنون منك ان تسعى لرزق ، ويرزق في غشاوته الجنين ،

والثالث ان يكون من التوكل اذ المطلوب من العبد هو العدة اي الاستعداد على الطاعة لزاد المعاد وهو تعالى
قادر على اعطائه بسبب حاصل بالطلب او دون السبب اي او حاصل بغيره من انواع الكسب نعقد
قال يحيى بن معاذ في وجود العبد الرزق دلالة على ان الرزق مامور بطلب العبد ويويد قوله عليه
السلام للسائل بعد اعطائه التمرة خذها ولو لم تاتها لاتتك وقد تقدم مبناه وما يوثق من معناه
وسئل ابو عبد الله القرشي عن التوكل فقال التعلق بالله في كل حال فقال السائل زدني فقال ترك كل سبب
يوصل الى سبب حتى يكون الحق المتولي لذلك فالاول عام للمقامات الثلاثة المتقدمة والثاني اشارة
الى المقام الثالث خاصة وهو مثل توكل ابراهيم الخليل اذ قال له جبريل الك حاجة فقال اما اليك فلا
اذ كان سؤاله سببا يوصل الى سبب وهو حفظ جبريل له فتركه ثقة بان الله ان اراد سخر جبريل لذلك
فيكون هو المتولي لذلك وهذا حال مبهوت غائب عن نفسه بالله سبحانه فلم ير معه غيره وهو حال عزيز
في نفسه ودوامه ان وجد ابعد منه واعز الموت جوعا معتقدا انه كالموت شبعا فلا بد من التوكل
سواء كان شبعانا او جيعانا وقد قال ابو سعيد الخراز التوكل اضطراب بلا سكون وسكون بلا اضطراب
فالاول اشارة الى فزع العبد اليه وابتهاله وتضرعه بين يديه والثاني اشارة الى كمال توكله عليه فعن ابي
علي الدقاق التوكل ثلاث درجات التوكل ثم التسليم ثم التفويض فالمتوكل يسكن الى وعده والمسلم
يكتفي بعلمه والمفوض يرضى بحكمه ثم اعلم ان الشخص ان كان بطالا فلا يصير كالسبا وعمالا ولا
معنى للتوكل في حقه الا ما يليق بمقامه ويوافق مرامه فان كمال التوكل مقام من مقامات الدين يستعان به على

على التفرغ لله تعالى فهو خاصة للمجتهدين من الكاملين العلمي الزاهدين والكاملين العملي العابدين فما
للبطال والاتكال واذا كان مشتغلا بالله وملازما لمسجده او بيته مواظبا على علمه وعبادته
بتحسين نيته وتزيين رعايته فالله سبحانه يفرغ حبه في قلوب خلقه حتى يحملوا اليه فوق كفايته فما رئي
الى الآن من قديم الزمان عالم او عابد استغرق الاوقات بالله سبحانه وهو في وسط البلاد من القرى
والامصار مات جوعا بل لو اراد ان يطعم جماعة من الناس بفعله لقدر عليه فمن كان لله كان الله
له لكن ينبغي ان يكون نظره الى مسبب الاسباب لا الى الاسباب نعم لا يطمع في الحلوى والطير السمان
والثياب الرفيعة والبيوت المنيعة مع انه لو قدر له شي من ذلك فلا بد من ظهوره كما لك كما يشير اليه نحن
قسمنا بينهم معيشتهم وربك يبسط الرزق لمن يشا ويقدر ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب
وفي الخبر ابى الله ان يرزق عبده المؤمن الا من حيث لا يحتسب فالاهتمام الكثير بامر الرزق قبيح في ذوي
الدين وهو اقبح في العلماء المجتهدين لان من شرطهم القناعة والاشتغال بالطاعة حسب الاستطاعة
الا اذا اراد ان لا ياخذ من ايدي الناس وياكل من كسبه فذلك له وجه لا يليق بالعالم الكامل الذي
سلوكه لكمال العلم والعمل ولم يكن له سير بالباطن فان الكسب يمنعه من السير بالفكر الباطن غالبا
فاشتغاله بالسلوك مع الاخذ من يد من يتقرب الى الله تعالى بما يعطيه اولى لانه تفرغ للمولى واعانة للمعطي
على نيل الثواب في العقبى ومن تطال عن ذلك اي سنة الله علم ان الرزق ليس على قدر الاسباب ولا على
قدر الاكتساب ولذا سال بعض الاكاسرة حكيما عن الاحمق المرزوق والعاقل المحروم فقال اراد الصانع
ان يدل على نفسه اذ لو رزق كل عالم وحرم كل جاهل لظن ان العقل رزق صاحبه فلما راوا ضده علموا
ان الرازق غيرهم ولا ثقة بالاسباب الظاهرة لهم فقد دخل جماعة على الجنيد فقالوا نطلب الرزق فقال
ان علمتم انه في اي مكان فذكروه فقالوا ندخل البيت ونتوكل وننتظر ما يكون فقال التوكل على التجربة شك قالوا
فما الحيلة قال ترك الحيلة وقال احمد بن عيسى الخراز كنت في البادية فنالني جوع شديد فغلبتني نفسي ان
اسال الله عز وجل طعاما فقلت ليس هذا من افعال المتوكلين فطالبتني ان اسال الله تعالى صبرا فلما هممت
بذلك سمعت قائلا يقول

ويزعم انه منا قريب ، وانا لا نضيع من اتانا ،
ويسالنا القوي عجزا وصبرا ، كانا لا نراه ولا يرانا ،

والخامس ان يدخل في التوكل اذ الصلاح في الامور مستورة لان من عرف الله وعرف افعاله وعرف سنته في
اصلاح عباده لم يكن غرضه بالاسباب فانه لا يدري اي الاسباب خير له كما قال عمر رضي الله عنه لا ابالي
اصبحت غنيا او فقيرا فاني لا ادري ايهما خير لي والسادس ان يدخل في التوكل حيث انه اي الله سبحانه ضمن الرزق
بلا تعليق اي من غير تعليق بشرط الكسب والطلب كما ورد في التنزيل وما من دابة في الارض الا على الله رزقها
اي ولو لم يكتسبه ولم يطلبه الانسان والرزق مبهم في تعيينه غير معلوم باعتبار محله وجنسه فعن ابراهيم بن ادهم
سالت راهبا من اين تاكل فقال ليس هذا العلم عندي ولكن سل ربي من اين يطعمني فما اقبح من يثق الى
بتعهد مخلوق مع ان الغالب عليه الكذب وخلف الوعد بعدم الفراغ والضيافة ولا يثق على ضمانه تعالى مع

كالصدقة وجمال وعلم ورزق قيل مكتوب في التوراة ملعون من ثقته انسان مثله وفي الحديث من اعتز
بالعبيد اذله الله رواه ابو نعيم في الحلية عن عمر وقد حكي عن عابد انه عكف في مسجد ولم يكن له معلوم
فقال له الامام بالمسجد لو اكتسبت كان افضل لك فلم يجبه حتى اعاده ثلثا ثم قال في الرابعة يهودي
في جوار المسجد قد ضمن لي كل يوم رغيفين فقال ان كان صادقا في ضمانه فعكوفك في المسجد خير لك فقال
يا هذا لو لم تكن اماما تقف بين يدي الله وبين العباد مع هذا النقص في التوحيد خير لك اذ فضلت
وعد يهودي على ضمان الله تعالى للرزق وانه ينبغي ان لا يفرط المتوكل اذ لا فائدة في الطلب حيث لا يزيد
بطلبه ولا ينقص بتركه فلا منفعة في طلبه الا المذلة لمخلوق مثله ولا يحل لمسلم ان يذل نفسه وضياع
الوقت اي وتضييع العمر في غير عبادة هي المطلوبة من العبد بحسب الامر وانه لا بد من المتوكل
اذ الحياة في الاستقبال مشكوك والموت متيقن مشكوك والاستعداد للمتيقن اولى من الاستعداد
للمشكوك بحكم في الثواب والعقاب فانهما لو كانا مقدرين كسائر الاسباب لا بد للانسان
ان يسعى في اكتساب ما يوجب الثواب وفي اجتناب ما يقتضي العقاب لورود الاوامر والنواهي في
الكتاب وتعليقهما على العمل حيث قال من يعمل من الصالحات ومن عمل صالحا الاية وقال تعالى
جزاء بما كانوا يعملون وان ليس للانسان الا ما سعى ولما ورد في التنزيل وابتغوا من فضل الله فتعلق
بنو بهم منه ان المعنى اطلبوا من رزق الله وليس كذلك فالعلم والثواب بهما المراد من فضل الله انه
امر اباحة بعد حظر او امر بطلب الحلال دون الشبهة هذا وقد يظن ان معنى التوكل ترك الكسب
بالبدن وترك التدبير بالقلب والسقوط على الارض كالخرقة الملقاة وهذا ظن الجهال وحرام في
الشرع والشرع قد اثنى على المتوكلين ولا ينال المحظور مقام من مقامات الدين وقد مر بقوله ولا ينبغي
ان التوكل اربعة اشياء منها الكسب لانه اي التوكل عمل الباطن فيجتمع مع عمل الظاهر بل هو اتم عند بعض
ارباب السرائر ثم في مراتب الكسب تفصيل باعتبار السبب فان كان السبب مقطوعا به بارتباط المسبب
بحيث لم يحصل المسبب بدون السبب لسنته تعالى كمد اليد للطعام الى الفم والوقاع اي والجماع
للولد اي لخلقه وبث البذر للحصاد بالفتح والكسر اي لقطعه فالترك فيها جنون محض فهو رد التنزيل
ولن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا وتوضيحه انه اذا كان الطعام موضوعا بين يديك
وانت جائع محتاج اليه ولكنك لست تمد اليد عليه وتقول انا متوكل وشرط التوكل ترك السعي ومد
اليد الى الطعام سعي وحركة وكذا المضغ بالاسنان وابتلاعه باطباق اعالي الحنك على اسافله
فهذا جنون محض وجهل كامل وليس من التوكل في شيء فانك ان انتظرت ان يخلق الله شبعا دون الاكل
الخبز او يخلق في الخبز حركة اليك او يسخر ملكا ليمضغه ويوصله الى معدتك فقد جهلت سنة الله تعالى وكذلك
لو لم تزرع الارض وطمعت ان يخلق الله نباتا من غير بذر او تلد الزوجة من غير وقاع كما ولدت مريم فكل هذا
مما لا يظنون وليس التوكل في هذا المقام بالعمل بل بالعلم والحال اما العلم فهو ان تعلم ان الله تعالى خلق
الطعام واليد والاسنان وقوة الحركة وانه هو الذي يطعمك ويسقيك ويشبعك ويرويك واما الحال فهو

فهو ان يكون سكون قلبك واعتماده على الله سبحانه وتعالى لا على اليد والطعام فكيف تعتمد على
صحة يدك وربما يجف في الحال وكيف تعول على قدرتك وربما يطرا عليك ما يزيل عقلك ويبطل قوة
حركتك وكيف تثق على حضور الطعام وربما يسلط الله عليك من يغلبك عليه واذا كان علمه وحاله فليمد
اليد اليه فانه متوكل على الله ومعتمد عليه وان كان السبب مظنونا اي مشكوكا فيه بعدم حصول المسبب دونه
اي من غير السبب غالبا كحمل الزاد في البوادي التي لا يطرقها الناس الا نادرا فتركه خطا وجنون
وايقاع للنفس في الهلكة لانه اي حمل الزاد في السفر سنة الاولين اي عادة الانبياء والمرسلين
وطريقة السلف الصالحين من الصحابة والتابعين لكنه اي ترك حمل الزاد يجوز ولذا كان يفعل الخواص
وهو من الخواص لكنه بالنسبة الى الصائم الذي الف للنفس في المهلكة وهو حرام وانما يجوز ان ارتاضت النفس
في مقام المراقبة وصبرت عن الطعام اسبوعا اي سبعة ايام وما قرب منه الاقرب الى اسبوع واقله ان يكون
ثلثة ايام ولياليها وقد روي ان ابا تراب النخشبي راى صوفيا مد يده الى قشر بطيخ ليأكله بعد ثلثة
ايام فقال له لا يصلح لك التصوف اي لا تصوف الا مع التوكل ولا يصح التوكل لمن لم يصبر عن الطعام
اكثر من ثلثة ايام ومعنى اي على الروذباري اذا قال الفقير بعد خمسة ايام انا جائع فالزموه السوق ومروه
بالعمل والكسب دون التشغل عنه تعالى بان يعبده من غير ضيق قلب وتشويش خاطر كما حكي ان رجلا
تاه وضل ابو تراب النخشبي بمكة طيب النفس فقلت اين اكلت ايها الاستاذ فقال اكلة بالبصرة واكلة بالبناج
واكلة ههنا كذا في الرسالة القشيرية وقدرة اي وان قدرت وظاهر كلام الاحياء ان يكتال او قدرت
على الاقتيات بالحشيش فبعد بهذين الشرطين لا يخلو غالبا في البوادي في كل اسبوع من ان يلقاه
ادمي او ينتهي الى قرية او الى حشيش يكون سببا لحياته وقد يكون له نباتة على الرضا كانك بالموت
ان لم يتيسر شيء منه ذلك فان الذي يحمل الزاد قد يموت فيزاد او يضل بعيره فيموت جوعا فذلك ممكن
مع الزاد كما انه ممكن مع فقده واما لو انحاز اي شعب من الشعاب حيث لا ماء ولا حشيش ولا يطرقه
طارق فيه وجلس متوكلا فهو اثم به ساع في اهلاك نفسه كما روي ان زاهدا من الزهاد فارق الامصار
واقام في سفح جبل وقال لا اسال احدا شيئا حتى ياتيني ربي برزقي فقعد سبعا فكاد ان يموت ولم ياته
شيء فقال يا رب ان احييتني فائتني برزقي الذي قسمت لي والا فاقبضني فاوحى الله تعالى اليه وعزتي
لا ارزقك حتى تدخل الامصار وتقعد بين الناس فدخل المصر واقام فجاءه هذا بطعام وهذا بشراب
فاكل وشرب فاوجس في نفسه من ذلك فاوحى الله تعالى اليه اردت تذهب حكمتي بزهدك في الدنيا اما
علمت اني ان ارزق عبدي بيد عبادي احب الي من ان ارزقه بيد قدرتي فاذن التباعد عن الاسباب
بالكلية مراغمة للحكمة وجهل بسنة الله القديمة واما ما ورد في التنزيل وتزودوا وهو امر بطلب الزاد واخذ
الزاد فمراد الاخرة هو المراد لقرينة ما بعده فان خير الزاد التقوى النافعة في المعاد او هو اي تزودوا امر لقوم
خاص من اهل اليمن وغيرهم يقصدون الحج بلا زاد اذ كان عادتهم على الناس اعتمادا على اعطائهم من الزاد
ويؤذون الناس بالالحاح في السؤال فمنهم جمع يدعون انهم متوكلون والحال انهم متأكلون ولا اي

ان لم ترتاض النفس ولم تصبر عن الطعام فحرام عليه ترك السبب من الكسب والطلب لانه سعي في الهلاك
للبدن والله لا يحب الفساد رؤوف بالعباد وان كان السبب موهوما كان استقصاء في دقايق
التدبير من امور الزراعة والتجارات وساير انواع الصناعة ومنه الكي والرقية والطيرة فهو اي الاستقصا
في هذا الباب ينافيه اي التوكل عند اولي الالباب لانه غاية الحرص ونهاية الاتكال على
الاسباب متي يسهل التوكل ترك التدبير وقال ان الله تعالى خلق الخلق ولم يحجبهم عن تقسيم وانما حجبهم
تدبيرهم ويستحق العزب تركه اي دون المعيل فانه يتعين عليه طلب الاكل لاجل العيال فانهم بهم
لا يكلفون بالتوكل وحق ما له من الكل فيصح للعزب الكسب بسبب ثلث انه اشتباه بنية التصدق بما
يفضل عن قوته على ساير الفقراء لا سيما ذوي القربى والاعانة على البر بالمساعدة على اهل
المجاهدة في العلم والعمل لقوله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى والتحامي اي التحفظ عن التشغل عنه
اي عن ذكره وفكره تعالى بالالتفات الى غيره سبحانه ولو من حوله وقوته فاذا كان المكتسب مكتسبا
لعياله او للتفريق كاله من ماله فهو بيديه مكتسب ومشتغل وبقلبه عنه منقطع لعقوه خالد في مقام
كماله والترك اي ويحسن للعزب ترك الكسب لشغل الكسب عنه تعالى اي عن القيام بحقه كما هو حقه
والانقطاع اليه اي ولكمال الانقطاع العبد الى حضور سيده عملا بقوله تعالى وتبتل اليه تبتيلا رب
المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذه وكيلا والى هذا ان الكسب لا ينافي التوكل اذا وجد فيه
الشروط وانضاف اليه الحال والمعرفة وتعرف من صحب هذا الحال بعدم التغير لفقد المال وكذا التزود ونحوه من
الادخار لاستقبال وفي النكاح واختيار العيال اختيارا او تركا فيحسن لنية التصدق والاعانة
وبترك لشغله عن الحق والعبادة ويكسب المعيل لاجل العيال كما روي عن الصديق رضي الله عنه انه لما بويع
للخلافة اصبح فاخذ رزمة متاعه تحت حضنه والذراع بيده ودخل السوق ينادي فكره المسلمون
ذلك فقالوا كيف تفعل هذا وقد افضت اليك الخلافة فقال لا تشغلوني عن عيالي فاني ان اضعتهم
كنت لما سواهم اضيع حتى فرضوا له قوت اهله من المسلمين فلما رضوا به كرانى على مساعدتهم وتطييب
قلوبهم والاستغراق وقته لمصالح المسلمين اولى ويتخيل ان يقال لم يكن ابو بكر في مقام التوكل فمن
اولى بهذا منه فدل على انه كان متوكلا باعتبار ترك الكسب والسعي بل باعتبار قطع الالتفات
الى قوته وكفايته والعلم بان الله هو ميسر الاسباب ومدبر الاسباب وبشرط كان يراعيها
من طريق الكسب من ان يكتفي بقدر الحاجة من غير استكثار وقنعا فزاد فادرا من غير ان يكون
درهمه احب اليه من درهم غيره فمن دخل السوق ودرهمه احب اليه من درهم غيره فهو حريص على الدنيا ومحب
لها ولا يصح التوكل الا مع الزهد في الدنيا نعم يصح الزهد دون التوكل فان التوكل مقام وراء الزهد
وقال ابو جعفر الحداد وهو شيخ الجنيد وكان من المتوكلين اخفيت التوكل عشرين سنة وما فارقت السوق
كنت اكتسب في كل يوم دينارا ولا ابيت منه دانقا ولا استريح منه الى قيراط ادخل به الحمام بل اخرجه
كله قبل الليل وكان الجنيد لا يتكلم في التوكل بحضرته وكان يقول استحي ان اتكلم في مقامه وهو حاضر

حاضر عندي وقال الحصري ان التوكل مقام شريف ومرام لطيف وقال ابو سليمان الداراني لاحمد بن
ابي الحواري لي من كل مقام نصيب الا من هذا التوكل المبارك فاني ما شممت منه رايحة هذا مع كمال
علو قدره ومقامه ولعله اراد ادراك اقصاه وهو مشاهدة ان الفاعل الله والرازق
سواه وبان كل ما يقدره مولاه على عبده من فقر وغنا وموت وحياة فهو خير له مما يتمناه وقال الخواص
وقد سئل عن اعجب شيء راه في اسفاره فقال رايت الخضر عليه السلام ورضي بصحبتي ولكنه فارقته خيفة
ان يسكن اليه نفسي فيكون نقصانا في توكلي ومن تكلف العيال بان لا تكال ان يتعلق قلبه بالحال
بالتوكل مع عدم المال والا فيجب عليه الكسب بقدر تمام الكمال فمن سهل من طعن على الكسب فقد طعن
على السنة ومن طعن على ترك الكسب فقد طعن على التوحيد فسبحان من اقام العباد فيما اراد وسع بهذا الحال
لا يخرج المعيل عن مقام الاتكال على الملك المتعال فقد قال الحسن البصري وددت ان اهل البصرة في عيالي
وان حبة بدينار وقال وهيب بن الورد لو كانت السماء نحاسا والارض رصاصا واهتممت برزقي لظننت
اني مشرك بربي ولا الادخار اي ولا ينافي التوكل وضع الذخيرة لما دون الاربعين يوما من العزب
وللسنة من المعيل كما سياتي واختلف فيه اي في الادخار هل يكون منافيا للتوكل ام لا فذهب سهل
الى انه يخرج به عن التوكل مطلقا وذهب الخواص الى انه لا يخرج عن التوكل بالاربعين يوما ويخرج بما
زاد على الاربعين وقال ابو طالب المكي لا يخرج عن حدود التوكل بالزيادة على الاربعين ايضا وهذا
راجح فان معناه بعد تجويز اصل الادخار كما في الاحياء على ما سياتي بيانه في الاثنا والتحقيق في مقام
التوفيق ان الفضل في قلة الادخار لقصر الامل في التعلق بهذه الدار وتوضيحه ان كل ثواب موعود
على مقام محمود فانه يتوزع على قدر رتبته فيه مما يوافقه وينافيه ثم تلك الرتبة لها بداية ونهاية ويسمى
اصحاب النهايات السابقين واصحاب البدايات اصحاب اليمين اللاحقين ثم اصحاب اليمين ايضا
اصحاب اليمين اللاحقين تلك حتى انها ذو درجات صح
على درجات وكذا السابقون واعلى درجات السابقين كما في نهاية الاولياء بداية الانبيا فلا معنى
للتقدير فيحمل هذا التقدير بل التحقيق ان التوكل بترك الادخار لا يتم الا بقصر الامل وتجويز قرب الاجل
والا عدم امل البقا فيبعد اشتراطه ولو في نفس فان ذلك كالممتنع وجوده ثم الناس متفاوتون في طول
الامل وقصره واقل درجات الامل يوم وليلة فما دونه من الساعات واقصاه ما يكون عمر الانسان
بحسب غالب العادات وبينهما درجات لا حصر لها في الاوقات فمن لم يامل اكثر من شهر اقرب الى
المقصود ممن يامل سنة في الوجود وميقات الكليم اي ميعاد موسى عليه التسليم حيث قال تعالى وواعدنا موسى
اربعين ليلة ليس للامل اي لجواز طول الامل بل انه لتحقق نيل المرام اي وصول موعود موسى عليه السلام
بعد اربعين يوما الى مقام الكمال من علو ما هو السنة الالهية السبحانية والحكمة الربانية الصمدانية في تدبير
الامور الانسانية كما في صيرورة الجنين اي تصوير الطفل في بطن امه لان اطوار النشانية الايجادية يه
المتضمنة للتربية التدريجية الامدادية نطفة اربعين يوما وعلقة كذلك ومضغة كذلك وورد خمرت طينة
ادم بيدي اي بصنعي من نعوت الجمال والجلال بقدرتي وارادتي على وجه الكمال اربعين صباحا رواه

الديلمي من حديث ابن مسعود وسلمان الفارسي باسناد ضعيف وذلك ان التحاق ملك الطبيعة
لتحمر كان موقوفا على مدة مبلغها ما ذكر ومنه اي مما ذكر من الكتاب والسنة يوجد في الرياضة على
اختيار المشايخ للاربعين ويؤيده حديث من اخلص لله اربعين يوما ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على
لسانه وقد تقدم من حفظ على امتي اربعين حديثا حشر مع العلماء وله طرق يقوي بعضها بعضا فيصير
حسنا والسنة اي ولا ينافي التوكل الادخار للسنة الكاملة من المعيل اي صاحب العيال من الاطفال
والنساء ليطيب القلوب الضعفاء اي هو المروي في سنة سيد الانبياء في الصحيحين انه عليه السلام
ادخر لعياله قوت سنة بخلاف ما فوقها فانه ما ورد السنة ولا يدخله الا بحكم ضعف القلب والركون الى
الاسباب من الطلب والكسب وترك المضطرب اي المشوش اضطرابا يشغل قلبه عن الذكر والفكر طريقه
التوكل غير المضطرب بالادخار فان كان يصلح قلبه بالادخار فهو اولى في الاختيار بل لو امسك
ضيعة يكون دخلها وافيا بقدر كفايته وكان قلبه لا يفرغ الا برعايته فذلك اولى في مقام عنايته
لان الغرض وهو مدار المقصود صلاح القلب في عبادة الرب المعبود فرب شخص يشغله وجود المال
عن تحصيل الكمال ورب شخص يشغله عدمه لحصول شتات البال والمحذور ما يشغل العبد عن الحضور
والا فجميع امر الدنيا ليس في عينه محذور ولا في وجودها وعدمها محذور ولذا ابعث الله رسوله الى اصناف
الخلق ومنهم اهل التجارات والزراعات والمحترفون بانواع الصناعات فلم يامر التاجر بترك تجارته
ولا الزارع بترك زراعته ولا المحترف بترك حرفته ولا امر التارك لها بالاشتغال بها بل دعا الكل الى الله
وطاعته وارشدهم الى ان فوزهم ونجاتهم في انصراف قلوبهم عن الدنيا الى الله سبحانه وعبادته وعمدة
الاشتغال في عبادة الرب هو القلب فصواب الضعيف ادخار قدر حاجته كما ان صواب القوي ترك
الادخار على قدر طاقته فقد ادخر عليه السلام لعياله قوت سنة ونهى ام ايمن وغيرها ان تدخر شيئا
لغد كما تقدم ونهى بلالا عن الادخار وقال انفق بلال ولا تخش من ذي العرش اقلالا رواه
البزار من حديث ابن مسعود وابي هريرة وذلك حين دخل على النبي عليه السلام وعنده صبرة تمر
وللطبراني والحاكم من حديث ابي سعيد انه عليه السلام قال يا بلال الق الله فقيرا اذا سألت فلا تمنع واذا
اعطيت فلا تخبأ وقد اخبر عليه السلام ان الله يحب ان تؤتى رخصه كما يحب ان تؤتى عزائمه كما رواه احمد
وغيره من حديث عمر بطيب لقلوب الضعفاء حتى لا يأتي بهم الضعف الى اليأس والقنوط فيتركون الميسور
عليهم من الخير لعجزهم عن منتهى درجات الاقوياء فما ارسل سيد الانبياء الا رحمة للعالمين على اختلاف ف
طبقاتهم وتفاوت درجاتهم واذا فهمت هذا علمت ان الادخار قد يضر بعض الناس وقد لا يضر ويدل
عليه ما روى ابو امامة الباهلي ان بعض اهل الصفة توفي فما وجد له كفن فقال عليه السلام فتشوا ثوبه
فوجد داخل ثوبه دينارين في داخل ازاره فقال عليه السلام كيتان كما رواه احمد وكان غيره من المسلمين يموت
ويخلف اموالا ولا يقول ذلك في حقه فهذا يحتمل وجهين لان حاله يقتضي امرين احدهما انه اراد
كيتان من النار كما قال تعالى فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم وذلك اذا كان حاله اظهار الزهد

الزهد والفقر والتوكل مع الادخار من سنة فهو نوع تلبيس وثانيهما ان لا يكون ذلك عن تلبيس
فيكون المعنى به النقصان عن درجة كماله كما ينقص عن جمال الوجه اثر كيتين في الوجه فان كل
ما يخلفه الرجل من الدنيا فهو نقصان لدرجته في العقبى اذ لا يؤتى احد شيئا من الدنيا الا نقص بقدره
من الاخرى واما بيان ان الادخار مع فراغ القلب عن المدخر ليس من ضرورته بطلان التوكل فيشهد
له ما روي عن بشر قال الحسين المغازلي من اصحابه كنت عنده ضحوة من النهار فدخل عليه رجل كهل
اسمر خفيف العارضين فقام له بشر وما كان رايته قام لاحد غيره قال ودفع الي كفا من دراهم وقال اشتر
لنا بها من اطيب ما تقدر عليه من الطعام والطيب وما قال لي قط مثل ذلك قال فجئت بالطعام فوضعته
فاكل معه وما رايته اكل مع غيره قال فاكلنا حاجتنا وبقي من الطعام شيء كثير فاخذه الرجل وجمعه
في ثوبه وحمله وانصرف فعجبت من ذلك وكرهته له فقال لي بشر لعلك انكرت فعله قلت نعم اخذ بقية
الطعام من غير اذن فقال ذاك اخونا فتح الموصلي زارنا اليوم من الموصل وانما اراد ان يعلمنا ان التوكل
اذا صح لم يضر معه الادخار والله سبحانه اعلم بحقائق الامور ولا مباشرة الاسباب اي ولا ينفي التوكل
مباشرة اسباب لكي تدفع الضرر المتعرض للخوف في نفس او مال ان كان الضرر مقطوعا به او مظنونا كالا
ي النفس كالتحرز عن النوم في مكمن السباع اي في الارض مسبعة وممر السيل اي وفي مجرى السيل من الوادي
لا سيما في الليل فانه ادعى للويل وتحت الحائط اي الجدار المائل الى السقوط وكذا السقف المنكسر الذي
يخاف منه الهبوط لان التعرض للهلاك منهي عنه وكل ذلك منهي عنه وصاحبه قد عرض نفسه للهلاك اي
بغير فائدة منه بخلاف الموهوم اي بخلاف ما اذا كان الضرر موهوما فان مباشرته تنفي التوكل فترك الموهوم
منهي من شرط التوكل وهي التي تنتهي الى دفع الضرر نسبة الكي والرقية فان الكي والرقية قد يتقدم به على
ن المحذور دفعا لما يتوقع وقد يستعمل بعد نزول المحذور لازالته وقع فورد في وصف المتوكلين انهم لا يكتوون
ولا يسترقون على لم تقدم مما وصفهم عليه السلام الا بترك الكي والرقية والطيرة ولم يصفهم بانهم اذا خرجوا
ه الى موضع بارد لم يلبسوا جبة والجبة تلبس دفعا للبرد المتوقع الا في اذى الناس اي التشافي قوله ولا مباشرة
اسباب تدفع الضرر الا ان يكون الضرر فيما ناله في اذى الناس له او يكون مما لا اثر له في الخارج كالشتم
والملك منه والتعيير والتوبيخ والمذلة فانه اذا امكنه الصبر والتحمل وامكنه الدفع والتشفي فالاولى فيه الصبر
وترك الباب تدفع الضر وقول المص فالاولى فيه من قول صاحب حيا فمن شرط التوكل الاحتمال والصبر فورد
في التنزيل فاتخذه وكيلا واصبر على ما يقولون تمامه واهجرهم هجرا جميلا ولنصبرن على ما اذيتمونا الى
وعلى الله فليتوكل المتوكلون ودع اذاهم اي اترك مدافعته ومعاقبته في الحال او مكافاته ومجازاته
في الاستقبال وتوكل على الله فان من توكل عليه كفاه كل فاذى السباع فانهم مجبولون على الاضرار
وفي معناها الكفار فالصبر على اذى الحيوانات كالعقارب والحيات ليس من التوكل في الدرجات اذ لا فائدة
فيه الا حالة فيها اي ان ثبت فيها هذا التوكل السالم فورد في التنزيل وليأخذوا اسلحتهم في صلاة الخوف وهو امر
ايجاب او استحباب وقد رخص عليه السلام في عين الاعداء في الصلاة فامر [illegible] وقد قال تعالى

لموسى عليه السلام فاسر بعبادي ليلا فهذا وما قبله كله في حق النفس واما في حق المال فاشار بقوله
ويعقل البعير اي يربط رجله لئلا يفارق رحله فورد انه قال عليه السلام للاعرابي لما اهمل البعير وقال
توكلت على الله اعقلها وتوكل اي على الله رواه الترمذي من حديث انس وضعفه يحيى القطان ورواه الطبراني
من حديث عمرو بن امية الضمري باسناد جيد بلفظ قيدها وتوكل ويغلق الباب اي يغلقه عند مستقر اي مبالغ في
الحفظ كالتماسه من الجيران حفظه مع وجود غلقه وتجمع اغلاقا كثيرة في محله فقد كان مالك بن دينار
يغلق بابه بشريط ويقول لولا الكلاب ما شددته وفيه لطافة اذ الدنيا جيفة وطالبها كلاب
كما ورد وقد تقدم ولا يحفظ متاعا يحرص فيه اي في اخذه السارق ويطمع فيه السارق فيكون هو سبب
معصيته وربما غش مصيبة او يكون امساكه موجب هيجان رغبته بل يقتصر على كل ما يدعه كالكوز يشرب
منه والركوة يتطهر به والجراب يضع فيه زاده وسلاح اذا كان من اهل الجهاد او سلاح كالاحذ بحسب
مقامه ونوع مرامه كالكتب للعلماء وعرض الخرقة للفقراء والعصا سلاح الضعفاء وسنة الانبياء وكان
بعض المتجردين لم يكن في خلوته شيء فاذا دخلها رغلقه فاذا خرج منها تركها مفتوحة ويقولوا انما
متاع البيت وما اهدى المغيرة الى مالك بن دينار ركوة وقال له ضعها قال لا حاجة لي بها قال لم قال يوسوس
الى العدو ان اللص قد اخذها فكانه احترز من ان يعصى السارق ومن شغل قلبه بوسواس الشيطان
بسرقتها في الله حق ولذا قال ابو سليمان هذا من ضعف قلب الصوفية هو قد زهد في الدنيا فما عليه من
اخذها ويعتقد المتوكل ان سرقه اي جعل مسروقا لمعصية السارق وتعرضه للعقاب الله حق ان يغتنم لتنقص
الكمال بل يفرح به اي بنقص المال لما فيه حصول صحة اي لما ان ينتقص المال فيه كمال صلاح الحال يحسنا الظن به تعالى
فيما قدر وقضاه من الزوال ويشكر تعالى على جعله مظلوما لا ظالما وتعظم ديانة من ماله او دينه
الذي من كماله فقد شكى بعض الناس الى عالم انه قطع الطريق عليه واخذ ماله فقال ان لم يكن غمك انه صار
في المسلمين من يستحل هذا اكثر من غمك بمالك فما نصحت المسلمين وسرق من علي بن الفضيل دينار
وهو يطوف بالبيت فرآه ابوه وهو يبكي ويحزن فقال له ابكي الدنيا تبكي فقال لا والله ولكن على
المسكين انه يسال يوم القيامة ولم يكن له حجة وقيل لبعضهم ادع على من ظلمك فقال اني مشغول
بالحزن عليه عن الدعاء عليه ومن يبالغ في الطلب اي طلب المسروق او السارق وسوء الظن بالمسلم
اي وفي التهمة له وللجيران وغيرهم من اقاربه واصحابه ولو ان يعفو اولا ويجعل ثانيا فهو اي ما ذكر
من العفو والحل صدقة ان كان السارق فقيرا اولا اي وان لم يكن السارق فقيرا انما غاية عن
المعصية التي هي السرقة وعمل بما ورد انصر اخاك ظالما او مظلوما وتوضيحه ما في الاحياء فان قلت كيف
يتصور ان لا يحزن اذا اخذ متاعه الذي هو محتاج اليه ولا يأسف عليه وذلك لانه ان كان
لا يشتهيه ولا يريده لم امسكه لديه واغلق الباب عليه وان امسكه لانه يشتهيه لحاجته اليه فكيف
لا يتاذى قلبه ولا يحزنه بعد وقد حيل بينه وبين ما يشتهيه فاقول انما كان يحفظه ليستعين به
على دينه اذ كان يظن ان الخيرة له في ان يكون له ذلك الشيء ولولا ان الخيرة له فيه لما رزقه الله ولما

ولما اعطاه فاستدل على ذلك بتيسير الله وحسن الظن به تعالى مع ظنه ان ذلك معين له على اسباب دينه
ولم يعلم يكن ذلك مقطوعا به اذ يحتمل ان يكون خيرته في ان يبتلى بفقد ذلك حتى ينصب في تحصيل غرضه
ويكون ثوابه في النصب والتعب اكثر فلما اخذ الله بتسليط اللص تغير ظنه لانه في جميع الاحوال
واثق بالله تعالى حسن الظن به فيقول لولا ان الله علم ان الخيرة الآن في عدمه لما اخذه مني فيتمثل
بهذا الظن يتصور ان يندفع عنه الحزن اذ به يخرج عن ان يكون فرحه بالاسباب من حيث انها اسباب
بل من حيث انه يسرها مسبب الاسباب عناية به وتلطفا له وهو كالمريض بين يدي الطبيب يرضى
بما يفعله فان قدم اليه الغذاء فرح به وقال لولا انه عرف ان الغذاء ينفعني وقد قويت على احتماله لما قربه
الي وان اخذ عنه الغذاء فرح ايضا وقال لولا انه عرف ان الغذاء يضرني لما حال بيني وبينه فكل من لا
يعتقد في لطف الله كما يعتقد المريض في الوالد المشفق الحاذق بعلم الطب فلا يصح منه التوكل اصلا
ومن عرف الله تعالى وعرف افعاله وعرف سنته في اصلاح عباده لم يكن فرحه بالاسباب فانه
لا يدري اي الاسباب خير له كما قال عمر رضي الله عنه لا ابالي اصبحت غنيا او فقيرا فاني لا ادري ايهما
خير لي فكذلك ينبغي ان لا يبالي المتوكل بسرقة متاعه او بقائه فانه لا يدري ايهما خير له في الدنيا ولا
في الاخرى فكم من متاع في الدنيا يكون سبب هلاك الانسان وكم من غني يبتلى بواقعة لاجل
غناه فيقول ليتني كنت فقيرا ويتمناه ان ما يضطر المتوكل الى تركه في البيت فينبغي ان ينوي عند خروجه
منه الرضا بما يقضي الله تعالى فيه من تسليط سارق عليه ويقول كل ما ياخذه السارق فهو منه في حل او هو
في سبيل الله او ان كان فقيرا فهو عليه صدقة وان لم يشترط الفقر فهو اولى ويكون له نيتان لو
اخذه غني او فقير احديهما ان يكون ماله مانعا له من المعصية فانه ربما يستغني به فيتوانى عن السرقة
بعد وقد زال عصيانه بأكل الحرام لما انه جعله في حل والثانية ان لا يظلم مسلما اخر فيكون ماله
فدا لمال مسلم اخر ومهما نوى حراسة مال غيره بماله بنفسه او نوى دفع المعصية عن السارق او تخفيفها
عليه فقد نصح للمسلمين وامتثل قوله عليه السلام انصر اخاك ظالما او مظلوما على ما في الصحيح وتمامه
كيف انصره ظالما قال تحجزه عن الظلم فان ذلك نصره فنصرة الظالم منعه عن الظلم وعفوه عنه اعدام
للظلم ومنعه والتحقيق ان بهذه النية لا تغير بوجه من الوجوه اذ ليس فيها ما يسلط السارق ويغير
القضاء الازلي السابق ولكن يتحقق الزهد بنيته فان اخذ له كان له بكل درهم سبعمائة درهم لانه
نواه وقصده وان لم يوخذ حصل له الاجر ايضا وجملة الاجر ان يكون في هذا المقام متوكلا على
الله سبحانه بالعلم والحال اما العلم فهو ان يعلم ان اللص ان اندفع لم يندفع بكفايته في اغلاق الباب
بل بدفع الله سبحانه اياه كما ينبغي الكتاب فكم من باب يغلق ولا ينفع وكم من بعير يعقل ويموت او ينفلت
وكم من اخذ سلاحه يقتل او يغلب فلا تتكل اصلا على الات الاسباب بل على مسبب الاسباب ورب
الارباب واما الحال فهو ان يكون راضيا بما يقضي الله تعالى به في نفسه وبيته ويقول اللهم ان سلطت
على ما في البيت من ياخذه فهو في سبيلك وانا راض بحكمك فاني لا ادري ان ما اعطيتني هبة فلا تسترجعها

او عارية او وديعة فتسترد ما لا ادري انها رزق قبل خلق او سبقت مشيئته في الازل انها رزق غيري
وكيف ما قضيت فانا راض به وما اغلقت الباب تحصنا من قضائك وتسخطا به علي بل لك بل جريا على
مقتضى سنتك في ترتيب الاسباب فلا ثقة الا بك يا مسبب الاسباب ثم اذا عاد فوجد متاعه في البيت
فينبغي ان يكون ذلك عنده نعمة جديدة من الله وان لم يجده بل وجده مسروقا نظر الى قلبه فان وجده
راضيا او فرحا بذلك عالما بانه ما اخذ الله تعالى ذلك منه في الدنيا الا ليزيد رزقه في العقبى فقد صح مقام
التوكل وظهر به صدقه وان تالم قلبه به ووجد فوت الصبر فقد بان له انه ما كان صادقا في دعوى التوكل
لان التوكل مقام بعد الزهد ولا يصح الزهد الا ممن لا يأسف على ما فاته من الدنيا ولا يفرح بما ياتيه
بل قد يكون على العكس فمن ذلك فكيف يصح له التوكل نعم قد صح له مقام الصبر ان اخفاه ولم يظهر شكواه ولم
يكثر سعيه في الطلب والتجسس بعده وان لم يقدر على ذلك حتى تاذى قلبه واكثر الشكوى بلسانه واستقصى
الطلب ببدنه فقد كانت السرقة معصية له في دينه من حيث انها اظهرت له قصوره عن جميع المهمات وكذبه
في جميع الدعاوى فبعد هذا ينبغي ان يجتهد حتى لا يصدق نفسه في دعاويها ولا يتدلى بحبل غرورها فانها
خداعة امارة بالسوء مدعية للخير في امورها ونيتها اي العفو اتبد الثواب وان لم يعرف انتفاعا في
ترك العزل فانه اذا نوى تحصيل الولد الذي يجاهد في سبيل الله يثاب به ولو لم يولد فورد فيه اي في ترك العزل
ثواب ولد كبر وقتل في سبيله تعالى وفي الاحياء كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ترك العزل
واقرار النطفة قرارها ان له اجر غلام ولد من ذلك الجماع وعاش وقتل في سبيل الله وان كان لم يولد له
لانه ليس من امر الولد الا الوقاع واما الخلق والحياة والرزق والبقاء فليس اليه فلو خلق لكان ثوابه على
فعله وفعله لم ينعدم فكذلك امر السرقة لكن مخرجه قال لم اجد له اصلا هذا واذا جعله في سبيل الله فترك
طلبه فانه قد قدمه ذخيرة الى الاخرة فان اعيد عليه فلا ياخذ اي فالاولى ان لا يقبله لو اتى به
اي بالمال المسروق وان جاز الاخذ والقبول فانه ملكه في ظاهر العلم لان النية لا يخرج الملك
عن يد المالك لكن اخذه غير مستحسن عند المتوكلين فقد روي ان ابن عمر رضي الله عنهما سرقت ناقته فطلبها
حتى اعيى ثم قال في سبيل الله فدخل المسجد فصلى ركعتين فجاءه رجل فقال يا ابا عبد الرحمن ان ناقتك
في مكان كذا فلبس نعليه وقام ثم قال استغفر الله وجلس فقيل له الا تذهب فتاخذها فقال اني كنت قلت
في سبيل الله وكذا من اخذ رغيفا مثلا ليعطيه فقيرا فغاب عنه كره له ان يرده الى البيت بعد اخراجه عنه
فيعطيه فقيرا اخر وحكي عن رجل من العباد بمكة انه كان نائما بجنب رجل معه هميان فانتبه الرجل ففقد
هميانه فاتهمه فيه فقال كم كان فذكر فحمله الى البيت ووزن من عنده ثم بعد ذلك اعلم اصحابه بانهم كانوا
اخذوا الهميان مزاحا معه فجاء هو واصحابه اليه فردوا الذهب عليه فابى عليهم وقال اخذوه حلالا فاني كنت
لا اعود في مال اخرجته في سبيل الله ولم يقبله فالحوا عليه فدعا ابناءه وجعل يصر صررا ويبعث بها الى
الفقراء حتى لم يبق منه شيء ثم اعلى درجات المتوكل ان لا يدعو على السارق الذي ظلمه بالاخذ فان فعل
بطل توكله ودل ذلك على كراهيته وتاسفه على ما فات وبطل زهده ومن اكثر من دعا على ظالمه فقد انتصر

انتصر وقد تقدم وفي رواية ان العبد ليظلم المظلمة فلا يزال يشتم ظالمه ويسبه حتى يكون بمقدار ما ظلمه
ثم يبقى للظالم عليه مطالبة بما زاد عليه فيقتص له من المظلوم وقد تقدم وحكي ان الربيع بن خثيم سرق
له فرس ثمنه عشرون الفا وكان قائما يصلي فلم يقطع صلاته ولم ينزعج قلبه لطلبه فجاءه قوم
يعزونه فقال اما اني كنت قد رايته وهو يحله قيل فما منعك ان تزجره قال كنت فيما هو احب الي من ذلك
يعني الصلاة في مقام الاحسان وكمال التوكل ان قال فجعلوا يدعون على السارق فقال لا تفعلوا
وقولوا خيرا فاني قد جعلتها صدقة عليه وقيل لبعضهم في شيء كان قد سرق له الا تدعو على ظالمك فقال
ما احب ان اكون عونا للشيطان عليه قيل افرايت لو ردت عليك السرقة قال لا اخذها ولا انظر اليها
لاني كنت قد احللتها له وقيل لاخر ادع الله على من ظلمك فقال ما ظلمني احد ثم قال انما ظلم نفسه الا يكفيه
المسكين ظلمه لنفسه حتى ازيده شرا ولا ازالة الضرر اي ولا ينافي التوكل دفع الضرر المقطوع به بالسبب
المقطوع به كالشرب لدفع العطش وكذا الاكل لدفع الجوع واللبس لدفع الحر والبرد والمظنون اي الضرر
المظنون فيه بالسبب المظنون وهو الطرف الراجح من المشكوك كالحجامة والفصد والاسهال اي شرب
الدواء المسهل وسائر ابواب الطب من معالجة البرودة بالحرارة ومعالجة الحرارة بالبرودة بخلاف الموهوم
وهو الطرف المرجوح من المشكوك كالرقية والطيرة والكي فروي ان عمران بن الحصين اعتل فاشاروا
عليه بالكي فامتنع فلم يزل الوابه وعزم عليه الامير حتى اكتوى فكان يقول كنت ارى نورا واسمع صوتا ويسلم
علي الملائكة فلما اكتويت انقطع ذلك عني وكان يقول اكتوينا كيات فوالله ما افلحن ولا انجحن ثم تاب
من بعد ذلك واناب الى الله فرد الله عليه ما كان يجده من امر الملائكة وقال لمطرف بن عبد الله الم تر الى الملائكة
التي كان اكرمني الله بها قد ردها الله علي بعد ان كان اخبر بفقدها والترك بالكلية السبب حرام في المقطوع به
عند خوف الموت دون المظنون فان تركه ليس بحرام واما الموهوم فشرط التوكل تركه اذ وصف به النبي عليه السلام
المتوكلين واقواها الكي ويليه الرقية ولذا نهى عليه السلام عن الكي دون الرقية ففي البخاري وما انهى امتي عن الكي وفي
الصحيحين من حديث عائشة انه عليه السلام رخص في الرقية من كل ذي حمة ثم الطيرة اخر درجاتها والاعتماد د
عليها والاتكال اليها في هذا الباب غاية التعمق في ملاحظة الاسباب واما الدرجة المتوسطة وهي المظنونة كالمداواة واة
بالاسباب الظاهرة عند الاطباء ففعله ليس مناقضا للتوكل بخلاف الموهوم وتركه ليس محذورا بخلاف المقطوع دع
بل قد يكون تركه افضل من فعله في بعض الاحوال وفي حق بعض الاشخاص ويدل على ان التداوي غير مناقض
للتوكل فعله عليه السلام وقوله وامره اما قوله فحديث ما من داء الا وله دواء عرفه من عرفه وجهله من جهله الا
السام يعني الموت رواه الطبراني وغيره وحديث تداووا عباد الله رواه الترمذي وصححه وابن ماجه من حديث
اسامة بن شريك وسئل عليه السلام عن الدواء والرقى هل ترد من قدر الله شيئا فقال هي من قدر الله رواه الترمذي يه
وابن ماجه والحديث المشهور مررت بملا من الملائكة الا قالوا مر امتك بالحجامة رواه الترمذي من حديث ابن مسعود
وحديث احتجموا لسبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين لا يتبيغ بكم الدم فيقتلكم رواه البزار من حديث ابن عباس
فذكر ان تبيغ الدم سبب الموت وانه قد يكون باذن الله تعالى وبين ان اخراج الدم خلاص منه اذ لا فرق بين اخراج

الدم الملكة منه الى الجلد وبين اخراج القيح من تحت الثياب واما امره عليه السلام فقد امر غير واحد من
اصحابه الكرام بالتداوي والحمية وقطع لسعد بن معاذ عرقا اي فصده كذا في الاحياء ولمسلم من حديث جابر قال رمي سعد في
الكحله فحسمه النبي صلى الله عليه وسلم بيده بمشقص الحديث وقد كوى اسعد بن زرارة رواه الطبراني وقد ثبت منه
ان سبب الكي اذا كان موهوما فان ولي تركه ربما في التوكل فعله وقد قال لعلي كرم الله وجهه وكان وجع العين لا تاكل
من هذا يعني الرطب وكل من هذا فانه اوفق لك يعني السلق الذي طبخ بشعير وقال لصهيب وقد راه ياكل التمر وهو
رجع العين اتاكل التمر وانت رمد فقال انما اكل بالجانب الاخر فتبسم عليه السلام واما فعله صلى الله عليه وسلم
فقد روي من طريق اهل البيت انه كان يكتحل كل ليلة ويحتجم كل شهر ويشرب الدواء كل سنة رواه ابن عدي من حديث
عائشة وقال انه منكر انتهى وحديث الاكتحال ثابت في الترمذي كما لا يخفى وللطبراني باسناد حسن انه عليه
السلام لدغته عقرب فغشي عليه فرقاه الناس الحديث وله في الاوسط عن انس انه عليه السلام كان اذا
اشتكى تقحم كفا من شونيز ويشرب عليه ماء وعسلا ولابي يعلى والطبراني في الكبير من حديث عبد الله بن جعفر
ان النبي عليه السلام احتجم بعد ما سم وللبزار وابن عدي في الكامل من حديث ابي هريرة انه عليه السلام
كان اذا نزل عليه الوحي صدع راسه فيغلفه بالحناء وللترمذي وابن ماجه من حديث سلمى كان اذا قرحه
به قرحة جعل عليه حناء فكما ان التداوي مروي ومشهور فترك الدواء ايضا ماثور عن السلف ومسطور فروي عن
الصديق انه قيل له لو دعونا لك طبيبا فقال قد راني الطبيب وقال اني فعال لما اريد وقيل لابي الدرداء في مرضه
ما تشتكي قال ذنوبي قيل فما تشتهي قال رحمة ربي قالوا الا ندعو لك الطبيب قال الطبيب امرضني وقيل لابي ذر
وقد رمدت عيناه لو داويتهما فقال اني مشغول عنهما قيل لو سالت الله ان يعافيك فقال اسال فيما هو اهم
علي منهما وكان قد اصاب الربيع بن خثيم فالج فقيل له لو تداويت فقال قد هممت ثم ذكرت عادا
وثمود واصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا وكان فيهم الاطباء فهلك المداوي والمداوى ولم يغن الدواء من الله شيئا
من الداء وكان احمد بن حنبل يقول احب لمن اعتقد التوكل وسلك هذا الطريق ان يترك التداوي من
شرب الدواء وغيره وقيل لسهل متى يصح للعبد التوكل قال اذا دخل عليه الضرر في جسمه والنقص في ماله فلم
يلتفت اليه شغلا بحاله وينظر الى قيام الله تعالى عليه فوجه الجمع انه عليه السلام وبعض اصحابه الكرام
تداووا توسعة للانام ورخصة في الاحكام وتركه بعض الاعلام من مشايخ الاسلام عملا بالعزيمة
المناسبة لمقامهم التمام والا فالتداوي لا يضر الا من حيث رؤية الدواء نافعا من دون خالق الدواء
فلا يرى ان الدواء نافع بنفسه بل من حيث انه جعله الله سببا لنفعه كما لا يرى الماء مرويا ولا الخبز مشبعا
وفي الاحياء ولا يصح وجه الجمع بين فعله عليه السلام وافعال التاركين من الاعلام الا بحصر الصوارف
عن التداوي في ذلك المقام فترك الدواء المذكور في الماثور انما هو لاحد اسباب ستة لمعرفة عدم النفع
بالمكاشفة وهو ان يكون المريض من المكاشفين وقد كوشف له بانه قد انتهى اجله فان التداوي لا ينفعه
ويكون ذلك معلوما عنده تارة برؤيا صادقة وتارة بحدس وظن وتارة بكشف محقق ويشبه ان يكون
ترك الصديق التداوي من هذا السبب فانه من المكاشفين فقد قال لعائشة في امر الميراث انما اختاك ولم يكن

يكن لها الا اخت واحدة ولكن كانت امراته حاملا فوضعت انثى فعلم انه قد كوشف بانها حامل بانثى ولا
يبعد ايضا ان يكون قد كوشف بانتهاء اجله والا فلا يظن به انكار التداوي وقد شاهده عليه السلام
تداوى وامر به كذا في الاحياء وفرق بين انكار التداوي وعدم مباشرته كما لا يخفى او يكون المريض مشغولا
والعلاج موهوما في النفع كالكي والرقية ونحوهما وعليه يحمل كلام الربيع او المشغول عنه ابا الاشتغال
قلبه عن المرض وتداويه بما يوافقه وينافيه بخوف العاقبة وعلمه تعالى بما وقع له في السابقة فينسيه ذلك
الم الامراض الا صحة فلا يتفرغ قلبه للتداوي شغلا بحاله او تاملا في ماله وعليه يدل كلام ابي الدرداء
وابي ذر في ترك الدواء او كان تالم قلبه خوفا من ذنبه اكثر من تالم بدنه من حلول مرضه ويكون هذا كالمصاب
بموت عزيز من الاحبة او كالخائف الذي يحمل الى ملك من ملوكهم اجل سياسته اذا قيل له الا تاكل وانت جائع فيقول
اني مشغول عن الاكل وعن الم الجوع بما هو اهم منه ويقرب من هذا الاشتغال سهل رحمه الله حيث قيل له
ما القوت فقال هو الحي القيوم فقيل انما سالناك عن القوام قال القوام هو العلم قيل سالناك عن الغذاء قال
الغذاء هو الذكر قيل سالناك عن طعمة الجسد قال ما لك وللجسد دع من تولاه اولا يتولاه اخرا اذا دخلت عليه
علة فرده الى صانعه اما رايت الصنعة اذا عابت ردوها الى صانعها حتى يصلحها او لقصد تطويله اي المرض لارادة
استبقاء المرض لينال الاجر بالصبر على بلائه تعالى فقد ورد في ثواب المرض ما يكثر ذكره ومن ذلك ان الله تعالى يجرب
عبده بالبلاء كما يجرب احدكم ذهبه بالنار فمنهم من يخرج اسود محترقا رواه الطبراني من حديث ابي امامة
كالابريز ومنهم من يخرج دون ذلك ومنهم من يخرج صح
وقال ابن مسعود تجد المؤمن افصح شيء قلبا وامرضه جسما وتجد المنافق اصح شيء جسما وامرضه قلبا وتشير
اليه قوله تعالى واذا رايتهم تعجبك اجسامهم فلما عظمت الاخبار على المرض والبلاء احب قوم المرض واغتنموه وتركوا الدواء
لينالوا ثواب الصبر على الداء فكان منهم من له علة يخفيها ولا يذكرها للطبيب ويقاسي العلة ويرضى بحكم الله تعالى
وما فيه من الحكمة ويعلم ان ذكر الحق اغلب على قلبه من ان يشغله المرض عنه وانما يمنع المرض جوارحه وعلموا ان صلاتهم
من قعود مثلا مع الصبر على قضائه تعالى افضل من صلاتهم قياما مع العافية والصحة وكان سهل
يقول ترك التداوي وان ضعف عن الطاعات افضل من التداوي لاجل القوة على العبادات وكانت به علة
عظيمة ولم يتداو لها وكان يداوي الناس منها وسئل عن شرب الدواء فقال كل من دخل في شيء من الدواء فانما هو سعة
من الله عز وجل لاهل الضعف ومن لم يدخل في شيء منه فهو افضل لانه ان اخذ شيئا من الدواء وان كان ماء
الماء بارد يسال عنه لم اخذت ذلك ومن لم ياخذ فلا سؤال عليه وكان مذهبه ومذهب البصريين تضعيف
النفس بالجوع وكسر الشهوات لعلمهم ان ذرة من اعمال القلوب مثل الصبر والرضا والتوكل افضل من امثال الجبال
من اعمال الجوارح والمرض لا يمنع اعمال القلوب الا اذا كان الم غالبا مدهشا وقال سهل علل الاجسام رحمة
وعلل القلوب عقوبة او لتكفير الذنب بان يرى طول المرض تكفير الخطايا ولابي يعلى وابن عدي من حديث
ابي هريرة لا يزال المليلة والصداع بالعبد حتى يمشي على الارض كالبردة ما عليه خطيئة وللطبراني من حديث
ابي الدرداء نحوه وله في الاوسط من حديث انس مثل المريض اذا صح وبرا من مرضه كمثل البردة تقع من السماء
في صفائها ولونها وللقضاعي من حديث ابن مسعود حمى يوم كفارة سنة وفي رواية حمى ليلة ولاحمد وابي يعلى من

حديث ابي سعيد الخدري باسناد جيد ان رجلا من المسلمين قال يا رسول الله ارايت هذه الامراض التي
تصيبنا ما لنا فيها قال كفارات قال ابي وان قلت قال وان شوكة فما فوقها قال فدعا ان لا يفارقه
الوعك حتى يموت الحديث والوعك الحمى او شدتها والطبراني في الاوسط من حديث ابي بن كعب انه
قال يا رسول الله ما جزاء الحمى قال تجري الحسنات على صاحبها ما اختلج عليه قدم او ضرب عليه عرق فقال اللهم
اني اسالك حمى لا تمنعني خروجا في سبيلك ولا خروجا الى بيتك ولا مسجد نبيك الحديث وقال عيسى عليه
السلام لا يكون عالما من لم يفرح بدخول المصائب والامراض على جسمه وماله لما يرجو في ذلك من كفارة
خطاياه وروي ان موسى عليه السلام نظر الى عبد عظيم البلاء فقال يا رب ارحمه فقال كيف ارحمه
مما به ارحمه اي به اكفر ذنوبه وازيد في درجته او امتحان النفس اي ليجرب ما في القدرة على الصبر في المحنة
بعدم الجزع والفزع والشكاية فقد ورد نحن معاشر الانبياء اشد الناس بلاء ثم الامثل فالامثل
يبتلى العبد على قدر ايمانه فان كان صلب الايمان شدد عليه البلاء وان كان في ايمانه ضعف خفف
عليه البلاء رواه احمد وابو يعلى والحاكم وصححه وطغيانها اي تجاوز النفس عن حدها في الصحة اي في ايام
الصحة والعافية بتضييع الوقت بالتنعم في الشهوات واللهوات وتاخير الخيرات اي وتاخير الطاعات والعبا دات
والمبرات لتطويل الامل وتبعيد الاجل وتوضيحه ان يستشعر العبد في تفسير مبادي البطر والطغيان
بطول مدة الصحة فترك التداوي خوفا من ان يعاجله زوال المرض فتعاوده الغفلة والبطر والطغيان او
طول الامل وتسويف العمل بتاخير الخيرات والمبرات فان الصحة عبارة عن قوة الصفات ومنها ينبعث
الهوى وتتحرك الشهوات وتدعو الى المعاصي والسيئات واقلها ان تدعو الى التنعم في المباحات وهو تضييع
الاوقات واهمال للربح العظيم في مخالفة النفس وملازمة الطاعات فاذا اراد الله بعبد خيرا لم يخله عن
التنبيه بالامراض والمصيبات ولذا قيل لا يخلو المؤمن من علة او قلة او ذلة وروي ان الله تعالى يقول
الفقر سجني والمرض قيدي احبس به من احب من خلقي وقال بعض العارفين لانسان كيف كنت بعدي قال
في عافية قال ان كنت لم تعص الله فانت في عافية وان كنت عصيته فاي داء ادوى من المعصية ما عوفي من
عصى وعن علي كرم الله وجهه انه لما راى زينة النبط بالعراق في يوم عيد لهم قال ما هذا الذي اظهروه
قالوا يا امير المؤمنين هذا يوم عيد لهم فقال كل يوم لا نعصي الله فيه فهو لنا عيد وما احسن ما قال ارباب
الحال ليس العيد لمن لبس الجديد انما العيد لمن امن من الوعيد وقال تعالى كلا ان الانسان ليطغى ان راه
استغنى قيل اي بالعافية وقال بعضهم انما قال فرعون انا ربكم الاعلى لطول العافية فانه لبث اربعمائة سنة
لم يصدع له راس ولم يحم له جسم ولم يضرب عليه عرق فادعى الربوبية ولو اخذته الشقيقة لشغلته عن
الفضول الدنيوية فضلا عن دعوى الالوهية وروي ان عمار بن ياسر تزوج امراة فلم تكن تمرض
فطلقها وفي الخزانة انه عليه السلام عرض عليه امراة فذكر من صفتها ونعتها حتى هم ان يتزوجها فقيل
وانها ما مرضت قط فقال لا حاجة لي فيها رواه احمد من حديث انس باسناد جيد وذكر عليه السلام الامراض
والاوجاع كالصداع وغيره فقال رجل وما الصداع ما عرفته فقال عليه السلام عني اليك من اراد ان ينظر

ينظر الى رجل من اهل النار فلينظر الى هذا رواه ابو داود وذكر ما ورد ان الحمى حظ كل مؤمن من النار رواه
احمد من حديث ابي امامة وابن ماجه من حديث ابي هريرة انه عليه السلام عاد مريضا من وعك كان
به فقال ابشر ان الله عز وجل يقول هي ناري اسلطها على عبدي المؤمن في الدنيا لتكون حظه من النار
في العقبى والاولى ان يخفيها اي اخفاء مرضه وسوء حاله وضراعه بل ولا يشكوه لانه تعالى قضاه ويتحاشى
عن الشكاية الا على سبيل الحكاية ولا باس بذكره لتتم اغراض نحو العلاج للطبيب اذا كان المريض من
الضعفاء بحيث فات الاقوياء فكان الامام احمد يخبر بعلله المطبب اذا سأله عنها وتارة يخبر بامراضه
بحذامه ويقول انما اصف قدرة الله في او تعليم حسن الصبر او لتعليم المريدين استحسان الصبر وجواز اظهار الالم
بالشكاية على طريق الحكاية بل لبيان الشكر في الرواية بان يظهر المرض بلية يصبر عليها او نعمة يشكر لديها
فيتحدث به كما يتحدث بالنعمة وقال الحسن البصري اذا حمد المريض ربه تعالى وشكره ثم ذكر اوجاعه لم يكن ذلك
شكوى وهو اي صاحب هذا المقام يكون من المقتدى به في امر الرعاية او اظهار العجز والافتقار عن
الصبر اليه تعالى وهو انما يستحسن منه القوي في مقام الصبر كما روي عن علي كرم الله وجهه انه قيل له في مرضه كيف
انت فقال بشر فنظر بعضهم الى بعض كانهم كرهوا ذلك وظنوا انه شكاية فقال اتجلد على الله فاحب ان يظهر
فيه العجز والافتقار والنية اي تحسينها واصلاح مرضته لا ظهار علله واسبابها والمعنى ان
النية مرعية للتداوي وتركه فان ذلك يختلف باختلاف الاحوال والاوقات وانما الاعمال بالنيات
واما من ترك التداوي توكلا فلا وجه له لان ظهار احسان فان الاستراحة الى الدواء احسن من الاستراحة
الى الا فتنة وقد قال بعضهم من بث لم يصبر وقد قال يعقوب عليه السلام انما اشكو بثي وحزني الى الله وقيل
في معنى قوله فصبر جميل لا شكوى فيه وقيل ليعقوب عليه السلام ما الذي اذهب بصرك قال مر الازمان
وطول الاحزان فاوحى الله تعالى اليه تفرغت لشكواي الى عبيدي فقال يا رب اتوب اليك وروي عن
طاوس ومجاهد انهما قالا يكتب على المريض انينه في مرضه وكانوا يكرهون انين المريض لانه
اظهار معنى يقتضي الشكوى حتى قيل ما اصاب ابليس من ايوب الا انينه في مرضه فجعل الانين حظه
منه ولعله محمول على انين كان يمكنه ان لا يظهره عند عواده والا فقد سبق انه تسبيح ويثاب
عليه مع انه امر طبيعي لا يدخل تحت اختيار المريض وفي الخزانة اذا مرض العبد قال الله تعالى للملكين انظرا
ما يقول لعواده فان حمد الله تعالى واثنى عليه بخير دعوا له وان شكا وذكر شرا قالا كذلك يكون وانما
كره بعض العباد عيادة العواد خشية الشكاية في المقام وخوف الزيادة في الكلام وكان بعضهم اذا مرض
اغلق بابه فلم يدخل عليه احد حتى يبرا فيخرج اليهم منهم الفضيل بن عياض ووهيب بن الورد وبشر
بن الحارث وكان الفضيل يقول اشتهي المرض بلا عواد وقال ما اكره العلة الا لاجل العواد بعدا وانما
ينفع في باب التوكل من حسن الظن بمجيء الرزق ووفق الرفق ان يسمع الحكايات التي فيها عجائب صنع الله
تعالى في وصول الرزق الى صاحب التوكل في سائر الاوقات كما روي عن حذيفة المرعشي وكان قد خدم ابراهيم
بن ادهم فقيل له ما اعجب ما رايت منه فقال بقينا في طريق مكة اياما لم نجد طعاما ثم دخلنا الكوفة فاوينا الى مسجد

خراب فنظر الى ابراهيم بن ادهم وقال يا حذيفة اري بك الجوع فقلت هو ما راى الشيخ فقال علي بدواة وقرطاس فجئت به فكتب بسم الله الرحمن الرحيم انت المقصود اليه بكل حال والمشار اليه بكل معنى

أنا حامد أنا شاكر أنا ذاكر ... أنا جائع أنا ضائع أنا عاري
هي ستة وأنا الضمين لنصفها ... فكن الضمين لنصفها يا باري
مدحي لغيرك لهب نار خضتها ... فأجر عبيدك من لهيب النار

ثم دفع الي الرقعة وقال اخرج ولا تعلق قلبك بغير الله وادفع الرقعة الى اول من يلقاك فخرجت فاول من لقيني كان على بغلة فناولته الرقعة فاخذها فلما وقف عليها بكى وقال ما فعل صاحب هذه الرقعة فقلت هو في المسجد الفلاني فدفع الي صرة فيها ستمائة دينار ثم لقيت رجلا اخر فسألته عن راكب البغلة فقال هذا رجل نصراني فجئت الى ابراهيم فاخبرته بالقصة فقال لا تمسها فانه يجيء الساعة فلما كان بعد ساعة دخل النصراني واكب على راس ابراهيم يقبله واسلم وقال ابو يعقوب الاقطع البصري جعت بالحرم عشرة ايام فوجدت ضعفا فحدثتني نفسي بالخروج فخرجت الى الوادي لعلي اجد شيئا يسكن ضعفي فرايت سلجمة مطروحة فاخذتها فوجدت في نفسي منها وحشة وكان قائلا يقول لي جعت عشرة ايام واخره يكون حظك سلجمة متغيرة فرميتها ودخلت المسجد فقعدت فاذا انا برجل اعجمي قد اقبل حتى جلس بين يدي ووضع قمطرة وقال هذه لك فقلت كيف خصصتني بها فقال اعلم انا كنا في البحر منذ عشرة ايام واشرفت السفينة على الغرق فنذرت ان خلصني الله ان اتصدق بهذه على اول من يقع عليه بصري من المجاورين وانت اول من لقيته فقلت افتحها ففتحها فاذا فيها كعك سميذ مصري ولوز مقشر وسكر كعاب فقبضت قبضة من هذا وقبضة من هذا وقبضة من هذا وقلت رد الباقي الى صبيانك هدية مني لكم وقد قبلتها ثم قلت في نفسي رزقك يسير اليك منذ عشرة ايام وانت تطلبه في الوادي وقال ممشاد الدينوري كان علي دين فاشتغل قلبي بسببه فرايت في النوم كان قائلا يقول يا بخيل اخذت علينا هذا المقدار من الدين خذ عليك الاخذ وعلينا العطاء فما حاسبت بعد ذلك بقالا ولا قصابا ولا غيرهم وحكي عن بنان الحمال قال كنت في طريق مكة اجيء من مصر ومعي زاد فجاءتني امراة وقالت يا بنان انت حمال تحمل على ظهرك الزاد وتتوهم انه لا يرزقك قال فرميت بزادي ثم اتى علي ثلث لم اكل فوجدت خلخالا في الطريق فقلت في نفسي احمله حتى يجيء صاحبه فربما يعطيني شيئا فارده عليه فاذا انا بتلك المراة فقالت انت تاجر تقول حتى يجيء صاحبه فاخذ منه شيئا ثم رمت الي شيئا من الدراهم وقالت انفقها فاكتفيت بها الى قريب مصر وحكي ان بنانا احتاج الى جارية تخدمه فانبسط الى اخوانه فجمعوا له ثمنها وقالوا هو ذا يجيء النفر فنشتري ما يوافقك فلما ورد النفر اجتمع رايهم على واحدة وقالوا انها تصلح له وقالوا لصاحبها بكم هذه الجارية فقال انها ليست للبيع فالحوا عليه فقال انها لبنان الحمال اهدتها اليه امراة من سمرقند فحملت الى بنان وذكرت له القصة وقيل كان في الزمن الاول رجل في سفر ومعه قرص فقال ان اكلته مت فوكل الله به ملكا

مسلما فقال ان اكله فارزقه وان لم يأكله فلا تعطه غيره فلم يزل القرص معه الى ان مات ولم ياكله وبقي القرص عنده وقريب منه قال حياة الحيوان ان دودة الكبابة الزاب تموت جوعا خوفا من فراغ رزقها على فراقه وكذا طير على ساحل البحر يموت عطشا خوفا من نفاد ما فيه من الماء قال ابو سعيد الخراز دخلت البادية بغير زاد فاصابتني فاقة فرايت المرحلة فسررت بان وصلت ثم فكرت في نفسي اني سكنت واتكلت على غيره سبحانه فاليت ان لا ادخل المرحلة الا ان احمل اليها فحفرت لنفسي في الرمل حفيرة وواريت جسدي فيها فسمعوا صوتا عاليا في نصف الليل يا اهل المرحلة ان لله وليا حبس نفسه في هذا الرمل فالحقوه فجاءني جماعة فاخرجوني وحملوني الى القرية وروي ان رجلا لازم باب عمر رضي الله عنه فقال عمر يا هذا هاجرت الى عمر او الى الله اذهب فتعلم القرآن فانه سيغنيك عن باب عمر فذهب الرجل حتى افتقده عمر فاذا هو قد اعتزل واشتغل بالعبادة فقال عمر اني اشتقت اليك فما الذي شغلك عنا فقال اني قرات القرآن فاغناني عن عمر وآل عمر فقال عمر رحمك الله فما وجدت فيه قال وجدت فيه وفي السماء رزقكم وما توعدون فقلت رزقي في السماء وانا اطلبه في الارض فبكى عمر وقال صدقت وكان عمر بعد ذلك يجلس اليه وقال ابو حمزة الخراساني حججت سنة من السنين فبينا انا امشي في الطريق اذ وقعت في بئر فنازعتني نفسي ان استغيث ثم قلت لا والله لا استغيث فما استتممت هذا الخاطر حتى مر براس البئر رجلان فقال احدهما للاخر تعال حتى نسد راس هذا البئر لئلا يقع فيه احد فاتوا بقصب وبارية وطموا على راسه فهممت ان اصيح ثم قلت في نفسي الى من هو اقرب منهما فسكت فبينا انا بعد ساعة اذا انا بشيء كشف عن راس البئر وادلى رجله وكانه يقول تعلق بي في همهمة له كنت اعرف له ذلك فتعلقت به فاخرجني فاذا هو سبع فمر وتركني فهتف بي هاتف فقال يا ابا حمزة اليس هذا احسن نجيناك من التلف بالتلف فمشيت وانا اقول

أهابك أن أبدي إليك الذي أخفي ... وسري يبدي ما يقول له طرفي
نهاني حيائي منك أن أكتم الهوى ... وأغنيتني بالفهم منك عن الكشف
تلطفت في أمري فأبديت شاهدي ... إلى غائبي واللطف يدرك باللطف
تراءيت لي بالغيب حتى كأنما ... تبشرني بالغيب أنك في الكف
أراك وبي من هيبتي لك وحشة ... فتؤنسني باللطف منك وبالعطف
وتحيي محبا أنت في الحب حتفه ... وذا عجب كون الحياة مع الحتف

فهذه احوال رجال ماتوا قبل الموت فما كرههم شيء من الفوت وفي هذا المقام قال من قال دع نفسك وتعال وبيان ذلك ان تطيب نفس السالك لهذه المسالك بالموت ان لم ياته رزقه علما بان رزقه هو الموت والجوع ان كان نقصانا في الدنيا فهو زيادة كمال في العقبى فيرى انه سيق اليه خير الرزقين ويعتقد انه سبحانه خير الرازقين كما انه احسن الخالقين والاصل الذي عليه مدار امر الدين خصوصا فيه اي في التوكل هو اليقين وقد قال تعالى واعبد ربك حتى ياتيك اليقين اي عين اليقين فانه كان عليه السلام واتباعه الكرام في مقام علم اليقين ولذا تفسيره الموت عند عامة المفسرين فالامنية

المنتجين وقال عز وعلا هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب الى ان قال وبالآخرة هم
يوقنون وقول علي كرم الله وجهه لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا لانه انما يزداد وضوحا عينيا
بعد ما كان ظاهرا غيبيا كما ان الذي يرى انسانا في وقت الاسفار لا يزداد يقينا عند طلوع
شمس النهار بانه انسان في صورته وهيئته بل يزداد وضوحا في عرفان تفاصيل خلقته واى حاله
ما يزداد اليقين من طريق العلم والبيان وانما يزداد باعتبار الظهور والعيان فينتقل من علم
اليقين الى عين اليقين وبرؤيته الحق ينتقل من علم اليقين الى حق اليقين في سلوك مثل السالك
الى ان يشاهد البيت من بعيد فيشهد له بعين اليقين مع انه قد تم اذا قبل الحجر الاسعد والتزم الملتزم
انتقل الى حق اليقين في الحرم المحترم والله سبحانه اعلم وورد عنه صلى الله عليه وسلم من كان غريزة
العقل اي طبيعته وسجيته اليقين اي خلقته وطويته لم تضره الذنوب اي ارتكابها لانهما يدعوان الى
سرعة التوبة عن اكتسابها والتائب من الذنب كمن لا ذنب له في اجتنابها والحديث رواه من افضل ما اوتيتم
اليقين في امر الدين وعزيمة الصبر في مقام المجتهدين والحديث رواه قال تعالى وان تصبروا وتتقوا كذا
فان ذلك من عزم الامور وقال ولمن صبر وغفر ان ذلك من عزم الامور ولابي نعيم في الحلية والبيهقي كذا
عن ابي سعيد مرفوعا ان من ضعف اليقين ان ترضي الناس بسخط الله وان تحمدهم على رزق
الله وان تذمهم على ما لم يؤتك الله ان رزق الله لا يجره اليك حرص حريص ولا يرده كراهية كاره وان
الله بحكمته وجلاله جعل الروح والفرح في الرضا واليقين وجعل الهم والحزن في الشك والسخط وهو
وهو اي اليقين عدم الشك في امر الدين عند المتكلمين في علم الكلام والاستيلاء الكامل على القلب
باستقلال الرب في علم الرزق المنتج للعمل في مرضات الله سبحانه وهذا التعريف عند المتصوفة والفقهاء ولذا
يوصف عندهم بالضعف والقوة والكمال والزيادة بخلاف غيرهم ومنه اطنانيل لمن جزع وقت الموت
ضعف يقينه فلان عند الموت كان الاظهر ان يقال في الموت اي حال وقوعه مع عدم الشك لاحد
من المسلم والكافر فيه في وجود الموت وثبوته فهو يقين يشبه الشك وقوي في الرزق اي ويقال لمن ترك
بالكلية مباشرة الاسباب وتوكل على الله حق توكله بترك الاكتساب قوي فلان في امر الرزق مع الشك
فيه اي في وجود الرزق اذ يحتمل عدمه بان يموت جوعا في تمامه ومجاريه اي محال اليقين ومجاليه كما جاء
به التشريع المبين والاصول لليقين اربعة التوحيد للحق وبلوغ الرزق للخلق والجزاء على الاعمال
والاطلاع عنه تعالى على الاحوال سرا وعلنا فانه يعلم السر واخفى والجودي اي فاكملت اليقين اربعة
ايضا عدم الالتفات الى المنسوخات من العلويات والسفليات والاجمال في الطلب اي طلب الرزق
معنى الحديث اجملوا في طلب الدنيا فان كل ميسر لما كتب له منها رواه ابن ماجه وغيره من حديث ابي حميد
الساعدي والمعنى اكتسبوا المال بوجه جميل وهو ان لا يطلبه الا بالوجه الشرعي وتصحيح النيات في
المقامات مع ترك التاسف على الفوات قال تعالى لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولابن ابي الدنيا وورد من اسف على
دنيا فاتته اقترب من النار مسيرة الف سنة ومن اسف على اخرة فاتته اقترب من الجنة مسيرة الف سنة اخرجه

الرازي في مشيخته عن ابي عمرو والدوام على الطاعات اي واكتساب العبادات مع الاشتغال
عن المعصية اي مع الاجتناب عن جميع السيئات والمبالغة في اصلاح الظاهر والباطن بتحصيل الخلال ق
والشمايل وتحسين الاحوال والفضايل الخاتمة في المحبة والسلوك اي وسلوك طريق المحبة وسير
المودة ومن لم يغترف من بحر المعرفة لم يعرف حقيقة المحبة مع غير الجنس والتشوق والصفة والمعنى
الى المواظبة على الطاعة ولكن المحبة [illegible] من الشوق والذوق والمحو والصحو والفنا والبقا والقبض
والبسط وساير لوازم المحبة وتوابع المودة وساير مقامات اهل المعرفة وسيجي كشف الغطا عن هذه الحالة ببيان ن
الكتاب والسنة بسم الله الرحمن الرحيم تنجلي الامور وتنشرح الصدور والامة مجتمعة على ان
الحب لله ورسوله فرض فكيف يفترض ما لا وجود له وكيف يفسر الحب بالطاعة والطاعة تتبع الحب وثمرته
فلا بد ان يتقدم الحب ثم بعد ذلك يطيع من احب وورد في التنزيل ما يقوي هذا التاويل قل ان كنتم
تحبون الله فاتبعوني فاني رئيس المحبين في سلوك المودة يحببكم الله كما اصطفى وسماني حبيب الله ولا اتباع ع
حظ من متبوعه بقدر الاتباع ومما يدل على اثبات الحب لله قوله عز وعلا يحبهم ويحبونه ثم قوله سبحانه
والذين امنوا اشد حبا لله دليل على اثبات الحب وحقيقته والتفاوت في مراتبه لا يؤمن احدكم ايمانا كاملا
او ايمانا اصلا حتى يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما من الولد والوالد والناس اجمعين والحديث رواه
الشيخان من حديث انس [بلفظه] لا يجد احد حلاوة الايمان الحديث وعن ابي رزين العقيلي انه قال يا رسول ل
الله ما الايمان قال الايمان ان يكون الله ورسوله احب اليك مما سواهما وفي الصحيحين من حديث
انس ايضا لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من ولده ووالده والناس اجمعين وفي رواية لهما ومن نفسه
وللبخاري من حديث عبد الله بن هشام قال عمر يا رسول الله لانت احب الي من كل شيء الا نفسي فقال
لا والذي نفسي بيده حتى اكون احب اليك من نفسك فقال عمر فانت الان والله احب الي من نفسي فقال
الان يا عمر يعني امنت وهو خبر ويحتمل ان يكون استفهاما ولعل هذه الاحاديث مقتبسة من قوله سبحانه
قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن كن
ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بامره فان ذلك جرى مجرى التهديد
والانكار والقصد به الاثبات والاقرار ونبه عليه السلام على تفاوت المحبة بينه وبين الله سبحانه في
هذا المقام بقوله احبوا الله لما يغذوكم به من نعمه واحبوني لحب الله اياي فاشار الى ان محبة الله اصالة
ومحبته عليه السلام تبعية كما يقتضيه مقام الربوبية والعبودية وروي ان رجلا قال يا رسول الله اني احبك
قال فاعد للفقر تجفافا رواه الترمذي وحسنه وعن عمر رضي الله عنه انه عليه السلام نظر الى مصعب بن عمير
مقبلا وعليه اهاب كبش قد تمنطق به فقال عليه السلام انظروا الى هذا الرجل الذي قد نور الله قلبه
لقد رايته بين ابوين يغذوانه باطيب الطعام والشراب فدعاه حب الله ورسوله الى ما ترون رواه ابو نعيم
في الحلية باسناد حسن وفي الصحيحين من حديث انس وابن مسعود وابي موسى قال اعرابي يا رسول الله متى
الساعة قال ما اعددت لها فقال ما اعددت لها كثير صلاة ولا صيام الا اني احب الله ورسوله فقال عليه

اللسان ام المرء معرضه الحب كما قال النبي في رايت المسكين فرضوا ابتي بعد ان سلام فرحهم بذلك وقال الصديق
من ذاق خالص محبة الله شغله ذلك عن طلب الدنيا واوحشه عن جميع البشر اى منه ارباب الدنيا وقال الحسن
من عرف ربه احبه ومن عرف الدنيا زهد فيها والمومن لا يلهو حتى يغفل فاذا تفكر حزن وقال ابو سليمان الدا رانى
ان من خلق الله تعالى خلقا ما يشغلهم الجنان وما فيها من النعيم عنه فكيف يشتغلون عنه بالدنيا ويروى
ان عيسى عليه السلام مر بثلثة نفر قد نحلت ابدانهم وتغيرت الوانهم فقال لهم ما الذي بلغ بكم ما ارى
فقالوا الخوف من النار فقال حق على الله ان يؤمن الخائف ثم جاوزهم الى ثلثة اخرين فاذا هم اشد
نحولا وتغيرا فقال ما الذي بلغكم الى ما ارى فقالوا الشوق الى الجنة فقال حق على الله ان يعطيكم ما ترجون
ثم جاوزهم الى ثلثة اخرين فاذا هم اشد نحولا وتغيرا كان وجوههم المرايا من النور فقال ما الذي بلغ
بكم ما ارى فقالوا الحب لله عز وجل فقال انتم المقربون انتم المقربون وقال هرم بن حيان اذا عرف
المومن ربه احبه واذا احبه اقبل عليه واذا وجد حلاوة الاقبال اليه لم ينظر الى الدنيا بعين الشهوة
ولم ينظر الى الاخرة بعين الفترة وهو يحسن في الدنيا ويروحه في الاخرة وقال يحيى بن معاذ عفوه
يستغرق الذنوب فكيف رضوانه ورضوانه يستغرق الامال فكيف حبه وحبه يدهش العقل فكيف وده
ووده ينسي ما دونه فكيف لطفه وقال يحيى بن معاذ مثقال خردلة من الحب احب الي من عبادة سبعين
سنة بلا حب وقال ايضا الهي اني مقيم بفنائك مشغول بثنائك اخذتني اليك وسربلتني بقربك وامكنتني
من لطفك ونقلتني في الاحوال وقلبتني في الاعمال سترا وتوبة وزهدا وشوقا ورضا وحبا تسقيني من
حياضك وتخليني في رياضك ملازما لامرك مشغوفا بقولك ولما طر شاربي ولاح طائري فكيف انصرف
اليوم عنك كبيرا وقد اعتدت هذا منك صغيرا ولي ما بقيت حولك دندنة وبالضراعة اليك همهمة لاني
احبك وكل حبيب بحبيبه مشغوف وعن غير حبيبه مصروف والمحبة اعظم المقامات واهم المهمات فقيل المحبة
محو المحب بصفاته واثبات المحبوب بذاته وقيل المحبة ايثار المحبوب على المصحوب وقيل مشاهدة الحبيب
في المشهد والمغيب وقيل المحبة الانقياد على المحبوب ان يحبه مثلك في مقام المطلوب وقيل المحبة معنى من
المحبوب قاهر للقلوب يعجز القلوب عن ادراك كنهاية ويمنع الالسن عن عبادته وقال الجنيد حرم
الله المحبة على صاحب العلاقة وقال كل محبة تكون لعوض فاذا زال العوض زالت المحبة وعن ذي النون
قل لمن اظهر حب الله احذر ان تركن الى غير الله وحكى ان المحبة ميل النفس الى الموافق اى الى ما يوافق هواها
ولا يباين مشتهاها وتوضيحه ان المدركات تنقسم الى ما يوافق طبع المدرك ويلذه ويلائمه والى ما ينافيه
وينافره ويؤلمه والى ما لا يوثر فيه بايلام ولا التيام فكلما في ادراكه لذة وراحة فهو محبوب عند المدرك
وما كان في ادراكه الم ومحنة فهو مبغوض عنده وما يخلو عن استعقاب لذة وراحة والم وشدة فلا يوصف
بكونه محبوبا ولا مكروها فاذن كل لذيذ محبوب عند الملتذ به ومعنى كونه محبوبا ان في الطبع ميلا اليه ومعنى
كونه مبغوضا ان في الطبع نفرة عنه فالحب عبارة عن ميل الطبع الى الشيء الملذ فان تاكد ذلك الميل
وقوي سمي عشقا وشوقا والبغض عبارة عن نفرة الطبع عن المولم المتعب فاذا قوي سمي مقتا ويقال الحق ثم

ثم لما كان الحب تابعا للادراك والمعرفة انقسم لا محالة بحسب انقسام المدركات بالحواس فلكل حاسة
نوع من المدركات ولكل واحد منها لذة في بعض المدركات وللطبع بسبب تلك اللذة ميل اليها فكانت
محبوبات عند الطبع السليم فلذة العين في الابصار وادراك المبصرات الجميلة والصور الحسنة المليحة
ولذة الاذن في النغمات الطيبة الموزونة ولذة الشم في الروائح الطيبة ولذة الذوق في الاطعمة المستلذة
ولذة اللمس في اللين والنعومة ثم لذات الحواس الخمس تشارك فيها البهائم الانسان فان كان الحب مقصورا
على مدركات الحواس الخمس حتى قال ان الله لا يدرك بالحواس ولا يتمثل بالخيال فلا يحب فاذا قد بطل
خاصية الانسان وما تميز به عن الحيوان من الحس السادس الذي يعبر عنه اما بالعقل واما بالنور او بالقلب
او بما شئت من العبارات فلا مشاحة فيها وكل هذا فالبصيرة الباطنة اقوى من البصر الظاهر كما يشير اليه
قوله تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور والقلب اشد ادراكا من العين ولذا
قال تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب والا من اتى الله بقلب سليم وجمال المعاني المدركة بالعقل
اعظم من جمال الصور الظاهرة للابصار ولذا قال تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون
وان في ذلك لايات لقوم يعقلون فيكون لا محالة لذة القلوب بما تدركه من الامور الشريفة الالهية التي
تجل عن ان تدركها الحواس ابلغ واتم فيكون ميل الطبع السليم والعقل الصحيح القويم اليه اقوى واهم ولا
معنى للحب الا الميل الى ما في ادراكه لذة ومن لا لذة اعظم من محبته تعالى ومعرفته فلا ينكر اذن حب الله الا
من قعد به القصور عن درجة البهائم فلم يجاوز ادراكه الحواس اصلا فان ادنى اللذات
المطعم اى لذة الاكل والشرب من المستلذات ثم المنكح من المشتهيات وذلك بالنسبة الى المكلف وقال فالصبي
غفل بعد الاكل تمام لذته اللهو واللعب ثم الحاه الصورية ثم العلم بالامر الضروري ويعرف الترقي بترك الادنى
والتحقق عند وجدان الاعلى والشعر الى كما ان المراة الثيبة اذا ارادت زوجا فخيرت بين غني
عنين وفقير رجل فالغالب انها تختار الفقير لا سيما اذا كانت غنية ولها قوة مشتهية فعلم ان
لذة المنكح اعلى من لذة المطعم ثم لو فرض انها كانت من اشراف القوم وفرض ان الرجولية زالت
من السن الا من ارذلهم كالكناسين والدباغين فالغالب انها تختار زوجا من هذه الطا يفة
ولو كان غنيا وفي الشهوة قويا فعلم ان لذة الجاه اعلى من لذة المنكح ثم لو فرض شريف ذو نسب ذاق
لذة العلم وليس في البلد عالم الا من اراذل القوم المذكورين فالغالب انه لا يانف ان يحضر في مجلس هذا
العالم ليستفيد منه العلم فعلم ان لذة العلم اعلى من لذة الجاه وكذا المخير بين النظر الى صورة جميلة وبين
استنشاق رائحة طيبة اذا اختار النظر الى الحسن الصورة علم به ان الصورة الجميلة عنده الذ من الروائح
الطيبة وكذا اذا احضر الطعام والشطرنج للمغلب بالشطرنج علم ان لذة اللعب عنده اقوى من لذة الاكل
واستكراه البعض العلم للنقص في كماله كاستكراه المريض المطعم لعلة في حاله والصبي المنكح لعدم بلوغه
والا فلا يخفى ان في العلم والمعرفة لذة حتى ان الذي ينسب الى العلم ولو بشيء خسيس كالشطرنج وكذا في
الكيميا والسيميا وامثاله يفرح به والذي ينسب الى الجهل ولو في شيء حقير يغتم بسببه ثم مراتب العلم متفاوتة

باعتبار تفاوت المعلوم والعلم به تعالى اشرف العلوم فشرفه اي العلم بشرف المعلوم وليت شعري ماهل
في الوجود شيء اجل واعلى واكمل واعلى من خالق الاشياء ومكملها ومزينها ومبديها ومعيدها ومدبرها
ومدبيرها فلا علم العلوم العلم بالله تعالى وصفاته وافعاله في مصنوعاته وتدبيره في ارضه وسمواته ومن ثم
المتوفي بل الكاتب اشرف من الخياطة ونحوها من الصياغة والحياكة والزراعة [illegible] الذمية
اي من العلم به ان زيادة الكشف في معرفة ذاته وصفاته تبتهج اي في الرؤية حال تجليه فاللذة باعتبار
هذه العلوم وازدياد الكشف المفهوم وسببها اي موجب المحبة وباعثها الكمال في الجمال فهو اي
الكمال محبوب طبعا ولو في زيادة الجاه والمال ومن ثم احب العالم لكماله في العلم والصالح لكماله
كما انه في الجمال لصورته الظاهرة بل لسيرته الباطنة الباهرة فان الطباع مجبولة على حب الانبياء والعلماء
والاولياء مع انهم لم يشاهدوا الهم شيئا من الاشياء ومنهم حب ارباب المذاهب كابي حنيفة ومالك والشافعي
واحمد وغيرهم من المشايخ حتى ان الرجل قد يجاوز به حبه لصاحب مذهبه او مشربه حد العشق بسببه
فيحمله ذلك على ان ينفق جميع ماله في نصرة مذهبه والذب عنه ويخاطر بروحه في قتال من يطعن في امامه او
شيخه فكم من دم اريق في نصرة المذاهب باختلاف المراتب فليت شعري من يحب متبوعا من عالم او
صالح فلم يحبه ولم يشاهد قط صورته وربما لم يستحسن صورته وهيأته لو تشاهد لانه الذي حمله على افراط حبه صح
انما هو لخصال سيرته وهي صورته الباطنة لا صورته الظاهرة والوجه الجميل لماله من صورة الجمال والكلام
البليغ لماله من سيرة الكمال والكمال والاحسان فان الانسان اي جنسه عبيد اي عبيد الاحسان وفي نسخة
الانسان عبد الاحسان وهو اظهر لحمله على الانسان والمعنى انه قد جبلت القلوب على حب من احسن
اليها وبغض من اساء عليها كما ورد وقد ورد ايضا اللهم لا تجعل لفاجر علي يدا فيحبه قلبي كما رواه الديلمي
وهذا المقام اذا حقق رجع الى الاول فان المحسن امد بالمال والمعونة وسائر الاسباب الموصلة الى
دوام الوجود وتمام الشهود وهو من جملة الكمال الى ان الكمال لذاته وهذا من عوارض صفاته بل اذا
حكي عن بعض الملوك واصحاب الكمال في اقطار الارض بالعدل والاحسان غلب حبه على القلوب
مع اليأس من انتشار احسانه لبعد المزار وتنائي الديار فاذا ليس حب الانسان مقصورا على من
احسن اليه فغلط بل المحسن في نفسه محبوب وان كان لا ينتهي احسانه الى المحب لان كل جمال وحسن فهو
محبوب والصور ظاهرة وباطنة والحسن والكمال يشملهما وتدرك الصور الظاهرة بالبصر الظاهر
والصور الباطنة بالبصيرة الباطنة فمن حرم البصيرة الباطنة لا يدركها ولا يلتذ بها ولا يحبها
ولا يميل اليها ومن كانت البصيرة الباطنة اغلب عليه من الحواس الظاهرة كان حبه للمعاني الباطنة اكثر
من حبه للمعاني الظاهرة فشتان بين من يحب نقشا مصورا على الحائط لجمال صورته الظاهرة وبين
من يحب نبيا من الانبياء لجمال صورته الباطنة ولا كمال في الجمال والجلال الا الله تعالى شأنه وهو الملك
المتعال ولا احسان الا منه كما يشير اليه قوله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله ولا يمكن ان يحب الا الله الا انه
مع قطع النظر عما تقتضيه صفاته الجمالية رجاء الجنة وعقوبة الجلال لما فيه من خوف العقوبة وما يوجبه صفات الافعال

الا فعاله من الاكرام والاحسان والانعام وهو اي الحب الذي لذاته من المواهب اللدنية والمراتب
العندية دون المكاسب العبدية كما ورد نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه بخلاف غيره اي غير
الحب لذاته من انواع الحب الاتية المعبر عنها بقوله ثم للكمال ثم للاحسان وهو اي الحب الذي للاحسان محبة
النفس اي نفس المحب في الحقيقة وان كان يطلق عليه محبة الله في ظاهر الشريعة والطريقة فاذن يرجع
الفرق الى تفاوت الرتبة والا فكل واحد يرجع الى محبة الانسان نفسه فكل من احب المحسن لاحسانه فما
احب ذاته تحقيقا بل احب احسانه وهو فعل من افعاله لو زال زال الحب مع بقاء ذاته ولو نقص نقص بعض
الحب ويتطرق اليه الزيادة والنقصان بحسب زيادة الاحسان ونقصانه وفي الاحياء ان الانسان لا يخفى
انه يحب نفسه ولا يخفى انه قد يحب غيره لاجل نفسه وهل يتصور ان يحب غيره لذاته لا لاجل نفسه هذا مما قد يشكل على
الضعفاء حتى يظنوا انه لا يتصور ان يحب الانسان غيره لذاته ما لم يرجع منه حظ الى المحب سوى ادراك ذاته فالحق
ان ذلك متصور وموجود ومن اظهر الكمالات مدرك ومشهود وذلك حب الجمال فان كل جمال محبوب عند كل مدرك للجمال وذلك لعين
الجمال لان ادراك الجمال فيه عين اللذة واللذة محبوبة لذاتها لا لغيرها ولا يظنن ان حب الصور
الجميلة لا يتصور الا لقضاء الشهوة فان قضاء الشهوة لذة اخرى قد تحب الصور الجميلة لاجلها وادراك نفس
الجمال ايضا لذيذ فيجوز ان يكون محبوبا لذاته وكيف ينكر ذلك والخضرة والماء الجاري محبوبان لا ليشرب الماء
او يؤكل الخضرة او ينال منهما حظ سوى نفس الرؤية فقد كان عليه السلام يحب الخضرة والماء الجاري كما روى
ابو نعيم في الطب النبوي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما انه عليه السلام كان يحب ان ينظر الى الخضرة والماء الجاري والطباع
السليمة من العوارض السقيمة قاضية باستلذاذ النظر الى الانوار والازهار والاطيار المليحة الالوان والاثار حتى
ان الانسان ليفرج عنه الغموم بالنظر اليها لا لطلب حظ وراء النظر فاذا ثبت ان الله جميل كان لا محالة محبوبا عند
من انكشف له جماله وجلاله كما ورد ان الله جميل يحب الجمال رواه مسلم من حديث ابن مسعود هذا وقد يكون
الموجب للمحبة مناسبة خفية بين المحب والمحبوب اذ رب شخصين تتأكد المحبة بينهما لا بسبب جمال او حظ بل بمجرد تناسب
الارواح دون تشاكل الاشباح كما ورد الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها
اختلف رواه مسلم من حديث ابي هريرة والتعارف هو التناسب والتناكر هو التباين ثم اعلم ان
المستحق للمحبة انما هو الله عز وجل وان من احب غير الله لا من حيث نسبته الى الله فذلك لجهله وقصوره في معرفة
ربه وانما يحب غيره من الانبياء والاصفياء لكونهم احباء له سبحانه ومحبوب المحبوب محبوب وان الاسباب
المحبة المتقدمة مجتمعة في حقه سبحانه بجملتها على وجه الدوام والكمال واما في حق غيره تعالى فلا يوجد الا احادها
على وجه النقصان والزوال وانها حقيقة في حقه عز وجل وفي حق غيره مجاز محض بل وهم وتخيل صرف
لا حقيقة له في شهود من له كمال في وجودهم فان العبد لا وجود له من ذاته بل هو محو محض وعدم صرف لولا
فضل الله عليه بالايجاد وهو هالك عقيب وجوده لولا فضل الله عليه بالابقاء والامداد ثم المحبة
ثمرة المعرفة تنعدم بانعدامها وتضعف بضعفها وتقوى بقوتها فلذا قال الحسن من عرف ربه احبه ومن
عرف الناس بعد منهم ومن عرف الدنيا زهد فيها ثم الله سبحانه هو المنفرد بالجود والاحسان والطول

والامتنان من غير غرض ولا عوض بخلاف احسان الانسان مع ان احسانه ايضا من جملة احسان
الملك المنان بل الاحسان على وجه كماله منه غير محال وكيف يكون غير محسن وذلك المحسن حسنة من
حسنات قدرته فانه خالق الحسن وخالق المحسن وخالق الاحسان وخالق اسباب الاحسان
ثم العلم باسباب المحبة فاين علم الاولين والاخرين من علم الله تعالى الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة
في السموات ولا في الارض ولقد خاطب الخلق كلهم فقال وما اوتيتم من العلم الا قليلا بل لو اجتمع اهل
الارض والسماء ان يحيطوا بعلمه وحكمته في تفصيل خلق نملة او بعوضة لم يطلعوا على عشر عشره كما قال
ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء فالقدر اليسير الذي علمه الخلائق كلهم فبتعليمه علموه كما قال تعالى خلق
الانسان علمه البيان ثم لا قدرة ولا قوة الا بالله فان العبد لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا
موتا ولا حياة ولا نشورا وما هو قادر عليه من نفسه وغيره فليست قدرته من نفسه وبنفسه بل الله
خالقه وخالق قدرته وخالق اسبابه والممكن له منه ذلك ولو سلط بعوضة على اعظم ملك واقوى ملك
لاهلكته فليس للعبد قوة الا بتمكين مولاه كما يشير اليه حديث لا قوة الا بالله وكما قال في اعظم ملوك
الارض انا مكنا له في الارض واتيناه من كل شيء سببا والسموات مطويات بيمينه والارض ومن
عليها جميعا في قبضته وناصية جميع المخلوقات بيد قدرته ان اهلكهم عن اخرهم لم ينتقص من سلطانه
وملكه ذرة وان خلق امثالهم الف الف مرة لا يزيد في كماله سبحانه ذرة وليس كمال لغير الله الا بقدر
ما اعطاه وانما له كمال معرفته الى رتبة الاعتراف بالعجز عن معرفته ومنتهى نبوة الانبياء الاقرار
بالقصور عن وصفه ونعته كما قال سيد المرسلين عليه السلام لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك
وقال سيد الصديقين العجز عن درك الادراك ادراك فسبحان من لم يجعل للخلق طريقا الى معرفته
الا بالعجز عن معرفته فلو اوجب على العبد ان يحب الله لجماله وكماله وصفاته لا لغرض ولا عوض ميلا يم
قلب العبد في حال قد ذكر اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام ان اود الاوداء الي من عبدني لغير نوال
ولكن ليعطي الربوبية حقها وفي الزبور ومن اظلم ممن عبدني لجنة او نار لو لم اخلق جنة ونارا لم اكن
اهلا ان اطاع ومر عيسى عليه السلام على جماعة من العباد قد نحلوا وقالوا نخاف النار ونرجو الجنة
فقال مخلوقا خفتم ومخلوقا رجوتم ومر بقوم اخرين كذلك فقالوا نعبده لحبه وتعظيما لجلاله فقال
انتم اولياء الله معكم امرت ان اقيم وقال ابو حازم اني لاستحيي ان اعبد الله للعقاب والثواب فاكون
كالعبد السوء اذا لم يخف لم يعمل او كالاجير السوء ان لم يعط اجرا لم يعمل ثم المناسبة للمحبة بين الله وعبده
انه امر ان يتخلق باخلاقه في اكتساب محامد الصفات التي هي من النعوت الالهية كالعلم والبر والاحسان
واللطف وافاضة الرحمة على الخلق والنصيحة والارشاد لهم الى الحق فكل ذلك يقرب العبد من الله سبحانه
قرب الصفات ويشير الى تلك المناسبة قوله تعالى انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق
~~فكل ذلك يقرب العبد من الله سبحانه~~ اذ لم يستحق داود خلافة الله الا بتلك المناسبة واليه يومي قوله عليه
السلام ان الله خلق ادم على صورته اي على صفته الكمالية من صفات الجمال والجلال وقد ظن القاصرون

الظاهر ونرجو
الجنة

القاصرون ان لا صورة الا الصورة الظاهرة فشبهوا وجسموا وصوروا تصويرا كثيرا تعالى عن ذلك
علوا كبيرا واليه الاشارة بقوله تعالى في الحديث القدسي مرضت فلم تعدني قال وكيف ذلك قال مرض
عبدي فلان ولو عدته لوجدتني عنده وهذه المناسبة لا تظهر الا بالمواظبة على النوافل بعد احكام
الفرائض واتمام الشمائل كما قال تعالى لا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه
الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به كما رواه مسلم من حديث ابي هريرة وهذا موضع
يجب قبض عنان العلم عنه فقد تحزب الناس فيه الى قاصرين مالوا الى التشبيه الظاهر والى
غالين مسرفين جاوزوا حد المناسبة الى الاتحاد وقالوا بالحلول حتى قال بعضهم انا الحق وضل
النصارى في عيسى وقالوا هو الاله وقال اخرون تدرعت الناسوت باللاهوت وقال اخرون
اتحد به كما يقول الوجودية وهم طائفة ابن عربي بالمعية واما الذين انكشفت لهم استحالة التشبيه والتمثيل
والاتحاد والحلول واتضح لهم في ذلك حقيقة التنزيه فهم الاقلون عددا والاكثرون قدرا ولعل
ابا الحسن النوري كان ينظر من هذا المقام اذ غلبه الوجد في قول القائل بهذا الكلام «
لا زلت انزل في ودادك منزلا « تتحير الالباب عند نزوله « واثارها اي نتايج المحبة
واثارها خمسة الشوق وهو غلبة المحبة في مقام الذوق فورد طال شوق الابرار الى لقائي قال ابو الدردا
لكعب اخبرني عن اخص اية يعني في التوراة فقال يقول الله تعالى طال شوق الابرار الى لقائي واني الى لقائهم
اشد شوقا وقال مكتوب في جانبها من طلبني وجدني ومن طلب غيري لم يجدني فقال ابو الدردا اشهد
لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا الى الحب وسكت عنه مخرجه ومن دعا نبينا عليه السلام كما اخرجه
النسائي والحاكم اللهم اني اسالك الرضا بعد القضا وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر الى وجهك والشوق الى
لقائك وكان ابراهيم بن ادهم من المشتاقين قال فقلت يوما يا رب ان اعطيت احدا من المحبين لك ما يسكن
به قلبه قبل لقائك فاعطني ذلك فقد اضر بي القلق قال فرايت في النوم انه اوقفني بين يديه وقال يا ابراهيم
اما استحييت مني ان تسالني ان اعطيك ما يسكن به قلبك قبل لقائي وهل يسكن المشتاق قبل لقاء حبيبه
فقلت يا رب تهت في حبك ولم ادر ما اقول فاغفر لي وعلمني ما اقول فقال قل اللهم رضني بقضائك وصبرني
على بلائك واوزعني شكر نعمائك واوحى الله الى داود عليه السلام يا داود لو يعلم المدبرون عني كيف انتظا ري
لهم ورفقي بهم وشوقي الى ترك معاصيهم لماتوا شوقا الي وتقطعت اوصالهم من محبتي يا داود هذه
ارادتي في المدبرين عني فكيف ارادتي بالمقبلين علي يا داود احوج ما يكون عبدي الي اذا استغنى عني
وارحم ما اكون بعبدي اذا ادبر عني واجل ما يكون عبدي اذا رجع الي ومنها اي الشوق علامة التطلع
اي الاستشراف من وراء حجب الغيب الى الجمال اي جمال الحق وسبحان من احتجب باشراق نوره واختفى عن البصا ير
والابصار لشدة ظهوره ولذا قيل لقد ظهرت فلا تخفى على احد « الا على اكمه لا يبصر القمرا «
« لكن بطنت بما اظهرت محتجبا « فكيف يعرف من بالعزة استترا «
فهو الاول والاخر والظاهر والباطن وانبعاث القلب الى الطلب اي وقيام قلب العبد الى طلب الرب

فلقد كان الخواص يضرب صدره ويقول واشوقاه الى من يراني ولا اراه ويقال الشوق نار الله اوقدها
من نور بلائه الى اهل ولايته اشعلها في قلوب اوليائه حتى تحرق بها ما في قلوبهم من الخواطر والارادات
والعوارض والحاجات فيكونوا اي اهل صفة اصفيائه ربما يرتفع بالموت شوق اللقاء الى الملك فان لحصوله
حال النزع والاشراف ولا يرتفع شوق زيادة الانكشاف وهي الرؤية المعبر عنها بالزيادة في قوله تعالى
للذين احسنوا الحسنى وزيادة فللرؤية مراتب لا تتناهى لعدم تناهي تجليات الله الجمالية
الا انه لا بداية ومن جهة عدم نهاية التجليات الجمالية لاهل الجنة قال تعالى لهم ما يشاؤن فيها
ولدينا مزيد فتزايد النعيم ساعة فساعة كما يشير اليه قوله تعالى كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا
هذا الذي رزقنا من قبل الصورة واتوا به متشابها اي صورة لا ان الثاني يزيد على الاول لذة وكذا
من جهة عدم نهاية التجليات الجلالية لاهل النار قال عز وعلا فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا
كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب فلا يدخل تحت الحصر دركات اهل النار
كما لا يدخل في حيز الحصر درجات اهل الجنة فكل عارف في جنة عرضها السموات والارض من غير ان يضيق
على غيره اصلا الا انهم يتفاوتون في سعة منازلهم بقدر درجاتهم في اتساع نظرهم وسعة معارفهم
في مقاماتهم بهذا القدر ينبهك على ان معرفة الله تعالى الذ الاشياء ولذلك لا يجوز بدرجة النظر والرؤية الا
العارفون في الدنيا فالرؤية بقدر المعرفة لان المعرفة هي البذر الذي ينقلب في الاخرة مشاهدة كما
تنقلب النواة شجرة ومن لم يعرف الله في الدنيا لا يراه في العقبى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ولما كان
المعرفة على درجات متفاوتة كان التجلي ايضا على درجات مختلفة ولذا قال عليه السلام ان الله يتجلى
للناس عامة ولابي بكر خاصة كما رواه ابن عساكر من حديث جابر وذلك لانه لم يفضل الناس بشيء وقر
في صدره فيفضل لا محالة بتجل انفرد في سره وتوضيحه ان طينة الجنة لكل واحد فيها ما يشتهيه فمن لم يشته
الا لقاء الله فلا لذة له في غيره بل ربما يتأذى به اذ نعيم الجنة بقدر حب الله وحب الله بقدر معرفته
فاصل السعادات هي المعرفة التي عبر عنها الشرع بالايمان والاسلام والاحسان والله المستعان
فللعارفين في معرفتهم وفكرتهم ومناجاة الله لذات لو عرضت عليهم الجنة في الدنيا بدلا عنها لم
يستبدلوا بها لذة الجنة ثم الواصلون الى رتبة المعرفة ينقسمون الى اقويا المرادين المجذوبين فيكون
اول معرفتهم بالافعال ثم يترقون منها الى الفاعل والاولون يشار اليهم بقوله تعالى اولم يكف بربك
انه على كل شيء شهيد وبقوله شهد الله انه لا اله الا هو ومنه نظر بعضهم حيث قيل له بم عرفت ربك قال
عرفت ربي بربي ولولا ربي لما عرفت ربي والثاني اي الثاني يشار بقوله تعالى سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم
الاية وبقوله اولم ينظروا في ملكوت السموات وبقوله قل انظروا ماذا في السموات والارض وهذا الطريق هو
الاسهل على الاكثرين والاوسع على السالكين واليه اكثر دعوة القرآن المبين فالعارف لا يرى غير الله
ولا يعرف سواه ويعلم انه ليس في الوجود الا الله وافعاله اثر من اثار قدرته فهي تابعة فلا وجود لها بالحقيقة
وانما الوجود للواحد الحق الذي به وجود الافعال كلها ومن هذا حاله فلا ينظر في شيء من الافعال الا ويرى

به تعالى ثم يعرفون غيره والثاني الضعفاء المريدين من المجتهدين فيكون اول معرفتهم
صح

فيه الفاعل ويذهل عن الفعل من حيث انه ارض وسماء وشجر وما بل ينظر فيه من حيث انه صنعه
فلا يكون نظره مجاوزا له الى غيره مثل العالم يصنف الله فمن نظر اليها من حيث انها فعل الله كان الموحد
الحق الذي لا يرى الا الله بل لا ينظر الى نفسه من حيث نفسه بل من حيث انه عبد الله فهذا الذي يقال
انه فني في التوحيد وانه فني عن نفسه واليه الاشارة بقول من قال كنا بنا ففنينا عنا فبقينا نحن بلا
نحن ولذا قال ابو سليمان الداراني ان لله عبادا ليس يشغلهم عن الله خوف النار ولا رجاء الجنة فكيف
يشغلهم الدنيا عن الله وفي اخبار عيسى عليه السلام اذا رايت الفتى مشغوفا بطلب الرب فقد الهاه ذلك
عما سواه وقال ابو سليمان ايضا من كان اليوم مشغولا بنفسه فهو غدا مشغول بنفسه ومن كان اليوم
مشغولا بربه فهو غدا مشغول بربه وقال الثوري لرابعة ما حقيقة ايمانك قالت ما عبدته خوفا من نار
ولا رجاء لجنة فاكون كالاجير السوء بل عبدته حبا له وشوقا اليه وقالت في معنى المحبة نظما احبك حبين حب
الهوى ، وحبا لانك اهل لذاكا ، فاما الذي هو حب الهوى ، فشغلي بذكرك عمن سواكا ،
واما الذي انت اهل له ، فكشفك للحجب حتى اراكا ، فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي ،
ولكن لك الحمد في ذا وذاكا ، ولعلها ارادت بحب الهوى حب الله لاحسانه اليها وبانعامه
عليها بحظوظ العاجلة وبحبه لما هو اهله الحب لجلاله وجماله الذي انكشف لها وهو اعلى الحبين واقواهما
وقد قيل لرابعة ما تقولين في الجنة قالت الجار ثم الدار فبينت انه ليس في قلبها التفات الى الجنة بل الى رب
الجنة وبذلك يشير قول امية بن ابي الصلت كن بنا في الجنة بهذا ومن عرف الله عرف ان اللذات المفرقة
والشهوات المختلفة كلها تنطوي تحت هذه اللذة كما قال كانت لقلبي اهواء مفرقة ،
فاستجمعت مذ راتك العين اهوائي ، وصار يحسدني من كنت احسده ، وصرت مولى الورى مذ صرت مولائي
تركت للناس دنياهم ودينهم ، شغلا بذكرك يا ديني ودنيائي ، وقال بعضهم
ومهجور اعظم منه نار ، ووصل اطيب منه جنته ، وما ارادوا بهذا الا ايثار لذة القلب في معرفة الرب
على لذة الاكل والشرب والجماع ونحوها فان الجنة معدن تمتع الحواس فاما القلب فلذته في لقاء الله
في مقام الاستئناس الانس لجنة من اثار المحبة وهو اي الانس غلبة الفرح بالقرب الى الرب وقصر
النظر على المطالعة اي مراقبته ومشاهدة جماله قيل للاستئناس بالناس علامة الافلاس ومن
انس بالله توحش عن خلق الله وفي اخبار داود عليه السلام ان الله تعالى قال يا داود ابلغ اهل ارضي
اني حبيب لمن احبني وجليس لمن جالسني وانيس لمن انس بذكري وصاحب لمن صاحبني ومختار لمن
اختارني ومطيع لمن اطاعني ما احبني عبد اعلم ذلك يقينا من قلبه الا قبلته لنفسي واحببته حبا لا يتقدم
اليه احد من خلقي من طلبني بالحق وجدني ومن طلب غيري لم يجدني فارفضوا يا اهل الارض ما انتم عليه من
غرورها وهلموا الى كرامتي ومصاحبتي ومجالستي ودوروا بها فانسوا بي اونسكم واسارع الى محبتكم
فاني خلقت طينة احبائي من طينة ابراهيم خليلي وموسى نجيي ومحمد صفيي واني خلقت قلوب المشتاقين من نوري
ونعمتها بجلالي وفي اخبار داود عليه السلام ايضا ان الله اوحى اليه قل لعبادي المتوجهين الى محبتي ما ضركم

اذا احتجب عن خلقي ورفعت الحجاب فيما بيني وبينكم حتى تنظروا الي بعيون قلوبكم وما ضركم ما زويت
عنكم منه الدنيا اذا بسطت لكم كرامتي وما ضركم سخطة الخلق اذا التمستم رضاي وفي الخبر ايضا ان
الله اوحى اليه ان كنت تحبني فاخرج حب الدنيا من قلبك فان حبي وحبها لا يجتمعان في قلب يا داود
خالص احبتي مخالصة وخالط اهل الدنيا مخالطة ومن لطائف كلمات اهل الانس بالحق ما حقق صدر من صحبة
من معاشرة الخلق والتحقق بعذوبة الذكر ولذاذة الفكر فان خالط فهو متفرد في جماعة ومجتمع في
خلوة وغريب في حضر وحاضر في سفر وشاهد في غيبة وغائب في شهود ومخالط بالقالب ومباين
بالقلب ويفارق الانس الشوق بكونه اي الانس حالة الملاصقة اي الحاضر وذلك اي الشوق
حالة الملاصقة الى الاتي اي البعيد الغائب ومن هنا نظر بعضهم حيث قيل له انت مشتاق فقال انما الشوق
الى الغائب فاذا كان الغائب حاضرا فالى من اشتاق فهذا الكلام مستغرق بالفرح لما ناله غير ملتفت
الى ما بقي في الامكان من مزايا الالطاف ومن غلب عليه حال الانس لم تكن شهوته الا في الانفراد والخلوة ة
كما حكي ان ابراهيم بن ادهم نزل من الجبل فقيل له من اين اقبلت فقال من الانس بالله وذلك لان
الانس بالله يقتضي التوحش من غير الله بل كلما يعوق عن الخلوة فيكون من اثقل الاشياء على القلب
كما روي ان موسى عليه السلام لما كلمه ربه مكث دهرا لا يسمع كلام احد من الناس الا اخذه الغشيان ن
لان الحب يوجب عذوبة كلام المحبوب وعذوبة ذكر المطلوب فيخرج عذوبة ما سواه من القلوب وقال
بعض الحكماء في دعائه يا من انسني بذكره واوحشني من خلقه وقال الله لداود عليه السلام كن لي مشتاقا
ومن سواي مستوحشا وقيل لرابعة بم بلغتي هذه المنزلة قالت بتركي ما لا يعنيني والانس بمن لم يزل وقيل
ذاق حلاوة الوحدة استوحش من نفسه الوجل وكانه يشير الى قول من قال وجودك ذنب لا يقاس به ذنب
وعن علي كرم الله وجهه في وصف اهل الانس هم خواص الانس هم قوم هجم بهم العلم على حقيقة الامر
فباشروا روح اليقين واستلانوا ما استوعر المترفون وانسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا
الدنيا بابدان ارواحها معلقة بالمحل الاعلى اولئك خلفاء الله في ارضه والدعاة الى دينه وقد قيل
الانس بالله لا يحويه بطال ؛ وليس يدركه بالحول محتال ؛ والانسون رجال كلهم نجب ؛ وكلهم صفوة لله عمال ؛
ويجدي اي يثمر الانس الانبساط اي النشاط على حاشية البساط بالاقوال والافعال والمناجاة على سبيل
الدلال كما ورد في التنزيل واذ قال ابراهيم رب ارني كيف تحي الموتى وقال موسى رب ارني انظر اليك الخ
فالاول اي اجيب ابراهيم بقوله فخذ اربعة من الطير الاية لوجود الشرط فيما طلبه واعتذر في الثاني اي جواب
موسى بقوله لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني لفقده اي لفقد الشرط وعدم
كما بينه بقوله فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا والسؤال الانبساطي وجود المقتضي للانبساط لموسى عليه السلام من لوعة
على ما صدر عنه السؤال والكلام كما احترق قوم الكليم عليه التسليم حيث قالوا ارنا الله جهرة فاخذتهم
الصاعقة وهم ينظرون فان الانبساط قد يكون منكر الصورة لما فيه من الجراة وقلة الهيبة ولكنه محتمل ممن
اقيم مقام الانس كموسى عليه السلام ومن لم يقم في ذلك المقام وتشبه بهم في الفعل والكلام هلك به واشرف

واشرف على الكفر بسببه كما في قوم موسى ومثاله مناجاة برخ الاسود الذي امر الله تعالى موسى كليمه
عليه السلام ان يساله ان يستسقي لبني اسرائيل بعد ان قحطوا سبع سنين وخرج موسى عليه
السلام ليستسقي لهم في سبعين الفا فاوحى الله اليه كيف استجيب لهم وقد اظلمت عليهم ذنوبهم وسرائرهم
خبيثة يدعونني على غير يقين ويامنون مكري ارجع الى عبد من عبادي يقال له برخ فقل له يخرج حتى
استجيب له فسال عنه موسى عليه السلام فلم يعرف فبينما موسى يمشي ذات يوم في طريق اذا بعبد اسود
قد استقبله بين عينيه تراب من اثر السجود في شملة قد عقدها على عنقه فعرفه موسى عليه السلام بنور الله
فسلم عليه فقال له ما اسمك فقال اسمي برخ فقال انت طلبتنا منذ حين فاستسق لنا فقال في كلامه ما هذا
من فعالك وما هذا من حلمك وما الذي بدا لك انقصت عليك عيونك ام عاندت الرياح عن طاعتك
ام نفد ما عندك ام اشتد غضبك على المذنبين الست كنت غفارا قبل خلق الخطائين خلقت الرحمة
وامرت بالعطف ام ترينا انك ممتنع ام تخشى الفوت فتعجل بالعقوبة قال فما برح برخ حتى اخضلت بنو
اسرائيل بالقطر وانبت الله العشب في نصف يوم حتى بلغ الركب قال فرجع برخ فاستقبله موسى عليه السلام
فقال كيف رايت حين خاصمت ربي كيف انصفني فهم موسى عليه السلام به فاوحى الله اليه ان برخا
يضحكني كل يوم ثلاث مرات وعن الحسن قال احترقت اخصاص البصرة فاخبر بذلك فبعث الى صاحب
الخص فاتي بشيخ فقال له يا شيخ ما بال خصك لم يحترق قال اقسمت على ربي عز وجل ان لا يحرقه فقال ابو موسى
اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يكون في امتي قوم شعثة رؤوسهم دنسة ثيابهم لو اقسموا على
الله لابرهم رواه ابن ابي الدنيا في كتاب الاولياء قال الحسن ايضا ووقع حريق بالبصرة فجاء ابو عبيدة
الخواص فجعل يتخطى النار فقال له امير البصرة انظر لا تحترق بالنار فقال اني اقسمت على ربي عز وجل ان لا يحرقني تمم
بالنار قال فاعزم عليها ان تطفا فعزم عليها فطفئت وكان ابو حفص يمشي ذات يوم فاستقبله رستاقي
مدهوش فقال له ابو حفص ما اصابك قال ضل حماري ولا املك غيره فوقف ابو حفص وقال وعزتك لا اخطو
خطوة حتى ترد عليه حماره قال فظهر الحمار في الوقت ومر ابو حفص رحمه الله فهذا وامثاله يجري لذوي
الانس وليس لغيرهم ان يتشبه بهم قال الجنيد اهل الانس يقولون في كلامهم ومناجاتهم في خلواتهم
اشياء هي كفر عند العامة لو سمعها العوام لكفروهم وهم يجدون المزيد في احوالهم وذلك يحتمل منهم ويليق
بهم واليه اشار القائل قوم تخالجهم زهو بسيدهم ؛ والعبد يزهو على مقدار مولاه ؛
تاهوا برؤيته عما سواه له ؛ يا حسن رؤيتهم في عز ما تاهوا ؛
ومن الانبساط قول موسى عليه السلام ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء وقوله في الاعتذار
لما قيل له اذهب الى فرعون وقومه فقال ولهم علي ذنب فاخاف ان يقتلون والى ذلك اي الى الاول من
المراتب في مقام الانس هو ترك الانبساط في حضرة المولى والتعفف عن السؤال في رتبة الانتقال الى صوال كما
كان له عليه السلام في تحويل القبلة حيث كان متادبا في مقام الانس والدلال فاكتفى بالحال عن
السؤال تبعا للخليل حيث قال حسبي من سؤالي علمه بحالي كما يشير اليه قوله سبحانه قد نرى تقلب وجهك

فبعث الى خص لم يحرق
وابو موسى امير يومئذ بالبصرة
صح

في السما فهو يسكن فيه بترجمة كما اي نجيبي وتهواها والقرب ايضا من اثار المحبة كما يشير اليه حديث لا يزال
العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احبه وتهوى القرب زوال كل معترض اي شاغل ومانع عن ذكره تعالى
وفكره وتهوى المعترض انما هو النفس اي متابعة هواها ومطاوعة مشتهاها فانه تعالى افرايت من
اتخذ الهه هواه وورد ابغض اله عبد في الارض الهوى ومثل وجودك ذنب لا يقاس به ذنب والشيطان
لانه يدعو حزبه الى الطغيان في الدنيا والى النيران في العقبى ولان نسبة الاضلال اليه ايضا قد
يبعد عن حقيقة صفة الجلال فانه من اسباب الضلال كما ان النبي سبب الهداية فاضافة الهداية الى النبي
في قوله وانك لتهدي الى صراط مستقيم مجاز وانك لا تهدي من احببت حقيقة ومنه المجاز في جانب الاضلال
قول الخليل رب انهن اضللن كثيرا من الناس فهو الله سبحانه هو الهادي والمضل من يهد الله فلا
مضل له ومن يضلله فلا هادي له ويضل من يشاء ويهدي من يشاء وهو اعلم بالمهتدين كما هو اعلم
بالضالين والخلق لا من مخالطتهم عادة تدعو الى الغيبة والبعد عن قرب الرب لا سيما حب الاهل
والولد والاحباب والاصحاب والعقار من البساتين والمتنزهات من الدار في الاياد حتى النوح
بطيب اصوات الاطيار وروح نسيم الاسحار فبقدر انسه وقربه الى غير الله يبعد عن انسه وقربه
الى مولاه كما انه لا يقرب الانسان من المشرق الا ويبعد من المغرب بالضرورة بقدره الا لمن
وصل الى مقام جمع الجمع بحيث لا تحجبه الوحدة عن الكثرة ولا الكثرة عن الوحدة والدنيا فان قطع
علائقها ورفع عوائقها واخراج حب غير الله من القلب هو الموجب لقرب الرب فان القلب مثل
الاناء الذي لا يتسع للخل والهواء لم تحل منه الاناء وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وكمال الحب المورث
للقرب ان يحب الله بكل قلبه وما يلتفت الى غيره فزاوية من قلبه مشغولة بغيره فبقدر ما يشتغل بغير
الله وحبه وقربه ينقص منه حب الله ويبعد عن قرب ربه وبقدر ما يبقى في الاناء من الماء ينقص منه الخل او
الهوا ويشير الى هذا التفريد والتجريد قوله سبحانه قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون وقوله ان الذين
قالوا ربنا الله اي في مقام التوحيد ثم استقاموا على مقام التجريد وقدم التفريد بل هو معنى قولك
لا اله الا الله اي لا معبود ولا موجود ولا مشهود سواه وكمال الي القرب الغيبة في رؤية فعله اي غيبة
العبد في رؤية افعال ربه حتى لا يرى نفسه ايضا فاعلا في الحقيقة كما ورد في التنزيل وما رميت اذ رميت — فعلى وحقيقة صح
كسبا او مجازا وقد سبق تحقيقه وتدقيقه وحاصل المرام في هذا المقام ان الحبيب هو القريب من الله والقرب
من الله هو البعد من صفات البهائم ونعوت الشيطان والتخلق بمكارم الاخلاق التي هي اخلاق الرحمن
فهو قرب بالصفة لا بالمكان ومن لم يكن قريبا وصار قريبا فقد تغير فربما يتوهم من هذا ان القرب لما
تجدد فقد تغير وصف العبد والرب جميعا اذ صار قريبا بعد ان لم يكن وهو محال في حق الله تعالى اذ التغير
بحكمه الحال بل لا يزال في نعوت الكمال وصفات الجمال والجلال على ما كان عليه في الازل فكلما
صار العبد اكمل صفة واتم معرفة واثبت قوة في قهر النفس والشيطان صار اقرب الى الرحمن فمنتهى الكمال
لله وقرب كل واحد منه بقدر كماله في التخلق باخلاق الله وافعاله والا تعالى ايضا من اثار المحبة و

بيان — وليس المراد بالاتصال هنا ضد الانفصال ولا ذاك لا وتهوى الاتصال يراد به المكاشفة والمشاهدة
في مقام المراقبة والمشاهدة اقوى من المكاشفة اذ يتصور وهم الخلاف في المكاشفة بخلاف المشاهدة
والحاصل ان المكاشفة اول نتايج المجاهدة والمشاهدة نهاية المساعي ويشير اليه قوله عليه
السلام بعد ذكر الايمان والاسلام الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه
يراك وقيل المحاضرة ابتدا والمكاشفة بعد والمشاهدة انتهاء فالمحاضرة حضور القلب وقد يكون
بتواتر البرهان وهو بعد وراء الستر وان كان حاضرا باستيلاء الذكر والمكاشفة حضوره بنعت
تأمل — البيان غير مفتقر الى الدليل وطلب سبيل والمشاهدة هو وجود الحق من غير بقاء تهمة ولا ريب فاذا
صحى سماء السر اي عن غيوم الاستار فشمس الشهود مشرقة عن برج شرق الانوار كذا في ارشاد
شعر — المريدين وهو تعبير علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين «عباراتنا شتى وحسنك واحد
وكل الى ذاك الجمال يشير» كما في قول ابن عمر رضي الله عنهما كنا نترأى الله تعالى في ذلك المكان اي نتكلف في
مشاهدته او نجتهد حتى نصل الى مرتبة رؤيته ونتزله حضرته في ذلك الحال الذي هو على التنزل جل البرهان
وانما قال هذا الكلام حال كونه معتذرا عن ترك رد السلام لبعض الصحابة الكرام في الطواف اي في
حال طواف بيت الله الحرام وحارثة اي وكما في قول حارثة للنبي عليه السلام كما سبق في تحقيق المقام وما ورد
اي وكما فيما ثبت لعبد الله وهذا النقل بالمعنى والصواب ان ينقل بالمبنى وهو ان تعبد الله كأنك
تراه وهذا اعلى مقام للعبد واقصاه وادناه فكما يشير اليه اخر الحديث فان لم تكن تراه فانه يراك
وقد بسطنا القول فيه في شرح الاربعين وهو الحصن المعين ومحبة الله مع العبد اي للعبد ايضا من اثار
محبة العبد لله سبحانه وورد في التنزيل ما يدل على ثبوت المحبة من الجانبين حيث قال يحبهم ويحبونه
وفي تقديم يحبهم ايماء الى ان الاصل هو المحبة الازلية السماوية الموجبة لمحبة العبد المحبة الابدية وورد في
الحديث اذا احب الله عبدا ابتلاه بالمصائب على قدر ماله من المراتب فان اشد الناس بلاء الانبيا
ل — ثم الامثل فالامثل فان احبه الحب البالغ اقتناه واقتنا المال وعن اتخاذه قنية فالمعنى اختاره
من بين خلقه وجعله من خواص مملكته وفي رواية قيل وما اقتناه قيل لم يترك له اهلا ولا مالا اي في قلبه
فعلى هذا من محبة الله ان يوحشه من غيره ويحول بينه وبين غيره كما يشير اليه قوله واعلموا ان الله يحول
م — بينه وبين قلبه رواه الطبراني وفي رواية اذا احب الله عبدا ابتلاه فان صبر على بلائه اجتباه فان
دل ثه وان رضي بما عطاه اصطفاه لمقام لقائه وعن بعض العلماء اذا رايتك تحبه ورايته يبتليك
فاعلم انه يريد ان يصافيك والحديث الثاني ذكره صاحب الفردوس من حديث علي ولم يخرجه ولده في
مسنده وقد يتوهم من المتن انهما حديث واحد وليس كذلك كما بيناه وورد ايضا اذا احب الله عبدا من عليه
فجعل له واعظا من نفسه يبصره بعيوب نفسه ويعرفه طريق النفس وزاجرا من قلبه يامره بالخير
وينهاه عن الشر والحديث رواه ابو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ام سلمة باسناد حسن لكن
بلفظ اذا اراد الله بعبد خيرا الحديث وله من حديث انس اذا اراد الله بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه وورد من

حديث انس كما رواه الديلمي اذا احب الله عبدا لم يضره ذنب والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ثم تلا
ان الله يحب التوابين ومعناه انه اذا احبه تاب عليه قبل الموت فلم تضره الذنوب الماضية وان كثرت
كما لا يضر الكفر الماضي قبل الاسلام وان كبر وقال عليه السلام ان الله تعالى يعطي الدنيا من
يحب ومن لا يحب ولا يعطي الايمان الا من يحب رواه احمد والحاكم وصححه من حديث ابن مسعود ولاحمد
وابي يعلى من حديث ابي سعيد اكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون عن رابعة من احب شيئا اكثر ذكره فذكر الله
علامة لمحبة الله ولمحبة العبد اياه وفي الصحيحين من احب لقاء الله احب الله لقاءه وقال زيد بن اسلم
ان الله تعالى ليحب العبد حتى يبلغ من حبه له ان يقول اعمل ما شئت فقد غفرت لك ويؤمن انه ورد
مثل هذا في اهل بدر ومعناها اي معنى محبة الله للعبد ان يبتليه اي يبتليه بما يحب كما قد يحب العبد للمولى ان
يبتليه بالسبب الموروث لزيادة الولاء واما عكس محبة العبد مع محبوبا له سبحانه ان يتولى الله شانه ظاهره
وباطنه سره وجهره فيكون هو المشير عليه والمدبر امره والمزين اخلاقه والمستعمل لجوارحه
والمسدد لظاهره وباطنه والجاعل همومه هما واحدا من ذكر ربه والمبغض للدنيا في قلبه والموحش له
من غيره والمونس له بلذة المناجاة في خلوته والكاشف له عن الحجب بينه وبين معرفته فانظر الى تحقيق
هذا المعنى في الدعوى وما عكس المعنى وقد قال بعض العلماء ليس في الجنة نعيم اعلى من نعيم اهل المحبة
والمعرفة ولا في جهنم عذاب اشد من عذاب من ادعى المعرفة والمحبة ولم يتحقق بشيء من ذلك وقد جاء
عن بعض المتبحرين من المفسرين في قوله سبحانه ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم
مسودة انهم هم الذين ادعوا المعرفة والمحبة غير تحقق تلك الحالة فلن يصلح العبد لغيره اي لغير مولاه
فيما قدمته ومعناه كما ورد في التنزيل واصطنعتك اي اخترتك بالرسالة لنفسي اي لمعرفة ذاتي وصفاتي
وعلاماتها اي امارات محبة العبد لله ثمانية كتبي زمانه فقد يدخل في الدعوى كما يجي وزهد المعنى
ويريد عليه في المعنى فتنقطع عليه العقوبة في العقبى وتتعجل عليه البلوى في الدنيا لكون ذلك من
الافتراء على الله سبحانه من اظلم ممن افترى على الله كذبا نعم قد يكون للمحب سكر في حبه حتى
يدهش في عقله ولبه فيضطر الى اظهار حبه لربه والى افشاء سر قلبه فيعذر لا سرار ولقد قال
بعض الابرار شعر من اطلعوه على سر فنم به ۰ لم يامنوه على الاسرار ما عاشا ۰ وحب الموت
فانه سبب اللقاء ولذا قال عليه السلام لن تروا ربكم حتى تموتوا وقال حذيفة حبيب جاء على فاقة
لا افلح اليوم من ندم ومن وصيته لابي بكر لعمر رضي الله عنهما الحق ثقيل وهو مع ثقله مري والباطل
خفيف وهو مع خفته وبي فان حفظت وصيتي لم يكن غائب احب اليك من الموت وهو مدركك
وان ضيعت وصيتي لم يكن غائب ابغض اليك من الموت ولن تعجزه وكان الثوري وبشر الحافي
يقولان لا يكره الموت الا المريب لان الحبيب على كل حال لا يكره لقاء الحبيب نعم من يكون في
ابتداء مقام المحبة ليس يكره الموت بل يكره عجلته قبل ان يستعد للقاء ربه وعلامة المداومة على الطاعة عة
والاستغراق الهمم في استعداد زاد المعاد وان يكون موثرا ما احبه الله على ما يحب نفس العبد وهو اولى ان

فان من بقي مستمرا على موافقة الهوى فمحبوبه ما يهواه بل ترك المحب هو نفسه لهوى محبوبه كما قيل
اريد وصاله ويريد هجري ۰ فاترك ما اريد لما يريد ۰ والطاعة اي المداومة على الطاعة بقدر
الاستطاعة فمن احب الله لا يتبع هواه كما قال ابن المبارك
تعصي الاله وانت تظهر حبه ۰ هذا لعمري في الفعال بديع ۰
لو كان حبك صادقا لاطعته ۰ ان المحب لمن يحب مطيع ۰ وفي هذا المعنى
بديع المبنى ۰ واترك ما اهوى لما قد هويته ۰ وارضى بما يرضى وان هلكت نفسي ۰ والتلذذ في
العبادة بالمواظبة على الذكر والمداومة على الفكر وكثرة التلاوة فقد حكي عن بعض المريدين قال كنت
قد وجدت حلاوة المناجاة في بداية الارادة فادمنت قراءة القرآن ليلا ونهارا ثم لحقتني فترة فانقطعت
عن التلاوة قال فسمعت قائلا يقول في منامي ان كنت تزعم انك تحبني فلم جفوت كتابي اما تدبرت
ما فيه من لطيف عتابي وشريف خطابي فانتبهت وقد اشرب في قلبي تلاوة القرآن فعاودت الى
حالي وقال ابن مسعود لا ينبغي ان يسال احدكم عن نفسه الا القرآن فان كان يحب القرآن فهو يحب
الله عز وجل وان لم يكن يحب الله عز وجل وقال سهل علامة حب الله حب القرآن وعلامة حب الله وحب
القرآن حب النبي عليه السلام وعلامة حب النبي حب السنة وعلامة حب السنة حب الآخرة وعلامة
حب الآخرة بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا ان لا ياخذ منها الا زادا يبلغه الى العقبى وعن مطرف
ان المحب لا يسأم من حديث حبيبه واوحى الله الى داود عليه السلام قد كذب من ادعى محبتي فاذا جنه
الليل نام عني اليس كل حبيب يحب لقاء حبيبه فها انا موجود لمن طلبني وقال يحيى بن معاذ من احب الله
ابغض نفسه اي ان نفى ما سواه وقال ايضا من لم يكن فيه ثلاث خصال فليس بمحب يوثر كلام الله على
كلام الخلق ولقاء الله على لقاء الخلق والعبادة على خدمة الخلق ثم اعلم انه ليس في الوجود غيره سبحانه
في عين اهل الشهود وهو ذاته وصفاته ومصنوعاته ولذا ذكر عن الشيخ ابي سعيد المهني لما قرئ عليه قوله
يحبهم ويحبونه قال بحق يحبهم فليس يحب الا نفسه على معنى انه الكل وان ليس في الوجود غيره فمن لا يحب
الا نفسه وافعال نفسه وتصانيف نفسه فلن يجاوز حبه ذاته وتوابع ذاته من حيث انها متعلقة بذاته
فهو اذا لا يحب الا نفسه كما ان العارف لا يحب جميع مصنوعات الله ومكنوناته الا من حيث انها اثار
قدرته وانوار ارادته واسرار صفاته وقد ورد من الالفاظ في حبه عبارات فما اول معناه يرجع معناه الى
كشف الحجاب عن قلبه حتى يراه بقلبه ويناجيه بلبه والى تمكينه اياه من قربه والى ارادته ذلك به في ازله
فمحبته لمن احبه ازلية مهما اضيف الى الارادة الالهية الازلية التي اقتضت تمكين هذا العبد من سلوك
طريق القرب الى الرب واذا اضيف الى فعله الذي يكشف الحجاب عن قلب عبده فهو حادث يحدث بحدوث
سببه الذي يقتضيه كما قال لا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فيكون تقربه بالنوافل سببا لصفا
باطنه وارتفاع الحجب عن قلبه وحصوله في درجة القرب من ربه وكل ذلك فعل الله ولطفه به فهو معنى حبه
وجملة الكلام في هذا المقام ان حب العبد لله ثمرة حب ربه الازلي ونتيجة حب ربه الابدي فحب العبد مكتنف

القرآن فلم يحبه

بين حبي الرب كما يشير اليه قوله سبحانه يحبهم ويحبونه مع قوله قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم
الله ثم لا يخفى ان مراتب الحب وما فيه من الدرجات انما تكون على قدر الطاعة والعبادات ويدل
على تفاوت المقامات ما روي ان ابا حذيفة بن ربيعة بن عبد شمس لما زوج اخته فاطمة من سالم
مولاه عاتبته قريش في ذلك وقالوا انكحت عقيلة من عقائل قريش مولى فقال والله لقد انكحته
اياها واني لا علم انه خير منها فكان قوله اشد عليهم من فعله قالوا كيف وهي اختك وهو مولاك
فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من اراد ان ينظر الى رجل يحب الله بكل قلبه فلينظر الى
سالم كذا في الاحياء وقال مخرجه لم اجده الا من حديث ابي حذيفة وروى ابو نعيم في الحلية المرفوع منه
من حديث عمر ان سالما يحب الله حقا من قلبه وفي رواية ان سالما شديد الحب لله عز وجل لو لم يخف
الله عز وجل ما عصاه فهذا يدل على ان من الناس من يحب الله بكل قلبه فيحبه ويحب غيره ايضا فلا
جرم يكون نعيمه بلقاء الله عند قدومه عليه على قدر حبه له وعذابه بفراق الدنيا عند الموت على قدر
حبه لها وتعلقه بها وقد قال بعض العارفين اذا كان الايمان في ظاهر القلب احب الله حبا متوسطا
واذا دخل سويداء القلب احبه الحب البالغ وترك المعاصي وقال الجنيد الناس في محبة الله عام وخاص
فالعوام نالوا ذلك بمعرفتهم في دوام احسانه اليهم وكثرة نعمه عليهم فلم يتمالكوا ان احبوه الا انهم تقل
محبتهم وتكثر على قدر نعمه عليهم ثلث ويشير الى ذلك قوله تعالى فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم من
جوع وامنهم من خوف بل آمالهم الى رجائهم الجنة وخوفهم النار في دار القرار ومن ههنا قال الشبلي لما سمع
قوله تعالى منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الاخرة آه فاين من يريد الله وقد اجتمع عن هذا في بعض
مؤلفاتي والمحبة اي والتلذذ في البلية لما يرى فيها من فعل المبتلي شيوا يكون في مقام الصبر او الرضا
او الشكر والحرص في الخلوة عن الخلق دون الجلوة لانها غالبا تمنع عن مشاهدة الحق واقل
درجات الحب التلذذ بالخلوة والتنعم بمناجاته من دون الرياء والسمعة فمن كان المنام والاشتغال
بكلام الدنيا الاعنه من العبادة واطيب من مناجاة الله فكيف تصح محبته فعلامة الحب كمال
الانس بمناجاة المحبوب وكمال التنعم بالخلوة به وكمال الاستيحاش من كل ما ينغص عليه الخلوة ويعوقه
عن لذة المناجاة ومن علامة الانس ان يصير العقل والفهم كله مستغرقا بلذة المناجاة كالذي يخاطب
معشوقه ويناجيه وقد انتهت هذه اللذة ببعضهم حتى كان في صلاته فوقع الحريق في داره ولم يشعر
به وقطعت رجل بعضهم بسبب علة اصابته وهو في الصلاة ولم يشعر به وعن الصديق من ذاق من
خالص محبة الله شغله ذلك عن طلب الدنيا واوحشه من جميع البشر والمناجاة اي والحرص في الدعاء والندا
والثناء في جميع الحالات والمقامات فيواظب على التهجد ويغتنم هدو الليل وصفاء الوقت عن الخلائق
بانقطاع العلائق وانفصال العوائق ومبغض الدنيا بان لا يأخذ منها الا الزاد للعقبى من سلوك
طريق المولى ومن اخبار داود عليه السلام ما تشاغل الادمي خلق فاني انما اقطع عن رجلين رجل
استبطأ ثوابي فانقطع ورجل نسيني فرضي بحاله وعلامة ذلك ان اكله الى نفسه وان ادعه في الدنيا

في الدنيا حيران ثم مهما انس بغير الله كان بقدر انسه بغير الله مستوحشا من الله ساقطا عن درجة
محبته ومن قصة برخ وهو العبد الاسود الذي استسقى به موسى عليه السلام ان الله تعالى قال لموسى
ان برخا نعم العبد هو الا ان فيه عيبا قال يا رب وما عيبه قال يعجبه نسيم الاسحار فيسكن اليه ومن
احبني لم يسكن الى شيء والوحشة من الخلق لان محبة الله ومحبة غيره لا يجتمعان واتحاد الهم
هم الدين اي ورد من جعل الهموم هما واحدا كفاه الله هم الدنيا والاخرة وقال بعض العارفين ان لله
تعالى عبادا احبوه فاطمانوا اليه فذهب عنهم التاسف على كل فائت فلم يتشاغلوا بحظ انفسهم اذ كان
ملك مليكهم تاما وما شاء كان فما كان لهم فهو واصل اليهم وما فاتهم فبحسن تدبيره لهم ثم حق المحب
اذا رجع من غفلة في لحظة ان يقبل على محبوبه ويشتغل بالعتاب لنفسه ويناديه ويقول يا رب باي
ذنب قطعت برك عني وابعدتني عن حضرتك وشغلتني بنفسي وبمتابعة الشيطان وطريقها اي طريق
تحصيل المحبة السلوك اي سير مسالك اهل الشريعة والطريقة والحقيقة من منازل السائرين ومراحل
الطائرين وقد قيل ان الطرق الى الله تعالى بعدد انفاس الخلائق وفيه تنبيه على ان كل مخلوق
له سر مع خالقه لا يطلع عليه الا من هو اقرب منه اليه ومن هذا قال تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده
ولكن لا تفقهون تسبيحهم ثم اقرب الطرق الى الله تعالى هو المحبة وهي حاصلة بمتابعة الكتاب والسنة ومخالفة
الهوى والبدعة وتمامه باجتناب السيئات من المحرمات والمكروهات واكتساب الطاعات من الفرائض
والنوافل من السنن المؤكدات والمستحبات فورد لا يزال العبد يتقرب الي بعد اداء الفرائض والواجبات
والسنن الرواتب بالنوافل من الصلاة والطواف والاذكار والدعاء وكالسجنة العلماء حتى احبه حب
يليق بارباب المناقب في ذا المحبة حب يليق كنت له سمعا يسمع بي وبصرا يبصر بي وقلبا يعقل
بي ويدا يبطش بي ورجلا يمشي بي رواه البخاري وغيره بالفاظ مختلفة فينتج ذلك من السالك
صفاء ذكره ورقة قلبه ودقة فكره يكفر عنه ما سبق من الغفلة ويكون هفوته سببا لتجدد ذكر ربه وصفاء
قلبه ومنها انه من المحب ان المحبوب ولم ير شيئا الا منه لم يأسف على فقد المطلوب واستقبل الكل بالرضا بما وقع
من القضاء وعلم ان المحبوب لم يقدر له الا ما فيه خيره ويتذكر قوله تعالى وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير
لكم ولعله عليه السلام قال في هذا المقام انه ليغان على قلبي فاستغفر الله سبعين مرة كما في الصحيحين
وانما كان استغفاره من المقام الاول فانه كان بعيدا بالنسبة الى المقام الثاني كما قيل حسنات
الابرار سيئات المقربين الاحرار ويكون ذلك عقوبة لاهل التوفيق على الفتور في الطريق والالتفات
الى غير الحبيب والرفيق كما روي عنه عليه السلام مما يروي عن ربه تبارك وتعالى انه قال في بعض الكتب
المنزلة ان ادنى ما اصنع بالعالم اذا اثر شهوات الدنيا على طاعتي ان اسلبه لذة مناجاتي فسلب
المزيد بسبب الشهوات عقوبة العموم واما الخصوص فيحتجبون عن المزيد بمجرد الدعوى والعجب والركون
الى ما ظهر من مبادي اللطف وذلك هو المكر الخفي الذي لا يقدر على الاحتراز منه الا الاقوياء من ذوي
المقام الراسخة وقد سمع ابراهيم بن ادهم قائلا يقول وهو في سياحته بكان على جبل لبنان
ثم

كل شي لك مفقود سوى الاعراض عنا ، فقد وهبنا لك كافات بقي ما فات منا ، فاضطرب وغشي عليه فلم يفق يوما وليلة وطرأت عليه احوال وغلبة ثم قال سمعت الله من الجبل يا ابراهيم كن عبدا فكنت عبدا واسترحت وقد قد مثال درجات الحب لا نهاية لها في مقام القرب فحق العبد ان يجتهد في كل نفس ما يعيد حبا حتى يزداد فيه قربا ولذا قال عليه السلام من استوى يوماه فهو مغبون ومن كان يومه شرا من امسه فهو ملعون كذا في الاحياء وقال مخرجه لا اعلم هذا الا في منام لعبد العزيز بن ابي رواد قال رايت النبي عليه السلام في المنام فقلت يا رسول الله اوصني فقال ذلك زيادة في اخره رواه البيهقي ولعل تلك الزيادة ما في بعض الروايات ومن لم يكن في زيادة فهو في نقصان وقد قال الشيخ البستي زيادة المرء في دنياه نقصان ، وربحه غير محض الخير خسران وقال بعض العارفين من عبد الله بمحض المحبة من غير خوف هلك بالبسط والادلال ومن عبده بالخوف من غير محبة انقطع عنه بالبعد والاستيحاش ومن عبده من طريق المحبة والخوف احبه الله تعالى وقربه ومكنه وعلمه فالمحب لا يخلو عن خوف والخائف لا يخلو عن محبة ولكن الذي غلبت عليه المحبة حتى اتسع فيها ولم يكن له من الخوف الا يسير يقال انه في مقام المحبة ويعد من المحبين ويجعل في طريق السير من الطائر المجذوبين المحبوبين وقد قيل في وصف حال العارفين شعر

قريب الوجد ذو مرمى بعيد ، على الابحار منهم والعبيد ،
لقد عزت معانيه فغابت ، عن الابصار الا للشهيد ،
غريب الوصف ذو علم غريب ، كان فؤاده زبر الحديد ،
يرى الاعياد في الاوقات تجري ، له في كل يوم الف عيد ،
وللاحباب افراح بعيد ، ولا تجد السرور له بعيد ،

وكان الجنيد ينشد ابياتا يشير بها الى اسرار العارفين وان ذلك لا يجوز اظهاره للغافلين وهي هذه

سرت باناس في الغيوب قلوبهم ، فحلوا بقرب الماجد المتفضل ،
عراض بقرب الله في ظل عرشه ، تجول بها ارواحهم وتنقل ،
موارده بهم فيها على العز والبها ، ومصدرهم عنها لما هو اكمل ،
تروح بعز مفرد من صفاته ، وفي حلل التوحيد تمشي وترفل ،
ومن بعد هذا ما يدق صفاته ، وما كتمه اولى لديه واعدل ،
ساكتم من علمي به ما يصونه ، وابذل منه ما ارى الحق يبذل ،
واعطي عباد الله منه حقوقهم ، وامنع منه ما ارى المنع اعدل ،
على ان للرحمن سرا يصونه ، الى اهله في السر والصون اجمل ،

فامثال هذه المعارف التي اشير اليها لا يجوز ان تنشر كلها بين الناس ولا ينبغي ان يظهر منها من انكشف له شي منها ان لم ينكشف له عنها بل لو انتشرت في الناس لخربت الدنيا ولم تبق على نظامها فالحكمة تقتضي شمول الغفلة لعمارة الدنيا وتمامها ولذا قيل الغفلة من الله رحمة ولولا الحمق لخربت الدنيا

~~الدنيا بل لو اكل ان من الحلال اربعين يوما لتعطلت الدنيا ولم يبق على نظامها فالحكمة تقتضي شمول الغفلة~~ لكن لزهدهم فيها وذهولهم عنها وبطلت الاسواق والمعايش منها بل لو اكل العلماء من الحلال لاشتغلوا بانفسهم لتحصيل الكمال ولوقفت الالسنة والاقلام عن كثير مما انتشر في العلوم بين الانام ولكن لله فيما هو سر لطائف حكم واسرار على ما يخفى كما ان لرفق الخير اسرارا وحكما لا تحصى فلكل نهاية لحكمته ولا غاية لقدرته هذا وقد يظهر مقال السر على لسان العارف حال السكر فهو معذور لانه مقهور اذ ربما يشتعل نار الحب نيرانه فلا يطاق سلطانه وقد يفيض القلب به فلا يندفع فيضانه ولا ينطفي لمعانه فيقول القادر على كتمانه شعر

قالوا قريب قلت ما انا صانع ، بقرب شعاع الشمس لو كان في حجري ،
فمالي منه غير ذكر بخاطر ، يهيج نار الحب والشوق في صدري ،

والعاجز عنه يقول شعر يخفي فيبدي الدمع اسراره ، ويظهر الوجد عليه النفس ، ويقول ايضا ومن قلبه مع غيره كيف حاله ، ومن سره في جفنه كيف يكتم ، وكان صاحب البردة اخذ من بعض الزبق في قوله ايحسب الصب ان الحب منكتم ، ما بين منسجم منه ومضطرم وقال بعض العارفين اكثر الناس من الله بعدا اكثرهم اشارة به الى المقام قربه وقد حكى ذو النون المصري عن بعض اخوانه ممن كان يذكر المحبة فراه مبتلى ببلاء فقال لا يحبه من وجد الم ضربه فقال الرجل لكني اقول لا يحبه من لم يتنعم بضربه فقال ذو النون ولكني اقول لا يحبه من شهر نفسه بحبه فقال الرجل استغفر الله واتوب اليه اي من دعوى حبه وقد قال ابو تراب النخشبي ابياتا تاكي

لا تخدعن فللحبيب دلائل ، ولديه من تحف الحبيب وسائل ،
منها تنعمه بمر بلائه ، وسروره في كل ما هو فاعل ،
فالمنع منه عطية مقبولة ، والفقر اكرام وبر عاجل ،
ومن الدلائل ان يرى من عزمه ، طوع الحبيب وان الح العاذل ،
ومن الدلائل ان يرى متبسما ، والقلب فيه من الحبيب بلابل ،
ومن الدلائل ان يرى متفهما ، لكلام من يحظى لديه السائل ،
ومن الدلائل ان يرى متقشفا ، متحفظا من كل ما هو قائل ،

وقال يحيى بن معاذ الرازي في هذا المعنى من المبنى

ومن الدلائل ان تراه مشمرا ، في خرقتين على شطوط الساحل ،
ومن الدلائل حزنه ونحيبه ، جوف الظلام فما له من عاذل ،
ومن الدلائل ان تراه مسافرا ، نحو الجهاد وكل فعل فاضل ،
ومن الدلائل زهده فيما ترى ، من دار ذل والنعيم الزائل ،
ومن الدلائل ان تراه باكيا ، ان قد راه على قبيح فاعل ،

وجنة الدنيا بل ان تراه مسلما ** لكل الى مولى الملك العادل
ورضنه الدنيا بل ان تراه راضيا ** بمليكه في كل حكم نازل
ومن الدنيا بل ضحكه بين الورى ** والقلب محزون كقلب الثاكل

وهو اي السلوك او طريقه بلزوم عشرة اسباب تكون رفيقه بلزوم الوضوء اي الطهارة الظاهرة فهو اي الوضوء وما في معناه ينور القلب بسبب تاثير صفاء الظاهر لصفاء الباطن والخلوة اي وبلزومها عن الخلوة فهي اي الخلوة تفرغ عن الشواغل المانعة عن تحصيل الفضايل وقد تقدم تحقيق بحث الخلطة والعزلة ثم القوم مختلفون في طرق سلوكهم فمنهم من جعل مدار الخلوة على خلو القلب عن غير ذكر الرب ومشاهدة الحق ولو كان في مجمع الخلق كما يشير قوله تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وهو طريق السادة النقشبندية والقادة الشاذلية ويقال في حقهم انهم غريبون قريبون وكائنون بائنون وعرشيون فرشيون ومنهم من اختار الخلوة المتعارفة بينهم تقوية للمبتدي وتسهيل للمنتهي وكان المصنف منهم ولذا قال والاولى ان يكون السالك الذاكر في بيت مظلم ليس فيه متاع الا ما لا بد منه او يلف راسه اذا كان في مسجد ونحوه ويغمض عينيه حال ذكره وفكره الا حين صلاته فانه مكروه على خلاف دابه عليه السلام وسنته وانما يحتاج الى البيت المظلم ولف الراس وتغميض العين لتركد الحواس اي لتسكن وتستقر وفيه ان الذاكر انما يسكن حاسة البصر ولعل ايراده بصيغة الجمع لتوارد النظر والسكوت اي وبلزومه من غير ذكر ربه فقد ورد من صمت نجا ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليصمت ومن حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه فهو اي السكوت المشتمل على الفكر يلقح العقل اي ينتج كماله ويقوي القوى من اللسان وما يتبعه من الجوارح والاركان والجوع اي بلزومه للصيام او للصبر على فقده والا فهو ليس مطلوبا بنفسه ولذا ورد في دعائه عليه السلام واعوذ بك من الجوع فانه بئس الضجيع فانه اذا اشتد على حال يكون شاغلا لصاحبه عن ذكر ربه وفكر حبه والسهر في الفكر والذكر والعبادة والسلوك والا فهو ايضا ليس بمطلوب في حد ذاته وتماما اي الجوع والسهر ينوران القلب اذا كان مشتغلا بذكر الرب بتقليل دمه وذوبان شحمه فيكون مضيقا لمجاري الشيطان ودخوله ووصوله فيجب ان يجعل على الاعتدال فيهما فان المراد والمبالغة فيهما تشاغل عن العبادة كالتفريط والتقصير عن قدر الحاجة لارباب الارادة واصحاب السعادة ونفي الخواطر اي وبلزوم نفيها ودفعها اذا كان مذموما كما قال العارف ابن الفارض

ولو خطرت لي في سواك ارادة ** على خاطري سهوا حكمت بردتي

اي بارتدادي عن مقام كمال وحال ودادي وهذا اذا استقرت الخواطر وتمكن من الخواطر وان فلا عبرة لها واشار اليها بقوله فالتمييز بين انحاء الخواطر الالهي والملكي والشيطاني والنفسي شاغل للسالك عما هو بصدده من حصول ذكر ربه ووصول سير قربه في مقام صبر التسليم اي وبلزوم التسليم والتفويض له تعالى لكل حال من جميع امور الدينية والاخروية فيترك تدبيره واختياره في جميع احوا له

رضواله الى ما دبر الحق له في ازاله ونصب مستقبلا اي وبلزوم يقين خادم منعقد للوازمه يبلغ القوت الحلال اي يوصل اليه ماكوله ومشروبه من مال الحلال والا فيشبه اقرب اليه من الحرام فان هذا الزمان زمان الشبهات وفقدان الحلال الصرف منه الطيبات فهو اي الحلال الاصل في محافظة الاعمال والاحوال كما يشير اليه قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقوله سبحانه يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون فقدم اكل الحلال على الاعمال وقد امر الله به المؤمنين بما امر به المرسلين اشعارا بان هذا الشان الاكبر من السابقين واللاحقين ولان الحلال يثبت ثواب عبادة لم يفعلها الشخص والحرام يبطل ثواب عبادة فعلها وتوضيحه شخص يتعب في النهار بسبب كسب الحلال وكانت له وظيفة عبادة في الليل من الاعمال ففاتت منه العمل بسبب فتور اعضاء البدن وظهور الكسل فلا شك انه يثاب على تلك العبادة بسبب تحسين النية في الارادة ومن اكل الحرام او لبس الحرام وترك المنام وقام الليل كله بالصلاة وسائر انواع العبادة فلا يقبل منه كما ورد من اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفيه درهم حرام لم يقبل الله له صلاة ما دام عليه منه شيء رواه الامام احمد عن ابن عمر بل قوله تعالى انما يتقبل الله من المتقين يعم اكل الحرام وسائر المحرمات على الانام وترك غير الرواتب القطعية والظنية والرواتب اي وغير السنن المؤكدة للصلوات الخمس ثم هذا اللزوم بالنسبة الى المبتدي حيث ان الفضل في حقه مجرد الذكر واما بالنسبة الى المتوسط فالكل في حقه التلاوة وما بالنسبة الى المنتهي فالصلاة لانها جامعة للذكر والتلاوة والجوارح واحسان في الحالة كما في عوارف المعارف وذكر الدائم اي ولزوم الذكر على سبيل الدوام مستقبل بيت الله الحرام مع الحضور اي حضور القلب في مشاهدة الرب ولعله اراد بالحضور هنا مجرد نفي الغفلة واما الذكر فاما يكون باللسان اي بلسان الجنان او بلسان القلب والجنان او ما يجمع بينهما وهو اكمل وان كان الذكر الخفي افضل لقوله تعالى واذكر ربك في نفسك وهو يحتمل ان يراد به الخفية عن الخلق واخفى منه وهي السر مع الحق كما لا يخفى وكذا ما ورد في الذكر الخفي وورد ان الذكر لا تعلمه الحفظة افضل مما تعلمه بسبعين ضعفا فلذا اختار النقشبندية لسالكي المريدين فيما مر انهم بان يلصقوا السنتهم الى حنكهم ويقولون بلسان قلوبهم لا اله الا الله ويشيرون في لا اله الى نفي ما سوى الله وفي الا الله الى اثبات ذاته وصفاته ويريدون بالكلمة معنى لا اله معبود او موجود او مشهود بحسب مراتبهم وتفاوت مناقبهم واما اهل الذكر الجلي او الخفي باللسان فيشيرون في النفي الى جانب اليمين وفي الاثبات الى جانب اليسار وهو القلب وهذه كلها اصطلاحات للمشايخ الكبار واختيارات لهم في مقام الاظهار والاسرار والا فما ثبت عن النبي المختار تلقين ذكر ولا اعطاء خرقة ولا طريق مصافحة انما الثابت بالتواتر الصحيح متابعة الكتاب والسنة اذا عرفت هذا فقيل افضل الذكر هو الله لانه المقصود لا سواه الا انه لا يحصل به التوحيد في مقام التفريد اذ اثبات وجوده لا شك لاحد في شهوده ولذا قالت رسلهم افي الله شك وقال تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض

يقولون الله فلا بد من كلمة التوحيد لتتحقق صفة التفريد وقد امر جميع الانبياء والرسل بذلك لاتباعهم
وارشادهم وقد ورد عن نبينا صلى الله عليه وسلم افضل الذكر لا اله الا الله تمامه وافضل الدعاء الحمد
لله كما رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه والحاكم عن جابر مرفوعا وقيل لا اله الا هو الحي القيوم وابن حبان صح
وهو الثاني لما تقدم لما فيه من زيادة الحي القيوم ولانه اية من القرآن دالة على التوحيد مع زيادة
البرهان فالحي الازلي الابدي يشير الى ان غيره لا يصلح للالوهية لانه اما لا حياة له او حياته حادثة
والقيوم هو الذي يقوم بذاته ويقوم غيره باظهار صفاته من قدرته وارادته وحكمته في مصنوعاته
وفي هذا التلويح الى بطلان ما تقوله الوجودية المعية في المراتب الشهودية حيث قال ابن عربي سبحان من صح
من اوجد الاشياء وهو عينها وقد وقع التناقض في عين كلامه الشافي لمرامه فانه سبحانه اذا اوجد
الاشياء واحد فكيف يتصور ان يكون عينها في التراب ورب الارباب فهو ابعد من قولهم قال
بايزيد في مقام الاتحاد والحلول بالعبد [illegible] ورد في بعض الروايات تقوية لما تقدم ان الاسم الاعظم
ثابت في اية الكرسي اي في اولها وال عمران اي في صدر سورتها وبها يشترك فيه اي في وجود لفظ
الله لا اله الا هو الحي القيوم فيهما دون غيرهما من السور فانها ثالثة معهما والحديث رواه ابو داود والترمذي
وابن ماجه وابن ابي شيبة عن اسماء بنت يزيد مرفوعا بلفظ اسم الله الاعظم في هاتين الايتين
والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم وفاتحة ال عمران الم الله لا اله الا هو الحي القيوم والظاهر انه
في الايتين كلتيهما على سبيل الاجتماع ويحتمل الانفراد وكذا الكلام فيما ورد من حديث
ابي امامة اسم الله الاعظم في ثلاث سور البقرة وال عمران وطه قال القاسم التابعي فالتمسته
فوجدته انه الحي القيوم لوجوده فيهن ويؤيده حديث اصحاب السنن الاربعة وغيرهم ان الاسم
الاعظم يا حي يا قيوم وهو المناسب لما تقدم والله اعلم واما ما اورده المصنف رواية في حديث
ثم في المستدرك للحاكم عن سعد بن ابي وقاص اسم الله الاعظم الذي اذا دعي به اجاب واذا
سئل به اعطى لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وهو دعوة ذي النون يونس عليه
السلام ويؤيده قوله سبحانه فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين وقيل هو هو حيث صدر الى صح
به وختم به في قوله هو الله الذي لا اله الا هو وقال اعد ذكر نعمان لنا ان ذكره هو المسك ما كررته يتضوع
ومن ثم قيل ان في كلمة الجلالة انواعا من الجلالة اذ لو حذف الهمزة يبقى لله ولله ملك السموات والارض
واذا حذف اللام الاول يبقى له وله ما في السموات وما في الارض وله الحمد في الاولى والاخرة وله الكبرياء
في السموات والارض واذا حذف اللام الثانية بقي هو لا اله الا هو قل هو الله احد الى اخره هو الاول
والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فسبحان من لا يعرفه
الا هو وقد جاء في الاسم الاعظم روايات اخر كما بينته في شرح الحصن والجمهور على ان الاسم
الاعظم هو الله وقد قال القطب الرباني السيد عبد القادر الكيلاني ان الله هو الاسم الاعظم لكن
بشرط ان تقول الله وليس في قلبك سوى الله ومن هنا قال شيخ مشايخنا الشيخ ابو الحسن البكري قدس

قدس الله سره السري في اول حزبه النفعي الله عما سوى الله وتعقبه بعض علماء الظاهر حيث لم يعرف
الله ولا ما سواه وقد شرحته في جوابه وبينت القول بصوابه والاولى فيه اي في الحث انه ان ذكر
الا يستفتح من القلب فيحركه بلمة الرب فيواظبه ليلا ونهارا وسرا وجهارا حتى يسقط حركة
اللسان اي كلفتها وتجري الذكر على اللسان دون اختياره اي من غير تكلف تذكار واحضار ثم
يرجع الذكر الى القلب اي ينتهي اليه ويستولي عليه ثم يتحقق وينمحي الحروف فيما المعنى وتصير مداومة تصور
الذكر حالة مستديمة دالة على رتبة مستقيمة وحينئذ تحدث المحبة وتظهر المودة فلا ينسى المذكور
في حالات احوال الذاكر كالاكل والشرب والخلطة والعزلة والسكوت والكلام واليقظة والمنام
فقد قال المحبة دوام الذكر ويؤيده حديث من احب شيئا اكثر ذكره وقال سفيان المحبة اتباع صاحب
النبوة ويؤيده اية قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني ولله در القائل شعر

عجبت لمن يقول ذكرت ربي ** وهل انسى فاذكر ما نسيت
اموت اذا ذكرتك ثم احيا ** ولولا حسن ظني ما حييت
فاحيا بالمنى واموت شوقا ** فكم احيا عليك وكم اموت
فليت خياله نصب لعيني ** فان غمضت في نظري غيبت
شربت الحب كاسا بعد كاس ** فما نفد الشراب وما رويت

وقال ابن الكمال اوحى الله الى عيسى عليه السلام اني اذا اطلعت على سر عبدي فلم اجد فيه حب الدنيا
والاخرة ملاته من حبي وتوليته بحفظي ثم يغيب الذاكر عن مشاهدة جميع الاشياء ظاهرا وباطنا
فلا يكون ماثلا في ارضها وسمواتها حتى عن النفس اي وجودها واجزائها وصفاتها اي وعن شهود
صفاتها الذميمة والمحمودة وسائر حالاتها فيغيب عن محاضرتها في المذكور وهو القرب اي نوع من الحضور
فمن الخواص المحبة محو الارادات واحتراق جميع الصفات والحاجات ثم يغيب الذاكر عن الذكر اي عن
وجوده وشهوده ايضا كما غاب عما عداه المسطور في شهود المذكور اي حصول بطريق الذوق
والسرور وهو الفناء في بحر النور ثم تحدث الانفصال وهو البقاء في القرب الناشي عن جمال الحب
ويبقى هذا الذاكر ما شاء الله في عالم الوصال لظهور النور من اشعة الجمال ولمعة الجلال في مقام الكمال
والنعمة اي وللعطاء والذهول عن الشواغل والموانع من حصول الوصول الى تحقيق الفروع والاصول
وقالت رابعة العدوية يوما من يدلنا على حبيبنا فقالت جارية لها حبيبنا معنا ولكن شغلتنا الدنيا عنه
قطعنا وكانه ماخوذ من قوله تعالى وهو معكم اينما كنتم وقوله شغلتنا اموالنا واهلونا وقال السري من احب
الله عاش ومن مال الى الدنيا طاش والاحمق يغدو ويروح بلا شيء والعاقل عن عيوبه فتاش
وكانه مقتبس من قوله تعالى فلنحيينه حياة طيبة وقال هرم بن حيان المؤمن اذا عرف ربه احبه واذا احبه اقبل
اليه واذا وجد حلاوة الاقبال اليه لم ينظر الى الدنيا بعين الشهوة ولم ينظر الى الاخرة بعين الرغبة
وبقي بجسده في الدنيا وبروحه في العقبى مع المولى في المقام الاعلى وقال الشبلي اوحى الله الى داود عليه

ويبقى المعنى ثم ينقطع العقد من الالسنة والالفاظ ويحكى بدايتي اختصارا للكتب صح

السلام يا داود ذكري للذاكرين وجنتي للمطيعين وزيارتي للمشتاقين وانا خاصة للمحبين
ويصير الذاكر جنيد بن ملوك الدين ومن ائمة المجتهدين ومشايخ المسلمين ووحيد عصره وفريد دهره
بتوفيق ربه وهو خير المعين لتحقيق علم اليقين بكمال ايمانه وارسل صدر احسانه في عين اليقين واستغرق
في بحر التوحيد وبحر التفريد وغاص في عين العلم وغاب عن عين غير الي زين الكلم فلنذكر بعض
احوال المحبين فنقول قال بعضهم لبعض العارفين انك محب فقال لست محبا انما انا محبوب والمحب متعوب
فكانه اشار الى انه مجذوب ومطلوب وانه بسبب لذته في خدمة محبوبه غير متعوب ولما دخل الشيخ البصري
فقالوا الى بعض مرضوا الى سوال الجتمع الى سهل اخوانه فقال لو الرسالات الله عز وجل ما منهم فسكت ثم قال
لله عباد في هذه البلدة لو دعوا على الظالمين لم يصبح على وجه الارض ظالم الا مات في ليلة واحدة ولكن
لا يفعلون قيل ولم قال لانهم لا يحبون ما لا يحب الله وقيل لمبشر باي شيء بلغت بهذه المنزلة فقال
كنت اكاتم الله حالي يعني اساله ان يكتمه علي ويخفي امري وروي انه راى الخضر فقال له ادع الله لي
فقال لي يسر الله عليك طاعته قلت زدني قال وسترها عليك فقيل معناه سترها عن الخلق حتى لا يطلعوا
عليها وقيل معناه سترها عنك حتى لا تلتفت اليها وفي الاخبار ان الله تعالى اوحى الى بعض انبيائه
انما اتخذ لخلتي من لا يفتر عن ذكري ولا يكون له هم غيري ولم يؤثر علي شيئا من خلقي وان احرق
بالنار لم يجد لحرق النار وجعا وان قطع بالمنشار لم يجد لمس الحديد الما فمن لم يبلغ الى ان يغلبه
الحب الى هذا الحد فمن اين يعرف ما وراء الحب من الكرامات والمكاشفات وكل ذلك وراء الحب وراء
كمال الايمان ولا حصر لمقامات الايمان وتفاوته في الزيادة والنقصان والله المستعان ومما
يؤيد هذا الشان في البرهان ما روي انه عليه السلام قال لابي بكر الصديق ان الله قد اعطاك
مثل كل من امن بي واعطاني مثل ايمان كل من امن بي من ولد ادم رواه الديلمي عن علي وقد
انتهى الكتاب الذي هو لب اللباب لكل فصل وباب عند رب الارباب منحل المقطع المشير
الى ان ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون بالدعاء الماثور عن سيد الابرار ومسند
الاخيار اللهم انا نسالك الهدى بالايمان والتقى عن العصيان والعفاف بالكف للسان
والغنى عن الخلق في جميع الاحيان والحديث رواه مسلم والترمذي وابن ماجه عن ابن مسعود
بلفظ اللهم اني اسالك الحديث فلعل ما ذكر رواية في المبنى او نقل بالمعنى واختار صيغة الجمع ليدخل
معه ويدخل معنا كما في قوله ونعوذ بك من علم لا ينفع وهو يحتمل احتمالين احدهما انه في نفسه لم يكن
من العلوم النافعة كما يشير اليه ما ورد ان من العلم جهلا وثانيهما انه لم يكن ينفع صاحبه بالعلم به
لما ورد اشد الناس عذابا عالم لم ينفعه الله بعلمه ونعم ما قال ذو الحال الفاخر

٭ يا من تباعد عن مكارم خلقه ٭ ليس التفاخر بالعلوم الزاخره ٭
٭ من لم يهذب علمه اخلاقه ٭ لم ينتفع بعلومه في الاخره ٭

وقلب لا يخشع بان اسود بالغفلة ولم تؤثر فيه النصيحة والموعظة لارباب المعرفة كما قال تعالى فويل

فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله وقال عز وعلا الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما
نزل من الحق ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وقال
عز وعلا ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة ونفس لا تشبع من الدنيا فيكون
حريصا عليها ومقبلا بكليته اليها او لشابه عن كثرة الاكل وعدم قناعتها بمقدار كفايتها ودعاء
لا يسمع اي لا يقبل في حال دعواتها والحديث رواه ابن ابي شيبة عن ابن عمرو الطبراني في الاوسط
عن ابن عباس وزاد اللهم اني اعوذ بك من هؤلاء الاربع رواه الحاكم وابن ابي شيبة عن ابن
مسعود بلفظ اللهم اني اعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ودعاء لا يسمع ونفس لا تشبع وفي رواية
لابن حبان وغيره عن انس اللهم اني اعوذ بك من علم لا ينفع وعمل لا يرفع وقلب لا يخشع وقول
لا يسمع وفي رواية لابي داود عن ابي هريرة اللهم اعوذ بك من الاربع من علم لا ينفع ومن قلب
لا يخشع ومن نفس لا تشبع ودعاء لا يسمع ففي هذه الروايات دلالة واضحة على عدم منع جواز السجع
الصادر عن السلامة الطبع كما حكي انه قيل لصاحب الكشاف انك اكثرت السجع فقال رجعت عما سجعت واخر
دعوانا بتوفيق مولانا ان الحمد لله رب العالمين فيما اول ما في اول ما اخرنا وفيه ايماء الى قوله
سبحانه رغبا ورهبا عن اهل الجنة ان يقولوا فيها هذا الكلام وهو ان الذين امنوا وعملوا الصالحات
يهديهم ربهم بايمانهم تجري من تحتهم الانهار في جنات النعيم دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم
فيها سلام واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين وفيه تنبيه نبيه على ان اخر مقامات اهل الجنة في درجات ت
المعرفة والمحبة هو الرضا والشكر لمزيد النعمة وازالة المحنة كما يومي اليه قوله سبحانه وقالوا الحمد لله الذي اذهب
عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور الذي احلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب اي تعب ولا
يمسنا فيها لغوب اي كلال وكسل وفسر الحزن بانواعه بحسب كان كل احد مشتغلا بنوع من اصنافه فقيل
حزن الفقر او كري البيت او التحويل منه او حزن الفراق وحجابه وهول يوم الاشتياق الى مشاهدة
الله ورفع نقابه وهو اعلى مراتب الكمال واجلى مناصب اصحاب الجمال اللهم ارزقنا في ساعة عفو عنه
الى ازل الازال والله سبحانه اعلم بحقائق الاحوال والسلام على عباده الصالحين من الانبياء والمرسلين
السابقين والصلاة على محمد رسوله سيد الاولين والاخرين وخاتم النبيين وعلى اتقياء امته من
اهل بيته وصحابته واتباعهم واشياعهم اجمعين الى يوم الدين امين فاتم رب العالمين فرغ بيد
مولفه رحمه وغفر معه مبلغه وخلفه اخر يوم الخميس المشرف على ليلة الجمعة المسماة بليلة الرغائب من
شهر الله المعظم رجب المرجب احد الاشهر الحرم في شهور عام الاربعة عشر بعد الالف من هجرة خير البشر
واثنا في المحشر في مكة امن مدينة الى المدينة امن مدينة الناس ل في ها للمومنين انواع السكينة حامدا ومصليا وبنيا م
ومسلما ومفوضا ومتوكلا وداعيا ومسلما ومسلما والحمد لله اولا واخرا وظاهرا وباطنا وصلى الله على سيدنا محمد
وعلى اله وصحبه اجمعين الحمد لله على التمام نسخ الفقير الى الملك القدير ابي بكر بن درويش الزربابي الحنفي
عامله الله بلطفه الخفي واجراه على عوائد بره الوفي وغفر له ولوالديه ولجميع المسلمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم

SÜLEYMANİYE G. KÜTÜPHANESİ
Kısmı . Tekkeler - Murad
Yeni Kayıt No.
Eski Kayıt No. 180
Tasnif No.